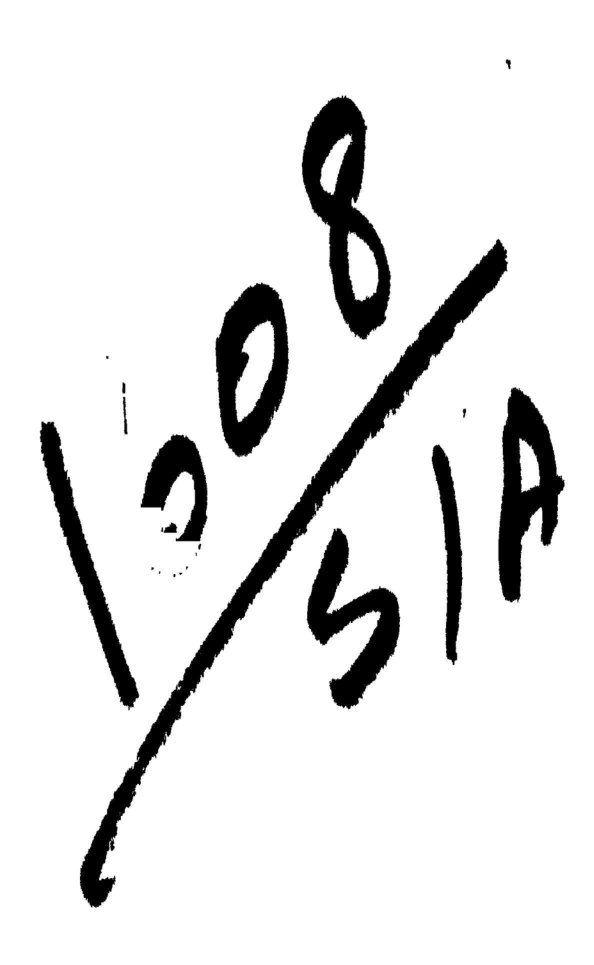
دائرة معارف القرن العشرين

محمد فريد وجدي

المجلد الثامن

دار المعرفة
بيروت - لبنان



دائرة معارف القرن الرابع عشر العشرين

قاموس عام مطول للغة العربية والعلوم النقلية والعقلية والكونية بجميع أصولها وفروعها
ففيه النحو والصرف والبلاغة والمسائل الدينية وتاريخ الفرق والمذاهب والتفسير
والحديث والاصول والتاريخ العام والخاص وتراجم مشهوري الشرق
والعرب والجغرافية الطبيعية والسياسية والكيمياء والفلك والفلسفة
والعلوم الاجتماعية والاقتصادية والروحية والطب والعلاج وقانون
الصحة والفوائد المنزلية وخواص العقاقير والاقرباذين والاحصاءات
وسائر ما يهم الانسان فى جميع المطالب

﴿ تأليف ﴾

محمد فريد وجدي

المجلد الثامن

الطبعة الثالثة
سنة ١٩٧١

حاز هذا الكتاب رضاء وزارة المعارف العمومية والجامعة
الأزهرية ومجالس المديريات فقررته لجميع معاهدها الدراسية

دار المعرفة
للطباعة والنشر
بيروت — لبنان

والخمور

أكثر الممالك تجارة مع الكاب انجلترة ثم بعض مستعمراتها كجزيرة موريس والهند ويليها هولندة والبرزيل

طرق المواصلات داخلها تسير عليها العربات الضخمة تجرها عشرات من الجاموس وفيها خطوط حديدية وهي واصلة بين الكاب وميناء ايليزابت وكمبرلي وجوهانسبرج وبلومفنتين وبريتوريا وخليج دولاغو وممتدة شمالا الى بولوابو وفورسلبوري

يسكن هذه المستعمرة (أولا) سكانها الاصليون أشهر قبائلهم الباروتسي والبشوانة والماتابل والكفره والزولوس وهم أمة حرب وكفاح ولهم جيوش منظمة (ثانيا) الملاسيون أو المولدون وهم الذين جاؤا من أب أبيض وأم سوداء وأكثرهم مسلمون (ثالثا) الاوربيون وأكثرهم انجليز وفيهم بويروهم من نسل الهولانديين والفرنسيين البروتستانت الذين لجأوا الى جنوب افريقا زمن اضطهاد الكاثوليك للبروتستانت

اللغة الشائعة هنالك الانجليزية أما البوير فيتكلمون بالهولاندية والوطنيون لهم لهجات خاصة

الدين الرسمي هنالك هو الدين المسيحي وأما الوطنيون فوثنيون الا بضع آلاف منهم مسلمون

حكومة الكاب دستورية لها استقلال اداري ومجلس نواب ومجلس عال . ويحكم البلاد حاكم انجليزي. أما القوة التشريعية فهي في يد البرلمان الانجليزي

كابل هي أشهر مدن بلاد الافغان وعاصمتها بها نحو ١٢٠ الف نسمة ترتفع نحو مئتي متر عن سطح البحر مشهورة بتجارتها مع الهند والفرس تصنع بها الاقمشة والشيلان

قال ابن حوقل من مؤلفي المسلمين المتقدمين : كابل من عمل بيان وفيها المسلمون وكفار الهنود ويزعم الهنود أن الملك وهو الشاه لا يستحق الشاهية دون ان يعقد له الملك في كابل وان كان منها على بعد . وكابل فرضة للهند أيضا . وقال في اللباب ناحية معروفة من بلاد الهند نسب اليها جماعة من أهل العلم قال في القانون قلعة كابل مستقر ملوك الاتراك كانوا ثم البراهمة فينسب اليها الاهليلج فيقال اهليلج كابل وليس بها شيء منه . ولكن لما كانت فرضة للتجار يقصد منها

الاهليلج وغيره نسب اليها . وكانت من ثغور المسلمين فى بلاد الهند وفى غربيها مدينة غزنة

﴿ الكابلى ﴾ هو نبات يعتبر رأس فصيلة مستقلة وهو شجر ينبت على الشاطىء الشرقى للهند وجزيرة جاوة خشبه ملون بالحمرة المسمرة. وأهل تلك الجهة يستعملون قشوره علاجا للحمى

قال العالم الفرنسى ميريه : ويظهر ان الخواص الطبية لقشر الكابلى كخواص الكينا

وقد استعمل هذا القشر الطبيب بلوم فنجح فى دفع الحميات المترددة والخبيثة أيضا . وهو يعتبر كمقو فى الحميات الدائمة

وقد اشتهر قشر الكابلى اشتهارا عظيما عند الهنود ولاسيما فى الجهات الرطبة والآجامية كمضاد للحمى ولكن مالامرية فيه ان الكينا وأملاحها تفوقه من جميع الوجوه

﴿ الكابلى ﴾ يوجد بأمريكا الجنوبية شجر يسمى الكابلى وهو كبير جميل يستعمل خشبه فى صناعة التجارة وتعمل منه أثاث المنازل، وهو يحفظ زمنا طويلا لكثرة الراتينج فيه

أزهاره قوية الرائحة يستخرج منها دهن طيار شديد العطرية وشبيه بدهن الخزامى وهو مقو للدماغ ونافع للاعصاب ومفتح للسدد ومدر للبول ويستعمل علاجا للنزلة والاوجاع الروماتيزمية

﴿ كَادَ ﴾ الرجل يكَادُ كأْدا كئب و (تَكاد الشىء) تكلفه و (تكاءدنى الامر) شق علىّ و (العقبة الكأداء والكؤود) الصعبة

﴿ كاريان ﴾ جاء فى معجم البلدان كاريان مدينة بفارس ولها قلعة قيل لم تفتح عنوة قط وهى على جبل طين

﴿ كازرون ﴾ جاء فى معجم البلدان كازرون مدينة بفارس بين البحر وشيراز يقال هى دمياط الأعاجم يعمل بها ثياب من الكتان على شبه القصب وهى كلها قصور وبساتين ونخيل ممتدة عن يمين وشمال بينها وبين شيراز ثلاثة أيام ثمانية عشر فرسخا

﴿ كاسان ﴾ جاء فى معجم البلدان كاسان مدينة كبيرة فى أول بلاد تركستان وراء نهر سيحون وراء الشاش لها قلعة حصينة على بابها وادى أخسكت

﴿ كاسيا ﴾ شجر الكاسيا ينبت بنفسه فى سورنام بأمريكا ثم نقل منها الى

جيان بأمريكا أيضا سنة ١٧٧٢ وهو يألف شواطىء الانهار والاراضى الرطبة

تستعمل منه فى الطب جذوره ، شجره يعلو على الارض من ٦ أقدام الى ١٠ ساقه قائمة متفرعة قشورها رمادية شديدة المرارة ، أوراقها متفرعة خالية من الزغب . أزهارها سنبلية انتهائيـة متضاعفة وفى قاعدتها وريقات زهرية وهى حمر كالمحور المركزى للسنبلة والكأس صغير وانبوبته كثرية ذات خمسة أظفار بيضية وثمره عبارة عن ثمرة لحمية ذات نواة

(صفات الجذور الدوائية) تعتبر جذور الـكاسيا من المقويات فتفتح الشهية وتزيد فى القوى المعدية فتعين على الهضم وهو ليس منبها وانما يقوى المنسوجات ويوقظ فاعلية الاجهزة العضوية ولـكنه لا يثير حركاتها ولا يهيجها ولا يسبب استفراغات ثفلية

وخلاصته المائيـة تستعمل فى بلاده علاجا للحميات المتقطعة الثقيلة والوبائية وهو يعتبر هنالك أقوى من الكينا فى ذلك

وقد نسب له الاطباء مضادة العفونة وقالوا انه واسطة علاجيـة قوية لعيوب وظيفة الهضم كفقد الشهية وحس الثقل بعد الاكل وبطء الهضم المعدى والرياح المعوية والبروز الكثير أو المتموق فهذه تشفى شفاء أكيداً بالمركبات الدوائية المأخوذة من هذا الجوهر اذا تقدم على هذه العوارض لين الاغشية المعدية المعوية وضعفها المادى أو ضعف التأثير العصبى المقوى الذى تقبله من المراكز العصبية فيعطى المريض من مركبات هذا الجوهر قبل كل أكلة نحو ملعقتين من منقوعه او واحدة من نبيذه المتحمل لأصوله أوملعقة قهوة من صبغته او ٤ قمحات من خلاصته

ولـكن اذا كان هنالك تهيـج فى القنوات الغذائية فيكون استعمال هذا الجوهر مؤذيا . وقد مدحوه فى داء النقرس بسبب شدة مرارته . وينجح أيضا فى السيلانات البيض المهبلية لأن خاصته المقوية قد تنوع الحالة المرضية للمجموع الحيوانى كله ولاسيما الغشاء المخاطى المهبلى وتجفف الافراز الحاصل من الاسـترخاء أو الاحتقـان الدموى فى هذا الغشاء

وقد شوهد نجاحه أيضـا فى مقاومة الديدان وذكروا شدة فاعليته فى الحميات المتقطعة فيعطى مغليا ومنقوعا وهـذه الخاصة معروفة له بأمريكا . ولما أوصل

استعماله الى اوربا جعلوه دواء قويا لجميع الحميات حتى الدائمة الثقيلة . وأوصى به كثيرون فى الحمي الخبيثة العفنة ونحو ذلك

وكما استعملوه علاجا للادواء استعملوه أيضا لخاصته المقوية حافظا للصحة فأوصوا بمنقوعه كواسطة صحية للاشخاص الذين صناعتهم تلزمهم بالجلوس الدائم لاجل مقاومة النتائج المضرة الحاصلة من الراحة ولحفظ فاعلية الاعضاء التى تضعفها على الدوام تلك البطالة والاولى من ذلك فى نظرنا ان يعمد الانسان الى الرياضة مهما كلفته لان الاعتماد فى معالجة مايسببه الكسل على الدواء يفضى بالشخص الى مرض عضال

(مقدار استعمال الكاسيا) يستعمل مسحوقه من غرام واحد الى غرامين اثنين ولكنه يعسر تحويله الى مسحوق وانما يحول اليه بالمبرد

ويستعمل منقوعه بوضع ٤ غرامات الى ١٥ جراما مجروشة لكل مئة غرام من الماء فيصير ذلك الماء مراً جداً

وقد عملت منه كوباب يوضع فيها الماء مدة كافية ثم يشرب فيكون مريراً جداً ولكنه حاصل على خاصة تقوية المعدة

﴿ كاشم رومى ﴾ يقال له الانجدان الرومى هو نبات ينبت بالجبال الشاهقة المظللة بالاشجار وينبت ايضا بجنوب فرنسا وقد استنبت بالبساتين لجمال أوراقه ورائحته الزكية

هذا النبات يحتوى على عصارة صفراء صمغية راتينجية وبزوره مستطيلة سمراء محززة

قال أطباء العرب الكاشم نبات له ساق صغيرة دقيقة شبيهة بساق الشبث ذو عقد عليه ورق شبيه بورق اكليل الملك الا انه انعم منه ، طيب الرائحة وله ثمر اسود مصمت مستطيل يشبه بزر الرازيانج حريف المذاق عطر وله جذر كبير طيب الرائحة

قالوا ان جذر هذا النبات وبزره يدران البول ويطردان الرياح ويحللان النفخ ويهضمان الغذاء

ونقلوا عن ديسقوريدس انه قال ان بزر هذا النبات وأصله مسخنان موافقان لاوجاع الجوف والاوجاع البلغمية والنفخ والسموم العارضة فى المعدة

وقالوا انه يبرىء سائر السموم الباردة واذا احتملت المرأة أصله أدر الطمث . وقد ينتفع ببزوره واصله فى اخلاط الادوية

المسرعة للاحدار والهاضمة للطعام . بزره حار طيب يستعمله اهل البلاد التي ينبت فيها بدل الفلفل ويتبلون به وبنباته أطبختهم ويقال انه مذهب للقراقر نافع من سدد الكبد مخرج للديدان

قال العلامة ماريه الفرنسي عن هذا النبات أنه نافع في الداء العصبي المسمى بالهستريا ولاجل تحريض الطمث واندفاع الجنين والمشيمة وتستعمل لذلك بذوره وجذوره. ويصنع منها منقوع وصبغة نبيذ وحمام وغير ذلك ومع ذلك فهو الآن قليل الاستعمال مع انه من النباتات الشديدة الفعل السهلة الوجود

(كيفية الاستعمال) يستعمل منقوعه من الباطن بمقدار من ٨ غرامات الى ٢٠ للكيلو غرام من الماء ويتعاطى من خلاصته من غرامين الى ٤ في جرعة

الكافور هو مادة مكونة من دهن طيار متجمد شفاف ذى رائحة نفاذة خاصة به يستخرج من نباتات كثيرة وأكثر ما يستخرج من النبات المسمى لوروس كفورا أي الغار الكافوري

كان هذا النبات غير معروف عند اليونانيين والرومانيين ولكن العرب عرفوه وذكره في مؤلفاتهم

شجر الكافور كبير ينبت في جزيرتي سومترا وبورنيو وينبت أيضا في جزيرة سيلان وفي بلاد الصين واليابان وأمريكا الشمالية وجذر القرفة يعطي كافورا يباع في المتجر باسم كافور وهناك أيضا نباتات أخرى تحتوي على كافور ولكن بمقدار يسير كجذر الكاسيا لينيا والسافراس والخولنجان والجدار الهندى والزنجبيل وحب الهال وجذر الراسن وحبوب الدار فلفل. ويوجد الكافور أيضا في كثير من الزيوت الطيارة التي تستخرج من النباتات الشفوية كزيت المريمية والسمتر وأكليل الجبل والنعنع الفلفلي ويوجد في غير هذه النباتات أيضا

شجر الكافور المسمى لوروس كفورا يعظم ارتفاعه كالزيزفون ويألف المحال المرتفعة من بلاد الهند واليابان. جذعه قائم مستقيم بسيط من الاسفل وأوراقه متعاقبة بيضاوية مستديرة منتهية بنقطة أولا محورية في براعيم فلوسية مخروطية حادة وأزهاره قمية طويلة الحامل وتكون ابطية بيضية مركبة من قشور غشائية . وثماره تشبه ثمار القرفة ولكنها أصغر منها

ولا يستعمل الا الدهن الطيار الجامد المستخرج من هذه الشجرة وهو يخرج من شقوق تفمل فى الشجرة فيكون أولا سائلا ثم يتجمد ولكنه لقلته لا يكفى للاحتياجات الطبية ولذلك تقطع فروع الشجرة واغصانها بل وجذعها ايضا وتوضع تلك القطع فى مراحل كبيرة مغطاة بأغطية فيها شىء من قشر الارز ثم تسلط على تلك المراجل حرارة لطيفة فيتصاعد الكافور ويعلق بقشر الارز على شكل حبوب سنجابية دهنية رطبة مخلوط بمواد غريبة تنقى منها بعد اعمال أخرى

فالكافور النقى يكون جامداً ابيض كالثلج شفافا أو غير تام الشفافية خفيفا دسم الملمس والمنظر رائحته قوية أو خاصة به تنتشر لحال بعيدة. ثقله الخاص ٩٨٨ر٠ واذا وضع فى اناء مفتوح تطاير شيئا فشيئا حتى لا يبقى له أثر

هو مكون من كربون وايدروجين وأوكسجين وأزوت يلتهب بسهولة وينبعث منه لهب ابيض ودخان كثير قوى الرائحة وهو قليل الذوبان فى الماء، وكثيره فى الاتير والزيوت الثابتة والطيارة

وقد جرب الكافور من وجهة فيزيولوجية فتقرر انه اذا استعمل بمقادير معتدلة انتج تسكينا وتبريداً واذا تعوطى بمقادير كبيرة انتج سباتا وهبوطا عميقا للقوى

(خواص الكافور الطبية) هو مضاد للتشنج ومزيل للالتهابات فى ابتدائها وله شهرة فى معالجة القرس والآلم الروماتيزمى استعمالا من الباطن ودلكا من الظاهر وتبخيراً ايضا

وقد عد من أعظم المسكنات للامراض العصبية ونجح فى معالجة الآفات التابعة لحالة مرضية غير عضوية فى المخ والنخاع الشوكى أو الاعصاب العقدية أو الخزام فى التأثير العصبي على القلب أوأعضاء التنفس أو الهضم . فلذا شوهد قطعه نوب عسر التنفس والسعال ووقفه الخفقانات والوثبات التشنجية فى القلب وازالة تقلص المرىء وتوتر الحجاب الحاجز والقىء والانتفاخات والانقباضات المعوية الشبيهه بالقولنجات وكذا فى التشنجات وغيرها من الامراض العصبية كالمانيا والصرع والهستريا وينفع في الجنون العشق (ايروطومانيا) وغلمة النساء (نموما نيا)

وكثيرا ما نجح الكافور فى معالجة

الطاعون والحميات العفنة والتيفوس وعسر البول وتقطيره

ويستعمل من الخارج كمضاد للعفونة فى القروح الرديئة الطبيعة والجمرية والقوباوية والغنغرينية وينفع كذلك فى الاندفاعات الجلدية المزمنة فيسكن الأكلان المصاحب لها . ويستعمل مع النجاح فى الحمرة فتوضع عليها رفائد غمست فيه وتندى منه حينا بعد حين ويستعمل دلكا على الاوجاع الروماتيزمية والعصبية المزمنة وكذا فى الاحتقانات الناشئة من البرد ويمزج بمراهم ليكون علاجا للجرب والاكزيما ومنع الاكلان

وقد اشتهر الكافور باضعافه للباه

وقد زعم الكيماوى رسباى ان قطعة من الكافور تقوم مقام جميع فواعل المادة الطبية وقد اسس ذلك على ان جميع الامراض سببها وجود حيوانات فى البنية وان الكافور قاتل لها فصار بذلك مفيدا لجميع أمراض البنية على الاطلاق وفى هذا غلو عظيم

﴿كافور الاخشيدى﴾ ملك مصر فى دولة الاخشيديين كان اصله مملوكا اسود لبعض أهل مصر ثم اشتراه ابو بكر محمد ابن طغج الاخشيد فى سنة (٣١٢) من محمود بن وهب بن عباس وترقى عنده الى ان جعله اتابك ولديه (اى مربيا لهما)

قال محمد وكيل كافور الاخشيدى خدمت الاستاذ والجراية التى يطلقها ثلاثة عشرة جراية فى كل يوم ومات وقد بلغت على يدى ثلاثة عشر الفا فى كل يوم

لما توفى الاخشيد مالك مصر تولى بعده ولده الاكبر ابو القاسم انوجور على مصر والشام وقام كافور بتدبير مملكته أحسن قيام الى أن توفى انوجور سنة (٣٤٩) وحمل الى القدس ودفن بها عند ابيه . وتولى بعده أخوه ابو الحسن على فملك الروم فى ايامه حلب والمصيصة وطرسوس فاستمر كافور على نيابته الى ان توفى المذكور سنة (٣٥٥) فاستقل كافور بالمملكة من هذا التاريخ واشير عليه باقامة الدعوة لولد ابى الحسن على بن الاخشيد فاحتج بصغر سنه وركب بالمطارد واظهر خلعا جاءته من العراق وكتابا بتكنيته واتخذ ابا الفضل جعفر بن الفرات وزيرا له

كان كافور ملكا عادلا يرغب فى أهل الخير ويعظمهم . وكان اسود اللون شديد السواد . اشتراه الاخشيد بثمانية

عشر ديناراً

قصده أبو الطيب المتنبي بعد أن فارق سيف الدولة بن حمدان ومدحه بغرر الشعر وعيونه فمن ذلك قوله فيه :

كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا
وحسب المنايا ان يكن امانيا
تمنيتها لما تمنيت ان ترى
صديقا فأعيا أوعدوا مداجيا
اذا كنت ترضى أن تعيش بذلة
فلا تستعدان الحسام اليمانيا
ولا تستطيلن الرماح لغارة
ولا تستجيدن العتاق المذاكيا
فلا ينفع الأسد الحياء من الطوى
ولا تتقى حتى تكون ضواريا
حببتك قلبي قبل حبك من نأى
وقد كان غداراً فكن أنت وافيا
واعلم ان البين يشكيك بعده
فلست فؤادي ان رأيتك شاكيا
فان دموع العين غدر بربها
اذا كن اثر الغادرين جواريا
اذا الجود لم يرزق خلاصا من الاذى
فلا الحمد مكسوبا ولا المال باقيا
وللنفس اخلاق تدل على الفتى
أكان سخاء ماأتى أم تساخيا
أقل اشتياقا ايها القلب ربما
رأيتك تصفي الود من ليس صافيا
خلقت ألوفا لو رجعت الى الصبا
لفارقت شيبي موجع القلب باكيا
ولكن بالفسطاط بحراً أزرته
حياتي ونصحي والهوى والقوافيا
وجرداً مددنا بين آذانها القنا
فبتن خفافا يتبعن العواليا
تماشى بأيد كلما وافت الصفا
نقشن به صدر البزاة حوافيا
وتنظر من سود صوادق في الدجى
يرين بعيدات الشخوص كماهيا
وتنصب للجرس الخفي سوامعا
يخلن مناجاة الضمير تناديا
تجاذب فرسان الصباح أعنة
كأن على الاعناق منها أفاعيا
بعزم يسير الجسم في السرج راكبا
به ويسير القلب في الجسم ماشيا
قواصد كافور توارك غيره
ومن ورد البحر استقل السواقيا
فجاءت بنا انسان عين زمانه
وخلت بياضا خلفها وماقيا
نجوز عليها المحسنين الى الذى
نرى عندهم احسانه والاياديا

فتى ماسرينا فى ظهور جدودنا
الى عصره الا نرجى التلاقيا
ترفع عن عون المكارم قدره
فما يفعل الفعلات الا عذاريا
يبيد عداوات البغاة بلطفه
فان لم تبد منهم أباد الاعاديا
أبا المسك ذا الوجه الذى كنت تائقا
اليه وذا اليوم الذى كنت راجيا
لقيت المرورى والشناخيب دونه
وجبت هجيرا يترك الماء صاديا
أبا كل طيب لا أبا المسك وحده
وكل سحاب لا أخص الغواديا
يدل بمعنى واحد كل فاخر
وقد جمع الرحمن فيك المعانيا
اذا كسب الناس المعالى بالندى
فانك تعطى فى نداك المعاليا
وغير كثير ان يزورك راجل
فيرجع ملكا للعراقين واليا
فقد تهب الجيش الذى جاء غازيا
لسائلك الفرد الذى جاء عافيا
وتحتقر الدنيا احتقار مجرب
يرى كل ما فيها وحاشاك فانيا
وما كنت ممن أدرك الملك بالمنى
ولكن بأيام أشبن النواصيا
عداك تراها فى البلاد مساعياً
وأنت تراها فى السماء مراقيا
لبست لها كدر العجاج كأنما
ترى غير صاف ان ترى الجو صافيا
وقدت اليها كل أجرد سابح
يؤديك غضبانا ويثنيك راضيا
ومخترط ماض يطيعك آمرا
ويعصى اذا استثنيت او صرت ناهيا
وأسمر ذى عشرين ترضاه واردا
ويرضاك فى ايراده الخيل ساقيا
كتائب ما انفكت تجوس عمائرا
من الارض قد جاست اليها فيافيا
غزوت بها دور الملوك فباشرت
سنابكها هاماتهم والمغانيا
وأنت الذى تغشى الاسنة اولا
وتأنف ان تغشى الاسنة ثانيا
اذا الهندسوت بين سيفى كريهة
فسيفك فى كف تزيل التساويا
ومن قول سام لو رآك لنسله
فدى ابن اخى نسلى ونفسى وماليا
مدى بلغ الاستاذ أقصاه ربه
ونفس له لم ترض الا التناهيا
دعته فلباها الى المجد والعلى
وقد خالف الناس النفوس الدواعيا

فأصبح فوق العالمين يرونه
وان كان يدنيه التكرم نائيا
وله فيه أيضاً قصيدة أولها:
من الجآذر فى زى الاعاريب
حمر الحلى والمطايا والجلابيب
الى ان يقول فى مدح كافور:
يدبر الملك من مصر الى عدن
الى العراق فأرض الروم فالنوب
اذا أتتها الرياح النكب من بلد
فما تهب بها الا بترتيب
ولا تجاوزها شمس اذا شرقت
الا ومنه لها اذن بتغريب
الى ان يقول:
ياأيها الملك الغانى بتسمية
فى الشرق والغرب عن وصف وتلقيب
انت الحبيب ولكنى أعوذ به
من ان اكون محبا غير محبوب
ومدحه أيضا بقصيدة عصماء أولها:
أود من الايام مالا توده
وأشكو اليها بيننا وهى جنده
يباعدن حبا يجتمعن ووصله
فكيف بحب يجتمعن وضده
ابى خلق الدنيا حبيبا تديمه
فما طلبى منها حبيبا ترده
واسرع مفعول فعلت تغيراً
تكلف شىء فى طباعك ضده
وقال فى المديح:
ومازال اهل الدهر يشتبهون لى
اليك فلما لحت لى لاح فرده
يقال اذا ابصرت جيشا وربه
امامك رب رب ذا الجيش عبده
كان أبو الطيب يرجو من كافور ان يوليه ولاية فيخرج بذلك من صف الشعراء الى صف القادة وكان المتنبى شديد التطلع للمعالى فقال يعرض بطلبه ضمن هذه القصيدة:
فكن فى اصطناعى محسنا كمجرب
يبن لك تقريب الجواد وشده
اذا كنت فى شك من السيف فابله
فاما تنفيه واما تعده
وما الصارم الهندى الا كغيره
اذا لم يفارقه النجاد وغمده
وقال فيه من قصيدة ينوه فيها بسواد لونه ويذكر انه من مفاخره:
فدى لابى المسك الكرام فانها
سوابق خيل يهتدين بأدهم
وله فيه قصيدة من وجوه شعر المتنبى أولها:

اغالب فيك الشوق والشوق أغلب
واعجب من ذا الهجر والوصل اعجب
وقال منها يعرض بمطلوبه من الولاية:
ابا المسك هل فى الكأس فضل اناله
فانى اغنى منذ حين وتشرب
وهبت على مقدار كفى زماننا
ونفسى على مقدار كفيك تطلب
اذا لم تنط بى ضيعة أو صنيعة
فجودك يكسونى وشغلك يسلب
وقال فيه من قصيدة غراء:
وان مديح الناس حق وباطل
ومدحك حق ليس فيه كذاب
اذا نلت منك الود فالكل هين
وكل الذى فوق التراب تراب
وماكنت لولا انت الامهاجرا
له كل يوم بلدة وصحاب
ولكنك الدنيا الى حبيبة
فما عنك لى الا اليك ذهاب
ومن العجيب أن المتنبى لما لم ينل من كافور مايرجوه من الولاية حقد عليه وحمله الحقد على هجوه بأفحش الاهاجى بعد غلوه فى مدحه فقال فيه بعد ان هرب منه:
اريك الرضا لو اخفت النفس خافيا
وما انا عن نفسي ولا عنك راضيا
أمينا وإخلافا وغدرا وخسة
وجبنا أشخصا لحت لى أم مخازيا
تظن ابتساماتى رجاء وغبطة
وما انا الا ضاحك من رجائيا
وتعجبنى رجلاك فى النعل انى
رأيتك ذا نعل اذا كنت حافيا
وانك لا تدرى ألونك أسود
من الجهل ام قد صار أبيض صافيا
ويذكرنى تخييط كعبك شقه
ومشيك فى ثوب من الزيت عاريا
ولولا فضول الناس جئتك مادحا
بما كنت فى سرى به لك هاجيا
فأصبحت مسرورا بما انا منشد
وان كان بالانشاد هجوك غاليا
فان كنت لا خيراً افدت فاننى
افدت بلحظى مشفريك الملاهيا
ومثلك يؤتى من بلاد بعيدة
ليضحك ربات الحداد البواكيا
وقال يهجوه أيضا:
اما فى هذه الدنيا كريم
تزول به عن القلب الهموم
اما فى هذه الدنيا مكان
يسر بأهله الدار المقيم

تشابهت البهائم والعبيدى
علينا والموالى والصميم
وما أدرى أذا داء جديث
اصاب الناس أم داء قديم
حصلت بارض مصر على عبيد
كأن الحر بينهم يتيم
كأن الاسود اللابى فيهم
غراب حوله رخم وبوم
أخذت بمدحه فرأيت لهواً
مقالى للاحيمق ياحليم
ولما ان هجوب رأيت عيا
مقالى لابن آوى يا لئيم
فهل من عاذر فى ذاوفى ذا
فمدفوع الى السقم السقيم
اذا أتت الاساءة من وضيع
ولم ألم المسيء فمن ألوم

قال بعضهم حضرت مجلس كافور الاخشيدى فدخل رجل ودعاله وقال فى دعائه : ادام الله ايام مولانا بكسر الميم . فتحدث جماعة من الحاضرين فى ذلك وعابوه عليه . فقام رجل من اوساط الناس وانشد مرتجلا ، وهو ابو اسحق ابراهيم ابن عبدالله بن حشيش الجيزى اللغوى الاخبارى كاتب كافور والذى لحن هو ابو الفضل بن سحباس . فقال ابو اسحق المذكور مرتجلا :

لاغرو أن لحن الداعى لسيدنا
أوغص من دهش بالريق أو بهر
فتلك هيبته حالت جلالتها
بين الأديب وبين القول بالحصر
فان يكن خفض الايام من غلط
فى موضع النصب لا عن قلة النظر
فقد تفاءلت فى هذا لسيدنا
والفأل مأثورة عن سيد البشر
بان أيامه خفض بلا نصب
وان أوقاته صفو بلا كدر

أخبار كافور كثيرة . لم يزل مستقلا بالامر بعد أمور يطول بسطها الى أن توفى سنه (٣٥٦) وقيل سنة (٣٥٥) وقيل سنة (٣٥٧)

كان لكافور مصر والشام وكان يدعى له على المنابر بمكة والحجاز ومصر والشام ودمشق وحلب وانطاكية وطرطوس والمصيصة وغير ذلك . وكان يقدر عمره بخمس وستين سنة يوم مات

كانت أيامه أيام صفاء وهناء ولما مات وقع خلاف فيمن يخلفه الى أن تراضت الجماعة بولد أبى الحسن على بن

الاخشيد

كانت ولاية كافور وسنتين وثلاثة أشهر الا سبعة أيام

الكاكاو — هو شجر جميل يعلو من ٣٠ الى ٤٠ قدما جذعه لين الخشب خفيفه وله تفرعات كثيرة مستطيلة تحمل أوراقا جميلة بسيطة رقيقة متعاقبة كاملة قصيرة الذنيب بيضية مستطيلة تكون عند خروجها حمراء جميلة ثم تصير خضراء والازهار صغيرة محمرة محمولة على حوامل دقيقة ومنضمة الى حزم صغيرة موضوعة أعلى من ابط الاوراق بيسير وبعض تلك الحزم الزهرية ينبت على الجذع والفروع الغليظة وهى التى تتلقح وتعطى الثمر وهو المستعمل فى الطب

هذا الثمر يكون شكله بعد أربعة أشهر كالخيار أى بيضى مستطيل وأحياناً يكون حلمى القمة وقد ينتهى كل من طرفيه بنقطة حادة يكون معلقا بعنيق قصير خشبى . وفى هذا الثمر عشرة حزوز مستطيلة ومسطحة . غير مستو أى خشن وهو أخضر أو أصفر أو أحمر على حسب الاصناف . والغلاف الظاهر للثمر ثخين متين لا ينفتح . وتجويفه الباطن بسيط بعد زوال الحواجز الموجودة فيه بحيث توجد البزور متراكمة فى مركز النمو وعددها من ٢٥ الى ٣٠ وشكلها بيضى وهى محاطة فى الثمر بلب مائى حمضى ومركبة من غشاء محلل قشرى يصير فيما بعد خشبيا ويعطى جنينا كبارا ، مقطعة فلقتاه الى جملة فصوص منثنية بدون انتظام

(صفات بذور الكاكاو) هذه البزور هى المستعملة فى الطب وهى أصناف كثيرة تتميز بأسماء مختلفة وتنوعها ناشىء من كبر الحجم ومقدار الزيت فيها

يستخرج من هذه البزور زيت ثابت ثخين يتجمد بحرارة الجو وهو المسمى بزبدة الكاكاو

(خواص هذه الزبدة) لهذه الزبدة تأثير مرخ واضح فتستعمل لبسط المنسوجات الحية أو تلطيف تهيج أو تبديل جفاف مرض أو نحو ذلك فتستعمل فى التهابات الطرق الهضمية والهوائية والبولية فاشتهر كونها ملطفة وصدرية ومندية ومسهلة للنفث وغير ذلك فتستعمل فى السعال اليابس والنزلات والالتهابات الشعبية . والرئوية وفى الاسهالات والدوسنطاريات واحتراق البول ونحو ذلك

وقد مدحها بعض المشاهير فى أوجاع المعدة غير ان ذلك مبهم فان هناك آفات كثيرة يمكن أن تحرض الآفات فى القسم المعدى ولا يمكن مقاومتها بزبدة الكاكاو

وجربوها أيضا فى تلطيف الوخزات والاحتراقات التى تتعب المصابين بسرطان المعدة وتتكرر فيهم وتعطى فى جميع هذه الاحوال حبوبا أو معجونا مجتمعة غالبا مع الجواهر المقطعة للاخلاط بمقدار يسير كالعنصل والقرمز والابيكا كوانا ونحو ذلك

ويعمل منها مربيات ولعوقات ونحو ذلك مع السكر والصمغ والشرابات وغيرها

وتصنع منها أيضا مراهم وأطلية مرخية توضع على الازرار التى تظهر فى الوجه وعلى شقوق الشفتين وحلمة المرضع والشرج وسلوخ البواسير . وتكون حينئذ هى الاجود استعمالا

(الشكولاتا) أكثر ماتستعمل بزور الكاكاو هى الشكولاتا وهى تصنع على هيئة اسطونات او قطع مستديرة او أشكال أخرى مختلفة ويضاف لها شىء من العطريات كالقرفة والفانيليا وغيرها وهذه العطريات تسهل هضمها وقد يضاف الى الشكولاتا بعض الادقة كدقيق الساجو والسحلب ونحوهما لتصير أكثر تغذية وأسهل هضما وقد تغش بالنشا ودقيق الحنطة والارز والعدس والفول ونحو ذلك

قد تمزج الشكولاتا بالماء وباللبن والزبد وبعضهم يضيف لها مح البيض فيتعاطاها الضعاف فتغذيهم

وتعطى الشكولاتا مع دقيق الساجو والسحلب لضعاف الصدور والنحفاء فلا تحدث تسخينا ولا اضطرابا كالقهوة

ويقال أن الشكولاتا معرقة ومفتحة وتستعمل أيضا ضد السعال وجفاف الحلق وعسر نفث البلغم وغير ذلك

وقد وضعوها فى النبيذ لتصير مقوية

﴿الكالسيوم﴾ الجير المعروف وهو أوكسيد الكالسيوم . والكالسيوم هذا هو معدن يمكن تحضيره بتحليل يودور الكالسيوم بالصوديوم فى بوادق من الحديد . وهو معدن ذو لمعان اصفر يتغير بسرعة فى الهواء الرطب فتتكون عليه طبقة سنجابيه من ايدرات الكالسيوم على سطحه . واذا سخن على صفيحة من البلاتين النهب فيحترق بلهب شديد اللمعان وهو يحلل الماء على الدرجة المعتادة

(اوكسيد وايدرات الكالسيوم)

أوكسيد الكالسيوم وهو الجير يتحصل عليه بتكليس كربونات الجير فى فرن خاص يسمى (قمينة) على هيئة كتل سنجابية مندمجة صلبة تسمى بالجير الحى ولا ينصهر الجير على درجة الحرارة الشديدة واذا عرض للهواء امتص الرطوبة والاندريد كربونيك فيزداد حجما وينتهى بأن يصير مسحوقا أبيض هو مخلوط من كربونات وايدرات الكالسيوم

واذا ندى الجير الحى بالماء تشربه أولا ثم تسخن القطع المتشربة للماء وتنتشر منها أبخرة ثم تتشقق وتزداد حجما واذا كانت كمية الماء المندية لها كافية استحالت قطع الجير الحى الى مسحوق أبيض يسمى بالجير المطفأ وهو ايدرات الكالسيوم

واذا مد الجير المطفأ بالماء تحصل على سائل يسمى بلبن الجير واذا رشح هذا السائل من مرشح فانه يمر منه سائل يزرق ورقة من عباد الشمس الحمراء لاذابة القليل من ايدرات الكالسيوم وهذا السائل يسمى بماء الجير

استعمالات الجير عديدة فيدخل فى المبانى وفى تبييض الحوائط وفى صناعة الصابون وفى دبغ الجلود وفى تحضير البوتاسا الكاوية والصودا الكاوية فى تركيب الكحول

(المونة والجير الايدروليكى والسمنت)

تسمى المواد المستعملة فى تحضير الجير بقية ولذلك كانت متحصلات تكليسها مختلفة الصفات بحسب طبيعة ومقادير الاجسام التى تكون فيها وهى كمية من المانيزيا وأوكسيد الحديد وعلى الخصوص كمية من الطفل ويسمى الجير السلطانى الجير المتحصل من تكليس حجر جيرى يكاد يكون نقيا وهذا الجير باطفائه يسخن وينتفخ كثيراً ويكون مع الماء عجينة لاصقة دسمة اذا مزجت بالرمل كونت المونة المعتادة

وتيبس المونة هو لامتصاصها شيئا فشيئا الاندريد كربونيك فيتكون كربونات يتصلب فيضم بعض الاحجار الى بعض وخلط الرمل أو القصرمل أو غيره من المواد الصلبة بالجير هو لازدياد صلابة المونة فيصير الصاقها بمواد البنا سهلاً أى أن عمل هذه الاجسام التى تضاف الى الجير انما هو عمل ميكانيكى

والجير البلدى يحتوى على كمية من الطفل وعلى كمية صغيرة من المانيزيا

واوكسيد الحديد ولا يسخن بالماء الا قليلا وحجمه لا يكاد يتغير ولونه بعد معاملته بالماء يكون سنجابيا

والجير الايدروليكي هو متصل احجار جيرية محتوية على مقدار من الطفل يختلف بين ١٠ و ٣٠ في المئة وهذا الجير يتجمد في الماء بعد مضى أيام عليه ويزداد صلابة شيئا فشيئا ولذلك يستعمل في المباني التي تبنى في المياه . وهو اصفر اللون يسخن قليلا عند صب الماء عليه ولكن لا يزداد حجمه واذا مزج بالرمل تحصل منه على مونة ايدروليكية تتجمد تحت الماء ويمكن الحصول على مؤنة فيها هذه الصفات بخلط الجير بمواد طفلية محترقة كالفخار والخزف والطوب الاحمر . وباحراق الاحجار البركانية وخلطها بالجير السلطاني يتحصل على جير ايدروليكي جيد وذلك كالحجر المسمى (بوزلان) وهو حجر كثير الوجود بالقرب من البركان المسمى (فيزوف)

والسمنت نوع من الجير يتحصل عليه من تكليس الاحجار الجيرية المحتوية على مقدار من الطفل يختلف بين ١٠ و ٥٠ في المئة والسمنت اذا مزج بالماء استحال بعد زمن قليل الى كتلة صلبة

أما تصلب المونة الايدروليكية والسمنت فهو لان الطفل الذى صار اندريا اى خاليا من الماء بالاحتراق يصير ايدراتيا ويكون مع الجير سليكات مزدوجا للالومين والكالسيوم وهو مركب عادم الذوبان يكتسب تماسكا عظيما بمماسة الماء

(كربوناب الكاليسيوم) كربونات الكالسيوم يسمى ايضا بكربونات الجير يتولد في جميع الاحوال التي فيها يعامل ملح جيرى قابل للذوبان في الماء بكربونات قلوى فترسب في هيئة مسحوق ابيض كبير الحجم وهو احد المواد الكثيرة الانتشار ويكوّن جبال كجبل المقطم وقشر البيض. ومحار الحيوانات الرخوة مكون من كربونات الكالسيوم

وهو يوجد على حالات مختلفة فقد يكون متبلوراً وقد يكون عادم الشكل وهذا هو الغالب عليه . ومن المتبلور منه حجر ارلاندة وهو كربونات كالسيوم متبلور ويكون شفافا وفيه خاصة عجيبة تسمى بالانكسار المزدوج وهو ان يرى من خلاله صورتان لمرئى واحد

فاذا نظر لنقطة سوداء مثلا من خلال بلورة من حجر ازلاندة فانها ترى

مزدوجة

والرخام الابيض هو كربونات كالسيوم نقى ذو مكسر بلورى شبيه بالسكر. و للعادم الشكل البلورى أنواع مختلفة منها ماهو مندمج قابل للصقل وذلك كالرخام المتلون بأكاسيد معدنية أو بالقار

أكثر أنواع كربونات الكالسيوم نفعا هو حجر الجير المسمى أيضا بحجر البناء ويكون كتلا مختلفة الحجم ولونه ابيض اوسنجابى او محمر ويسمى بأسماء مختلفة منها الدبش والدقشوم ومنه الدستور وغير ذلك كل ذلك بحسب حجمه كربونات الكالسيوم فى هذه الاحجار كلها يكون مخلوطا بالرمل والطفل واوكسيد الحديد وكربونات المغنسيوم

والطباشير كربونات كالسيوم قليل التماسك وهو نتيجة اجتماع بقايا حيوانات دنيئة ذات قواقع جيرية

وحجر الطبع كربونات كالسيوم مندمج قابل للصقل

وأيا كانت الحالة التى يكون فيها كربونات الكالسيوم فان تمييزه أسهل من غيره وذلك انه يحصل فيه فوران اذا عومل بحمض ولو خفيفا فيتصاعد غاز الانديد كربونيك ولا يذوب منه فى الماء النقى الا آثار ويذوب أكثر من ذلك فى الماء المشبع بانديد كربونيك فانه بتصاعد هذا الاخير يرسب كربونات الكالسيوم متبلورا. واذا سخن كربونات الكالسيوم على حرارة شديدة تحلل الى انديد كربونيك والى اوكسيد كالسيوم وهو الجير الحى

(كبريتات الكالسيوم) هذا الملح يسمى بالجبس وبالجص. ويوجد فى الاراضى الثلاثية السفلى وقد يكون متبلوراً بلورات فى هيئة النبال المجتمعة او صفائح رقيقة شفافة سهلة التخطط بالاظافر وقد يكون عادم الشكل البلورى وهو حجر الجبس وكل هذه الانواع تحتوى على جزئين من ماء التبلور

وهو ملح قليل الذوبان فى الماء واذا سخن على درجة ٨٠ فى تيار من الهواء أو على درجة ١٥٠ فى أوان مغلقة فقد ماء تبلوره فيصير انذريا وتفعل هذه العملية فى أفران مخصصة له تسمى بأفران حرق الجبس. والجبس الذى صار انذريا يسمى المصيص والجبس البلدى بحسب نقائه وجودته والاول أنقى وأجود

واذا مزج هذا الاندريد بالماء صار هجينة رخوة تتصلب بعد زمن قليل وسبب هذا التصلب هو اتحاد الجبس الاندرى بالماء فتتكون بلورات من كبريتات الكالسيوم الايدراتى يتداخل بعضها فى بعض فتكون مجموعا صلبا وباستحالة الجبس الاندرى الى ايدراتى يكبر حجمه ويستعمل الجبس فى المبانى وفى عمل التماثيل ويضاف أحيانا الى الاراضى الزراعية لتحسينها وتصيرها قابلة لزراعة النباتات البقولية

(تحت كلورات الكالسيوم) هذا الملح يوجد فى مركب كثير الاستعمال فى الصنائع يسمى كلورور الجير يتحصل عليه بتعريض الجير الايدراتى لتأثير الكلور وهو (أى كلورور الجير) مخلوط من كلورور الكالسيوم وتحت كلوريت الكالسيوم

وهو جسم يفسخ الالوان ويزيل العفونة بقوة لما فيه من تحت كلوريت الجير الذى هو جسم يتحلل بتأثير الحوامض فيتصاعد منه الكلور لانه بتأثير الحوامض فى تحت كلوريت الكالسيوم بتكون كلورور الكالسيوم وينفصل حمض التحت كلورور وهذا بتأثيره فى كلورور الكالسيوم يتكون ايدرات الكالسيوم وينفصل الكلور فيتصاعد

(فوسفات الكالسيوم) يوجد هذا الفوسفات فى البنية الحيوانية مكونا لمعظم الجزء غير العضوى منها وفى الارض عقد تحتوى على كمية من ٥٤ الى ٨٠ فى المئة منه . وهذه العقد يظهر أنها مجتمعات حجرية اى مواد برازية حفرية لسحال كبيرة انقرضت

ويوجد فى اسبانيا معدن متبلور يسمى اوباتيت يحتوى على نحو ٨ فى المئة من فوسفات الكالسيوم ويوجد نوع آخر يسمى فوسفوريت وهو فسفات كالسيوم عادم الشكل يكون كتلا مندمجة ترابية

وهذه الانواع كلها والفحم الحيوانى المتحصل من تكليس العظام أسمدة نافعة تهم الزراع لان النباتات كالحيوانات فى حاجة لحمض الفوسفوريك لتعيش وتنمو . (انظر كتاب الكيمياء لابراهيم بك مصطفى)

﴿ كاليفورنيا ﴾ هى احدى ولايات الممالك المتحدة مساحتها ٦٨٨٣٧٠ كيلو متراً مربعا وعدد سكانها ١٤٨٥٠٥٣

دخلت كاليفورنيا ضمن الولايات المتحدة سنة ١٨٥٠ عاصمتها ساكرامانتو

مناخها كمناخ الممالك التى على ساحل البحر الابيض المتوسط فيصفو فيها الجو من ابريل الى اكتوبر . وهى من الغنى فى المعادن بحيث أنست ذكر مملكة بيرو التى اشتهرت بكثرة معادنها خصوصا الذهب وقد استخرج منها من سنة ١٨٤٨ الى سنة ١٨٩٠ من الذهب ما تقدر قيمته بـ ٦٦٠٠ مليون فرنك

وفيها زئبق كثير ومقادير وفيرة من زيت البترول وقصدير وبوراكس

وهى تنتج أيضاً مقدارا عظيما من القمح والصوف وفيها كروم وأشجار زيتون وتفاح

﴿كاليفورنيا المنخفضة﴾ هي شبه جزيرة مستطيلة على الشاطىء المكسيكى على المحيط الهادى مساحتها ١٥١٠٩ كيلو مترات مربعة ، عدد اهلها ٧٠٠٨٢ نسمة عاصمتها لاباز وهى بلاد جافة قليلة المياه

﴿كأن﴾ حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر نحو (كأن محمداً حاضر) وهو يجيء للتشبيه

﴿كأين﴾ اسم مركب من كاف وأى المنونة وهى بمعنى كم وتفيد الكثرة غالبا

﴿كب﴾ الاناء يكُبه كبّاً قلبه على رأسه و(كبّه) صرعه فأكب هو وهو من النوادر لان اللازم منه مزيد بالهمزة والمتعدى ثلاثى مجرد

و(اكب على الامر) لزمه و(الكَباب هو اللحم يكب على الجمر يشوى عليه . و (الكُبّـة) الجماعة من الخيل . وغدة تشبه الخراج

﴿كبكبه﴾ قلبه وصرعه و (تكبكب القوم) تجمعوا و(الكبكبة) الجماعة

﴿الكبابة الصينية﴾ هو شجر ينبت بالهند وجاوة وافريقا وغنيا الجديدة وغيرها والمستعمل ثمره

وثمره هذا حبوب حمصية الشكل اكبر حجما من الفلفل الاسود وهى مسودة مكرشة طعمها حار فيه مرارة ورائحتها أقوى من الفلفل ولكنها مقبولة وتحتوى على لورة صفراء صلبة

حلل الكيماويون الكبابة فوجدوا فيها دهنا طيارا يقرب من ان يكون متجمدا ، وراتينجا يقرب من راتينج بلسم كوبا ، ومقدارا يسيرا من راتينج آخر ملون ، ومادة صمغية ملونة ، وقاعدة ازوتية اى خلاصية وجواهر ملحية من جملتها خلات البوتاس

وقد دقق العالم مونيم فى تحليلها ووزن مركباتها فوجدها كما يأتى فى كل الف جزء منها : ٢٠ من مادة شمعية و٢٥ من دهن طيار اخضر و ١٠ من دهن طيار أصفر و٤٥ من الكبابين و١٥ من راتينج بلسمى و١٠ من كلورور الصوديوم و٦٠ من مادة خلاصية و ٦٥٠ من مادة خشبية و١٥٥ مادة مفقودة

تأثير الكبابة الدوائى تعتبر الكبابة من المنبهات فاذا استعملت بمقدار من ٦ قمحات الى ١٢ قمحة أيقظت القوى الهضمية وزادت فى الشهية وأعانت على الهضم . فهى تستعمل لهذه الخواص مقوية للمعدة وطاردة للرياح ومحرضة لسيلان اللعاب . ولكنها اذا استعملت بمقدار كبير كدرهمين أو ثلاثة كدرت وظائف الهضم وأحدثت غثيا وقولنجا شديدا وحس احتراق فى البطن واسهالا

ومن خواصها انها تبرىء السيلان مهما كان

ابتدأ دخول الكبابة فى اوربا سنة ١٨١٦ فى انجلترة ثم الى فرنسا سنة ١٨١٨ وأطنب اطباء العرب فى خواصها فقالوا انها ملطفة شديدة التفتيح لسدد الاحشاء مدرة للبول منقية للكليتين حابسة للبطن نافعة فى قرحة اللثة والقلاع منقية لمجارى البول مصفية للحلق وهى مع هذا مذهبة للصداع أكلا ومضغا مصلحة للاعضاء الباطنية مقوية لها فتنفع المعدة والكبد والطحال واذا أمسكت فى الفم طيبت النكهة وعطرت النفس وحسنت اللثة واذا جمعت مع الشحوم حللت الأورام طلاء

أحسن مستحضراتها مسحوقها فيؤخذ غرامان منه ثلاث مرات فى اليوم

﴿ كَبَتَه ﴾ يكبته كبْتا صرعه واخزاه واهلكه وأذله و (انكبت) مطاوع كبت

﴿ كَبَح ﴾ الدابة باللجام يكبَحها كبحا جذبها اليه و (كبح شهواته) ردها

﴿ كَبَدَ ﴾ الامر يكبُده ويكبِده قصده . و (كَبِد الرجل) تألم من وجع كبده و(كُبِد) شكا من كبده فهو (مكبود) و (كابده) قاساه و(الكُبَاد) وجع الكبد و (الكَبِد والكِبْد) غدة فى الحشا وضعت لافراز الصفراء من عصارات الهضم . و (الكَبَد) المشقة

﴿ الكبد ﴾ الكبد من الاعضاء الرئيسية فى الجسم البشرى وهو عرضة لأمراض عضالة يجب الالمام بها ومعرفة

طرق الوقاية منها . وقد تفضل الطبيب المفضال الدكتور حسين افندى الهراوى فكتب لدائرة معارف القرن العشرين فصلا فى الكبد اجتزأنا به لأنه جمع فأوعى قال حفظه الله :

(الكبد) موضع الكبد من الجسم هو فى الجهة اليمنى من الجسم فى أعلى التجويف البطنى ويمكن رسمه من الخارج كما يأتى :

على بعد عشرة سنتيمترات من خط مرسوم يقسم الجسم من أعلى الى أسفل الى قسمين متساويين قسم على اليمين وقسم على اليسار على محور التماثل من اليسار ما بين الضلع الخامس والسادس اى فى الموضع الذى يرى فيه نبض رأس القلب ثم خذ نقطة وارسم منها خطا يسير مع آخر طرف ضلوع الجهة اليمنى هذا يمثل طرف الكبد الاسفل أما النهاية العليا فانها ترسم كما يأتى :

ارسم خطا من النقطة التى فيما بين الضلع الخامس والسادس وارسم خطا بحيث يصعد بميل كلما اتجه الى اليمين بحيث يقطع الجهة اليمنى عند اتصال الضلع السادس بغضروفه ومده الى النهاية هذا بالاختصار موضع الكبد من الجسم

أما تشريحه بالاختصار فهو غدة كبيرة جداً تشبه الهرم الرباعى وهو مغطى بالبريتون من جميع جهاته الا بقعة واحدة سيأتى وصفها

وقاعدة الهرم موجودة فى الجهة اليمنى ملتصقة بالحجاب الحاجز من أول الضلع السابع الى الضلع الحادى عشر على طول خط مستقيم ينزل من الابط رأسيا الى أسفل . أما رأسه فالى الجهة اليسرى فى مستوى النقطة التى وصفناها أما سطحه الامامى والاعلى فهما ناعمان ومحدبان والامامى ملاصق لحائط البطن الامامى والاعلى للحجاب الحاجز ومتصل بواسطة البريتون والسطح الامامى مثلث الشكل ومتصل بالسطح الاعلى ضلع كثير الانحناء وكذلك مع القاعدة ولكن الضلع الذى يفصله عن السطح الاسفل محدود وواضح . وهو منقسم الى قسمين كلاهما متلاصقان بالحجاب الحاجز ويوجد جزء صغير بين الجزئين ملاصق للحائط الامامى للبطن فى موضع الزاوية المكونة من ضلوع الجسم الانسانى .

والسطح الاعلى ملاصق للحجاب الحاجز الذى يفصله عن الرئتين والبلورا (هو الغشاء الذى يغطى الرئتين) ومن القلب والتامور (الغشاء الذى يغطى القلب) وفيما تحت القلب فهو قليل التقعير وقد يرتفع هذا السطح الى مستوى المسافة التى بين الضلع الرابع والخامس

ويرى ان الكبد مركب من جزئين متصل احدهما بالآخر وفيما بينهما نرى غشاء من البريتون يسمى بالرباط المنجلى ويحتوى على الشريانين اللذين يغذيان جسم الجنين ويتضاءلان فيما بعد الولادة فيصيران رباطا

اما السطح الاسفل فهو ملاصق لكثير من محتويات البطن فمن الجهة الشمالية ملاصق للمعدة وفيه علامة (فم المعدة) واول قسم من الاثنى عشرى والجزء الثانى منه ايضا وبعدها الى اليمين علامة موضع الحويصلة الصفراوية ثم علامة اخرى لتثنيه القولون الكبدية ووراء هذه علامة لاجل الكلية اليمنى

أما السطح الخلفى فأمام العمود الفقرى ويفصله عنه الحجاب الحاجز والاورطى وفيه تجويف لهذا الجزء الى الجهة اليسرى تجويف لاجل البلعوم فيصل مابين ذلك الى العلامة الموجودة لاجل المعدة فى السطح الاسفل وفى هذه البقعة فتحة الفؤاد ثم يلى اليمين فتحة للاجوف السفلى ثم بقعة أخرى غير مغطاة بالبريتون

(الاوعية الموجودة فى الكبد) اولا الشريان الكبدى يتفرع كالشجرة ومعه الوريد الباب ويصحب الاثنان الاوعية الصفراوية والجميع فى غطاء يكسوها اسمه غلاف جليسون

وكل هذه الاشياء تنفتح فى الجهة السفلى من الكبد أما من الجهة العليا فيخرج الوريد الكبدى

(فسيولوجية الكبد) للكبد غطاءان أحدهما بريتونى والآخر ليفى . وهو الذى يستمر مع الاوعية الكبدية باسم غلاف جليسون

واذا قطعنا الكبد قطعا مستعرضا نرى أنه مكون من فصوص صغيرة جدا الواحد منها عرض ملليمتر ونصف وفيها مركز دقيق ضارب الى السواد اما هذا المركز فمكون من وريد صغير يجمع الدم من شعريات الفص وينتهى الى الوريد الكبدى

ومحيط الفص مكتنف بأوردة أخرى

هى أطراف الاوعية البوابية والشعريات تفصل مابين هذه والسابقة

الخلايا الكبديه موضوعة فى تلك الشبكة المؤلفة من الشعريات السابقة الذكر وشكلها امادائرى او كثير الاضلاع قطره واحد من الف من البوصة ومتصلة ببعضها بغراء زلالى فيه شعريات الصفراء وفى اوقات الهضم يرى فيها كريات شحم وجليكوجين

(القنوات الصفراوية) تبتدىء كشعريات بين الخلايا وهذه تتصل وتنتهى الى القنوات

(وظائف الكبد) الوريد الباب يحتوى على الدم الواصل من المعدة والامعا والبنكرياس والطحال وفيه المواد المغذية من محتويات جميع الجهاز الهضمى فيدخل هذا الدم الى الكبد قبل ان يصل الى القلب ثم الى الدورة العامة

فيمر الى الخلايا من الخارج ثم يسير فى الشعريات الخلوية بجوار الخلايا الكبدية ثم الى الوريد الكبدى ثم الى الاجوف السفلى

وله ثلاث وظائف هامة وهناك اثنتان أخريان

١ — عمل الجليكوجين وهو نوع من السكر يخزن فى الكبد وهذا يعطيه للجسم بحسب الاحتياج فينظم بذلك دورة السكر فى الجسم

٢ — فعله على المواد الزلالية

٣ — افراز الصفراء

٤ فى الاطفال يعمل كريات الدم البيضاء فى الاجنة

٥ خزن الشحم

(١)

(عمل الجليكوجين) ١ ك ١٠ يد ١٥

الجليكوجين موجود فى خلايا الكبد السليمة وفى حالته النقية وهو مسحوق ابيض لا طعم له ولا رائحة ولا يذوب فى الكحول ولكنه يذوب فى الماء فيحدث محلول هلامى وهو أشبه شكلا بالنشا والفرق بينهما ان لونه مع اليود يكون احمر قاتما واذا اضفنا اليه حمضا مخففا او خميرة يتحول الى دكسترين ملتوز ودكستروز بسرعة ويوجد ايضا الجليكوجين فى العضلات وكذلك ايضا فى اغلب اجزاء جسم الجنين

(طرق تحضيره) هذه المادة موجودة فى الكبد ويفرزها من السكر الموجود فى المواد المغذية التى تصل اليه بأن يخرج من

جزيئات السكر جزيئات ماء فتبقى جزيئات الجليكوجين واذا أطعمنا كلابا بالنشا أو السكر الخالص فان اكبادها تحتوى على كثير من الجليكوجين واذا أطعمناها بمواد عضوية من حيوانات تقل جدا كميته وهذا يدل على أن الجليكوجين يمكن استخراجه من البروتيد ولكنه على الاكثر مأخوذ من السكريات الموجودة فى الاطعمة ولا يوجد الجليكوجين فى أكباد الحيونات الجائعة أو الرديئة التغذية والاطعمة الدسمة لاتزيد كميته والاعمال البدنية تقلل من كميته فى الكبد

(نصيب الجليكوجين فى الجسم) فى العادة يحتوى الدم على واحد من مئة من الدكستروز واذا زادت هذه الكمية الى اثنين من مئة انفرزت فى البول على شكل البول السكرى وبعد هضم كمية كبيرة من السكر والنشويات يحتوى دم الكبد على كمية وافرة من السكر ولكن دم الجسم يحتوى على كميته العادية ففائدة الكبد هى تخزين هذه الكمية الزائدة على شكل جليكوجين ثم اعطاؤه قليلا قليلا الى الدم ولذلك يحفظ توازن السكر فى الدم

ومن المظنون ان سكر الدم يستهلك فى الاعمال البنية ويخرج من الجسم على شكل غاز حمض الكربونيك وماء في التنفس

(البول السكرى) هو المرض المعروف بافراز سكر فى البول وأسبابه هى أن الكبد يحول كل الجليكوجين الموجود فيه الى سكر . ويمكن ايجاد هذا الدواء صناعيا اذا خرقنا البصلة الشوكية عند نواة العصب العاشر وأن تعطى للمريض بعض العقاقير مثل الفلوريدزين فانه يحدث بول سكرى وقتى

(٢)

(فعله مع المواد الزلالية) يؤكسد ويستخلص جزيئات الماء من المنتجات النهائية من هضم البروتييد فينتج البولينا (*Urée*)

(٣)

(افراز الصفراء) وتلك تحتوى على افراز للمواد الملونة وأخرى تؤثر على الهضم فأملاح الصفراء تتكون فى الكبد فاذا استأصلنا الكبد يمتنع وجود الاملاح الصفراوية ولكن اذا ربطنا قنوات الصفراء تجد تلك الاملاح منتشرة فى جميع اجزاء الجسم والمواد الملونة الصفراوية

من هيموجلوبين الدم بواسطة الكبد

أما الصفراء فهي سائل ذهبي أصفر قلوي المفعول ذو طعم مر جداً وكثافته النوعية ٣٥ر١ ويحتوي على ٣٤ في المئة من المواد الصلبة المذوبة فيه واذا مر عليها زمن طويل في الحويصلة الصفراوية فانها تصير لزجة من وجود مخاط وفي الاربع والعشرين ساعة يفرز الكبد من الف الى الف وخمسمائة غرام

(تركيب الصفراء)

١ ميوسين	٣	أجزاء	في المئة
٢ ملونات صفراوية	»	»	»
٣ املاح صودا مع احماض الصفراء	١٠	»	»
٤ كولسترين	١	»	»
٥ ليسيتين	١	»	»
٦ أملاح (غير عضوية)	١	»	»
٧ ماء	٨٥	»	»

(ملونات الصفراء) اللون الاصفر الموجود في صفراء الانسان وأكلة اللحوم منسوبة الى (الاصفر الصفراوى) البيلوروبين

والاخضر لآكلة الاعشاب وكذلك الانسان الى البيلوفردين الاخضر

(كشاف ملين) اذا أضفنا حمض ازوتيك مركز الى ملونات الصفراء أو صفراء بشرية على قطعة من الرخام الابيض نرى تكون عدة ألوان متتابعة تشبه ألوان الطيف الشمسي أخضر . ازرق . أحمر . ثم اصفر

(أملاح الصفراء) مركب من أحماض التوروجوليك والجليكوليك مع الصوديوم وهذه الاحماض مركبة من حمض التوريك والجليكولين مع حمض البوليك

(كشاف بتنكوفر) اذا أضفت كمية قليلة من الصفراء المخففة على قليل من السكر وقليل من حمض الكبريتيك المركز يصير المحلول أحمر قانيا ثم تنقلب الى اللون السنجابي

(الكولسترين) يؤخذ من حصيات الصفراء بواسطة غليانها مع الكحول ثم ترشيحها وهي لاتزال دفئة فيتكون من ذلك بلورات على شكل معين

تعديل الصفراء

(١) تعديل العصارة المعدية في الاثنى عشري

(٢) تحويل النشا الى سكر

(٣) تحويل الشحم الى شكل مستحلب وصابون

(٤) تسهيل امتصاص الشحم

(٥) زيادة الحركة الدورية للامعاء

(امراض الكبد) اليرقان (الصفراء) هو انحباس الصفراء عن أن تتصرف الى الامعاء مع انتشارها فى جميع اجزاء الجسم فيرى جلد الانسان أصفر ولون الصلبة العينية (بياض العين) أصفر أيضا وتفرز الصفراء فى البول وكلما ازداد زمن هذا المرض كان لون الجلد أكثر صفرة . ولا يجوز أن نجهل أن هناك بعض الامراض يصبغ فيها الجلد بلون الصفرة مثل الخلوروز والانيمياء الخبيثة والملاريا وفى مرض اديسرن

أما لون البول فانه إما أن يكون أصفر أو أخضر ويمكن رؤية اللون بسهولة اذا هززنا الاناء المحتوى على البول فيحدث من ذلك (رغوة) أو زبد على سطح السائل ملون بلون الصفراء . وقد يجوز أن تفرز فى اللعاب أو فى لبن المرضعات أيضا واذا غمرنا قطعة من القماش أو الورق فى البول تلون بالصفرة وقد يوجد لون الصفراء فى جميع افرازات الجسم ومتى علمنا أن تأثير الصفراء هو لتسهيل امتصاص الشحم ومنع تعفن محتويات الامعاء رأينا أن النتائج الطبيعة لعدم تصريف الصفراء أن يفقد الغائط لونه الاصفر ويصير أبيض أو محمراً . ذو رائحة عفنة وبما أن الصفراء تزيد الحركة الدوريه للامعاء فان الامساك شىء عادى فى مرض اليرقان ويصحب اليرقان أعراض أخرى كثيرة كهبوط النبض الى نحو الاربعين فى الدقيقة وأكلان فى الجلد أو انتشار بعض الطفح الجلدى

(تفسير المرض) ليس من الصعب تفسير مرض اليرقان خصوصا اذا كان ناشئا عن انقباض فى مجرى القنوات الصفراوية فان الافراز يتحول الى الحويصلة الصفراوية ويبقى بها ويستمر ذلك حتى تمتلىء جداً فتبتدىء الشعريات اللمفاويه تأخذ من محتويات الحويصلة وتوصل الى الدم فتحدث جميع أعراض الصفراء السابقة الذكر وفى بعض الاحيان يحصل مرض اليرقان بدون وجود أى انقباض وانسداد فى فوهة القناة الصفراوية العامة وتفسير ذلك هو انسداد نفس هذه الاوعية وهى صغيرة جداً فى نفس الكبد

ويمكن الانسان أن يحدث صناعيا

مرض الصفراء باعطاء المريض قليل من تليرلين دياعين *Toluylen diemine* وسبب هذا الاصفرار وهو تأكسد كثير من كريات الدم الحمراء واخراج الهيموجلوبين وهذا يسير الى الكبد فيزداد افراز اللون الاصفر الصفراوى عن المعتاد وتكون الصفراء المنفرزة منه فيها هذا اللون بكمية كبيرة فتمتصها الامعاء مع الاغذية فتحدث هذا المرض وربما كانت هذه التفسيرات صحيحة فى أحوال اليرقان الذى يصحب التسمم بالفسفور و الزرنيخ والانتمون أوفى الحمى التيفودية والمتقطعة والحمى الصفراء أسبابه انسداد القنوات الصفراوية (١) أما بحصوات صفراوية أو بحيوانات طفيلية دود الكبد *Distoma hpatica* أو الدودة المستديرة *Saioslunibricoibes* أو جسم خارجى وهلم جرا (٢) انقباض المسالك بالالتهابات المختلفة أو يكون شىء طبيعى فى الشخص . (٣) ضغط بعض الاورام كالسرطان أو الخراريج الكبدية والبنكرياس والكلية وهلم جرا (٤) ضمور الكبد (كما فى الضمور الصفراوى الحاد) (٥) كثرة لزوجة الافراز من السموم من الفوسفور والزرنيخ وهلم جرا

(اليرقان فى الاطفال) كثيرا ما يحدث أن الطفل بعد ولادته بعد أيام يصاب باليرقان وسبب هذا أن الفساد يسرى فى الدم الى أجل محدود ثم يزول من نفسه بدون علاج

(الاستسقاء) هذا الاسم يطلق على الحالة التى فيها التجويف البطنى عتلىء بسائل كثافته النوعية ١٠٠٨ر١ زلال وفيه كلوريدات وأسبابه (١) انسداد دورة الوريد الباب (٢) أو مرض البريتون (٣) أو جزء من الاستسقاء العام

أما انسداد الوريد الباب فيكون من ضغط ورم أو ضخامة غدد أو سيروز فى الكبد أو من أمراض القلب . او من امراض البريتون والاستسقاءات العامة فلا موضع لبحثها هنا

وعلامة الاستسقاء وجود ماء كثير فى البطن ويكبر حجمها وتصير جامدة واذا قرعنا عليها بالاصابع لانجد فيها رنة البطن الطبيعة ويمكن ضغطها وجس حركة السائل فيها ويعالج بالبذل

(الخراريج) هى على ثلاثة أنواع اما خراج مفرد واما اخراج متعدد تابع لمرض انتقل بواسطة الشرايين

(الخراريج المتعددة) اما تنقل بالأوردة من اسفل البطن من اى بؤرة متعفنة من أول العجان الى الحجاب الحاجز واما بالشرايين فى حالة وجود ميكروبات عائمة فى الدم

وأعراضها حمى تعفنية مع انقلاب تام فى حالة المريض والنبض يكون سريعا جدا ويحدث قئ ويتمدد الكبد حتى يصل الى السرة ويكون مؤلما عند اللمس ويحصل اليرقان ومن المؤكد موت المريض

علاج هذه الحالة لايجدى نفعا غير تحسين الحالة الوقتية بالافيون والبلادونا والكينا

(الخراج المفرد) يكون عادة تابعا لمرض الدوسنطاريا الاميبى وهذا الخراج يصل حجمه من قدر البرتقالة الى مايقرب من كل حجم الكبد ويكون جداره سميكا جدا ومحتويا على صديد وتوجد الاميبا فى جدرانه وربما كان معها استافيلوكوك واستربتوكوك

واذا كبر هذا الخراج انفتح فى أى جهة فتارة ينفتح فى التجويف البريتونى وطوراً فى البلورا وربما فى التامورا اواذا كان المريض ذو حظ حسن ينفتح فى الامعاء فينزل الصديد مع البراز

اعراضه رعدة وقشعريرة يتبعها حمى وألم شديد فى الجهة اليمنى فى موضع الكبد وكثيرا مايحدث اليرقان واذا تنفس المريض يزداد الالم ويسعل وبعد اسبوعين تأتى أعراض التقيح ويتمدد الكبد وربما أمكن تحديد الخراج منه بالجس والضغط ويمكن أيضا معرفة وجود الصديد بتحليل الدم ومعرفة زيادة عدد كريات الدم البيضاء أما الآلام فى هذا المرض فتكون فى المبدأ قليلة وغير ممكن تحديدها ثم تتجمع واذا نام المريض على جنبه الايسر يقل الالم لعدم وجود ضغط على الكبد وتزداد الحمى الى درجة ١٠٥ ف . ويكثر افراز العرق ويتغطى اللسان بطبقة بيضاء ثم يهزل المريض وتسوء حاله وتأتى المضاعفات التى ذكرناها سابقا فى أى جهة ينفتح الخراج

(العلاج) فى الاول يحقن الاميتين ومصل الاستربتوكوك والاستافيلوكوك واذا ظهرت أعراض التقيح تعمل له العملية الجراحية

(الالتهاب الصفراوى الضمورى الكبدى) هذا المرض هام جداً ولكنه قليل بل نادر ولذلك نضرب صفحا

عن تفصيله وهو مرض يصاب المريض به أولا بيرقان ثم حرارة ثم هزال وسوء هضم ويتقعر البطن ويضخم الطحال ويكثر في البول الكلور والليوسين والتيروسين ويمكن رؤية هذه الاشياء بالعين المجردة وربما حصل بول دموي والموت مؤكد في هذا المرض

سيروز الكبد أو الالتهاب الكبدي الخلالي

التهاب في الالياف الخلالية في الكبد وتنشأ عن عدة أسباب

الكحول، والزهري سواء كان وراثيا أو كسبيا والامراض المعدية مثل الحصبة والالتهاب الرئوي والانيميا المصرية الطحالية والكلاآزار والبلهارسيا

وفي هذا المرض تتكون ألياف حول فصيص من فصيصات الكبد أو حول خلية واحدة ويكبر في هذا المرض حجم الكبد زيادة عن المعتاد حتى يمكن جسه تحت السرة وقد يكون سطح الكبد ناعما أو غير ناعم ومنشأ هذه الالياف كرات الدم البيضاء تتجمع حول غلاف جليسون وتتحول الى خلايا ليفية ثم تنقبض هذه الالياف فتضغط الخلايا الموجودة بينها ومن هذا الضغط تضمحل قوى الخلايا الكبدية

الاعراض — اولا هذا المرض يستمر ولا يشعر المريض الا بألم تافه في الجهة اليمنى مع قليل من اليرقان واذا كان سببه الكحول ظهرت أعراض التهاب المعدة وفي هذا الدور يتمدد الكبد كثيراً ويحصل قيء دموي من انسداد الدورة الكبدية وبانسداد الوريد الباب ينقى الدم في الاعضاء البطنية بغير نظام فتحتقن وكذلك يكون حال أوردة المعدة وكثيراً ما تنقطع وينزل الدم منها كثيراً وربما أدى الى الموت والبواسير نتيجة طبيعية والاستسقاء قد سبق وصفه ويتمدد الطحال وتكبر الاوردة الجلدية الموجودة على البطن خصوصا بجوار السرة وتسمى من « وجه شبه » رأس الثعبان وتتورم الاطراف السفلى . ومن المعلوم ان الدورة الكبدية لها اتصال بالدورة العامة من خمسة مسالك وكل هذه المسالك تكون مفتوحة في مثل هذه الحالة وفي هذه الحالة تزداد حالة العليل سوداء ظاهراً جداً فيصير نحيفا وتغور عيناه ويصفر لونه ولكن حرارته ونبضه لا يرتفع ومن ضغط الاستسقاء على القلب والرئتين يقل عملها وتتغير مواضعها فتزيد حالة المريض سوءاً

والحكم على حالة المريض بالتأكيد غاية الرداءة. نعم ان للعلاج تأثيراً ولكن من سوء الحظ ان أغلب التأثير وقتى

(العلاج) ينحصر فى أبطال الاسباب التى يولد هذا الداء كالخمر وغيره وازالة الماء الاستسقائى اما بمدرات البول والمسهلات أو بالبذل أو بالعملية الجراحية وهى خياطة الحائط البطنى مع غشاء الثرب وهذه قلما تفيد (عملية تلما)

(الكبد الشحمى) يعترى هذا المرض الكبد على نوعين اما التأثير فسيولوجى اومرضى فالفسيولوجى فى نحو الحمل والسمن وفيها يحتوى الكبد على كثير من الشحم فى خلاياه وإما استحالة خلايا الكبد الى شحم فهى فى أمراض كثيرة منها الامراض المضعفة كالسل أو التسمم كالفسفور والذراريح وتكون أعراض هذه الاشياء تابعة لعرض من أعراض المرض الاصلى المسبب لهذه الاستحالة

(الاستحالة النشائية للكبد) هذا المرض يعترى الكبد كنتيجة لامراض اخرى كتقيحات مزمنة غزيرة وأمراض العظام الدرنية والزهرى وأمراض الكلى وأطلق عليه هذا الاسم لتلون الكبد باللون المعتم القامق اذا عاملناه بصبغة اليود كما يلون بذلك النشا ولكنه فى الحقيقة مادة زلالية ولذلك سماها بعضهم بالاستحالة الشمعية أما أعراضها فهى:

ألم حقيقى فى موضع الكبد. تمدد الكبد الى حجم كبير جداً. وانتفاخ فى الطحال وبول زلالى واستسقاء ويكون مصحوبا عادة باستحالات نشائية فى أعضاء أخرى ويكون المرض المسبب له ظاهرا جدا

(العلاج) نزع أصل المرض من الجسم كل واحد بالعلاج الخاص بما فى ذلك العمليات الجراحية

(أعراض الكبد الزهرية) كثيراً ما تحدث أجسام صمغية فى الكبد ويمكن جسها وتحديدها وكذلك يتمدد الكبد معها والواجب تمييز كل اختلاف بينها وبين الاورام الخبيثة وتعالج بعلاج الزهرى

أما الاطفال الصغار فيصاب كبدهم بمرض الزهرى اذا كان وراثيا من آبائهم ويعالج بالدلك بمرهم زئبقى كأحد أعراض الداء الاصلى

(السل الكبدى) دائما يكون

هذا الداء تابعا لبؤرة اخرى من الامراض الدرنية ويعالج مع باقى أجزاء الجسم وفى النادر أن يشفى فى مثل هذا المرض الذى يصاب بالدرن المنتشر

(الاورام التى تصيب الكبد) يصاب الكبد بعدة اورام ولكن أكثر هذه شيوعا هو السرطان ولكن الاورام الاخرى مثل الورم الوعائى الدموى (انجوما) وحويصلات الحيوانات الطفيلية ومرض هدجكين واعراض هذه قليلة جداً والسرطان الملون والاورام اللمفاوية قليلة

(سرطان الكبد) اما أن يكون ابتدائيا او تبعيا والثانى هو الغالب اذ ان أكثر من ثلاثة ارباع الحالات المعروفة تبعية لسرطان آخر فى نقط اخرى من الجسم مثل الثدى وحويصلة الصفراء والاعور والمثانة البولية وهلم جرا

والسرطان اما منتشر فى جميع أجزاء الكبد أو فى بورة واحدة من الكبد فاذا كان الاول تغير شكل الكبد تغيراً تاما وكبرت كل نقطة من السرطان فى جميع الجهات حتى تبلغ ثلاثة سنتيمترات فى القطر ويستحيل باطنها استحالة شحمية واذا أمكن الانسان أن يجس احد هذه الاورام من سطح الكبد وضغط عليه يغوص اعلاه كالسرة فى وسط البطن (أمبكيليشن) وفى بعض هذه الاورام تجد نزيفا ويتغير لون النسيج الكبدى فيضرب لونه الى الصفرة اما الذى يتولد من سرطان الحويصلة الصفراوية فانه يكون حول هذا العضو بكثرة زائدة كأن هذه الحويصلة مغمورة فى نسيج من السرطان وفى هذه الاحوال يحوز انسداد الوريد الباب والقناة الصفراوية وأكثر ما يكون هذا عقب حصيات صفراوية مزمنة . أعراضه :

ألم شديد فى الجهة اليمنى من موضع الكبد والكتف الأيمن وهو يشبه ضربات السكاكين وفى النادر أن يكون الألم خفيفا ويتمدد الكبد الى قبيل السرة ويمكن جس قطع السرطان فيه وقد يتمدد الى أعلى فيضغط على الرئة اليمنى واذا جست قطع السرطان فانها تظهر جامدة جداً مثل الحجارة الصوانية وفى بعض الاحيان يحصل يرقان واستسقاء ثم يهزل المريض ويعتريه الاصفرار ويزيد ألم المريض حتى يصل به الى باب القبر

(العلاج) لاعلاج ولا شفاء وانما يسكن الالم بحقن المورفين ويقلل من الاغذية التى تحتاج لاعمال الكبد كثيرا

(الاكياس الديدانية)

ليس هذا موضع شرح اصلها انما هى دور من أدوار الدود تكون الدودة فيه على شكل كيس فى الكبد وهذا المرض قليل فى مصر وأعراضه تمشى خطوة خطوة مع شكل الكيس وتصور هذا الكيس الكبير الذى ربما بلغ حجمه كحجم البطيخة فى الكبد فيرى فى الكبد تموج الماء المحتوى فى الكيس وخطر هذه الاكياس فى انها ربما (١) تنفجر فى البريتون فتحدث التهابا بريتونيا (٢) تموت وتضمحل (٣) تتقيح ثم تنفجر

نضرب صفحا عن الكلام فيه لانه غير سهل لكونه عملا جراحيا وذلك بأن يفتح البطن وينزع الكيس من مكانه ولكن الجزء المهم هو أن هذه الدودة تنتقل من الافراز (الغائط) الذى يفرزه الضأن والخنازير الى الكلب وهذا يعدى به الانسان . فالواجب منع الكلب من أكل كل ملوث بغائط الحيوانات السابقة الذكر وتطهيره من آفة هذه الدودة اذا اصيب بها

ومنع اختلاط الحيوان المعدى من البيوت لئلا يصيب أصحابها

(اليرقان الالتهابى) هو التهاب فى المجارى الصفراوية فيحدث منه تلوين جميع أجزاء الجسم باللون الاصفر ويجوز أن يكون ابتداء هذا الالتهاب من أول فتحة القناة الصفراوية فى الاثنى عشرى فيزداد سمك الغشاء المخاطى مع عدم زيادة شىء من افرازه . وأسبابه كما قدمنا من التهاب مستمر فى الاثنى عشرى أو التهاب فى المجارى الصفراوية من وجود حصيات بها . نعم ان الاستاذ تيرلو ريقرر الرأى بوجود نوع من اليرقان ناشىء من الخوف وكذلك أنواع أخرى ناشئة عن الامراض المعدية

(الاعراض) سوء هضم وثقل وألم وانتفاخ فى المعدة بعد الاكل مع قىء لمدة ثلاثة او اربعة اسابيع قبل اليرقان وفى بعض الاحيان لايشعر المريض بأى ألم أو أى شىء آخر حتى يرى وجهه فى المرآة وينبهه اخوانه ان وجهك اصفر وكذلك بياض عينيه والبياض يتلون باللون الاخضر او الاصفر وله الخواص التى قدمناها وليس

مع هذا المرض ارتفاع فى الحرارة او اضطراب والمريض عادة يكون غير مضطر لترك عمله وفى كثير من الحالات يكون المريض غير كفء لأى شيء وتعتريه الآلام المعدية وسوء الهضم وهلم جرا وليس فى الجهة اليمنى أو موضع الكبد أى ألم وربما وجد قليل منه مع قليل من التمدد فى الكبد ويمكن جس الحويصلة الصفراوية فى قليل من الاحيان والنبض ربما يقل عن أصله

وهذا المرض يستمر لمدة أربعة الى ستة أسابيع ثم يزول

(علاجه) طعام سهل الهضم مسهلات بسيطة والقلويات خصوصاً الصودا والراوند

بيكربونات الصودا ١ غرام
مسحوق الراوند ٥ر٠ سنتى غرام
يعمل سفوفا فى محفظة ويؤخذ منه ثلاث مرات او اربعا فى اليوم

ويؤخذ ايضا منقوع ساق الحمام ثلاث فناجين فى اليوم وساليسلات الصوديوم نصف غرام ثلاث مرات او اربعة فى اليوم لان هذا يجعل افراز الصفراء سائلا

(التهاب المسالك الصفراوية المتقيح)

هو التهاب يحصل من تقيح يبتدىء من الاثنى عشرى وغيره من الاعضاء المجاورة كالبنكرياس الخ ثم يمتد الى بقية الكبد

أعراضه كأعراض أكثر الخراريج التى أسلفناها وعلاجها كما قدمنا فى الخراريج المتعددة

(التهاب الحويصلة الصفراوية من وجود حصيات) تتمدد الحويصلة وتكبر وتحدث ألما فى مكان الحويصلة أمام الضلع التاسع من الجهة اليمنى واذا وضع الانسان يده على مكانها ازداد الألم ويمكن جس الحصيات بها ويشعر المريض كأنه يريد أن يتقايأ وربما ارتفعت درجة حرارته وازداد الالم واتسعت دائرته فيشغل جميع الجنب الايمن ويأتى على نوبات متعددة فيشتبه فيه كثيرا خصوصا بين الكلية السابحة واذا كانت الحرارة مرتفعة اشتبه فى التهاب الزائدة الدودية والاعور خصوصا اذا كان الالتهاب مصحوبا بتقيح من نتيجة حمى معدية كالتيفوس والملاريا والالتهاب الرئوى وهلم جرا

(العلاج) الراحة التامة ، وضع

مكمدات على الجهة اليمنى موضع الالم والحقن مرتين، واعطاء أغذية غير متعبة للكبد بأن يعطى اللبن وغيره من الاشياء سهلة الهضم وأخذ الاشياء القلوية كثانى كربونات الصوديوم واستعمال ماء كارلسباد

(الحصيات الصفراوية) هذه الحصيات مركبة من كولسترين ملتصق بعضه وملون بأنوان السائل الصفراوى وكثافته النوعية لا تزيد كثيراً عن الماء فترسب فى الماء وبعد جفاف الحصيات تعوم فوق الماء وهى اذا وجدت فى الحويصلة تكون متعددة أما أصلها وأسبابها فليس من المؤكد الموثوق به ولكن المؤكد أنها تكون دائما مسبوقة بالتهاب فى الحويصلة الصفراوية وأغلب ما يكون هذا الالتهاب مزمنا فتفرز الاغشية المخاطية كثيرا من الكولسترين . نعم انه من الجائز أن يكون مبدأ هذه الاشياء التهاب معدى معوى يستمر اتصاله الى القناة الصفراوية وهى أغلب ما تصيب السيدات اللاتى يصبن كثيراً بسوء الهضم والامساك وأكثر الحالات تكون مصحوبة بسرطان أما كنتيجة فعلية أو مسببة له وقد ذكر الاستاذان روزوكارلس أن السبب فى احدى الحالات التى أتت الى أيديهما كانت امرأة ابتلعت دبوسا وصل الى الحويصلة الصفراوية فعملوا لها عملية لازالة الحصيات فوجدوا هذا الدبوس محاطا بستة وستين حصاة

(مغص الحصيات الصفراوية) ألم زائد فى موضع الحويصلة الصفراوية أمام الضلع التاسع والعاشر يتشعع الى الظهر والى الكتف الايمن وربما تمتلىء الحويصلة الصفراوية بالصفراء فيمكن جسها ويتقايأ المريض أو ربما يشعر بميل الى القىء ويشتكى من شدة الآلام والقىء يحصل بكثرة اذا وجدت التحامات بريتونية حول الحويصلة الصفراوية وهذا المغص ناشىء عن محاولة خروج حصاة صفراوية من الحويصلة فتنقبض حولها ويحصل بعد ذلك عدة نتائج

(١) احتباس الحصاة فى مكانها وربما تقيح ما حولها

(٢) انحباسها فى مصب الصفراء فى الاثنى عشرى فتحدث تقيحات مختلفة ويرقان

(٣) تخرج الى الامعاء وتبرز مع الغائط

(٤) ان تتقيح جميع الاشياء التى تفصلها عن خارج البطن وتخرج منها

العلاج عملية جراحية فى الغالب انفع والعلاج المؤقت حقنة مورفين ثم يستعمل علاج التهاب الحويصلة السابقة ويستعمل أيضا مرهم البلادونا و للبخ وربما اضطر لاستعمال الكلوروفورم مخدراً عاما

بقى ان نلخص الاسباب التى تطرأ على الغشاء البريتونى ويكون نتيجتها ضغط على الكبد فيحصل من ذلك استحالة شحمية أو انقباض على فوهته فيحصل انسداد فى الوريد الباب وهذه الالتهابات إما موضعية أو نتيجة التهابات أخرى ويستحيل تشخيص هذا المرض قبل العلاج ولكن العلاج هو نفسه علاج السيروز والاعراض مشابهة له

(التهاب فوهة الكبد) يحدث ذلك من نتيجة التهابات أخرى تقيحية وتسير مع مجارى الدم واللمفا وأعراضها تشبه جدا أعراض الخراريج المتعددة: وأكبر أسباب هذا المرض التهاب الزائدة الدودية المتقيح وأكبر اعراضه ظهور اليرقان وعند ماتظهر أعراض هذا المرض بارتفاع الحرارة وسرعة النبض والهزال كان ذلك أسوأ حالا فى هذه الحالة يكون الصديد قد جرى فى الدم وانتشر فى جميع أجزاء الجسم

الدكتور
حسين المرارى

نقول: كل الامراض التى سردها حضرة الدكتور الفاضل فى مقالته تحتاج لعناية الطبيب الحاذق وخبرته الأن من ضمنها واحدا شائعا بين الناس وهو المغص الصفراوى فوجب علينا أن نذكر عنه شيأ يقرب من الطب الطبيعى يحفظ من آلامه ويبعد من نوبه، ثم ينتهى بشفائه

اعتاد الناس عند ماينتابهم ألم المغص الصفراوى ان يستحضروا طبيبا ليحقنهم بالمورفين وهو لا يبقى تأثيره غير نحو ساعتين ثم يزول ويبقى الالم كما كان بل يشتد ويصاب البنية لضعف كبير . فالاولى بالمريض أن ينغمس فى حمام من الزنك فيه ماء دفء فى درجة الجسم او ارفع منها قليلا فيزول الالم أو يقل . ثم توضع رفادات مبتلة بماء ساخن جدا على المعدة والكبد وتكرر مرات عديدة أو يوضع عليها رغيف من الخبز المصرى المسخن على النار ويغير كلما برد . وأحسن وسيلة لتسهيل نزول الحصاة المسببة للألم أن يشرب المريض ساعة شعوره به من

١٢ الى ١٥ ملعقة من زيت الزيتون الجيد فتمر لق الحصاة من القناة الصفراوية ويزول الالم . نعم ان كثيراً من المصابين يتقززون من شرب هذا المقدار من الزيت دفعة واحدة ، ولكن ماهم فيه أشد فيجب عليهم ان يختاروا أهون الشرين

فاذا زالت النوبة فأحسن علاج لهذه الحصيات هو شرب زيت الزيتون بمقدار ثلاثة فناجين قهوة يوما بعد يوم . ونظام هذه المعالجة أن يستيقظ المصاب في الساعة السادسة أو السابعة فيتعاطى الثلاثة الفناجين من الزيت على الخلاء ولا يتعاطى بعدها شيئا ثم يضطجع على جنبه الايمن من ساعة الى ٩٠ دقيقة ثم يقوم فيتناول الفطور . فاذا تعاصت نفسه عن شرب الزيت فيستطيع أن يموهه بأن يضعه فى مغلى الكراويا أو القرفة ، ويستطيع أيضا ان يمتص بعد شربه ليمونة . نعم انه سيحس باضطرابات معدية ومعوية عند انصباب الصفراء فيها بتأثير الزيت ويشعر من ذلك بشيء من الكرب ولكن كل هذا أخف من ألم الحصاة الذى يستمر من ساعات معدودة الى نحو ١٤ يوما . ثم ان هذا العلاج ينتهى امره بانقطاع النوب بتاتا وشفاء المريض

ويحسن أن يتعاطى مع الزيت اكسير البولدو *Elexir Boldo* بمقدار ملعقتين بن فى قليل من الماء قبل كل أكلة اى ثلاث مرات فى اليوم ويعقبها بحبة بعد الاكل من حبوب كولين كاموس *Colléine Camus* هو مستخرج من صفراء البقر ويحسن ان يجعل فترة فى كل شهر فيبطل هذا الاكسير وهذه الحبوب مدة عشرة أيام ثم يعود اليهما . أما الزيت فيجب الاصرار على تعاطيه مدة حتى يأمن عودة هذه الآلام وله بعد ذلك ان يعود الى الزيت فى كل اسبوع مرة لان الزيت مسهل بطبيعته للصفراء ومنق للقنوات الصفراوية ومفتت للحصيات المتجمدة

اما التدبير الغذائى للمصابين بهذا المرض فهو الامتناع بتاتا عن أكل اللحم والحوادق على أصنافها والنشويات والدهنيات والتوابل

الكباد هو ثمر كالبرتقال ولكن قشره اخشن ويصير اصفر أو أكثر احمراراً ولبه حمضى مر . يستعمل الكباد فيما يستعمل فيه الليمون لتحميض اللحوم والاسماك

شجر الكباد اصله من الهند والصين ويعلو الى ارتفاع عظيم ويمكن ان يصل في اوروبا الجنوبية الى ٢٥ قدما وعلى فروعه شوك طويل مخضر واوراقه قريبة للبيضية او مستطيلة ضيقة منتهية بطرف دقيق ومسننه في جزئها العلوى وازهارها منضمة الى باقات وكلها بيض والثمار متوسطة الغلظ مستديرة قليلا او منضغطة في القمة وهي ملس او خشنة ولونها اصفر يتحول الى لون برتقاني قاتم مائل للحمرة وقشرتها شديدة المرارة وتلتصق باللب الذي هو مصفر حمضي مر

استنبت هذا النبات بكثرة في اسبانيا ويرسل قشر ثمرة الى هولاندة ليصنع منه سائلا يسمى عندهم قوارساو أو قويراسو وتوضع عصارته في براميل وترسل الى انجلترا ليدخلوها معامل الصبغ والمسيتنت اصناف منه كثيرة في البساتين وبساتين البرتقانيات بفرنسا وانما الرغبة موجهة كثيرا الى ازهارها لذكاء ريحها

اشجار الكباد تعيش عدة اجيال حتى قيل ان حدائق النارنجيات بفرساى بفرنسا شجرة من الكباد معروفة عند العامة باسم بوربون الكبير وامير الجيوش الكبير وفرنسوا الاول . قيل انها نبتت اولا من بزرة وضعتها ملكة من ملكات نوار باسبانيا سنة ١٤٧٠ فلما تمت شجرتها نقلت الى بمبلون التي كانت حينئذ عاصمة مملكة نوار ثم نقلت الشجرة الى شنتيلى وعلى توالى الازمان وصلت لفرنسوا الاول ملك فرنسا ثم الى امير الجيوش بوربون الذي كان امير شنتيلي . وقد خرج على ملك فرنسا واستنجد ملك المانيا شرلكان فاستولى ملك فرنسا على امواله ومن جملتها هذه الشجرة فنقلت من شنتيلي الى مونتين بلو سنة ١٥٣٢ فكانت في ذلك الزمن وحيدة بفرنسا وصرف لهذا النقل ٣٠٠ ريال وفي سنة ١٦٨٤ نقل لويس الرابع عشر ملك فرنسا هذه الشجرة من فونتين بلو الى فرساى وصرف على هذا النقل ٦٠٠ فرنك وبقيت محفوظة من ذلك الزمن الى وقتنا هذا في حديقة النارنجيات بباريس فيكون عمرها نحو ٤٠٤ سنة وارتفاعها عن الارض ١٧ قدما ولم يفسد تركيبها للآن ولم تقل قوة اثمارها

اصناف الكباد كثيرة بالبساتين فمنها الكباد الصيني يرتفع في جنوب اوربا الى ١٢ قدما وازهار هذا الصنف قوية

الرائحة وأثمارها تربى بالسكر

ومنها الكباد الذى يشبه ورقه ورق الآس ومنظره كمنظر الآس وأصله من الصين وثماره صفر ذهبية كرية

ومن الكباد الغريب وهو من اغرب نباتات المملكة النباتية لكونه يجتمع فيه على الشجرة الواحدة الى خمسة أنواع من الثمار المتميزة فيجنى منها فى آن واحد برتقال لذيذ وكباد مختلف الاشكال واترج وغير ذلك . وأغرب من ذلك أن الثمرة الواحدة قد يكون فيها صفات نوعين فيكون نصفها برتقالا ونصفها اترجا

﴿ كبر ﴾ فى السن يكبَر كبَرا طعن و(كَبُر) فى القدر يكبُر كِبَرا عظم. و (كابره) غالبه وعانده . و(أكبره) رآه كبيرا و (تكبَّر واستكبر) كان ذا كبر و (الكابر) الكبير و(الكُبَار والكُبَّار) الكبير و (الكِبْر والكُبْر) معظم الشىء والاثم الكبير والتجبر

﴿ تكبيرة الاحرام ﴾ قال أكثر الأئمة تكبيرة الاحرام من فروض الصلاة تنعقد بمجرد النية من غير تكبير . وقال أبو حنيفة تنعقد الصلاة بكل لفظ يفيد التعظيم مثل الله اعظم والله اعلم ولو قال (الله) كفاه ذلك ورفع اليدين عند التكبيرة سنة

﴿ الكبر ﴾ القبار وهو شجيرة متسلقة لا تمسك فى الاتجاه الذى تعطاه ، ساقها نصف خشبية منفرشة اسطوانية وفروعها خيطية خالية من الزغب حشيشية وتحمل اوراقا متعاقبة مفصلية قلبية الشكل مستديرة ، وأزهارها كبيرة وحيدة ابطية

المستعمل فى الطب براعيم الكبر وازهاره وجذوره والاكثر استعمالا قشور جذوره

(استعمالاته الطبية) كان العرب يستعملون مطبوخ أوراقه علاجا لوجع الاسنان واوجاع الرأس فيوضع ذلك المطبوخ على المحل المتألم

وتوسع العرب فى ذكر خواص قشر جذر الكبر فنقلوا عن جالينوس انه يجلو وينقى ويفتح ويقطع بحرارة ويسخن ويحلل بحرافته ويجمع ويشد ويكثر بقبضه ولذا كان أحسن ما يعالج به الطحال عندهم ويقطع الاخلاط الغليظة اللزجة اذا شرب بالخل أو بالخل والعسل ويخرجها بالبول وبالبراز

ويوضع ذلك القشر ضمادا على القروح

الخبيثة فيجلوها ويجففها وينفع من وجع الاسنان مضغا ومضمضة بطبيخه بخل خمر وشراب ويحلل الخنازير والاورام الصلبة اذا خلط مع الادوية النافعة لذلك

وحكى عن ديسقوريدس انه حلل الخنازير ضمادا بورقه الى مدة يسيرة واذا كانت خاصة الورقة ذلك فليس من العجب أن تكون عصارته قاتلة للدود الذى فى الاذن لمرارتها . وثمرته المالحة قبل أن تغسل تطلق البطن ولا تغذو أما اذا غسلت ونقعت حتى تذهب عنها قوة الملح فانها تكون طعاما مغذيا غذاء يسيرا فتستعمل كالادام الذى يؤتدم به فتؤكل مع الخبز ليطيب به أكله وتكون كالدواء لتحريك الشهوة ولجلاء ما فى المعدة والبطن من البلغم واخراجه بالبراز والبول ، ولتفتيح سدد الكبد والطحال وتنقيتها وينبغى لاستعمالها لذلك ان تؤكل بالخل والعسل والزيت

ونقلوا عن ديسقوريدس انه اذا شرب من ثمره ٣٠ يوما كل يوم درهمان بشراب حلل أورام الطحال وأدر البول وسهل الدم ونفع من عرق النسا وقشر جذر الكبر يوافق القروح المزمنة الوسخة والجاسية وقد يخلط بدقيق الشعير ويضمد به تورم الطحال واذا دق ناعما وخلط بالخل ولطخ على البهق الابيض جلاه

وقال الفارسى الكبر ترياق يطيب الفم ويطرد الريح

وقال غيره الكبر يشفى النواصير التى فى الآماق . وأصله جيد للبواسير اذا دخن به

وقال الطبرى أصله ينفع من القروح الرطبة اذا وضع عليها من خارج . واذا طبخ وصب ماؤه على الرأس الذى فيه قروح رطبة نفعه

وجاء فى كتاب التجربتين ان ورقه ولحاء اصله اى قشر جذره اذا جفف وسحق واحد منهما وأضيف الى الزفت وضمدت به قروح الرأس الشهدية اليابسة العتيقة أبرأها اذا تمودى عليه ومثل ذلك القروح الخبيثة الغليظة وخصوصا فى مرطوبى المزاج فيوضع على قروحهم الخبيثة مدروسا مع الشحم

واذا درس ورقه مع الشحم ووضع على أورام العنق البلغمية والخنازير حللها وكذا جميع الاورام البلغمية فى سائر الجسم الا انه فى اورام العنق والابط أقوى وكذا يوضع على فسوخ العضل ولا سيما فى

الاعضاء الصلبة فينفعها . واذا سحق اصله وخلط بالادوية العطرية القوية كالسنبل والاسطوخودس والاذخر وعجن بعسل ولعق حال مافى الصدر من الاوجاع الحادثة عنه وسهل نفثه . وينفع بهذه الصفة من أوجاع المعدة وسدد الكلى والطحال

وماء ورقه اذا شرب قتل أصناف الحيوانات المتولدة فى الجوف

وقال الرازى الكبر المخلل يلطف الطحال ولايسخن ولا يعطش الا قليلا ويضر فى السعال والسحج ضررا شديدا فان أخذ منه فليتلاحق بصفرة البيض النيمرشت بعد التغرغر بالماء الحار مرارا

﴿ الكِبْر ﴾ هو ظن الانسان انه أكبر من غيره . والتكبر اظهار ذلك وهذه صفة لايصح ان يتخلق بها احد من الناس . فان ظن الانسان بنفسه انه أكبر من غيره فى العلم فمن العلم ان لا يتظاهر بذلك وان لايتخذ علمه آلة لاذلال عباد الله وافساد آدابهم بل وسيلة لتهذيب أخلاقهم وتربية ملكاتهم

وان كان يظن بنفسه انه أكبر منهم مالا فليذكر ان الله لم يهبه ذلك المال ليتعالى به على خلقه بل ليعين فقراءهم ويؤاسى محتاجيهم فالكبر على أى وجه قلبته لاتجد له مسوغا اللهم الا ان خبثت النفس وانحطت الهمة فان صاحبها يجد فى الكبر بلال غلته ، وشفاء علته ولو توهما.

ومما يدل على ان الكبر عرض لخسة النفس ودناءة الطبع ، ولؤم الاصل ، انك تصادفه فى الجهلاء والفقراء أكثر منه فى العلماء والاغنياء ، وتجده فى السفلة الرعاع أشيع منه فى العلية الخواص

قال العلامة أبو القاسم الحسين بن الفضل الراغب الاصبهانى فى كتابه الذريعة الى مكارم الشريعة عند كلامه على الكبر والتكبر

﴿ التكبر ﴾ يتولد من الاعجاب والاعجاب من الجهل بحقيقة المحاسن . والجهل رأس الانسلاخ من الانسانية ؛ ومن الكبر الامتناع عن قبول الحق . ولذلك عظم الله تعالى أمره فقال : انه لايحب المستكبرين . وقال تعالى : اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون. وقال تعالى : كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار

« وقال صلى الله عليه وسلم عن الله

عزوجل : العظمة ازارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى واحدة منهما قذفته فى نار جهنم

« ونبه تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم فقال : ولا تمش فى الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا

« وأقبح كبر بين الناس ما كان معه بخل . ولذلك قال عليه الصلاة والسلام خصلتان لا يجتمعان فى مؤمن الكبر والبخل . واستحسن قول الشاعر :

جمعت أمرين ضاع الحزم بينهما
نفس الملوك واخلاق المماليك

« ومن تكبر لرياسة نالها دل على دناءة عنصره ومن تفكر فى ذاته فعرف مبدأه ومنتهاه وأوسطه عرف نفسه وروض كبره . وقد نبه الله على ذلك بقوله : فلينظر الانسان مما خلق . وقال الله تعالى قتل الانسان ما أكفره من اى شىء خلقه ، من نطفة خلقه . وقال تعالى : انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج

« والى هذا المعنى نظر متطرف بن عبد الله الشخير لما قال ليزيد بن المهلب :

كيف يُزهى مَن ضجيعه
أبد الدهر رجيعه

وقال :

ياقريب العهد بالمخـ
ـرج لم لا تتواضع

« فمن كان تكبره لغنيته فليعلم ان ذاك ظل زائل وعارية مستردة والاستطالة اظهار الطول فمن اظهر ذلك من غير طول فنسلخ من الانسانية ، ومن اظهره مع طوله فقد ضيع الطول

« والصلف يقال باعتبار الميل فى عنقه ، والصعر الميل فى خده . ولذلك استعمل فيه الى الرأس نحو قوله تعالى : لووا رؤوسهم والباء (بأى نفسه رفعها وفخر بها) استعصاء النفس بالترفع عن الانقياد للواجب . والخيلاء أن يظن فى نفسه ماليس فيها من قولهم خلت . ولتصور هذا المعنى قال حكيم اعجاب المرء بنفسه ان يظن بها ماليس فيها مع ضعف قوة فيظهر فرحه . والزهو الاستخفاف من الفرح بنفسه . وأما العزة فالترفع بالنفس عما يلحقه غضاضة كالمستظلف فى كونه فى ظلف من الارض لا يلحقه مذلة . والعزة منزلة شريفة وهى نتيجة معرفة الانسان بقدر نفسه واكرامها عن الضراعة للاعراض الدنيوية كما ان الكبر نتيجة جهل الانسان بقدر نفسه

وانزلها فوق منزلتها وكثيرا ما يتصور احدهما بصورة الآخر كتصور التواضع والتضرع والتذلل بصورة واحدة وتصور الاسراف بصورة الجود والبخل بصورة الحزم ولهذا قال الحسن رضى الله تعالى عنه لمن قال له ماأعظمك من نفسك ؟ فقال لست بعظيم ولكننى عزيز قال الله تعالى : ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين. وقال النبى صلى الله عليه وسلم لاينبغى للمؤمن أن يذل نفسه . ولما قلنا قالوا التكبر على الاغنياء تواضع تنبيها على ان هذا التكبر عزة نفس . ومن أجل أن هذا التكبر غير مذموم قال عزوجل : يتكبرون فى الارض بغير الحق . وقال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه : من خضع لغنى فوضع نفسه عنده طمعا فيه ذهب ثلثا دينه وشطر مروءته »

﴿ الكبريت ﴾ هذا العنصر كثير الوجود متحدا ومنفردا فيوجد متحداً بالفلزات على حالة كبريتور الحديد أو الرصاص أو النحاس على حالة كبريتات الكالسيوم المعروف بالجبس ويوجد منفرداً فى كثير من الاراضى البركانية. ويوجد منفردا أيضا بالقرب من البحر الاحمر

يستخرج هذا الجسم من الاض الكبريتية أى التى يكون فيها الكبريت على حالة انفراد مخلوطا بمواد ترابية وجبس ومواد رملية وغير ذلك . فان كانت الارض التى يراد استخراجه منها محتوية على كثير منه وضعت القطعة منها فى قدر من الحديد وسخنت فالتسخين يصهر الكبريت ويصيره سائلا تسقط المواد الغريبة فى قاع القدر فيرفع الكبريت السائل بملاعق كبيرة من الحديد وتصب فى قوالب فيكتسب شكلها والمعتاد أن تكون هذه القوالب على شكل قرص

وان كانت الاراضى التى يراد استخراجه منها لاتحتوى على كثير منه جعلت اكواما بحيث انه لو أحرق جزء من كبريتها يصهر الجزء الآخر ويسيل فى قاعها ومنه الى قوالب فيتجمد فيها وقد تكون مساحة هذه الاكوام الف متر مكعب فيستغرق شهرين تقريبا

تحضير الكبريت بهذه الطريقة غير مستحسن لان جزءاً من الكبريت يزول بالاحتراق وحمض الكبريت الناتج عن هذا الاحتراق جسم متلف يعدم المزارع القريبة من المحل المستخرج فيه الكبريت

بهذه الطريقة

وفى سيسيليا يستخرج الكبريت بتقطير الارض المحتوية عليه فى أوان من الفخار توضع على أفران خاصة وكل اناء منها متصل بمثله موضوعا خارج الفرن فيتكاثف الكبريت المقطر

ولتنقية الكبريت المستخرج بهذه الطريقة ويسمى الكبريت الخام يقطر بتسخينه فى قدور فيصير بخارا وهذا البخار يوجه الى قاعات من الطوب سعتها نحو ثمانية أمتار فان كان التقطير سريعا كانت كية بخار الكبريت الذى يدخل فى القاعات عظيمة فترتفع درجة حرارتها الى أن تصير مساوية لدرجة صهر الكبريت فيتكاثف البخار سائلا فيؤخذ من فتحات فى جدران القاعات بواسطة ملاعق من حديد ويصب فى قوالب من خشب البلوط مخروطية الشكل فيتجمد فيها فيكون فى شكل أعمدة ولذلك يسمى الكبريت العمود

أما اذا كان التقطير ببطء فلا ترتفع حرارة القاعات الا ببطء فلا تصل الى درجة صهر الكبريت ولذلك كان بخار الكبريت الداخل فيها يتكاثف فى شكل مسحوق فيجف على هذه الحالة والمقطر هكذا يسمى زهر الكبريت

ويستخرج الكبريت من الكبريتورات الفلزية خصوصا من كبريتور الحديد لتقطيره فيتحلل هذا الكبريتور بالحرارة الى كبريت يتطاير بخارا يوجه للقاعات والى كبريتور حديد مقدار ما فيه من الكبريت أقل مما كان فيه

(أوصاف الكبريت) هو جسم صلب لونه أصفر ليمونى هش ينسحق بسهولة لايذوب فى الماء ويذوب بسهولة فى بعض المذيبات كالبنزين وكبريتور الكربون وخصوصا مع الحرارة .وهو موصل ردىء للحرارة ولذلك اذا وضع فى اليد وهى حارة عمود من الكبريت وقبضت عليه من غير ضغط فانه يسمع منه ازيز خفيف ثم ينكسر . واذا دلك بقطعة من الصوف انتشرت عليه كهربائية سالبة فيجذب القطع الخفيفة من الورق ويصهر على درجة ١١٤ فوق الصفر فيصير سائلا فى قوام الماء . واذا ارتفعت درجة الحرارة عن ذلك فان سيولته تقل شيأفشيأ ويدكن لونه فاذا وصلت درجة الحرارة الى ٢٥٠ كان لونه قريبا من السواد وصار ثخينا

بحيث لو قلبت الآنية التى هو فيها لا يسقط منه شىء. فاذا ارتفعت درجة الحرارة عن ذلك صار أكثر سيلانا واذا وصلت درجة الحرارة الى ٤٤٠ غلا وتصاعد منه بخار لونه أحمر مسمر

واذا صب المصهور منـه على درجة ١١٤ فى الماء برد بسرعة وتجمد فيكون صلبا أصفر اللون هشا واذا صب فى الماء بعد أن يأخذ قوامه فى السخن فانه يصير كتلة سمراء أو سوداء مرنة كالصمغ المرن يمكن مدها خطوطا. وهذه الكتلة الرخوة تصير مصفرة اللون هشة ببطء على الدرجة المعتادة وبسرعة اذا سخنت على حرارة تقرب من غليان الماء

والكبريت قابل للالتهاب فيلتهب فى الهواء فيكون الاندريد كبريتور وحمض الازوتيك يؤكسده بما فيه من الاوكسيجين فيحيله الى حمض كبريتيك

(استعماله) الكبريت كثير الاستعمال ولكونه سهل الاحتراق تدهن به أطراف الاعواد الخشبية التى تتكون منها أعواد الكبريت ويدخل فى تركيب البـارود . وباحتراقه يستحيـل الى اندريد كبريتوز ومنـه يحضر حمض الكبريتيك . وهو يستعمل فى الزراعة أيضا لاهلاك الحشرات والمركب الناشىء من اتحاده بالكربون كثير الاستعمال فى فرنسا لمعالجة الكروم. ومن الكبريت يحضر كبريتور الزئبق وكبريتور الانتيمون هما جسمان مستعملان فى الألوان. ويستعمل أيضا لتنويم الصمغ المرن كى يصير لينا فى الشتاء كلينه فى الصيف (انظر كتاب الكيمياء لابراهيم بك مصطفى)

(النتائج الفسيولوجية للكبريت)

تأثيره منبه على المنسوجات الحيـة واذا وضع على الجلد فى حالته الطبيعيـة كان الظاهر أنه لا يتأثر له أما اذا لامس سطحا جسديا متقرحا فانه يهيجه ويثير فيه عملا التهابيا ولذلك كان له تأثير واضح على أجزاء الجلد المغطاة بالقوابى أو بقشور أو اندفاعات جلدية مختلفة فيصيرها أكثر احمرارا وحيوية وحساسية فشفاؤه للامراض الجلدية انما هو بتنبيه المنسوجات المرضية لا بردعة التهيج المرضى وتغيير محله

فاذا استعمل من الباطن تولد منـه نوعان من النتائج الأول ينسب لتأثيره على الطرق الغذائية والثانى لتأثيره على جميع المنسوجات العضوية . فاذا لم يستعمل منه

الا من ٤ قمحات الى ٦ قمحات كان ظاهر انه ينبه القوى الهضمية اذا لم يكدرها . فاذا استعمل بمقدار كبير كثمان عشرة قمحة الى نصف درهم أو درهم أو أكثر حصل منه احساس متعب فى القسم المعدى وسبب استفراغا ثفليا والغالب أن لا يكون ذلك مصحوبا بقولنج . ويحصل منه مع ذلك جشاء نتن وتخرج رياح رائحتها لا تطاق

(خواص الكبريت الدوائية) أعظم فائدة تجتنى من استعماله هى فى علاج أمراض السطح الجلدى فيستعمل حينئذ من الباطن والظاهر مع التساوى فى النتيجة فيأخذ المريض كميتين أو ثلاث كميات قدر كل منهما أربع قمحات الى ١٨ وتطلى أجزاء الجلد التى عليها الداء بشحم أو قيروطى متحمل من ذلك الجوهر المعدنى ويستعمل حمام من محلول كبد الكبريت كل يوم أو يومين فالقوة المنبهة التى فى الكبريت هى السبب فى الفائدة التى حصلت منه فى تلك الآفات الجلدية فأجزاؤه التى تدخل بالامتصاص فى الدم توقظ حيوية الجلد وتغير حالته الراهنة وتؤثر بمثل ذلك قوة الكبريت الموضوع على المحل المريض فتحرض فيه بالمباشرة التأثير المرضى وتطبع فيه زيادة فاعلية وشدة فيصير ذلك التنبه كحركة بحرانية تنهى المرض وتعيد للجلد صفاته الطبيعية ومع هذا فانه يهيج منسوج القلب والاوعية الدموية ويسبب حمى واضطرابا فيجب أن ينتبه الطبيب لذلك

كان الكبريت مستعملا من القدم لازالة العفونات ولم يكثر بقراط من ذكره وأول من أفاض فى الكلام عليه ديسقوريدس وبليناس وأوصيا باستعماله من الباطن والظاهر فى أمراض الصدر . وأرسل جالينوس مرضاه المصابين بالسل الى سيسيليا لاستنشاق الهواء المكبرت من البراكين

وقد ثبت الآن انه لا ينفع الا فى قليل من الامراض الجلدية المزمنة ولا يفيد الا فى القوابى الرطبة أما فى القوابى الجافة فلا يكون له تأثير عليها

والمراهم المصنوعة منه ومن الشحم الحلو كافية فى أكثر الاحوال لشفاء الجرب بسرعة

واعتبر الكبريت وسيلة نافعة لاراحة المصابين بأوجاع روماتيزمية ونقرسية

واتفق الاقدمون على نفعه فى علاج السل الرئوى والنزلة المزمنة والربو ولكن تأكد الآن عدم نفعه فى السل وانما ينفع فى النزلات المزمنة فيعطى فيها مسحوقا أو أقراصا وهو الاحسن ولا سيما للاطفال.

ولم يتأكد أيضا نفعه فى علاج الخنازير سواء من الباطن كمسهل خفيف أو من الظاهر كمحلل

وظن بعضهم ان مسحوقه مضاد للديدان فيعطى كمسهل

وأوصى بعضهم باستعماله في الدوسنطاريا الحادة ولكن بعد تسكين العوارض الاولى بالايبكاكوانا المستعملة دواء مقيئا

وذكر بعضهم انه يحفظ من وباء الهيضة والطاعون كما ينفع من البواسير حتى المؤلمة اما على شكل مرهم أو كمسهل خفيف مجتمعا مع مسهل آخر

وذكروا نفعه فى البول السكرى وقطع الطمث وللحفظ من الحصبة والحمى القرمزية

ويستعمل الكبريت أيضا على حالة حمض كبريتوز حمامات بخارية أى تدخينات. والكبريت قاعدة للمياه المعدنية الكبريتورية الكثيرة الاستعمال النافعة جداً فى الحكة الخالية عن الحلمات والحزاز المزمن المنتشر على الجسم والاطراف. هذه الآفات قد تطول مدتها سنين كثيرة وأحيانا تمكث الى الموت فتلك الامراض تنقاد لتلك المداواة بل يسرع شفاؤها بذلك

(مستحضرات الكبريت) يستعمل من الباطن أولا مطبوخه أو منقوعه المعدود مضاداً للديدان وللنقرس وثانيا مساحيقه التى هى عبارة عن كبريت مخلوط بأجسام مختلفة مسحوقه كعرق السوس والكافور وكبريتور الانتيمون وملح البارود وزبد الطرطير وغير ذلك وثالثا أقراص تحتوى على ١ على ١٢ أو ١ على ٩ من وزنها من الكبريت مجتمعا مع السكر أو خلاصات أو أدهان طيارة أو حمض جاوى أو كبريتور الانتيمون أو نحو ذلك. ورابعا بلوعات وحبوب ومعاجين ومربيات ونحو ذلك مما توجد فيه الخلاصات والراتينجات بل الاملاح مخلوطة مع الكبريت بواسطة العسل أو شرابات أو غير ذلك. وخامسا بلاسم الكبريت التى هى محلول الكبريت فى الزيوت الثابتة أو الطيارة ويعمل ذلك بواسطة الحرارة وتلك السوائل ملونة نتنة اشتهرت سابقا فى القرن ١٥ و ١٦ وقل

استعمالها الآن ويتميز على حسب طبيعة السائل الاصلي الى بلاسم ثابتة وبلاسم طيارة فينسب للبلاسم الاولى البلسم البسيط الكبريتى المكون من دهن اللوز الحلو والكبريت وأما البلاسم الطيارة فلا تحتوى غالبا من الكبريت الاعلى ١ على ١٢ وذلك كالبلسم الكبريتى الانيسونى الذى كان يستعمل لطرد الريح وكالكبريت التربنتينى المستعمل فى أمراض القنوات البولية

والمستحضرات المستعملة من الظاهر كثيرة فمنها القيروطيات الكبريتية وتستعمل وضعا أو مروخا بمقدار من درهم الى أربعة دراهم فى اليوم وثانيا المراهم الكبريتية المستعملة بتلك الكيفية والمادة أن تكون مكونة من الشحم الحلو أومرهم الخيار أو المرهم العادى أو زيوت ثابتة وكثيراً ما يضاف لها مركبات النوشادر أوالصودا أو كربونات البوتاسا أو املاح أخر

(مقدار الاستعمال) مقداره من الباطن كمنبه من نصف غرام الى غرام واحد يكرر مرتين أوثلاثة فى اليوم ويوضع فى معجون أويعمل أقراصا ، وكمسهل من ٤ غرامات الى ٢٠ غراما فى اللبن أو فى العسل أومعجون

(الحوامض الكبريتية) الحوامض التى قاعدتها الكبريت خمسة حمض تحت كبريتوز وحمض تحت كبريتيك وحمض كبريتوز وحمض كبريتيك وحمض كبريت ايدريك ونحن نذكر هنا أهمها بايجاز :

(حمض الكبريتوز) هو غاز عادم اللون ذو رائحة قوية لذاعة استنشاقه خطر يحرض السعال

يستعمل فى الصنائع لتبييض الجواهر الآلية وسيما الحرير ويستعمل لازالة النكت الحاصلة فى المنسوجات من الثمار ولحفظ العصارات النباتية والشرابات من الاختمار ولايقاف تخميرها . واستعمل حافظا للامراض الوبائية زمن انتشارها وهو مزيل للعفونة فكانوا فى العصور السابقة يحرقون الكبريت فى أزمنة الاوباء

واستعملوه أيضا لعلاج الهيضة الوبائية بشكل حمامات . واستعمل فى معالجة الامراض الجلدية والرماتيزمية

وذكروا ان غاز الحمض المذكور يصح أن تداوى به العين المصابة بالكمنة

فى ابتدائها . ويصح استعماله لايقاظ فعل القلب والرئتين فى حالة الغشى والاسفكسيا أى الاختناق ويكفى لذلك ايقاد عود من الكبريت ويقوى ذلك الانخفاض شدة فواق من استنشق هذا البخار وكذا قيل بادخال الابخرة الكبريتية فى علاج آفات الصدر كما كان ذلك رأى جالينوس ولكن ثبت ان ضرر غاز الكبريت فى المصدورين أكبر من نفعه

(كبريتيت الصودا) هو مسحوق سنجابى اللون مصفر يستعمل لاجل كبرتة العصارات لحفظها من الفساد

(تحت كبريتيت الصودا) هو بلورات شفافة عادمة الرائحة وهو يستعمل فى علاج الامراض الجلديه

(حمض الكبريت ايدريك) اذا أغلى زهر الكبريت مع محلول البوتاسا أو الجير المعلق فى الماء ذاب ذوبانا كياويا بسبب اتحاد يحصل بينه وبين البوتاسيوم أو الجير فيصير المحلول اصفر محمراً لاحتوائه على مركب من الكبريت والبوتاسيوم يقال له كبريتور الكالسيوم واذا عومل هذا المحلول بحمض تصاعد منه غاز رائحته كريهة كرائحة البيض المذر . وهذا الغاز مركب من الكبريت والايدروجين ويسمى بحمض الكبريت ايدريك

ويتكون هذا الغاز فى تعفن المواد العضوية النباتية والحيوانية المحتوية على الكبريت وجزء من رائحة المراحيض ينسب الى المركب الناشىء من اتحاد هذا الغاز بالنوشادر

وهو غاز رائحته منتنة كريه الطعم ويشتعل بلهب أزرق قليل النورانية فيتكون الماء والانديد كبريتيك ومحلوله يتحلل فى الهواء فيرسب منه مقدار من الكبريت

هذا الجوهر سم قتال مخوف فاذا دخل ١ على ١٥٠٠ منه فى الهواء الذى يستنشقه عصفور مات لوقته و١ على ٨٠٠ منه يكفى لقتل كلب و١ على ٢٥٠ منه يكفى لقتل حصان

ومع هذا فقد استعمله الاطباء بمقدار خفيف فى الآفات المعدية والرئوية . ولم يصح نفعه فى داء الكلب واستعمل فى الدوسنطاريا بنجاح

(حمض الكبريتيك) يسمى بزيت الزاج وهو كثير الاستعمال يحضر فى الصنائع مقدار عظيم منه وهو عادم اللون

شرابى القوام يغلى على درجة ٢٣ فتنتشر منه أبخرة بيضاء حمضية خانقة. اذا وضعت قطعة من الخشب فيه اسودت لكون الحمض يأخذ منها أوكسيجينا وايدروجينا على صورة الماء وهو سم شديد يسبب اتلاف المواد العضوية وحمض شديد يؤثر فى جميع المعادن فيحيلها الى كبريتات الا الذهب والبلاتين ويتحلل بالفحم والكبريت والفوسفور فتأخذ جزءاً من أوكسيجينه لتتأكسد فيستحيل الى اندريد كبريتوز

وهو أكثر الحوامض استعمالا فجميع المعامل تستعمله أما مباشرة أو بالواسطة وهو يستعمل فى تحضير الحوامض الاخر كحمض الكلورايدريك والازوتيك والفوسفوريك والليمونيك والطرطيريك والاوكساليك والكربونيك، وفى تحضير عدد عظيم من الاملاح ككبريتات البوتاسيوم وكبريتات الصوديوم وكبريتات الامونيوم، والفوق فوسفات الكثيرة الاستعمال فى الزراعة وفى تحضير الشب وكبريتات الخارصين وفى اذابة النيلة لصباغة الصرف بالزرقة وفى ترويق الزيوت المستعملة فى الاستصباح وفى عمل شمع الاستيارين وفى تحضير سكر النشا ويدخل فى الاعمدة الكهربائية المستعملة لتركيب المعادن

﴿ كَبَسَ ﴾ البئر يكبِسها كبسا طمها بالتراب .و(كبَسوا داره) هجموا عليها فجأة .و(الكِبَاسة) العذق وهو من البلح كالعنقود من العنب و(الكَبْسة) الهجمة فجأة و(السنة الكَبِيسة) التى يؤخذ منها يوم

﴿ الكابوس ﴾ هو نوع من الاحلام المزعجة مع حس بثقل على الصدر وضيق فى التنفس وتهدد بالاختناق .يحدث ذلك للانسان بينما يكون ممتدا لاحراك به فيتوهم انه يعمل مجهودات عظيمة ليخلص مما هو فيه . ثم لا تمضى الا دقائق معدودة حتى يستيقظ مذعوراً مبللا بالعراق وقلبه يخفق بشدة وقواه منحطة

الكابوس يظهر انه عرضة لسوء دورة الدم وحركة التنفس أو اضطراب فى الجهة السفلى من البطن ويندر أن يكون عرضا لمرض فى المخ

الكابوس يحدث عادة فى الساعات الاولى من الليل ويقل حدوثه فى الساعات الاخيرة منه

(أسبابه) تهيج الاعصاب والوراثة وصعوبة التنفس لمرض فى الانف وانزلاق الرأس عن المخدة الى الجهة الخلفية ، وتعاطي الاغذية الصعبة الهضم وامتلاء المعدة بالمآكل قبل النوم ، والاسراف فى تعاطى العلاجات

(العلاج) أبعاد أسباب الاضطرابات النومية ويجب الامتناع عن تعاطى التبغ والقهوة والشاى والاشربة الكحولية لمن يكونون مصابين بالارق

ويجب على المصابين بالكابوس أن يريضوا أنفسهم فى الاهوية الطلقة ويأتوا بحركات جسدية معتدلة ، ويجب ان يعرضوا أنفسهم للهواء ليلا ونهاراً صيفا وشتاء (مع التدثر) ولا يجوز أن يناموا ونوافذ غرفهم مؤصدة

ويجب ان لايتناولوا غير الاغذية السهلة الانهضام وأن يقللوا من العشاء وان لايناموا قبل ان يمضى عليه ثلاث ساعات على الاقل

﴿كَبَشه﴾ يكبُشه كبشا تناوله بجمع كفه . و(الكَبش) الحمل اذا مضى عليه سنتان وقيل بل أربع سنين

﴿كَبَل﴾ الاسير يكبله كبلا قيده ومثله كبّله . و(الكَبْل) القيد

﴿كبا﴾ لوجهه يكبو كبْوا وكُبُوّاً انكب على وجهه و(كبّى النار) ألقى عليها رماداً و(أكبى الزند) لم يورِ و(أكبى فلان وجهه) غيره

﴿كَتَب﴾ يكتُب كَتْبا وكتابا وكتابة خط على القرطاس مايراد ابلاغه لغيره أو حفظه من النسيان . و(كتَب عليه كذا) قضى عليه . و(كتّب فلانا) علمه الكتابة . و(كتّب الكتائب) هيأها و(كاتبه) كتب أحدهما للآخر و(أكتبه) علمه الكتابة و(اكتتب الكتاب) خطه وقيل استملاه و(اكتتب فلان) سأل أن يكتب اسمه فى أمر مشترك بين الكثيرين . و(أهل الكتاب) الامم التى لها كتاب منزل . و(ام الكتاب) اصله . والفاتحة . و(الكُتّاب) موضع التعليم جمعه كتاتيب . و(الكَتيبة) الجيش وقيل قطعة منه و(المكاتَب) المملوك الذى كاتبه سيده على مال يؤديه فيعتق بأدائه . و(المكتب) موضع التعليم و(المكتبة) موضع الكتب جمعها مكتبات و(كاتب مملوكه) كتب على نفسه بثمنه فاذا اكتسبه وأداه عتق

﴿ كتاب المماليك ﴾ اتفق العلماء على ان كتابة المملوك الذى له كسب مستحبة مندوب اليها بل قال احمد هى واجبة اذا دعا المملوك سيده اليها على قدر قيمته او اكثر

لاشك فى أن هذا من الوسائل التى تذرع بها الاسلام الى تحديد دائرة الاسترقاق فانه ان كان يجب على السيد أن يلبى طلب مملوكه فى كتابة ثمنه عليه ليؤديه له من عمل جسده كان ذلك ولا شك داعياً لتحرير اكثر المملوكين ولا نعلم وسيلة افعل من هذه فى تضييق دائرة الاسترقاق وهى ولاشك من آيات الدين الاسلامى ومن مميزاته العمرانية الكثيرة

﴿ الكتابة والكتاب ﴾ يراد بالكتابة فى اصطلاحنا العصرى ماكان يعبر عنه فى الازمنة المتقدمة بانشاء الرسائل والخطب والكتب . وقد عنى الاوربيون بتقسيم فنون الكتابة ومذاهب الكتاب تقسيما لايشذ عن دائرته شىء من مولدات العقول وكنا على وشك انشاء فصل فى ذلك لدائرة المعارف فعثرنا اتفاقا على ملخص محاضرة القاهرة الالمعى احمد لطفى باشا السيد فى نادى المدارس العليا فى سنة ١٩٠٩ فرأيناها جمعت أطراف هذا الموضوع فأحببنا أن نثبتها هنا تنويها باسمه وجزاء لفضله .

قال :

المعلومات الانسانية والمدركات العلمية كلها مستمدة من الاشياء الخارجية التى تحيط بالانسانية فكلما زاد احتكاك الانسان بهذه الاشياء وكثر لطلاعه عليها كلما زاد علمه وكثرت معارفه ولذلك فان الرجل الذى ساح البلاد وانتقل الى بقاع الارض وجال أماكنها واطلع بذلك على كثير من الاشياء واحتك بأناس مختلفين يكون أكثر علما وأوسع اطلاعا من رجل قروى لم يزايل قريته ولم يتعد نظره دائرة ضيقة يظل محصوراً فيها ولا يقوى فكره على اجتياز محيطها

وقد كان اختراع الكتابة من أول الوسائل على زيادة المعلومات الانسانية ومواتاة العقول بمعلومات كثيرة بدون حاجة الى الانتقال والمشاهدة بل بمجرد قراءة مايكتبه الكاتبون فتنتقل بذلك مشاهداتهم واستنتاجهم الى قرائهم وتبقى أثرا خالداً لأخلافهم يستطلعون بها كنه الحياة الاجتماعية فى كل دور من أدوارها فكتب اليونان والرومان يكفى الاطلاع

على بعضها ليعرف القارىء كيف كان نظام جمعياتهم وشكل حكوماتهم وأساليب حياتهم فى ادق الاشياء وأصغرها

ولا يقف تأثير الكتابة عند حد نقل المشاهدات الحسية بل هى تنقل شعور الكاتب وعواطفه الى نفس القارىء وتصبغه بالصبغة التي يريدها وهذا ما يتوخاه كتاب القصص والروايات فيما يؤلفونه منها وكثيراً ماتؤثر على قارئيها لدرجة تجعلهم يقلدون بطل الرواية فى هيئته ومشيته وزيه . ولو ذهبت الى قهوة بلدية فيها (شاعر) يقص على سامعيه قصة أبى زيد مثلا لرأيت انهم ينقسمون غالبا الى زغبية وهلالية فينتصر فريق منهم الى (دياب بن غانم) وفريق آخر الى (أبى زيد الهلالى سلامة) وقد يفضى بينهم التحيز الى واحدمنهما لمشاكل تجرفى كثير من الاحوال الى قضايا ترفع أمام المحاكم . فمثل هذه القصة تؤثر على عواطف سامعيها حتى تصبغ احساسهم على مايريده المؤلف وتصب عواطفهم فى القالب الذى يختاره

من هنا يظهر مقدار الكتابة فى الهيئات الاجتماعية والنتائج التى تنتجها على الشعور العام صلاحا او فسادا تبعا لصلاحها او فسادها

ولكنها من جهة أخرى تابعة للحياة التى تؤثر عليها وتدفع بها فى نهج مخصوص لان الكتاب لم يخرجوا عن كونهم أفراداً من جمعية لها عليهم تأثير فى أخلاقهم وعواطفهم وميولهم على حسب الوسط الذى يحيط بهم

ولقد أصبحت الكتابة اليوم وسيلة من وسائل التربية العامة ووسيلة من وسائل ايقاظ الشعور وتنبيه العواطف ولكم نجح الكتاب بواسطة كتاباتهم في قلب كيان الجمعيات وتغيير شكل الحياة الاجتماعية فى السير بها فى الطريق التى يرضونها . ولقد عرف ذلك الامام الغزالى رضى الله عنه فقال: ان الاخلاق الفاضلة لم تكن فى بداية أمرها الا عادة مصطنعة انتهت بأن تكون طبيعة راسخة ثم توارثها الابناء والاحفاد فصارت غزيزة ثابتة

(أنواع الكتابة) تنقسم الكتابة لدى الاوربيين اليوم الى قسمين ريالسم واديالسم *Réalisme et idéalisme* وهذه الفاظ لم توجد لها سبعة مسميات فى اللغة العربية ويراد بالاولى منها الكتابة فى الاشياء الواقعية بدون تخيل او تصنع

والثانية الكتابة الخيالية التى يصف بها الكاتب حالة تخيلها فى ذهنه ويريد السعى الى تحقيقها بتقريبها الذهن القارىء وتجليتها أمام عينيه . فالريالسم هى الكتابة فيما هو كائن والايديالسم هى الكتابة فيما يجب ان يكون

وليس لهذا التقسيم من قاعدة طبيعية ثابتة ينبنى عليها انما هو نتيجة الاستقراء للمؤلفات القديمة والحديثة وحشر كل صنف منها فى واحد من هذين النوعين فالكوميدى *Comédie* تدخل فى نوع الريالسم والتراجيدى *Tragédie* تدخل فى نوع الايديالسم *Idéalisme*

ويراد بالكوميدى تلك القصص الفكاهية التى تصف بعض احوال الحياة الانسانية كما هى بدون استعمال الخيال فى تهذيبها . أما التراجيدى فهى تلك القصص التى يتخيل فيها الكاتب وقائع مخصوصة ويخترع لها اشخاصاً خياليين ويقصد بها نشر فكرة جديدة او الحث على فضيلة معلومة

(الايديالسم) الايديالسم هى كما قدمنا الكتابة فيما يجب ان يكون على ما يصوره خيال الكاتب وهي لم تنشأ الا بعد الريالسم لان الكتاب قديماً لم يكونوا يستمدون معلوماتهم الا من المحسوسات الواقعة تحت أعينهم حتى اذا ماألف ارسطاليس كتابه فى الربوبية وتخيل لكل قوة من قوى الوجود سواء كانت خيرية او شرية عقلا قائما او صفة تمثلها اتبع الكتاب سبيله فى تصوير أفكارهم ونشأت بذلك الكتابة من نوع الايديالسم

ومن أكبر كتاب الايديالسم فى القرون الوسطى من تاريخ اوروبا كرنى *Corneille* وراسين *Racine* فكورنى قصصى كبير وكاتب معروف كان فى كل مؤلفاته يمثل حربا بين الفضيلة والرذيلة فى الحوادث التى تقع بين أشخاص رواياته ويختمها بتغلب الفضيلة وانتصار العقل والحكمة . أما راسين فكان على العكس من ذلك يغلب الرذيلة على الفضيلة وينصر الشهوة على العقل مظهراً بذلك ضعف الطبيعة الانسانية وخستها

اتبع الكتاب مذهب الايديالسم حتى القرن الثامن عشر وظهر المذهب التجريبى الحسى فى الفلسفة فرجع الكتاب للريالسم ثمانية وكان من أهم أنصاره موليير القصصى الهزلى الكبير ثم أتى بعده

الكسندر دوماس ثم اميل زولا . وهكذا فان الكتابة فى كل عصر تتبع الفلسفة وتسير خلفها فكما نشأت الاديالسم مع فلسفة ارطاليس فقد نشأت الريالسم مع مذهب الفلسفة الحسية التجريبية *Positivisme*

وهناك نوع ثالث من الكتابة يسمى الدرام *Drame* اخترعه شكسبير *Shaekspeer* الانجليزى خلط فيه الريالسم بالايديالسم فأخذ من الاول وصف الحياة الواقعية الحقيقية وأخذ من الثانى الدعوة الى الفضائل العالية وتحبيب الناس فيها .ولقد نجح فى ذلك نجاحا كبيرا فأرضى العامة لأن فيه من وصف الحياة اليومية ما يوافق أمزجتهم ، وأرضى فيه النساء لانهن يملن الى وصف الشهوات وتصوير الاحساسات والعواطف وأرضى فيه الحكماء والفلاسفة لأنه يدعو الى الفضيلة والاخلاق الكاملة ولقد قال فيكتور هوجو فى ذلك ان الايديالسم والريالسم كانا متنافرين حتى وفق بينهما شكسبير فأخذ الاول بيمينه والثانى بشماله فكان الدرام وسطا بينهما .

(الكتابة)

الكتابة كما قدمنا لها تأثير كبير جدا على اختلاف الناس وطبائعهم وعواطفهم وأميالهم . يكتب الكاتب قصة مثلا ويودعها حوادث غريبة تدور كلها حول بطل الرواية الذى يخلقه الكاتب على شكل يريده ويعطيه من الصفات والاخلاق ما يحب فاذا قرأ قارىء هذه القصة تأثر بحوادثها وتحيز الى بطلها وانصبغ بصبغته وكثيراً مايشاهد أن قارئى الروايات أومن يحضرون تمثيلها يقلدون بطلها فى حركاته وسكناته فكأن الكاتب بقصته قد صب عواطف قارئيها فى قالب مخصوص وعليه ترجع تبعة ذلك وتلقى مسئوليته

(كتاب اليوم) هؤلاء هم الكتاب وهذا هو تأثيرهم وهذه هى مسئوليتهم فهل ترى كتابنا اليوم يقدرون ذلك حق قدره

انظر الى جرائدنا اليوم ماذا تجد فيها ؟ لا تجد غير حوادث تافهة فظيعة كحوادث القتل والنهب والسلب والتلصص وغير ذلك مما لا فائدة فيه فى تقويم الاخلاق وتهذيب الطباع ان لم يكن مضراً بها. ثم انظر الى القصص والروايات فلا ترى فيها غير وصف الفظائع الانسانية وحوادث الاغواء والخيانة وغير ذلك مما يفتق الاذهان الخاملة الى سلوك هذا السبيل والاندفاع الى تيار الشهوات . فما

علة هذه الحال ؟ فهل فسد الناس فلا تجد في حياتهم وحوادثهم غير أمثال هذه الفضائح والمخازى ؟ أفسد الكتاب ففسد خيالهم فلا يصور لهم الا ما تنبو عنه الاخلاق الكريمة وتأباه النفوس الطاهرة ؟ أم فسدت الغرائز فهي لا تميل الا لقراءة هذه الحوادث التي تخجل منها الانسانية ولا تتفق مع الفضيلة البشرية ؟ الجواب على ذلك هو ما قاله بديع الزمان الهمذاني «ما فسد الناس ولكن اطرد القياس»

فكذلك كتاب جرائدنا اليوم ومؤلفوا القصص والروايات يتبعون طريقا تعودوها وسنة تبعوها في كتاباتهم وقصصهم بهذه الحوادث الشنيعة الشائنة وكان الواجب عليهم خلط القبيح بالطيب ليمثلوا الحياة الانسانية كما هي وليستفيد القارىء من أى كتاب يقع في يده لأن من القراء من لا يقرأ الا كتابا واحداً في حياته

فقصة روميو وجوليت مثلا التي ألفها شكسبير ووصف فيها العشق الطاهر النقى كانت تصح أن تكون نموذجا يحتذيه كل النساء لولا ما فيها من الغلو في الحب والاندفاع فيه كما كانت جوليت ويندر وجوده بين النساء

ولا ننسى أن نتكلم على كتاب الجرائد الهزلية في مصر فان لهم تأثيراً كبيرا على العوام والاطفال لميلهم الشديد الى قراءتهم ولقد شوهد غلام من تلامذة المدارس الابتدائية اشتهر والده بالافلاس والتدليس وحبس لذلك مراراً أنه قال لصديق له عند ما مرا على السجن في ذهابهما صباحا الى المدرسة (هذه مدرسة بابا ؟)

فاذا وصل تأثير كتاب الجرائد الى هذه الدرجة فيجب الاعتناء بأمرهم والبحث في شأنهم ، ولقد قال الامبراطور غليوم أنه يجب على كتاب الجرائد أن يتخرجوا من مدارس خصوصية وتكون بأيديهم شهادات تؤهلهم لهذه الوظيفة الكبيرة فرد عليه الصحافى الكبير (هاردوان) قائلا :

اذا حتمت شهادة خصوصية على الصحافيين فأى شهادة يجب أن تكون فى أيدى الملوك وهم الحاكمون فى الامم المتصرفون فى شؤنها ؟ ..

وانا نحمد الله على ان ليس في مصر أولئك الكتاب الاوربيون الذين اختل

نظام جسمهم واضطراب مجموعهم العصبي الا من الافراطات الجسمية والعقلية فكانوا داءاجتماعيادوريا وخطرا شديدا على قارئيهم بما يبثونه فيهم من المبادىء السقيمة والتعاليم المضرة غير انا ننبه كتابنا الى تحرى أنجع الوسائل فى تربية المجموع وحثه على فضائل الاخلاق وكريم الصفات ودعوته الى التضامن والتكافل

فانما الامم الاخلاق مابقيت
فان هموذهبت أخلاقهم ذهبوا

﴿ الكتابة عند العرب ﴾

(الشعر) يظن الانسان لاول وهلة ان الشعر العربى كله من نوع الايديالسم ولكنه فى الحقيقة أغلبه من نوع الريالسم مخلوطا بمبالغات تظهره بغير ذلك . انظر الى شعر عمر بن أبى ربيعة الشاعر الرقيق تجد قصائده رغماً عن رقتها ودقة التشبيهات فيها لاتخرج عن وصف الوقائع حتى انها لتمثلها كأنها ألواح رسوم صورها مصور ماهر

كذلك فيلسوف الشعراء ابو العلاء المعرى فهو شاعر ريالست يصور الرذائل الانسانية تصويراً حقيقياً وينفر منها وخصوصاً فى لزومياته وهو كالقصصى راسين يغلب الرذيلة على الفضيلة وينظر الى الاشياء من جهاتها القبيحة فهو من مذهب المتشائمين *Pessimisme* ولقد أدرك أبو العلاء المعرى على بعد عهده بالعصر الحاضر مايجب أن تكون عليه الفلسفة وان تبنى على التجاريب والمشاهدات على ما يقول هكسلى وسبنسر فقال :

فمن عجب نقفو أحاديث كاذب
ونترك من جهل بنا مانشاهد

فالشعر العربى والحالة هذه من قبيل الريالسم أكثر مما هو من قبيل الايديالسم

(القصص العربية) لقد نبغ كتاب من العرب فى كتابة القصص وبلغوا من قوة الخيال مبلغاً بعيداً جداً ولا برهان اكبر من القصص القديمة كقصة عنترة وأبى زيد وسيف بن ذى يزن والف ليلة وليلة وغيرها

هذه القصه ولوانها تحوى شيأ كثيرا من وقائع الجن والشياطين وما يماثلها مما يعده بعض الناس من قبيل الخيال فيذهب بذلك الى انها من نوع الايديالسم الا انها فى الحقيقة من النوع الآخر أى الريالسم لانها ولو حوت مثل هذه الخرافات فان ذلك كان شائعا فى عصور تأليفها وهى فى نقلها لا تمثل غير

حقيقة الواقع» انتهى ملقاله احمدباشا لطفى السيد

﴿دور الكتب فى العالم﴾ غرى الانسان منذ تعلم فن الكتابة بتدوين معلوماته وحفظها فنشأت دور الكتب بمعناها العام . وقد جمع منها شيء كثير لدى الامم القديمة بين مصرية وهندية وصينية ولا سبيل الى معرفة عدد مؤلفاتها وتاريخ تكوينها . وغاية مايعلم ان الكتب فى تلك الامم كانت تعتبر من الاشياء المقدسة التى لايجوز حفظها الا فى هياكل العبادة فكان فى هياكل مصر كتب تبحث فى الامور الاعتقادية والطب والزراعة . وقد ذكر المؤرخون ان رمسيس الكبير أحد فراعنة مصر كان قد جمع شيئا كثيراً من المؤلفات فى قصره وضعها تحت حماية الالهتين توت وسافرين فالى المصريين القدماء يعود اذن فضل تأسيس المكتبات الخاصة ولكن فضل تأسيس المكتبات العامة يعود الى اليونانيين الاولين . فقد ثبت ان بيزيستراتيدس أسس مكتبة عامة فى القرن السادس قبل ميلاد عيسى عليه السلام بقيت قائمة حتى أبادها الفاتح الفارسى اكسيركسيس بهدم تلك المدينة

ومن أشهر المكتبات اليونانية المكتبة التى أسسها بيرغام فى أواخر القرن الثالث قبل الميلاد المسيحى وقد نقلت هذه المكتبة فيما بعد الى الاسكندرية ولا ندرى ما حدث لها بعد ذلك

وأشهر من مكتبة بيرغام مكتبة الاسكندوية التى أسسها بطليموس سوتير (٣٢٣ـ٢٨٥) قبل الميلاد وقد ساعد هذا الملك فى جمع الكتب الفيلسوف ديمتريوس دوفالير فبلغ عدد مؤلفاتها نحو ٢٠٠،٠٠٠ كتاب

ويأتى بعد هذه المكتبة فى الشهرة مكتبة أرسطو التى أودعها كتبه وجميع ما عثر عليه من المؤلفات فى الفلسفة والعلم والادب

وقد اختلف المؤرخون فى عدد الكتب التى حوتها مكتبة الاسكندرية فقدرها بعضهم بـ٥٠٠٠٠٠ والبعض الآخر بـ٧٠٠٠٠٠ وليس لنا أن نثق بشيء من ذلك لان الكتب فى تلك المكتبة كانت مزدوجة

وقد تأسست فى رومية منذ أقدم تاريخها مكتبات رغماً عن احتقار الرومانيين اذ ذاك لمولدات العقول

وقد تأسست أولا مكتبة عامة فى رومية فى عهد الامبراطور اغسطوس بمساعدة العالم ارينيوس بوليون فسميت بالمكتبة الاوكتافية . والى هذا الامبراطور يعود أيضا فضل تأسيس مكتبة ابولون فى القصر الملكى وقد كانت هذه المكتبات الرومانية تحت إدارة علماء رومانيين أو يونانيين ولكن مما يؤسف له ان كل هذه المكتبات التى تكلفت القناطير المقنطرة من الذهب أبادها المتوحشون حين هجومهم على رومية

انتشر حب جمع الكتب من رومية الى المدن الاخرى فأقيم فى اكثرها مكتبات عامة كمكتبة النحوى الرومانى ايبافروديت شيرونيه التى كانت تحتوى على نحو ٣٠٠٠٠ كتاب ومكتبة مربى الامير غورديان لوجون (الشاب) التى كانت تحتوى على نحو ٦٢٠٠٠ كتاب

ثم زاد انتشار ذوق جمع الكتب فأصبح كل قصر فخم لسرى من السراة خال من دار الكتب يعد ناقصا وغير بالغ الغاية فى الفخامة

فلما جاءت القرون الوسطى كانت المكتبات القديمة بين يونانية ورومانية قد أدركها العطب فلم يبق منها الا عدد نزر من المؤلفات القديمة فكان للكنيسة المسيحية الفضل فى الاستيلاء عليها وحفظها بين جدرانها بعيدة عن الضياع ولكن مما يؤسف له أن القسوس كانوا اذا احتاجوا لشىء من الورق لكتابة دعواتهم ومواعظهم يعمدون الى أوراق تلك الكتب فيمحون ما عليها من الكتابات ويكتبون ما هم فى حاجة اليه فضاعت على هذه الصورة أثمن الكتب القديمة أو نقصت صفحاتها نقصا مخلا بها ولكن مع كل هذا فما بقى من آثار الاقدمين لم يوجد الا فى الكنائس المسيحية

فلما جاء الامبراطور شارلمان فى القرن الثامن بعد المسيح نشأت فى الامم الاوربية ناشئة من حب جمع الكتب فوجد مكتبات كثيرة فى الاديرة وبعض الدور الكبيرة

ثم ترقى هذا الميل بعد القرن العاشر بزيادة عدد الكتاب والمفكرين حتى جاء القرن الخامس عشر وانتشرت المجادلات الدينية بين البروتستانت والكاثوليك فزاد عدد الكتب زيادة عظيمة ثم تلاها اشراق نور العلم الطبيعى واختراع المطبعة فى القرن السادس عشر فنما عدد المؤلفات نموا لم

يسبق له مثيل وكثر محبو جمع الكتب بين الملوك والعلماء فتأسست المكتبات العامة في كل بلد حتى وصلت الى القرى

هذا ماكان من أمر الاوروبيين وأما ماكان من أمر المسلمين فانه ما تكونت لهم دولة في قرنهم الاول حتى هب قادة أفكارهم الى جمع الكتب على ندرتها لان الدين الاسلامي يدعو الى العلم والحكمة كما يدعو الى الصلاة والصيام بل جعل العلم بمعناه الاعم الوسيلة الوحيدة للخروج من ظلمات الشرك والالحاد والجهالة الى أنوار العقائد الحقة والحياة الانسانية الراقية . فقال تعالى : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون » « وقل رب زدنى علما » « يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً » بل جعل العلم وسيلة لفهم الدين فقال تعالى : « وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون » بل جعل العلم محك النظر في التمييز بين الحق والباطل في المعتقدات والمعاملات فقال تعالى لانصار الباطل : « هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ؟ » . فكان الاسلام بهذه الآيات وعشرات من أمثالها أقوى العوامل على نشر العلم بين العرب فهبوا هبة رجل واحد يطلبون العلم من مظانه . فجابوا الاقطار وتعرضوا للاخطار ، وقطعوا القارات والبحار ، وساكنوا الامم الاجنبية في بلادها ، ولم يدعوا وسيلة من الوسائل التي توصلهم الى زيادة معارفهم الا تذرعوا بها فجمعوا في القرن الاول من ظهور الاسلام بين علوم القدماء والمعاصرين لهم من الهنود والفرس والرومانيين واليونانيين وقاموا بترجمة ماوقع تحت أيديهم من المؤلفات الاجنبية وتنافس الملوك والامراء في ذلك السبيل حتى حصلوا على عدد من المؤلفات لم يتسن لغيرهم من الامم المتقدمة

قالت دائرة معارف (لاروسيه) تحت كلمة مكتبة: «كان للعرب مكتبات عظيمة القيمة في القاهرة والاسكندرية ، واذا صدقنا مايقولونه فقد كان عدد المؤلفات التي في مكتبة القاهرة يبلغ ١٦٠٠٠٠٠ كتاب . وكان لهم مكتبات أخرى في بغداد وطرابلس الشام وفارس ولما كانوا يملكون الاندلس كان لهم فيها ٧٠ مكتبة عامة منها مكتبة قرطبة التي يبلغ عدد كتبها ٤٠٠٠٠٠ مجلد »

وقال العلامة وليم درابر في كتابه

(المنازعة بين العلم والدين) عند كلامه على مدنية العرب :

« ذاق العرب فى الفنون الادبية كل مامن شأنه أن يحد القريحة ويصقل الذهن وقد افتخروا فيما بعد بأنهم أنجبوا من الشعراء بقدر ماأنجبت الامم كلها مجتمعة . اما فى العلوم فقد كان تفوقهم ناشئا عن الاسلوب الذى توخوه فى المباحث . وهو أسلوب أخذوه عن فلاسفة اليونان الاوربيين فانهم قد تحققوا ان الاسلوب العقلى النظرى لايؤدى الى التقدم . وان الامل فى وجدان الحقيقة يجب أن يكون معقوداً بمشاهدة الحوادث ذاتها ومن هنا كان شعارهم فى أبحاثهم الاسلوب التجريبى والدستور العملى الحسى . وكانوا يعتبرون الهندسة والعلوم الرياضية أدوات وممدات لعلم المنطق . وقد يلاحظ المطالع لكتبهم العديدة على الميكانيكا والايدروستاتيك (علم موازنة السوائل وضغطها على جدران أوعيتها) ونظريات الضوء والابصار بأنهم قد اهتدوا الى حلول مسائلهم من طريق التجربة والنظر بواسطة الآلات . وهذا هو الذى قاد العرب لان يكونوا أول الواضعين لعلم الكيمياء والمكتشفين لجملة آلات للتقطير والتصعيد والاسالة (اسالة الجوامد) والتصفية الخ وهذا بعينه أيضا هو الذى جعلهم يستعملون فى ابحاثهم الفلكية الآلات المدرجة والسطوح المعلمة والاسطرلابات (هى آلة لقياس أبعاد الكواكب) وهو أيضا الذى بعثهم لاستخدام الميزان فى العلوم الكيماوية ؛ وقد كانوا على ثقة تامة من نظريته ، وهو أيضا الذى أرشدهم لعمل الجداول عن الاوزان النوعية للاجسام . والازياج الفلكية و(هى جداول تعرف منها حركات الكواكب) مثل التى كانت فى بغداد وقرطبة وسمرقند وهو أيضا الذى اوجب لهم هذا الترقى الباهر فى الهندسة وحساب المثلثات ، وهو أيضا الذى هم بهم لاكتشاف علم الجبر ، ودعاهم لاستعمال الارقام الهندية . هذا هو ثمرة تفضيلهم لاسلوب أرسطو الاستدلالى على مقالات افلاطون الاستنتاجية

« ولقد دأبوا على جمع الكتب بصفة منتظمة لاجل ان يتوصلوا الى تكوين المكتبات التى تكلمت عنها وقد قيل ان المأمون نقل الى بغداد مائة حمل بعير من

الكتب وقد كان أحد شروط معاهدة الصلح بينه وبين الامبراطور ميشيل الثالث أن يعطيه احدى مكتبات القسطنطينية التى كان فيها بين الذخائر الثمينة الاخرى كتاب بطليموس على الرياضيات السماوية فأمر المأمون بترجمته للعربية وسماه المجبسطى وقد حصلت عناية بأمر هذه المكتبات حتى أن مكتبة القاهرة كان بها نحو من مائة الف كتاب معتنى بكتابتها وتجليدها غاية الاعتناء . وكان يوجد من بين هذه الكتب ستة آلاف وخمسمائة مجلد فى الطب والعلوم الفلكية فقط وكان من نظام هذه المكتبة أنها تعير كتبها للطلبة الساكنين فى القاهرة وكان بتلك المكتبة كرتان أرضيتان احداهما من الفضة والاخرى من البرنز قيل أن الاولى صنعها بطليموس الفلكى نفسه وانها استدعت ثلاثة آلاف كورون (سكة يونانية) من الذهب . وقد اشتملت مكتبة خلفاء الاندلس فيما بعد على ستمائة الف مجلد وكان جدول أسمائه وحده محويا فى أربعة وأربعين جزءاً . وغير هذا فقد كان بالاندلس سبعون مكتبة عامة وكثير من المكتبات الخاصة ومما يحكى أن أحد الدكاترة العرب رفض دعوة سلطان بخارى له محتجاً بأن كتبه لايمكن نقلها الا على أربعمائة بعير

ولقد كان يوجد فى كل مكتبة محل خاص للنسخ والترجمة . وقد كان لبعض الخاصة مثل ذلك . فان هونيان الطبيب النسطورى كان له محل من هذا القبيل ببغداد سنة (٨٠٥) ترجم فيه كتبا لارسطو وافلاطون وهيبوكرات وغاليان الخ أما المؤلفات الحديثة فقد كان من عادة أساتذة هذه الجامعة أن يؤلفوا كتباً فى الفروع العلمية التى تطلب منهم . وكان لكل خليفة مؤرخ خاص يكتب تاريخه ومن ينظر الى تلك الاقاصيص والحكايات التى هى مثل الف ليلة وليلة يعرف مقدار التصور الشعرى الذى كان لدى العرب . ولم يقف بحث العرب عند حد فقد كتبوا فى كل فن وفى كل علم كالتاريخ والشريعة والسياسة والفلسفة وتراجم الرجال وتراجم الخيول والابل وكل هذه المؤلفات كانت تنشر بدون رقابة ولاحجر ، وما يعلم من المراقبة على الكتب اللاهوتية فقد حدث فيما بعد هذا التاريخ . وقد كانت الكتب الزاخرة بالمعلومات التى تصلح لان تتخذ مادة فى المعلومات كثيرة جداً فى الجغرافيا

والاحصاءات والطب والتاريخ وقواميس اللغة . وكان لديهم دائرة معارف علمية ألفها محمد أبو عبد الله . وكان للعرب ذوق دقيق في صنع الورق النظيف الناصع البياض وفي اعطاء الحبر الالوان المختلفة وفي زخرفة وجوه الكتب بتشبيك تلك الالوان المختلفة من الحبر والابداع في تنميقها وتذهيبها على صفات شتى

« كان الملك الاسلامي العربي مملوءا بالمدارس والكليات ، وكانت بلاد المغول والتتار ومراكش والاندلس حاصلة على عدد عديد منها . وكان في طرف من أطراف هذه المملكة الواسعة التي فاقت المملكة الرومانية كثيرا مرصد في سمرقند لرصد الكواكب وكان يقابله في الطرف الآخر مرصد جيرالد في الاندلس » وقال جيبون (عند ذكر الحماية والرعاية التي بذلها المسلمون للعلوم ما يأتي) :

« كان أمراء المسلمين في الاقاليم يناظرون الملوك في حماية العلم والعلماء وكان من نتيجة تنشيطهم هذا للعلماء ان انتشر الذوق العلمي في المسافة الشاسعة التي بين سمرقند وبخارى الى فاس وقرطبة . ويروى عن وزير لاحد السلاطين انه تبرع بمائتي الف دينار لتأسيس كلية علمية في بغداد ووقف عليها خمسة عشر الف دينار سنويا وكان عدد الطلبة فيها ستة آلاف لافرق بين غني وفقير . فكان ابن السيد العظيم وابن الصانع الفقير على السواء وكانوا يكفون التلامذة الفقراء مؤنة دفع أجر التعليم ويعطون الاساتذة مرتباتهم بكرم وسماحة وكانت المؤلفات الجديدة الادبية تنسخ وتجمع سدا لحاجة أهل العلم وشهوة الاغنياء في جمع الكتب » انتهى

وقد أطلعنا على مقالة نشرها بالانجليزية القاضي خوده بخش قاضي قضاة حيدر آباد عن مكتبات المسلمين فآثرنا نقلها لما فيها من الفوائد . والترجمة لمجلة المقتطف

قال القاضي الفاضل :

(مكاتب المسلمين) المكاتب (الكتبخانات) دليل على كثرة المعارف وتفوق العمران وقد أثبت البحث في خرائب بابل وآشور ان الميل الى جمع الكتب ليس حديثا في الدنيا

« وبالانتقال من فجر التاريخ الى نهاره الساطع الضياء نجد في الرومان رغبة شديدة في جمع الكتب أما ليستفيد منها أفراد

الناس أو ليستفيد منها الجمهور ولقد ظهرت هذه الرغبة من كثيرين من ملوكهم ولا سيما من البيوس تراجنس الذى أنشأ أوسع المكاتب الملكية. ويقال انه كان فى رومية وحدها فى القرن الرابع للميلاد ثمان وعشرون مكتبة عمومية ولم تكن المكاتب محصورة فى العاصمة وحدها

«ولقد كان سقوط المملكة الرومانية الغربية بداءة انحطاط شأن المعارف فان البرابرة الذين اقتحموا تخومها تغلبوا عليها فنسيت معارف الرومان أو لم يبق لها شأن الا عند نفر قليل

«ومرت قرون على أوروبا تنازلت فيها عن حقها فى عضد المعارف لأمة أوجدها نداء الرسول العربى فان المسلمين وجهوا اعتناءهم الى رفع منار العلم بعد أن خرقوا سياج مملكة الروم وقوضوا دعائم مملكة الفرس. ومرت القرون الوسطى وأزمة العمران فى يد أبناء الصحراء

«ولا بأس بايراد فذلكة من تاريخ المعارف عند المسلمين تمهيداً للكلام على مكاتبهم:

«من البين أن العرب كانوا على شيء من المعارف حتى فى عصر الجاهلية يدلك على ذلك ما يروى عن سوق عكاظ حيث كان الشعراء يتبارون ويحكم بالسبق للمبرزين منهم فتكتب قصائدهم فى القباطى وتعلق على الكعبة اكراما لهم. الا أن أقدم المحفوظ من أشعارهم لا يمتد الى أبعد من قرن قبل الهجرة ولو قال قوم خلاف ذلك. ولم تعرف الكتابة عندهم الا قبل الهجرة بزمن يسير غير أنها دفعتهم لتسطير المحفوظ من أخبارهم وأشعارهم ومهدت السبيل الى ارتقائهم العقلى وتلا ذلك ان أبا الاسود الدؤلى وضع قواعد النحو باشارة الامام على فكان هذا مبدأ تدوينهم علوم اللغة

«وبقيت معارف العرب قليلة جداً حتى موت النبى ولكن لم يمض عليهم وقت طويل حتى اتصلوا بالفرس والروم فعرفوا فوائد الحضارة وكان الفرس الذين بلغوا شأوا رفيعا من العمران فى عهد آل ساسان معلميهم الأولين ويتلوهم السريان الذين أرشدوهم الى علوم اليونان وفلسفتهم فتعلموا من الفرس الغناء والبناء والنقش والسياسة والفلسفة وحب التحلى والتأنق وأكثر علماء الاسلام من سكان بخارى وخراسان وبلخ ومن تلامذة مدارس

البصرة ونيسابور وسمرقند وهرات من أصل فارسى أو تركى . أما علوم اليونان فجاءت على يد نصارى نصيبين والرهاء وكان أكثرها حملة العلم من الموالى كما قال الخليفة عبد الملك

«ولم يكد المسلمون يدخلون ميدان العلم حتى خطوا فيه الخطى الطوال وسار خلفاؤهم وكبراؤهم فى مقدمتهم ولم يكن قد نشأ فيهم شىء من التعصب الدينى الذى من شأنه احتقار ما عند غيرهم من العلم والفلسفة بل تعلموا من الامم التى غلبوها وأتقنوا علومها وأول مدرسة علمية فى القرون الوسطى كانت مدرسة طليطلة التى أنشأها العرب وكانت مدرسة القاهرة المعروفة ببيت الحكمة على الاسلوب الذى أشار به الفيلسوف باكون بعد ذلك بزمن طويل

«وأول من عنى بجمع كتب العلم من امراء المسلمين خالد بن يزيد الاموى وقد ذكره ابن خلدون ونفى ما نسب اليه ولكن الاستاذ شبلى خطأ ابن خلدون وأثبت الفضل لخالد مستشهداً بما قاله ابن نديم الذى قال ان خالداً كان من أعلم الناس بفنون العلم وله كلام فى صناعة الكيمياء والطب وكان بصيرا بهذين العلمين متقنا لهما وله رسائل دالة على معرفته وبراعته وبأمره ترجمت كتب الطب والكيمياء من اليونانية والقبطية وبقيت رسائله الى زمن ابن نديم

«ولما تمهدت الامصار للخلفاء أخذوا فى جمع كتب العلم الى أيام ابى جعفر المنصور فعنى بترجمة كتب الفرس واليونان حتى اذا كثرت الكتب المترجمة والمؤلفة لدى الرشيد بنى لها بيت الحكمة وجعله خزانة لها وديوانا للمترجمين فتقاطر العلماء الى بلاد المسلمين وكانت الكتب المجموعة فى بيت الحكمة بلغات مختلفة فارسية ويونانية وقبطية وسريانية وكان يحيى بن خالد البرمكى رئيس هذه النهضة ومقدامها فاعتنى خصوصا بنقل علوم الفرس لأنه فارسى ونقل علوم الهند أيضا

«وجاء المأمون بعد الرشيد فاقتفى خطواته وزاد فى جمع الكتب وترجمتها ويقال انه أنفق على ترجمة كتب اليونان ثلثمائة الف دينار . ولما كان فى مرو راقت له أساليب الفرس فاقتدى باردشير وجمع كثيرا من التحف القديمة مما كان فى بلاد العرب قبل الاسلام من ذلك كتابة كتبها عبد المطلب بيده وبقى جانب من

الكتب التى جمعها الى القرن السابع من الهجرة ورآها ابن ابى اصيبعة (صاحب كتاب طبقات الاطباء). والاهتمام بجمع الكتب وترجمتها دعا الى الاهتمام بصناعة النساخة والتجليد فاشتهر بالاولى ابن البواب وابن مقلة وزير المقتدر بالله وياقوت المستعصى ومير على وكان العرب يتنافسون فى اجادة الخط كما يتنافس وغيرهم فى التصوير حتى ان الخليفة عثمان كتب بيده أربع نسخ من المصحف ارسلها الى الآفاق واقتفى أثره الحجاج بن يوسف الثقفى وأهدى نسخ المصحف التى نسخها بيده الى عواصم المملكة

« وكان السلطان ابراهيم بن محمود الغزنوى يجيد الخط ويكتب نسخة كاملة من القرآن كل سنة يرسل بها الى مكة وذكر ابن خلدون أن السلطان أبا الحسن سلطان افريقية كتب نسخة من القرآن بيده وبعث بها الى مكة ونسخة اخرى بعث بها الى المدينة وكان ينوى كتابة نسخة ثالثة يبعث بها الى بيت المقدس فتوفى قبل اتمامها

«وانتشرت الرغبة فى جمع الكتب فى بغداد كلها اقتداء بالمأمون وكان كبراء الامة لا يضنون بمال فى هذا السبيل فأنشأ الفتح بن خاقان وزير المتوكل بالله مكتبة عظيمة وكان وزيره الواثق بالله ينفق ثلاثين الف دينار كل شهر على ترجمة الكتب ونسخها

«وكانت كتب الواقدى (فى القرن التاسع) تملأ ستمائة صندق ويقتضى حملها مئة وعشرين جملا

«ولما انتقلت الخلافة من بنى امية الى بنى العباس هرب عبد الرحمن الاموى الى الاندلس فرحب به أهلها وأنشأ دولة فى قرطبة فناظرت القاهرة وبغداد وفاقتهما وبلغت علوم العرب أوجها فى بلاد اسبانيا فلها أوربا مديونة أعظم دين لانها أوقدت مصباح المعارف فى أوربا. وكان للمستنصر بالله الحكم سلطان قرطبة اليد الطولى فى هذه النهضة العلمية فانه جلب كتب الفلسفة من البلاد الشرقية وأمر بترجمتها. قال المقرى: « كان يبعث فى شراء الكتب الى الاقطار رجالا من التجار ويرسل اليهم الأموال لشرائها حتى جلب منها الى الاندلس مالم يعهدوه وبعث فى كتاب الاغانى الى مصنفه ابى الفرج الاصفهانى وأرسل اليه الف دينار من الذهب العين

البعث اليه بنسخة منه قبل ان يخرجه الى العراق . وجمع بداره الحذاق فى صناعة النسخ والمهارة فى الضبط والاجادة فى التجليد فأوعى من ذلك كله واجتمعت بالاندلس خزائن من الكتب لم تكن لاحد من قبله ولا من بعده الا مايذكر عن الناصر العباسى بن المستضىء ولم تزل هذه الكتب بقرطبة الى ان بيع اكثرها فى حصار البربر» واثبت ابن خلدون ان اسماء دواوين الشعر كانت تملأ ٨٨٠ صفحة

«واختلف المؤرخون فى عدد الكتب التى كانت فى خزائن الحكم ولكنهم اتفقوا على انها كانت كثيرة وكان على كثير منها شروح وحواش بيده

«وخلف الحكم ابنه هشام المؤيد بالله وكان صغيرا فولى الاحكام وزيره المنصور ابن أبى عامر وكان كارها للفلسفة فأتلف كتب الحكمة والهيئة وكل مافيها من علوم الاوائل وأبقى كتب اللغة والشعر والتاريخ والفقه والحديث وظل الحال على هذا المنوال والناس على غير رأى الحكم الى ان انقرضت دولة بنى امية من الاندلس

«ثم كثرت الفتن فى البلاد وعبثت بالكتب الايدى فنقل بعضها الى اشبيلية وبعضها الى غرناطة وبعضها الى الالميرة وغيرها من العواصم . وبلغ عدد المكاتب العمومية فى اسبانيا لما كانت فى أوج مجدها فى عصر العرب سبعين مكتبة ولايزال فيها حتى الآن كثير من كتب العرب رغما عما مر بها من ازمنة البؤس ورغما عما أبداه النصارى وقت اخراجهم العرب

« نقل المقرى عن الحضرمى ماخلاصته . ان الحضرمى كان يقيم فى قرطبة ويحضر سوق الكتب كل يوم عساه يعثر على كتاب كان يتطلبه وظل على ذلك اياما واخيرا اعثر على الكتاب المطلوب فسامه وصار كلما زاد الثمن زاده الدلال أكثر حتى بلغ مبلغا فاحشا لايستحقه فقال للدلال من مناظرى فى ابتياع هذا الكتاب فأراه رجلا من الكبراء فحياه الحضرمى قائلا حيا الله مولانا الاستاذ علامَ تغالى فى هذا الكتاب فقد فاق ثمنه مايستحقه فان كنت ترغب فيه فهو لك من غير مزايدة فقال الرجل لست أستاذاً ولاأنا عارف موضوع الكتاب ولكن فى بيتى خزانة كتب جمعتها ليعلو بها شأنى

بين أقرانى ولم يزل فيها فراغ يسع هذا الكتاب فأريد أن أبتاعه لتتم به

«ولما عقد الصلح بين أبى سيف سلطان المغرب الاقصى وبين دون سنخو كان من جملة شروطه ان يردد دون سنخو الكتب التى غنمها من كتب المسلمين فردها ووضعها السلطان فى المدرسة التى بناها بفاس لكى يطالعها طلبة العلم

«ولما ضعف شأن الخلفاء العباسيين وقوى ملوك الطوائف استقل بنو سامان فى بخارى وبنو حمدان فى الشام وبنو بويه فى شيراز والفاطميون فى مصر وكانت هذه الدول المستقلة تتنافس فى رفع شأن العلم وتقريب رجاله فأنشأ نوح بن منصور سلطان بخارى مكتبة كبيرة قال عنها ابن سينا انه دخلها وكانت عديمة المثال فيها من كل فن من الكتب المشهورة بأيدى الناس وغيرها مما لا يوجد فى سواها ولا سمع باسمه فضلا عن معرفته فظفر فيها بكتب من علم الاوائل وغيرها وحصل نخب فوائدها واطلع على اكثر علومها

«ونوح بن منصور هذا هو الذى عرض الوزارة على الصاحب بن عباد فاعتذر عن قبولها بأنه لا يستطيع ان ينتقل اليه ما لم يأخذ معه كتبه وهى حمل اربع مئة جمل

«وذكر البشارى ان عضد الدولة أنشأ فى شيراز اكبر المكاتب وجعلها فى جانب من قصره ولم يكن لها مثيل فى ممالك الاسلام . وقال الامام الثعالبى انه ما من دار من دور الامراء بعد العباسيين كانت كثيرة الكتب مثل دار سيف الدولة وهو الذى قرب أبا نصر الفارابى وكان يجرى عليه النفقة الى حين وفاته . وقضى ابو الفرج الاصفهانى خمسين سنة فى جمع كتاب الاغانى وحمله اليه فأجازه بألف دينار واعتذر اليه عن قلة المال لديه

«وهاك ما ذكره ابن نديم عن مجموع آخر من الكتب وهو حقيق بالنظر والاعتبار

«قال محمد بن اسحق كان بمدينة الحديثة (مما يلى الموصل) رجل يقال له محمد بن الحسين ويعرف بابن أبى بعرة جمّاعة للكتب له خزانة لم أرَ لأحد مثلها كثرة تحوى على قطعة من الكتب العربية فى النحو واللغة والادب والكتب القديمة . فلقيت هذا الرجل دفعات فأنس بى وكان نفوراً ضنيناً بما عنده خائفا من بنى حمدان فأخرج لى قمطراً كبيراً فيه نحو

ثلثمائة رطل جلود فلجان وصكاك وقرطاس مصرى وورق صيني وورق تهامى وجلود أدم وورق خراسانى فيها تعليقات عن العرب وقصائد مفردات من اشعارهم وشيء من النحو والحكايات والاخبار والاسماء والانساب وغير ذلك من علوم العرب وغيرهم . وذكر ان رجلا من اهل الكوفة ذهب عنى اسمه كان مشتهراً بجمع الخطوط القديمة وأنه لما حضرته الوفاة خصه بذلك لصداقة كانت بينهما وافضال من محمد بن الحسين عليه ومجانسة المذهب فانه كان شيعيا . فرأيتها وقلبتها فرأيت عجبا الا ان الزمان قد أخلقها وعمل فيها عملا أدرسها وأحرقها وكان على كل جزء أو ورقة مدرج توقيع بخطوط العلماء واحدا أثر واحد فذكر فيه خط من هو وتحت كل توقيع آخر خمسة وستة من شهادات العلماء على خطوط بعض لبعض ورأيت فى جملتها مصحفا بخط بن ابى الهياج صاحب على رضى الله عنه . ثم وصل هذا المصحف الى عبد الله بن حسان رحمه الله ورأيت فيه بخطوط الامامين الحسن والحسين ورأيت عنده امانات وعهودا بخط أمير المؤمنين على عليه السلام وبخط غيره من كتاب النبى صلى الله عليه وسلم ومن خط العلماء فى النحو واللغة مثل ابى عمرو اسحق بن العلاء وابى عمرو الشيبانى والاصمعى وابن الاعرابى وسيبويه والفراء والكسائى ومن خطوط اصحاب الحديث مثل سفيان بن عيينة وسفيان الثورى والاوزاعي وغيرهم ورأيت مايدل على أن النحو عن ابى الاسود ما هذه حكايته وهى اربعة أوراق أحسبها من ورق الصين ترجمتها هذه فيها كلام من الفاعل والمفعول من أبى الاسود رحمة الله عليه بخط يحيى ابن يعمر وتحت هذا الخط بخط عتيق هذا خط علان النحوى وتحته هذا خط النضر ابن شميل . ثم لما مات هذا الرجل فقدنا القمطر وما كان فيه فما سمعنا له خبراً ولا رأيت منه غير المصحف هذا على كثرة بحثى عنه»

(المقتطف ذكر ما تقدم أبو الفرج محمد بن اسحق الوراق البغدادى المعروف بابن اسحق النديم فى كتاب الفهرست الذى ألفه سنة ٢٧٧ للهجرة)

«وذكر ياقوت الرحالة المشهور أنه رأى فى مرو اكثر من اثنى عشر خزانة للكتب وهناك جمع أكثر ماذكره فى

معجم البلدان وكان أصحاب الكتب لا يضنون عليه بكتاب يستعيره منهم وكثيرا ماكان يبقى عنده مئون من الكتب المستعارة

«وقد اشرت قبلا الى خزائن الكتب التي جمعها الحكم في الاندلس وأقول الآن انه لم يفقها الا خزائن الكتب التي جمعها الخلفاء الفاطميون في القاهرة. وقد اختلف المؤرخون في عدد ما كان فيها من الكتب وهي مائة الف مجلد على أقل تقدير وكان فيها كرتان الواحدة قديمة جداً والثانية صنعها ابو الحسن لاسد الدولة

«وسنة ٣٩٥ أنشأ الخليفة الحاكم دار العلم المساة ايضا دار الحكمة وجمع اليها أعظم علماء العصر في كل فن وقطع لهم ٢٥٧٠ دينارا في السنة نفقة

«ثم تفرق الجانب الاكبر من هذه الكتب ايدي سبا وصارت تعطى للناس بدل رواتبهم

(المقتطف وقد اشار الكاتب بذلك الى ما ذكره المقريزي في خططه فرأينا ان ننقل كلام المقريزي برمته اتماما للفائدة قال نقلا عن المسبحي: « انه ذكر عند العزيز بالله كتاب العين للخليل بن احمد فأمر خزان دفاتره فأخرجوا من خزائنه نيفا وثلاثين نسخة من كتاب العين منها نسخة بخط الخليل بن احمد • وحمل اليه رجل نسخة من كتاب تاريخ الطبري اشتراها بمئة دينار فأمر العزيز الخزان فأخرجوا من الخزانة ماينيف على عشرين نسخة من تاريخ الطبري منها نسخة بخطه . وذكر عنده كتاب الجمهرة لابن دريد فأخرج من الخزانة مئة نسخة منها .وقال في كتاب الذخائر عدة الخزائن التي برسم الكتب في سائر العلوم بالقصر اربعون خزانة من جملتها ثمانية عشر الف كتاب من العلوم القديمة قال وكنت بمصر في العشر الاولى من محرم سنة ٤٦١ فرأيت فيها خمسة وعشرين جملا موقرة كتبا محمولة الى دار الوزير ابي الفرج محمد بن جعفر المغربي فسألت عنها فعرفت ان الوزير أخذها من خزائن القصر هو والخطير ابن الموفق في الدين بايجاب وهبت لهما عما يستحقانه وغلمانهما من ديوان الحسيبين وان حصة الوزير منهما قومت عليه من جاري مماليكه وغلمانه بخمسة آلاف دينار ونهب جميعها من داره يوم انهزم ناصر الدولة بن حمدان من مصر في صفر من

السنة المذكورة مع غيرها مما نهب من دور
من سار معه . هذا سوى ما كان فى خزائن
دار العلم بالقاهرة وسوى ماصار الى عماد
الدولة أبى الفضل بن المحترق بالاسكندرية
ثم انتقل بعد مقتله الى المغرب وسوى ما
ظفرت به لواتة محمولا مع ما صار اليه
بالابتياع والغصب فى بحر النيل الى
الاسكندرية فى سنة احدى وستين واربعمائة
ومابعده من الكتب الجليلة المقدار المعدومة
المثل فى سائر الامصار صحة وحسن خط
وتجليداً . غرابة التى اخذ جلودها عبيدهم
واماؤهم برسم عمل مايلبسونه فى أرجلهم
وأحرق ورقها تفاؤلا منهم انها خرجت
من قصر السلطان أعز الله انصاره وان
فيها كلاما من المشارقة يخالف مذهبهم
سوى ما غرق وتلف وحمل الى سائر الاقطار
ونقى منها ما لم يحرق وسفت عليه الرياح
التراب فصار تلالا باقية الى اليوم فى نواحى
آثار تعرف بتلال الكتب. وقال ابن
الطوير خزانة الكتب كانت فى احد مجالس
المارستان اليوم يعنى المارستان العتيق
فيجىء الخليفة راكبا ويترجل على الدكة
المنصوبة ويجلس عليها ويحضر اليه من
يتولاها وكان فى ذلك الوقت الجليس ابن
عبدالقوى فيحضر اليه المصاحف بالخطوط
المنسوبة وغير ذلك مما يقترحه من الكتب
فان عن له أخذ شيء منها أخذه ثم يعيده
وتحتوى هذه الخزانة على عدة رفوف فى
دور ذلك المجلس العظيم والرفوف مقطعة
بحواجز وعلى كل حاجز باب مقفل
بمفصلات وقفل وفيها من أصناف الكتب
ما يزيد على مائتى الف كتاب من المجلدات
ويسير من المجردات . فمنها الفقه على سائر
المذاهب والنحو واللغة وكتب الحديث
والتواريخ وسير الملوك والنجامة والروحانية
والكيمياء من كل صنف النسخ ومنها
النواقص التى ما تممت كل ذلك بورقة
مترجمة وملصقة على باب كل خزانة وما فيها
من المصاحف الكريمة فى مكان فوقها وفيها
من الدرج بخط ابن مقلة ونظائره كابن
البواب وغيره وتولى بيعها ابن صورة فى
أيام الملك الناصر صلاح الدين فاذا أراد
الخليفة الانفصال مشى فيها مشية لنظرها
وفيها ناسخان وفراشان صاحب المرتبة
وآخر فيعطى الشاهد عشرين دينارا
ويخرج الى غيرها . وقال ابن ابى طي بعد
ما ذكر استيلاء صلاح الدين على القصر
ومن جملة ماباعوه خزانة الكتب وكانت

من عجائب الدنيا ويقال انه لم يكن فى جميع بلاد الاسلام دار كتب أعظم من التى كانت بالقاهرة فى القصر ومن عجائبها انه كان فيها الف ومائتا نسخة من تاريخ الطبرى الى غير ذلك ويقال انها كانت تشتمل على الف الف وستمائة الف كتاب ومن الخطوط المنسوبة أشياء كثيرة. انتهى. ومما يؤيد ذلك أن القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على لما أنشأ المدرسة الفاضلية بالقاهرة جعل فيها من كتب القصر مائة الف كتاب مجلد. وباع ابن صورة دلال الكتب منها جملة فى مدة أعوام فلو كانت كلها مائة الف لما فضل عند القاضى الفاضل منها شيء. وذكر ابن أبى واصل ان خزانة الكتب كانت تزيد على مائة الف وعشرين مجلداً » انتهى ما ذكره المقريزى

«وذكر المقريزى وابو المحاسن والنويرى ان من جملة ما وجد فى دار امين الدولة ابى يحيى السامرى كتب ثمينة يبلغ عددها مئة الف مجلد وبعضها من خط اعظم النساخ ولما توفى الامام نور الدين على ابن جابر فى القاهرة سنة ٧٢٥ وجد فى خزانة كتبه ١٦ آلاف مجلد

«والظاهر ان جانباً كبيراً من الكتب التى كانت فى القاهرة حمل الى الشام فوضع بعضه فى طرابلس وحرقه الصليبيون لما فتحوها سنة ٥٠٢ للهجرة على ما قاله مؤرخو العرب والبعض الآخر وضع فى المدرسة الناصرية بدمشق التى بناها الملك الناصر يوسف الايوبى. وذكر النويرى ان الملك الناصر بعث من جملة هدية الى الخليفة فى بغداد ثلثمائة مجلد بديعة بالنسخ

«وقال ابن خلدون ان الوزير أبا الحسن على بن يوسف القفطى جمع من الكتب مالا يوصف تصيدها من الآفاق وكان لا يحب من الدنيا سواها وأوصى بكتبه للناصر صاحب حلب وكانت تساوى خمسين الف دينار

وقال احمد العسقلانى المؤرخ عن محمد بن يعقوب الفيروزبادى مؤلف القاموس انه لم يكن يسافر الا ومعه احمال كثيرة من الكتب ومن الغريب ان افريقية لم تكن دون غيرها من ممالك الاسلام فى الكتب والمكاتب فقد قال مؤرخ من أهالى القيروان ان قاضيها واسمه ابو الفضل احمد جمع كتبا بيعت بعد وفاته بألف دينار. ولما استولى الافرنج على سبتة سنة ٨١٧ للهجرة حملوا منها كل ما وجدوه فيها حتى كتب العلم وكانت كثيرة

ومما يذكر بالأسف ان مؤرخى

العرب لم يذكروا تاريخ المكاتب العربية وكل ماذكروه عنها جاء عرضا فى كلامهم على غيرها . وقد ذهبت هذه المكاتب أيدى سبا ولا سبيل لجمع شملها الآن فان الفتن السياسية والحروب الاهلية والخصومات الدينية كل ذلك قلّص ظل العمران وأبعد العلم والعرفان عن معالم الاسلام. ولولا المغول الذين فاجأوا ممالك المسلمين كالسيل العرم واستباحوا محارمها وقوضوا معالمها لبقيت من كنوزها العلمية بقية تذكر الى اليوم فانهم لما فتحوا بخارى وسمرقند غالوا فى التخريب والتدمير فحرق ابن هولاكو مدرسة مسعود بك فى بخارى سنة ٦٧١ وكانت من أوسع دور العلم فى ذلك العصر فالتهمت النار كتبها الكثيرة ولما فتح هلاكو مدينة حماة باع كتبها بأبخس الاثمان. واثبت ابن بطوطة ان التتار قتلوا فى العراق اربعة وعشرين الفا من العلماء ولم ينج منهم الا اثنان

«ولا بد لى قبل ختم هذه المقالة من ان اشير الى حال الهند فأقول : ان المغول عادوا الى تعضيد العلم بعد ان تمهدت لهم الامصار ولو لم يبلغوا فى ذلك شأو العرب فى بغداد والقاهرة وقرطبة فأبناء جنكيز خان وتيمورلنك اعتنقوا الاسلام ورفعوا منزلة علمائهم وتحت لوائهم نشأ نصير الدين الطوسى وقطب الدين الشيرازى وسعد الدولة التفتازى وغيرهم من المشاهير وكان لدولة المغول فى الهند اليد البيضاء فى تعضيد العلوم والفنون وكان السلطان شاه جهان كثير المطالعة مغرما بالكتب واقتنى عادل شاه وقطب شاه صاحبا دكان خطه سلاطين المغول من حيث الاهتمام بالعلم وتقريب العلماء فنشأت مكاتب كثيرة فى بلاد الهند ولكن لم يبق منها اثر بعد الفتنة لانها حرقت او اخذت كتبها منها والقليل الذى بقى من كتب الهند بيع بثمن بخس

«وعسى أن لا أنسب الى التباهى اذا اشرت الى المكتبة التى وهبتها لمدينة بطنابه لان غرضى من ذكرها انما هو تنبيه المستشرقين اليها. وهذه المكتبة فى كنف الحكومة الآن وهى تعتنى بحفظها شديد الاعتناء ولكنها تبقى دون المراد حتى تضاف اليها مطبع تطبع مافيها من الكتب النادرة المثال وتنشرها على الملأ وقد كان المرحوم والدى شديد الغرام بالكتب وانفق على جمعها واستنساخها اكثر دخله فبلغ عددها حين وفاته ١٤٠٠ مجلد ولما حضرته الوفاة

أوصاني بها وأمرني أن أجعلها مكتبة عمومية حالما أستطيع ذلك وقد ورثت منه محبة جمع الكتب وجمعت كثيرا منها بعد وفاته وفتحتها للجمهور سنة ١٨٩١ وكان فيها حينئذ سبعة آلاف مجلد من كتب الخط وعدد كتب الخط فيها الآن ثمانية آلاف وفيها أيضا نخبة كبيرة من الكتب الانجليزية العلمية والادبية

«وفي هذه المكتبة كثير من الكتب لمشاهير المستشرقين مثل ده صاصي والسر غور أرزلي والمستر بلنشمان من مدرسة كلكتا وعلى بعضها حواش بخطهم

«اشرت سابقا الى ماحل بالكتب العربية في زمن الفتن السياسية والحروب الصليبية ولذلك قلت الكتب التي ألفت بين القرن الثاني والسابع للهجرة ومايوجد من الكتب العربية الآن مؤلف اكثره بين اواسط القرن السابع واواخر القرن الحادي عشر للهجرة ولكنني توفقت الى جمع كتب قديمة في الفلك والجراحة والطب والفلسفة والتعاليم واكثرها مخطوط بأقلام اناس من المشاهير

«قد وصفت هذه الكتب بالاسهاب في المجلد الاول من الفهرست الذي طبعته من ذلك كتاب خط للزهراوي في الجراحه تاريخه سنة ٥٨٤ للهجرة وفيه صور الآلات الجراحية مصورة بالاتقان التام ويستدل منها على أن بعضها كان مثل الآلات الجراحية التي يظن انها اخترعت منذ عهد قريب . ومنها كتاب ديسقوريدس في النباتات الطبيـة الذي ترجمه العرب في تاريخ هرون الرشيد والنسخة التي عندي هي نفس النسخة التي وضعها جلال الدين شروانشاه في صيدلة شيراز منذ ستمائة سنة وفي المكتبة كتب كثيرة ألفها علماء العرب في هذا الموضوع بانين اياها على كتاب ديسقوريدس . وفيها أيضا كتاب قديم جداً من كتب ثابت بن قرة وشيء من كتب نصر الدين الفارابي وعبد الرحيم البيروني. وقال لي احد مشاهير المستشرقين ان النسخة التي عندنا من شرح المعلقات للنحاس أصح من النسخ التي في مكاتب اوروبا. وفيها كتب كثيرة من كتب سلاطين دهلي واكثر من اربع مئة ديوان من دواوين الشعر وبعضها مكتوب بخط بديع مذهب

وفيها كثير من كتب الدين كالحديث والفقه والاصول والتفسير وعليها تواقيع

كثيرين من مشاهير المؤلفين السبكى والذهبى وابن حجر وتاريخ الهند كتبه كثيرون من الكتاب المسلمين وترجمان سلاطين المغول

«هذه الكتب نادرة المثال واذا لم تبذل العناية بحفظها فقدت فى نصف قرن وعلى المتولين أمر هذه المكتبة الآن ان يهتموا بتنقيح هذه الكتب وطبعها . وعسى أن تهتم حكومة الهند بطبع كتب الادب والتاريخ المهمة ونشرها بدلا من تركها مدفونة فى زوايا المكاتب فانها اذا فعلت ذلك أفادت الجمهور باذاعتها كتبا يود الكثيرون الوقوف عليها

«واذا التفتنا الى مايحيق الآن بالمسلمين من جهل كالليل الدامس رأينا تاريخ المعارف التى كان لهم فيها القدح المعلى رواية بديعة لايكاد يرجى عودها . لكن على المرء ان يطرق باب الامل فلنرج أن فجر المعارف قد دنا والامل بحسن المآل لىس بعيداً وان المسلمين الذين استيقظو الآن من سباتهم ورأوا أن لابد لهم من مجاراة الامم التى سبقتهم فى العمران سيحرزون قصب السبق فى العلم والعمل . انتهى مانقناه

﴿ أشهر مكتبات العالم عدد كتبتها ﴾

المدينة	اسم المكتبة	تاريخ تأسيسها	عدد مطبوعاتها	عدد مخطوطاتها
اكس	ميجان	١٤١٨	مئة الف	١٢٠٠٠
بوردو	المدينة	١٧٣٨	مئة واربعون الفا	٢٠٠
ليون	المدينة		مئة وخمسة وستون الفا	٢٤٠٠
باريس	الاهلية	١٣٥٠	مليون ومئة الف	١٥٠٠٠٠
باريس	دار الصناعة	١٧٨١	مئة الف وخمسة وعشرون الفا	٦٠٠٠
باريس	سانت جنفيف	١٦٢٤	مئة الف	٢٥٠٠
باريس	سازارين	١٦٦٠	مئة وستون الفا	٠٠٠٠
باريس	السوربون		مئة واربعون الفا	١٠٠٠
باريس	المجامع العلمية	١٧٥٩	مئة الف	

المدينة	اسم المكتبة	تاريخ تأسيسها	عدد مطبوعاتها	عدد مخطوطاتها
باريس	المدينة	١٧٥٩	مئة الف	
روان	المدينة	١٨٠٩	مئةوعشرون الفا	١٠٠٠
تروا	المدينة		مئة الف	٥٠٠٠
كامبردج	الكلية	١٤٧٥	اربع مئة الف	٣٠٠٠
دوبلين	كلية التثليث	١٦٠١	مئةوخمسةواربعون الفا	١٦٠٠
ادنبورغ	المحامين	١٦٨٠	ثلاث مئة الف	
ادنبورغ	الكلية	١٥٨٠	مئةوخمسون الفا	٣٠٠٠
غلاسكو	الكلية	١٤٧٣	مئة الف وخمسة آلاف	
ليفربول	العامة	١٨٥٠	مئة الف	
لوندرة	دار الآثار	١٧٥٣	مليون ومئة الف	
مانشستر	العامة	١٨٥٢	مئة وعشرون الفا	
اكسفورد	بوردليان	١٥٩٨	٣٠٠ الف و٣٥ الفا	٣٠٠٠٠
ارغزبورغ	المدينة	١٥٣٧	مئة وخمسون الفا	
برلين	الملكيه	١٦٥٠	سبع مئة الف	١٤٠٠٠
بون	الكلية	١٨١٨	مئتا الف	١٠٠٠
برسلو	الكلية	١٨١١	ثلاث مئة وخمسون الفا	٢٥٠٠
كارلسرو	المركزية		مئة الف وخمسة آلاف	١٣٠٠
كاستيل	المالكية	١٥٨٠	مئة الف	٤٠٠
دار مستاد	الغراندوقية	١٧٦٠	اربع مئةوخمسون الفا	٤٠٠٠
درسد	الملكية	١٥٥٥	خمس مئة الف	٣٠٠٠
ارلنجين	الكلية	١٧٤٣	مئة وعشرون الفا	١٠٠٠
فرانكفورت	المدينة		مئة الف	

المدينة	اسم المكتبة	تاريخ تأسيسها	عدد مطبوعاتها	عدد مخطوطاتها
فريبورغ	الكليـة	١٤٥٧	مئتان وخمسون الفا	
غيش	الـكلية	١٦٠٧	مئة الف	١٥٠٠
غوثا	الدوقية	١٦٤٠	مئة وخمسون الفا	٥٠٠٠
غوتينجن	الـكلية	١٧٣٤	اربع مئةالف	٥٠٠٠
غرفسوالد	الـكلية	١٦٠٤	مئة الف	
هال	الكلية	١٦٩٦	مئة الف	
هامبورغ	المدينة	١٥٢٩	مئتا الف	٥٠٠٠
هانوفر	الملكية	١٦٩٠	مئة وعشرون الفا	٢٠٠٠
هيدلبرغ	الكلية	١٧٠٣	مئتان وعشرون الفا	٢٠٠٠
يينا	الكلية	١٥٤٨	مئتا الف	
كييل	الكلية	١٥٦٥	مئة وأربعون الفا	
كولسبرغ	الكلية المدينة	١٥٤٤	مئتا وعشرون الفا	
لبزغ	الكلية	١٥٤٣	مئتا الف	٢٥٠٠
لبزغ	المدينة	١٦٧٧	مئة وسبعون الفا	٢٠٠٠
ماربورغ	الكلية	١٥٢٧	مئة الف	
مايانس	الكلية		مئة وعشرون الفا	١٥٠٠
مونيخ	الملكيه	١٦٦٠	تسع مئة الف	٢٢٠٠٠
مونيخ	الكلية	١٥٧٥	مئتان وثلاثون الفا	٢٠٠٠
روستوك	الكلية	١٤١٦	مئة وعشرون الفا	
ستراسبورغ	المدينة	١٥٣١	ثلاث مئة الف	
ستتوغار	الملكية	١٧٦٥	ثلاث مئة الف	٣٥٠٠
تريف	المدينة	١٧٧٤	مئة الف	

المدينة	اسم المكتبة	تاريخ تأسيسها	عدد مطبوعاتها	عدد مخطوطاتها
توبنجين	الكلية	١٤٧٧	مئتا الف	٢٠٠٠
ويمر	الغراندوقية		مئة وخمسون الفا	٢٠٠٠
ولفنبوتل	الدوقية	١٦٠٤	مئتان وخمسة وسبعون الفا	٥٠٠٠
ورزبرغ	الكلية	١٤٠٣	مئة الف	١٥٠٠
كاركوف	الكلية	١٣٦٤	مئة وأربعون الفا	٥٤٠٠
بيست	الاهلية	١٨٠٤	مئتا الف	
بيست	الكلية		مئتا الف وخمسة آلاف	١٠٠٠
براغ	«	١٣٥٠	مئة واثنان واربعون الفا	٤٠٠٠
فينا	»	١٤٤٠	ست مئة الف	٢٠٠٠٠
فينا	«	١٧٧٧	مئة وستون الفا	
زوريخ	المدينة	١٨٣٢	مئة الف	
بولونيا	الكلية	١٦٩٠	مئتا «	٦٠٠٠
فلورانس	الاهلية	١٨٦٤	مئتا «	١٤٠٠
ميلان	امبروزيين	١٦٠٩	مئة «	١٥٠٠٠
ميلان	بريرا	١٧٦٣	مئة وخمسة ثمانون الفا	
مودين	ايست		مئة الف	٥٠٠٠
نابل	بوربون	١٧٨٠	مئتا «	٣٠٠٠
بادو	الكلية	١٦٢٠	مئة «	١٥٠٠
بارم	العامة		مئة وأربعون الفا	
رومية	كازاناتنسى	١٧٠٠	مئة الف	٢٠٠٠
رومية	انجليكا	١٦٠٥	« «	١٣٠٠٠
رومية	فاتيكان	١٣٧٨	« « وخمسة آلاف	٥٠٠٠

المدينة	اسم المكتبة	تاريخ تأسيسها	عدد مطبوعاتها	عدد مخطوطاتها
رومية	فكتور عمانويل	١٨٧٦	ست مئة وخمسون الفا	١٠٠٠٠
تورين	الكلية	١٤٣٦	مئة وخمسون الفا	
فنيزيا	سان مارك	١٤٦٧	مئة وعشرون الفا	٩٠٠٠
مدريد	الاهلية	١٧١٢	مئة الف	٨٥٠٠
ليسبون	الاهلية	١٧٩٦	مئة وخمسون الفا	١٠٠٠٠
لاهيه	الملكية	١٩٧٥	مئتا الف	
الآستانة	مكاتب مختلفة		مئتا الف	
بروكسيل	الملكية	١٤٠٠	مئتان وخمسون الفا	٢٠٠٠٠
كوبنهاج	»	١٥٥٠	خمس مئة وخمسون الفا	٢٥٠٠٠
كوبنهاج	الكلية	١٧٣١	مئتا الف	٥٠٠٠
كرستيانيا	»	١٨١١	» »	
لاند	»	١٦٧١	مئة »	١٠٠٠
ستوكهولم	الملكية	١٥٤٠	مئة وخمسه وعشرون الفا	٥٠٠٠
أوبسال	الكلية	١٦٢١	مئة وخمسون الفا	٨٠٠٠
هلسنغفورس	»	١٦٣٠	مئة واربعون الفا	
كييف	»	١٨٣٢	مئة الف وعشرة آلاف	
موسكو	»	١٧٥٥	مئةواربعة وسبعون الفا	
»	دار الآثار		مئة وخمسة وستون الفا	٥٠٠٠
بتروغراد	الامبراطورية	١٧١٤	مليون ومئة الف	٣٥٠٠٠
»	الجمعية العلمية	١٧٢٦	مئة وعشرون الفا	
أثينا	الكلية	١٨٣٧	مئة وخمسة وعشرون الفا	٦٠٠
القاهرة	المصرية	١٨٦٩	٨٤ الف و٨٠٥ مجلدات	١٩٠٠٠

دار الكتب الملكية بالقاهرة

وضعنا بآخر القائمة السابقة اسم دار الكتب التى بالقاهرة وسنة تأسيسها ولا يغنى هذا الاجمال القارىء المصرى فهو يريد أن يعرف تفصيلا عن هذه الدار وأنواع الكتب التى فيها والاعيان الموقوفة عليها فرأينا أن ننشر هنا خلاصة ماوقفنا عليه من ذلك

أسست هذا الدار فى سنة ١٢٨٦ هجرية الموافقة لسنة ١٨٥٩ ميلادية بأمر كريم من المغفور له الخديوى اسماعيل باشا أصدره الى المرحوم على مبارك باشا ليجمع شتات الكتب المبعثرة فى المساجد وخزائن الاوقاف وغيرها . وكان هذا الجمع هو بدء رصيد دار الكتب وعدته نحو من عشرين الف مجلد

وبسبب اختلاف لغات المؤلفات التى اشتملت عليها دار الكتب المصرية قسمت الى أقسام ثلاثة : قسم العلوم باللغة العربية ، وقسم لسائر اللغات الشرقية ، وقسم للغات الاوربية

ومازالت هذه الدار عامرة آهلة تنمو وتزيد حتى وصل مجموع ما اشتملت عليه فى اول ابريل سنة ١٩١٦ (٨٣٥٠٨) مجلداً

وكانت أعمالها الادارية فى بادىء الامر تقوم بها وزارة المعارف ، وشئون المالية يقوم بها ديوان الاوقاف ، وذلك لغاية ابريل سنة ١٨٨٩

وفى ٣٠ ابريل سنة ١٨٨٩ وقف عليها المرحوم توفيق باشا أطيانا من المؤمن بها فى صندوق الدين ، بعد الاتفاق مع أعضائه ، وجعل النظر عليها لوزيرى المعارف والمالية . ومن ذلك الوقت فصلت ماليتها عن ديوان الاوقاف مع قيامه بدفع خمسمائة جنيه اعانة سنوية لها

وفى هذه السنة لوحظ أن مكانها غير كاف فنقلت الى سلاملك المرحوم مصطفى فاضل باشا حيث كانت نظارة المعارف واستمرت فى هذا المكان حتى بنيت لها الدار الحالية فنقلت اليها فى أول سنة ١٩٠٤

وفى ١٩ ابريل سنة ١٩١١ صدر القانون رقم ٨ الذى نظم كيفية ادارة شؤون دار الكتب من الجهة المالية والجهة الادارية جميعاً . فعهد بالاولى الى وزارة المالية والثانية الى مجلس أعلى تحت رئاسة حضرة صاحب المعالى وزير المعارف العمومية

الاطيان الموقوفة

(على دار الكتب المصرية)

(أصلها فى سنة ١٨٨٩)

مقدار الاطيان			الناحية	المديرية
س	ط	فدن		
٦	١٧	٥٥٠	جزيرة العجوز	المنوفية
٠٠	٠٠	١٠٥	بابل	»
٤	١٦	١٧	(منشاة جريس سنة ١٨٩٤)	»
٠٠	٢٣	١٣	(شطانوف سنة ١٩٠٤)	»
١٢	١٥	٢١	دفرة	غربية
٠٠	٠٠	٢٦٥	الزرقاء	دقهلية
٠٠	٠٠	٤٦	أبو القراميط وكفر سلامة	»
٢٠	١٨	٢٠١	اكوة	»
٠٠	٠٠	٦٤	النبيرة	بحيرة
١٢	١٦	٦١	الحجر المحروق	»
٢	٤	٤٥	عزبة شلقان	قليوبية
٠٠	٣	٤٤	عبها	جيزة
٢٠	٠٠	١٨٦	المناشى الجلائة	»
٢٠	٣	٨٩	الطرفاية	»
١٢	١٧	١٤٤	الطويرات	قنا
١٣	١٦	١٨٣٥	جملة	

﴿ وصارت فى سنة ١٩١٥ ﴾

المديريه	الناحية	مقدار الاطيان فدن	ط	س
المنوفية	دروة	٤٨١	١٤	٠٠
»	بابل	٩٨	١	٢٠
»	منشاة جريس	١٥	١	٢٠
»	شطانوف	١٣	٢٣	٠٠
غربية	دفرة	٢٢	٠٠	٠٠
دقهلية	الزرقاء	٢٥١	٢٠	٠٠
»	أبو القراميط وكفر سلامة	٤٣	٤	١٢
»	اكوة	١٨٨	١٣	٨
بحيرة	النبيرة	٦١	٢١	٣
»	الحجر المحروق	٦١	١٢	٥
قليوبية	عزبة شلقان	٣٠	٢٣	٢
جيزه	بمها	٣٢	١١	١٤
»	المناشى والجلاتمة	١٥٤	١٢	٨
»	الطرفاية	٧٤	٢٠	١٥
قنا	الطويرات	١٤٠	٣	٨
	جملة	١٦٧٨	١٦	١٩

ملاحظة — الفرق بين مقـدارى الاطيان فى سنة ١٨٩٩ وسنة ١٩١٥ وقدره ١٥٧ فدان ناتج من : ١ — أكل البحر : ٢ — المشاريع العمومية كالرى والمنافع : ٣ — عجز مساحة أظهره فك الزمام . أمام ذلك فان دخل الاطيان فى سنة ١٨٩٩ كان نحو ٣٩٥٠ جنيها ودخلها الحالى فى (سنة ١٩١٥) هو نحو ١٢ الف جنيه

احصاء عام

عن الاسفار الموجودة بدار الكتب الملكية لغاية مارس سنة ١٩١٦

عدد	
٣٨١٠٥	عربية
٣٠٩٤	تركية
٧٠١	فارسية
١٣٧	لغات شرقية اخرى وهى الجاوية والهندية والافغانية والحبشية
٤٢٠٦١	اوروبية
٨٤٥٠٨	المجموع العمومى

(احصاء المترددين على قاعة المطالعة)

الثلاثة الشهور الاولى من سنة ٩١٤	١١٢٣٨
» » » ٩١٥	٦٤٠٨
» » » ٩١٦	١٠٨٤٦

{ احصاء الزائرين لقاعة المعرض }

	وطنيون	اجانب	المجموع
الثلاثة الشهور الاولى من سنة ٩١٤	٧٧٩٣	١٧٥٨	٩٥٥٠
» » » ٩١٥	٧٤٨٠	٢٤٧٠	٩٩٥٠
» » » ٩١٦	٤٦١١	١٣٤٨	٥٩٥٩

{ معلومات عامة }

(١) يوجد بدار الكتب نحو ١٩ الف مجلد من المخطوطات فيها ١٨٩ مصحفا ومن هذه المصاحف ١٧ بخط كوفى على رق غزال

(٢) من بين الكتب العربية يوجد ٧٥٤ كتابا موقوفة من المرحوم الشيخ محمد محمود التركزى الشنقيطى ومودعة باسمه بدار الكتب

(٣) ومن بين الكتب العربية أيضا ٣٤٥٨ كتابا منها ٢٤٧٣ بالعربى و٦٥٠ بالتركى و ٣٣٥ بالفارسى مودعة باسم المرحوم مصطفى كامل باشا وهذه الكتب الاخيرة اشتراها المغفور له اسماعيل باشا الخديو بمبلغ ثلاثة عشر الف جنيه من ماله الخاص وأهداها الى دار الكتب

(٤) أقدم كتاب مخطوط فى القسم العربى هو رسالة الامام الشافعى بخط تلميذه الربيع الجيزى كتبها سنة ٢٦٤هـ

(٥) أقدم بردية كتبت فى شهر ذى القعدة سنة ٨٧ هجرية

(٦) ويوجد من الصكوك المكتوبة على الجلد ٦ منها على جلد ضأن و ٤ على رق غزال

(٧) أقدم جريدة عربية الوقائع المصرية فى سنة ١٣٦٣ هجرية الموافقة ١٨٤٧ أفرنكية

(٨) تبلغ مجموعة النقود العربية الموجودة بدار الكتب حوالى ٥ آلاف قطعة أقدمها دينار عبد الملك بن مروان ضرب سنة ٧٧ هجرية

(المكتبات الخاصة بمصر) المكتبة الازهرية تأسست سنة ١٨٧٩ م وفيها نحو ٣٦٦٤٢ مجلداً

كان فى المكتبة الازهرية الى أول القرن الماضى نحو الف ومئة كتاب متفرقة فى الاروقة ثم زادت فى أوائل القرن المذكور الى سنة (١٨٧٩) فأمر المرحوم توفيق باشا خديو مصر بجمع ما كان من الكتب فى أروقة الازهر المختلفة مما يستغنى عنه الطلبة وأن يجرى عليها مال ينفق فى شراء الكتب وأجور العمال فجمعت تلك الكتب ووضعت فى رواق الاتبغاوية

من كتبها نحو عشرين الفا فى العلوم الاسلامية ونحو ثلاثة آلاف فى الادب ونحو أربعة آلاف فى العلوم اللغوية ونحو ٩٨٠ فى التاريخ ونحو ١٣٠ فى الجغرافية والباقى فى علوم أخرى

(مكاتب الاروقة فى الازهر) فى الاورقة الازهرية مكتبات غير المكتبة الازهرية تحوى نحو ثلاثين الف مجلد منها أربعة آلاف فى مكتبة رواق الشوام وتسعة آلاف فى مكتبة رواق الاتراك وثمانية آلاف فى رواق المغاربة

(مكاتب المساجد) فيها كلها ثلاثون الف وخمس مئة وسبعة وستون مجلدا

(المكتبة البكرية) موجودة فى دار البكرية فى الخرنفش بالقاهرة وتشتمل على الف وثمان مئة وستين مجلدا

وفى تلك الدار بالخرنفش مكتبة السيد عبد الحميد البكرى كبير البكرية الآن يبلغ عدد مجلداتها الف مجلد

(مكتبة الوفائية) التابعة للسجادة الوفائية بالقاهرة فيها نحو الف مجلد أكثرها خط يد

(مكتبة الدردير) نسبة الى الشيخ الدردير العدوى المتوفى سنة ١٢٠١ هـ وضريحه بالكحكيين فقد وضع فى مسجده ماكان عنده من الكتب وانضم اليها ما أهداه محبوه لمكتبته . عدد كتبها الف وثمانية وسبعون مجلدا

(مكتبة مدرسة الحقوق) فيها تسعة عشر الفا وتسع مئة وخمسون مجلدا منها الفان وست مئة وثلاثة عشر فى القسم العربى وتسعة آلاف وثمان مئة وخمسة وسبعون فى القسم الافرنجى وسبعة آلاف وأربع مئة واثنان وستون رسالة للتلامذة

(مكتبة مدرسة الطب) فيها نحو عشرة آلاف مجلد بالعربية والانجليزية والفرنسية

(مكتبة الجامعة الازهرية) فيها نحو اثنى عشر الف مجلد

(مكتبة المجمع العلمى المصرى) فيها نحو ثلاثة وعشرون الف كتاب بالعربية والفرنسية والانجليزية والايطالية واليونانية

(مكتبة وزارة الاشغال) فيها نحو ثلاثة آلاف مجلد أكثرها فى الفنون المتعلقة بهذه الوزارة

(مكتبة المخابرات فى الحربية) فيها نحو خمسة آلاف مجلد

(مكتبة المجلس البلدى بالاسكندرية) تأسست سنة ١٨٩٢ وفيها ستة عشر الفا ومئة وثلاثة وتسعون مجلدا

(المكتبة العباسية) نسبة الى أبى العباس المرسى أسسها الشيخ عبد الفتاح البنا أحد علماء الاسكندرية جمع فيها كتبه الى كتب أحد أعيان الاسكندرية وكتب محمد افندى توفيق من أبناء الاسر القديمة ووضعت فى مسجد أبى العباس المرسى مجلداتها ستة آلاف وخمس مئة وخمسون

(المكتبة الاحمدية بطنطا) فيها ستة آلاف مجلد انشأها الشيخ ابراهيم الظواهرى شيخ الجامع الاحمدى الاسبق

سنة ١٨٩٨

(مكتبة خليـل اغا) بطنطا تابعة للمكتبة الاحمدية وفيها ثلاث مئة مجلد

(مكاتب الافراد بمصر) الخزانة التيمورية فيها ثمانية آلاف مجـلد وهى لصاحبها أحمد باشا تيمور اللغوى المشهور جملها بأبعديته بقويسنا

(الخزانة الزكية) هى مكتبة العلامة احمد زكى باشا سكرتير مجلس الوزراء سابقا بها خمسة آلاف مجلد جمعها صاحبها فى ثلاثين سنة بعد أن بذل جهداً عظيما وهى تمتاز عن المكتبات الخاصة الاخرى بما فيها من الـكتب الافرنجية النادرة فى هذه البلاد

(المكتبة الآصفية) هى للمرحوم محمد آصف بك ابن المرحوم على صف باشا وفيها نحو سبعة آلاف كتاب منها نحو الفين باللغتين الفرنسية والتركيـة . تمتاز هذه المكتبة بوجود كتاب سر الاسرار فى تاريخ الحركة العرابية وهو كتاب كبير يقع فى ثلاثة مجلدات كتبه احمد عرابى باشا بيده وهذه هى النسخة الوحيدة الموجودة من ذلك الكتاب

(مكتبـة جليادروبك) فيها نحو تسعة آلاف كتاب وجليادروبك هـذا هو ابن جليادروبك ناظر مدرسة الطب بالقاهرة سابقا

(مكتبة احمد بك الحسينى) فيها أربعة آلاف وسبع مئة وثمانون مجلدا

(مكتبة على باشا رفاعة) فيها نحو الف مجلد

(مكتبة دير طور سينا) عدد مجلداتها ثلاث آلاف وخمس مئة مجلد منها سبع مئة باللغة العربية

﴿الكَتَد﴾ [illegible] تمتين من الانسان والفرس جمعه أكتاد وكُتود

الاكتم من رجعت أصابعه الى كفه وظهرت رواجبه

﴿كتَف﴾ الرجل يكتِـفه كَتْـفا شد يديه الى خلف كتفيه موثقا بالكتاف ومثله كتّـفه

﴿الكُتْـلة﴾ من الطين وغيره ما جمع منه وما تلبد

﴿كتلك﴾ الـكاتوليك (انظر مسيحية)

﴿كتَم﴾ الشىء يكتُـمه كَتْـما أخفاه ومثله كتّمه . و (كاتمه سره) كتمه عنه . و (انكتم الشىء) مطاوع كتمه . و (اكتتمه) كتمه . و (الكَـتْم)

من النباتات الجبلية وورقه كورق الآس يخضب به مدقوقا وله ثمر كثمر الفلفل يسود اذا نضج

الكَتَم قال أطباء العرب المشهور انه النيلاء وقيل نبت له ورق دقيق وزهر أصفر وحمل اسود كالفلفل

(خواصه الطبية) يخصب كالنيلاء ويحذى وينفع من القروح والزكام بخورا وطلاء وهو يقوى الشعر ويمنع سقوطه

الكتّان نبات سنوى يوجد بالمزارع ويستنبت لاجل بزوره وقشر سوقه ومنافع زيته وغير ذلك . أصنافه كثيرة تختلف فى الحجم وكان الاقدمون يظنون ان منشأه مصر ولكن بعض المتأخرين يظن ان أصله الهند . وهو الآن يستنبت فى بلاد كثيرة

كان يزرع بمصر كثيراً فى القدم وقد قلت زراعته الآن بعد دخول القطن الى مصر حتى أصبحت محصورة فى مديريتى الجيزة والفيوم وجنوب الدلتا

أحسن الجهات التى توافقه المعتدلة الحرارة وهو من أكبر المحاصيل فى شمال ارلندة واوربا وامريكا . زراعته مجهدة للارض جدا فلا يجوز أن تتكرر زراعته فى الارض الواحدة مراراً

يعتبر عندنا من الزروع الشتوية فيزرع بعد الذرة بدلا من الغلال أو البرسيم وينبت بشدة بعد تبوير الارض أما شعر الكتان المصرى فليس ببالغ حد الجودة

يجب أن يتوخى من زراعة الكتان الحصول على أحد محصولين إما الشعر وإما البزر فان صلاح أحدهما يصيب الآخر بالضرر ولا يتأتى أخذهما منه جيدين جميعا لانه ان ترك المحصول حتى يدرك فان سوق الشجيرات تنمو نمواً عظيما وتصير خشبية ولا يكون الشعر جيداً

تحتاج زراعته الى أرض خصبة نظيفة ويجب أن يكون على حال جيدة فتلائمه أراضى مصر السوداء الصفراء . ولا ينجح فى الاراضى الرملية ولا يأتى بمحصول وفير واذا زرع فى الاراضى السوداء جاء شعره رديئا

أما جذوره فقليلة الغوص ولذلك فالاسمدة التى تستعمل له يجب ان تكون بحالة تجعلها على استعداد لان تمتص مباشرة

واذا لم تهيأ الارض للكتان جيدا جاء محصوله رديئا جدا ويجب أن لا تكون

الارض رطبة عند بذره لئلا تتعفن بذور فيها

فتحرث له الارض مرتين أو ثلاث مرات مع تزحيفها بعد كل حرثة ثم تقسم الى خطوط ذات مساحات صغيرة طول كل منها قصبتان وعرضها قصبة

ثم تسلط عليها المياه ثم تصفى منها ثم تبذر البذور والارض رطبة ثم تغطى البزور لوح خفيف

وفى أرض الحياض بالصعيد تبذر البذور على الطين حينما ينحسر عنها الماء ثم تغطى بالرموم أو اللوح

زمن البذور فى الوجه البحرى منتصف سهر اكتوبر الى آخر نوفمبر وفى الوجه القبلى يزرع بعد تصريف المياه من الحياض

فاذا كان المقصود من زراعته بزوره فتستعمل للفدان سبع كيلات

ولكن فى مصر يزرع الكتان لاخذ بزوره وشعره معا ولذلك يـ ن للفدان من خمس الى ست كيلات

لاجل الحصول على كتان جيد يجب أن تكون زراعته خفيفة مع بقائها فى الارض حتى تنضج جيدا ولكن يجب أن تقلع قبل انتفاخ الغلاف مباشرة وذلك بعد البذر بأربعة أشهر ونصف شهر أو خمسه شهور أى فى مارس أو فى ابريل فتقلع شجيرات الكتان ثم تترك مدة شهر أو أكثر لتجف تماما وبعد ذلك تدرس بدقها على العصى أو على الاحجار

ولكن للحصول على شعر جيد يجب زرع الكتان كثيفا جداً ويعجل بتقليعه بعد الازهار فى أول شهر مارس عندما يسقط الزهر الاخير وتظهر على السيقان والاوراق السفلى علامات الاصفرار ويجب أن لا تجف الشجيرات كثيرا حتى لا يكون الشعر خشنا . ويحتاط لقلع الشجيرات حتى يتسنى بقاء الشعر طويلا ثم تحزم حزما صغيرة وتترك لتجف فى الغيط مدة أربعة أو خمسة أيام ومتى جفت تقطع رؤوسها ثم تنقع جيدا فى حياض كما سيأتى

يعرف الفلاحون نوعين من الكتان أحدهما البعلى ويزرع فى الحياض وقد يروى بعد البذور أو لا يروى والآخر المسقاوى وهو يحتاج الى الرى والعادة أن يروى مرتين بعد الزرع فالسقية الاولى عند ما يكون ارتفاع النبات من عشرين الى خمسة وعشرين سنتيمترا والسقية الثانية قبل الازهار مباشره

كثرة التسميد تحول دون جودة نمو الشعر على انه يفيد فى انتاج البذر لا سيما اذا اشتمل على ازوتات

يستعمل عادة نحو ٦٠ حملامن السماد الكفرى للفدان واستعماله غالبا قبل الحرثة الاخيرة أو يوضع فوق الارض حينما تكون الشجيرات قد ارتفعت ارتفاعا مناسبا ويندر استعمال السماد الكيماوى والسماد البلدى لزراعة الكتان

الخدمة التالية لزراعة الكتان قاصرة فى حالة الكتان البعلى على تنقية الاعشاب وعلى الرى فى حالة الكتان المسقاوى فيجب قلع الاعشاب الكبيرة . أما الاعشاب الصغيرة فتميتها شجيرات الكتان نفسها بالنسبة لسرعة نموها ولكونها متقاربة بعضها من بعض . فالخردل عشب ردىء يجب قلعه قبل ازهار الكتان لأنه ينقص من قيمة بزره وزيته

ألد أعداء الكتان هو الحامول ولذلك يجب غربلة الحبوب بدقة كى تنفصل بذور الحامول الصغير فى الحال ويجب أيضاً قلع واحراق ما يظهر منه بالنبط

يكفى ستة رجال فى اليوم لتقليع فدان واحد

يترك الكتان فى بلادنا شهرين ليجف واذا كان المقصود البزر والشعر فيترك شهراً ثالثا ثم يدرس بالمراوة (البوت) بحيث لا تدق الا الرؤس فقط وتفصل البزور أيضا بدق الحزم على حجر كبير

ثم ينظف البزر ويباع ويستخرج الزيت منه بعصره فى معاصر ويستعمله الاهالى ممزوجا مع أنواع أخرى من الزيوت فى الطبخ وهو المسمى بالزيت الحار وهو يستعمل بكثرة فى مزج ألوان الدهان (البويه)

تحتوى بزور الكتان الجيدة على زيت من ٣٠ الى ٣٧ فى المئة واذا لم تكن جيدة فتعطى من ٢٥ الى ٣٠ فقط

ما يبقى منه بعد استخراج الزيت تعمل منه أقراص الكتان وتعطى غذاء للماشية الصغيرة وحيوانات الحب

يستخرج الشعر من شجيرات الكتان بوضع سيقان تلك الشجيرات فى بركة ماؤها راكد وتترك فيها من اثنى عشر الى خمسة عشر يوما ويجب أن لا توضع مياه جديدة فى الحوض أثناء عملية التعطين الا بقدر المياه التى فقدت بالتبخير . واذا صرفت المياه أثناء نقع السيقان ووضعت

بدلها مياه جديدة تعطل عمل التخمير . ولا بد من استخدام عمال ماهرين لهذا العمل

بعد هذا العمل يخرج الشعر ويجفف فى الشمس . والعمل التالى ينحصر فى دق الكتان بالعصى لينفصل الغلاف الخشبى عن الشعر الذى يحويه ثم يسرح بأمشاط خشبية لكى تجعل الشعر مستقيما ونظيفا من جميع المواد الملتصقة به

بعد التمشيط يمرر الشعر من بين اسطوانتين فتجعلانه أدق ثم يكون بعد ذلك معداً للغزل

شعر الكتان المصرى يضرب للون الرماد ويبيض احيانا على أن تبييضه ربما أضر بالشعر . وكلما كانت الخيوط أدق وانعم واطول كانت أثمن

متوسط محصول الفدان فى مصر اربعة ارادب من البزور وثمن الاردب من مئة وستين الى مئة وثمانين قرشا ومن خمسة الى ستة قناطير من الشعر وثمن القنطار من مئة وعشرين الى مئة واربعين قرشا

(بزر الكتان وخواصه) يحتوى بزر الكتان على مقدار كبير من اللعاب والزيت ومأوى اللعاب الاغلفة ومحل الزيوت اللوز نفسه . هذا الكتان باتحاده مع الماء يتكاثف فى البزرة فتتسع أجزاؤه وتنمو فاذا أغليت قبضة من البزر طويلا اكتسب حجم الماء منها قواما عظيما وقد بحث العالم (وكلين) فى هذا اللعاب فوجده مركبا من صمغ يوجد فيه جوهر حيوانى أى مادة أزوتية ومن حمض خلى خالص ومن خلات البوتاسا والكلس وفوسفات الكلس وسليس اى رمل . وثبت من تحليل بعض الكيماويين أيضا انه يوجد فى البزور وغير ماذكر مادة مخاطية نباتية ومادة خلاصية عذبة ونشا وزلال نباتى وجلوتين اى مادة دبقة وراتينج رخو ومادة ملونة وغير ذلك

(استعماله فى العلاج) يستعمل مغلى بزر الكتان للتأثير على الاعضاء تأثيرا مرخيا فتظهر النتيجة سريعا فى معدات الذين جهازهم الهضمى ضعيفا فيحسون بعد بضعة أيام بانحطاط عظيم فى قوام الهضمية فتنعدم شهيتهم ولا تنهضم اغذيتهم الا بعسر ويحدث لهم غثيان (قرف) واسهال وأما المعدة القوية فتقاوم التأثير المرخى فلا تحصل لها هذه الاعراض

فاذا ادمن على استعمال هذا المغلى امتقع اللون وانتفخ الوجه وحدث ضعف وقلت التبخرات والافرازات وضعف التأثير الشريانى فحصل فى الجسم فساد تدريجى ولهذا المغلى أيضاً تأثير على المراكز العصبية وضفائر الاعصاب العقدية فطول استعماله يبطل وظائفها

وقد اشتهر استعمال مغلى بزر الكتان فى الطب لخاصية الارخاء المذكورة فيستعمل غلات وكمادات وحمامات وحقنا وزروقات لاجل التلطيف والارخاء والتندية أو التسكين للاجزاء الملتهبة أو المتقرحة

أما لاجل الشرب فلا يستعمل الا المنقوع الخفيف فيكون علاجا مرخيا فى الامراض الالتهابية والآفات الناتجة من تهيج مرضى فيستعمل فى ذات الرئة والالتهاب الشعبى لتسهيل نفث النخامات ومقاومة الاحتراق والجفاف فى الطرق الهوائية

ويستعمل أيضا فى الاسهال والدوسنطاريا بالقولنجات لتسكين التهيج وشفاء قروح القناة الهضمية

أكثر اشتهار هذا المغلى فى علاج أمراض الاعضاء البولية فيستعمل لذلك لتسهيل افراز البول واذا كان هناك تهيج فى الجهاز البولى. وكذا يستعمل اذا حصل فى منسوج الكليتين عمل التهابى أو كان هناك بول مدم اودموى ومدحوه فى تقطير البول وتعسره أى اذا حصل تعسر فى انقذاف السائل المفرز من الكليتين

وتدخل بزور الكتان فى كثير من الوضعيات فينقع مسحوقها الجديد فى تركيب الضمادات التى توضع على الاورام الالتهابية والمرض الجديد والقروح المؤلمة جداً ونحو ذلك ويستعمل هذا الضماد حاراً ثخينا ويجب حلق شعر العضو قبل وضعه عليه. ويجب ان يكون مسحوق تلك البزور غير مغشوش وكثيرا مايغش بالنخالة

واذا أخذت قطعة من الصوف وغموت فى المطبوخ الثخين الفاتر لبزور الكتان ثم وضعت على البدن كان ذلك واسطة جيدة فى علاج الالتهابات الشاغلة لاحد الاحشاء أو لمحل ما من هذا التجويف فملامسة هذا السائل اللعابى للجلد ترخيه ويمتلىء منها منسوجه وتمتد تلك النتيجة المرخية للاجزاء التى تحته

تارة تستعمل تلك الضمادات باردة

اذا كان لا يلاحظ فى وضعها حفظ حرارة الجزء المريض

(المقدار وكيفية الاستعمال) يصنع مغلى بزر الكتان بأخذ عشرة غرامات من البزور ولتر من الماء المغلى ينقع فيه مدة ساعتين ولعاب بزر الكتان يصنع بأخذ ٣٢ غراما من البزور و ٢٠٠ غرام من المغلى يهضم ذلك مدة ست ساعات مع التحريك زمنا فزمنا ثم يصفى مع العصر

وحقنه بزر الكتان تصنع باغلاء عشرة غرامات من البزر مدة ربع ساعة فى مقدارمن الماء كاف لاعطاء نصف لترمن الناتج ثم يصفى

(زيت بزر الكتان) يسمى بالزيت الحار وهو يستخرج اما بدق البزور دقا قويا وتعريضها لحظات لبخار الماء الحار ثم تعصر العجينة ، واما أن تحمص البزور بلطف لاتلاف المادة اللعابية ثم تدق وبعد ذلك تسخن مع قليل من الماء ثم يعصر الكل

مدح هذا الزيت فى صناعة العلاج والذى يستخرج بالطريقة الاولى أفضل ، يجب أن يكون جديدا . وأما المستخرج بالطريقة الثانية فحريف مهيج مغث وليس فيه خاصة الارخاء

فى الزيت الحار خاصة الارخاء بشدة فاذا استعمل منه عدة ملاعق غير الحالة الطبيعية للقناة الهضمية بعد أيام قليلة وحصل منه استفراغات ثفلية فيؤثر حينئذ كتأثير الفواعل الملينة اى المسهلة بلطف

(خواصه الطبية) يستعمل فى التهابات الطرق الهوائية ومدحوا نفعه فى ذات الجنب أى الالتهاب البلوراوى ولا سيا اذا مزج بالشراب واستعمل ملعقة ملعقة

ويستعمل أيضا فى نفث الدم كما ينفع أيضا فى التهاب القناة الغذائية ولذا يوصون به فى الدوسنطاريا . ويناسب استعماله أيضاً اذا كان هناك تغير فى التأثير العصبى حرض انقباضات غير اعتيادية فى الغشاء العضلى المعوى وحصل منه القولنجات التى يسمونها تشنجية . مع أنه مدح أيضا فى القولنج المعدى وفى الالتهاب الكلوى وغير ذلك

وعدوه أيضاً من الادوية المضادة للديدان حتى أن بعضهم فضله على غيره فى طرد الديدان المبرومة في الاطفال

ويعطى حقنا فى القولنج المعدى ،

والمقدار منه للاستعمال من الباطن من أوقية الى أربع أوقيات ويجب أن يكون جديداً عادم الحرافة

الزيت الحار يستعمل فى الصنائع فان المنسوجات التى تغمس فيه اذا عصرت وجففت تكون منها قماش شفاف غير قابل لنفوذ السوائل منه وخاصة التجفيف التى فيه صيرته اهلا لأن يختلط بالمنسوجات طبقة طبقة مع التجفيف بحيث تكون كأنها مصنوعة بالصمغ المرن ولذا كان أغلب الشموع والمجسات القنوية المرنة وغيرها مما يزعمون أنه من الصمغ المرن انما هى مصنوعة بالزيت الحار بتلك الكيفية

ويضع من ذلك الزيت أطلية يستعملها النقاشون وذلك بأن يغلى مع المرتك فتزيد فيه خاصة التجفيف السريع وهو يدخل فى تركيب المداد الاسود المخصوص بطبع الكتب

﴿الكتان الصغير﴾ هو نبات سنوى زيتى من الفصيلة الصليبية ينبت طبيعة باوربا حيث ينبت القمح ولكن استنبت بمقدار كبير لاجل استخراج زيت بزوره جذره سنوى مغزلى دقيق مستطيل ابيض وساقه قائمة بسيطة من الاسفل ومتفرعة من الاعلى اسطوانية زغبية قليلة والاوراق متعاقبة عادمة الذنيب. والازهار صفراء صغيرة ذوات حوامل والكأس أربع قطع والتويج اربع اهداب

(استعماله) يستخرج من هذا النبات زيت يؤكل فى بعض الاقاليم اذا كان جديدا ولكن أكثر استعماله للاستصباح فهو نافع لذلك جدا بعد تنقيته من مادته المخاطية وهو مفضل على زيت السلجم لأن رائحته ودخانه أقل مما يحصل من الآخر عند الحرق ويستعمل ذلك الزيت أيضا فى التصوير وعمل الصابون وغير ذلك

أما فى الطب فهو انفع من الزيوت الاخرى اذا كان جديدا ولكن يفضل عليه زيت الزيتون وزيت اللوز الحلو . وقد يستعمل النبات لعلف الدواب . ويصح أن يستخرج منه نوع من التيل بعد تعطينه ولكنه يكون رديئا

﴿الكَثِيب﴾ التل من الرمل جمعه كُثبان .و(الكَثَب) القرب

﴿كَثَّ﴾ الشعر يكَثّ كثاثة كثف و(لحية كثّة) كثيرة الشعر

﴿كثره﴾ يكثُره كَثراً غلبه في الكثرة . و (كثَر الشيء) يكثُر كثرة خلاف قل . و (كثّره) جعله كثيرا . و (اكثر الرجل) كثر ماله واتى بكثير و (أكثر الشيء) جعله كثيرا . و (تكاثروا) كثروا . و (الكُثْر) الكثير . و (الكَوثر) الكثير

قال الله تعالى « انا أعطيناك الكوثر » قيل معناه الخير المفرط والكثير من العلم والعمل وشرف الدارين هذا هو القول الارجح في نظرنا

ولكنهم رووا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير أحلى من العسل وابيض من اللبن وأبرد من الثلج وألين من الزبد حافتاه الزبرجد وأوانيه من فضة لا يظمأ من شرب منه

وقيل المراد بالكوثر حوض في الجنة

وقيل المراد بالكوثر اولاد النبي صلى الله عليه وسلم وأتباعه وعلماء امته . وقيل المراد القرآن

﴿الكثيراء﴾ هو صمغ يؤخذ من شوك القتاد يوجد لاصقا به زمن الصيف وهو نوعان ابيض يختص بالأكل واحمر للطلاء وأجوده الحلو والأملس النقي

(خواصه الطبية) يكسر سموم الادوية وحدتها ويقوى وينفع من السعال وخشونة الصدر والرئة وحرقة البول والمعى والكلى . والاحمر منه يطلى بخل فيزيل الكلف والنمش . ومع البورق والكبريت يزيل الجرب والحكة والبهق والبرص وينعم البشرة وهو يضر السفل ويصلحه الانيسون ويشرب الى خمسة دراهم وبدله الصمغ وهو يسمى بالفرنسية *Gomme adragante*

﴿ابن كثير﴾ هو عبد الله بن كثير ابو معبد احد القراء السبعة مكي وينسب للدار بطن من لخم منهم تميم الداري وقيل انما نسب تميم الى دارين لأنه كان عطارا بها

ابن كثير كان مولى عمرو بن علقمة الكناني وهو من أبناء فارس الذين بعثهم كسرى بالسفن الى اليمن حين طرد الحبشة عنها . كان يخضب بالحناء وكان قاضي الجماعة بمكة . وهو من الطبقة الثانية من التابعين . وكان شيخاً كبيراً طويلا جسيما اسمر اشهل العين وكان السكينة

ولد بمكة سنة (٤٥) وتوفى سنة (١٣١)

كثير عزة هو أبو صخر كثير ابن عبد الرحمن بن أبي جمعة الاسود بن عامر بن عويمر الخزاعي الشاعر المشهور أحد عشاق العرب المعدودين

وقال ابن الكلبي في جمرة النسب هو كثير بن عبد الرحمن بن الاسود بن عويمر بن مخلد

من اخباره انه هوى أمرأة يقال لها عزّة بنت جميل بن حفص وله معها نوادر كثيرة وأكثر شعره فيها وكان يدخل على عبد الملك بن مروان فينشده مع انه كان رافضيا شديد التعصب لمذهبه من حب على بن أبي طالب وأولاده

حكى ابن قتيبة فى طبقات الشعراء ان كثيرا دخل يوما على عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك بحق على بن أبي طالب هل رأيت أحدا أعشق منك؟

قال يا أمير المؤمنين لو نشدتنى بحقك أخبرتك

فقال عبد الملك بحق الا ما أخبرتنى

قال كثير بينا انا أسير فى بعض الفلوات اذا أنا برجل قد نصب حبالة .

فقلت له ما أجلسك ههنا ؟ قال اهلكنى وأهلى الجوع فنصبت حبالتى هذه لاصيد لهم شيئا ولنفسى مايكفينا ويعصمنا يومنا هذا

قلت أرأيت ان أقمت معك فأصبت صيدا تجعل لى منه جزءا ؟

قال نعم . فبينا نحن كذلك اد وقعت ظبية فى الحبالة فخرجنا نبتدر فبدرنى اليها فحلها وأطلقها

فقلت له ما حملك على هذا ؟

قال دخلتنى عليها رقة لشبهها بليلى وأنشأ يقول :

أياشبه ليلى لاتراعي فانني
لك اليوم من وحشية لصديق
أقول وقد أطلقتها من وثاقها
فأنت لليلى ماحييت طليق

ولما عزم عبد الملك على الخروج لمحاربة مصعب بن الزبير ناشدته زوجته عاتكة بنت يزيد بن معاوية أن لا يخرج بنفسه وان يستنيب غيره فى حربه، ولم تزل تلح عليه فى المسألة وهو يمتنع من الاجابة. فلما يئست أخذت فى البكاء حتى بكى من كان حولها من جواريها وحشمها

فقال عبد الملك قاتل الله ابى جمعة (يعنى كثيرا) كأنه رأى موقفنا هذا حين قال :

اذا ماأراد الغزو لم يثن عزمه
حصان عليها نظم در يزينها
نهته فلما لم تر النهى عاقه
بكت فبكى مما شجاها قطينها
ثم عزم عليها ان تقصر فأقصرت
فخرج لقصده

وكان لكثير غلام عطار بالمدينة وربما باع لنساء العرب بالنسيئة ، فأعطى عزة وهو لا يعرفها شيئا من العطر فمطلته أياما وحضرت الى حانوته فى نسوة فطالبها فقالت له حباو كرامة ما أقرب الوفاء واسرعه فأنشد الغلام سيده :

قضى كل ذى دين فوفى غريمه
وعزة ممطول معنى غريمها

فقالت له النسوة أتدرى من غريمتك قال لا والله . فقلن هى والله عزة . فقال اشهدكن انها فى حل مما لى قبلها ثم مضى الى سيدة فأخبره بذلك . فقال كثير وانا أشهد انك حر لوجهه ، ووهبه جميع ما فى حانوت العطر فكان ذلك من عجائب الاتفاق

ولكثير فى مطالها بالوعد شعر كثير فمن ذلك قوله :

أقول لها عزيز مطلت دينى
وشر الغانيات ذوو المطال
فقالت ويح غيرك كيف أقضى
غريما ماذهبت له بمال

ومن شعره :

وقد زعمت انى تغيرت بعدها
ومن ذا الذى ياعز لا يتغير
تغير جسمى والخليقة كالذى
عهدت ولم يخبر بسرك مخبر

ولما قتل يزيد بن المهلب بن ابى صفرة وجماعة من أهل بيته بعقر بابل وكانوا يكثرون الاحسان الى كثير فلما بلغه ذلك قال ما أجل الخطب ، ضحى بنو حرب بالدين يوم الطف ، وضحى بنو مروان بالكرم يوم العقر ، وأسبلت عيناه بالدموع

حدث صاحب الاغانى قال : ان كثيرا خرج من عند عبد الملك بن مروان وعليه مطرف فاعترضته عجوز فى الطريق اقتبست نارا فى روثة فتأنف كثير فى وجهها فقالت من أنت ؟ قال انا كثير عزة فقالت ألست القائل :

فما روضة زهراء طيبة الثرى
يمج الندى جثجاثها وعرارها
بأطيب من اردان عزة موهنا
اذا اوقدت بالمندل الرطب نارها
فقال لها كثير نعم . فقالت لو وضع المندل الرطب على هذه الروثة يطيب رائحتها .
هلا قلت كما قال امرؤ القيس :
ألم تريانى كلما جئت طارقا
وجدت بها طيبا وان لم تطيب
فناولها المطرف وقال استرى على هذا
ودخل كثير علي عبد العزيز بن مروان أخى عبد الملك بن مروان ووالد عمر بن عبد العزيز الخليفة المشهور ايام كان واليا على مصر يعوده فى مرضه ؛ واهله يتمنون ان يضحك . فلما وقع عليه قال
لولا ان سرورك لا يتم الا بأن تسلم واسقم
لدعوت الله ربى أن يصرف مابك الى
ولكننى أسأل الله تعالى لك العافية ولى فى كنفك النعمة . فضحك عبد العزيز وأنشد كثير :
ونعود سيدنا وسيد غيرنا
ليت التشكى كان بالعواد
لو كان يقبل فدية لفديته
بالمصطفى من طارفى وتلادى

قيل كان كثير عزة يقول بالتناسخ أى برجعة الارواح الى الدنيا فى أجساد جديدة . فكان يدخل على عمة له يزورها فتكرمه وتطرح له وسادة يجلس عليها فقال لها يوما لا والله ماتعرفينى ولا تكرمينى حق كرامتى . قالت بلى والله انى لأعرفك . قال فمن انا ؟ قالت فلان بن فلان وابن فلانة وجعلت تمدح أباه وأمه . فقال لها قد علمت انك لا تعرفينى . قالت فمن انت ؟ قال انا يونس بن متى (اى ان روح يونس قد حلت فيه)
وكان يتشيع لعلى بن ابى طالب وآله تشيعاً قبيحاً حتى أدى ذلك الى استهزاء الناس به
كان عبد الملك بن مروان معجباً بشعره فقال له كثير يوما كيف ترى شعرى ياأمير المؤمنين ؟ قال الخليفة أواه يسبق السحر ، ويغلب الشعر
وقال له عبد الملك يوماً من أشعر الناس ياأبا صخر ؟
قال من يروى امير المؤمنين من سعره
فقال له عبد الملك انك لمنهم
وكان اول امره مع عزة التى كان يتعشقها

انه مر بنسوة من بني صخر ومعه جلب غنم فأرسلن اليه عزة وهي صغيرة فقالت له يقلن لك النسوة بعنا كبشا من هذه الغنم وانسئنا بثمنه الى ان ترجع، فأعطاها كبشا وأعجبته؛ فلما رجع جاءته امرأة منهن بدراهمه . فقال وأين الصبية التي أخذت مني الكبش ؟ فقالت وما تصنع بها هذه دراهمك . قال لا آخذ دراهمي الا ممن دفعت اليها الكبش ، وولى وهو يقول

قضى كل ذي دين فوفى غريمه
وعزة ممطول معنى غريمها

فقلن له أبيت الا عزة وأبرزنها له وهي كارهة . ثم انها أحبته بعد ذلك أشد من حبه لها

ثم ان عزة اجبرها اهلها ان تتزوج غيره فبقيا على حبهما الاول لم يتغيرا . قال الهيثم بن عدى ان عبد الملك بن مروان سأل كثيرا عن اعجب خبر له مع عزة . فقال حججت سنة من السنين وحج زوج عزة بها . ولم يعلم أحد منا بصاحبه . فلما كنا ببعض الطريق أمرها زوجها بابتياع سمن يصلح به طعاما لاجل رفقته فجعلت تدور الخيام خيمة خيمة حتى دخلت الي وهي لا تعلم انها خيمتي . وكنت أبرى سهما لي فلما رأيتها جعلت أبرى وأنظر اليها ولا أعلم حتى بريت ذراعي وأنا لا أشعر به والدم يجري . فلما تبينت ذلك دخلت الي فأمسكت بيدي وجعلت تمسح الدم بثوبها ، وكان عندي نحي من سمن فحلفت لتأخذنه . فجاءت به الى زوجها فلما رأى الدم سألها عن خبره . قال فكاتمته حتي حلف عليها لتصدقنه فلما اخبرته ضربها وحلف لتشتمني في وجهي . فوقفت عليّ وهو معها فقالت لي يا ابن الزانية . وهي تبكي . ثم انصرفا فذلك حيث أقول :

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة
لدينا ولا مقلية ان تقلت

هنيئا مريئا غير داء مخامر
لعزة من اعراضنا ما استحلت

وقال فيها مرة :

وددت وحق الله انك بكرة
واني هجان مصعب ثم نهرب

كلانا به عُر فمن يرنا يقل
على حسنها جرباء تعدى وأجرب

نكون لذي مال كثير مغفل
فلا هو يرعانا ولا نحن نطلب

اذا ماوردنا منهلا صاح اهله
علينا فما ننفعك نرمى ونضرب

يحكى أن عزة لما بلغها ذلك وحضر اليها أنشدته الابيات وقالت له ويحك لقد أردت بى الشقاء أما وجدت أمنية أوطأ من هذه ؟ فخرج من عندها خجلا

حدث محمد بن سلام قال كان كثير يقول ولم يكن عاشقا ، وكان جميل صادق الصبابة والعشق

وقال ابو عبيدة كان جميل يصدق فى حبه ، وكان كثير يكذب فى حبه

ويروى انه نظر ذات يوم الى عزة وهى تميس فى مشيتها فلم يعرفها واتبعها وقال لها ياسيدتى قفى لى أكلمك فانى لم أرمثلك قط فمن أنت ؟ قالت ويحك وهل تركت عزة فيك بقية لاحد ؟ فقال بأبى لو أن عزة أمة نوهبتها لك . قالت فهل لك فى المخالة ؟ قال وكيف لى بذلك ؟ قالت وكيف بما قلته فى عزة ؟ قال اقلبه كله وأحوله اليك . فكشفت عن وجهها وقالت اغدرا يافاسق وانك لهكذا ؟ فأبلس ولم ينطق وبهت

فلما مضت أنشأ يقول :

ألاليتنى قبل الذى قلت شيب لى
من السم جرعات بماء الذرارح
فمت ولم تعلم على خيانة
وكم طالب للربح ليس برابح
ابوء بذنبى اننى قد ظلمتها
وانى بباقى سرها غير بائح

كان كثير بمصر وعزة بالمدينة فاشتاق اليها فسافر ليلقاها فصادفها فى الطريق وهى متوجهة الى مصر فجرى بينهما كلام طويل ، ثم انها انفصلت عنه وقدمت مصر ، ثم عاد كثير الى مصر فوافاها وقد توفيت والناس منصرفون عن جنازتها فاتى قبرها واناخ راحلته مكث ساعة ثم رحل وهو يقول أبياتا منها :

اقول ونضوى واقف عند قبرها
عليك سلام الله والعين تسفح
وقد كنت ابكى من فراقك حية
فأنت لعمرى الآن اناى وانزح

ومما يستجاد من شعر كثير قصيدته التى يقول من جملتها :

وانى وتهيامى بعزة بعدما
تسليت من وجد بها وتسلت
لكالمرتجى ظل الغمامة كلما
تبوء منها للمقيل اضمحلت

توفى كثير سنة (١٠٥)

﴿ كشف ﴾ الشيء يكشف كشافة

فانه كبير الفائدة خصوصا لأنه يمكن استحضاره بسهولة.وهو سريع الفعل ومؤكد ويعطى فى هذه الاحوال قليل من الوسكى أو النبيذ أو الكونياك الخالص او مخففا بالماء اما من الفم أو حقنة شرجية أو حقنة تحت الجلد

ويستعمل الكحول فى الماليخوليا والضعف الناشىء عن الحزن والاسف الشديد وكثرة العمل مع الافراط وخصوصا فى الادمان على المسكر ليكون منقذا من سوء هذه الحالات ولكنه انقاذ مؤقت وكذلك أيضا فى الهستريا (الضعف العام للمجموع العصبى) أو الارق

ذلك مجمل الفوائد الطبية الحقيقية لهذا السم القتال الذى يستعمله الشبان وغيرهم فيذهب بالثروة والعقل والاعراض اما الثروة فشاهدنا الآلاف من البيوت التى خربت ، واما العقل فانا موردون هنا حكم الطب فيه أيضا

(الكحول والجنون)

لا يخفى على كل انسان تأثير الكحول على العقل فان هذا المسكر أول العوامل التى تولد الجنون التسممى ونتيجة مفعوله يتوقف على مقدار ما يأخذه الانسان منه ومقدار الزمن الذى يتعرض المجموع العصبى لتأثيره ولا يخفى ان استعداد الشخص له تأثير فى هذه الحالة

ان الشخص الطبيعى يمكنه أن يؤكد اوقيتين من الكحول (الايتلى) العادى فى كل اربع وعشرين ساعة بدون اذنى تأثير

أما الجنون الناشىء عن السكر بالكحول فيرى فى كثير من الناس الذين ادمنوا على الخمر عدة سنوات فى احصائيات مستشفى المجاذيب المصرية ان عدد مجانين الخمر فى سنة ١٩١٥ من المصريين كانوا ٤٤ نفسا اربعين ذكرا واربع اناث

وبالطبع فان نوع الكحول المشروب له تأثير على هذه النتيجة فان الكحولات الغالية والادهيدات (مركبات من الكحول) الموجودة فى الوسكى وغيره من المسكرات لها تأثير أضر من تأثير الكحول وحده . وهذا ما يقال أيضا عن كل الخمور كالبوظة وغيرها ولو ان هذه الاشياء قلما تؤدى الى الجنون

وكل فرد يمكنه مقاومة تأثير الكحول المرضى مقاومة خاصة ولكن تلك المقاومة تختلف باختلاف الاشخاص فبعضهم يتأثر

بمقادير صغيرة وهذه القابلية تكون شديدة فى الامراض ذات المزاج العصبى وخصوصا فيمن يصابون بالصرع او الجنون والاستعداد لتأثيره الضار كثيراً ماينتج من اصابة فى الرأس أو التعرض لضربة الشمس او امراض اخرى وبعض العلماء يرى ان الادمان على الخمر نتيجة جنون وليس الجنون نتيجة الادمان مثاله رجل مصاب بالماليخوليا (نوع من الجنون يكون مصحوبا بالحزن والهدوء) قديشرب كثيرا لكى يسكر فينسى الحالة السيئة الحزينة التى تنتابه . والشلل العام يبتدىء بدور يكون المريض فيه فاقدا لقوة الارادة فيدمن على الخمر

(انواع الجنون من الخمر)

(حالة السكر) الهذيان المرتعش *Delirium mrenens* والجنون الكحولى والولع الشديد بشرب الخمر

(حالة السكر) وهى المعروفة تنشأ من شرب كمية وافرة من الكحول وربما كانت الكمية قليلة بحسب استعداد الشخص وفى هذه الحالة يشعر بدفء وشهية للطعام ولو ان درجة الحرارة تكون منخفضة وذلك لان الشرايين تكون اوسع منها فى الحالة الطبيعية للانسان ويختل نظام العضلات كما يشاهد ذلك فى عدم امكان الشخص ان يمشى مستقيما او يدور بسرعة او يقف وهو مغمض عينيه ويكون على اللسان طبقة بيضاء وربما يتقايأ السكران او ينام وتحتقن العينان ولا تتأثر الحدقتان بالضوء ويكون فى بعض الاحيان اختلاف ظاهر بين اتساع انسانى العينين وربما وجد حول وقتى

اما التأثير فى المخ فان الشارب يشعر بتعب ونصب وضعف فى الذاكرة ولا يتمالك نفسه وربما انمحت آثار التربية فتختلف كثيرا صفات الشخص الادبية عن اصلها ولايمكنه ان يعرف الزمان والمكان وتختلف تأثيرات الكحول ايضا فى مسألة الكلام . قديكون الثمل كثير الكلام لايسكت مطلقا، وقد يكون ساكتا وقد يتشاجر مع كل من يقابله ، ويضرب الناس بغير سبب . وبعضهم يرتكب اكبر الآثام وتلك نقطة هامة لان النشوان يرتكب الجرم وهو ليس عالما به خصوصا الطبقة السافلة من شاربى الكحول الردىء وفى بعض الاحيان لاتقع جرائم الشخص الا على نفسه فينتحر او

يضرب نفسه فيهشم عضوا من جسمه او يفتك بالاعراض ويقتل الناس ويعيث فى الارض فساداً وربما انتهى الحال بالموت من الكوما ولكن الغالب أن يصحو المخمور بعد نوم طويل وهو فى حالته الطبيعية

(العلاج) يعالج السكران فى مثل هذه الاحوال بغسل المعدة واعطائه المسهلات والمنعشات مثل القهوة والشاى

(الهذيان المرتعش) هذا الداء المدمنين من السكيرين اذا اعترتهم اصابات فى الرأس او مرضوا بالتهاب رئوى او امراض اخرى ولا يصيب هذا المرض السكيرين المدمنين اذا منع عنهم الكحول مرة واحدة ريعلل ذلك بأنه قد حصل تسمم ثان اضعف المجموع العصبى وهذا التسمم يكون من نفس الجسم. ومن اصيب بهذا المرض من السكيرين كان عرضة له ثانية مها شفى منه

وفى هذا المرض يرى المريض جميع جلده محتقنا وعليه عرق غزير ولا يسكن مطلقا بل دائما يحرك اصابعه او يديه او غيرها واطرافه دائما ترتعش من ضعف العضلات ولا ينام أبداً ولسان المريض دائما يرتعش ايضا ويصوم كثيراً معرضا عن طعامه وشرابه ويعتريه الامساك ويزيد عدد ضربات القلب ويقل ضغطه وفى خمسة فى المئة من الذين يموتون يكون سبب موتهم السكتة القلبية وترتفع الحرارة الى ١٠٠ فرنهيت ويحتوى البول على زلال من وجود مرض كلوى معه وقبل ان يبتدىء هذا المرض بزمن وجيز يعترى المريض الارق وعدم الراحة والتهوى ويرى مناظر فظيعة كالعفاريت الزرق والفيران والثعابين تحوم حوله ويمسها ويشعر بها ويسمع اصواتها ويسمع ويرى ان اشخاصا تتآمر على قتله ويظن دائما ان طعامه مسموم وفى كل شىء روائح كريهة ولا يعى شيئا فيجهل اقاربه وزمانه ومكانه ويكون متطوراً فى حالات هياجه الى امد بعيد فيقتل نفسه او غيره بتصور ان نفسه لاتزال على حالاتها وانه لايزال فى عمله فاذا كان حوذيا مثلا قطع قميصه واتخذ منه لجاما وربطه فى اطراف اصابع رجليه ويستعمل اى عصا بصفة كرباج كأنه يسوق خيل المركبة

(العلاج) الاعتناء الزائد بتمريض المصاب واعطاؤه المنومات والبرومود

والتربونال والاعتناء بتغذيته ومنع الخمر عنه

(الجنون الكحولى)
(والادمان على الخمر)

تأثير هذا النوع من المرض بطىء على عقل المريض ويحل الشقاء بأسرة المريض ومن حوله لانه يتخبط فى اقواله وأفعاله ولايحاسب نفسه على الفاظه سواء فى حالة الصحو أو السكر ويصبح لاعهد له ولا كلمة ولا ميعاد ولا يعرف نفسه أو من حوله حتى يتناول جرعة من الخمر ويعتريه سوء الهضم وتسوء صحته ويداه ترتعشان وان لم يعتن بمثل هذا المريض فحياته تكون لعنة الهيه على من اتصل به لانه اما أن يشقى من حوله بأعماله أو يكون نزيل دار البوليس هذا من جهة الادمان أما الجنون فيأتى ببطء فتتحول أخلاق الشخص الى ضدها ويعتريه التهوس وسوء الظن بالناس والتهابات عصبية مختلفة أو هبوط تام فى قوى المخ ويكون المريض فى هذه الحالة محتقن الجلد ، والاوردة ممتلئة بالدم الازرق وشفتاه ترتعشان وقلما يقوى على النطق ، وتأتيه نوبات إغمائية او تشنجات وانقباضات صرعية ، ولا يقوى المريض على المشى بحالته الطبيعية وتقل جداً قواه الفكرية وينسى الاشياء والامور الحديثة الوقوع ومع ذلك فانه يخترع قصصا يقصها على أنها حقيقية ويكون قذراً فى عادته غير معتن بأى شىء أو مكترث بما حوله ويسمع أصواتا ويرى أشباحا كلها خيالية ولا يشك فى حقيقتها فيرى أشخاص المتآمرين عليه ويسمع أصواتهم ويفهم أقوالهم ويأخذ الحيطة فى الدفاع عن نفسه وكل ذلك أوهام ولكنه ربما كانت الحيطة أن يقتل بعض الابرياء الذين يسوقهم سوء الطالع نحوه وربما شعر المريض كأن حيوانات تجرى على جلده فيجتهد فى مسكها فلا يجد شيأ فيتغيظ ويضرب ويشتم وهلم جرا وتتغير حاسة الذوق فيجد طعم الاشياء مغايرا لأصله ولذلك يكون دائما متخوفا من أن يكون فى طعامه سم واما خيالاته فلانهاية لها اذ تشبه أعراض الشلل العام فهو فى نظر نفسه ملك الملوك وهو الاله القادر وربما يكون العكس من الصعود الى الهبوط فيتصور نفسه سخرية العالم ويتولد عنده سوء الظن وحب الانتقام وأول من يتعرض لهذه الكارثة هى زوجته فيتهمها بالسوء ويهم بالانتقام منها اما بالقتل أو الضرب المميت

وبعد ذلك تهبط القوى الفكرية فيه الى الحضيض ونصيب المسكين فى هذه الحال دار المجانين وعلاج هذا المرض هو عادة فى تلك الدار فلنضرب عنه صفحا

(الولع الشديد بالخمر)

هذا النوع من الجنون يعترى السكير المدمن على نوبات متقطعة بين الواحدة والاخرى عدة شهور ويبتدىء بأن يكون المريض شديد التأثر قليل الهدوء كثير الغضب ثم يشعر بميل شديد الى شرب الخمر فيجبره هذا الميل الى الشرب فاذا لم يتمكن زاد به الوجد الى ان يهتم لاجله ويرتكب له افظع الآثام . ويذكر العلماء ان الرجل يصير لصا او محتالا اوقاتلا او قاطع طريق والمرأة تتجر بعرضها للحصول على قليل من الدراهم لاجل الخمر واذا ظفر به انغمس فيه وأكب عليه واستمر فى الشرب كثيراً واذا انتهت هذه النوبة كره الخمر كرها شديدا ثم تعتريه النوبة ثانية وهلم جرا . أما علاج هذا الداء فيعالج بمقويات البنية ومنع الخمر مالم ير الطبيب ان ذلك ضار بالمريض نفسه ويعالج أيضا بالتنويم المغناطيسى والتأثير النفسى. هذه هى الامراض العقلية التى يسببها الكحول

وهناك كثير من الامراض تتأتى منه أيضا ويطول بنا شرحها ولكننا نذكر هنا أسماءها مع قليل من الشرح

(١) تمدد الكبد والتهابه نتيجتان للخمر ويختلف باختلاف الامزجة ومقدار الخمر الذى يشربه الشخص فيشعر المريض بألم زائد فى الجهة اليمنى ويزداد هذا الألم كل يوم ولعل أكثر حالات أمراض الكبد التى من هذا القبيل تكون مصحوبة بالتهاب معدى أيضا فيحصل تقايؤ وعدم شهية للاكل ثم من التغيرات الباتولوجية يحصل احتقان فى أوردة المعدة فيتقايأ المريض دما ويحتقن جميع محتويات البطن ثم يحصل بواسير ويأتى بعد ذلك دور الاستسقاء فيمتلىء البطن بسائل اصفر ويكون مرتفعا وجامداً بالضغط عليه وتتغير مواضع أجزاء الجسم من ضغط السائل الموجود فى البطن فالقلب مثلا يتحول الى أعلى والرئتان يتغير موضعها والطحال ينحيز من مكانه ويكبر

(٢) اذا مرض السكير بمرض ميكروبى كالالتهاب الرئوى كان انذار المرض خطراً جداً لان فعل كريات الدم البيضاء يكون على أقل ما يمكن وربما تسبب

من ذلك غنغرينة فى الرئة ويموت المريض

(٣) الالتهاب الكلوى المزمن ويعرفه العوام بالزلال فى البول وهذا مرض كثيراً ما يحدث من الادمان على الخمر ويجب معرفة أنها احدى مسببات هذا المرض وليس كل التهاب كلوى نتيجة الخمر

(٤) الالتهاب المعدى وفيه يتقايأ المريض وتنعدم شهية الاكل فيه ولا يستقر شيء من الطعام ببطنه وربما تقايأ دماً ويسوء

(٥) التهاب الاعصاب المختلفة بما فى ذلك عصب البصر وأعراض تلك الامراض ان يكون فى المريض عضو أو أعضاء تتألم جداً وفيها وجع يشبه وخز الابر والدبابيس وهذا يكون مستمراً أما التهاب عصب البصر فيقلل النظر شيئاً فشيئاً الى أن ينتهى به الحال الى العمى

(٦) تمدد المعدة كثيراً ما يحصل من هذا الادمان وقد تتمدد المعدة الى اتساع كبير وقد شاهدت معدة تسع تسعة لترات من الماء

(٧) يصاب شاربو البيرة بنمو عظيم فى شحم الرقبة حتى يصل حجمها الى قدر كبير فيضطر الى نزاعها بعملية جراحية

هذا قليل من كثير ولعل فى ذلك وازعاً للسكيرين الدكتور

جسين المراوى

﴿مكحول الشامى﴾ هو أبو عبد الله مكحول بن عبد الله الشامى من سبى كابل

قال ابن عائشة كان مولى لامرأة من قيس وكان سنديا لا يفصح

وقال الواقدى كان مولى لامرأة من هذيل . وقيل هو مولى سعيد بن العاص وقيل مولى لبنى ليث

قال الخطيب كان جده ساول من هراة فتزوج ابنة ملك من ملوك كابل ثم هلك عنها وهى حامل فانصرفت الى اهلها فولدت سهراز فلم تزل فى أخواله بكابل حتى ولد مكحول فلما ترعرع سبى ثم وقع الى سعيد بن العاص فوهبه لامرأة هذيلية فأعتقته فتعلم العلم حتى برع فيه وصار علما يمشو طالبه الى ناره من جميع الامصار وهو أستاذ الاوزاعى وسعيد بن عبد العزيز

قال الزهرى العلماء أربعة : سعيد بن المسيب بالمدينة والشعبى بالكوفة والحسن البصرى بالبصرة ومكحول بالشام ولم يكن

فى زمنه أبصر منه بالفتيا ، وكان لا يفتى حتى يقول : لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم هذا رأى والرأى يخطىء ويصيب

سمع العلم عن أنس بن مالك وواثلة ابن الاسفع وأبى هند الرازى وغيرهم

وكان مقامه بدمشق وفى لسانه عجمة ظاهرة ويبدل بعض الحروف ببعضها الآخر قال نوح بن قيس سأله بعض الامراء عن القدر فقال اساهر انا ، يريد اساحر انا ؟

وكان يقول بالقدر ورجع عنه

وقال معقل بن عبد الاعلى القرشى سمعته يقول لرجل مافعلت تلك الهاجة ؟ يريد الحاجة . وهذه العجمة تغلب على أهل السند وغيرهم

توفى مكحول سنة (١١٨) وقيل بل (١١٣) أو (١١٦) أو (١١٢)

أوكَخٌ كَخٌ كلمة تقال عند زجر الصبى

يكدَح كَدْحا سعى وأجهد نفسه . و(اكتدح لعياله) كسب لهم . و(الكَدْح) الخدش الجمع كدوح

﴿كَدّ﴾ الرجل يكُد كداً اشتد فى العمل

﴿كدَر﴾ يكدُر كدارة . وكدَر يكدُر . وكدِر يكدَر كدَراً وكُدورة ضد صفا . و (كدَّر الشىء) جعله كدراً . و(تكدَّر الشىء) بمعنى كدر. و(انكدر) أسرع وانقض

﴿كدَس﴾ الحصيد يكدِسه جعله كُدْسا بعضه فوق بعض . و (كدَس الرجل) طرده. و(أكداس الرمل) واحدها كُدْس وهو المتراكب منه

﴿كدَمه﴾ يكدِمه كَدْما عضه و (الكَدْم) الاثر جمعه كُدوم و(المُكدَّم) المعضض

﴿الكَدْم﴾ يطلق فى الطب على تمزق الأوعية الشعرية السطحية للجلد وانسكاب الدم فيه وفى النسيج الخلوى ويكون محله أحمر أو بنفسجي اللون أو مسوداً بحسب رقة الجلد المرضوض

عادة الكدم أنه فى اليوم الثالث يصير بنفسجيا ذا حدود غير واضحة وفى السادس يخضر وفى السابع أو الثامن يصفر ويضمحل أثره نحو اليوم العاشر أو الثانى عشر بحسب قوة الشخص ومقدار الدم المنسكب وقلما يرافقه ألم وانتفاخ

(العلاج) توضع رفادات من الماء

البارد أو الماء الابيض أو السبيرتو المكوفر تغير كل ساعتين، أو بصبغة الارنيكا مخففة بالماء أو بماء كولونيا أو بماء ملح أو بخل مخفف. ويفيد فيه كثيراً رفادة مؤلفة من كلس عرق مذاب فيه قطعة صابون قد الجوزة تغير كلما سخنت

أما الماء الابيض الذي ذكرناه فيعمل هكذا:

تحت خلات الرصاص السائل أو ملح

الرصاص	٨ غرامات
ماء	نصف لتر

يضاف اليه قليل من الكحول الصرف أو الكحول المكوفر أو العرق

والورم أو الانتفاخ يحصل اذا كانت كمية الدم المنسكب وافرة وهو يزول تدريجا أو يتحول الى خراجة فاذا شوهد في أول أمره يجب أن يضغط عليه ضغطا لطيفا بالاصابع أو باليد أو بقطعة من النقود أو بجسم آخر صلب لتفريق الدم المنسكب ومنع غيره من التجمع ثم يحاط الموضع بلفافة رطبة يضغط بها باعتدال وتبل من حين لآخر بماء بارد ممزوج بقدره من السبرتو أو الخل كما ذكر

واذا حدث ألم وسخونة في الجلد واحمرار فيستدل من ذلك على حدوث التهاب فيضمد بضمادات ملطفة كبزر الكتان ولب الخبز والنخالة ودقيق البطاطا والرز ولب التفاح واذا كان الالم شديداً ينقط عليها عدة نقط من اللودانوم اي خلاصة الافيون

﴿كَدَّى﴾ الرجل تَكدِية سأله فهو مُكَدٍ. و(أكدَى) بخل وقل خيره تقول (سأله فأكدَى) أى وجده مثل الكُدْية وهو الحجر العظيم الغليظ

﴿كذَب﴾ الرجل يكذِب كِذْبا قال غير الحق. و (كذّبه) جعله كاذبا. (أكذبه) وجده كاذبا. و (الأُكذوبة) الكذب جمعها أكاذيب

﴿الكرابيسى﴾ هو أبو على الحسن ابن على بن يزيد الكرابيسى البغدادى

هو صاحب الامام الشافعى وأشهر تلاميذه بحضور مجلسه وأحفظهم لمذهبه له تصانيف كثيرة فى أصول الفقه وفروعه. وكان متكلما عارفا بالحديث. وصنف أيضا فى الجرح والتعديل وغيره وأخذ عنه الفقه خلق كثير

توفى سنة (٢٤٥) وقيل بل (٢٤٨)

الكرابيسى نسبة الى الكرابيس وهى

الثياب الغليظة واحدها كرباس وهو لفظ فارسي عرب وكان يبيعها فنسب اليها

الكراويا هو نبات من الفصيلة الخيمية جذره يعيش سنتين وهو مستطيل لحمي مبيض متفرع قليلا وغلظه وطوله كالابهام وله رائحة قريبة من رائحة الجزر وساقه قائمة تعلو من قدم الى قدمين . والاوراق كبيرة ثنائية التشقق وهي محمولة في ذنيبات طويلة جداً . والازهار بيض مهيأة بهيئة خيمات في قمة الاغصان. والثمار بيضية مستطيلة محززة

هذا النبات يوجد في المروج والمحال الجبلية وجذره يؤكل كالجزر على مافيه من حرافة المستعمل في الطب بزوره وهي لاتكون جيدة الا في السنة الثانية من عمر النبات فتكون بيضية مستطيلة مضلعة مسودة مريحة طعمها سكري حار لذاع وهذا ناشيء من الدهن الذي فيها

(استعمال بذور الكراويا) أكثر استعمالها بمصر حيث تأتي من بلاد المغرب ويضعها النمساويون في خبزهم وجبنهم وأمراقهم ليسهل هضمها ويضعها الانجليز في فطيرهم ومربياتهم وتعمل منها أرواح كحولية ولاسيما الروح المسمى بدهن الزهرة

نص ديسقوريدس وجالينوس على انها طارده للرياح ومسهلة للهضم ومدرة للبول. وهي احدى البزور الاربعة الشديدة الحرارة . وتقرب خواصها من خواص الانيسون فتعطى في القولنجات الريحية العصبية المصاحبة لتصاعد الغاز في القناة المعوية وكذا في عسر الهضم وغير ذلك فيكون منقوعا مشروبا منها بلطف يتجه فعله بالاكثر للمجموع المبخر . ويستعمل مسحوقها بنجاح علاجا للديدان المعوية كما يستعمل ايضا دهنها الطيار دلكا على البطن بمقدار من ٢٠ الى ٣٠ نقطة في أوقية من زيت الزيتون أو من زيت اللوز الحلو لاجل طرد الرياح وتحريض الحيض وغير ذلك

ويوضع في ذلك الدهن من نقطتين الى أربع نقط في الجرعات الطاردة للريح

وبالجملة فان خاصة التنبيه في تلك البزور شديدة . وتستعمل في جميع ما تستعمل فيه بقية بذور هذه الفصيلة

وقال اطباء العرب نقلا عن جالينوس ان هذه البذور تسخن وتجفف وبما فيها من الحرافة المعتدلة تعتبر هي بل النبتة

كلها طاردة للرياح ومدرة للبول
وعن ديسقوريدس هذه البزورطيبة الرائحة جيدة للمعدة هاضمة للطعام تقع فى أخلاط الادوية وتسرع فى احدار الطعام وقوتها شبيهة بقوة الانيسون
وقال ابن ماسويه الكراويا أغلظ من الكمون وتخرج حب القروح من البطن وتقوى المعدة وتمقل البطن أقل من الكمون
وقال الطبرى الكراويا تنفع من الريح المعوية اذا دخلت فى الطعام أو خلطت بالادوية وهى شبيهة القوة بالكمون والكاشم
وقال اسحق بن عمران الكراويا صالحة فى الامراض الباردة مذهبة للتخم نافعة للمعدة التى أضرت بها الرطوبة . واذا أخذ منها كل يومين على الريق مقدار درهمين كما هى حبا أو أمسكت فى الفم حتى تلين ثم مضغت وبلعت نفعت من ضيق النفس منفعة قوية وحللت نفخ المعدة ونفعت من أوجاعها وتنفع من الخفقان المتولد عن أخلاط لزجة فى المعدة وكذا تنفع من البهر (انقطاع وتتابع النفس من الاعياء) المتولد من ضعف فم المعدة بفعل الانيسون
واذا طبخت بالماء وشرب ماؤها كان فعلها أضعف وهى تحبس البخار فى الرأس وتمنع التخم وحمض الطعام وتعين الادوية على التلطيف والتحليل
(مقدارها وكيفية استعمالها) يصنع منقوعها كغيره من جواهر هذه الفصيلة وماؤها المقطر يصنع بجزء منها أو أربعة أجزاء من الماء والمقدار منه من ٥٠ غراما الى ١٠٠ غرام فى جرعة . ودهنها الطيار يدخل فى الجرعات بمقدار ١٠ سنتى غرامات الى ٣٠ سنتى غراما وصبغتها تصنع بجزء منها و ٢١ من الكحول والمقدار منها للاستعمال من غرامين الى ٢٠ غراما فى جرعة ومسحوقها من غرام واحد الى اربعة غرامات بلوعا أو حبوبا

كَرَبه الامر يكرُبه كربا شق عليه . و (كَرَب الشىء) دنا و (كَرَب يفعل) اى كاد و (كاربه) قاربه . و (الكَرْب) الحزن و (الكَرَب) أصول السعف الغلاظ . و (الكُرْبة) الحزن و (الكَرُوبيون) الملائكة المقربون و (الكَرِيب) المكروب و (المَكْروب) المهموم

﴿ الكربون ﴾ هو أحد العناصر المهمة الكثيرة الانتشار فى الوجود وهو الذى يكون أكثر أجزاء الفحم ويدخل فى تركيب جميع الكائنات. ويوجد على حالة حمض كربونيك فى الهواء والمياه الغازية وعلى حالة كربونات الجير . ولا يوجد نقيا الا فى الماس والغرانيت

(اوكسيد الكربون وحمض الكربون) الكربون يكون باتحاده بالاوكسيجين مركبين وهما المذكوران . فالاول يكون من اتحاد ذرة من كل منهما والثانى يكون من اتحاد ذرة من الكربون بذرتين من الاوكسيجين . الاول سام لو استنشقه الانسان هلك لوقته . وأما الثانى فليس بسام ولكنه ان كثر تشبع الهواء به اختنق الانسان وهذا سبب هلاك بعض الناس فى حمامات البيوت فانهم يدخلون موقد الفحم معهم فيها وبه قطع منه لم يتم احتراقها فباحتراقها فى الحمام يستنفد كربونها الاوكسيجين الموجود بهواء الحمام ويحيله الى حمض كربونيك فلا يجد المستحم اوكسيجينا صالحا لتنفسه فيختنق فان اسعفه اهله وفتحوا له باب الحمام ليدخل اليه الهواء نجا مما وقع فيه والا هلك مختنقا لا محالة وقد استوفينا الكلام على الاسعافات الصحية الواجب اتخاذها للمختنق بالفحم فى كلمة اسفكسيا صفحة ٣٠٨ من المجلد الاول

(حمض الكربونيك) هذا الحمض يدخل فى تركيب المياه الغازية واذابته فى الماء يكون أما بتوجيهه الى أوان مملوءة بالماء متصلة بالجهاز المعد لتحضيره . واما بتوجيهه الى أوان مملوءة بالماء مهيئة لاذابته بواسطة طلمبات ماصة كابسة

﴿ كرت ﴾ تكريت بليدة بالعراق

﴿ كرثه ﴾ الغم يكرُثه كرثا اشتد عليه و(اكترث له) بالى به . و(الاكتراث) الاعتناء

﴿ الكراث ﴾ نبات من فصيلة البصل له جذر ليفى وأوراق مصمتة قنوية يسيرا مستطيلة حادة تطول الى أكثر من قدم غمدية مزنقة بعضها الى بعض ملززة ولحمية من قاعدتها بحيث يتكون فيها بصلة بيضاء مستطيلة منتفخة قليلا وجميع أغشيتها تعتبر أوراق تحيط بساق بسيط أسطوانى يعلو من ٣ أقدام الى أربعة والخيمة الزهرية كرية مركبة من أزهار صغيرة محمرة

يكثر الناس عندنا وفى كل بلد استعمال هذا النوع من البصل غذاء فتطبخ أوراقه لتمل منها أصناف من الاطعمة لذة وقد تغلى فتصنع منها شوربات ويحضر احيانا من أوراقه حقنا اذا كان هناك امساك أو أريد اللين

كرات المائدة أصله من سيبيريا وهو يستعمل فى الحدائق لاستعمال أوراقه توابل (خواصه الطبية) يقوى المعد ويعمل من مغلاه سائل ينفع السعال والنزلات الرطبة وغيرهما من أمراض الصدر وعصارته مدرة للبول ومفتتة لحصاة المثانة. الخلاصة ان خواصه تشبه خواص البصل

وقال أطباء العرب الكراث ينفع من الربو وأوجاع الصدر والسعال اذا طبخ فى الشعير شربا . وينفع من القولنج وحده واذا تضمد به صاحب البواسير بالصبر أزالها حتى ان بزره يقطعها اذا لوزم. وهو يجلو الكلف والنمش والثآليل والبرص طلاء بالعسل ويجلو القروح وينفع من السموم وهو يثقل الدماغ ويظلم البصر ويحرق الدم وتصلحه الكزبرة والهندبا

﴿الكرج﴾ قال ابن حوقل الكرج مدينة متفرعة البناء ليس لها اجتماع المدن وتعرف بكرج ابى دلف لأنها كانت مسكنا له ولاولاده ولها زروع ومواش ولكن ليس لها بساتين ولا متنزهات والفواكه تجلب اليها من بروجرد

وقيل الكرج مدينة طويلة نحو فرسخ وجاء فى المشترك ان الكرج مدينة بين همذان واصفهان وكان أول من مصرها أبو دلف القاسم بن عيسى واستوطنها وقصد الشعراء بها وتوصف بشدة البرد

﴿الكرخ﴾ قال ياقوت هى كلمة نبطية من قولهم كرخت الماء وغيره أى جمعته وهى فى عدة مواضع تنسب اليها ، منها كرخ البصرة وكرخ بغداد وكرخ الرقة وتشبه أن تكون أسواقا لهذه المدن

﴿كردستان﴾ هى بقعة من الارض فى آسيا يسكنها الاكراد وهم على حالة نصف بداوة تقع بلاده فى آسيا الغربية بين بلاد الفرس وارمينية والاناضول وجزيرة ابن عمرو (أى الجزيرة الواقعة بين نهرى الدجلة والفرات) منها جزء تابع لحكومة الفرس وسائرها مع الدولة العثمانية تبلغ مساحة بلادهم نحو ٩٠٠ كيلومتر طولا فى ١٠٠ الى ٢٠٠ عرضا

عاصمة الكردستان العثمانى ديار بكر

وقاعدة الكردستان الفارسى كرمنشاه هذه البلاد عبارة عن مجموعة جبلية وعرة المسالك تحوى بينها وديانا فى غاية الخصوبة

أما الاكراد فهم شعب فيهم عنصر تركى . وأما من جهة اللغة فهم يلتحقون بالشعوب الايرانية. وهم يسكنون جماعات جماعات على حدود آسيا الصغرى وبلاد الفرس . ويشاهدون مكونين لجماعات متفاصلة من أول سهوب التركمان بشمال بلاد الفرس الى أواسط آسيا الصغرى

﴿ الكُرْدوسة ﴾ القطعة العظيمة من الخيل جمعها كَرَاديس

﴿ كَرَّهُ ﴾ يَكُره كرا فكرَّ هو أى أرجعه فرجع يتعدى ويلزم

(كرَّره)أعاده.و(الكَرَّة)المرة والحملة فى الحرب جمعها كرَّات و(المَكَر) موضع الكر فى القتال

﴿ الكرز والاشنة ﴾ يسمى الجنس العام كرز وله أنواع كثيرة وهو المسمى بالفرنسية *Cerise*

شجره مرتفع اذا استنبت كان له أغصان منفرشة يتكون من مجموعها شبه رأس مستدير وجذعه قائم اسطوانى وقشره املس براق وخشبه احمر مطلوب فى الصناعة وأوراقه ذنيبية معلقة بيضية حادة مسننة وأزهارها بيضاء لها حوامل ويتكون منها حزم محاطة من قاعدتها بفلوس

(صفات ثمر الكرز) هذا الثمر نووى لحمى مستدير احمر شديد الاحمرار فيه حز مستطيل . فالشكل كروى والجلد يسهل انفصاله واللحم وردى والعصارة عادمة اللون والطعم حمضى تختلف حمضيته باختلاف الاصناف وهذا لا ينجب ببلادنا فلا ضرورة لايراد كيفية زراعته

(خواصه الطبية) جميع ثمار هذا الجنس مندية مرطبة معدلة تسكن حرارة الاعضاء وتخفض تهيج الاحشاء الهضمية وتلطف حرارة الاخلاط كما يقول ذلك قدماء الاطباء . وهى جيدة فى التغذية تؤكل على الموائد كما هى معتدلة عند المرضى بسبب خفة حمض عصارتها فتعطى فى الحميات لتعديل العطش ونحو ذلك

ويعمل منها مشروب مضاد للالتهاب محلل. وهى تربى وتجفف أيضا فى الشمس والتنانير

تحتوى عصاراتها على رأى (ميسلم) الكيماوى السويدى على ملح قاعدته

الكلس وحمض شبيه بحمض الفورميك والتمليك

حوامل الكرز أى معلقات ثمرة معروفة عند العامة بادرار البول. وقد تخلط أحيانا قشور الكرز بقشور الكينا مع أن قشوره ليس لها دخل فى مضادة الحمى أبداً فلا فائدة فى تلك الاضافة

جميع أنواع هذا الجنس تفرز نوع صمغ مشابه للصمغ العربى ويستعمل فى جميع استعمالاته يسمى فى أوروبا بالصمغ البلدى

﴿كرّس﴾ البناء تكريسا أسسه و (الكُرّاس) الجزء من الكتاب ومثله (الكُرّاسة). و (الكُرسى) معروف

﴿الكرسنة﴾ هو نبات سنوى ينبت فى محال الحصاد ويحمل قرونا متعرجة منفصلية تحتوى على بزور غليظة كحب الشهدانج مستديرة زاوية لونها سنجابى محمر صلبة وطعمها مقبول قليلا اذا كانت فجة وتكون مؤذية اذا خلط دقيقها بالخبز فتسبب ضعف الساقين بل الشلل

دقيق الكرسنة هو أحد الادقة الاربعة التى لها خاصية التحليل ضمادا

قال أطباء العرب الكرسنة لا يأكلها أكثر الناس وهى من مآكل الدواب واجودها المضلمة المائلة الى صفرة الرزينة وطعمها بين الماش والعدس

(خواصها الطبية) قال أطباء العرب ان فيها تعطيشا وجلاء تفتح السدد والاكثار منها يسبب بول الدم واذا طبخت وعلفت بها الماشية سمنتها بسرعة

وقالوا ان دقيقها نافع فى الطب وكيفية الحصول عليه أن يصب على البزور ماء وتترك زمنا ما حتى تشربه ثم تخرج وتغلى على النار حتى تتقشر ثم تطحن وينخل دقيقها بمنخل صفيق ثم يخزن

هذا الدقيق مسهل للبطن مدر للبول محسن للون ومقدار ما يستعمل منه الى ثلاثة دراهم

واذا خلط بالعسل نقى القروح والبثور اللبنية والآثار والكلب وينقى البشرة غسولا ويمنع القروح الخبيثة من السعى ويلين الاورام الصلبة وخصوصا فى الثدى ويقلع النار الفارسية اذا عجن بشراب

واذا ضمد به مع الشراب عضة الكلب ونهشة الافعى وعضة الانسان نفع نفعا بينا

واذا استعمل بالخل شربا نفع من عسر البول وسكن الزحير والمغص ودقيق الكرسنة اذا صب على شقاق البرد والحكه نفعها

واذا عجنت بالخل مع افسنتين وضمد بها لسع العقارب أبرأتها وأنبتت اللحم فى الجراحات الغائرة مفردة ومعجونة بعسل انتهى

ويقال انه اذا عجن بماء الدفلى وبزر البطيخ أزال البرص وان طلى به الوجه المصفر حمره بشدة ونوره وكثيراً ماتستعمله المواشط

وقالوا انه يولد اخلاطا رديئة ويبول الدم لشدة ادراره ومصلحه ماء الورد

﴿ الكُرْسوع ﴾ طرف الزند الذى يلى الخنصر وهو الناتىء عند الرسغ

﴿ كرّش ﴾ الرجل وجهه قطبه . و (تَكرّش وجهه) تقبض و (الكِرْش والكَرِش) من المجترات بمنزلة المعدة من الانسان

﴿ كرَع ﴾ فى الماء يكرَع كَرْعا وكُرُوعا . وكرَع منه يكرَع مدعنقه وتناول منه . و (الكُراع) مستدق الساق من الغنم والبقر جمعه اكرُع

﴿ الكرفس ﴾ بقلة كالمقدونس تؤكل وهو نبات يعيش سنتين جذره ليفى أو منتفخ وأوراقه جناحية وأزهاره بيضاء خيمية

يزرع عندنا منه نوعان : (١) البلدى (٢) والفرنسى

أما البلدى فغير جيد لانه خشن وله فروع كثيرة وأوراق وعروق أوراقه رفيعة

وأما الفرنسى فيزرع منه ثلاثة أصناف فعرف بالاسماء الآتية وهو الغليظ الابيض والغليظ الابيض الذهبى والقصير ذو العصب الكبير . وهذه الاصناف الثلاثة بيضاء اللون أوراقها قليلة الا أنها غليظة وعروقها كذلك

(كيفية زراعته) تبذر بزوره نثرا فى حيضان مسمدة تسميداً جيداً وتنبت بزوره ببطء

يزرع فى شهر يناير وفبراير

يحتاج هذا النبات لنحو خمسة أشهر حتى ينقل ويكون نقله عادة فى شهر يونيه فتغرس نباتاته فى خطوط بحيث يكون بعضها بعيدا عن البعض الآخر بنحو ٣٥ سنتى مترا وتكون المسافة بين الخطوط ٤٠ سنتى مترا وأحسن من هذا أن تحفر حفر

مستديرة يبلغ عمق كل منها ٣٠ سنتيمترا ثم تملأ هذه الحفر بالطين المختلط بكثير من السماد ثم تغرس فى كل منها شجيرة ثم تروى الارض

يحتاج الكرفس لارض خفيفة خصبة رطبة ويحتاج أيضا العناية كبيرة وسماد كثير وماء غزير

للحصول على نوع جيد منه يجب أن يكون ذلك النوع أبيض ويتوصل الى ذلك بحجبه عن الضوء وأحسن طريقة لذلك هى تغطيته بالتراب وينبغى عمل ذلك قبيل نضجه مرتين بحيث تكون الفترة بينهما ثمانية أيام ولما كان تغطية النبات تدريجيا يعوق نموه لانه يكون عرضه للتعفن فيجب ان تربط الاوراق بعضها ببعض قبل دفنها

يبدأ حصاده فى اكتوبر ولكن لايتم نضجه الا فى ديسمبر

(مادة طبيـة) للكرفس عدة أنواع وللنوع المعروف لنا ثلاثة أصناف رئيسية الاول البرى والثانى المستنبت أى البستانى والثالث البرتغالى والاكثر استعمالا ووجوداً هو المستنبت

(خواصه) كان العرب يعرفون الكرفس وخواصه الطبية فذكروه فى كتبهم وذكروا له أنواعا تابعوا فى ايرادها اليونانيين فقالوا الكرفس أصناف فمنه جبلى أى برى وبستانى وصخرى ومنهماينبت فى الماء وهو كرفس الماء وجرجير الماء ويسمى سير ويكون فى الماء الراكد وفيه عطرية ومنـه ماينبت بقرب الماء وهو كالنابت فى الماء وأعظم من البستانى وأجوف تميل ساقه الى البيـاض ويسمى ادرساليـون ويختلف باختلاف البلاد

وقال ابن البيطار ذكر ديسقوريدس انه نبات له ساق طولها نحو شبر ومخرجها من جذر دقيق على الساق أغصان ورؤوس دقيقة وفيها ثمر مستطيـل حريف طيب الرائحة شبيـه بالكمون وينبت بالصخور والاماكن الجبلية

ومن الكرفس ضرب يسمى باليونانية بطراساليون أويقال فطراساليون وتأويله كرفس الصخر وهو المقدونس وبزره شبيه بالنانخواه غير انه أطيب رائحة وأشد حرافة وهو عطر الرائحـة مع ان النبات كله مع ورقه وقضبانه يشبه البزر فى الحرافة ومن الكرفس نوع يقال له باليونانية اقوساليون ومعناه الكرفس العظيم وهو الكرفس

النبطى والمشرقى والعريض وهو أعظم من البستانى ومائل للبياض وساقه مجوفة طويلة ناعمة وأوراقه أعرض وله جمة شبثية تنفتح ويظهر عنها زهر وبزر اسود مستطيل حريف عطرى وله أصل أى جذر أبيض طيب الطعم ليس بغليظ وينبت بالمواضع المظللة وعند الآجام ويستعمل أكلا كالبستانى نيئا ومطبوخا . ومن الكرفس البرى صنف يقال له سمورنيون وهو الكرفس الطبرى له ساق فيها شعب كثيرة وورق أعرض من ورق الكرفس ومما يلى الارض من ورقه يكون منحنيا الى الخارج وفيه رطوبة يسيرة تدبق اليد وهو طيب الرائحة مع حدة وطعم فى ورقه ، ولونه الى الصفرة وعلى الساق اكليل كأكاليل الشبث وله بزر مستدير كبزر الكرنب اسود حريف رائحته كرائحة المربعينها وله أصل حريف طيب الرائحة ليس بكثير الماء يلذع الحنك وعليه قشرة وخارجه اسود وداخله اصفر الى البياض وينبت فى مواضع صخرية وعلى التلول

(تحليل الكرفس) حلل العالم فوجيل الكرفس البستانى فوجد فيه زيتا شحميا ودهنا طيارا وهو الذى يعطى الرائحة للنبات وكبريتا بمقدار يسير ومانيتا وباصورين وصمغا ومادة خلاصية وأملاحا

(خواصه الطبية) كان جذر الكرفس معروفا عند القدماء بأنه أحد الجذور الخمسة المفتحة العالية وهو الذى يستعمل فى الطب غالبا مع انه يعسر تحصيله ولذلك ترك دخوله فى شراب الشكوريا والماء العام مع انه جزء منهما . ويستعمل مطبوخا بمقدار من ٤ الى ٨ دراهم وذلك المطبوخ لعابى ويمكن صيرورته جليديا وهو مفتح ومحلل وظن القدماء أنه كالباقى من النبات معقم واتفق الاكثرون على ان منافعه كنافع المقدونس الذى هو كرفس جبلى او صخرى فيكون منبها لطيفا يدر البول والطمث واللبن ويعرق ويسخن وينفع من الحفر والامراض الضعفية والحمى فاذا استعملت عصارة أوراقه بمقدار ست أوقيات كانت كما قال (ترنفور) دواء جيدا لمقاومة الحمى اذا تعوطيت وقت القشعريرة وأكد انه ان أخذ درهم من خلاصتها مع درهمين من الكينا كان ذلك أعظم فى خاصة مضادة الحمى ويعمل من تلك العصارة شراب . وتدخل الاوراق فى المرهم المنظف ولصوق قسطرن وغير ذلك

وأطنب علماء العرب فى خواصه فنقلوا
عن جالينوس ان البستانى مدر للبول
والطمث محلل للرياح والنفخ سيما بزره
وانه أنفع للمعدة من سائر أنواع الكرفس
لانه ألذ منها وأعوان للطبيعة

وذكروا عن ديسقوريدس ان
تضميد العين به مع الخبز يسكن أورامها
الحارة وورم الثدى . وشرب طبيخه مع
الاصل ينفع من الادوية القتالة ويحرك
القىء ويعقل البطن وينفع من نهش الهوام
وينتفع به فى الادوية المسكنة للاوجاع
والطاردة للسموم وأدوية السعال

وقال الكرفس يقلل اللبن وروى عن
روفس انه قال ان طول أكله يملأ الارحام
رطوبة حريفة

وعن مسيح الخطيب انه يفتح سدد
الكبد والطحال

وعن الطبرى ينفع ورقه الرطب المعدة
والكبد الباردتين ويذهب الحصاة وينفع
ورقه وعصيره من الحمى النافض البلغمية
وسيما اذا شرب مع عصير ورقه الرازيانج
الرطب وحبة أقوى من ورقه

وعن الرازى ينبغى أن يجتنب أكله
اذا خيف من لدغ العقارب ومرباه صالح
للمعدة مسكن للغثى ونفخه لطيف ينحل
سريعاً ولا يحتاج أصحاب الامزجة الباردة
فى اصلاحه الى ان يكثروا منه جدا فيحتاجون
حينئذ الى ما يحل النفخ كالكمون والانيسون
واصلاحه لاصحاب الامزجة الحارة أن
يصنعوه بالخل

وعن جالينوس ان الحامل اذا
اكثرت من اكله زمن حملها تولد فى بدن
الجنين بعد خروجه من الرحم بثور رديئة
او قروح عفنة ولذا كره جميع الاطباء أن
يطعموا المرضع كرفسا لئلا يصير الطفل
احمق ضعيف العقل . وذلك من فعل
الكرفس بتصعيده الفضول الى أعالى
البدن

فعل ورق الكرفس أقوى من فعل
بزره وجذوره أكثر اطلاقا للبطن من ورقه
لان اصله يفعل على سبيل الدواء . ورقه
على مافيه من الحرافة والتلطيف يسهل
الانهضام والانحدار

وعن الاسرائيلى اذا أكل الخس
مع الكرفس عدله أى أكسبه اعتدالا
ولذاذة الخس فى البرودة والرطوبة ويقال
لما فى الخس من البرودة والرطوبة. ويقال
ان تعاطى بزره ينقى الكبد والمثانة

ويفتح سددها ويحلل الرياح والنفخ الحادث في المعدة ويضر أصحاب الصرع كما يضر الكرفس الاجنة في الارحام من جهة ان الفضول اذا انحدرت الى الارحام اختلطت بغذاء الجنين وولدت في بدنه رطوبات حارة غفنة من جنس الطواعين

يستعمل منقوعه من ٣٠ الى ٦٠ غراما منه لاجل لتر من الماء ، وشرابه يصنع بجزء منه و ٣٠ من الماء والسكر ويستعمل منه من ٣٠ الى ٦٠ غراما

واذا أريد استعماله من الظاهر فليصنع منقوعه بمقدار منه من ٥٠ غراما الى ١٠٠ لكل كيلو غرام أي لتر من الماء ليستعمل رفادات أو غسلات أو غير ذلك . ويصنع من أوراقه ضماداً بقدر الكفاية (انظر مقدونس) مادة من نوعه

﴿الكركم﴾ يسمى بالعروق الصفر وعروق الصباغين وبقلة الخطاطيف ولكن هذا الاسم الاخير يطلق على المسامير أي الذي هو صنير الكركم

الكركم جذر نباتي من الفصيلة الحاماوية أو أمومية ينبتان بالهند الشرقية والذا يسمى الكركم بزعفران الهند . هذان النباتان لا يتخالفان في صفاتهما الا قليلا ولكن جذر بهما يخالفان معظم أصناف هذا النوع تخرج منهما مادة ملونة صفراء كالتي توجد في الكركم

وهو نبات معمر وجذره درني مستطيل عقدي مرفقي في غلظ الاصبع مع ألياف لحية متولدة من العقد . وأوراقه سهمية تطول أكثر من قدم بل تزيد عن ٣ ديسيمتر والازهار مهيأة بهيئة سنبلة قصيرة غليظة تنشأ في وسط الاوراق

حلله فوجيل وبلتيير فوجدا فيه مادة ملونة صفراء تشبه الراتينجات وتغيرها القلويات الى حمرة كحمرة الدم ومادة أخرى ملونة سمراء تشبه المادة المستخرجة من كثير من الحاصلات ودهنا طيارا كثير الحرافة ودقيقا نشائيا وقليلا من الصمغ ومقداراً يسيراً من كلورايدرات الكلس أهم تلك القواعد هي المادة الملونة الصفراء منظرها اللامع مرغوب فيه في الصبغ وان كان قليل الثبات تلك المادة كثيرة الذوبان في الكحول والاتير والادهان الثابتة والطيارة

(استعماله الدوائي) الكركم منبه عطري شديد الفاعلية حار لذاع يهيج مسحوق الغشاء النخامي فيحرض العطاس

ويسخن باطن الفم ويسيل اللعاب بكثرة واذا أخذ من الباطن نبه المعدة وفتح الشهية وأعان على الهضم وقد تنتشر خاصته المنبهة فى جميع الاعضاء فيتواتر النبض ويسخن البدن وتقوى الدورة وتتأثر جميع الوظائف فهو دواء مقو منبه مدر للبول مضاد للحفر . والهنود يسمونه بحشيشة الالم المعدى يدخلونه كالتوابل فى أغذيتهم ويصنعون من جذوره الجديدة مربيات بالسكر ويستعمل الكركم لتحريض الولادة وبعضهم يستعمله لعلاج الاسهال المائى وقالوا انه يستعمل فى جزيرة جاوه فى العلل الماساريقية

وذكر الطبيب (مولان) انه يستعمل أيضا فى علاج اليرقان بسبب لونه الاصفر ولكنه أصبح قليل الاستعمال

وذكروا انه مع ادراره للبول يفتت الحصى ولذوبان جزء من مادته الملونة فى الشحم يستعمله الاقرباذينيون لتلوين المراهم والادهان والزيوت الدوائية والسوائل الروحية وغير ذلك

ويضم أحيانا للنيلاء فيتكون منهما لون أخضر تلون به بعض المراهم وزيت الغار

هذا رأى الاطباء المحدثين اما الاطباء العرب فجعلوا الكركم صنفين كبير يسمى بالفارسية زردجوبه وبالعربية الهود وهو الكركم يقينا ، وصنفا صغيراً وهو الماميران ويسميه اليونانيون خالندونيون هوماغا

وذكروا ان الكركم نافع للبصر ولكن لا كالماميران وينفع أصحاب اليرقان والسدد سواء فى الكبد أو فى غيره فيسقون منه مقداراً الى درهم بشراب أبيض مع مثله انيسون ومضغ هذه الجذور نافع لوجع الاسنان واذا تضمد به مع الشراب أبرأ النملة وجفف القروح

(المقدار وكيفية الاستعمال) منقوعه المستعمل من الباطن يصنع بمقدار من غرامين الى ١٠ غرامات لأجل ليتر من الماء ونصف هذا المقدار من الجوهر لاستعمال مسحوقه ، وباغلاء الكركم يكون لزجا بسبب الدقيق والصمغ المحتوى عليهما ويكون اصفر مسمراً مراً وصبغته تصنع بجزء منه و ٦ من العرقى النقى ومقدار الاستعمال من غرام واحد الى غرامين فى جرعة

﴿ الكركى ﴾ طائر كبير يقرب من

الاوز ابتر الذنب رمادى اللون فى خده لمعات سود قليل اللحم صلب العظم جمعه كراكى وذهب قوم الى انه الغرنوق وهو من الحيوانات التى تعيش أسرابا تحت قيادة رئيس

قال عنه الدميرى ان فى طبعه الحذر والتحارس فى النوبة والذى يحرس يهتف بصوت خفى كأنه ينذر بأنه حارس فاذا قضى نوبته قام الذى كان نائما يحرس مكانه حتى يقضى كل مايلزمه من الحراسة ولها مشتات ومصايف . ومن أصنافها ما يلزم موضعا واحدا ومنها ما يسافر بعيدا وفى طبعه التناصر . ولا تطير الجماعة منه متفرقة بل صفا واحدا يقدمها واحد منها كالرئيس لها وهى تتبعه ، يكون ذلك حينا ثم يخلفه آخر منها مقدما حتى يصير الذى كان مقدما مؤخرا وفى طبعه ان ابويه اذا كبرا عالهما . وقد مدح هذا الخلق ابو الفتح بن كشاجم حيث يقول مخاطبا لولده :

اتخذ فىَّ خلة فى الكراكى

أتخذ فيك خلة الوطواط

انا ان لم تبرنى فى عناء

فبرى ترجو جواز الصراط

ومعنى قوله خلة الوطواط انه يبر بولده فلا يتركه بمضيعة بل يحمله معه حيثما توجه

قال الدميرى : «وللوك مصر وأمرائها فى صيده تغال لا يدرك حده وانفاق مال لا يستطاع حصره وعده فلذلك علت مملكتهم على كثير من الممالك ، ولن يهلك على الله الا هالك أومتهالك ؟

أما نحن فلم ندرك العلاقة التى بين صيد الكراكى وعلاء الملك ولا نشك فى أن هذا من خرافات الاوائل

يكنيه العرب ابو عريان وابو عيناء وابو العيزار وابو نعيم وابو الهيصم

وضربوا به الأمثال فقالوا أحرس من الكركى ، لأنه يقوم الليل كله على احدى رجليه

﴿ كرُم ﴾ الشيء يكرُم كرَامة وكرما عز . و (كرُم الرجل) اعطى . وضده لؤم و (كرَّمه) عظمه . و (تكرَّم) تكلف الكرم . و (تكرَّم عن كذا) تنزه عنه . و (الكُرَام) الكريم . و (الكرَامة) حدوث امر خارق للعادة على يد رجل صالح و (الكرْم) العنب . و (الكرَّام) صاحب الكرم . و (الأُكرُومة) فعل الكرم و (التكرمة) الوسادة التى يجلس

عليها تكرمة وتعظيما . و(المَكرُمة) فعل الكرم

﴿ كرمات الاولياء ﴾ يعول جميع أصحاب الاديان على الخوارق التى تصدر من صالحى أتباعها. فجعلها المسيحيون من علامات تأييد روح القدس لمن تصدر على أيديهم . وأمر المسيح أتباعه بنشر دينه وبشرهم بحدوث خوارق على أيديهم تؤيد دعوتهم حتى جعل ذلك علامة لهم تميزهم عن كذَبة الدعاة الذين يلتحقون بدينه وليسوا منه فى شىء. وقد بالغ المسلمون فى عصورهم المتأخرة فى اعتبار الخوارق ولكنهم لم يجعلوها أساساً لدعوة داع ، فان دينهم أقام لهم من العقل فاروقا بين الحق والباطل . فما حكم به العقل بعد اجهاد النظر وانعام التأمل فهو الحق عندهم وللمصيب أجران وللمخطيء أجر ، وما نبذه العقل بعد بذل الغاية فى تمحيصه فهو الباطل وإن أيده من الخوارق مالا مزيد عليه

هذا مبنى الدين الاسلامى فى حقيقته وماغلا المسلمون فى أمر اعتبار الخوارق الا من وجهة الحكم على الاشخاص بدرجات القرب من الله

الخوارق فى نظرنا ليست من الامور الممكنة فقط بل من الامور الضرورية اللازمة لبعض الحالات العالية التى تكون عليها الروح الانسانية . فان هذه الروح فينا نفحة من نفحات الحق سكنت هذا الجثمان حينا من الزمان فستر جلالها هذا الجسد الكثيف ، فمن عرف هذا السر فتح فى قلبه نافذة يطل منها عليها انبعث عليه من نورها مايجعله روحا صرفا فتصدر على يديه أمور خارقة للعادة لان للروح تسلطا لاحد له على الماديات ، ويستحيل أن تشرق الروح على شخص ولاتصدر الخوارق على يديه والذى يحدث فى جلسات تحضير الارواح فى أوربا حينما يتجرد الوسيط عن حالته العادية ويدخل الى حالة أخرى تحت سلطان روحه يثبت هذا القول بالحس

ولكن ليس صدور الخوارق فى نظرنا بالدليل القاطع على القرب من الله بالاعمال الصالحة . فان المسألة مسألة قوة روحية . وروح العاصى من طبيعة روح الطائع فاذا توصل العاصى الى الاستفادة من هذه القوة فيه وعرف طريق ذلك من جهة الرياضة وصل من ذلك الى مايقصر عنه

العابد المتبتل الذى يجهل تلك القوة فيه وسر استخدامها

وعلى هذا فمدار الحكم على الصلاح أو القرب من الله لا يصح أن تكون الخوارق بل الاعمال الصالحة ، والعزمات الصادقة . هذا هو حكم الاسلام نفسه ولا عبرة بما يستهتر فيه بعض المحبين للاعاجيب فانهم لا يستمدون من الاسلام على شيء بغلوهم فى اعتبار الخوارق

ان ما يحدث من الخوارق فى جلسات تحضير الارواح وتحت نظر العلماء الطبيعيين المجربين يثبت ما نقول ، وهى خوارق لو صدرت أمام أحد هؤلاء الغلاة لحكموا بولاية من تحصل على يديه وليس ذلك من العدل فى شيء

فالولى تصدر منه الخوارق كلازم من لوازم تغلب روحه على جسده ، وغير الولى قد تصدر منه الخوارق من طريق الرياضة ومدار التفرقة بينهما العمل الصالح والسيرة المنزهة عن الشوائب

﴿ الكرم ﴾ هو شجر العنب وهو منتشر انتشاراً عظيما فى الاقطار الواقعة بين الدرجة ٤٠ و ٥٠ من خطوط العرض ولبلادنا منه حظ وافر وخصوصا بقرب الاسكندرية وفى مديرية الفيوم

(زراعتـه) يزرع الكرم عادة من مقل طولها نصف متر تؤخـذ فى فبراير وتزرع فى الارض فى اتجاهات مائلة لاجل أن يتكون عليها عدد عظيم من الالياف الجذرية مع ترك زرين أعلا سطح الارض ويمكن حصول الزرع بعد ارتفاع النيل فى أغسطس الا أن نجاحه أقل من نجاح الاول

ويمكن الحصول على أصناف متنوعه بالتطعيم بطريقة الشق وأحسن وقت لهذا العمل هو فبراير ويمكن أن يعمل أيضا فى أغسطس الا ان نجاحه فيه يكون أقل

ويحصل الترقيد كثيراً فى شهر فبراير ويجب أن تنتخب اغصان لهذا الغرض قوية وموشحة بأزرار جيدة وأن تدفن فى أرض مسمدة جيدة مع حفظها رطبة وأن تقلم بحيث لا تبقى الازرار فوق سطح الارض

وسواء كان النبات مستخرجا بالمقل أو الترقيد فانه ينقل إذا بلغت سنه سنتين أو ثلاث سنين فى شهر فبراير قبل أن تزداد العصارة

تقليم الكروم ضرورى فى كل سنة وأوفق أوقاته فى شهر فبراير فالكروم المغروسة

يجب ان تقلم فوق زرين مباشرة من أسفل الساق واذا كانت الاعنـاب على الارض فان التقليم يجب أن يكون متقاربا بحيث يكون شجر العنب مثل العشب . ويفضل تقليم الاغصـان وهى خضراء خصوصـا اذا كان العنب على الارض . أحسن وقت لهذا العمل عند ما تـكون الحبوب فى حجم الذرة وفى هـذه الحالة يتحصل على عنب أحسن بسبب عظم كمية العصارة التى تتكون

يجب أن يسمد العنب مرة فى كل عامين على الأقل بسماد بلدى جيد ومتحلل جيداً عند ما تكون الاشجار حاملة ثمرها

﴿ كرمان ﴾ قال ياقوت الحموى فى معجم البلدان هى ولاية مشهورة ذات بلاد وقرى ومدن بين مكران وسجستان وخراسان فشرقيها مكران ومفازة مابين مكران والبحر وغربيها أرض فارس وشمالها مفازة خراسان وجنوبها بحر فارس . من مدنها المشهورة جيرفت وموقان. وكرمان أيضاً مدينة بين غزنة وبلاد الهند وبينهما أربعة أيام

نقول ان كرمان الآن هى احدى ولايات مملـكة ايران وقد اختلفت فى حـدودها اليوم عمـا كانت عليه أيام ياقوت. وهى بلاد كثيرة الجبال والأنهار والبحيرات تكثر فيها الحبوب والكروم والنخيـل وفيها ابل وغـنم ومعز ومن أوبارها تصنع المنسوجات المتـداولة فى تجارتهم

من المدن المشهورة اليوم فى كرمان سيرجان وهى ذات تجارة واسعة فى الشيلان والاسلحة التى تصـدر الى بلاد الافغان وبخارى ويبلغ عدد أهلها نحو (٤٠٠٠٠) نسمة

﴿ الكرنب ﴾ أصله من اوروبا وهو يصلح فى جميع الاقاليم لكنه ينجب فى الاقاليم الرطبة ، وتوافقه الارض الطينية الرملية ويجب أن تكون أرضه غائرة ومحتوية على كثير من السماد

يزرع منه فى مصر ثلاثة أنواع: (١) الـكرنب البلدى (٢) والكرنب الاحمر الفرنسى (٣) وكرنب البطة

أما الاول فبزوره مصرية وهو كبير الجسم على شكل الطبل أبيض اللون صلب خشن يزرع بكثرة

اما الاحـمر فتستحضر بزوره من الخارج وأصنافه المهمة هى الاحمر القاتم

المبكر والاحمر الصغير والاحمر الغليظ المبكر وهذه الاصناف قصيرة ذات رأس على شكل الطبل وليست صلبة وتتأخر زراعتها ولا تزرع بكثرة على انها مطلوبة من الاوربيين بكثرة

والنوع الثالث يزرع منه صنفان وهو كبير ذو رأس خشن وأكبر من رأس الكرنب البلدى والطلب عليه كثير

يزرع الكرنب من البزور وهى تحتاج الى عناية فى انتخابها ووقت زراعته شهرا يونيه ويوليه ويمكن زراعة كرنب البطة فى أواخر فبراير

ينقل الكرنب بعد زرعه بأربعين أو خمسين يوما ويغرس فى صفوف متباعدة بنحو ٨٠ سنتمترا ويكون بين الكرنبة واختها من ٥٠ الى ٧٥ سنتيمترا

يزرع الكرنب فى أرض صفراء رطبة محروثة حرثا جيداً والافضل أن تكون الارض ثقيلة ويجب صرف الماء من ارضه صرفا جيدا والاكثار من السماد ويجب تسميده قبل ابتداء تكون رؤسه ولا بد من ان يخدم سطح الارض كثيرا مع الاتقان وكثرة الرى

يقلع الكرنب بعد نقله بخمسة أشهر أو ستة ويستغرق حصاده نحو شهر ونصف شهر

يوجد كرنب يسمى بكرنب بروكسل لا يزرع هنا منه الا القليل مع ان الرغبة فيه شديدة وهو يزرع كغيره ويدرك فى شهر ديسمبر

ولا بد لزراعته من أرض خصبة ويحتاج الى زمن طويل و[illegible] نوعه النوعان المعروفان بكرنب بروكسل [illegible] المتوسط القصر من [illegible]

(خواصه الغذائية) الكرنب كأكثر الخضر تحصل فيه بالاغلاء [illegible] كيماوية بها تتغير طبيعته . فاذا كان الكرنب نيئا كان [illegible] فيه مرارة ورائحة متبولة احيانا تكون مسكية . وفى أول الاغلاء تظهر عطريته وتنتشر الى بعد فاذا وقف الاغلاء كان ماؤه نتنا ويتعفن بسرعة غريبة فينتن المطبوخ فاذا دووم على طبخه نقصت هذه الرائحة ولان النبات وصار سكريا واكتسب طعما مقبولا فتكون مرقته لذيذة مغذية فيجب والحالة هذه ان يطبخ الكرنب جيدا ليتحصل منه على غذاء ثمين القيمة واقل زمن لطبخه خمس ساعات حتى تحدث فيه التغيرات الدفعة

المذكورة ولاستحالتـه الى طعـام سليم مقبول

وقد ثبت بالتحليل ان فى الكرنب كبريتا ومادة حيوانية أى أزوتيـة فهو نبات جليل القيمة من الوجهة الغذائيـة ولـكنه مولد للرياح والقراقر فى المعـدة والامعاء وذلك ناشىء فى أغلب الاحوال من عدم اجادة الطبخ

وقيل انه يمنع الاسكار وانه مضاد للحفر وانه يحفظ من النقرس ووجع المفاصل وان ماءه الاول مسهل خفيف والاخير قابض وأوراقه الطريئة تنفع من قروح السعفة وكانوا يستعملون بزوره ضد الديدان

وقال أطباء العرب ان هـذا النبات بجميع أجزائه يفجر الاورام ويلحم القروح وانه بالنطرون والعسل يزيل الجرب

ويحضر من الكرنب مرقة وشراب يناسبان الاشخـاص الذين صدورهم فى غاية اللطافة ، ويأمرون به للمسلولين لان هذا النوع كثير السكرية . وتعمل منـه مربى بالعسل والسكر تستعمل فى امراض الصدر

كيفية عمل شراب الكرنب ان تؤخذ جزء من العصارة المنقاة للكرنب الاحمر وجزءان من السكر الابيض ثم يمزجان حسب الصناعة وذلك الشراب كثير الاستعمالات فى الاسهالات المزمنة بمقدار من ٦٤ غراما الى ١٢٥

وقـد توسع أطبـاء العرب فى ذكر خواص الكرنب فنقلوا عن جالينوس أن الكرنب قوته مجففة ان أكل أو وضع من خارج ولـكنه ليس بظاهر الحدة والحرافة بل قوته تبلغ به الى ادمال الجراحات وشفاء القروح الخبيثة والاورام التى قد صلبت وصارت في حد مايعسر تحلله وقضبـان الكرنب اذا حرقت كان رمادها مجففا تجفيفا شديدا فاذا مزج بشحم عتيق أو أى شحم كان نفع من الخنازير والدبيلات والجراحات واذا سلق الـكرنب سلقا خفيفا وأكل أمسك البطن وسيما ان سلق مرتين اى بماء بعد ماء .وقلب الكرنب أسهل للمعدة وأدر للبول من سائر أجزائه . وأكل الكرنب للمخمور يسكن خماره . وشرب عصارته بالشراب ينفع من لسع الافعى والتضمد به مخلوطا بدقيق الحلبـة والخـل ينفع من النقرس ووجع المفاصل والقروح الوسخة

العميقة واذا احتملته المرأة مع دقيق الشيلم أدر الطمث والتضمد بورقه مدقوقا أو مع سويق ينفع من كل ورم حار من الاورام البلغمية ويبرىء الشرى والجرب المتقرح واذا مضغ وشرب ماؤه أصلح الصوت

وبزر الكرنب الذى ينبت بمصر هو الذى يقتل الدود لانه شديد المرار ولا يقع فى اخلاط الترياقات

وقالوا الكرنب ينفع من السعال القديم ومن النقرس اذا صب طبيخه على المفاصل واطعامه للصبيان ينشئهم سريعا وشرب عصيره مخلوطا بالنبيذ كل يوم يذهب وجع الطحال ورماده يبرىء حرق النار وعصيره يبرىء الحكة والجرب وان خلط بالزاج والخل وطلى به البرص والجرب نفعهما وان خلط رماده ببياض البيض أبرأ حرق النار والاكثار منه يولد السوداء والدم العكر

وقال جالينوس أغذية الكرنب تحدث فى البطن من الظلمة ما يحدث العدس وهما يخفقان جميعا على مثال واحد الا أن العدس مغذ غذاء كثيرا ، وغذاؤه غليظ قريب من السواد والكرنب يغذو غذاء يسيرا وغذاؤه أرق وأرطب من غذاء العدس لانه ليس من الاغذية اليابسة الجرم . والخلط المتولد من الكرنب ليس جيداً ولا محمراً كالدم المتولد من الخص بل هو ردىء كريه الرائحة وليس للكرنب فى البول كثير عمل لا فى جودته ولا فى رداءته

وقال الرازى ادمانه يولد دما اسود ولذلك يجب أن يجتنبه المستمدون للسوداء والذين ابتدأت فيهم الماليخوليا والسرطان وداء الفيل والدوالى والبواسير . وبالجملة لا يوافق المحرورين فان أكلوه فليشربوا عليه شربا كثيراً

قالوا وأما القنبيط فهو أغلظ وأقوى وأبطأ فى المعدة من غيره وورقه الناشىء حواليه أقل ادراراً وأصلح من حارته الناشئة فى وسطه واجتنابه كله أحمد لتوليده الدم العكر ،والاكثار منه يضعف البصر. وهو مدلق للبطن كثير البخار يولد أحلاما رديئة ومرة سوداء .وحارته تهيج القراقر والنفخ

وقال اسحق بن عمران القنبيط اكثر غلظا وأبطأ فى المعدة من الكرنب وهو أفضل منه فى ادرار البول واطلاق البطن ولمائيته خاصة فى نفع السكر

وقال الاسرائيلى اذا شرب قبل الشراب منع من كثرة السكر واذا شربه المخمور حلل خماره واذا أحرق ورق الكرنب كما هو في قدر فخار جديد ثم أضيف الى بعض الشحوم أبرأ الاورام الصلبة التى فى العنق ومنها الخنازير

واذا أخذت عروق الكرنب البرى وهو ينبت فى حماة وحمص ودمشق وجففت ثم سحقت وأعطى منها الذى نهسته الافعى قدر درهمين بشراب خلص من نهشة الافعى مجرب

﴿كرِه﴾ الشىء يكرَهه كَرها وكُرها ضد أحبه و (كرُه الامرُ يكرُه كراهة و كراهيَة) قبح فهو (كريه) و (كرّهه الشىء) حمله يكرهه و (أكرهه على الامر) حمله عليه و(تكرّهه) تسخطه و (فعله كَرْها) أى اكراها و(الكَريهة) الحرب

﴿الكَرَوان﴾ طائر يشبه البط لاينام الليل والانثى كَرَوانة وجمع كروان كِرْوان بكسر الكاف مثل وَرَشان وورِشان على غير قياس

ويضرب به المثل فيقال : أجبن من كروان قال الدميرى لانه اذا قيل له أطرق كرا ، ان النعام فى القرى . التصق بالارض . فيلقى عليه ثوب فيصاد وهذا المثل يضرب للمعجب بنفسه قال الشاعر :

أمير أبى موسى يرى الناس حوله
كأنهم الكروان أبصر بازيا

﴿الكِرَاء﴾ أجرة المستأجر . و (اكترى الدار واستكراها) استأجرها و (أكرى داره) أجرها له و(المُكارى) الذى يكرى الدواب

﴿الكزبرة الخضراء﴾ هى نبات سنوى جذره مغزلى بسيط أبيض والساق متفرعة قائمة خالية من الزغب أسطوانية محززة تعلو نحو قدمين والاوراق جذرية ذنيبية وريقاتها بيضية مقطعة مسننة والازهار بيض صغيرة على هيئة خيمات والتويج مكون من خمس أهداب متساوية قلبية

(صفاتها الطبيعية والكيماوية) إذا هرس هذا النبات بين الاصابع ظهرت له رائحة وطعمه فيه مراراة ولذع وبزوره بيضية مستطيلة لامعة والعادة أن تخلط الفروع الصغيرة للكزبرة مع الاغذية لتكون رائحتها مقبولة وطعمها مشوب بحرافة قليلة وتحتوى على كثير من الاصول المخاطية

القابلة لأن تتحول الى كيلوس فاذا تقدم النبات فى الانبات كان محتويا على عصارة خاصة عطرية تتضح خاصيتها الدوائيـة كأوراق كثير من نباتات هذه الفصيلة كأوراق الشعر والمقدونس والـكرفس

(خواص الـكزبرة الخضراء) عصـارتها تدخل فى تركيب العصارات المزيلة للعفونة والمضادة للحفر ويستخرج منها ماء مقطر بالتقطـير والمواد الطيارة الموجودة فى هذا النبات تؤثر على المنسوجات الحية باحداث التنبه فيها وكثيراً ما ينتج منها ادرار البول لانهـا يقينـا تزيد فى الحيوية والفعل المفرز للجهاز الكلوى ومن المحقق ادرار هذا النبات للطمث ولـكن بضعف

وذكروا أن عصارة الـكزبرة أو مغليها فى مصل اللبن واسطة قوية فى سدد الاحشاء ومدحوها فى اليرقان وأوصوا بمحضراتها فى الربو والنزلات المزمنة وأمراض الجلد والحفر

وأوصى العالم « جوفروا » بعصاره الكزبرة فى الاستسقاءات وأكد انه كثيراً ما شاهد منها سيلان البول بكثرة ففى هذه الآفات قوة التنبيه التى فى النبات هى التى تسبب النتائج النافعة ، ولكن هناك علماء يؤكدون أن فى هذا النبات قوة الترطيب وانه يقلل حرارة الدم

وقال (مـيريه) يستعمل مطبوخ الكزبرة كدواء محلل ومدر للطمث والبول ومقطب للجروح ولتسـكين الاوجاع الباسورية ويوضع على الرضوض الاثداء المحتقنة باللبن وعلى الجروح. ومدحوه فى السل والاستسقاء والامراض الجلدية وأكد العالم « ذوقال » تأثيره فى الرمد نحو ٦٠ مريضا فتوضع الـكزبرة ضماداً على العين الملتهبة وكذا تغسل العين بمطبوخ هذا النبات

(كيفية الاستعمال ومقـداره) يصنع ماؤه المقطر بأخذ جزء منها وثلاثة أجزاء من الماء والمقدار منه للتعاطى من ٥٠ الى ١٠٠ غرام فى جرعة . والشراب يصنع بجزء من العصـارة وجزئين من السكر والمقدار للتعاطي من ١٥ الى ٦٠ غراما فى جرعة والعصارة المنقاة. مقدار ما يستعمل منها ٥٠ غراما الى ١٠٠ غرام والخلاصة مقدارها من غرام واحد الى ١٥ غراما بلوعا أو حبوبا

اما من الظاهر فالمطبوخ يصنع بأخذ

مقدار من ٣٠ الى ٦٠ غراما منها لاجل لتر من الماء لتعمل بذلك غسلات وكادات وضمادات

﴿ الكزبرة الجافة ﴾ هى نبات جذرها سنوى مغزلى ابيض يعلوه ساق اسطوانية عادمة الزغب والاوراق الجذرية تكاد تكون كاملة أو مقطعة وتدية الشكل والازهار بيض وردية مهيأة بهيئة خيمة مركبة من خمسة أشفار أو ستة غير متساوية وأزهار الدائرة شعاعية وأهدابها أكبر والثمر مزدوج الحب بيضى كروى متوج بالاسنان الغير المساوية للكأس وبالمهبلين ويمكن فصله الى حبتين كريتين بتقدم النضج وبالتجفيف

(الصفات الطبيعية الكيماوية للكزبرة الجافة) هذه البذور سنجابية مستديرة فى حجم رش الرصاص وفيها خطوط صغيرة منتهية بانتفاخ صغير ورائحتها كريهة البق كورقها الاخضر الطرى أيضا وربما استكرهت تلك الرائحة اذا تجمع من النبات مقدار كبير ثم اذا جففت صارت عطرية وطعمها يقرب من طعم الانيسون وان كانت أضعف منه وبالجملة تصير مقبولة الرائحة والطعم ولذلك يستعملها العطريون وتجار المشروبات الروحية لتعطير مشروباتهم ومعاجينهم ويخرج منها دهن عطرى عادم اللون شديد السيولة . كثافته نحو ٧٦ر٠

(خواصها الطبية) يستعمل بزر الكزبرة فى الاطعمة ليطيرها ولذلك استنبت فى جميع الجهات لهذا السبب

ويستعمل منقوع الكزبرة هاضما ومقويا للمعدة وطاردا للرياح. مضادا للتشنج فهو من المقويات

والدهن الطيار للكزبرة فيه خواص البزور فيوضع منه نقط فى المنقوعات النبيذية والجرعات

وذكر أطباء العرب ان للكزبرة اليابسة خاصية فى تقوية القلب وتفريحه وسيما فى المزاج الحار. وقالوا ان أكل طريها يقطع الباه وكذا الاكثار من يابسها . واذا شرب نقيع اليابسة قطع الانعاظ الشديد

وقالوا انها تطيل بقاء الاغذية فى المعدة فينتفع بها من لا تستقر الاغذية فى بطونهم . وكذا ينتفع بها من يتقايأ الطعام بعد تناوله .ويجب أن يقلل منها من كان معه ربو ومن كانت معه ملادة وأمراض باردة فى الدماغ

وقال ابو جريج الراهب الكزبرة باردة مخدرة تورث الغم والغشي وتجمد الدم

وقال محمد الغافقي أما قول المحدثين في الكزبرة ووضعهم لها في رتبة الشوكران والافيون من الادوية المخدرة وكل ذلك منهم كذب وجهل

وقال صاحب كتاب السموم أن الكزبرة الرطبة اذا شرب من عصيرها أربع أوقيات قتلت

(المقدار وكيفية الاستعمال) مسحوقها نادر الاستعمال ومقداره من غرام واحد الى خمسة غرامات والغالب استعمال المنقوع المصنوع بمقدار نحو ٣٠ غراما لأجل لتر من الماء وبعضهم يجعل هذا المقدار ١٠ غرامات فبذلك يتحمل السائل قواعدها العطرية ويكون متمتعا بخاصية تنبيه المنسوجات الحية فيستعمل ذلك المشروب اذا أريد تنبيه الشهية واصلاح ضعف المعدة وطرد الرياح العارضة من الهضم غير المنتظم

وماؤها المقطر يصنع بجزء منها و٤ أجزاء من الماء ومقداره من ٢٠ الى ٣٠ غراما في جرعة والصبغة تصنع بجزء منها و٨ من العرقي ومقدار التعاطي منها من غرام لى اغرامين في جرعة . وهذه المقادير كبيرة نظراً لسمية هذا النبات والافضل الابتعاد عنه بتاتا

﴿كزّ﴾ الشيء يكزّ كزازة يبس وانقبض فهو (كزّ) و(كزّ الشيء) ضيقه . و(الكُزاز) داء يعترى الانسان من شدة البرد . أو الرعدة من شدة البرد و (الكزّ) اليابس المنقبض . و (الكَزز) البخل

﴿كسب﴾ الشيء يكسبه كسبا جمعه و (تكسّب) اى تكلف الكسب . و (الكُسْب) ثفل الدهن وعصارته . و (الكِسْبة) الكسب يقال (هو طيب الكِسْبة) و(الكسوب) الكثير الكسب . و (المكسَب) الكسب .

﴿الكُستيج﴾ خيط غليظ كالاصبع من الصوف كان يشده النصارى فوق ثيابهم والآن بطل ذلك الا لدى رجال الدين منهم

﴿كسح﴾ البيت يكسحه كسحا كنسه ثم استعير لتنقية البئر وغيره . (الكُساح) داء معروف في الابل . و (الكُساحة) الكناسة وداء يعترى اليدين والرجلين وأكثر ما يستعمل في

الرجلين ومنه (كسِح الرجل كسَحا) كان بيديه أو رجليه عاهة .أو ثقت احدى رجليه فى المشى فاذا مشى جرها جرا فهو (أكسح وكَسْحان وكسيح) و(الاكسح) ذو الكَسح والاعرج والمقعدج كُسْحان و (المِكسحة) المكنسة. و(المُكسَّح) المقشر يقال عود مُكَسَّح

﴿ الكساح ﴾ يطلق اليوم هذا الاسم على مرض يصيب الاطفال يختل به نمو عظامهم فلا يتصلب مايتجدد منها فتلين وتنحنى . وهو يحدث بعد الشهر الرابع ويسبقه انحراف فى وظيفة الهضم وغثيان وعطش وذرب مواد رصاصية كريهة الرائحة ويصير الطفل كئيبا لايحب اللعب ولايرمى الى شىء من الحياة فيستلقى على ظهره ويبطل المشى والزحف ويبكى اذا نهض ويعرق ثم تنتفخ أطراف عظامه ويبقى اليافوخان متسعين ويكبر الرأس ويبقى الوجه صغيراً فتشبه هيئته هيئة شيخ مسن على جسم سقيم . وتلين أضلاعه وتلتوى عظامه الطويلة ومقدم صدره ، ويحدودب جذعه

(العلاج) أولا يجب اسكان الطفل فى الخلاء ليتمتع بطلاقة الهواء ونقائه ، ويتعرض للشمس وفعلها المحيى ولابد من الباسه ملابس صوفية وغسله بالماء كثيراً والافضل أن يكون ماء البحر أو ماء ملح يغلى فيه ورق الجوز أو مواد عطرية ويجب ترويضه باللعب المعتدل لتقوية عضلاته وينبغى الانتفات لمأكله فلا يعطى له الا مايسهل هضمه كالحليب والبيض واذاكان لديه ذرب ومبرزاته حامضة فيضاف الى الحليب ماء الكلس

واذا أخرج الى الخارج وجب أن يكون ملقى على ظهره غير منزعج ولايصح أن يراد على الوقوف أو المشى لئلا يزداد العيب

وأحسن وسيلة لعلاجه بالعقاقير هى اعطاؤه زيت كبد الحوت أى زيت السمك اذا لم يكن عنده اسهاله فان كان هناك اسهال وجب اصلاحه بماء الكلس وينبغى استحضار زيت السمك من محل يؤمن منه الغش لان الذى يباع منه بمصر بتسعة قروش اللتر هو عبارة عن زيت زيتون عادى من الصنف الردىء مذوبة فيه بعض العقاقير التى يشبه رائحتها رائحة زيت السمك فلا يفيد الطفل بشىء بل يزيد معدته تلفا وحالته سوءا

ومن أوفق العلاجات أيضا كلورايدرو فوسفات الكلس محلولا بماء وسكر ومقدار الجرعة منه نصف غرام مرتين يوميا مع الطعام أو غليسيروفوسفات الكلس

﴿ كَسَدَ ﴾ الشيء يكسُد كَسادا لم ينفق فهو كاسد . و (أُكسِد الناس) كسدت سوقهم

﴿ كَسَر ﴾ العود يكسِره قصمه . و(انكسر) مطاوع كسر و (الكُسارة) ماتكسر من الشيء و(الكَسْر) في الحساب مالا يبلغ واحداً صحيحا . و (كسرى) اسم ملك من ملوك الفرس ومعناه واسع الملك جمعه أكاسرة وأما كسرى الذى ولد النبي صلى الله عليه وسلم في زمنه فكان اسمه انوشروان و(الكِسرة) القطعة من الشيء المكسور جمعه كِسَر . و(الكَسير) المكسور و (الاكسير) في الاصطلاح القديم الدواء الذى يلقى على النحاس فيحيله ذهبا . وفى الاصطلاح الحديث كل ما أذيب فى الكحول من العلاجات

﴿ كسر العظام ﴾ أكثر الاعضاء تعرضا للكسر هى الفخذ والساق ثم الترقوة ثم العضد والساعد ثم الرأس والكسور أما أن تكون بسيطة أومرافقة لجرح وتسمى مضاعفة

تلتحم الكسور فى مدة لاتتجاوز الاربعين يوما اذا احكم ردها ولم يكن فيها تفتت أو صحبت بجرح أو كان المصاب متقدما فى السن أو بقى العضو متحركا أو كانت القطعتان المكسورتان متباعدتين

والكسور الواقعة فى منتصف العظام الطويلة أقل خطراً وأقرب انجبارا من الكسور فى أطرافها . والكسور المتصلة بمفصل أشد خطرا من غيرها . وكثيرا ما تيبس المفاصل وييبس العضو وقتيا بعد الكسر ويداوى بتحريكه تدريجا فيعود الى عمله الطبيعى

(التشخيص) يعرف الكسر بالخشخشة وعدم التمكن من تحريك العضو المكسور أو يتحرك بالتحريك حركة طبيعية وروغانه عن اتجاهه الطبيعى

العلاج اذا كسر الطرف السفلى فان كان الكسر فى الفخذ أو فى الساق ولم توجد وسائط لتجبيره حالا يقرب الطرفان أحدهما من الآخر ويربطان معا بعصائب أو مناديل ولابد من وضع قطن

من الخشب الرقيق حول العضو بعد احاطتها بالقطن وشدها عليه شداً محكما

واذا كسر الطرف العلوى يعلق بالعنق بمنديل مربع يطوى على هيئة مثلثة يلقى الساعد على وسطه ويدار طرفه المقدم حول العنق على الجانب الذى فيه الكسر والطرف الخلفى على الجانب الصحيح ويعقدان خلفه . فاذا لم يكن المنديل كافيا يحاط العنق بمنديل آخر يعلق به المثلث المذكور والتعليق وثنى اليد واجبان فى جميع كسور الطرف العلوى عدا كسر رأس المرفق (الكوع) وتجبير العضد يكون بجبائر كالمذكور آنفا وأما الساعد فيجبر بجبيرتين طولها كطوله واحدة الى المقدم وأخرى الى الخلف بعد لفها بقطن وقماش ناعم

وكسور الاضلاع تجبر بلفافة تكتنف الصدر فتخفف حركاته

فى جميع أنواع الكسور توضع أولا رفائد مبلولة بكحول مكوفر أى فيه كافور أو بعرقى مضاف اليه صابون وملح وتبقى تحت اللفافة واذا كان الكسر مضاعفا يكشف الجرح ويغسل بماء الحامض الفنيك ثم يوسى به ويجبر على احدى الطرق المذكورة وبحسب وضعه ريثما يحضر الطبيب

وكسور الرأس تداوى أولا بالماء البارد ان كان جرح أو لم يكن ووضع الخردل على الرجلين والعضدين لتحويل الدم عن الدماغ ثم تربط بالعصائب اللازمة وهى غالبا شديدة الخطر يحصل عنها اغماء وغيبة وأحيانا يقتضى الحال الاسراع بتداويها وتنبيه المصاب بانشاقه خلا أو ماء كولونيا ورش وجهه بالماء البارد

﴿كَسَفَ﴾ الثوب يكسِفه كَسْفا قطعه . و(كسَف الله الشمس) حجبها. و(كسَف الشىءَ) قطعه . و (انكسفت الشمس والقمر) احتجبا . و (وهو كاسف البال) أى سيء الحال . و (الكِسْفة) القطعة من الشىء جمعها كِسَف

﴿كسوف الشمس﴾ الشمس كرة مضيئة ثابتة فى مركزها بالنسبة الينا والارض سابحة حولها والقمر دائر حول الارض فمتى توسط القمر بين الارض والشمس حجب ضوءها عن الجهة المقابلة لها من سطح الارض فيقال كسفت الشمس ومتى توسطت الارض بين الشمس والقمر حجبت أشعة الشمس عنه وارتمى ظلها عليه

فيعتم قرصه فيقال خسف القمر وكل من الكسوفين يكون جزئيا أو كليا كمالايخفى. ان اردت التوسع فى هذا الباب فانظر كلتى (فلك وقمر) من هذا الكتاب

الكسكسى هو اسم مايفتل من الدقيق والسمن وهو عند أهله من المغاربة يسمى الكسكسو

قال الطبيب داود الانطاكى فى تذكرته أجوده المأخوذ من خالص دقيق الحنطة المجفف بعد تفويره وهو حار رطب فى آخر الثانية جيد الخلط كثير الغذاء اذا أكل بالعسل أو السكر ممن الابدان الضعيفة وولد الدم الجيد وينبغى لمن به الريح ان لايأكله بخضر ولا بدون العسل وللمحرور أن يأكله بالخضر ولا يكثر من دهنه. ومتى أكل على الشبع ولد السدد والتخم ويصلحه السكنجبين (اى الليمونادة بالليمون أو الخل)

كسِل الرجل يكسَل كسلا تثاقل وتوانى فهو كسْلان. و (أكسله) أوقعه فى الكسل. و (تكاسل) كسل و (المِكسال) الكسلان

كساه ثوبا يكسوه كَسْوا البسه. و (أكساه ثوبا) مثله. و (تكسَّى بالكساء) لبسه و (اكتسى) لبس الكساء. و (الكِساء) الثوب و (الكِسوة) اللباس جمعها كُسًى

الكسائى هو الحسن على بن حمزة بن عبد الله بن عثمان بن فيروز الاسدى بالولاء الكوفى المعروف بالكسائى أحد القراء السبعة

كان اماماً فى النحو واللغة والقراءات ولم يكن له فى الشعر يد. كان يؤدب الامين بن هرون الرشيد ويعلمه فكانت له عليهما دالة فوق الدالة التى له لعلمه وفضله

قيل إنه اجتمع يوما بمحمد بن الحسن الفقيه الحنفى فى مجلس الرشيد فقال الكسائى من يتبحر فى علم النحو يهدى الى جميع العلوم فقال له محمد : ماتقول فيمن سها فى سجود السهو هل يسجد مرة أخرى؟

قال الكسائى : لا

قال محمد لماذا ؟

قال الكسائى لان النحاة تقول المصغر لا يصغر

فقال محمد : ماتقول فى تعليق الطلاق بالملك ؟

فقال الكسائى : لا يصح

قال محمد لم ؟

قال الكسائي لان السيل لا يسبق المطر

وذكر الخطيب في تاريخ بغداد ان هذه المحاورات جرت بين محمد بن الحسن المذكور والفراء

روى الكسائي عن ابي بكر عياش وحمزة الزيات وابن عيينة وغيرهم. وروى عنه الفراء وابو عبيد القاسم بن سلام وغيرهما

توفي سنة (١٨٩) بالري وكان قد خرج اليها صحبة هارون الرشيد وفي ذلك اليوم توفي محمد ابن الحسن المذكور آنفا بالري أيضا

وقيل إن الكسائي مات بطوس سنة (١٨٢) او (١٨٣) ويقال أن الرشيد كان يقول دفنت الفقه والعربية بالري. يريد انه دفن عالميها وهما محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة والكسائي الذي نحن بصدده

﴿كشاجم﴾ هو ابو الفتح محمود ابن الحسين الكاتب مؤلف كتاب (أدب النديم) توفي سنة (٣٥٠) هـ

﴿كشَح﴾ له بالعداوة يكشَح كشحا عاداه. و (انكشح القوم) تفرقوا و(الكَشْح) ما بين الخاصرة الى الضلع الخلفي وهو أقصر الاضلاع

﴿كشَر﴾ عن اسنانه يكشِر كشرا أبداها ومثله (كشَّر) و(كاشره) ضاحكه

﴿كشَط﴾ يكشُط كشْطا رفع شيأ عن شيء قدغطاه و(انكشط) مطاوع كشط

﴿كشَف﴾ الشيء يكشِفه كشفا اظهره. و (كاشفه بما في قلبه) اظهره له. و (انكشف الشيء) ظهر. و(تكشَّف) ظهر و(اكتشف الشيء) اظهره

﴿الكشكول﴾ قدح الشحاذ الذي يجمع فيه الاطعمة

﴿كظَّه﴾ الطعام يكُظه كظا ملأه حتى لا يطيق النفس و(كاظّه) أطال ملازمته و(اكتظ من الطعام) امتلأ. والكِظّة (البطنة)

﴿كظَم﴾ غيظه يكظِمه كظما رده وحبسه و(الكِظام) سداد الشيء. و (الكَظَم) الحلق او الفم جمعه أكظام و (الكَظوم) المكروب من الغيظ

﴿الكاظم﴾ هو ابو الحسن موسى

الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر ابن على زين العابدين بن الحسن بن على من ابى طالب احد الأئمة فى مذهب الامامية (انظر امامية)

وقال الخطيب فى تاريخ بغداد كان موسى يدعى العبد الصالح من عبادته واجتهاده

روى انه دخل مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسجد سجدة فى أول الليل وسمع وهو يقول فى سجوده: عظم الذنب من عندى فليحسن العفو من عندك يا أهل التقوى ويا أهل المغفرة. فجعل يرددها حتى أصبح

وكان سخيا كريما فكان يبلغه عن الرجل أنه يؤذيه فيبعث اليه بصرة فيها الف دينار. وكان يصر الصرر ثلاث مئة دينار واربع مئة دينار ومئتى دينار ثم يقسمها بالمدينة . وكان يسكن المدينة فأقدمه المهدى الى بغداد وحبسه. فرأى فى النوم على بن ابى طالب وهو يقول : يا محمد « فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا ارحامكم» . قال الربيع وهو حاجب المهدى فأرسل الىّ ليلا فراعنى ذلك فجئته فاذا هو يقرأ هذه الآية وكان احسن الناس صوتا وقال : على بموسى بن جعفر فجئته به فعانقه وأجلسه الى جانبه : وقال أبا الحسن انى رأيت امير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله عنه فى النوم يقرأ علىّ كذا أفتؤمننى ان تخرج علىّ او على أحد من اولادى؟ فقال الكاظم والله لا فعلت ذلك ولا هو من شأنى. قال المهدى صدقت. اعطوه ثلاثة آلاف دينار وردوه الى اهله الى المدينة

قال الربيع فأحكمت أمره ليلا فما اصبح الا وهو فى الطريق خوف العوائق واقام بالمدينة الى أيام هرون الرشيد فقدم مرة من عمرة شهر رمضان سنة (١٧٩) فحمل موسى معه الى بغداد وحبسه بها الى ان توفى فى محبسه

وذكر أيضا ان هرون الرشيد حج وأتى قبر النبى صلى الله عليه وسلم زائراً وحوله قريش وافناء القبائل ومعه موسى ابن جعفر فقال السلام عليكم يا رسول الله يا ابن عمى افتخارا على من حوله . فقال موسى السلام عليكم يا أبت ، فتغير وجه هرون الرشيد وقال هذا هو الفخر ياابا الحسن حقا

وقال ابو الحسن على بن الحسن بن

على المسعودي فى كتاب مروج الذهب فى أخبار هرون الرشيد ان عبد الله بن مالك الخزاعى كان على دار هرون الرشيد وشرطته فقال أتانى رسول الرشيد وقتاما جاءنى فيه قط فانتزعنى من موضعى ومنعنى من تغيير ثيابى فراعنى ذلك فلما صرت الى الدار سبقنى الخادم فعرف الرشيد خبرى فأذن لى فى الدخول عليه فوجدته قاعداً على فراشه فسلمت عليه فسكت ساعة فطار عقلى وتضاعف الجزع علىّ . ثم قال لى يا عبد الله أتدرى لما طلبتك فى هذا الوقت ؟ قلت لا والله يا أمير المؤمنين. قال انى رأيت الساعة فى منامى كأن حبشيا قد أتانى ومعه حربة فقال اما خليت عن موسى بن جعفر الساعة والا نحرتك بهذه الحربة ، فاذهب فخل عنه

قال عبد الله يا أمير المؤمنين أطلق موسى بن جعفر و كررتها ثلاثا. قال الرشيد نعم امض الساعة حتى تطلق موسى بن جعفر وأعطه ثلاثين الف درهم وقل له ان احببت المقام قبلنا فلك عندى ما تحب وان أحببت المضى الى المدينة فالاذن فى ذلك لك

قال عبد الله فمضيت الى الحبس لاخرجه . فلما رآنى موسى وثب الى قائما وظن انى قد أمرت فيه بمكروه. فقلت لاتخف فقد أمرنى باطلاقك وان ادفع لك ثلاثين الف درهم وهو يقول لك ان احببت المقام قبلنا فلك ذلك ولك كل ما تحب وان أحببت الانصراف الى المدينة فالامر فى ذلك مطلق لك. وأعطيته ثلاثين الف درهم وخليت سبيله وقلت له لقد رأيت من أمرك عجبا

قال فانى أخبرك بينما أنا نائم اذ أتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا موسى حبست مظلوما فقل هذه الكلمات فانك لاتبيت هذه الليلة فى الحبس. فقلت بأبى وأمى ما أقول ؟

فقال قل :

« ياسامع كل صوت ، وياسائق القوت ، ويا كاسى العظام لحما ومنشرها بعد الموت ، أسألك بأسمائك الحسنى وباسمك الاعظم الاكبر المخزون المكنون الذى لم يطلع عليه أحد من المخلوقين. يا حليما ذا اناة لا يقوى على اناته ، ياذا المعروف الذى لا ينقطع أبداً ولا يحصى عدداً فرج عنى . » فكان ما ترى

وله أخبار كثيرة . ولد سنة (١٢٩)

وقيل سنة (١٢٨) بالمدينة وتوفى سنة (١٨٣) ببغداد وقيل انه توفى مسموما ودفن فى مقابر الشونيزية خارج القبة وقبره هناك مشهور يزار وكان عليه مشهد عظيم فيه من قناديل الذهب والفضة وأنواع الآلات والفرش مالا يحد

﴿ كَعَبت ﴾ الجارية تكعُب كُعوبا نهد ثديها فهى كَعاب وكاعب . و (الكَعْب) كل مفصل للعظام والعظم الناشز فوق القدم . والعظمان الناشزان من جانبيهما جمعه أكْعُب وكُعُوب

يقال (هو عالى الكَعْب) أى شريف و(الكعبة) البيت الحرام بمكة و(الكَعبة) كل بيت مربع . و(الكُعْبُرة) الكوع وأصل الرأس

﴿ الكعبة ﴾ هى البيت الحرام بناها ابراهيم عليه السلام وهو رسول من أولى العزم أرسله الله الى الكلدانيين فى جنوب بابل وكانوا يعبدون النجوم والاوثان

ثم ترك ابراهيم قومه حين عصوه وهاجر الى مدين وهناك أمره الله تعالى بالهجرة بولده اسماعيل وأمه هاجر الى بلاد العرب فقصدوا مكة ثم أمره الله ببناء الكعبة وكان أول بيت وضع للناس ببلاد العرب قال تعالى : « ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين »

الكعبة بناء مربع زواياها الى الجهات الاربع لكى تتكسر عليها الرياح ولا تضرها مهما اشتدت

ما زالت الكعبة على بناء ابراهيم حتى جددها العماليق ثم بنو جرهم

ولما آل أمر الكعبة الى قصى بن كلاب أحد أجداد النبى صلى الله عليه وسلم فى القرن الثانى قبل الهجرة هدمها وبناها فأحكم بناءها وسقفها بخشب الدوم وجذوع النخل وبنى الى جانبها دار الندوة وهى أول بناء الكعبة فى مكة وكان بها حكومته ومحل شوراه مع أصحابه . ثم قسم جهات الكعبة بين طوائف قريش فبنوا دورهم على المطاف حول الكعبة وفتحوا عليه أبوابهم

قبل بعثة النبى صل الله عليه وسلم بخمس سنين هدم السيل الكعبة فاقتسمت القبائل العمل لبنائها وكان الذى يبنيها باقوم الرومى بمساعدة نجار مصرى . فلما انتهوا الى وضع الحجر الاسود حدث بين

القبائل خلاف فى أيها تختص بشرف وضعه فرأوا أن يحكموا محمد بن عبد الله وعمره خمس وثلاثون سنة لما عرفوه من وفور عقله وسداد رأيه فطلب رداء ووضع عليه الحجر وأمر القبائل فأمسكت بأطرافه ورفعوه حتى اذا وصل الى مكانه من البناء فى الركن الشرقى أخذه هو فوضعه بيده. وكانت النفقة قد بهظتهم فقصروا بناءها على ماهى عليه الآن . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعائشة : « لولا ان قومك حديثو عهد بالاسلام لهدمت الكعبة فألزقتها بالارض ، وجعلت لها بابا شرقيا وبابا غربيا وزدت فيها ستة أذرع من الحجر فان قريشا استصغرتها حينما بنت الكعبة

فلما تولى عبد الله بن الزبير الخلافة بمكة فى عهد يزيد بن معاوية حاربه بها الحصين قائد يزيد وأصاب الكعبة بالمنجنيق فانهدمت وأحرقت كسوتها مع بعض أخشابها ثم رجع عنها لموت يزيد بن معاوية فرأى ابن الزبير ان يهدم الكعبة ويعيد بناءها فأتى لها بالجص النقى من اليمن وبناها به داخل الحجر فى البيت وألصق الباب بالارض وجعل قبالته بابا ليخرج الناس منه وجعل ارتفاعها سبعة وعشرين ذراعا . ولما فرغ من بنائها ضمخها بالمسك والعنبر داخلا وخارجا وكساها بالديباج وكان انتهاؤه من بنائها فى ١٧ رجب سنة (٦٤) ه

ولما تغلب الحجاج على ابن الزبير ودخل الكعبة أخبر عبد الملك بن مروان بما أحدثه فيها ابن الزبير فأمره بارجاعها الى شكلها الاول فهدم الحجاج من جانبها الشمالى ستة أذرع وشبرا وبنى ذلك الجدار على أساس قريش ورفع الباب الشرقى وسد الغربى ثم كبس أرضها بالحجارة التى فصلت منها

فلما ولى السلطان سليمان العثمانى سنة (٩٦٠) غير سقفها. ولما ولى السلطان احمد سنة (١٠٢١) أحدث فيها ترميما . ولما حدث السيل العظيم سنة (١٠٣٩) هدم بعض حوائطها الشمالية والشرقية والغربية فأمر السلطان مراد الرابع بترميمها

شكل الكعبة مربع تقريباً مبنية بالحجارة الزرقاء الصلبة ويبلغ ارتفاعها ١٦ مترا وطول ضلعها الذى فيه الميزاب والذى قبالته ١٠ امتار و١٠ سنتيمترات وطول الضلع الذى فيه الباب والذى يقابله

اثنى عشر متراً وبابها على ارتفاع مترين من الارض ويصعد اليه بسلالم كسلالم المنابر . وسلمها الحالى من الخشب المصفح بالفضة اهداه الى الكعبة احد امراء الهند وهو لا يوضع فى مكانه منها الا اذا فتح للزائرين وفى الاحتفالات الكبرى وهى لاتزيد عن خمس عشرة مرة فى السنة

وفى الركن الذى على يسار باب الكعبة الحجر الاسود على ارتفاع متر وخمسين سنتيمترا من ارض المطاف

يسمى العرب زوايا الكعبة بالاركان على حسب اتجاهاتها فيسمى الشمالى بالركن العراقى . والغربى بالشامى والقبلى باليمانى ، والشرقى بالاسود لان فيه الحجر الاسود ، وهو حجر ثقيل بيضى الشكل غير منتظم لونه اسود ضارب الى الحمرة وفيه نقط حمراء وتعاريج صفراء وهى أثر لحام القطع التى كانت تكسرت منه ، قطره نحو ٣٠ سنتيمترا يحيط به اطار من الفضة عرضه ١٠ سنتى مترات والمسافة التى بين ركن الحجر وباب الكعبة يسمونها الملتزم وهو مايلتزمه الطائف فى دعائه واستغاثته

ويخرج من منتصف الحائط الشمالى الغربى من اعلاه الميزاب (المزراب) ويقال له ميزاب الرحمة وهو من عمل الحجاج حتى لايقف المطر على سطحها فغيره السلطان سليمان سنة (٩٥٩) بآخر من الفضة وابدله السلطان احمد سنة (١٠٢١) بآخر من الفضة المنقوشة بالميناء الزرقاء تتخللها النقوش الذهبية

وفى سنة (١٢٧٣) ارسل اليها السلطان عبد المجيد ميزابا من الذهب وهو الموجود بها الآن

وقبالة الميزاب يوجد الحطيم وهو قوس من البناء طرفاه الى زاويتى البيت الشمالية والغربية ويبعدان عنهما بمترين وثلاثة سنتيمترات ويبلغ ارتفاعه متراً وسمكه مترا ونصف متر وهو مبطن بالرخام المنقوش وفى محيطه من أعلاه كتابة محفورة . والمسافة بين منتصف هذا القوس من داخله الى منتصف ضلع الكعبة ثمانية امتار واربعة واربعون سنتيمتراً والفضاء الواقع بين الحطيم وحائط البيت وهو مايسمونه بحجر اسماعيل قد كان يدخل منه ثلاثة امتار تقريبا فى الكعبة فى بناء ابراهيم ، والباقى كانت زريبة لغنم هاجر وولدها . ويقال ان هاجر واسماعيل

مدفونان به

أما شكل الكعبة من الداخل فمربع مشطور الزاوية الشمالية وبهذه الشطرة باب صغير اسمه باب التوبة يوصل الى سلم صغير يصعد بها سطحها . وبوسطها من الداخل ثلاثة أعمدة من خشب العود عليها مقاصير ترتكز على حافة الميزاب من جهة وحائط الحجر الاسود من جهة أخرى . وهذه الاعمدة موجودة من عهد عبد الله بن الزبير وهى غالية القيمة جدا ويغطى سقف الكعبة وحوائطها من الداخل كسوة من الحرير الوردى عليها مربعات مكتوب فيها (الله جل جلاله) أهداه اليها السلطان عبد العزيز العثمانى وفى قبالة الداخل من الباب محراب كان يصلى فيه النبى صلى الله عليه وسلم

ويحيط بناء البيت من الداخل هامش من الرخام المجزع على ارتفاع نحو مترين

وداخل البيت ألواح محفور فيها أسماء من أحدثوا به شيئا من العمارة ففيها لوحة باسم يوسف بن عمر بن على رسول بتاريخ سنة (٦٨٠) وثانية فيها اسم السلطان محمد العثمانى وتشعر بأنه جدد سقف الكعبة سنة (١٠٧٠) ﻫ وثالثة باسم الملك الاشراف ابو النصر برسباى بتاريخ سنة (٨٢٦) ﻫ ورابعة باسم أبو جعفر المنصور المستنصر بالله من خلفاء الفاطميين بمصر سنة (٦٢٩) ﻫ وخامسة باسم السلطان مراد العثمانى تؤذن بأنه جدد عمارة الكعبة سنة (١٠٤٠) ﻫ وسادسة باسم السلطان قايتباى ملك مصر تدل على تجديد داخل الكعبة سنة (٤ ٨)ﻫ ومكتوب على باب التوبة أبيات تشير الى ان أم السلطان مصطفى العثمانى أحدثت عمارة بالكعبة سنة (١١٠٩) ﻫ

وبجانب الباب على يسار الداخل خوان من الخشب الاخضر مغطى بالحرير موضوع عليها كيس مفاتيح الكعبة وهو من الاطلس الاخضر المزركش بأسلاك الفضة يأتى اليه سنويا من مصر مع الكسوة الشريفة . ومعلق بسقف البيت شىء كثير من الذخائر التى اهديت للبيت منها عدة مصابيح ذهبية وفضية لا تقل عن مئة مصباح منها مصباحان من الذهب المرصع بالجواهر أهداهما للكعبة السلطان سليمان سنة (٩٨٤) ﻫ

تفتح الكعبة فى العاشر من المحرم

للرجال وفى ليلة الحادى عشر منه للنساء وفى ليلة الثانى عشر من ربيع الاول للدعاء للسلطان ولا يدخلها فى ذلك اليوم أحد من الزائرين . وتفتح فى العشرين من المحرم لتغسل بحضور الشريف والوالى وفى أول جمعة من رجب للرجال وفى تاليه للنساء وفى صباح تاليه للرجال وفى مسائه للنساء ، وفى ليلة النصف من شعبان للدعاء للسلطان وفى صباح تاليه للرجال وفى مسائه للنساء وفى يوم الجمعة الاولى من رمضان للرجال وفى تاليه للنساء وفى التاسع عشر منه للدعاء للسلطان وفى آخر جمعة منه كذلك ، وفى نصف ذى القعدة للرجال وفى تاليه للنساء ، وفى عشرين منه لغسلها وفى الثامن والعشرين منه لاحرامها (أى باحاطتها بقماش أبيض من الخارج على ارتفاع نحو مترين من أرض المطاف) وتفتح فى موسم الحج مراراً لمن يزورها من الحجاج فى مقابل أجرة يأخذها سدنتها . وتفتح أيضاً فى نحو العشرين من ذى الحجة لغسلها

لغسل الكعبة احتفال عظيم يحضره الشريف والوالى والاعيان وعظماء الحجاج فيدخل الشريف فى المقدمة فيصلى ركعتين ثم يؤتى بدلاء من ماء زمزم فتغسل أرضها بمكانس صغيرة من الخوص ويسيل الماء من ثقب فى عتبتها ثم يغسلها بماء الورد وبعد ذلك يضمخ أرضها وحوائطها على ارتفاع الايدى بأنواع الادهان العطرية وفى أثناء ذلك يكون البخور متصاعداً فيه . ثم يقف الشريف على الباب ويلقى على الحاضرين المكانس التى استخدمها فى غسل الكعبة فيتهالك الواقفون عليها تهالكا عظيما فمن حصل على واحدة منها عدها من الذخائر التى لا تقدر بمال

(منزلة الكعبة قبل الاسلام) كان للكعبة من المنزلة فى اعين العرب ماليس لمعبد غيره اذ كانوا يعتبرونه بيتاً لله . ومن العجيب ان قدم هذا البناء ومقام بانيه حمل الامم الاجنبية عن العرب كالفرس والهنود واليهود والنصارى على تعظيمه

فكان الهنود يقولون ان روح سيفا وهو الاقنوم الثالث من الثالوث البوذى قد حلت فى الحجر الاسود حين زار مع زوجته بلاد الحجاز

وكان الصابئة وهم عباد الكواكب من الفرس والكلدانيين يعدونها أحد

البيوت السبعة المعظمة

وكان الفرس من غير الصابئة يحترمون الكعبة أيضا زاعمين أن روح هرمز حلت فيها وكانوا يحجون اليها

وكان اليهود يحترمون الكعبة ويعبدون الله فيها على دين ابراهيم . وكان بها صور وتماثيل منها تمثالا ابراهيم واسماعيل وبأيديهما الازلام وصورتا العذراء والمسيح وكان للعرب بها ٣٦٠ صنما ويقال ان أول من جعلها بيتا للاوثان عمرو بن لحى كبير خزاعة حينما ولى أمر البيت ضاهى بذلك ما يفعله الوثنيون بهياكلهم

فلما فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة هدم الاصنام التي بها وطهرها لعبادة الاله الحق وحده

وكان الناس يحجون الى الكعبة من جميع أنحاء البلاد العربية وكانت أشهر الحج عندهم شوالا وذا القعدة وذا الحجة وكانوا يحرمون الشهر الذي يكون فيه الحج وهو ذو الحجة والذي قبله والذي بعده وكانوا يحرمون شهر رجب أيضا ويسمونه شهر الله الاصم أي الذي لا تسمع فيه قعقعة السلاح فكانوا في هذه الشهور الاربعة يلقون السلاح ولا يغزو بعضهم بعضا

وقد أقر الاسلام حرمة هذه الاشهر.

وفي السنة الثانية من الهجرة جعل الله الكعبة قبلة المسلمين وكانوا قبل ذلك يصلون الى بيت المقدس

من مناسك الحج الطواف حول الكعبة سبع مرات ويشترط فيه الطهارة التامة يبدأ الشوط من الحجر الاسود فاذا حاذاه الطائف تقدم اليه فقبله والا توجه اليه وقال : اللهم اني نويت طواف بيتك المعظم سبعة أشواط فيسرها لي وتقبلها مني » ثم يسير مسلما بيده قائلا « بسم الله الله أكبر » ويطوف جاعلا الكعبة من يساره والمطاف عبارة عن دائرة بيضية يبلغ قطرها نحو ٥١ متراً من الشمال الى الجنوب ونحو ٤١ متراً من الشرق الغرب وقد حسب أن السبعة الاشواط من الطواف تبلغ نحو ٧٠٠ متر

بعد الطواف يقصد الطائف حِجْر اسماعيل فيصلي به ركعتين سنة الطواف ثم يختمه بهما وان لم يستطع ففي مقام ابراهيم وهو قبة قامت على اربعة أعمدة وأحاطت بها مقصورة نحاسية مربعة يبلغ طول كل ضلع منها نحو ثلاثة امتار وستين سنتيمتراً هي على آخر المطاف تجاه باب الكعبة وفي

داخلها الحجر الذى كان يقف عليه ابراهيم حال بناء الكعبة وبه أثر يقال له انه أثر قدميه وكان هذا الحجر موضوعا بالمعجن الى جوار الكعبة ثم أبعدعنها بعد الفتح حتى لا تتطرق الوثنية الى الاسلام ودفن بمكانه الحالى وقد بنيت عليه القبة بعد ذلك

ولمقام ابراهيم كسوة من الحرير المطرز بالاسلاك الفضية تأتى اليه سنويا من مصر مع كسوة الكعبة ويتصل بمقصورته من الشرق سقيفة على طولها بعرض متر وثمانين سنتيمتراً يزدحم الناس فيها ليصلوا ركعتى الطواف ثم يذهبون الى قبة زمزم وباب هذه القبة الى الشرق وفيها بئر زمزم وخرزتها من الرخام الابيض أمر بعملها لها السلطان سليمان العثمانى ومن دونها حوض يصب الملاؤن فيها بدلائهم

(كسوة الكعبة كان العرب يكسون الكعبة من عهد بعيد وأول من كساها تبع أبو بكر اسعد ملك حمير سنة ٢٠٠ قبل الهجرة كساها بالبرود المطرزة بأسلاك الفضة وتبعه خلفاؤه فكانوا يكسونها بالجلد والقباطى زمنا مديداً . ثم أخذ الناس يكسونها بأردية مختلفة فيضعونها بعضها على بعض وكان اذا بلى منها ثوب وضع عليه سواه الى زمن قصى فوضع على العرب رفادة لكسوتها سنويا واستمر ذلك فى بنيه وكان أبو ربيعة بن المغيرة يكسوها سنة وقبائل قريش تكسوها اخرى

وقد كساها النبى صلى الله عليه وسلم بالثياب اليمانية ثم عمرها عثمان وابن الزبير وعبد الملك بن مروان . ولما حج الخليفة العباسى المهدى شكا اليه سدنة الكعبة من تراكم الاكسية على سطح الكعبة وذكروا انه يخشى من سقوطه فأمر برفع تلك الاكسية وابدالها بكسوة واحدة كل سنة فجرى العمل على تلك العادة الى الآن

اما كسوتها من الداخل فأول من فعل ذلك ام العباس بن عبد المطلب كستها بالديباج . وكان العباس ابنها قد ضل وهو صغير فنذرت ان هى وجدته لتكسون داخل الكعبة فلما وجدته وفت بنذرها

وكان العباسيون يبالغون فى كسوتها فكانوا يكسونها بالحرير الاسود. فلما ضعف أمرهم صار يكسوها تارة ملوك اليمن وأخرى ملوك مصر الى أن استقرت فى سلاطين مصر فوقف عليها الملك الصالح ابن الملك الناصر بن قلاوون قريتى باسوس

وسنديس من مديرية القليوبية ، ومن ثم صارت ترسل الكسوة الخارجية السوداء اليها وكان كلما يتجدد سلطان يرسل الى الكعبة بكسوة داخلية . من هذا التاريخ صارت كسوة الكعبة ترسل سنويا من مصر وهى ثمانية ستائر من الحرير الاسود المكتوب بالنسيج فى كل مكان منه (لا اله الا الله محمد رسول الله) وطول الستارة نحو ١٥ مترا ومتوسط عرضها خمسة أمتار وعدة سنتيمترات وكل ستارتين تعلقان على جهة من جهات الكعبة فتربطان من اعلاها فى حلقتين من الحديد ثم تربطان احداهما بالاخرى بعرى وازرار فاذا انتهى تشبيكها كلها صارت كالقميص المربع الاسود . ثم يوضع على محيط الكعبة فوق هذه الستائر فيما دون ثلثها الاعلى حزام يسمى رنكا مركب من اربع قطع مصنوعة من المخيش المذهب مكتوب فيه بالخط الجميل آيات قرآنية . ومكتوب على هذا الحزام من الجهة التى فيها باب الكعبة : « بسم الله الرحمن الرحيم واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود ، واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ، ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم »

ومكتوب فى الجهة التى تليها من جهة الحجر الاسود : « بسم الله الرحمن الرحيم . قل صدق الله فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين . ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم . » « بسم الله الرحمن الرحيم واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ان لا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود ، وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق »

ومكتوب فى الجهة المقابلة للمقام المالكى : « ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على مارزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ، ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذرهم وليطوفوا بالبيت العتيق »

كل هذه الآيات كتبت بخط الخطاط

التركى المشهور عبدالله بك زهدى وهى من ابدع الخطوط وأحلها ان لم تكن أبدعها واجلها على الاطلاق

الكسوة تعمل بمصر سنويا بدار فسيحة بالخرنفش ومصاريفها تصرف من المالية وميزانيتها ٤٥٥٠ جنيها

ويتبع هذه الكسوة ستارة باب الكعبة من خارجها ويسمونها بالبرقع وستارة باب منبر الحرم الشريف وهى من الاطلس المصنوع بالمخيش الذهبى والفضى

ولما تصل الكسوة الى مكة تسلم للشيبى القائم بسدانة الكعبة باشهاد شرعى بحضره الكبراء والعلماء فتبقى فى منزله الى صباح يوم عيد النحر فيؤتى بها على أعناق الرجال وتعلق على الكعبة بعد ازال الكسوة القديمة ويكون المسجد خلوا من الناس لان سوادهم يكون بمنى ولا يصبح بمكة الا نفر قليل

أما الكسوة القديمة فيرسل المقصب منها الى شريف مكة واذا كان الحج بالجمعة يرسل الى السلطان وغير المقصب يأخذه الشيبى فيبيعه على الحجاج للتبرك

(المحمل) تاريخ المحمل لا يصعد الى مافوق سنة (٦٤٥) ﻫ وأصله أن شجرة الدر ملكت مصر لما حجت تلك السنة ركبت هودجا وعمل لها احتفال حافل فصار بعد ذلك فى كل سنة

يعمل للمحمل فى مصر يوم خروجه احتفال كبير منذ أيام الدولة الايوبية الى يومنا هذا ، فيسير الجمل الحامل للهودج وحوله وأمامه الجنود الراكبة والراجلة حتى ينتهى الى ميدان القلعة فيكون هنالك الامراء والكبراء فيأتى مأمور الكسوة وبيده زمام الجمل فيسلمه السلطان ويقبله ثم يسلمه الى أمير الحج وعندها تطلق المدافع ويسير الموكب الى العباسية وهنالك يتفرق الناس وينزل ركب المحمل الى خيامهم فى فضاء العباسة وينصب المحمل فى وسط ساحتها ليزوره من يريد التبرك به . ثم يقوم من العباسية الى السويس على قطار خاص ومنها الى جدة فمكة

للمحمل المصرى كسوتان كسوته اليومية وهى القماش الاخضر وكسوته المزركشة ولا توضع عليه الا يوم الاحتفالات

وعند وصول المحمل الى المدينة المنورة يدخلها باحتفال كبير من باب العنبرية وهنالك تطلق له المدافع حتى اذا وصل

الى الباب المصرى ترجل كل من فى موكبه اجلالا لمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا وصلوا الى باب السلام أتى شيخ الحرم واستلم زمام الجمل واصعده على سلم الباب وأناخه على تلك الصدفة الواسعة وهنالك يرفع المحمل ويوضع فى مكانه من الحرم غرب المنبر وترفع كسوته المزركشة ويضعون عليه الكسوة الخضراء ويلبس أمير الحاج ومن معه من الموظفين لباس الخدمة فى الحجرة النبوية وهى عمامة وفرجية بيضاء مشدود عليها حزام أبيض ثم يحملون كسوة المحمل ويدخلونها فى الحجرة الشريفة من الباب الشامى ويتركونها فى جانب من ساحة مقام السيدة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولا تزال بالحجرة الشريفة التى يخرجوها يوم سفر المحمل من المدينة المنورة فى موكب حافل

وعند عودة المحمل تحتفل الحكومة به رسميا فيسير من العباسية الى القلعة الى المصطبة وهناك يستلم الملك من أمير الحاج زمام الجمل ويسلمه الى مأمور تشغيل الكسوة وعندها تطلق المدافع ويتم الاحتفال وتحفظ كسوة المحمل بمخزن فى المالية . وهذه الكسوة تجدد كل عشرين سنة مرة ويبلغ تكاليفها نحو ١٥٠٠ جنيه اما الكسوة الخضراء فتعمل له سنويا بعد عودته الى ضريح سيدى يونس السعدى (بجبانة باب النصر) ويظن أن السعدى المذكور كان عاملا فى خدمة المحمل

اليك بيان مايصرف على المحمل من المالية سنويا فى سبيل تسفيره والمرتبات التى تصرف فى مكة والمدينة

جنيه	
١٢٨٢	مرتبات وتعيينات لامير الحج ومستخدمى المحمل
١٥١١	« مرتبات العربان
١٤٩٣	« الاشراف بمكة والمدينة
١٠٦١	« تكية مكة
١٦٥٧	« تكية المدينة
٢٨٧٩	« اهالى مكة والمدينه
٣٠٠٠	« لمكة والمدينة تصرف سنويا من أوقاف الحرمين والاوقاف الخصوصية
٢٢٥٠٠	ثمن ومصاريف قمح الصدقة بمكة والمدينة
١٦٢٩	شمع وقناديل للحرمين
١٥٥	خيام وقرب وغيرها
٤٢٤٨	أجرة منقولات براً وبحرا

	جنيه
	وأجر
٦٤٢٠	قيمة مايرسل كل سنة الى الحرمين من الزيوت وغيره من وزارة الاوقاف
٢٦٥	مصاريف متنوعة
٥٠٠٠	المجموع

ولقد كان للمحمل شأن أكبر من هذا الشأن فى زمن دولة الفاطميين فقد كانوا ينفقون عليه مئتى الف دينار

وكانت وظيفة أمير الحج فى المرتبة الثالثة من مراتب الدوله وكان صاحبها فى عهد المماليك مرشحاً لان يكون حاكما للقاهرة وكانت أكبر وظيفة بعد وظيفة السلطان وكانت هذه الوظيفة دائما يصدر بها فرمان سلطانى ، وكان لمتوليها الكلمة النافذة فى الحجاز فكان له عزل الشريف وتعيين بدله

وقد بلغ من اكبار ملوك دولة المماليك للمحمل انهم قضوا على جميع حكام البلاد التى كان يمر عليها فى طريقه بأن يقبلوا خف جمل المحمل عند استقباله ومتى أمراء مكة يقبلونه الى ان اعفاهم من ذلك السلطان جقمق فى سنة (٨١٣) ه

وكان للمحمل المصرى شأن أكبر من شأنه الآن الى نهاية حكم المرحوم اسماعيل باشا فكانوا يحتفلون بسفره وايابه احتفالا عظيما جداً حتى انه عند ايابه كانوا يبلون السكر فيسقون منه الرائحين والغادين ثلاثة أيام . وكان يسافر فى خدمته غير مستخدميه من امير وامين صرة وكتبة وصيارف كثير من الخدم والحشم والعكامة والجمالة والفرايحية والنجارين والفراشين والخيمية والسقايين

وكان ضمن وظائف المحمل وظيفة اسمها امين الكساوى والحلوى ومن شأنه توزيع الحلوى والكساوى التى كانت ترسل للعرب واستعيض عنها الآن بأثمانها

وكان يخرج معه موظف باسم مأمور الذخيرة فى عهدته البقسماط الذى كان يؤخذ لما عساه أن يحصل فى الايام غير المعتادة من المجاعة للصرف منها على الحجاج عند الضرورة

وكان من ضمن خدمته رجل يقال له شيخ الجمل وآخر اسمه أبو القطط ثم سائس المرجلة (المركلة) ومقدم العيط ثم سواق المقاطيع . وكانت وظيفة الاول أن يشترى الجمال اللازمة للمحمل ويركب وراء جمل

المحمل فى موكبه لملاحظته فى سيره من الخلف كما يلاحظ المحاملى فى سيره من الامام . اما الثانى فكما يقال كان يقوم بغذاء القطط التى كانت تتبع رحل المحمل مدة سفره فى البر ويقال ان هذا كان اسمه اما وظيفته فهى التى غيروها بامام المحمل . أما الثالث فقد كان رئيساً للضوية والعكامة يستدعيهم حينما تكون هناك حركة هامة والرابع كان يباشر الذين يقعد بهم المرض أو الفقر عن الاستمرار مع الركب وجميع هؤلاء كان تعيينهم بفرمانات خاصة ولهم مرتبات من عهد بعيد وقد استغنى الآن عن أكثرهم مع صرف مرتباتهم اليهم كما كانت

وكان للمحمل عشرون جملا وكان لها مناخ فى بولاق بجوار شيخ اسمه سيدى سعيد . وكانت الحكومة فى الزمن السابق تشترى مع هذه الجمال جملا تجعله فداء عنها كل سنة . فيأتى به الحمالة الى موكب الحج ويركبون عليه شيخ المحمل ويسيرون به ومعهم العكامة والضوية وامامهم الفراشة يحيط بهم ألوف الغوغاء يمرون فى القاهرة ثم يذهبون الى باب الشيخ سعيد ويذبحونه هناك ويأخذ المحاملى ربعه والجمار ربعه وخدمة الشيخ سعيد ربعه وخدمة الشيخ يونس الربع الباقى وكانوا يبيعون لحمه الى الناس على سبيل البركة مدعين ان لحمه ينفع من الصداع وشحمه للبواسير . لهذا فانهم ما كانوا يلقون به الى الارض لذبحه حتى تهجم عليه العامة فيقطعونه اربا اربا وهو حى قبل أن يذبح

فلما بلغ سمو الخديو السابق هذا الامر أمر بابطاله ودفع ثمن الجمل سنويا الى مستحقيه

نقلنا هذه التفصيلات من كتاب الرحلة الحجازية لحضرة الالمعى محمد لبيب بك البتنونى

كعب بن زهير كان ابوه زهير ابن أبى سلمى الشاعر الكبير صاحب المعلقة المشهورة فنشأ ابنه على قدم أبيه فى الشعر أدرك الاسلام وهو يعتبر من فحول الشعراء. كان الحطيئة الشاعر المشهور راوية لزهير أبى كعب فجاء الى كعب يوما وقال له يا كعب قد علمت روايتى لكم أهل البيت وانقطاعى اليكم وقد ذهب الفحول غيرى وغيرك فلو قلت شعراً تذكر فيه نفسك وتضعنى موضعا بعدك ، فان الناس لاشعاركم اروى واليها اسرع ، فقال كعب :

فمن للقوافى شأنها من يحوكها
اذا ماثوى كعب وفوز جرول
يقول فلا تعبأ بشيء تقوله
ومن قائليها من يسيء ويعجل
كفيتك لا تاتى من الناس واحدا
تنحل منها مثل ما يتنحل
يثقفها حتى تلين متونها
فيقصرها عن كل ما يتمثل

وجرول لقب الحطيئة

روى اسحق بن الجصاص قال قال زهير بيتا ونصف بيت ثم اكدى فمر به النابغة فقال له يا أبا امامة اجز. فقال وما قلت ؟ قال قلت :

تزيد الارض اما مت خفا
وتحيا ان حييت بها ثقيلا
نزلت بمستقر العرض منها

. . . . .

ثم قال له زهير أجز . قال فأكدى والله النابغة ، واقبل كعب بن زهير وانه لغلام فقال أبوه أجز يابنى. فقال وما أجيز؟ فأنشده . فأجاز نصف البيت فقال: (وتمنع جانبيها أن يزولا)

فضمه زهير اليه وقال اشهد انك ابنى

قال ابن الاعرابى قال حماد الراوية تحرك كعب بن زهير وهو يتكلم بالشعر فكان زهير ينهاه مخافة ان يكون لم يستحكم شعره فيروى له ما لا خير فيه فكان يضربه فى ذلك ، فكلما ضربه يزيد فيه ، فغلبه فطال عليه ذلك فأخذه وحبسه ، فقال والذى أحلف به لا تتكلم ببيت شعر الا ضربتك ضربا ينكلك عن ذلك . فمكث محبوسا عدة أيام ثم أخبر انه يتكلم به فدعاه فضربه ضربا شديداً ثم أطلقه وسرحه فى بهمة وهو غليم صغير فانطلق فرحا ثم راح عشية وهو يرتجز :

كأنما أعدو ببهمى عيرا
من القرى موقرة شعيرا

فخرج اليه زهير وهو غضبان فدعا بناقته فكفلها بكسائه ثم قعد عليها حتى انتهى الى ابنه كعب فأخذ بيده فأردفه خلفه ثم خرج فضرب ناقته وهو يريد أن يبعث ابنه كعبا ليعلم ما عنده من الشعر فقال زهير حين برز الى الحى :

وانى لتعدينى على الحى جسرة
تخب بوصال صروم وتعنق

ثم ضرب كعبا وقال له اجز يالكع فقال كعب :

كبنيانة القرى موضع رحلها
وآثار نسعيها من الدف ابلق
فقال زهير :
على لاحب مثل المجرة خلته
اذاماعلا نشزاًمن الارض مهرق
أجز يالكع. فقال كعب:
منير هداه ليله كنهاره
جميع اذا يعلو الحزونة افرق
قال فتهدى زهير فى نعت النعام
وترك الابل ، يتعسفه عمدا ليعلم ماعنده
وقال :
وظل بوعساء الكثيب كأنه
خباء على صقبى بوان مروق
صقبي بوان عمود من اعمدة البيت
فقال كعب :
تراخى به حب الضحاء وقد رأى
سماوة قشراء الوطيفين عوهق
فقال زهير :
تحن الى مثل الحبابير جثم
لدى منتج من قيضها المتفلق
الحبابير جمع حبارى فقال كعب :
تحطم عنها قيضها عن خراطم
وعن حدق كالنبخ لم يتفتق
الخراطيم هنا المرادبها المناقير والنبخ
الجدرى شبه اعين ولد النعامة به . قال
فأخذ زهير بيد ابنه كعب ثم قال له قد أذنت
لك فى الشعر يابنى . فلما نزل كعب وانتهى
الى اهله وهو صغير يومئذ قال :
ابيت فلا اهجو الصديق ومن يبع
بعرض ابيه فى المعاشر ينفق
قال وهى اول قصيدة قالها :
قال ابو زيد عمرو بن شبه ان زهيرا
كان نظارا متوقيا وانه رأى فى منامه آتيا
اتاه فحمله الى السماء حتى كاد يمسها بيده
ثم تركه فهوى الى الارض فلما احتضر قص
رؤياه على ولده ، وقال وانى لاأشك انه
كائن من خبر السماء بعدى شىء ، فان كان
فتمسكوا به وسارعوا اليه . فلما بعث النبى
عليه السلام خرج اليه بجير بن زهير اخو
كعب فأسلم ثم رجع فى بلاد قومه فلما هاجر
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه بجير
بالمدينة وكان من خيار المسلمين شهد يوم
الفتح مع رسول الله ويوم خيبر ويوم حنين
وقال في ذلك :
ضبحناهم بالف من سليم
والف من بنى عثمان واف
فرحنا والجياد تجول فيهم
بارماح مثقفة خفاف

وفى أكتافهم طعن وضرب
ورشق بالمريشة اللطاف

وروى فى اسلام كعب وبجير انهما خرجا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغا أبرق العزاف ، فقال كعب لبجير الحق الرجل وأنا مقيم ههنا فانظر مايقول فقدم بجير على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع منه وأسلم . وبلغ ذلك كعبا فقال :

ألا أبلغا عنى بجيرا رسالة
على اى شيء ويب غيرك دلكا
على خلق لم تلف اما ولا ابا
عليه ولم تدرك عليه اخالكا
سقاك ابو بكر بكأس روية
فانهلك المأمون منها وعلكا

يقول له على اى شيء دلك ويلك؟ لقد دلك على أخلاق لم تجد عليها امك ولا اباك ولا اخاك الخ

قال فبلغت ابياته هذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاهدر دمه ، وقال من لقى منكم كعب بن زهير فليقتله ، فكتب اليه اخوه بجير يخبره . وقال انجه وما أراك بمفلت ، وكتب اليه بعد ذلك يأمره ان يسلم ويقبل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول ان من شهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قبل النبى ذلك منه واسقط ما كان قبل

فلما بلغه كتاب اخيه هذا اتى الى بنى مزينة قبيلته لتجيره من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبت عليه ذلك ، فحينئذ ضاقت عليه الارض واشفق على نفسه ، وارجف به من كان يعاديه فقالوا هو مقتول فلم ير بدا من القدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل حتى أناخ راحلته بباب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مجلسه من اصحابه مكان المائدة من القوم حلقة ثم حلقة وهو وسطهم فيقبل على هؤلاء يحدثهم ثم على هؤلاء ثم على هؤلاء فأقبل كعب حتى دخل المسجد فتخطى حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله الامان! قال ومن أنت ؟ قال كعب بن زهير ؟ قال انت الذى يقول ؟ كيف قال ياأبابكر ؟ فأنشده حتى بلغ الى قوله :

سقاك ابو بكر بكأس روية
وانهلك المأمون منها وعلكا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مأمون والله . عند ذلك اندفع كعب بن زهير ينشده لاميته المشهورة مادحا له وهى:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول
متيم أثرها لم يُفد مكبول
وماسعاد غداة البين اذ رحلوا
الاأغن غضيض الطرف مكحول
هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة
لايُشتكى قصر منها ولاطول
تجلو عوارض ذى ظلم اذا ابتسمت
كأنه منهل بالراح معلول
شجت بذى شبم من ماء محنية
صاف بأبطح أضحى وهو مشمول
تنفى الرياح القذى عنه وافرطه
من صوب سارية بيض يعاليل
أكرِمْ بها خُلة لو أنها صدقت
موعودها ولو أن النصح مقبول
لكنها خُله قد سيط من دمها
فجع وولع واخلاف وتبديل
فما تدوم على حال تدوم بها
كما تلوّن فى أثوابها الغول
ولا تمسّكُ بالعهد الذى زعمت
الا كما يُمسك الماء الغرابيل
فلا يغرنك مامنت وماوعدت
ان الامانىّ والاحلام تضليل
كانت مواعيد عرقوب لها مثلا
وما مواعيدها الا الاباطيل

ارجو وآمل ان تدنو مودّتها
وما إخال لدينا منك تنويل
امست سعاد بأرض لايبلغها
الا العتاق النجيبات المراسيل
ولن يبلغها الا عُذافرة
لها على الاين إرقال وتبغيل
من كل نضّاخة الذفرى اذا عرقت
عرضتها طامس الاعلام مجهول
ترمى العيوب بعينى مفرد لهق
اذا توقدت الحزّاز والميل
ضخم مُقلدها فعْم مقيّدها
فى خَلقها عن بنات الفحل تفضيل
علباء وجناء علكوم مذكرة
فى دفها سعة قدامها ميل
وجلدها من أطوم لايؤيسه
طلح بضاحية المتنين مهزول
حرف أخوها أبوها من مهجنة
وعمها خالها وجناء شمليل
يمشى القراد عليها ثم يزلقه
منها لبان وأقراب زهاليل
عيرانة قذفت بالنحض عن عُرُض
مرفقها عن بنات الزور مفتول
كأنما فات عينيها ومذبحها
عن خطمها ومن اللحيين برطيل

تمر مثل عسيب النخل ذا خصل
في غارز لم تخونه الاحاليل
قنواء في حرتيها للبصير بها
عتق مبين وفي الخدين تسهيل
تخذي على يسرات وهي لاحقة
ذوابل مسهن الارض تحليل
سمر العجايات يتركن الحصى زيما
لم يقهن رؤوس الأكم تنعيل
كأن اوب ذراعيها اذا عرفت
وقد تلفع بالكور العساقيل
يوما يظل به الحرباء مصطخدا
كأن ضاحيه بالشمس مملول
وقال للقوم حاديهم وقد جعلت
ورق الجنادب يركضن الحصا قيلوا
شد النهار ذراعا عيطل نصف
قامت فجاوبها نكد مثاكيل
نواحة رخوة الضبعين ليس لها
لما نعى بكرها الناعون معقول
تفري اللبان بكفيها ومدرعها
مشقق عن تراقيها رعابيل
تسعى الوشاة جنابيها وقولهم
انك يابن ابي سلمى لمقتول
وقال كل خليل كنت آمله
لاألهينك اني عنك مشغول

فقلت خلوا سبيلي لا أبالكم
فكل ماقدر الرحمن مفعول
كل ابن أنثى وان طالت سلامته
يوما على آلة حدباء محمول
انبئت ان رسول الله اوعدني
والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذي اعطاك نافلة الـ
قرآن فيها مواعيظ وتفصيل
لاتأخذني بأقوال الوشاة ولم
أذنب وان كثرت في الاقاويل
لقد أقوم مقاما لو أقوم به
ارى واسمع مالم يسمع الفيل
لظل يرعد الا ان يكون له
من الرسول باذن الله تنويل
حتى وضعت يميني لا انازعه
في كف ذي نقمات قيله القيل
كذاك اهيب عندي اذ أكلمه
وقيل انك منسوب ومسؤل
من خادر من ليوث الاسد مسكنه
من بطن عثر غيل دونه غيل
يغدو فيلحم ضرغامين عيشهما
لحم من القوم معفور خراديل
اذا يساور قرنا لايحل له
ان يترك القرن الا وهو مغلول

منه تظل سباع الجو ضامرة
ولا تمشى بواديه الاراجيل
ولا يزال بواديه اخو ثقة
مطرح البز والدرسان مأمول
ان الرسول لسيف يستضاء به
مهند من سيوف الهند مسلول
فى فتية من قريش قال قائلهم
ببطن مكة لما أسلموا زولوا
زالوا فما زال انكاس ولا كشف
عند اللقاء ولا ميل معازيل
فلما انتهى الشاعر الى هنا أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الناس ان يصغوا الى شعر كعب بن زهير. فاندفع يتمم القصيدة فقال :
شم العرانين ابطال لبوسهم
من نسج داود فى الهيجا سرابيل
بيض سوابغ قد شكت لها حلق
كأنها حلق القفعاء مجدول
يمشون مشى الجمال الزهر يعصمهم
ضرب اذا عرد السود التنابيل
لا يفرحون اذا نالت رماحهم
قوما وليسوا مجازيعا اذا نيلوا
لا يوقع الطعن الا فى نحورهم
وما لهم من حياض الموت تهليل

قالوا الرواة وعرض بالانصار فى قصيدته هذه فى عدة مواضع منها قوله:
كانت مواعيد عرقوب لها مثلا
وما ومواعيدها الا الاباطيل
وعرقوب رجل من الأوس؟ فلما سمع المهاجرون ذلك قالوا مامدحنا من هجا الانصار فأنكروا قوله وعوتب على ذلك فقال :
من سره كرم الحياة فلا يزل
فى منقب من صالحى الانصار
الباذلين نفوسهم لنبيهم
عند الهياج وسطوة الجبار
والناظرين بأعين محمرة
كالجمر غير كليلة الابصار
والضاربين الناس عن أديانهم
بالمشرفى وبالقنا الخطار
يتطهرون يرونه نسكا لهم
بدماء من علقوا من الكفار
صدموا الكتيبة يوم بدر صدمة
ذلت لوقعتها رقاب نزار
توفى كعب بن زهير سنة (٢٤)
﴿كعب الاحبار﴾ كان أحد كبار احبار اليهود فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم ثم أخذ يتردد عليه فمال الى الاسلام

ولكنه أرجأ اسلامه رسميا حتى يتحقق من سائر العلامات التي كان يجدها في كتب قومه عن النبي العربي واصحابه فلما انتهى أمر الخلافة الى عثمان رأى ان تلك البشارات قد تحققت فأعلن اسلامه

أما ابو كعب هذا فكان حبراً من أحبار اليهود أيضا ولكنه سبق كعبا باعلان اسلامه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من اجلاء الصحابة

﴿الكعبية﴾ فرقة من فرق المسلمين أتباع أبي القاسم عبدالله بن أحمد بن محمود التنحى المعروف بالكعبي فكانوا شعبة من القدرية خالفوا البصريين من المعتزلة في أمور كثيرة فكانوا يقولون بأن الله لا يرى نفسه ولا خلقه الا على معنى علمه بنفسه وبغيره وتابعوا النظام في قوله الله لا يرى شيأ في الحقيقة . وقالوا أيضا ان الله لا يسمع شيأ على معنى الادراك المسمى بالسمع وتأولوا وصفه بالسميع البصير على معنى انه عليم بالمسموعات التي يسمعها غيره والمرئيات التي يراها غيره

وقالوا أيضا ان الله ليست له ارادة على الحقيقة فاذا قيل ان الله أراد شيأ من فعله فمعناه انه فعله ، واذا قيل انه اراد من عباده فعلا فمعناه انه أمر به . وقالوا ان وصفه بالارادة في الوجهين جميعا مجاز كما أن وصف الجدار بالارادة في قوله تعالى (جداراً يريد أن ينقض فأقامه) مجاز

وقد أوجبوا على الله فعل الاصلح في باب التكليف . وقالوا ان الاستطاعة هي صحة البدن وسلامته

﴿الكعك﴾ خبز يعمل مستديرا واحدته كعكة جمعها كعكات

﴿كفأه﴾ يكفأه كفأ جرفه وكبه و (كافأه على كذا) جاراه و (أكفأ) مال . و (أكفأه) أماله . و (انكفأ) رجع . و (الكفاءة) الاهلية و (الكفؤ) المثل . و (الكفيء) المماثل . و (الاكفاء) في الشعر أن يخالف الشاعر بين قوافيه فيجعل بعضها الفا وبعضها جيما الخ

﴿كفته﴾ يكفته كفتا صرفه عن وجهه . و (الكفات) الموضع يكفت فيه أو اسم لما يضم

﴿كفحه﴾ بالعصا يكفحه كفحا ضربه . و (كافحه) واجهه واستقبله في الحرب . و (تكافحوا) تضاربوا

﴿كفر﴾ الرجل يكفر كفرا وكفرا ضد آمن . و (كفر بالنعمة

كفورا) جحدها.و (كفر الشيء يكفره) ستره . و (كفر الله ذنبه) محاه . و (كفر عن يمينه) اعطى عنه الكفارة.و (اكفر زيداً) دعاه كافراً. و(الكفر) الارض البعيدة عن الناس(الكفارة) ما كفر به عن الذنب من صدقة أو صوم ونحوها

﴿ بلاد الكفر ﴾ يطلق هذا الاسم على قسم من الساحل الشرقي الافريقي من جنوب نهر الزامبيز . ويمكن تمييز بلاد الكفر الانجليزية التي ألحقت بمستعمرة الكاب سنة ١٨٤٧ من بلاد الكفر الاصلية وهي بين بلاد الكفر الانجليزية والناتال. وقد ألحقت هي أيضا بمستعمرة الكاب سنة ١٨٨٥

﴿ الكفريون ﴾ هم جيل من الناس سود الالوان من أهل افريقيا الجنوبية يسكنون القسم الشرقي من مستعمرة الكاب الانجليزية ، وقد امتدوا في هذه الايام الى جهة الشمال بحيث قد بعدوا عن بلادهم الاصلية

الكفريون ويسمون ايضا آماكوزا يؤلفون قبيلة من طائفة الزولوس ولكن لهم لهجة خاصة بهم

﴿ الكفراوي ﴾ هو الشيخ حسن الكفراوي صاحب الشرح المشهور على الآجرومية . توفي سنة (١٢٠٢)

﴿ كف ﴾ الثوب يكفه كفا خاط حاشيته وهي الخياطة الثانية بعد الشل و (كف بصره وكُف) عمي و (كفه عنه فكف) اي منعه فامتنع و (تكفف الناس) مد كفه اليهم بالسؤال.(والكف) مطاوع كف و (جاء الناس كافة) اي كلهم . ويقال(هو كفافه) اي مثله و(الكفاف) من الرزق مايغني صاحبه عن السؤال . و(الكف) اليد او الى الكوع و (الكِفة) من الميزان التي يجعل فيها الشيء الموزون و(الكفيف) الاعمى

﴿ كفكفه ﴾ عنه دفعه و منعه . و(تكفكف عنه) انصرف عنه

﴿ كفَل ﴾ الرجل والصغير يكفُله كفلا و كفالة عاله وانفق عليه. و(كفل عنه بالمال لغريمه) ضمنه . و (كفّله) عاله وانفق عليه . و (كفّله اياه) ضمنه اياه . و (كافله) كان مكافلا له . و (اكفله اياه) ضمنه اياه قال تعالى : (فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب) أي ملكنيها واجعلني أكفلها .و (تكفّل له به) ضمنه له . و (تكافلوا) كفل

بعضهم بعضا . و(الكَفالة) الضمانة جمعه كَفالات.و(الكِفـل)الضعف من الاجر و(الكَفَل)العجز وقيل ردفه جمعه أكفال و(الكَفيل) الضامن

﴿ كفَن ﴾ الميت يكفِنه وضع عليه الكفن .و (كفّنه) مثله

﴿ التكفين ﴾ تكفين الميت واجب بالاتفاق مقدم على أداء الدين والورثة واقله ثوب يعم الميت

والمستحب عند الشافعى ومالك وأحمد أن يكفن الرجل فى ثلاثة اثواب وهى لفائف

وقال أبو حنيفة ازار ورداء وقيص والمستحب البياض . والمستحب للمرأة خمسة اثواب

قال مالك ليس للكفن حد وانما الواجب ستر الميت وتكفين المرأة فى المعصفر والمزعفر والحرير مكروه عند الشافعى واحمد . وليس بمكروه عند أبى حنيفة

﴿كفهر﴾ اكْفَهَرّ النجم بداوجهه وضوءه فى شدة الظلمة.و(اكْفَهر الليل) اشتدت ظلمته

﴿ كَفى ﴾ الشيء يكفي كفاية استغنى به. و (المكافأة)مقابلة الاحسان بمثله

﴿ كلأه ﴾ الله يكلأه كلأ ًوكِلاءة حفظه وحرسه . و (كَلِئت الارض تكلأ كلأ) كثر بها الكلأ.و (الكَلأ) العشب

﴿ كلِب ﴾ الكلب يكلَب كلَبا اصابه الكَلَب فهو كلِب و(كلب عليه) الح عليه .و(كَلُب الرجل) ذهب عقله من عضة الكلب .و(كلّب الكلبَ)علمه الصيد و(كالبه)شارّه وضايقه . و (تكالبوا) تجاهروا بالعداوة

﴿ الكلب ﴾ تطلق هذه الكلمة على كل سبع عقور ولكنها غلبت على الكلب المعروف . وهو من الحيوانات ذات الخلال الحسنة واظهر مافيه من تلك الخلال خلة الوفاء لصاحبه والقيام على ماله وملازمة داره والذود عنه بنفسه

تعرف من الكلاب اصناف عديدة تختلف حجما وصورة والذى يميز الكلب الوحشى من المستأنس ان الأول لاينبح ولكنه يصوت كما يصوت الثعلب

الكلب المستأنس قديم العهد بالانس بالانسان فقد صحبه من لدن

عصر الحجر المصقول قبل التاريخ كما ثبت ذلك علميا . ويوجد منه الآن عند جميع الشعوب المتوحشة وهو شديد النهم يحب اللحم وقد يقنع بالخبز متى لم يجد غيره وله معدة قوية جداً تهضم العظام وهو ذكى جداً ومحب لسيده . يجرى مسافات شاسعة بدون كلال ويحسن السباحة وهو قليل العرق ويظهر انه لو كان محروراً سال عرقه من لسانه

وهو شديد الجس بالشم ولا يبلغ مبلغه فى ذلك غيره من الحيوانات . تحمل أنثاه ٦٣ يوماً وتلد من جروين الى اثنى عشر جرواً . ويبلغ الجرو أشده فى سنتين ولا يزيد عمر الكلب عن ٢٠ سنة

وقال عنه الدميرى فى حياة الحيوان الكلب حيوان شديد الرياضة كثير الوفاء وهو لا سبع ولا بهيمة حتى كأنه من الخلق المركب لأنه لو تم له طباع السبع ما ألف الناس ولو تم له طباع البهيمة ما أكل لحم الحيوان لكن فى الحديث اطلاق البهيمة عليه

ثم قال الدميرى : وهو نوعان أهلى وسلوقى نسبة الى سلوق وهى مدينة باليمن تنسب اليها الكلاب السلوقية وكلا النوعين فى الطبع سواء وفى طبعه الاحتلام وتحيض اناثه وتحمل الانثى ستين يوما ومنها ماتقل عن ذلك وتضع جراءها عميا فلا تفتح عيونها الابعد ١٢ يوما . والذكور تهيج قبل الاناث وهى تنزو اذا كمل لها سنة وربما تسفد قبل ذلك . واذا أسفد الكلبة كلاب مختلفة الالوان أدت الى كل كلب شبهه وفى الكلب من اقتفاء الاثر وشم الرائحة ماليس لغيره من الحيوانات . والجيفة أحب اليه من اللحم الغريض ويأكل العذرة ويرجع فى قيئه وبينه وبين الضبع عداوة شديدة

الى ان قال : وهو أيقظ الحيوانات عينا فى وقت حاجته الى النوم وانما غالب نومه نهارا عند الاستغناء عن الحراسة وهو فى نومه أسمع من فرس وأحذر من عقعق واذا نام كسر أجفان عينيه ولا يطبقها وذلك لخفة نومه

ومن عجيب طباعه انه يكرم الجلة من الناس وأهل الوجاهة ولا ينبح أحداً منهم وربما حاد عن طريقه وينبح الاسود من الناس والدنس الثياب والضعيف الحال ومن طباعه البصبصة بذنبه والترضى والتودد والتألف بحيث اذا دعى بعد الضرب

والطرد رجع ، واذا لاعبه ربه عضه العض الذى لا يؤلم واضراسه لو انشبها فى الحجر لنشبت ويقبل التأديب والتلقين والتعليم حتى لو وضعت على رأسه مسرجة وطرح له مأكول لم يلتفت اليه مادام على تلك الحالة فاذا أخذت المسرجة عن رأسه وثب الى مأكوله وتعرض له أمراض سوداوية فى زمن مخصوص

ويعرض له الكلب وهو داء يشبه الجنون وعلامة ذلك ان تحمر عيناه وتعلوهما غشاوة وتسترخى أذناه ويندلع لسانه ويكثر لعابه وسيلان أنفه ويطأطىء رأسه ويتحدب ظهره ويتعوج صلبه الى جانبه ولا يزال يدخل ذنبه بين رجليه ويمشى خائفا مغموما كانه سكران ويجوع فلا يأكل ويعطش فلا يشرب وربما رأى الماء فيفزع منه وربما يموت خوفا واذا لاح له شبح حمل عليه من غير نبح والكلاب تهرب منه فان دنا منها غفلة بصبصت له وخضعت وخشعت بين يديه . فاذا عض هذا الكلب انسانا عرض له أمراض رديئة ، منها انه يمتنع من شرب الماء حتى يهلك عطشا ، ولا يزال يستقى حتى اذا سقى الماء لم يشربه فاذا استحكمت هذه العلة به فقعد للبول خرج منه شىء على هيئة الكلاب الصغار (؟)

قال صاحب الموجز فى الطب الكلب حالة كالجذام تعرض للكلب والذئب وابن آوى وابن عرس والثعلب . ثم ذكر غالب ماتقدم

وقال غيره الكلب جنون يصيب الكلاب فتموت وتقتل كل شىء عضته الا الانسان فانه قد يعالج فيسلم

قال وداء الكلب يعرض للحمار ويقع فى الابل ايضا فيقال كلبت الابل تكلب كلبا، وأكلب القوم اذا وقع فى ابلهم يقال كلب الكلب واستكلب اذا ضرى أو تعود أكل الناس انتهى

وقال ابن عباس رضى الله عنه : كلب أمين خير من صاحب خؤن

وكان للحرث بن صعصعة ندماء لا يفارقهم فخرج فى بعض متنزهاته ومعه ندماؤه فتخلف منهم واحد فدخل على زوجته فوثب الكلب عليهما فقتلهما فلما رجع الحرث الى منزله وجدهما قتيلين فعرف الامر فأنشأ يقول :

ومازال يرعى ذمتى ويحوطنى

ويحفظ عرسى والخليل يخون

فياعجبا للخل يهتك حرمتى
ويا عجباً للكلب كيف يصون

وقال الفقيه منصور اليمنى الشافعى الضرير فى الكلب :

الكلب احسن عشرة
وهو النهاية فى الخساسة
ممن ينازع فى الريا
سة قبل إبان الرياسة

ويروى للشافعى رضى الله عنه :

ليت الكلاب لنا كانت مجاورة
وليتنا لا نرى ممن نرى احدا
ان الكلاب لتهدا فى مرابضها
والناس ليس بهاد شرهم أبدا

وقال ابو نواس فى الكلب :

أنعت كلبا أهله فى كده
قد سعدت جدودهم بجده
فكل خير عندهم من عنده
وكل رفد نالهم من رفده
يظل مولاه كعبد عبده
يبيت أدنى صاحب من فهده
اذ عرى جلله ببرده
ذا غرة محجلا بزنده
يلذ منه العين حسن قده
ياحسن شدقيه وطول خده

(فقه) الكلاب كلها نجسة المعلمة وغيرها الصغير والكبير وبه قال الاوزاعى وأبو حنيفة واحمد بن حنبل واسحق وأبو ثور وأبو عبيدة ولافرق بين الكلب المأذون فى اقتنائه وغيره ولا بين كلب البدوى والحضرى

وقال الزهرى ومالك بن أنس وداود الظاهرى انه طاهر وانما يغسل الاناء من ولوغه تعبداً

ويحكى هذا أيضا عن الحسن البصرى وعروة بن الزبير محتجين بقوله تعالى : «فكلوا مما أمسكن عليكم» ولم يذكر غسل موضع امساكها ، وبحديث ابن عمر قال: «كانت الكلاب تقبل وتدبر فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبول فلم يكونوا يرشون شيئا من ذلك » ذكره البخارى فى صحيحه

ولكن الحاكمين بنجاسة الكلب قالوا لعل حديث ابن عمر كان قبل الامر بالغسل من ولوغ الكلب أو ان بولها خفى مكانه فمن تيقنه لزمه غسله

﴿داء الكَلَب﴾ هو داء قاتل يصيب الكلب والقط ومايشبههما وهو يعدى سائر الحيونات ويعدى الانسان ايضا بواسطة

العض

ويعلم الكلب الكَلِب بأنه يكون مضطربا كئيبا ذيله مرخى وحنكه مفتوح ولسانه أحمر مدلى يستشيط غضبا عند رؤية كلب غيره ويأكل كل مايصادفه ثم يعتريه ارتجاف ثم ضعف ثم يموت

متى عض كلب كَلِب انسانا فليس بمحتم أن يصاب بداء الكلب ولكنه متى أصيب به فلا يبرأ منه ، فلم تشاهد حادثة واحدة شفيت بغير التلقيح حتى الآن ولا نعلم نجاة الشخص من الاصابة الا بعد مضى عشرين يوما من تاريخ العضة وهو الزمن الكافى لتفريخ الميكروبات

أما أعراض الاصابة فهو أن يعترى المصاب الحزن والاضطراب والهذيان ثم الضعف ثم الموت . والطريقة الوحيدة للنجاة منه هى قطع خط الرجعة على المرض ومنعه من الظهور . وقد وفق العلامة الفرنسى (باستور) لابتكار طريقة لذلك وهو انه شاهد ان مخ الكلب الكَلِب يكون كاما به فى العدوى فارتأى ان يأخذ قطعة من هذا المخ ويضعها فى الهواء الطلق اياما حتى تهلك اكثر ميكروباتها ثم يحقن بها الحيوان المعضوض ثم يحقنه ثانية بعد عدة أيام بتلك المادة المخاطية ولكن يلاحظ أن تكون محتوية على ميكروبات أكثر وهكذا يوالى الحقن ويلاحظ زيادة الميكروبات فى المادة المحية المحقونة حتى تصير تلك المادة على أشد ماتكون امتلاء بالميكروبات فيصير الحيوان المعضوض عادم القابلية للاصابة بالكلب فينجو واول تجربة أجريت على الانسان كانت سنة (١٨٨٥) فأسفرت عن نجاح عظيم فاستحق العلامة باستور ثناء العالم كله ونجى بذلك من الهلاك ملايين من النفوس

الكلبتان آلة من حديد يمسك بها الحديد المحمى . و(الكلاّب) صاحب الكلاب ومعلم الكلاب

كليب هو كليب بن ربيعة أخو المهلهل الشاعر الجاهلى المشهور وخال امرىء القيس . كان أعز الناس فى العرب ، بلغ من عزه فيهم انه اتخذ جرو كلب فاذا مر بمنزل فيه كلأ قذف ذلك الجرو فيه فعوى فحيث مابلغ عواؤه لايرعى احد عشب ذلك الموضع الا باذنه . واذا جلس لايمر أحد بين يديه اجلالا له ، ولا يحتبى احد فى مجلسه غيره ، ولاتوقد غير ناره ، ولا يجير تغلبى ولا بكرى رحلا ولا يحمى

حمى ولا يغير الا باذنه وكان يحمى الصيد فيقول صيد كذا فى جوارى فلا يصيب أحد منه شيأ . وكن قد حمى حمى لايطأه انسان ولا بهيمة فدخل فيه يوما فطارت قنبرة بين يديه من على بيضها فقال لها :

يا لك من قنبرة بمعمر
خلالك الجو فبيضي واصفرى
ونقرى ما شئت أن تنقرى

كانت امرأته جليلة بنت مرة بن شيبان ، وكان لمرة وهو من بنى بكر عشرة من الولد منهم الحرث وجساس ونضلة وهمام . فجاءت الى جساس خالة له اسمها البسوس فنزلت عليه ولها ابن وناقه تسمى سراب يتلوها فصيل لها فدخل كليب الحمى يوما فوجد بيض القنبرة مكسراً فسأل عن ذلك فقيل له ان ناقة خالة جساس دخلت الحمي فهشمت ذلك البيض. فقال كليب او قد بلغ من قدر جساس ان يجير دون اذنى ؟ يا غلام ارم ضرعها . فرماه الغلام فحرقه بسهم ، وقتل فصيلها. ثم طرد ابل جساس ونفاها عن المياه

فجاءه جساس فقال له: قد نفيت ابلى
عن المياه حتى كدت تهلكها

فقال كليب : انا للمياه شاغلون

فقال جساس . هذا كفعلك بناقة خالتى وفصيلها

فقال كليب : أوقد ذكرتها اما أنى لو وجدتها فى غير ابل مرة استحللت تلك الابل لها

فاستشاط جساس غضبا وعطف عليه فرسه فطعنه فلما أحس الموت قال ياجساس اسقنى ماء . فقال له جساس تجاوزت شبيثاً والأحص (هما اسمان لغديرين كان طرد ابل جساس عنهما) واحتز رأسه وأمال يديه ورجع الى قومه

فقالت اخته وهي امرأة كليب لابيها ان جساسا جاء خارجة ركبتاه. فقال ابوها والله ما خرجتا الا لأمر . فلما قربه قال ما وراءك يابنى ؟ فقال جساس طعنت طعنة لتشغلن شيوخ وائل رقصا . قال له ابوه قتلت كليبا ؟ قال نعم . فقال أبوه وددت انك واخوتك متم قبل هذا مابنا الا أن تتشاءم بنا وائل . ثم لقى جساس أخاه نضلة فقال :

وانى قد جنيت عليك حربا
تغص الشيخ بالماء القراح

فأجابه اخوه نضلة بقوله :

فان تك قد جنيت على حرما
فـلا وان ولا رث السلاح
وكان اخوه همام قد آخى مهلهلا أخا كليب وعاهده ان لا يكتمه شيئا فجاءته أمة له وعنده مهلهل فأسرت اليه الخبر. فقال له مهلهل ما قالت لك أمتك؟ فقال زعمت ان اخي جساسا قتل كليبا . فقال ذرع أخيك اضيق من ذلك

وتحمل القوم وغدا مهلهل في ثار أخيه واجتمعت اشراف تغلب واتوا امرة (وهو ابو زوجة كليب وجساس) فتكلموا امعه في القصاص من جساس واخوته . فقال مرة نعطي الدية فنضبت تغلب ووقعت في حرب مع بني بكر فدامت بينهم اربعين عاما وكان فيما بينهم خمس وقائع أولها يوم عنيزة وآخرها قتل جساس

وذلك انه لما اجتمع نساء تغلب للمأتم قالوا لاخت كليب رحلي جليلة (زوجة كليب) عن مأتمه فان قيامها شماتة بنا وعار علينا . فقالت اخت كليب لجليلة اخرجي ياهذه عن مأتمنا فانك شقيقة قاتلنا . فلما رحلت قالت اخت كليب رحلة المعتدى ، وفراق الشامت، ويل غدا لآل مرة ، من الكرة بعد الكرة . فلما بلغ ذلك جليلة قالت وكيف تشمت الحرة بهتك سترها ، وترقب وترها، أسعد الله جد أختي أفلا قالت : نفرة الحياء ، وخوف الاعتداء ؟ وجاءت وهي حامل فولدت غلاما وسمته الهجرس رباه جساس فكان لا يعرف أبا غيره. فزوجه ابنته . فوقع بينه وبين بكري كلام فقال له البكري ما أنت بمنته حتى ألحقك بأبيك فأمسك عنه ودخل الى أمه فسألها فأخبرته فلما أوى الى فراشه وضع أنفه بين ثديي زوجته وتنفس تنفيسة نفط ما بين ثدييها من حرارتها فقامت امرأته فزعة فدخلت الى أبيها فأعلمته. فقال أبوها جساس: ثائر ورب الكعبة

فلما اصبح أرسل وراء الهجرس فأتاه فقال انما انت ولدي ومعي . وقد كانت الحرب في ابيك زمانا طويلا حتى كدنا نتفانى وقد اصطلحنا الآن فانطلق معي حتى نأخذ عليك ما أخذ علينا

قال الهجرس ولكن مثلي لا يأتي قومه الا بسلاحه فأتيا جمعا من قومهما فقص عليهم جساس ما كانوا فيه من البلاء وما صاروا اليه من العافية . ثم قال وهذا ابن اختي قد جاء ليدخل فيما دخلتم فيه . فلما

قدموا للمقد أخذ المجرس بوسط رمحه وقال:

وفرسى وأذنيه ، ورمحى ونصليه ،

وسيفى وغراريه ،ودرعى وزريه ، لايترك

الرجل قاتل أبيه وهو ينظر اليه، ثم طعن

جساسا فقتله ولحق بقومه بنى تغلب وكان

آخر قتيل فيهم

وقد ذكرت فى قتل كليب أقاويل

أخرى شأن الروايات المنقولة عن الجاهلية

وقد خلد النابغة الجعدى الشاعر هذه

الحادثة بشعره فقال :

كليب لعمرى كان أكثر ناصرا

وأبصر حزماً منك ضرج بالدم

رمى ضرع ناب فاستمر بطعنة

كحاشية البرد اليمانى المسهم

فقال لجساس أغثنى بشربة

تدارك بها منا على وأنعم

فقال تجاوزت الاحص وماءه

وبطن شبيث وهو ذو مترسم

المترسم اتباع الماء فى قعر البئر

﴿ الكلبى ﴾ هو أبو النصر بن

السائب بن بشر وقيل مبشر بن عمرو

الكلبى . وقال محمد بن سعد هو محمد بن

السائب الكلبى بن بشر بن عمرو بن

الحرث بن عبد العزى بن امرىء القيس

ابن عامر الكوفى صاحب التفسير والعلامة

بالانساب

كان اماما فى التفسير والنسب حكى

ولده هشام عنه قال:

دخلت على ضرار بن عطارد بن

حاجب بن زرارة التميمى بالكوفة واذا

عنده رجل كأنه جرز يتمرغ فى الحر وهو

الفرزدق الشاعر . فغمزه ضرار وقال سله

ممن أنت فسألته . فقال الفرزدق ان كنت

نسابا فأنسبنى فانى من بنى تميم فابتدأت

النسب تميما حتى بلغت الى غالب وهو والد

الفرزدق،فقلت وولد غالب هماما وهو اسم

الفرزدق.فاستوى الفرزدق جالسا وقال والله

ماسمانى به أبواى ولا ساعة من النهار.

فقلت والله انى لأعرف اليوم الذى

سماك أبوك فيه الفرزدق

فقال وأى يوم ؟

فقلت بعثك فى حاجة فخرجت تمشى

وعليك مستقة فقال والله كأنك فرزدق

دهقان ، قرية قد سماها بالجبل

فقال الفرزدق صدقت والله . ثم قال

له أتروى شيئا من شعرى ؟

فقلت لا ولكن أروى لجرير مئة

قصيدة

فقال تروى لابن المراغة ولا تروى لي والله لاهجون كلبا سنة أو تروى لي كما رويت لجرير . فجعلت أختلف اليه أقرأ عليه النقائض خوفا ومالي في شيء منها حاجة

أُلمستقة المذكورة آنفا الفروة الطويلة وقال النضر بن شميل هي الجبة الواسعة

كان الكلبي المذكور من أتباع عبد الله بن سبأ الذي كان يقول ان علي بن ابي طالب لم يمت وانه راجع الى الدنيا . روى عنه سفيان الثوري ومحمد بن اسحق وكانا يقولان اذا حدثا عنه حدثنا أبو النصر حتى لا يعرف

شهد الكلبي المذكور وقعة دير الجماجم مع عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث الذي خرج على الحجاج وشهد جده بشر وبنوه السائب وعبيد وعبد الرحمن وقعة الجمل وصفين مع علي بن أبي طالب وقتل السائب مع مصعب بن الزبير وفيه يقول ابن ورقاء النخعي :

فمن مبلغ عني عبيداً بأنني
علوت أخاه بالحسام المهند
فان كنت تبغي العلم عنه فانه
مقيم لدى الديرين غير موسد
وعمدا علوت الرأس منه بصارم
فأثكلته سفيان بعد محمد

سفيان ومحمد ابنا السائب وذكر هشام ابن الكلبي المذكور في كتاب جمهرة النسب ان جدهم عبد العزى كان جميلا شريفا وقد وفد على بعض بني جفنة بأفراس فقبلها وأعجبه حديثه وكان يسامرهم فقتلت بنو كنانة ابنا له فقال لعبد العزى ائتني بهم فقال انهم قوم أحرار ليس لي عليهم فضل وكتب الى قومه ينذرهم . فقال في شعر له طويل:

جزاني جزاه الله شر جزائه
جزاء سنمار وما كان ذا ذنب

وسنمار هذا الذي ضرب به المثل هو الذي بنى القصر المسمى بالخورنق للنعمان ابن المنذر ملك الحيرة فألقاه من أعلاه فقتله) حتى لا يبني لاحد مثله

توفي محمد الكلبي المذكور سنة (١٤٦ بالكوفة

﴿ابن الكلبي﴾ هو ابن المتقدم أبو المنذر هشام بن أبي النصر محمد بن السائب بن بشر بن عمرو الكلبي النسابة الكوفي

كان من كبار علماء النسب روى عن

أبيه وروى عنه ابنه العباس وخليفة بن خياط ومحمد بن سعد كاتب الواقدى ومحمد ابن ابى السرى البغدادى وابو الاشعث احمد بن المقدام وغيرهم

لهشام كتاب الجمهرة فى النسب وهو من محاسن الكتب فى هذا الفن وكان من الحفاظ المشهورين وذكر الخطيب فى تاريخ بغداد عنه أنه دخل بغداد وحدث بها وقال حفظت ما لم يحفظه أحد ونسيت ما لم ينسه أحد . وكان لى معلم يعاتبنى على عدم حفظ القرآن فدخلت بيتا وحلفت أن لا أخرج منه حتى أحفظ القرآن فحفظته فى ثلاثة أيام (؟)

ونظرت يوما فى المرآة فقبضت على لحيتى لآخذ ما دون القبضة فأخذت ما فوق القبضة

له من التصانيف شىء كثير فمن ذلك كتاب حلف عبد المطلب وخزاعة وكتاب حلف الفضول وكتاب حلف تميم وكلب وكتاب بيوتات قريش وكتاب فضائل قيس بن عيلان وكتاب الموردات وكتاب بيوتات ربيعة وكتاب الكنى وكتاب شرف قصى وولده فى الجاهلية والاسلام وكتاب ألقاب قريش وكتاب القاب اليمن وكتاب المثال وكتاب ادعاء معاوية زيادا وكتاب اخبار زياد ابن ابيه وكتاب صنائع قريش وكتاب المشاجرات وكتاب المعاتبات وكتاب ملوك الطوائف وكتاب ملوك كندة وكتاب افتراق ولد نزار وكتاب تفريق الازد وكتاب طسم وهى تزيد على مئة وخمسين تصنيفا وأحسنها كتابه المعروف بالجمهرة فى معرفة الانساب، وكتابه الذى سماه المنزل فى النسب ، وكتاب الفريد صنفه للمأمون فى الانساب وكتاب الملوكى صنفه لجعفر بن يحيى البرمكى فى النسب أيضا

كان ابن لكلبى هشام واسع الرواية لأيام الناس وأخبارهم فمن رواياته انه قال اجتمعت بنو أمية عند معاوية بن أبي سفيان فعاتبوه فى تفضيل عمرو بن العاص وادعاء زياد بن أبيه فتكلم معاوية ثم حرك عمراً على الكلام . فقال فى بعض كلامه أنا الذى أقول يوم صفين :

اذا تخازرت وما بى من خزر
ثم كسرت العين من غير عور
الفيتنى ألوى بعيد المستمر
احمل ما حملت من خير وشر

كالحية الصماء فى أصل الشجر

أما والله ما أنا بالوانى ولا العانى ، وانى أنا الحية الصماء التى لايسلم سليمها ، ولا ينام كليمها ، وانى أنا المرء ان همزت كسرت ،وان كويت انضجت ، فمن شاء فليشاور،ومن شاء فليؤامر،مع انهم والله لو عاينوا من يوم الهرير ماعاينت، أوولوا ماوليت ، لضاق عليهم المخرج ، ولتفاقم بهم المنهج ، اذ شدعلينا أبوالحسن وعن يمينه وشماله المبشرون من أهل البصائر ، وكرام العشائر ، فهنالك والله شخصت الابصار ، وارتفع الشرار ، وتقلصت الخصى الى مواضع الكلى ، وقارعت الامهات عن ثكلها ، وذهلت عن حملها ، وأحمر الحدق،واغبر الافق، والجم العرق، وسال العلق ، وثار القتام،وصبر الكرام ، وخام اللئام، وذهب الكلام ، وازبدت الاشداق ، وكثر العناق ، وقامت الحرب على ساق ، وحضر الفراق ، وتضاربت الرجال بأغماد سيوفها بعد فناء نبلها ، وتقصفت رماحها ؛ فلا يسمع يومئذ الا التغمغم من الرجال،والتحمحم من الخيل الجياد ، ووقع السيوف على الهام ، كأنه دق فاسل بخشبته على منصته : فدأب ذلك يوماً حتى طعن الليل بشسقه ، وأقبل الصبح بفلقه ، ثم لم يبق للقتال الا الهرير والزئير لعلمهم انى أحسن بلاء،وأعظم عناء، وأصبر على اللأواء ، وانى واياكم كما قال الشاعر :

وأغضى على أشياء لوشئت قلتها
ولو قلتها لم أبق للصلح موضعا
وان كان عودى من نضار قاسى
لأكرمه من أن أخاطر خروعا

توفى هشام بن الكلبى سنة (٢٤٠)

﴿ كَلْثم ﴾ لحمُ الوجه اجتمع . (الكُلثُوم) الكثير لحم الخدين والوجه

﴿ كلح ﴾ وجه يكلح كلوحا عبس و(الكالح) الذى قد قلصت شفته عن أسنانه

﴿ كلس ﴾ البيت طلاه بالكلس وهو الجير

﴿ كلف ﴾ الوجه يكلف كلفا علته حمرة كدرة فهو (أكلف). و(كلّفه) أمره بما يصعب عليه . (تكلّف الأمر) تجشمه وتحمله بمشقة . و(الكلف) شىء يعلو الوجه كالسمسم ويعرف بالنمش . و (الكُلفة) ماتكلفه الانسان من أمر . والمشقة. و(الأكلف)

الذى به كلف فى وجهه . و (التكليفة) المشقة جمعها تكاليف

﴿ الكلف والنمش ﴾ انظر وجه

﴿ كلّ ﴾ الرجل من المشى يكِل كَلا أعيا . و(كل البصر) أعيا فهو كليل وكَل . و(تَكَلل الرجل) لبس الاكاليل وهو التاج . و (الكَلاَل) الاعياء . و(الكَلاَلة) الاعياء ومن لاولد له ولا والد . ومن لم يكن من النسب لَحّا وقيل هى الاخوة للأم او بنوالعم الاباعد يقال . (هو ابن عم الكلالة وابن عم كلالةً) اذا لم يكن لحا وكان رجلا من العشيرة . ويقال : (لم يرثه كَلاَلَة) اى لم يرثه عن عرض بل عن قرب واستحقاق و (الكَل) الذى لاخير فيه . والعيّل والضعيف . و (كُل) اسم موضوع لاستغراق أفراد المنكر نحو (كل انسان حر فيمايحب)والمعروف المجموع نحو(وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً)

﴿ كلا ﴾ حرف معناه الردع والزجر و (أخذه بكُلّيته) أى جميعه

﴿ كَلكَتة ﴾ هى عاصمة البلاد الهندية يسكنها نحو ١٧٠٠٠٠٠ نسمةوهى مدينة مستطيلة من الجنوب للشمال على النهر ففى شمالها يسكن الهنود ، وفى جنوبها يقيم الانجليز وضاحيتها المسماة هوراه يقيم بها العملة على الشاطىء الايمن لنهر الغانج صاعتها ليست بعظيمة جداً فهى مدينة ادارية يصدرمنهاالافيون والحبوب الزيتية والرز والنيلاء . وهى على البحر وتقدر حركتها التجارية بخمسة ملايين طن . والحكومة تنتقل منها صيفا الى سملا

﴿ الكَلكل ﴾ الصدر أو ما بين الترقوتين أو باطن الزور

﴿ كَلَمه ﴾ يكلُمه ويكلِمه كَلْما جرحه فهو (مَكلوم و كَليم) و(كلّمه) حدثه وجرحه . و (كالمه) جاوبه . (الكُلاَم) الارض الغليظة و (الكَلْمة) الجرح . و(رجل كَلَمَانى) أى جيدالكلام فصيحه

﴿ علم الكلام ﴾ هو علم تقرير اصول الدين بالفلسفة العقلية التى قاعدتها علم المنطق وعلوم الاوائل . حدث هذا العلم فى القرن الثانى من الهجرة فى دولة العباسيين وسمى علم الكلام إما لان اول مسألة اختلف فيها بعض العلماء هى هل القرآن وهو كلام الله القديم قديم أومحدث واماالكون اقوى اسلحةهذا العلم هو الكلام

وصوغ الحجة القاطعة واتقان التعبير عن المقاصد الخ وهو يشبه علم اللاهوت عند النصارى (انظر علم)

﴿ الكلوروفورم ﴾ هو سائل صاف عادم اللون يحضر بتقطير مزيج من كلوريتات الكلس والكلس المروى والسبيرتو على حرارة معتدلة وغسل الكلوروفورم غير النقي بماء وحمض كبريتيك وماء قلوى و ازالة مائه بكلوريد الكلس غير الهيدراتى واعادة الاستقطار ثم يزاد الى الحاصل ۰۱ ر ۰ من أتيل الكحول لوقايته

(خواصه الطبية) هو مخدر شديد يسكن ويضاد التشنج اذا أعطى من الباطن وقد يعطى تنقيطا عن قطعة من السكر لمنع الدوار البحرى او يعطى مضاداً للحمى المتقطعة متى فشلت الكينا والسنكونا ويستعمل من الخارج للتنبيه فى الغنغرينا والقروح البليدة . ويستعمل بخاره فى امراض العين والمستقيم والمهبل وقد اشتهر استعماله فى الجراحة للتخدر على سبيل الاستنشاق إما وحده او ممزوجا بالاتير . وقد يركب مع الكافور لازالة ألم الاسنان أو يوضع على لسع الزنابير لتسكين الالم ويضاف الى الادهان المسكنة قبل الاكونيت والبلادونا والبنج

يضاده فى الفعل الهواء النقى والتنفس الصناعى ونتريت الاميل

(مستحضراته) ماء الكلوروفورم وجرعته من نصف أوقية الى أوقيتين أى من ١٥ الى ٦٠ غراما

دهن الكلوروفورم وهو يستعمل لتخفيف الالم

وروح الكلوروفورم لمنع التشنج

وصبغة الكلوروفورم لمنع التشنج ايضا

﴿ كِلاَ وكِلْتَا ﴾ اسمان لفظهما مفرد ومعناهما مثنى . تقول : (كِلا الرجلين) اى كل واحد من الرجلين

﴿ الكُلْية ﴾ هو العضو المفرز للبول من الانسان وهما كُلْيتان وتحت هذا الفصل ننشر مقالا ممتعا كتبه حضرة الدكتور المفضال حسين افندى المراوى لدائرة معارف القرن العشرين سيجد منه القراء فائدة جزيلة ومعلومات جمة . قال حضرته :

(الكليتان) كليتا الانسان هما غدتان مركزهما على جانبى العمود الفقرى خلف البريتون (الترب) ولكل منهما غلاف

وعلى رأس كل واحدة غدة أخرى صغيرة . أما أعلى نقطة فى الكلية اليمنى فتوازى الحرف الاعلى للضلع الثانية عشرة أما اليسرى فقد ترتفع الى الحرف الاسفل للضلع الحادية عشرة وطول كل كلية نحو عشرة سنتيمترات الى أسفل هاتين النقطتين وعرض كل واحدة خمسة سنتيمترات وشكل الكلية خاص بها فانها مستديرة الشكل محدودة من ناحية ومقعرة فى الاخرى تشبه نصف هلال اذا لم تكن أطرافه محدودة

وأمام الكلية اليمنى الكبد والقولون والجزء الثانى من الاثنى عشرى وامام الكلية اليسرى الطحال والبنكرياس والمعدة والقولون النازل

﴿ جدول تحليل البول الطبيعى ﴾

ماء	١٥٠٠ر٠٠ جرام
المذوبات	٧٢ر٠٠ «
البولينا	٣٣ر٠٠ «
حمض البوليك	٠٠ر٥٥ «
حمض هيبوريك	٠٠ر٤٠ «
كرياتين	٠٠ر٩١ «
ملونات	١٠ر٠٠ «
حمض الكبريتيك (فى مركباته	٢ر٠١ «
حمض الفوسفوريك «	٣ر١٦ «
الكلورين «	٧ر٥٠ «
نشادر «	٠ر٧٧ «
بوتاسا «	٢ر٥٠ «
صودا «	١١ر٠٩ «
كالسيوم «	٠ر٢٦ «
مغنسيوم «	٠ر٢١ «

(فسيولوجيا الكليتين)

تتركب الكلية من غلاف ليفى مرن رقيق يسهل نزعه وجسم الكلية مكون من طبقتين الخارجة قشرية والداخلة مركزية وهذه أقل احمراراً فى لونها من الاولى وتحتوى على اهرام منفصل بعضها عن بعض وتنتهى قمم تلك الاهرام فى الحويض على هيئة حلمات هى فتحات القنوات البولية واذا تتبعنا هذه القنوات نجدها مستقيمة ويصب فيها قنوات جانبية وهذه باجتماعها مع فروع صغيرة تسمى فروع هنلى تكون الاهرام السابقة الذكر

أما الطبقة القشرية ففيها جسيمات مالبيجى محاطة بمحفظة بومان ويصل الى هذه المحفظة فريع شريانى يثقبها ويتفرع داخلها على هيئة شبكة ثم يتكون من هذه الشبكة فرع آخر ثم يخرج هذا لينقسم الى فريعات أخرى فى نفس الكلية وتنشأ من جسيمات ملبيجى قنا بولية صغيرة تتصل بمحفظة بومان على هيئة عنق ثم تتسع وتتعرج ولهذا يعبر عنها بالانابيب المتعرجة ثم تضيق وتغور باستقامة فى الطبقة المركزية وتسمى فروع هنلى النازلة ثم تصعد ثانيا الى سطح الكلية

اما البول فيفرز فى جسيمات مالبيجى فى محفظة يومان ويستمر فى الانابيب النازلة فالصاعدة ثم ينزل الى القنوات فرؤوس الاهرام

وغير هذا يظن ان للكلى افرازاً داخليا ينتج عنه قلة افراز البولينا

(البول) يبول الانسان فى حالته الطبيعية لتراً ونصف لتر من البول ويعترى هذه الكمية آفات النقصان و الزيادة . فقد يتسبب النقصان من غزارة الافرازات الاخرى كالعرق وغيره كما هو الحال فى فصول الصيف والزيادة فى البرد

أما التغيرات المرضية فتعتريه التغيرات الآتية :

تكثر كمية البول فى بداية أمراض الكلى الخلالية وفى الاستحالة الشمعية وفى أمراض المخ وفى البول السكرى المصحوب بافراز سكر أو بدونه وفى حالات الهستريا وفى بعض الحالات العصبية مثل الكشف الطبى فى شركات التأمين على الحياة او استعمال مدرات البول او المشروبات الروحية

ويقلل افراز البول فى مبدأ مرض برايت وفى ختام المرض الخلالى وفى انسداد

الحالب البولى وفى الحميات وفى ختام أمراض القلب . وكثافة البول النوعية تختلف باختلاف الأشياء المذوبة فيه وهى تختلف أيضا باختلاف ساعات النهار ولذلك يجب جمع كل المنفرز فى ٢٤ساعة ثم أخذ كثافته النوعية من المتوسط وتختلف الكثافة النوعية من ١٠٠٠ الى ١٠٥٠ على نسبة ان الماء ١٠٠٠ وتؤخذ هذه بواسطة البولومتر وهومقياس معلوم وفى حالة الصحة تكون كثافة البول النوعية من ١٠١٥ الى ١٠٢٥ فاذا كثر افرازالبول نزلت هذه الى ١٠٠٦ أو أقل من ذلك وترتفع هذه القيمة فى كل ما يقلل افراز البول أو يزيد فى محتوياته الجامدة أما الزلال فيمكن وجوده مع ارتفاع أو انخفاض الكثافة النوعية

(محتويات البول الذائبة)

يحتوى افراز البول فى ٢٤ ساعة على ٥٨ غراما من المذوبات واذا أردنا تقديرها بدقة فاننا نأخذ بول ٢٤ ساعة ونبخره ونزن الباقى بعد ذلك فنجد متوسط هذه البقايا هو ٤ . ر . اذا اعتبرنا ان متوسط الكثافة النوعية . ١.٢ وأهم محتويات البول هو ما يأتى :

البولينا هى نحو نصف محتويات البول وهى أهمها تقريبا لأنها الجسم المحتوى على النيتروجين المفرز من الكلى وتقدر بنحو ٣٢ غراما فى اليوم وهى نصف البول وتتأثر هذه الكمية بمقدار النتروجين الذى يهضم وتزداد أيضا بازدياد السوائل التى يتناولها الانسان والاملاح المحللة وتقل من أكل المواد السكرية والنشوية

ويزداد افرازها فى الحميات والبول السكرى وتقل فى مرض برايت

الكلورور ـ مقداره فى اليوم ٧غرامات ويقل فى الحميات خصوصا فى ذات الرئة حيث تنعدم فى بعض الاحيان

السلفات مقدارها من غرام ونصف الى ثلاثة وتكثر مقاديرها من عفونة فى الامعاء وتكثر بكمية عظيمة فى أمراض الامعاء مثل الامساك والالتهاب البريتونى وانسداد الامعاء

الفسفات يفرز بمقدار من اثنين الى ثلاثة ونصف غرام فى اليوم من حمض الفسفوريك متحداً مع الصودا والبوتاسا والجير والمغنسيوم . والفسفات القلوية هي بنسبة ثلى القيمة وهذه دائما تذوب أما

الفسفات الارضية فهى الثالث الباقى وتذوب ما دام البول حمضيا وهذه ترسب كثيراً وهى منشأ كثير من الحصيات فاذا كان البول قلويا سواء فى الجسم أو بعد التبول رسبت الفسفات والبول يكون قلويا اذا أكل الانسان كثيراً من الخضر أو أشياء أخرى فيها حمض الليمون والطرطريك أو الصودا أو البوتاسا فهذه الاشياء تتحول الى كربونات فى الامعاء ثم تمتص فى الدم فتقلل من حمض البول أو تجعله قلويا وفى بعض الاحيان يبول الانسان فيجد بوله محتويا على رواسب فسفاتية ومن المعلوم ان الفسفات ترسب اذا سخن البول على النار فتشبه فى رسوبها الزلال ولكن الفرق يظهر باضافة نقطة من حمض الخليك فتذوب الفسفات

وقد يكون البول قلويا بعد خروجه من الجسم من تحليل البولينا بالميكروبات وقد يكون هذا داخل المثانة كما فى أحوال التهاب المثانة أو بعد تعرض البول للهواء

الاوكسالات — هذه كمية صغيرة جداً ولكن أهميتها فى تكوين حصيات فى الكلى وشكلها تحت الميكروسكوب يشبه شكل ظروف الخطابات وبعضها يشبه كرتين صغيرتين متصلتين بقضيب صغير

أوكسالات الجير لا تذوب بسهولة فى حمض الكلورايدريك ولا تذوب أبداً فى حمض الخليك وتكثر بكثرة الخضر المأكولة كالكرنب والراند

(حمض البوريك) أملاح حمض البوريك التى يفرزها الانسان فى اليوم تتراوح بين نصف غرام الى غرام واحد فى اليوم ومع ذلك فكثيراً ما يرسب هو بنفسه أو أملاحه ولا يؤخذ هذا دليلا على ان افرازه قد زاد عن المعتاد . وتلك الرواسب دائما تكون فى البول الحمضى ويمكن تمييزها بلونها الاصفر أو البرتقالى او الاحمر وتحت الميكروسكوب ترى على شكل معين فى زاويتيه المتقابلتين تدوير محسوس وبعض الاحيان تكون هذه الجوانب فيها خطوط وملونة بملونات البول أما أملاح حمض البوريك فلا شكل لها وأسباب رسوبها أن يبرد البول أو يتركز وسبب هذا التركز فى حالة الصحة قلة السوائل التى تشرب أو العرق الغزير، فى المرض القىء وأمراض القلب وفى الحميات وفى كثرة تبخر الماء من الرئتين واذا سخنا

البول المحتوى على هذه الاملاح تذوب بسرعة

﴿ أمراض الكلى ﴾

(الالتهاب الكلوى)

(اومرض برايت)

كان للدكتور ريشار برايت الفضل الاول فى اكتشاف الصلة بين تورم جميع أجزاء الجسم وبين وجود الزلال فى البول ووجود هذه الاعراض مع التهاب الكليتين فقد وجد ان الكلية قد تكون ضاربة الى الصفرة فى لونها وملساء وفى أحيان أخرى صغيرة ودكناء وعلى سطحها حبيبات صغيرة وتجعدات ففسر الثانى انه نتيجة لضمور فى النوع الاول وعلى ذلك أصبح اسم برايت ملازما لكل مرض فى الكلى مصحوب بالتهاب دون صديد . وأسباب هذا الالتهاب كثيرة (١) سموم الحميات المختلفة وأشهرها الحمى القرمزية (٢) وجود ميكروبات فى الكلى على شكل خراج (٣) وصول الميكروبات الى الكلية بطريق الحالب من المثانة (٤) وجود حصاة فى حوض الكلية (٥) الكحول والرصاص والنقرس (٦) سموم أمراض خاصة كازهرى تابعا لاستحالة فى الشرايين (٧) استحالة ناشئه عن كبر فى السن ومن وجهة الانسجة نجد ان الكلى تصاب فى ثلاثة أجزائها (١) التهاب القنوات البولية (الالتهابات الجوهرى) (٢) التهاب الالياف الخلالية (الالتهاب الخلالى) واستحالة الشرايين الكلوية ولكن لا يمكن وضع حد فاصل بين جميع هذه الاجزاء لانها قد يختلط بعضها ببعض

وهناك أعراض أخرى غير التى ذكرناها تصحب مرض برايت هذا وهى :

(١) الزلال فى البول (٢) البول الدموى (٣) اسطوانات بولية (٤) تورم جميع اجزاء الجسم (٥) ضخامة القلب واستحالة الشرايين (٦) تغيرات فى العين (٧) التهابات مختلفة (٨) تسمم الجسم (٩) التهابات مختلفة (١٠) تسمم بولى (١١) عدم افراز البول الكافى

(البول الزلالى)

الزلال فى البول علامة مؤكدة على الالتهاب الجوهرى الكلوى او مرض برايت وله عدة كشافات

(١) الحرارة فيوضع البول فى أنبوبة اختبار ويسخن عليه فيرسب

الزلال ويضاف الى الراسب قليل من نقط حمض الخليك فاذا استمر وجود الراسب كان زلالا . وخطأهذا الكشاف اذا كان البول قلويا فلا يرسب الزلال ولذلك يجب جعل البول حمضيا باضافة حمض الخليك اليه قبل تسخينه

(٢) حمض النتريك . يصب هذا الحمض على جانب أنبوبة الاختبار المحتوية على البول فيرى خاتم اسود فى محل اجتماع السائلين

(٣) حمض البكريك تأثيره كحمض النتريك ولكن لون الخاتم يكون ابيض

(تقدير الزلال)

أسهل الطرق التى يمكن أن تستعمل فى البيوت هى طريقة اسباخ والجهاز عبارة عن أنبوبة اختبار مدرجة وموجود عليها علامتان الاولى للبول والثانية للكشاف وتحت ذلك علامات تدل على نسبة الراسب الزلالى أجزاء فى الانف من البول . والكشاف عبارة عن محلول حمض البكريك بنسبة واحد وحمض الليمونيك اثنين على المئة من الماء

(أسباب الزلال)

(١) التهاب كلوى حاد بالاسباب المتقدمة (٢) التهاب كلوى صديدى (٣) استحالة نشوية أو اصابة درنية (٤) حمى حادة (٥) انسداد وريدى (٦) التهاب الغشاء الداخلى للقلب المصحوب بتقيح (٧) الاورام المختلفة (٨) الامراض العامة كالانيميا (٩) انسداد الحالب البولى (١٠) الامراض العصبية (١١) بعض السموم (١٢) زلال نسبى لا أصل له

وأعراض فى غير الكلى كالتهاب الحوض الكلوى والدرن الكلوى والتهاب المثانة ونضرب صفحا عن النظريات التى وضعت لتفسير زلال البول لانها مطولة ولكونها نظريات لا تفيد سير العلاج

(البول الدموى)

كشافاته (١) بالميكروسكوب ترى الكريات نفسها (٢) نظارة الطيف الشمسى وأحسن الكشافات كشاف صبغة خشب الانبياء اذ توضع هذه على ورق نشاف قد غمر فى البول ثم يوضع ماء اوكسيجينى على الورق فيتلون باللون الازرق

(الاسطوانات الكلوية)

هذه لها عدة أنواع وترى بالميكروسكوب ولها عدة أصول وأنواع فهى اما دموية

أو خلوية أو زلالية أو شحمية أو شمعية

(التورم)

هذا يكون عاما وينشأ عن ضعف القلب الناتج عن المرض وفى هذا النوع ينحصر التورم فى جميع الاطراف السفلى والبطن بينما يكون الوجه والايدى سليمة والنوع الثانى خاص بمرض الكلى فيكون التورم عاما بجميع أجزاء الجسم من الوجه واليدين والرجلين الخ وفى النهار ينحصر الورم فى الرجلين وذلك بفعل الجاذبية الارضية وفى الليل يتورم جميع أجزاء الجسم خصوصاً فى الجفون واذا نام الشخص على أحد جانبيه يتحول الورم الى هذه الجهة بفعل الجاذبية أيضا واذا كان الورم أشد من ذلك تورمت جميع أجزاء الجسم بغير استثناء واذا أدخلنا فى الجزء الورم أنبوبة سوتلى خرج منها ذلك السائل الموجود تحت الجلد وهبط الورم ولنضرب صفحا عن تفسير هذا التورم

(تغيرات الجهاز الدورى)

(١) زيادة ضغط الدم (٢) ضخامة القلب (٣) تصلب الشرايين ولكل من هذه مباحث ليس هنا موضعها

(التغيرات البصرية)

(١) تورم فى الشبكية (٢) وجود عتامات ونقط على الشبكية (٣) نزيف فى الشبكية (٤) ضمور فى الحلمة (٥) تصلب شرايين العين

(الانزفة)

هذه كثيرة الحدوث فى جميع أجزاء الجسم خصوصا فى المخ وسبب زيادة ضغط الدم وشرايين القلب مع ضعف الشرايين المتصلبة

(التهابات مختلفة)

فى البلورا والتامور والنزلات الشعبية والتهابات البريتون

(التسمم البولى)

أما حاد وأما مزمن فالحاد يشبه فى أعراضه نوبة الصرع ففى البداية يكون تصلبا فى العضلات عامة وبعدها تشنجات متعددة واهتزازات ويكون الوجه ازرق ويظهر على الفم زبد ويسيل اللعاب مختلطا بالدم وتتسع حدقة العين وبعد ذلك يقع المريض فى كوما (غيبوبة) يخرج منها الى تشنجات أخرى ثم الى غيبوبة ويزيد التنفس والنبض وترتفع درجة الحرارة وقد لاتكون هذه الاعراض موجودة برمتها

ولكن المريض يصاب بهذيان أو بالجنون الهائج أو بالعمى لمدة من الايام ثم بعد ذلك يشفى منه وبالصمم ايضا. أما المزمن فيبدأ بوجع في الرأس واضطراب في الاصابع وعسر في التنفس وحركة مستمرة وأكلة في الجلد وقيء واسهال

(قلة افراز البول)

يقاس هذا مقياس البول وقياس محتويات من النيتروجين أو حقن ازرق الميتلين وملاحظة افرازه من الجسم في أكثر من ٤٨ ساعة (الحالة الطبيعية)

(الالتهاب الكلوى الحاد)

أسبابه - التسمم أو الميكروبات أو تعرض للبرد مما يستدعى هبوط القوى المقاومة فى الجسم، والحميات كالقرمزية والدفتريا وغيرها، والحمل وبعض العقاقير كالذراريح وحمض الفنيك والكحول

أعراضه - التورم وقد سبق شرحه. وتغيرات في البول فيقل افرازه ومحتوياته ويعدم افراز الكلور وترتفع كثافته النوعية ويكون فيه دم وتحتوى رواسبه على كريات الدم وخلايا كلوية وزلال الى نسبة واحدة فى المئة ويقل افراز البولينا وقد تخف وطأة هذه الاعراض بعد قليل من الايام وتتحسن حالة المريض وقد ينعدم افراز البول بالمرة بضع ساعات الى يوم وتحدث أعراض التسمم البولى وربما قضى المريض نحبه أو تحسن. أما من جهة التورم فربما عدا على الرئتين والتامور والبلورا فتنعدم وظائف التنفس والقلب فيموت المريض واذا زاد تورم الرجلين ربما انتهى بهما الحال الى غنغرينة

الانذار على العموم حسن وكثير جداً من حالات الالتهاب تشفى أو تصير مزمنة ولا يموت المريض فى الحالة الحادة ولكن الاعراض السيئة هى ماقدمناه من التهابات الاعضاء الهامة فى الجسم

العلاج - علاج الكلية نفسها يهمل فى الغالب مالم يكن بها ألم فتعالج بكاسات الهواء أو اللبخ خصوصا اذا حصل نزيف أما العلاج الهام فهو اخراج جميع افرازات الجسم بالطرق الاخرى كالامعاء والجلد وذلك باعطاء المعرقات والمسهلات ونزع مسببات المرض ويوضع المريض فى غرفة حارة

طعام المريض لايكون غير اللبن الصافى أو المخلوط بماء الصودا ولا يسمح

للمريض بشيء من اللحم أو السمك أو البيض ولكن يجوز اعطاء الاطعمة النشوية اذا كانت الاعراض غير شديدة . أما العقاقير المسهلة والمرقة فأحسن ماتكون اذا كانت ملحية كالملح الانجليزى وسلفات الصودا وسترات الصودا والليمونادة وطرطيرات الصودا والبوتاسا

ويجب أن لايكون فى غذاء المريض أدنى كمية من ملح الطعام لانه لايفرز من الجسم ويسوء حالة المرض

ومن أحسن المعرقات حمام الهواء الساخن وهو عبارة عن صندوق خشبى يجلس فيه المريض وتدخل اليه حرارة مدخنة مصباح فيفرز العرق بغزازة تامة أو حمام بالبخار بأن توضع غلاية لها فوهة توصل البخار الى هذا الصندوق

وأحسن نوع من المعرقات هو نترات البيلوكاربين سدس حبة أو ربع حبة أو وضع أنابيب سوتلى واذا حصل تشنج للمريض يجب اسعافه بالكلوروفورم وقليل من النقط فقط لان قلب المريض ربما يكون ضعيفا ويجب الاعتناء بلسانه اذ ربما يعضه بأسنانه أويعمل للمريض عملية الفصد ولكن يجب التأنى فى هذه العملية لانه ليس من الصواب أن يفقد صريع الالتهاب الكلوى بفقد دمه . ولا تسمل هذه العملية الا اذا كانت التشنجات قوية جداً . ويعطى للمريض مقدار حبة من نترات البيلوكاربين أما القيء فيعالج باعطاء ماء الصودا أو حمض السياندريك المخفف (دستور انجليزى ٤ نقط) ويعتنى بملابس المريض وحفظه من البرد

﴿الالتهاب الكلوى الجوهرى﴾

(المزمن)

(أسبابه) كأسباب الحاد وتختلف عنه بأن أعراضه قد لاتكون حادة أى أنه يبتدىء على شكل مزمن من الأول وربما كانت نتيجته نوبة حادة الاعراض . استمرار الاعراض الحادة السابقة الذكر وهى التورم فى جميع أجزاء الجسم والاغشية الداخلية وضخامة فى القلب ولكن المرض الذى يبتدىء مزمنا من أوله فيبتدىء بضعف فى شهية الطعام ووجع فى الرأس وبعد ذلك بمدة تورم فى الاطراف السفلى أو جميع أجزاء الجسم فى الليل ثم تزداد هذه الاعراض فتصير كأعراض المرض الحاد فى شكل البول ومحتوياته وضخامة القلب وتصلب الشرايين وربما ينتهى الحال

بالموت كما فى الحالة الحادة أو بعد مدة من الزمن يضمر النسيج الكلوى ويصير كالتهاب الخلالى المزمن

(العلاج) كما فى الحاد وينصح المريض بالاقامة بالبلاد الحارة ويعطى الحديد والزرنيخ لتقليل ما يعتريه من فقر الدم

سترات الحديد والنوشادر	٥٠ر٠س.م
سائل الزرنيخ	٢٠ر٠س.م
صبغة الجوز المقىء	٤٠ر٠س.م
روح الكلوروفورم	٠١ر٠س.م
ماء كاف	

ثلاثة فناجين قهوة فى اليوم

ولقد ابتدأ الاستاذ ايبوهلس منذ عدة سنين فى معالجة الكلى الملتهبة بعملية جراحية ينزع بها غلاف الكلى ويقال انها افلحت

﴿ الالتهاب الكلوى الخلالى ﴾
(المزمن)

(أسبابه) النقرس والتسمم الرصاصى والكحولى والتسمم المعوى المزمن ويرى الاستاذ ديكنسون ان المنطقة المعتدلة أكثر البلاد اعدادا لهذا المرض لكثرة التغيرات الجوية ومن الاسف ان هناك كثيرا من الحالات لم يمكن البحث عن سبب لها

(الاعراض) قليلة فى بداية الامر وكثيرا ما يحدث للمريض مضاعفات للمرض وهو لا يشعر بمرضه الاصلى أما الاعراض التى تجعل الانسان يفكر فى هذا المرض فهى صداع مستمر وتهوع وقىء وقصر فى النفس وفقر دم وبعض المرضى يشعر بكثرة افراز البول خصوصا فى وقت الليل وفى بعض الاحايين تغيب كل هذه الاعراض ولا يشعر المريض الا بعينيه قد ابتدأ نظرهما يضعف ويتغير

أما البول فاليك التغيرات التى تطرأ عليه :

أولا يزيد مقداره ويكون لونه رائقا وربما كان كالماء وكثافته النوعية قليلة من ٥..ر١ الى ١٣ر١ وجميع محتويات البول تقل عن المعتاد وأما كمية الزلال فهى قليلة جدا وربما كانت منعدمة أو لا تتجاوز خمسة فى الالف ويكون فى البول راسب أبيض ولا يوجد فى بداية هذا المرض شىء من التورم فى جهة من الجسم اللهم الا أن يتقدم المرض فترم الاقدام فقط واذا حصل التورم فيكون هذا نتيجة ضعف القلب أو وجود التهاب كلوى حاد على الالتهاب

الكلوى المزمن وتتغير أشكال ضربات القلب فالضربة الاولى تكون متكررة والضربة الثانية تزداد قوتها فوق ضخامة الاورطى

ويمضى زمن طويل او قصير على حالة المريض ثم تبتدىء المضاعفات التى شرحناها فى مقدمة هذا القول

وأهم تأثير فى المرض المزمن يكون على القلب فتستولى عليه الضخامة والاتساع ثم يظهر النفخ الانقباضى *Systoliemmurmur* فى قمة القلب من اصابة الصمام المترال وبعد ذلك يضطرب القلب اضطرابا مريعا وتحتقن الرئة ويحصل فيها نزيف وتحتقن الكبد ثم تحصل أعراض عدم كفاية القلب بمهمته

(العلاج) : بعد منع السبب الذى نتج عنه الالتهاب تعالج أعراض المرض الرئيسية وهى : (١) تقليل المواد الغذائية التى تفرزها الكلى (٢) تقليل ضغط الدم وصلابة الشرايين فلا يضطر القلب لبذل مجهود عظيم (٣) معالجة فقر الدم الناتج عن المرض (٤) مضاعفات المرض

أما الطعام فلا بد أن يكون لبنا وخاليا من اللحوم الحمراء واستعمال المرقات وتجنب البرد وعدم التعب الجسمى أو العقلى والطعام يكون من الاشياء المركبة من الدقيق والنشا وتجتنب الاشياء الحريفة كالبهار والفلفل والكحول الخ

ويجب تقليل الامتلاء الشريانى وضغط الدم باستعمال النترات والنيتروجلسرين (واحد على مئة نقطة) ثلاثة يوميا والاريترول النيتراتى الرباعى . ويستعمل الحديد والزرنيخ والحقن بكا كوديلات الحديد . أما المضاعفات فتعالج بالعلاج الخاص بها

والالتهاب الكلوى المختلط يكون فيه أعراض الدائين ويعالج بعلاجهمامعا

(الالتهاب التقيحى الكلوى)

اما ان يكون هذا التقيح نتيجة امتداد التهابى تقيحى من أى جزء من الجهاز البولى من أول القضيب فالمجرى البولى فالمثانة والبروستاتة فالحالب البولى ويمتد الى الكلى والاعراض الاولى رعدة وقشعريرة وارتفاع فى درجة الحرارة وحمى التقيح (*hectic fever*) وفى بعض الاحيان تشبه أعراض هذا الداء الحمى التيفودية سواء بسواء ويكون الألم العظيم فى مركز وجوده الكلى خصوصا بالضغط

عليه وتتغير حالة البول فيحتوى على صديد وتقل البولينا وقد لاحظ السير هنرى موريس انه تحدث فى هذا المرض نوع من الحمى المتقطعة يكون البول في وقتها أكثر مما فى غيرها ونتيجة هذا المرض الموت فى مدة تتراوح من ثلاثة أيام الى ثلاثة أسابيع

العلاج : يعالج المرض الاصلى التقيحى وتعالج الحمى بالكينين (٥ ر . سنتى غرام) والبوروتروبين مثله ثلاثة يوميا واستعمال حقن مميتة للميكروبات اما مصل أو تلقيح

(الاكياس الكلوية « استسقاء الكلى »)

نتيجة انسداد الحوض الكلوى أو الحالب البولى بحصاة كلوية بولية هذا هو الشائع وقد تكون هذه الانسدادات مرضية كالاورام والبلهارسيا اوربط الحالب فى عملية جراحية او يولد الطفل بهذه العاهة

الاعراض : تصور كيسا من الماء موضوعا مكان الكلى قد كبر حتى بلغ شيئا عظيما بحيث انه فى بعض الاحيان يملأ البطن ويكون فيه التموج المائى ويأتى من جهة الكلية ويتمدد الى جميع الجهات

ومن أعراضه الهامة أنه يفرغ ما فيه من الماء فى المثانة فى بعض الاحيان فلايرى على حالته الاولى ثم يبول المريض مقداراً كبيراً من البول وهلم جرا واذا كانت الاصابة مزدوجة أى في كلتا الكليتين يموت المريض من التسمم البولى

العلاج : ان تنتظر حتى يفرغ الكيس محتوياته فى المثانة اذا لم يكن خطر من الانفجار او يستعمل له البذل أو يستأصل بعملية جراحية

***

الاستحالة النشوية والاكياس الديدانية والدرن والتقيح أعراضها وهى نفسها أعراض الكبد مع تغيير مركز الالم

(الاورام)

الخبيثة أهمها السرطان اللحمى والنخاع الخ اما ابتدائيا أو تابعيا

الاعراض : (١) وجود ورم يمكن جسه وتحديده فى الكلية

(٢) بول دموى قليل متقطع

(٣) اذا فحص البول فحصا ميكروسكوبيا وجد فيه خليات السرطان ويمكن للباتولوجى الماهر تمييزها

(٤) ألم شديد فى الوسط ويمتد الى

الافخاذ واذا تجمد الدم فى الحالب البولى حصل مغص كلوى أما بقيـة الاعراض فهى الـكاشيكسيا ووجع الرأس والقىء والهزال وفقر الدم وأكثرما يعيش المريض سنتين

العلاج : بعد التأكد من التشخيص تستأصل الـكلية المصابة

(الكلية السابحة)

اكثر ماتكون فى السيـدات اللائى حبلن كثيرا او كل من اعتراه هزال بعد سمن او اصيب بسقوط الأمعاء

وأعراضه : ألم فى الوسط مسحوب الى الاطارف السفـلى ويزداد هذا الالم بالتحرك المضطرب والمشى وغـيره وفى بعض الاحيان قد تختنق الكلية فتحصل نوبة ديتل وهى عبارة عن ألم شديد جداً فى الجنب وتقايؤ وقلة فى البول وربما كان دمويا ويقال أن سبب هذه النوبة التواء الاوعية الكلوية وتزول هذه بعد اسبوع وتتبع هذه الاعراض أعراض التهاب المعدة وسوء المضم ويمكن جس الـكلية السابحة باليد فتتحرك فى مكانها

(العلاج) : الراحة التامة والنوم على الظهر واعطاء المأكولات السهلة ثم ربط البطن بحزام ضاغط واذا لم تتحول الآلام تعمل عملية جراحية تثبت بها الكلية فى مكانها

(الحصيات الكلوية)

لها عدة أنواع أشهرها أملاح حمض البوريك وبورات الصودا واوكسـلات الجير ومزيج من فسفات الجير والنشادر وفسفات الجير وكربونات الجير والسيستين والرانتين والنيلاء وهى اما مفردة أو متعددة وأسبابها غير مؤكدة الى الآن فالبعض ينسبها الاضطراب التغذية العام وعلى العموم فانها تبدأ صغيرة ثم ترسب على ذلك رواسب متكررة فتنمو

(الاعراض) اما ان تكون الحصاة فى حوض الكلية فلا تحدث اعراضا مطلقا او تحدث التهابا فى الحوض فينشأ عن ذلك بول دموى او زلالى او قيحى حسب درجة الالتهاب ويجوز ان يكون ذلك نتيجة حصيات متعددة صغيرة (الرمل الكلوى)

(٢) واذا انحشرت الحصاة فى الحالب فيتسبب عنها المغص الكلوى أو الانحباس البولى وينشأ المغص الكلوى من تشنج الحالب فيثور الالم فجأة خصوصا

بعد وثب اوجرى ويشتد فى حذاء النقطة المصابة ويكون الالم ناخسا ويتشعع فى اتجاه الحالب الى المثانة والى الاطراف السفلى وفى الخصية وتارة يمتد الى البطن. والصدرومن شدة ألم المريض يضطران ينثنى تخفيفا لالمه ويتصبب العرق من جميع اجزاء جسمه وربما حصل قىء ويصغر النبض ويبول بولا محمراً داميا والنتيجة أحد أمرين اما ان تسير الحصاة الى المثانة وربما ترجع ثانية الى الحوض الكلوى فيهدأ الالم فجأة وبعد ذلك يبول المريض الحصاة او تبقى فى الكلية لترجع ثانية فتعقب مغصا كلويا والنتيجة الثانية ان تبقى الحصاة فى مكانها بالحالب فيحتبس البول وتتقيح جميع الاجزاء المجاورة ويضخم الحالب . وبعد هذا التقيح تحدث الخراريج المتعددة فيما يجاور هذه الحصاة واذا حدث مثل هذا فى الكليتين فى آن واحد قضى المريض نحبه

(العلاج) اذا كان البول حمضيا فالحصاة من حمض البوريك او املاحه ولذلك تعطى القلويات بكثرة والعقاقير التى تذيب حمض البوريك اما القلويات فهى بيكربونات الصودا (اربع او خمس غرامات فى اليوم) او مثل هذا المقدار من سترات الصودا المذوبة فى كثير من الماء ويقلل أكل اللحم أو يمتنع عنه وتؤكل الاشياء السكرية والنشوية ويجتنب الكحول وينصح (رالف) استعمال زيت التربنتينا فى محافظ عشر نقط مرتين فى اليوم واستحمام والاقامة فى فيشى وفيتيل وكارلسباد الخ واستعمال اليوردينال والسليولوم والبيبرازين الخ واذا كانت الحصاة كبيرة لاتذوب تنزع من مكانها بالعملية الجراحية

(علاج المغص الكلوى) الادوية المسكنة لها فائدتان الاولى انها تضاد تشنج الحالب فيسهل نزول الحصاة والثانية انها تخفف الالم وافضل من هذه حقنة مورفين او الافيون على شكل جرع اوحبوب او استعمال الكلوروفورم اذا كان الالم لا يطاق واللبخ ومرهم ولصقة البلادونا اوحمام دفىء ويكتفى من الاكل والشرب بماء الشعير واللبن

اما اذا كانت الحصاة قلوية او من اوكسالات الجير فتستعمل لها الحوامض كحمض المرياتيك من ١٠ الى ٢٠ نقطة فى اليوم

الدكتور حسين الهراوى

﴿ الكمأة ﴾ هى نبات ينبت فى جوف الارض بدون ساق وبدون أوراق وبدون جذور ودوائرها البزرية محوية فى سمك منسوج لحمى تتركب منه وتلقح عند ائتلافه ليتولد نوعها

هذا النبات ينبت فى باطن الارض ولا يظهر على سطحها أصلا وشكله مستدير يكاد يكون منتظما سطحه املس أو درنى ولون باطنه اسمر او سنجابى واحيانا أبيض والاكثر ان يكون اللون مرمريا وهذا اللون يختلف باختلاف أنواعه

من أنواع الكمأة مايؤكل وهو الذى يسميه الايطاليون طرطوفو وهو يكون مستديراً بدون انتظام وأحيانا يكون قصبيا وحجمه يكون بقدر حجم البندقة ويزيد الى أن يبلغ حجم قبضة اليد ويوجد فى سطحه الخارج حبوب خشنة كالجلد المقطب وله رائحة خاصة قوية جدا مقبولة وتنتشر لمحل بعيد وله طعم خاص أيضا ولا يمكن مقابلته بطعم جسم آخر

ولما كانت الكمأة لاتنبت الا فى باطن الارض فيستدل عليه مجتنوها برائحتها وبالحشرات التى تطير فوقها . والغالب استخدام الخنازير والكلاب للاستعانة بها على العثور عليها لانها تستلذ أكلها وهى تنبت بطبعها وقد جربوا استنباتها بالصناعة فلم يتيسر ذلك

وقد غرى بأكل الكمأة ناس كثيرون فى أوروبا فادعوا انها خفيفة على المعدة سليمة العاقبة وزعم بعضهم انها ثقيلة على المعدة قاتلة

﴿ كم ﴾ اسم يأتى بمعنى كثير فتكون خبرية أو استفهامية بمعنى أى عدد . أما تمييز الخبرية فيجب خفضه نحو : (كم عبد عنده) أى كثير الا اذا فصل بينها وبين التمييز فيجب نصبه نحو (كم لنا كتبا)

أما الاستفهامية فيجب فى تمييزها النصب نحو : (كم كتابا ملكت؟)

﴿ الكُمَيت ﴾ من الخيل الذى خالط حمرته سواد غير خالص ويستوى فيه المذكر والمؤنث

﴿ الكُمَّثرى ﴾ فاكهة تسمى الاجاص واحدتها كُمَّثراة خشبها صلب لاتؤثر فيه الحشرات يستعمل بدل الأبنوس

الكمثرى من أقدم الفواكه المعروفة اصلها من الجهات المعتدلة بأوروبا وآسيا حيث هى هناك كنبات برى وقد أتقن زرع هذه الاشجار فى فرنسا وشمال ايطاليا وهى من

احسن الفواكه

لايمكن القول بنجاح زراعته فى مصر على ان فيها من أنواعه السكرى والبلدى والقللى والخشابى وجميعها خالية من الشوك تزهر فى مارس وابريل على حسب أنواعها وتنضج فاكهتها فى أشهر الصيف بعضها فى أوائله وبعضها فى أواخره وهذه الانواع المذكورة ثمارها غير جيدة فهى خشنة ليفية صلبة

تزرع الكمثرى فى ارض خصبة ويجب أن تصرف مياهها صرفا جيديا وكل أرض صفراء صرفة جيدة تكون موافقة لزرعها وخصوصا اذا كان فيها مقدار كاف من الجير

التوالد ــ اذا اعتبرنا توالد الكمثرى وجدنا ان هــذا النبات يمكن توالده على أشجار مختلفة فالغالب أن يستعمل إما الكمثرى وإما السفرجل فتزرع الكمثرى المقصود التطعيم عليها من البزرة وتطعم متى بلغت النمو الكافى بالنوع المراد تطعيمها به . أما السفرجل فاما أن يكون من الفروع التى تنمو فى أسفل الساق فى أشجار السفرجل أو من العقل ففى الحالة الأولى تنتج أشجار كبيرة قوية صلبة الا انها تظل مثمرة زمنا طويلا

وفى الحالة الاخيرة تكون جذور الاشجار الناشئة قليلة العمق وأقل قوة وعمرها اقصر الا انها تكون اسرع أثمارا والغالب أن يكون ذلك فى السنة الثالثة بعد التطعيم وثمرها أكبر وأجمل وأجود نوعا

فيجب تطعيم أشجار الكمثرى على السفرجل خصوصا اذا اريد اقتصاد الزمن

وطريقة التطعيم فى مصر هى طريقة الشق ويجب أن تعمل فى محلات التربيــة قرب آخر فبراير على سيقان عمرها عامان وهو يحصل إما من العقل أو من الجذيرات وأحيانا يكون التطعيم على فرع ناشىء من أصل شجرة قديمة ناجحة وفى مثل هذه الحالة يلزم انتخاب اقوى الفروع ومتى طعم تقطع باقى الفروع ويمكن ان تزرع الاشجار الصغيرة خارج محل التربية بعد التطعيم بعام فى شهر فبراير قبل بدء النمو الشديد وعلى ابعاد قدر كل منها خمسة امتار

يندر تقليل اشجار الكمثرى بمصر بل يكتفى بقطع الاخشاب الجافة القديمة من وقت لآخر

تنمو الكمثرى على افرع تتكون فى مدة سنتين او ثلاثة أو أكثر ولا يحسن ان يترك بالاشجار الصغيرة عدد كثير من الفروع

كلما تقدمت الشجرة فى السن كانت كثيرة الفروع ويمكن أن يزال بعضها من وقت لآخر كلما ظهر لزوم ذلك لتحسين حال الشجرة ويجب أن يكون هذا الخف بحكمة وان لا يزال فى فصل واحد الاجزء قليل .كما يجب فحص الاشجار سنويا وقطع الفروع التى لا تشتمل الا على قليل من الثمر فى أطرافها حتى يمكن أن ينمو فرع آخر عليه ثمر

يجب ان تجنى الكمثرى بمجرد فقدها لطعمها الخشبى وتحتوى على سكر كاف ولا بد من جنيها باليد باعتناء ولا يجوز ان تبقى على الشجرة الى أن تلين لان ذلك يفضى بها الى الجفاف ثم اللين ثم تصير كالدقيق وربما تعفن قلبها وقد يحصل الامران معا

والعلامة الجيدة لادراكها انك اذا ضغطت عليها بالابهام من طرفها لانت بسهولة

يرد الى مصر سنويا مقدار عظيم من الكمثرى من ايطاليا وآسيا الصغرى وبلاد اليونان وغيرها

(خواصها الطبية) الكمثرى من الفواكه النافعة المحتوية على كثير من المادة الفوسفورية فيجب اغتنام الأكل منها فى ابانها وفيها حوامض نافعة للمعدة ولاصلاح الدم وهى سهلة الهضم والخلاصة انها من الفواكه العظيمة القدر التى يجب ان يحرص على أكلها

وقد ذكرها أطباء العرب فقالوا انها تحبس البخار وتذهب الحرارة والعطش وتقوى المعدة وتهضم الطعام وتفرح القلب وتذهب الخفقان والنزلات

والحامض منها ان أكل على الطعام اسهل الصفراء والاقبض ويقوى الشهية ويصلح الكبد ومزاج الكلى . والحلو يذهب حرقة المثانة ويعدل الدم . وكل أنواعها يولد القولنج والسدد ويصلحه الشمار. والحامض يضر المشايخ والمبرودين ويصلحه الزنجبيل . وكله يصلح فى المحرورين بالسكنجبين (الليمونادة بالليمون أو الخل)

وورقها وزهرها يقطع الاسهال ويحدث تفريحا. وصمغها قوى الانضاج والتحليل . وحبها يسقط الديدان ويتعاطى منه الى مثقالين

﴿الكيلوس﴾ هو الطعام اذا انهضم فى المعدة

﴿كمِش﴾ يكمَش كَمَشا كان سريعا ماضيا . و (كمُش الرجل يكمُش كمَاشة) شجع واسرع . و(كمَش الحادى) أسرع فى السير . و(كمّش فلانا السيرُ) اسرعه و(تكمّش) أسرع و(الكَميش) السريع

﴿كمَل﴾ يكمُل وكمِل يكمَل وكمُل يكمُل كالاتم .و(كمّله وأكمله) أتمه . و(تكمّل الشيء وتكامل واكتمل) تم .و(الكمال) اسم مصدر و(تكمِلة الشيء) ما يتم به

﴿الكاملية﴾ فرقة من الفرق الاسلامية اصحاب كامل حكموا بكفر جميع الصحابة لتركهم مبايعة على عليه السلام بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام وطعنوا فى على أيضا بتركه حقه . قال زعيمهم كامل كان على علىّ أن يخرج ويظهر الحق

على انه غلا فى حقه . وكان يقول الامامة نور يتناسخ من شخص الى شخص وذلك النور فى شخص يكون نبوة وفى شخص يكون امامة وربما تتناسخ الامامة الى نبوة وقال بتناسخ الارواح بعد الموت

قال العلامة الشهرستانى فى كتاب الملل والنحل . والغلاة على أصنافها كلهم متفقون على التناسخ والحلول . ولقد كان التناسخ مقالة لفرقة فى كل أمة تلقوها من المجوس المزدكية والهند والبراهمة ومن الفلاسفة والصابئة ومذهبهم ان الله تعالى قائم بكل مكان ناطق بكل لسان ظاهر بشخص من أشخاص البشر وذلك معنى الحلول. وقد يكون الحلول بجزء وقد يكون بكل أما الحلول بجزء فهو كاشراق الشمس فى كوة أو كاشراقها على البلور .وأما الحلول بالكل فهو كظهور ملك بشخص أو كشيطان بحيوان ومراتب التناسخ اربعة النسخ والمسخ والفسخ والرسخ وسيأتى شرح ذلك عند ذكر فرقهم من المجوس على التفصيل . وأعلى المراتب مرتبة الملكية أو النبوة وأسفل المراتب الشيطانية والجنية

وهذا أبو كامل كان يقول بالتناسخ ظاهراً من غير تفصيل مذهبهم

﴿كمال الدين بن منعة﴾ هو ابو الفتح موسى بن أبى الفضل يونس بن محمد ابن منعة بن مالك بن محمد الملقب كمال الدين الفقيه الشافعى

تلقى الفقه على والده بالموصل ثم رحل الى بغداد سنة (٥٧١) هـ وأقام بالمدرسة

النظامية يأخذ عن السديد السلماني وكان المدرس بها يومئذ الشيخ رضى الشيرازى فقرأ الخلاف والاصول واخذ الادب عن الكمال ابى البركات عبد الرحمن بن محمد الانبارى وكان قرأ قبل ذلك على الشيخ ابى بكر يحيى بن سعدون القرطبى فتميز ومهر ثم أصعد الى الموصل وعكف علي الاشتغال ودرس بعد وفاة والده بموضعه بالمسجد المعروف بالامير زين الدين صاحب اربل ويعرف بالمدرسة الكمالية نسبة الى كمال الدين المذكور ولماذاع فضله قصده الفقهاء وتبحر فى جميع الفنون وجمع من العلوم مالم يجمعه احد وتفرد بعلم الرياضة . وكان الفقهاء يقولون انه يعرف أربعة وعشرين فنادراية تامة منها المذهب الذى فاق فيه جميع أهل عصره وكان جماعة من الحنفية يشتغلون عليه بمذهبهم ويحل لهم مسائل الجامع الكبير احسن حل مع ماهى عليه من الاشكالات . وكان يتقن فن الخلاف العراقى والبخارى وأصول الفقه وأصول الدين

ولما وصلت كتب فخر الدين الرازى الى الموصل وكان بها اذ ذاك جماعة من الفضلاء لم يفهم احد منهم اصطلاحه فيها سواه وكذلك الارشاد للعميدى لما وقف عليه حلها فى ليلة واحدة وقرأها على ماقالوه

وكان يدرى فى الفلسفة والمنطق والطبيعى والالهى والطب ويعرف فنون الرياضة عن اقليدس والهيئة والمخروطات والمتوسطات والمجسطى وأنواع الحساب المفتوح منه والجبر والمقابلة والارتماطيقى وطريق الخطابيين والموسيقى والمساحة معرفة لايشاركه فيها غيره الافى ظواهر هذه العلوم دون دقائقها وحقائقها واستخرج فى علم الاوفاق طرقا لم يهتد اليها أحد. وكان يبحث فى العربية والتصريف بحثا تاما حتى كان يقرأ كتاب سيبويه والايضاح والتكملة لابى علي الفارسى والمفصل للزمخشرى وكان له فى التفسير والحديث وما يتعلق به واسماء الرجال يد جيدة . وكان يحفظ من التاريخ وأيام العرب ووقائعهم والاشعار والمحاضرات شيأ كثيرا

وكان أهل الذمة يقرأون عليه التوراة والانجيل وشرح لهم هذين الكتابين شرحا يعتبرون انهم لايجدون من يوضحه لهم مثله

وكان فى كل فن من الفنون كأنه لا يعرف سواه لقوته فيه وبالجملة فان مجموع ما كان يعلمه من الفنون لم يسمع أحد ممن تقدمه انه قد جمعه

قال القاضى بن خلكان الذى ننقل عنه هذه الترجمة :

« ولقد جاءنا الشيخ اثير الدين المفضل الابهرى صاحب التعليقة فى الخلاف والزيج والتصانيف المشهورة من الموصل الى اربل فى سنة «٦٥٥» ونزل بدار الحديث وكنت اشتغل عليه بشىء من الخلاف فبينما انا يوما عنده دخل عليه بعض فقهاء بغداد وكان فاضلا فتجاريا فى الحديث زمانا وجرى ذكر الشيخ كمال الدين فى اثناء الحديث فقال له الاثير لما حج الشيخ كمال الدين ودخل بغداد كنت هناك ؟ فقال نعم : فقال كيف كان اقبال الديوان العزيز ؟ فقال له ذلك الفقيه ما انصفوه على قدر استحقاقه . فقال الاثير ماهذا الاعجب ، والله مادخل بغداد مثل الشيخ . فاستعظمت منه هذا الكلام وقلت له ياسيدنا كيف تقول كذا ؟ فقال ياولدى مادخل بغداد مثل ابى حامد الغزالى ووالله ما بينه وبين الشيخ نسبة .

قال ابن خلكان : وكان الاثير على جلالة قدره فى العلوم يأخذ الكتاب ويجلس بين يديه ويقرأ عليه والناس يوم ذاك يشتغلون فى تصانيف الاثير . ولقد شاهدت هذا بعينى وهو يقرأ عليه كتاب المجسطى

ثم قال : ولقد حكى بعض الفقهاء انه سأل الشيخ كمال الدين عن الاثير ومنزلته فى العلوم فقال ما اعلم . فقال وكيف هذا يا مولانا وهو فى خدمتك منذ سنين عديدة ويشتغل عليك : فقال لأننى مهما قلت له تلقاه بالقبول ، وقال نعم يامولاى ، وما حادثنى فى بحث قط حتى أعلم حقيقة فضله ولاشك انه كان يعتمد هذا القدر مع الشيخ تأدبا وكان معيدا عنده بالمدرسة البدرية وكان يقول ماتركت بلادى وقصدت الموصل الا لاشتغال على الشيخ

قال القاضى ابن خلكان . ومن يقف على هذه الترجمة فقد ينسبنى الى المغالاة فى حق الشيخ ومن كان من أهل تلك البلاد وعرف ما كان عليه الشيخ يعلم انما اعرفه وصفا ونعوذ بالله من الغلو والتساهل فى النقل

ولقد ذكره ابو البركات المبارك بن المستوفى فقال هو عالم مقدم ضرب فى كل

علم وهو فى علم الأوائل كالهندسة والمنطق وغيرها ممن يشار اليه . حل أقليدس والمجسطى على الشيخ شرف الدين المظفر ابن محمد بن المظفر الطوسى القارى يعنى صاحب الاصطرلاب الخطي المعروف بالعصائم

قال ابن المستوفى وردت عليه مسائل من بغداد فى مشكلات هذا العلم فحلها واستصغرها ونبه على براهينها بعد أن احتقرها . وهو فى الفقه والعلوم الاسلامية نسيج وحده . درس فى عدة مدارس بالموصل وتخرج عليه خلق كثير فى كل فن ثم قال : أنشدنى لنفسه وأنفذها الى صاحب الموصل يشفع عنده :

لئن شرفت أرض بمالك رقها
فمملكة الدنيا بكم تتشرف
بقيت بقاء الدهر أمرك نافذ
وسعيك مشكور وحكمك منصف
ومكنت فى حفظ البسيطة مثل ما
تمكن فى أمصار فرعون يوسف

قال ابن خلكان . ولقد أنشدنى هذه الابيات عند أحد أصحابنا بمدينة حلب وكنت بدمشق سنة ٦٣٣ وبها رجل فاضل فى علوم الرياضة فاشكل عليه مواضع فى مسائل الحساب والجبر والمقابلة والمساحة واقليدس فكتب جميعها فى درج وسيرها الى الموصل ثم بعد أشهر عاد جوابه وقد كشف عن خفيها وأوضح غامضها وذكر مايعجز الانسان عن وصفه ثم كتب فى آخر الجواب :

«فليمهد العذر فى التقصير فى الاجوبة فان القريحة جامدة والفطنة خامدة ، قد أستولى عليها كثرة النسيان ، وشغلتها حوادث الزمان ، وكثير مما استخرجناه وعرفناه نسيناه ، بحيث صرنا كأنا ما عرفناه »

قال القاضى بن خلكان : وقال لى صاحب المسائل المذكورة ماسمعت هذا الكلام الا للاوائل المتقنين لهذه العلوم ، ماهذا من كلام أبناء زماننا

ظل كمال الدين بن منعة مواظباً على القاء الدروس والافادة وحضر فى بعض الايام دروسه جماعة من المدرسين من أرباب الطيالس وكان العماد أبو على عمر بن عبد النور بن مأجوج بن يوسف الصنهاجى اللزنى النحوى البجائى حاضرا فأنشد على البديهة قوله :

كمال كمال الدين للعلم والعلى
فهيهات ساعٍ فى مساعيك يطمع
اذا اجتمع النظار فى كل موطن
فغاية كل ان تقول ويسمعوا
فلا تحسبوهم من عناد تطيلسوا
ولكن حياء واعترافا تقنعوا
وللعماد المذكور فيه أيضاً :
تجر الموصل الاذيال فخرا
على كل المنازل والرسوم
بدجلة والكمال هما شفاء
لهيم أو لذى فهم سقيم
فذا بحر تدفق وهو عذب
واذا بحر ولكن من علوم
قال ابن خلكان : وكان الشيخ سامحه الله يتهم فى دينه لكون العلوم العقلية غالبة عليه . وكانت تعتريه غفلة فى بعض الاحيان لاستيلاء الفكرة عليه بسبب هذه العلوم فعمل فيه العماد المذكور :
أجدك قد جاد بعد التعبس
غزال بوصل لى وأصبح مؤنسى
وعاطيته صهباء من فيه مزجها
كرقة شعرى أو كدين بن يونس
ولد سنة (٥٥١) بالموصل وتوفى بها سنة (٦٣٩) ه

كمال الدين بن النبيه هو على ابن محمد بن الحسن بن يوسف بن يحيى الشاعر البارع المصرى

مدح بنى أيوب واتصل بالملك الاشرف موسى وكتب الانشاء وسكن بنصيبين وتوفى بها سنة (٦١٩)

من شعره قوله متغزلا :
بدر تم له من الشعر هالة
من رآه من المحبين هاله
قصر الليل حين زار ولا غر
وغزال غارت عليه الغزالة
يانسيم الصبا عساك تحمل
ت لنا من أهيل نجد رسالة
كل معسولة المراشف بيضا
ء حمتها سمر القنا العسالة
عانقتنى كصارمى وأدارت
معصميها فى عاتقى كالحمالة
ان بالرقتين ملعب لهو
بسطت دوحه علينا ظلاله
معلم معلم وشى بسطه الزه
ر وحاكته ديمة هطالة
وكأن الحمام فيه قيان
عربت لحنها على غير آلة

وكأن القضيب شمر للرقـ
ص سحيرا عن ساقه اذياله
ان حوض الظلماء أطيب عندى
من مطايا أمست تشكى كلالة
فهى مثل القسى شكى ولكن
هى فى السبق أسهم لا محالة
تركتها الحداة فى الخفض والرفـ
ع حروفا فى جرها عمالة

ومن شعره أيضا :

رناوانثنى كالسيف والصعدة السمرا
فما أكثر القتلى وما أرخص الاسرى
خذوا حذراً من خارجى عذاره
فقد جاء زحفا فى كتيبته الخضرا
غلام أراد الله اطفاء فتنة
بعارضه فاستأنفت فتنة أخرى
فزرفن بالاصداغ جنة خده
وأرخي عليها من ذوائبه سترا
أخوض عباب الموت من دون ثغره
كذلك يخوض البحر من طلب الدرا
غزال رخيم الدل فى يوم سلمه
ولكن له فى حربه البطشة الكبرى
درى بحمل الكأس فى يوم لذة
ولكن بحمل السيف يوم الوغى أدرى

أهيم به فى عقده ونجاده
قلائد منه فى السرائر والضرا
وظامية الخلخال اما وشاحها
فهذا قد استغنى وذاك اشتكى فقرا
لها معصم لولا السوار يصده
اذا حصرت أكامها لجرى نهرا
دعتنى الى السلوان عنه بحبها
فما كنت أرضى بعد أيمانى الكفرا
بأى اعتذار التقى حسن وجهه
اذا شغلتنى عنه غانية عذرا

وقال أيضا :

باكر صبوحك اهنى العيش باكره
فقد ترنم فوق الايك طائره
والليل تجرى الدرارى فى مجرته
كالروض تطفو على نهر أزاهره
وكوكب الصبح نجاب على يده
مخلق تملأ الدنيا بشائره
فانهض الى ذوب ياقوت لها حبب
ينوب عن ثغر من تهوى جواهره
حمراء فى وجنة الساقى لها شبه
فهل جناها مع العنقود عاصره
ساق تكون من صبح ومن غسق
فأبيض خداه واسودت غدائره

مفلج الثغر معسول اللمى غنج
مؤنث الجفن فحل اللحظ شاطره
مهفهف القد يبدى جسمه ترفا
مخصر الخصر عبل الردف وافره
بيض سوالفه لعس مراشفه
نعس نواظره خرس أساوره
تعلمت بانة الوادى شمائله
وزورت حسن عينيه جآذره
كأنه بسواد الصدغ مكتحل
وركبت فوق خديه محاجره
نبى حسن أظلته ذوائبه
وقام من فترة الاجفان ناطره
فلو رأت مقلتا هاروت آيته الـ
كبرى لآمن بعد الكفر ساحره
قامت أدلة صدغيه لعاشقه
على عرول أتى فيه يناظره
خذ من زمانك ما اعطاك مغتنما
وانت ناه لهـذا الدهر آمره
فالعمر كالكأس تستحلى أوائله
لـكنه ربما مرت اواخره

وقال ايضا :

طاب الصبوح لنا فهاك وهات
واشرب هنيئا يا اخا اللذات
كم ذا التوانى والشباب مطاوع
والدهر سمح والحبيب موات
قم فاصطبح من شمس كأسك واغتبق
بكواكب طلعت من الكاسات
صفراء ضافية توقد بردها
فعجبت للنيران فى الجنات
ويسيل من قار الظروف حبابها
فالدر مجتلب من الظلمات
عذراء واقعها المزاج أما ترى
منديل عذرتها بكف سقاة
يسعى بها عبل الروادف أهيف
خنث الشمائل شاطر الحركات
يهوى فتسبقه أساود شعره
ملتفة كأساود الحيات
يدرى المنازل نيرات كؤوسه
ما بين منصرف وآخر آت

وقال أيضاً :

يزيد جمال وجهك كل يوم
ولى جسد يذوب ويضمحل
وما عرف السقام طريق جسمى
ولكن دل من أهوى يدل
يميل بطرفه التركى عنى
صدقتم ان ضيق العين بخل

اذا نشرت ذوائبه عليه
ترى ماء يرف عليه ظل
ومن شعره أيضا :
صن ناظرا مترقبا لك ان يرى
فلقد كفى من دمعه ما قدجرى
يامن حكى فى الحسن صورة يوسف
آهالو انك مثل يوسف تشترى
تعشوا العيون لخده فيردها
ويقول ليست هذه نار القرى
يا قاتل الله الجمال فانه
ما زال يصحب باخلا متجبرا
يا غصن بان فى نقا رمل لقد
ابدعته اذ اثمرت بدرا يرى
ما ضر طيفك ان أكون مكانه
فقد اشتهينا فى السهاد فما ترى
اترى لأيامى بوصلك عودة
لو انها فى بعض احلام الكرى
زمنا شربت زلال وجهك صافيا
وجنيت روض رضاك أسمر مثمرا

﴿الكمال بن العديم﴾ هو عمر بن احمد بن هبة الله بن أبى جرادة الصاحب رئيس الشام كمال الدين العقيلى الحلبى المعروف بابن العديم

سمع الحديث من أبيه وعمه أبى غانم وابن طبرزد والافتخار والكندى والخرستانى وسمع جماعة كثيرة بدمشق وحلب والقدس والحجاز والعراق وكان محدثا فاضلا حافظا مؤرخا صادقا فقيها مفتيا منشئا بليغا درس وافتى وصنف وترسل عن الملوك . وكان رأسا فى الخط المنسوب لا سيما النسخ والحواشى

أطنب الحافظ شرف الدين الدمياطى فى وصفه فقال : ولى قضاء حلب خمسة من آبائه متتالية وله الخط البديع ، والخط الرفيع، والتصانيف الرائقة منها تاريخ حلب وأدركته المنية قبل اكمال تبييضه روى عنه الدرارى وغيره ودفن بسفح المقطم فى القاهرة

له من المصنفات كتاب الدرارى فى ذكر الدرارى صنفه للملك الظاهر غازى وقدمه له يوم ولد ولده الملك العزيز وكتاب الاخبار المستفادة فى ذكر بنى جرادة . وكتاب فى الخط وعلومه وآدابه ووصف ضروبه وأقلامه . وكتاب رفع الظلم والتجرى عن أبى العلاء المعرى وكتاب تدبير حرارة الاكباد فى الصبر على فقد الاولاد . وكان اذا سافر الى مصر يركب فى محفة تحمله بين بغلين . وكان اذا قدم

مصر لازمه ابو الحسين الجزار فقال بعض أهل عصره فى ذلك :

يا ابن العديم عدمت كل فضيلة
وغدوت تحمل راية الادبار
ما ان رأيت ولا سمعت بمثلها
تيس يلذ بصحبة الجزار

من شعر الصاحب كمال الدين بن العديم :

وأهيف معسول المراشف خاله
وفى وجنتيه المدامة عاصر
تسيل الى فيه لذيذ مدامة
رحيقا وقد مرت عليه الاعاصر
فيسكر منه عند ذاك قوامه
فيهتز تيها والعيون فواتر
كأن أمير النوم يهوى جفونه
اذا هم رفعا خالفته المحاجر
خلوت به من بعد ما نام أهله
وقد غابت الجوزاء والليل ساتر
فوسدته كفى وبات معانقى
الى أن بدا ضوء من الصبح سافر
فقام يجر البرد منه على تقا
وقمت ولم تحلل لاثم مآزر

وقال وكتب بها الى نور الدين ابن سعيد :

يا أحسن الناس نظما غير مفتقر
الى شهادة مثلى مع توحده
ان كان حظى كما خط كتبت به
الى حسنا بدا فى لون اسوده
فقد أتت منك ابيات تعلمنى
نظم القريض الذى يحلو لمنشده
ارسلتها تقتضينى ما وعدت به
والحر حاشاه من اخلاف موعده
وما نسيت ولكن عاقنى ورق
يجيد خطى فآتيه بأجوده
وسوف اسرع فيه الآن مجتهداً
حتى يوافيك بدرا فى مجلده
بأحرف حسنت كالوجه دار به
مثل الحواشى عذار فى مورده

وكتب الى والده قاضى القضاة مجد الدين :

هذا كتاب الى من غاب عن نظرى
وشخصه فى سويدا القلب والبصر
ولا يمن بطيف منه يطرقنى
عند المنام ويأتينى على حذر
ولا كتاب له يأتى فأسمع من
انبائه عنه فيه اطيب الخبر
حتى الشمال التى تسرى على حلب
ضنت على فلم تخطر ولم تسر

أخصه بتحياتى وأخبره

انى سئمت من الترحال والسفر

أبيت أرعى نجوم الليل مكتئبا

مفكرا فى الذى القى الى السحر

وليس لى أرب فى غير رؤيته

وذاك عندى أقصى السؤل والوطر

ولدسنة (٥٨٦) وتوفى سنة (٦٦٦) ﻫ

الكمال بن الزملكانى هو محمد ابن على بن عبد الواحد الشيخ العلامة قاضى القضاة كمال الدين بن الزملكانى الانصارى السماكى الدمشقى كبير الشافعية فى عصره

سمع من ابن علان والفخر على وابن الواسطى وابن القواس وكان فصيحا بصيرا بالمذهب والاصول وأتقن العربية . تفقه على الشيخ تاج الدين وأفتى وعمره لم يبلغ الثلاثين. وكان يضرب بذكائه المثل وكان جميل الهيئة حسن البزة له شيبة موقرة، وكان مع ذلك كريم النفس عالى الهمة . وله الانشاء الجيد والتواقيع المعجبة. درس بالشامية البرانية والظاهرية والرواحية وولى نظر ديوان الافرم والخزانة ووكالة بيت المال وكتب فى ديوان الانشاء ثم نقل الى قضاء القضاة بحلب ومدارسها فأقام بها أكثر من سنتين . ثم طلبه السلطان من حلب ليوليه قضاء دمشق لما نقل قاضى القضاة القزويني الى مصر، فمات فى طريقه اليها

حكى ولده تقى الدين ان والده كمال الدين قال عند نقله من حلب الى دمشق ياولدى أنا والله ميت ولا أتولى لا مصر ولا غيرها وما بقى بعد حلب ولاية أخرى لانه فى الوقت الفلانى حضر الى دمشق فلان الصالح فترددت اليه وخدمته وطلبت منه التسليك فأمرنى بالصوم مدة ثم أمرنى بصيام ثلاثة أيام أفطر فيها على الماء واللبان الذكر وكان فى آخر ليله الثلاثاء ليلة نصف شعبان . فقال لى ليلة تجىء الى الجامع تتفرج أو تخلو بنفسك؟ فقلت أخلو بنفسى. فقال جيد ، ولاتزال تصلى حتى أجىء اليك . فخلوت بنفسى أصلى ساعة جيدة فلما كنت فى الصلاة اذا به قد أقبل فلم أبطل الصلاة واذا قد خيل لى قبة عظيمة بين السماء الارض وظاهرها معارج ومراق والناس يصعدون فيها من الارض الى السماء فصعدت معهم فكنت أرى على كل مرقاة مكتوبا نظر الخزانة وعلى أخرى وأخرى وأخرى وكالة

بيت المال ، التوقيع ، المدرسة الفلانية ، قضاء حلب ، فلما وصلت الى هذه المرقاة أشفقت من تلك الحالة ورجعت الى حسى وبت ليلتى فلما اجتمعت بالشيخ قال لى كيف كانت ليلتك ، وجئت اليك وما قصرت لانك اشتغلت بى والقبة التى رأيتها هى الدنيا والمراقى هى المراتب والوظائف والارزاق وهذا الذى رأيته كله تناله . والله ياعبد الرحمن وكل شىء رأيته نلته وكان آخر الكل قضاء حلب وقدقرب الاجل

كان الشيخ كمال الدين كثير التحيل شديد الاحتراس يتوهم أشياء بعيدة ويبنى عليها وتعب من ذلك وعودى

من شعره قصيدة قالها فى الكعبة :

أهواك يا ربة الاستار أهواك
وان تباعد من مغناى مغناك
وأعمل العيس والاشواق ترشدنى
عسى يشاهد معناك مُعنّاك
تهوى بها البيد لاتخشى الضلال وقد
هدت ببرق الثنايا الغر مضناك
تشوقها نسمات الصبح سارية
تسوقها نحو رؤياك برياك
يا ربة الحرم العالى الامين لمن
وافاك من أين هذا الامن لولاك
ان شبهوا الخال بالمسك الذكى فم
ذا الخال من دونه المحكى والحاكى
أفدى بأسود قلبى نور أسوده
من لى بتقبيله من بعد يمناك

وهى على هذا النسق . ومن شعره أيضاً :

ياسائق الظعن قف بى هذه الكثب
عساى أقضو بها ماللهوى يجب
فثم حى حياتى فى خيامهم
فالموت ان بعدوا والعيش ان قربوا
لى فيهم قمر فى القلب منزله
لكن طرفى له بالبعد يرتقب
لدن القوام رشيق القد ذو هيف
تغار من لينه الاغصان والقضب
حلو المقبل معسول مراشفه
يجول فيه رضاب طعمه الضرب
لاغرو ان لاح نشوان ففى فمه
خمر ودر ثناياه لها حبب
ولائم لامعنى فى البعد عنه وفى
قلبى من الشوق نيران لها لهب
فقلت ان صروف الدهر تصرفنى
عما أروم فمالى فى النوى سبب
ومذ رمانى زمانى فى البعاد ولم
يرحم خضوعى ولما يبق لى نشب

ولد سنة (٦٦٧) وتوفى سنة (٧٢٧)
لما توفى رثاه جمال الدين بن نباتة
الشاعر المشهور بقوله :

بلغنا القاصدين ان الليالى
قبضت جملة العلى بالكمال
وقفا فى مدارس العقل والنق
ل ونوحا معى على الاطلال
سائلا عسى ان يجيب صداها
أين ولى مجيب أهل السؤال
أين ولى بحر العلوم وأبقى
بين أجفاننا الدموع لآلى
أين ذاك الذهن الذى قد ورثنا
عنه مافى الحشا من الاشتعال
أين تلك الافلاك يوم انتصار
لعوالى الرماح يوم النزال
ننقل الناس من حديث هداها
طرق العلم عن متون العوالى
ومفيد الحيا من اللفظ حلواً
حيث كانت نوعا من العسال

﴿ كليوبترة ﴾ هى ملكة مصر بنت بطليموس الثانى عشر من دولة البطالسة اليونانية التى حكمت مصر بعد الاسكندر الاكبر

لما حضرت أباها الوفاة كان ابنه بطليموس الثالث عشر قاصرا وكانت أختـه كليوبترة تبلغ من العمر ١٧ عاما فعهد أبوها باشراكها مع أخيها فى الحكم فلما مات أبوها تولت هى وأخوها الملك فأقيم عليها ثلاثة أوصياء كانوا يمقتونها لموالاتها للرومانيين

ولما وقع العداء بين يوليوس قيصر وبومبيوس وكانت مقاليـد الرومانيين بأيديهما استنجد بها بومبيوس على خصمه فأنجدته بستين سفينة فنقم عليها الناس ذلك ففرت الى سورية ولم تند نجدتها بومبيوس فانه فر الى مصر ملتجئا بعد مادحره خصمـه يوليوس قيصر فقبض عليه بطليموس الثانى عشر وكان قد بلغ أشده وأمر بقتله فغاظ ذلك خصمه يوليوس وحنق على بطليموس ورد كليوبترة الى مصر لتحكمها مع أخيها

وكان المصريون ناقمين على الاسرة المالـكة لتسامحها فى تدخـل الرومان فى شؤن البلاد وأغروا رئيس الجيش المصرى على محاربة يوليرس قيصر بالاسكندرية فحاربه وكاد يلقيه هو وجنوده الى البحر لولا أن أنجده متريدات من سوريا بجيش فتمكن من خصومـه وغرق بطليموس

الثانى عشر بالبحر فطلب المصريون الصلح فصالحهم وأقام عليهم بطليموس الثالث عشر ملكا مع كليوبترة وذلك سنة ٤٧ قبل الميلاد

فتزوج بطليموس الثالث عشر كليوبترة وكانت أخته فصارت صاحبة النفوذ المطلق فى مصر وذهبت مع زوجها الى رومية لتوثيق عرى المودة بينها وبين يوليوس قيصر . فلما قتل يوليوس قيصر بقيت كليوبترة عادمة النصير ولا سيما بعد أن مات زوجها . قيل انها سمته لتولية ابنها الصغير بطليموس الرابع عشر وهو على دعوى المؤرخين ابن يوليوس قيصر

فى مدة حكم بطليموس الرابع عشر كان مرقس انطونيوس الذى كان يقود جيوش بطليموس الثانى عشر رئيسا لمجلس رومية مع شريكه اوكتاف وكان قد علق بهوى كليوبترة فأهمل وظيفته وأقام معها بمصر ولما هدده مجلس رومية بخلعه من منصب الرئاسة خرج من مصر مكرها فتوجه الى ايطاليا ومنها الى سورية لغزو الفرس . فطلبت اليه كليوبترة جزيرة قبرس وبلاد العرب فعرج على الاسكندرية لاجابة طلبات عشيقته وأعطى لقب ملك لولديه منها فعزله مجلس رومية وشهر الحرب عليه بمصر فتأهبت كليوبترة للدفاع عنه وحدثت موقعة بحرية بين الامتين فى مدينة اكثيوم التى هى الآن ازيو على ساحل المورة من بلاد اليونان وكان ذلك فى سنة ٣١ قبل الميلاد فدارت الدائرة على كليوبترة فهربت على احدى السفن ولا يعلم ان كانت هربت لفزعها من الحرب أو لاتفاق وقع بينها وبين اوكتاف رئيس الجمهورية الرومانية وولى عشيقها انطونيوس وراءها الا أن أوكتاف اقتفى أثرها فسلمته كليوبترة مدينة الفرما التى هى مفتاح مصر أرادت بهذه الخيانة أن تقربه منها وتقضى على عشيقها انطونيوس فلما وصل انطونيوس هذا الى الاسكندرية قابلته كليوبترة بفتور وأشارت الى جيشها فانحاز عنه وانضم الى أوكتاف . ثم عادت فندمت على هذه الخيانة فتوارت فى المدفن الذى أعدته لنفسها وأشاعت انها قتلت نفسها فلما علم عشيقها بذلك طعن نفسه بخنجر ثم علم وهو يجود بنفسه انها لم تمت فأمر أن يجمعوه بها فأخذت الخنجر وتظاهرت بقتل نفسها لتفتن اوكتاف كما فتنت عمه يوليوس قيصر فلم تفلح ولما شعرت بأنها مأسورة

لامحالة قتلت نفسها ، وقيل انها عمدت الى ثعبان فمكنته من عضها في ثديها فماتت اما أوكتاف فقتل ابنها بطليموس الرابع عشر وعمل لكليوبترة تمثالا جعل بجانبه ثعبانا يلسعها . وبموتها انقرضت أسرة البطالسة وكان ذلك سنة ٣٠ قبل الميلاد وأصبحت مصر ولاية تابعة لرومية

﴿كمّ﴾ الشيء يكمه كماغطاه.و (كمّمت النخلة) أخرجت أكمامها . و (تكمّم الرجل بثيابه) تغطى بها و (الكِمام) ما يكم به فم البعير ومثله الكِمامة.و(الكَمّ) عند الفلاسفة عرض يقبل القسمة و(الكُمّ) من الثوب معروف . و(الكِم) وعاء الطلع وغطاء النَّور والغلاف الذي ينشق من الثمر و (الكَمّية) المقدار

﴿كمَن﴾ الرجل يكمُن وكمِن يكمَن كمُونا اختفى.و(أكمنه) أخفاه. و(اكتمن) اختفى.و(المكمَن) الموضع الذي يكمن فيه

﴿الكمّون﴾ هو نبات سنوى ساقه متفرعة اثنين اثنين تقريبا وتعلو عن الارض قدما فأكثر أوراقها خالية من الزغب وأزهارها مهيئة بهيئة خيمات مركبة من أشعة يسيرة والثمار بيضية مستطيلة منضغطة وعلى كل وجه من وجهيها خمسة حزوز واضحة بالطول وتجتمع كلها في نقطة عامة وذلك ما يميزها عن غيره

أصل الكمون مصر وبلاد الحبش والنوبة وآسيا الصغرى واستنبت في جزائر اليونان ومالطة وسيسليا وغيرها

بزور الكمون شقراء مصمرة ورائحتها عطرية قوية متعبة وطعمها حريف حار مع بعض مرار

(خواصها الكيماوية) يخرج منها بالتقطير بالماء دهن طيار كثير أصفر أو مخضر لذاع رائحته كرائحة البزر فاذا عتق جداً صار حمضيا يحتوى على حمض السكستيك

(استعمال الكمون) يستعمله النمساويون في الفطير والخبز والجبن ليعطيها طعما . ويستعمل في الطب كاستعمال الانيسون والرازيانج فيكون منبها عطريا حاراً يعطى مقويا للمعدة ومدراً للطمث والبول ومحللا للقولنجات بل اعتبره الطبيب كولان أقوى طارد للرياح.واعتبره غيره معرقا في درجة عالية

ويكثر بيطارة اوروبا من استعماله للحيوانات

ويستعمل منقوعه من الباطن فى الامراض المذكورة وهو يعتبر أحد البزور الاربعة الحارة ويوضع من الظاهر أكياسا على الاحتقانات الباردة فى الثديين والخصيتين والخنازير ويزرق منقوعه فى القناة السمعية لثقل السمع ويدخل فى تركيب لازوق الكمون

والعرب فى بلاد الجزائر يطلقون اسم الكمون على نوع منه ينبت باسبانيا ويعتبرونه طارداً للرياح

أما أطباء العرب القدماء فنوعوا الكمون الى انواع كرمانى وهو أسود اللون أو أجود وفارسى اصفر اللون وشامى قريب الاحوال من الفارسى ومنه نبطى وهو أبيض وهو أكمل فعلا وأشد تأثيراً

وقال البرى من بين الجميع أشد حرافة من البستانى وصنف من البرى يشبه بزره بزر السوسن . وقال أقوى الانواع الكرمانى ثم الفارسى

ومن البرى صنف أسود يشبه الشونيز قوى الكيفية.وأنواع الكمون حارة ويابسة كل منها مسخن مجفف فيه قبض

ونقل عن جالينوس ان أكثر ما يستعمل من هذا النبات بزره كما يستعمل الانيسون وبزر الكاشم الرومى وبزر الكرفس الجبلى . وقوة الكمون حارة كقوة كل واحد من هذه البرور وشأنه ادرار البول وطرد الرياح واذهاب النفخ

ونقل عن ديسقوريدس انه اذا طبخ بالزيت واحتقن به أو تضمد به مع دقيق الشعير وافق المغص والنفخ وقد يسقى بخل ممزوج بالماء لعسر النفس الذى يحتاج معه الى الانتصاب ويسقى بالشراب لنهش الهوام وينفع من ورم الانثيين اذا خلط بالزيت ودقيق الباقلا أو بقيروطى ووضع عليهما . وقد يقطع السيلان المزمن ويقطع الرعاف اذاقرب من الانف وهو مسحوق وقد خلط بخل

وقال يونس الكمون الكرمانى يعقل البطن والنبطى يسهله

وقال ابن ماسويه ان قلى الكمون ونقع فى الخل عقل الطبيعة المنطلقة من الرطوبة وهو نافع من الريح الغليظة مجفف للمعدة صالح للكبد . واذا احتملته المرأة مع زيت عتيق قطع كثرة الحيض وهو غاية للمبرودين والمشايخ والمبلغمين.واذا وضع مع الافاويه فى الطبيخ لطف اللحوم الغليظة تلطيفا قويا وقوى هضمها وأطلق

البطن وأدر البول وحلل النفخ وخصوصاً اذا جمع مع الحمض والشبث والدار صيني وان مزج بالسعتر وتغرغر به سكن أوجاع الاسنان والنزلات

ومن الغريب قولهم ان المولود اذا دهن بمطبوخه لم يتولد عليه القمل . وقد تواتر انه ينمو اذا مشت فيه النساء ، وانه يروى اذا وُعد بالماء . وهذا وهم ظاهر

وقال ديسقوريدس ان الكمون البرى ينبت بأماكن عينها من بلاد اليونان وقال هو . نبات له ساق طولها نحو شبر دقيقة عليها ٤ وريقات أو ٥ دقاق مشققة كورق الشاهترج وعلى طرفها رؤس صغار ٥ أو ٦ مستديرة ناعمة فيها ثمار وفى الثمرة شيء كالتبن والنخالة محيط بالبزور أشد حرافة من الكمون البستانى ويشرب بزره للمغص والنفخ واذا شرب بالخل سكن الفواق واذا شرب بالشراب وافق ضرر ذوات السموم من الهوام

وقال ديسقوريدس أيضاً هنالك نوع من الكمون الذى ليس ببستانى شبيه بالبستانى يخرج منه غلف صغار شبيهة بالقرون فيها بزر شبيه بالشونيز اذا شرب بزره كان نافعا من نهش الهوام وقد ينتفع به من ٠مه تقطير فى البول والحصر والذى يبول دما منعقداً وينبغى أن يشرب بعد ماء الكرفس البستانى

(المقدار وكيفية الاستعمال) يستعمل من الباطن منقوعه المصنوع بمقدار منه من ١٠ الى ٢٠ لاجل كيلوغرام من الماء . وماؤه المقطر يصنع بجزءين منه على ١٥ من الماء والاستعمال من ٥٠ غراما الى ١٠٠ فى جرعة . والصبغة الاتيرية تصنع بجزء منه و ٨ من الاتير الكبريتى والاستعمال من ٥٠ سنتى غرام الى غرام واحد فى جرعة أو جلاب ودهنه الطيار يستعمل بمقدار من ١٠ سنتى غرام الى ٣٠ فى جرعة أو جلاب ومسحوقه من غرام الى خمسة غرامات بلوعا . ويستعمل من الظاهر دهنه الطيار بمقدار كاف مروخا على الخثلة فى الهستريا مثلا

﴿كَمِهَ﴾ يكمه كمها عمى وصار أعشى وزال عقله فهو (أكمه) و(الكَمَه) العمى

﴿الكَمِىّ﴾ الشجاع

﴿كَنَدَ﴾ الشيء يكنُده كندا قطعه و (كَنَد النعمة) كُنوداً كفرها . و (الكُنُد) كافر النعمة . و (كِنْدة)

أبو حى من اليمن (انظر عرب) . و (الكنود) الكفور للنعمة

كندا هى مملكة فى شمال أمريكا شاسعة الاكناف تابعة لانجلترة وهى شاغلة لجميع شمال أمريكا . مساحتها (٩٠٠٠٠٠٠) كيلو متر مربع وأهلها خليط من فرنسيين وانجليز وارلنديين والمانيين أما اهل البلاد الاصليون فهم ذوو اللون الاحمر وعددهم لا يربو عن (١٠٠٠٠٠) نسمة. وأما القوم المسمون بالاسكيمو فيسكنون الاقاليم الشمالية ومعيشتهم من الصيد ولغة كندا هى الفرنسية والانجليزية وديانتهم الكثلكة والبروتستانتية والكنديون متمدنون مرتقون فى العلوم والصنائع ومن أهل البلاد من تمدن بتمدنهم ومنهم من بقى على وحشيته وسكن مع الاسكيمو فى شمال البلاد

حكومة كندا جمهورية مكونة من سبع جمهوريات مستقلة فى ادارتها الداخلية ومتحدة فى الادارة العامة وتدبير شؤنها جميعها حكومة تحت رئاسة حاكم عام انجليزى ومعه مجلس شورى تنتخبه الجمهوريات بنسبة عدد سكانها

عدد سكان كندا نحو (٨٠٠٠٠٠٠) نسمة وجيشها فى زمن السلم (٦٠٠٠٠) ويمكن ابلاغه وقت السلم الى نحو (٨٠٠٠٠٠) جندى ايراداتها تبلغ نحو عشرة ملايين من الجنيهات ومصروفاتها أقل من ذلك وديونها تبلغ نحو ٦٠ مليون جنيه

(تاريخها) كانت كندا من أملاك فرنسا فتنازلت لانجلترة عنها سنة (١٧٨٣) وفى سنة (١٧٨٣) أنشئت شركة الاراضى الشمالية الغربية ثم اختلطت هذه الشركة بشركة خليج هردسون. ثم انضمت اليها أراضى اخرى من تلك الجهة فاتسعت حتى بلغت الى حالتها الحاضرة . وقد زاد أهلها بالمهاجرة زيادة مطردة يتبينها القارىء من الجدول الآتى . فقد كان أهلها :

سنة	١٨٢٥	ـ ٥٨١٩٢٠
وسنة	١٨٥١	ـ ١٨٤٢٢٦٥
وسنة	١٨٦١	ـ ٢٠٩٠٥٦١
وسنة	١٨٧١	ـ ٣٦٣٥٠٢٤
وسنة	١٨٨١	ـ ٤٣٢٤٨١٠
وسنة	١٨٩١	ـ ٤٨٣٣٢٣٩
وسنة	١٩٠١	ـ ٥٣٦٩٦٦٦

يوجد فى كندا نحو مئة الف هندى

ومن اهلها نحو اربعة ملايين يتكلمون الانجليزية ونحو مليون ونصف يتكلمون الفرنسية

رراعتها فى غاية الكمال وفيها غابات تقدر مساحتها ١٢٤٨٧٩٨ ميلا مربعا وقد بيع منها فى سنة ١٩٠٠ ما قيمته ٣٢ مليون و ٧٠٩١٠ دولارات اى ريالات امريكية

اما تجارتها فقد قدرت سنة ١٩٠١ ب ١٢٥٢٢٤٩٣١ ريالا . وقد انتقلت صادراتها من المعادن من ٦٩٨٢٠٠٠ ريالا فى سنة ١٨٩٠ الى ٢٤٥٧٥٠٠٠ سنة ١٩٠١

واما حركة موانيها فقد دخل اليها سنة (١٩٠٠) ١٤٦٠٧ سفينة حمولتها ٧٢٦٢٧٢١ طنا منها ٣٥٢٤٥٣٦ من انجلترة

﴿الكندر﴾ هو المسمى باللبان الذكر وهو افضل انواع العلك . وقد تكلم قدماء اليونانيين والرومانيين ومن بعدهم على الشجر الذى يخرج منه الكندر ولكن جاءت عباراتهم متخالفة وكل ما يستنتج منها ان الكندر مصدره شجر بافريقا. وجاء من بعدهم فلم يكونوا أحسن حظا فى تعيين شجره ثم جاء العرب فلم يهتدوا اليه أيضاً وأخيرا وجد هذا الشجر الرحالة بوفور فى افريقا وكتب عنه سنة ١٧٢٤ وهو ينبت فى جميع الجزء المتوسط الشديد الحرارة من افريقا

الاوربيون يميزون كندر المتجر الى نوعين احدهما كندر افريقا وثانيهما كندر الهند

(صفاته الطبيعية) كندر افريقا ابيض مصفر ليمونى او محمر فيه بياض وعلى هيئة قطع غير منتظمة وقد يكون محببا مستديرا او بيضيا او مستطيلا لامعا نصف شفاف سهل الكسر يتكسر تحت الاسنان وقد يتجمع كتلا فيكون سنجابيا كثير العتامة وهو يلين فى الفم ويبيض اللعاب وطعمه قليل الوضوح راتينجى فيه بعض بلسمية

أما كندر الهند المسمى ايضا بكندر مخا فهو أقل نقاء ولونه سنجابى واكبر قطعا واكثر فى عدم الانتظام ويقل كونه حبوبا صفراء مستديرة نصف معتمة نقية ويتميز عن المصطكى بشفافيته وبالجملة هنالك تخالف فى الصفات الطبيعية عند المؤلفين بحيث يعسر تمييز هذين النوعين أحدهما عن الآخر . ورائحة الكندر خاصة به فليست بلسمية ولا تربنتينية بل هى كأم

من أمهات الراتينج توجد في كثير من النباتات من أجناس بل فصائل مختلفة ولذا وقع الاضطراب فى تعيين الشجر المنتج للكندر

(الصفات الكيماوية للكندر) استخرج من ١٠٠ جزء منه ٥٦ جزءا من راتينج صاف محمر اللون يلين فى درجة ١٠٠ من الحرارة ويذوب فى الحمض الكبريتى ويرسب بالماء و ٥ غرامات من دهن طيار أصفر اللون ليمونى الرائحة و٣٠ من الصمغ وأما الرماد الحاصل من حرقه فيحتوى على كربونات وكبريتات وايدروكلورات البوتاسا وكربونات وفوسفات الكلس . وهذا الجوهر يذوب كله تقريباً فى الكحول وأقل ذوباناً فى الدهن الطيار التربنتينى

(خواصه الطبية) كان الكندر مستعملا كثيراً فى الطب عند القدماء كبقراط وجالينوس وغيرهما وخصوصاً فى أمراض الصدر ونفث الدم والفيضانات الاسهالية والسيلانات البيض فهو مقوّ منبه لايستعمل كبقية الجواهر الصمغية الراتينجية فى الآفات التهيجية أو الالتهابية الا مع الاحتراس ويدخل فى الترياق والاقراص المريحة وبلوع لسان الثور وغير ذلك من المركبات ويستعمل للتبخير به لان ابخرته اكثر بلسمية ونفوذا وأقوى تأثيراً مع النجاح فى المنسوج الخاص للرئتين فيعطى لتلك الاعضاء قوة فاعلية فى الربو الرطب والضعف والتقلص الضعفى ونحو ذلك

ورائحته الحاصلة من التبخير معدودة من الادوية المخية المنبهة لعضو العقل فبالنظر لذلك لا يستعمل الا فى المحال الكثيرة الهواء بسبب الاخطار التى تحصل من استنشاق ابخرته كالصداع وفقد الحس والحركة ونحو ذلك . وامر كثير من العلماء باستنشاق ابخرته فى الامراض الروماتيزمية والعامة يضعون مسحوقه فى الاسنان المتسوسة لتسكين ألمها

وقد أطنب أطباء العرب فى خواصه نقلا عن جالينوس فقالوا أنه مسخن ومجفف مع قبض يسير وان الابيض منه لاقبض فيه فهو منضج محلل من غير قبض

ونقلوا عن ديسقوريدس انه يقبض ويسخن ويجلو ظلمة البصر ويملأ القروح العميقة ويدملها ويلزق الجراحات الطرية ويقطع نزيف الدم من أى موضع كان من الخارج ويمنع القروح الخبيثة التى بالمقعدة

وغيرها من الانتشار اذا خلط بلبن وعملت منه فتيلة وجعلت فيها

واذا خلط بالخل والزيت ولطخ به فى ابتداء المرض المسمى باليونانية مرميقيا وهو وجع يعرض فى البدن كالثآ آليل مع دبيب كدبيب النمل وهذا الداء مقدمة للخدر نفعه . واذا مزج بالشحم الحلو أو نحوه أبرأ القروح العارضة من حرق النار والشقاق العارضة من البرد . واذا خلط بالنطرون وغسل به الرأس أبرأ قروحه الرطبة وقد يخلط بالادوية القابضة لقصبة الرئة وبالضمادات المحللة لاورام الاحشاء وشرب نصف درهم منه ينفع لنفث الدم

واذا نقع مثقال منه فى ماء وشرب ذلك الماء كل يوم نفع من البلغم وزاد فى الحفظ وجلا الذهن وأزال النسيان . ويقال انه يهضم ويطرد الريح

وعن جالينوس ان الاكتحال به يحلل الدم المتجمد فى العين وطبقاتها وينفع تدخينه فى الوباء

ونقلوا عن جالينوس ان قشور الكندر تقبض قبضا بينا فلذلك تجفف تجفيفا شديدا وليس فيها حدة ولا حرافة أصلا ولذا يكثر الاطباء استعمالها لنفث الدم ولاسترخاء المعدة وقرحة الامعاء

ونقلوا عن ديسقوريدس ان قوة قشور الكندر كقوة الكندر غير ان القشر أقوى وأشد قبضا ولذا يشرب لنفث الدم وسيلان رطوبة الارحام حمولا ويصلح كحلا لآثار قروح العين وأوساخها واذا وقع فى المراهم جفف القروح

وأما دقاق الكندر فهو دواء فيه قبض ولذا كان أفضل من الكندر فى كثير من العلل اذ الكندر انما فيه قوة تفتح بسبب انه لا يقبض وسيما ما كان أحمر كثير الدسومة لان ما يضرب الى الحمرة أشد تجفيفا من الشديد البياض . ودقاق الكندر يكسبه قبضا

وقال جالينوس دقاق الكندر أشد قبضا من الكندر والكندر أبلغ فى الازاق والتغرية من دقاقه . وقال أيضا فى الدقاق تحليل ويبس وجلاء مع قبض يسير . وقال دقاق الكندر هو ما ينزل من المنخل اذا نخل الكندر غير المسحوق وهو ما تفتت منه فى الاعدال الكبار ويخالطه أجزاء صغار جداً من قشر الكندر فاذا كان على تلك الصفة كان بينه وبين الكندر من الفرق ان فيه مع ما للكندر من الانضجاج

والتسكين قبضا قليلا

أما بخار الكندر فمسكن لاوجاع البدن الحادة قاطع لسيلان الرطوبات منها منقية لقروحها منبتة للحم فى قروحها المسماة قيلوماطامسكنة لسرطانها. واذا حرق مع القطران كان دخانهما منبتا للشعر فى داء الثعلب وقد يجمع دخان المر ودخان الميعة المسماة أصطرك على هذه الصفة فيوافق ما يوافقه دخان الكندر. وكذا يجمع دخان سائر الراتينجات والصموغ الراتينجية واما ثمر الشجر الشبيه بحب الآس فيزيل الدوسنطاريات واكثاره يحرق الدم ويصلحه السكر ويصلح الصلب منه مضغ جوزبوا والبسباسة

﴿كنز﴾ المال يكنزه كنزا ادخره و(تكنّز لحمه) تجمع وتصلب و (اكتنز) اجتمع وامتلأ . و(الكَنْز) المال المدفون

﴿كنس﴾ البيت يكنُسه كنسا نظفه بالمكنسة و (كنَس الظبى يكنِس كُنوسا) استتر فى كِناسه اى بيته . و (الجوارى الكُنَّس) هى النجوم الكُنَّس لانها تكنِس فى المغيب كالظباء فى الكُنُس و(الكُنَاسة) هى الزبالة . و(المِكنسة) معروفة

﴿ابن مكنسة﴾ هو ابن مكنسة الاسكندرانى اسماعيل بن محمد كان من الشعراء المجيدين والادباء المشهورين من شعره :

رقت معاقد خصره فكأنها
مشتقة من عقده وتجلدى
وتجعدت اصداغه فكأنها
مسروقة من خلقه المتجعد
مابالُه يجفو وقد زعم الورى
ان الندى يختص بالوجه الندى
لايخدعنك وجنة محمرة
رقت ففى الياقوت طبع الجلمد
وزعمت انى لست من أهل الهوى
صبا فقل ماشئته وتقلد
والله ماأبصرت يوما ابيضا
منذ ابتليت بحب طرف اسود

ومن شعره فى المديح :

يعطيك مبتدئا لدى سرائه
ويضاعف الاعطاء فى ضرائه
بت جاره فالعيش تحت ظلاله
واستسقه فالبحر من أنوائه
يلقى الخطوب بمثلها من صبره
والباترات بمثلها من رائه

فالطود حاسد حلمه واناته
والسيف حاسد بأسه ومضائه
وله أيضا فى سكير زعم انه تاب :
يارب عربيد اذا ما انتشى
أربى على المجنون فى مسه
قالوا لقد تاب ووالله ما
يتوب أو يجعل فى رمسه
وانما توبته هـذه
عربدة أيضا على نفسه
توفى فى حدود الخمس مئة

الكنعانيين هم من نسل كنعان ابن حام بن نوح عليه السلام كانت لهم مدائن بسواحل الخليج الفارسى فى أقليم بلاد العرب المعروفة الآن باسم القطيف أو البحرين . وقد أطلق اليونانيون على هذه الأمة اسم الفنيقيين لما انتشروا فى سواحل الشام بين جبل لبنان والبحر الابيض فبنوا فى تلك الاصقاع بضع مدائن ومعاقل منها مدينة صيدا وصور وطرابلس وعكا (انظر فنيقيين)

كَنَفَ الشيء يكنِفه كنْفا صانه وحفظه . و (كَنَّفه) ضمه اليه . و (كنف كنيفا) اتخذه . و (الكنيف) الارض المطمئنة المحاطة بالشجر . و (كنَّفه) أحاطه . و (كانفه) عاونه . و (تكنَّفه واكتنه) أحاط به . و (اكتنف القوم) اتخذوا كنَفا . و (الكَنَف) الجانب والظل والناحية جمعه أكناف

كنَّ الشيء يكُنه كَنا ستره و (كنَّنه وأكنه وأكتنَّه) ستره . و (اكتنَّ الرجل) استتر . و (استكنَّ) مثله . و (الكِنَان) وقاء كل شيء جمعه أكِنَّه و (الكِنانة) جعبة تجعل فيها السهام تتخذ من جلود جمعها كنائن وكنانات. و(بنو كنانة) قبيلة. و(الكِن) وقاء كل شيء والبيت جمعه أكنان

الكناني هو أبو الحسن على بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنانى الملقب سديد الملك

هو صاحب قلعة شيذر فى القرن الخامس وكان شجاعا مقداما كريما وهو أول من ملك قلعة شيذر من بنى منقذ . وكيفية استيلائه عليها . انه كان نازلا بجوار القلعة بقرب الجسر المعروف بجسر بنى منقذ وكانت تلك القلعة بيد الروم فحدثته نفسه بأخذها منهم فنازلها وتسلمها بالامان فى رجب سنة (٤٧٤) هـ ولم تزل فى يده ويد أولاده الى ان جاءت

الزلزلة سنة (٥٥٢) فهدمتها وقتلت كل من فيها من بنى منقذ وغيرهم تحت الهدم وشغرت فجاء نور الدين محمود بن رنكى صاحب الشام فى بقية السنة واخذها

وذكر بهاء الدين بن شداد فى سيرة صلاح الدين انه جاءت زلزلة بحلب وأخربت كثيرا من البلاد وذلك فى ٢ شوال سنة (٥٦٥) وهذه غير تلك . واما الاولى فقد ذكرها ابن الجوزى فى شذور العقود وغيره

كان سديد الملك المذكور مقصودا وخرج من أسرته عدة نجباء وامراء فضلاء ومدحه جماعة من الشعراء كابن الخياط والخفاجى وغيرهما . وكان له شعر جيد ايضا

وكان موصوفا بقوة الفطنة وينقل عنه أنه كان يتردد الى حلب قبل تملكه شيذر وصاحبها يومئذ تاج الملوك محمود بن صالح بن مرداس فجرى أمر خاف سديد الملك المذكور على نفسه منه فخرج من حلب الى طرابلس الشام وصاحبها يومئذ جلال الملك بن عمار فأقام عنده فتقدم محمود بن صالح الى كاتبه أبى نصر محمد ابن الحسين بن علي بن النحاس الحلبي ان يكتب الى سديد الملك كتابا يتشوفه ويستعطفه ويستدعيه اليه وفهم الكاتب انه يقصد له شراً وكان صديقا لسديد الملك فكتب الكتاب كما أمر الى أن بلغ الى أن شاء الله تعالى فشدد النون وفتحها . فلما وصل الكتاب الى سديد الملك عرضه على ابن عمار صاحب طرابلس ومن فى مجلسه من خواصه فاستحسنوا عبارة الكاتب واستعظموا مافيه من رغبة محمود فيه وإيثاره لقربه . فقال سديد الملك انى أرى فى الكتاب ما لاترون ثم أجابه عن الكتاب بما اقتضاه الحال وكتب فى جملة الكتاب انا الخادم المقر بالانعام وكسر الهمزة من أنا وشدد النون . فلما وصل الكتاب الى محمود ووقف عليه الكاتب سر بما فيه ، وقال لاصدقائه قد علمت أن الذى كتبته لا يخفى على سديد الملك وقد أجاب بما طيب نفسى . وكان الكاتب قد قصد قول الله تعالى : (ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك). فأجاب سديد الملك بقوله تعالى: (انا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها) فكانت هذه معدودة من تيقظه وفهمه

توفى سنة (٤٧٥) ه

كُنْهُ الشيء حقيقته وأصله

و(اكْتَنَهَ الشيء) بلغ كنهه

﴿الكَنّة﴾ زوجة الولد أو الاخ

﴿كنا﴾ به عن كذا يكنو كِناية أى ذكره ليدل به على غيره كقولك (فلان جبان الكلب) كناية عن كرمه لان جبن كلبه يدل على تعوده الناس ، وهو ماتعودهم الا لان سيده مقصود بالزيارة ، والناس لايقصدون الا كريما أو عالما

﴿الكناية﴾ هي لفظ أريد به لازم معناه مع جواز ارادة ذلك المعنى نحو : (فلان رفيع العماد) الاصل فى العماد أنه لرفع البيت فقولك فلان رفيع العماد أى عالى أعمدة البيت لايراد به هذا المعنى بل يراد به لازمه ، ولازم رفعة العماد شرف الاصل وكرم الاعراق. فهذا الضرب من التعبير يسمى كناية

الكناية ان كثرت فيها الوسائط سميت تلويحا كقولك (فلان جبان الكلب) فى المثال المتقدم فى كلمة (كنا)

﴿كَنَى﴾ به عن كذا يَكنِي كِناية مثل كنا . و(كنّاه أبا فلان) سماه به و(تكنّي بكذا واكتنَى به) تسمّى به و(الكُنْية) اسم يطلق على الشخص للتعظيم نحو أبى الحسن كنية علىّ عليه السلام جمعها كُنَى

﴿الكهرباء﴾ هى كلمة أطلقت للدلالة على ذلك العامل القوى المجهول الذى يتولد فى بعض الاجسام بالدلك . فاذا دلكت قطعة من الزجاج دلكاقويا بقطعة من الصوف اكتسبت خاصية جذب الاجسام الخفيفة كقصاصات الورق وقد شوهد صنفان من الكهرباء وهما الكهرباء الموجبة والكهرباء السالبة، وقد عرفا بأن الجسمين المتكهربين من نوع واحد يتنافران وأما اذا كانا متكهربين من نوعين مختلفين فانهما يتجاذبان . ولا يعلم كنه تينك الكهربائيتين المختلفين وقد سميت احداهما موجبة والاخرى سالبة

وقد كان علم الاقدمون ان الكهرمان الاصفر يكتسب بالدلك خاصة جذب الاجسام الخفيفة كنشارة الخشب وقصاصات الورق وزغب الريش . وقد نسب فلاسفة ذلك العصر هذه الخاصة لسبب خاص سموه بالكهرباء

وفى نهاية القرن السادس عشر علم ان هذا الخاصة الموجودة فى الكهرمان توجد أيضا فى عدد عظيم من الاجسام كالراتينج

والزجاج والكبريت وغير ذلك وتوجد أجسام أخرى وبالاخص المعادن لا تظهر فيها هذه الخاصية مهما كانت المدة التى تدلك فيها . وبذ قسمت الاجسام عند ذلك الى أجسام تتكهرب بالدلك وأجسام لا تتكهرب به الا انه قد ظهر فيما بعد ان هذا التقسيم ليس بحقيق

وفى مقدمة القرن الثانى عشر توصل الطبيعى (غرى) لبيان ان الكهربائية التى تتولد بالدلك على أنبوبة من الزجاج تسرى منها الى سدادة من الفلين مثبتة على فوهتها الى ساق من البلوط مثبت فى هذه السدادة ثم الى فتيلة من الكتان مربوطة فى هذه الساق وأخيرا الى كرة من العاج معلقة فى نهاية هذه الفتيلة وعلى بعد من طرفها الثانى يزيد عن مثتى قدم فظهر له حينئذ من هذه التجربة ومن جملة تجارب أخرى مشابهة لها انه يمكن اعتبار الكهربائية ناتجة من سيال خاص يتولد على الاجسام التى كالكهرمان والزجاج بالدلك ويمكن أن يسرى منها الى أجسام أخرى ملامسة لها كالفلين والخشب والكتان والعاج والمعادن

وقد سميت هذه الاجسام الاخيرة اى التى يظهر انها لا تحدث مقاومة محسوسة على سريان الكهربائية فيها بالاجسام الجيدة التوصيل للكهربائية

وقد شوهد ان الكرة الارضية جيدة التوصيل للكهربائية وذلك لانه اذا وصل جسم موصل للكهربائية ومتكهرب ككرة العاج السالفة الذكر بالارض بواسطة جسم موصل للكهربائية شوهد انه يفقد كهربائيته . وكذا اذا لمس الجسم المذكور باليد وهذا دليل على ان جسم الانسان موصل للكهربائية أيضا

أما الاجسام الرديئة التوصيل للكهربائية فهى التى تقاوم سريان الكهرباء فى أجزائها مثال ذلك اذا دلكت قطعة من الراتينج بالصوف حدثت كهربائية على النقط المدلوكة دون غيرها ولا تسرى تلك الكهربائية الى النقط الاخرى وقد سميت أمثال هذه الاجسام بالاجسام الرديئة التوصيل للكهربائية لأنها تقاوم سريان التيار فيها

من الاجسام الرديئة التوصيل للكهربائية الراتينج والزجاج والكبريت والصمغ المرن والحرير والورق الخ. والهواء موصل ردىء للكهربائية لانه لو كان موصلا

جيداً لها لكانت الكهربائية التى تتولد على سطح الاجسام بالدلك تضيع فى الجو ، وكان من الممكن ان تكون الظواهر الكهربائية غير معلومة لنا الى الآن . ومع ذلك فان الهواء يكون موصلا للكهربائية كثيرا أو قليلا عندما يكون رطبا وبذلك يصعب عمل التجارب الكهربائية فى أوقات الرطوبة

اذا تقرر أن الكهرباء تتولد بالدلك قلنا انه وحده وسيلة لتوليدها فى الصناعة وقد صنع لذلك دائرة واسعة من الزجاج تدور على محور بواسطة آلة بخارية دورانا شديدا وجعلت بعض نقط سطحيها ملامسة لقطع من الصوف بحيث اذا أديرت دلكت بها دلكا مستمراً فتتولد عليها الكهرباء فتسرى منها الى قطع من المعادن أعدت لاجتنائها أولا فأولا بواسطة التماس فان الكهرباء تسرى من الجسم المكهرب الى جسم آخر بمجرد تماسهما . ثم توصل تلك الاجسام المكهربة بأسلاك أما لتوليد الضوء أو لتوليد الحركة

أما استخدام الكهرباء فى ادارة الآلات فسهل التفسير لانها لما كانت قوة مؤثرة فاذا سلطت على آلات قابلة للتحرك كالعجلات أو نحوها تحركت مضطرة كأنها مسوقة بالبخار

وأما توليدها للضوء فيحتاج لبعض التفصيل وذلك أن الكهرباء لاتتولد الا مصحوبة بمقدار من الحرارة على حسب شدتها وهذه الحرارة تظهر فى الاسلاك على نسبة ثخنها فكلما رقت كانت أكثر تأثيراً بها . وقد توصل المخترعون لان يصلوا بالاسلاك الكهربائية المعتادة سلكا شعريا من المعدن فى غاية الدقة بحيث لو مرت فيه الكهرباء سخنته تسخينا شديدا بسبب دقته واستحالت الى ضوء ساسع لايعدله ضوء آخر . ومن يتأمل فى المصابيح الكهربائية يرى ذلك السلك الدقيق ملفوفا لفا حلزونيا داخل قناقيع زجاجية مغلقة

ثبت أن كل شىء فيه نوعان من الكهرباء سالبة وموجبة على حالة تعادل وتوازن حتى فى الانسان نفسه

وفى الجو كهرباء قوية تحدث من احتكاك الرياح بعضها ببعض ومن التفاعلات الكيماوية الكثيرة التى تحدث على سطح الارض ومن دوام تبخر الماء

من البحار والانهار الخ (انظر كلمة صاعقة)

(ماهى الكهربائية) ان ظواهر الكهربائية المختلفة أدت الطبيعى سيمير الى وضع نظرية فى الكهرباء هى المتفق عليها الى الآن حتى يتيح الله للناس من يكشف لهم عن حقيقة هذه القوى الغريبة

هذه النظرية تعتبر الاجسام الارضية محتوية بطبيعتها على سيالين كهربائيين مختلفى النوع يسمى احدهما سيالا سالبا والثانى سيالا موجبا (هذه التسمية مأخوذة من نظرية وضعها العالم فرنكلان الامريكى وهى ليست الا اصطلاحا) فتقبل ذلك جسمين احدهما بالآخر يكون كل منهما محتويا فى جميع نقطه على مقدارين متساويين من الكهربائية السالبة والموجبة فيقال حينئذ أنهما على الحالة المتعادلة ونتيجة دلك الجسمين احداهما بالآخر تكون حينئذ نقل جزء من السيال الموجب الموجود فى احدهما الى الجسم الآخر وبالعكس . وبذلك عند مايفصل الجسمان احدهما عن الآخر تظهر على احدهما خواص الكهربائية السالبة وعلى الثانى خواص الكهربائية الموجبة واخيرا فلاجل بيان سبب التجاذب والتنافر المشاهدين فى هذين النوعين المختلفين من الكهربائية فرض سميرأن الكهربائيتين اللتين من نوع واحد يطرد أحدهما الآخر

هذا ماقاله سيمير ووافق عليه العلماء موقتا ولكن الجميع يعترفون بأنهم لا يعرفون من الكهربائية الا اسمها وظواهرها أما حقيقتها فلا تزال كسر الروح الانسانية محتجبة عنا بحجب الغيب وعسى الله أن يكشفها لنا فى يوم من الايام

(العلاج بالكهربائية) ادخلت التيارات الكهربائية فى معالجة بعض الامراض العصبية والروماتيزمية فأفادت كثيرا ولكن لايجوز الاندفاع فى هذا الطريق بتسويلات المشتغلين بذلك ممن اتخذوا هذه الصناعة ديدنهم فانهم ينسبون اليها شفاء جميع الامراض بين عصبية وعضوية وهو ضلال بعيد . نعم انه شوهد للتيارات الكهربائية تأثيرا على الحالة العامة للجسم الانسانى ولكن هذا التأثير لايتعدى حدودا معينة وفى أحوال خاصة يجب أن يعينها الطبيب المشتغل بمراقبة سير المرض فى المرضى فلا يجوز والحالة هذه أن يعول المرضى على هذا الضرب من

العلاج الا بعد استشارة نطس الاطباء وتعيين نوع التيار الكهربا الذى يفيدهم ونحن آتون هنا بمعلومات ثمينة فى هذا الموضوع ارشاداً للمستفين بالكهربائية فنقول :

تفيد الكهربائية فى الطب اما لاعانة الطبيب على التشخيص او لنيل السفاء من بعض الامراض . مثال ذلك اذا شكا عليل من عرض برجليه واُمر التيار الكهربائى على عضلات الطرف الواحد وتحركت العضلات فيه ولم تتحرك فى الآخر حكم الطبيب بانحراف ذلك الآخر عن حالته الطبيعية . والعضلات اذا لم تتأثر بالكهربائية اعتبرت مريضة ولاعكس اى اذا تأثرت بها لا يحكم بأنها صحيحة فالكهربائية والحالة هذه تعين على التشخيص

واذا اصيب انسان بفقد الصوت واُمر تيار كهربائى على الحنجرة عاد اليه الصوت ولو مؤقتا فكأن العليل قد شفى مع ان انقطاع النطق قد يكون عرضا لعلة لا تبرأ وكثيرا ما يزول بها اعتقال ويسكن ألم ويوقف ضمور ولاسيما فى شلل الاطفال فتمتنع بها بعض العيوب وان لم يشف الشلل

(انواع الكهربائية المستعملة فى الطب) النوع الاول كهربائية الموازنة اى كهربائية الاحتكاك فيجلس العليل على كرسى محصور مشحون بالكهربائية فيشعر بوقوف شعره ويفيد هذا النوع فى العلل العصبية من الطبيعة الهستيرية

النوع الثانى الكهربائية الجلفانية وتتم بواسطة بطرية جلفانية بها يمر بجسم المريض او بقسم منه مجرى كهربائى دائم وأشكال البطريات كثيرة يختار منها ماهو موافق وسهل للنقل . وحدة هذا النوع اقل من حدة الاول ولكن افعاله الكيماوية اكثر ويفيد فى تسكين الآلام العصبية وادرار اللبن

واذا مر المجرى من مركز الاعصاب الى اطرافها سمى مستقيما وبالعكس سمى منعكسا فالمستقيم يسكن الاعصاب والمنعكس يسكن قابليتها للتأثر

النوع الثالث كهربائية المجاورة او الكهربائية المغناطيسية وهى تكون متصلة بالكهربائية الجلفانية وتستعمل متقطعة برفع الشريط عن الجلد واعادته بسرعة او بتركيب قاطع الوصل على الآلة . ولآلاتها اشكال كثيرة يختار منها

الاسهل استعمالا وتتلا

(تأثير الـكهربائقة) اولا . افعال كياوية يكوى بها الجلد ويختر الدم وتكوى الاجزاء العميقة بادخال ابرة فيها واحمائها ببطرية وبهـذه الطريقة يعالج الانيوروزم وتذوب السلعات

ثانيا افعال حيوية . اكثر استعمال الـكهربائية فى الطب هو لاجل فعلها فى الوظائف الحيوية كفعلهـا فى قبض المضـلات والحس والالم وما اشبه ذلك وهذه الافعال الحيوية ظاهرة فى العصب والعضل والجلد والاوعية الشعرية

(فعل الكهربائية فى العصب)

الكهربائية تنبه فعل العصب سواء أكان عصب حس ام عصب حركة . فاذا كان العصب لايزال حيا هيجت الـكهربائية وظيفته الخاصة وبالعكس اذا زاد هيجانه سكنته . مثال ذلك اذا فقـد الحس من الجـلد حتى لايشعر العليـل بكى النـار فالـكهربائية ولا سيما المغناطيسية ترجـع الحس اليه وتشفيه . ويكون الحال بعكس ذلك اذا اعتقلت عضلة أو أصيبت بارتجاف او الم من فرط هيجان اعصابها فالكهربائية تسكنها

(فعل الكهربائية فى العضلات) يتضح فعلها مما ذكر آنفا ونزيد عليه بأنه اذا لم تتم عضلة عملها بسبب ضمور فى مادتهـا أو بسبب ضعف العصبية فيها فيتنبه عملها بالمجرى المتقطع ويمتنع ضمورها

(فعل الـكهربائيه فى الجلد) ترى أصابع اليد المشلولة أو أظافرها زرقاء باردة وذلك من بطلان الدورة الشعرية فيها فاذا أمررت بها مجرى كهربائيا زالت الزرقة وسخنت اليد وعادت اليها حاسة اللمس وليس هذا فقط بل تتأثر ايضا الانسجة العميقـة فتتحسن تغـذية العضـلات والاعصاب . ولذلك تستعمل الكهربائية لتجديد تغذية المواضع الظاهرة كما فى الشلل الحادث من قبل بردو الشلل الحاصل من التسمم بالرصاص والفالج الضمورى فى الاولاد

﴿ الكهف ﴾ البيت المنقور فى الجبل جمعه كهوف

(أهل الكهف) قال الله تعالى : «أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا . اذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا . فضربنا على

آذانهم فى الكهف سنين عددا . ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا. نحن نقص عليك نبأهم بالحق ، انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذاً شططا. هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بيّن فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا . واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله، فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيء لكم من امركم مرفقا. وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين ،واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم فى فجوة منه ذلك من آيات الله من يهدى الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشداً . وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعبا. وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم، قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم، قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ، ولا يشعرن بكم أحدا انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم فى ملتهم ولن تفلحوا اذاً أبداً . وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لاريب فيها ، اذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم. قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً . سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم، رجما بالغيب، . يقولون سبعة وثامنهم كلبهم، قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل، فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا. ولا تقولن لشىء انى فاعل ذلك غداً الا أن يشاء الله، واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى أن يهدينى ربى لأقرب من هذا رشدا. ولبثوا فى كهفهم ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعا . قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض، أبصر به وأسمع، مالهم من دونه من ولىّ ولا يشرك فى حكمه أحدا »

(تفسير هذه الآية) الكهف هو البيت المنقور فى الجبل كما قدمنا والرقيم اسم الجبل أو الوادى الذى فيه كهفهم أو اسم قريتهم أو كلبهم . وقيل ان أصحاب الرقيم غير أصحاب الكهف وكانت

قصتهم من العجب أيضاً كقصة أصحاب الكهف الذين سيأتي ذكرهم . قيل كان أصحاب الرقيم ثلاثة رجال خرجوا يرتادون لاهليهم فأخذتهم السماء فأووا الى الكهف فانحطت صخرة وسدت بابه فقال أحدهم اذكروا أيكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته . فقال أحدهم استعملت اجراء ذات يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل فى بقيته مثل عملهم فأعطيته مثل أجرهم فغضب أحدهم وترك أجره فوضعته فى جانب البيت ثم مر بى نفر فاشتريت به فصيلة فبلغت ما شاء الله فرجع الىّ بعد حين شيخا ضعيفا لا اعرفه وقال ان لى عندك حقا وذكره حتى عرفته فدفعتها اليه جميعا . اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا ، فانصدع الجبل حتى رأوا الضوء

وقال آخر كان فىّ فضل واصابت الناس شدة فجاءتنى امرأة فطلبت منى معروفا فقلت والله ماهو دون نفسك . فأبت وعادت . ثم رجعت ثلاثا ثم ذكرت ذلك لزوجها فقال أجيبى له وأغيثى عيالك فأتت وسلمت الى نفسها . فلما تكشفتها وهممت بها ارتعدت ، فقلت مالك ؟ فقالت أخاف الله . فقلت لها خفته فى الشدة ولم أخفه فى الرخاء ، فتركتها واعطيتها ملتمسها . اللهم ان كنت فعلته لوجهك فافرج عنا . فانصدع حتى تعارفوا

وقال الثالث كان لى أبوان هِمّان (أى شيخان) وكان لى غنم وكنت أطعمهما وأسقيهما ثم أرجع الى غنمى فحبسنى ذات يوم غيث فلم أرُحْ (أى لم أعد الى البيت فى العشية) حتى أمسيت فأتيت أهلى واخذت محلبى فحلبت فيه ومضيت اليهما فوجدتهما نائمين فشق على أن أوقظهما فوقفت جالسا ومحلبى على يدى حتى أيقظهما الصبح فسقيتهما . اللهم ان كنت فعلته لوجهك فافرج عنا . ففرج الله عنهم فخرجوا . وقد عزا هذا الخبر نعمان بن بشير الى النبى صلى الله عليه وسلم

أما أهل الكهف فهم فتية من أشراف الروم أرادهم ملكهم دقيانوس على الشرك فأبوا وهربوا الى الكهف فقالوا (ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشداً . فضربنا على آذانهم) اى ضربنا عليها حجابا يمنع السماع والمراد أنمناهم إنامة لا تنبههم فيها الاصوات . فلبثوا على تلك الحالة سنين . ثم أيقظهم الله

ليعلم اى الحزبين المختلفين منهم او من غيرهم ضبط فى مدة لبثهم بالكهف حساب الزمن الذى لبثوه

ثم قال الله تعالى : (نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) بالتثبيت (وربطنا على قلوبهم) اى قويناهم بالصبر على هجر الآل والمال والجراءة على اظهار الحق والرد على دقيانوس الجبار (اذقاموا) بين يديه (فقالوا ربنا رب السموات والارض، لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذاشططا) اى لقدقلنا اذاً كلاما بعيداً عن الصواب. (هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين) أى هلا يستدلون عليها ببرهان واضح (فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا) ثم رجع بعضهم الى بعض فقالوا (واذا اعتزلتموهم ومايعبدون) من الأصنام (الاالله) فانهم كانوا يعبدون الله ايضا (فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته) اى يبسط لكم الرزق (ويهيء لكم من امركم مرفقا) اى ما ترتفقون به اى تنتفعون به. (وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم) تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم (ذات اليمين) اى جهة اليمين (واذا غربت تقرضهم) اى تقطعهم (ذات الشمال) أى جهة الشمال (وهم فى فجوة منه) اى وهم فى متسع من الكهف (ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا)

ثم قال تعالى : (وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) كيلا تؤثر الارض على أبدانهم (وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) أى بفناء الكهف (لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا) لما ألبسهم الله من الهيبة او لوحشة مكانهم (وكذلك بعثناهم) اى وكما أنمناهم أيقظناهم (ليتساءلوا بينهم) ليسأل بعضهم بعضا فيتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيزدادوا يقينا. (قال قائل منهم كم لبثتم؟ قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) بناء على غالب ظنهم ولان ذلك عادة الناس فى نومهم (قالوا ربكم اعلم بما لبثتم) يجوزان يكون هذا رد من بعضهم على البعض الذى قال لبثنا يوم اوبعض يوم . لانهم لما رأوا طول اظفارهم وشعورهم شكوا فى مدة لبثهم (فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة) الورق الفضة مضروبة او غير مضروبة (فلينظر ايها ازكى طعاما) اى أطيب طعاما

وأحل (فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم احدا) اى مستخفيا (انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم او يعيدوكم فى ملتهم ولن تفلحوا اذاً أبدا) اى اذادخلتم فى ملتهم (وكذلك أعثرنا عليهم) اى وكما أنمناهم وبعثناهم أطلعنا الناس عليهم (ليعلموا) اى الذين اطلعوا عليهم (ان وعد الله حق) اى ان وعده بالبعث حق (وان الساعة لاريب فيها) اى لاشك فيها (اذ يتنازعون بينهم امرهم) المعنى انهم لما عاشوا بين الناس ثم ماتوا الموت الحق تنازع الناس أمرهم فقال بعضهم ماتوا وقال آخرون بل ناموا كما كانوا نائمين اول مرة . وقال بعضهم نبنى عليهم بنيانا يسكنه الناس ويتخذونه قرية وقال آخرون لنتخذن عليهم مسجداً يصلى فيه (فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم ، قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا) حكى ان الذين بعثوه منهم الى السوق ليشترى لهم طعاما اخرج الدراهم وكان عليها اسم دقيانوس فاتهموه بأنه وجد كنزاً لبعد عهد الملك دقيانوس، فذهبوا به الى الملك وكان نصرانيا موحدا (فقص عليه القصص فقال بعضهم ان آباءنا اخبرونا

بأن فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء. فانطلق الملك واهل المدينة من مؤمن وكافر وابصروهم وكلموهم . ثم قال الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا. فدفنهم الملك فى الكهف وبنى عليهم مسجدا (سيقولون) اى سيقول الخائضون فى قصتهم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هم (ثلاثة رابعهم كلبهم. ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب. ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم. قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل . فلا تمار فيهم الامراء ظاهرا) اى لاتجادل فيهم الا جدالا غير متعمق فيه (ولا تستفت فيهم منهم احدا . ولا تقولن لشىء انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله) وحيه تأديب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانه حين قال اليهود لقريش سلوه عن الروح واصحاب الكهف وذى القرنين فسألوه فقال ائتونى غداً اخبركم، ولم يقل ان شاء الله . فأبطأ عليه الوحى بضعة عشر يوما، حتى شق عليه ذلك وكذبته قريش، فنزلت هذه الآية تأديبا له (واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى ان يهدين

ربى لاقرب من هـذا رشدا) وفيه تعليم للنبي صلى الله عليه وسلم (ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا) وهذا بيان لقوله تعالى سنين عددا فيما تقدم. وقيل انه حكاية كلام اهل الكهف فانهم اختلفوا فى مدة لبثهم كما اختلفوا فى عدتهم (قل الله أعلم بمـا لبثوا له غيب السموات والارض) أى انه أعلم بمدة لبثهم (أبصر به وأسمع) أى ما أبصره وما أسمعه (ما لهم من دونه من ولى ولا يشرك فى حكمه أحداً)

نقول ان هذه الآية صريحة لا تحتمل التأويل فى أن أهل الكهف لبثوا نائمين مدة طويلة على خلاف ماجرت به السنن الالهية فى نوم الناس الطبيعى وليس فى ذلك شيء من المستحيل فان قدرته سبحانه وتعالى صالحة لذلك فاذا تعذر علينا تعليل كيفية ابقائهم احياء هـذه السنين الطويلة بدون غذاء فنكل ذلك الى الله سبحانه وتعالى فلعله يكشف لنا فى المستقبل وجه امكان ذلك كما كشف لنا سواه مما كنا نعده من المستحيلات

﴿ كهل ﴾ الرجل يكهل كهولا صار كهلا.و(كهُل يكهُل كهولا) صار كهلا أيضا . ومثله (اكتهل) وسن الكهولة من الثلاثين الى الخمسين وقيل الى الستين و (الكاهل) مقدم الظهر مما يلى العنق وهو الثلث الاعلى

﴿ كهم ﴾ الرجل يكهم كهاما ضعف و(كهم السيفُ) كل فهو (كهام)

﴿ كهن ﴾ له يكهن كهانة ويكهَن قضى له بالغيب. و(كهُن يكهُن كهانة) صار كاهنا . و (كاهنه) حاباه و (الكهانة) حرفة الكاهن

﴿ الكهانة ﴾ الكهانة هي استخدام الجن فى معرفة الامور المغيبة وقد كانت هذه الصناعة معروفة عند العرب فكان اذا ناب أحدهم أمر يريد معرفة دخيلته أو مستقبله منه ذهب الى الكاهن فأخبره بما يهمه منه . وكان لكل كاهن منهم صاحب من الجن يحضر اليه فيخبره بما يريد ، وليس هذا الاستخدام ببعيد عن العقل فان ما يحصل فى أوروبا من استحضار الارواح يسهل فهمه على الباحثين ويحسن بالقارىء ان يراجع ما كتبناه فى كلمة اسبرتزم وروح من هذا القاموس

أشهر كهان العرب سطيح الغسانى أكهن الناس فقد كان أنذر بسيل العرم

وكان مرتخى العظام يدرج جسده كما يدرج الثوب خلا جمجمة رأسه وكانت اذا مست باليد أثر ذلك فى عظمها

قيل من كهانته انه لما كانت ليلة ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتج ايوان كسرى فسقطت منه اربع عشرة شرفة فأعظم ذلك اهل المملكة. وكتب الى كسرى صاحب الشام ان وادى السماوة انقطع تلك الليلة . وكتب اليه صاحب اليمن ان بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة. وكتب اليه صاحب طبرية ان الماء لم يجر تلك الليلة فى بحيرة طبرية . وكتب اليه صاحب فارس أن بيوت النار خمدت تلك الليلة ولم تخمد قبل ذلك بألف سنة . فلما تواترت عليه الكتب أظهر سريره وبرز الى أهل مملكته فأخبرهم الخبر . فقال الموبذان أيها الملك انى رأيت تلك الليلة رؤيا هالتنى رأيت ابلا صعابا تقود خيلا عرابا حتى اقتحمت دجلة وانتشرت فى بلادنا. قال فما عندك فى تأويلها؟ قال ماعندى شيء ولكن ارسل الى عاملك بالحيرة يوجه اليك رجلا من علمائهم فانهم أصحاب علم بالحدثان. فبعث اليه فوجه عبد المسيح بن نفيلة الغسانى فأخبره كسرى بالخبر . فقال أيها الملك ما عندى فيها شيء ولكن جهزنى الى الشام الى خالى سطيح فجهزه فلما قدم عليه وجده قد احتضر فناداه فلم يجبه فقال :

أصم أم يسمع عطريف اليمن
رسول قيل العجم يهوى للوثن
يافاصل الخطة أعيت من ومن
أتاك شيخ الحى من آل سنن
أبيض فضفاض الرداء والرسن

فرفع سطيح رأسه وقال :

عبد المسيح، على جمل مشيح ، أقبل الى سطيح، وقد أوفى الى الضريح ، بعثك ملك بنى ساسان ، لارتجاج الايوان ، وخمود النيران ورؤيا الموبذان ، رأى ابلا صعابا ، تقود خيلا عرابا ، حتى اقتحمت الواد ، وانتشرت فى البلاد.

عبد المسيح ، اذا ظهرت التلاوة ، وغاض وادى السماوة، وظهر صاحب الهراوة فليست الشام ، لسطيح بشام ، يملك منهم ملوكا وملكات ، بعدد ما سقط من الشرفات ، وكل ما هو آت ثم قال :

ان كان ملك بنى ساسان أفرطهم
فان ذا الدهر أطوار دهارير
منهم بنو الصرح بهرام واخوته
والهرمزان وسابور وسابور

فربما أصبحوا منهم بمنزلة

يهاب صولهم الاسد الهاصبر

حوا المطى وجدوا فى رحيلهم

فما يقوم لهم سرج ولا كور

والناس أبناء علات فمن علموا

ان قد أحدثم محقور ومهجور

والخير والشر مقرونان فى قرن

والخير متبع والشر محذور

فأبى كسرى فأخبره فنمه ذلك فقال

الى ان يملك منا أربعة عشر ملكا يدور

الزمان . فملكوا كلهم فى اربعين سنة

نقول هكذا تروى هذه الحكاية وهى

موضوعة بقصد تعظيم شأن النبى صلى الله

عليه وسلم ولو علم ذلك الوضاع انه صلى

الله عليه وسلم فى غير حاجة الى هذا التلفيق لما

أقدم على مااقدم عليه . ان رسول الله فى

غنى عن مثل هذه الاخبار المصطنعة فان

ماأتاه من الاعمال التى تعجز البشر

من نشر دين وجمع كلمة قبائل متفرقة وحفظ

وجودها بشريعة لا يأتيها الباطل من بين

يديها ولا من خلفها وبعثها لحمل خلافة الله

فى الارض ، بعض هذا أكبر من أكبر

معجزة

كوبا هى أكبر جزر أرخبيل

الانتيل مساحتها ١١٣٩٠٠ كيلومترا مربعا

فهى اكبر مساحة من البرتغال . طولها

١٤٥٠ كيلومترا وعرضها فى المتوسط ١٠٠

كيلومتر . بها جبلا سيرا ما يسترا الذى علوه

٢٥٦٢ مترا أرضها كلسية وفيها كثير من

المغاور والكهوف تذهب فيها مياه الانهار

والامطار سدى فرغما عن شدة صوب السماء

فيها تقل فيها المياه الضرورية . مناخها حار

محرق أمطارها غزيرة متوسط ارتفاعها

السنوى ١٫٣٠ متر وهى معرضة للزوابع

والاعاصير

كان عدد أهلها سنة (١٨٩٩)

١٥٧١٧٩٧ أى أنه كان يخص كل كيلومتر

واحد ١٣٫٨ ساكنها وهى نسبة قليلة بالنسبة

لجزيرة ولكن هذه النسبة تختلف باختلاف

المواقع ففى هافان عاصمتها حسب لكل

كيلو متر ٥٩ ساكنا وفى ماتانزاس ٢٠

وفى كلارا ١٤ وفى بنار ديلريو ١٣ وفى

سانتياغو ١٠ وفى بوبرتو برانسيب ٣

ونسبة البيض فيها الى السود ٦٧٫٩

فى المئة فكوبا بين جميع جزائر الانتيل

أكثر احتواء على البيض من سواها

كوبا بلاد زراعية وأكثر ماتزرعه

قصب السكر فهو عماد الثروة فيها فقد

أنتجت فى سنة (١٨٩٤) ٩١٩٣٠٦١ طنا من السكر وأنتجت فى سنة (١٨٩٩-١٩٠٠) ٤٦٠٠٠٠ رزمة كل رزمة فيها ٥٠ كيلو غراما من التبغ

أما صناعتها فتنحصر فى عمل السكر والسجار

ثارت فى سنة ١٨٩٨ على مستعمريها الاسبانيين وأعانتها أمريكا الشمالية عليهم فتخلصت من نيرهم واستقلت ولكنها فى الحقيقة وقعت تحت حماية الولايات الامريكية المتحدة

كوبنهاج هى عاصمة الدانمارك عدد أهلها نحو (٦٠٠ الف) وهى واقعة فى جزيرة سيلاند فى الطرف الجنوبى من السوند يصدر منها الدقيق والماشية والجلد والصوف والزبد

كوت ترددت كلمة كوت فى أيام الحرب العامة فيما كان يطرق أسماعنا من أسماء بلاد العراق بسبب الوقائع فكنا لاندرى عنها شيئا حتى كتب عنها حضرة محمد افندى الهاشمى البغدادى مقالة فى المقطم نرى ان ننقلها هنا لقراء دائرة معارف القرن العشرين قال :

«أسمع كثيراً فى الجرائد المحلية لفظ كوت ولا أظن كثيرين من القراء يفهمونها فانها من اصطلاحات العراق ولذلك أريد أن أكتب شيئا من أكوات العراق لعل فيما أبينه فائدة فأقول :

«كلمة كوت مشهورة متعارفة فى العراق ونجد وما جاورهما من البلاد العربية وبعض بلاد العجم والهند الساحلية وقد شاع استعمالها على الالسنة حتى صرفوها تصريف الكلمات العربية الاصلية فصغروها وجمعوها فقالوا كويت وأكوات وبالمصغر سميت البلدة التى على ضفاف البحر الفارسى أو خليج البصرة

«وهذه الكلمة توارثها العراقيون عن آبائهم البابليين والكلدانيين وكان الآشوريون يستعملونها كما توارثوا أشياء أخرى باقية فيهم الى الآن . وجاءت لفظة كوت فى سفر الملوك « ١٧ : ٢٤ » وأتى ملك أشور بقوم من بابل و كوت وعوا وحماة بوسفرائيم» ويقال فيها كوثا وكوثى ربا وهى المدينة الشهيرة بمدينة ابراهيم — تعرف اليوم بتل ابراهيم أو جبل ابراهيم

«وهى تطلق عندهم على البيت المربع المبنى كالحصن والقلعة وغيرهما مما يبنى لحاجة ويبنى حوله بيوت صغار حقيرة

بالنسبة اليه ويكون ذلك البيت فرضا للسفن والبواخر ترسو عنده لتكمل منه ماينقصها من الفحم والزاد وما أشبه ذلك من حاجات السفر

«ولا تطلق الا على مابنى قريبا من الماء سواء أكان من ماء البحر أو النهر أو البحيرة أو المستنقعة وقد يطلق الكوت على النهر الصغير أيضا ويسمى به الآن بعض القرى فى العراق توسعا ولعلها كانت فى أول امرها أكواتا صغيرة ثم تقاطر اليها الناس وعمروها فاتسعت وبقيت على اسمها الاول أو كانت أنشئت بقربها فغلب اسم الكوت عليها وهذه الاكوات لاتوجد فى الموصل وغيرها من البلاد العليا الواقعة على ضفة دجلة فان أول كوت يمر به الذاهب من بغداد الى البصرة كوت الامارة أو الكوت وهو أشهر الاكوات وهو المنطقة المتوسطة بين البصرة وبغداد وموقعه الجانب الشرقى من دجلة وفيه قائمقام وقاض وفيه ثكنة عسكرية (قشلاق) فيها طائفة من الجنود يحمون البلد من هجوم الاعراب وقطاع الطريق

«وهو قرية جميلة عذبة الهواء طيبة التربة تغلب الصحة فى أهلها وفيها جسر كوبرى) حشى قديم وفيها رشدية (ثانوية) وأخرى ابتدائية وحماماتها جميلة ظاهرة وفيها سوق كبير مسقوفة وأهلها نحو اثنى عشر الف تقريبا أكثرهم شيعيون

«وقد قيل انها بنيت باسم أمير كان عليها يدعى كوت وهو من قبيلة ربيعة العراق وهذه القرية حسنة البناء بالجملة تحفها الحدائق والحقول وهى التى تكرر ذكرها فى الجرائد المحلية وغيرها من الجرائد الافرنجية

«وقد أسست بعد خراب مدينة واسط الشهيرة المعروفة فى التاريخ العباسى وكانت واسط ربيعة من هذه البليدة فى الجانب الغربى من دجلة وقد زرتها منذ سنتين تقريبا

«وهناك أكوات أخرى تبلغ ٢٧ كوتا واذا أطلق الكوت أريد به كوت الامارة ومن البلاد التى يطلق عليها كوت كوت الامارة وكوت ابن نعمة وكوت الباشا وكوت العصيبى مصغر منسوب وكوت السادة وكوت الجوع وكوت زهير وكوت الكوام كشداد وكوت غضبان وكوت الافرنجى وهو محل بالبصرة معد لتصليح

السفن والبواخر وبناشها وكوت الشيح وكوت الخليفة . وأما الانهر الصغيرة التي يسمونها كوتافنها كوت الصاحي وكوت الصلحي وكوت الحرامية وكوت بندر وكوت عباس وكوت حلاوة وثلاثة أنهار صغار يسمونها الكوت ومنها كوت خضراوي وهذه أنهر صغار في الجانب الغربي من شط العرب وهناك أنهر أخرى صغيرة تبلغ اربعمائة وسبعين نهرا

«وفي الجانب الشرقي من شط العرب أكوات أخرى وهي انهر منها كوت الخان والخان لقب الملك أو ابنه عند الفرس ولعل الخان هذا خزعل خان أمير المحمرة. وكوت السادة وكوت زعير مصغر وكوت الخراب وكوت عبدالله وهنالك أنهر صغيرة نحو ثمانين نهرا »

﴿كوح﴾ كاوحه مكاوحة قاتله فغلبه

﴿الكُوخ﴾ بيت مسنم من قصب بلا كوة جمعه أكواخ

﴿الكوديين﴾ هي مادة يستخرجونها من الافيون بعد تجريده من المورفين . فيتحصل على الكوديين في شكل بلورات لا لون لها قليلة الذوبان في الماء لكنها تذوبه في الكحول والاتير

(خواص الكوديين الطبية) مهدىء للاعصاب كالمورفين ولكن بأقل درجة وهو كذلك أقل منه سمية . وهو يسبب للانسان نوما هادئا غير مصحوب بثقل في الرأس كما يحدث من المورفين

هذا العلاج يصنع منه شراب مركب من غرامين من الكوديين ذائبة في ٥٠ غراما من شراب السكر يؤخذ منه ملعقتان صغيرتان للقهوة على دفعتين في كل ٢٤ ساعة

﴿كود﴾ كاد يفعل كذا كَوْداً أي قارب وهو من افعال المقاربة التي ترفع المبتدا وتنصب الخبر بصفة اسم وخبر لها

﴿كَوَّر﴾ العمامة تكويراً لفها . و (كوّر فلانا) صرعه . و (تكوّر الشيء) سقط . و(الكَوْر) الدور من العمامة جمعه أكوار . و(الكُور) الرحل باداته جمعه أكوار . و(الكُورة) المدينة

﴿الكُوز﴾ اناء فخار له عروة

﴿الكُوع﴾ طرف الزند الذي يلي الابهام

﴿الكُوفة﴾ قال ياقوت هي المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق

وقال غيره سميت الكوفة لاستدارتها أو لاجتماع الناس بها وقيل سميت كوفة لموضعها من الارض وذلك لان كل رملة يخالطها حصى تسمى كوفة وقيل غير ذلك

وقال ابن حوقل مدينة الكوفة قريبة من مدينة البصرة فى الكبر هواؤها أصح وماؤها أعذب وهى على الفرات . بناؤها كبناء البصرة وهى خطط لقبائل العرب الا انها خراب بخلاف البصرة لان ضياع الكوفة قديمة جداً وضياع البصرة أحياء موات فى الاسلام

وقال القـزوينى هى التى مصرهـا الاسلاميون بعد البصرة بسنتين يأتيهـا الماء بعذوبة وبرودة وأما البصرة فبعد تغيره وفساده

وزعموا ان من أصدق مايقول الناس فى أهل كل بلدة قولهم الكوفى لايرق

ومما نقم على أهل الكوفة انهم طعنوا على الحسن بن على وقتلوا الحسين بعد أن استدعوه .الى آخر ما يماثل ذلك

ينسب الى الكوفة الامام ابو حنيفة وسفيان الثورى وابو أمية شريح القاضى وابو عبد الله سعيد بن جبير وأبو الطيب المتنبي امام الشعراء

فيها جامع معروف بمشهد على وولده الحسين عليهما السلام واليه يحج الشيعة

الكويفة يقال لها كويفة ابن عمر لانه نزلها وهى بقرب ربقيا . وقال بعضهم هى موضع فى بلاد الارد يقال له كويفة عمر بن قيس الازدى

الكوكب فى اصطلاح اللغة هو النجم ولكنه فى اصطلاح الفلكيين العصريين هى لاجرام السماوية الدائرة حول الشموس خاصة . أما التى هى فى ذاتها شموس فيقال لها نجوم (انظر فلك)

الكوكا هى شجرة تنبت فى بيرو من امريكا الجنوبية يبلغ طولها من مترين الى ثلاثة أمتار وهى شهيرة بخصائص أوراقها تلك الاوراق بيضية الشكل مستطيلة غير محززة عرضها من سنتيمترين الى خمسة سنتيمترات

(خواصها الطبية) لهذه الاوراق خاصة تهدىء الاعصاب واذا مضغ القليل منها حفظ قوى الانسان وسمح له باحتمال الجوع والعطش طول النهار . فاذا عمل منها شاى كان من المنبهات الجليلة وهى فوق ذلك تسهل الهضم وتؤثر تأثيرا نافعا على القوى العقلية

يستخرج من الكوكا أصل فعال يقال له الكوكايين يستعمل مخدراً موضعيا وقد يستعمله بعضهم مخدراً ملهيا كالحشيش والخمر فيصيبهم منه ضرر عظيم (انظر كوكايين)

﴿الكوكايين﴾ هى الاصل الفعال المستخرج من ورق الكوكا المار ذكره وقد قلنا انه يستخرج منه مادة مخدرة تستعمل فى الطب وانه قد شاع استعماله كمخدر مُلهٍ كالحشيش والخمر . وقد كتب لنا حضرة الدكتور الفاضل حسين افندى المراوى فصلا جليل الفائدة فى مضاره على مستعمليه من العاطلين ننشره مع الشكر لحضرته على خدمة العلم والانسانية

قال حضرته :

شاعت فى مصر مادة الكوكايين التى اخذت تنتشر بسرعة غريبة فى كل مكان حتى صار الكوكايين خطرا حقيقيا على هذا المجتمع الانسانى وحربا عوانا على عقول الناس تضيع به وناهيك بمادة مآل صاحبها الجنون أو الانتحار

وانا لذاكرون حكم الطب على هذه العادة والمادة السمية الزعافة . إن هذا العقار قلوى يستخرج من شجر الكوكا بجنوب امريكا وهو شائع الاستعمال فى الطب كمخدر موضعى فى العمليات الجراحية الصغيرة كعمليات العيون والانف والحنجرة وما أشبه ذلك

واذا أخذ الكوكايين بمقادير صغيرة فانه من أجود المنبهات والمقويات العامة حتى ان اهل بيرو (حيث تكثر زراعة أشجار الكوكايين) يأخذون قليلا من أوراقه ويمضغونها قبل البدء فى الاعمال الشاقة وبذلك يمكنهم الاستمرار على العمل مدة طويلة بغير جوع او عطش او ألم مطلقا وبعض القوم يعزو ذلك الى فعل الكوكايين المغذى ولكن فى هذا الرأى شيئا من الخطأ لأن المؤكد من التجارب التى عملت على الحيوانات انه لا يزيد فى اعمارها اذا تركناها تموت جوعا والتجارب التى عملت على الحيوان كلها تؤكد تأثير الكوكايين المهيج فى العضلات فلا ينبه المخ والبصلة والنخاع الشوكى ويزيد ضربات القلب ويقل معه ضغط الدم

والذين يألفون هذه العادة المضرة لهم منها احد مأربين بخلاف فريق من الناس الذين يتعودونه من كثرة استعماله في التطبيب كالقطرة ومرض الانف والحنجرة

وفي ألم الاسنان

أما ذوو المآرب السيئة فيستعملونه اما للامور النسائية واما للكيف كالدخان كما يدخن المدخنون بدون ان يعرفوا فائدة تذكر او احتياج اليه غير أن كثيرا من الناس يدخن

أما الثانيـة فهي لشدة تنبه الذهن والفكر لأن لهذا الجوهر تأثيراً غريبا على القوى العقلية في اول امره فيشعر الانسان بالانبساط والانشراح والسرور وتقوى القوة الفكرية فيه الى درجة عظيمة ويكون الذكاء وقاداً حتى أن طلبة الطب يتعاطونه قبل الدخول في الامتحانات للاستعانة به على النجاح وهـذا شائع في البـلاد الاجنبية

وطرق استعماله ثلاثة اما تعاطيا أو سعوطا او حقنا تحت الجلد ولكن من خبرتي الشخصية في المرضى الذين يستشيرونني وجدت ان اهل هذا القطر من الشبان يستعملونه سعوطا بكثرة زائدة واذا استمر الشخص على تعاطي الكوكايين وجب عليه ان يزيد كل يوم المقدار الذي يتناوله كي يأتي بالدرجة التي يريدها وتصبح له هذه عادة وبعد مدة من الزمن يشعر الذي يتناول هذا الجوهر بدوار في رأسه وخفقان في قلبه وهبوط مستمر في قواه العقلية ويكون سريع التأثر والانفعال ثم يزيد هذا التأثير في نفس المريض

ولا يستطيع مقاومته أو اخماده الا بتناول مقدار من هذا السم فتزول هذه التأثيرات ويعود المريض الى حالة السرور والانشراح

وبعد مضي مدة على مثل هذه الحالة التي أعدها أول درجة في الجنون تتغير طباع الشخص تغيراً كليا وتضعف قواه العقلية ويصير غير كفء لأي عمل عقلي أو فكري ثم يعتريه الوهم والخيال فيتخيل خيالات شتى اجرامية وغير اجرامية ويترك المريض عمله وأماكن ارتزاقه ويهيم في وديان الضلال والخيال ويتبع ما يوحيه اليه فكره فيعتريه هزال في جسمه فيصير نحيفا ويصاب بفقر الدم الشديد وتغور عيناه ويتناوبه الارق أيضا فلا ينام الا غراراً وإذا أعوزه المال أو الطريق التي يصل بها الى غرضه رتب له أشد الوسائل خطراً بما في ذلك النصب والاحتيال والسرقة وهلم جرا

ثم يأتي بعـد ذلك دور الجنون ويبتدىء غالبا بالتفكير في الانتحار. وربما

تخلص المسكين من نفسه لاول طارىء من خاطر واذا لم ينفذ هذا الخاطر أو تأخر مجيئه مسه الجنون وقلما تنفع فيه حيل الاطباء ويكون الشخص قاتلا ومجرما ولصا وسفاحا وفتا كا بالاعراض وقس على هذا ويكون نصيبه واحدة من اثنين اما دار المجانين واما الانتحار والاول أغلب ويشعر المريض كأن فى ملابسه بقا يلدغه (بق الكوكايين)

وقد اتفقت آراء الباحثين على أن الجنون والتسمم اللذين يحدثهما الكوكايين ليسا نتيجة طبيعية له ولكنهم يعللونه بأن كل سم يدخل الجسم الانسانى يجد من طبيعة الجسم مقاومة له فتفرز الغدد مركبات كيماوية مضادة لذلك السم ثم قالوا ان تأثير الكوكايين وقتى ولكن الاعراض التى تأتى من تلك العادة منشأها هذا الافراز المضاد للسم الذى يفرزه الجسم ومهما يكن من الامر فالكوكايين اصل من اصول الدمار

واذا تناول الشخص مقداراً ساما يشعر بتهيج شديد فيزيد النبض والتنفس ثم يأتى بعد ذلك دور الاغماء فانقباضات العضلات ثم الموت

نضرب صفحا عن ذكر العلاج لهذا الداء الوبيل حتى لا يجد الجاهل فى هذه المقالة ترقيا للسم فيتمادى فيه

بعد كتابة ما تقدم أتانى عدة أشخاص مصابين بالضعف العام يريدون أن يعالجوا بالكوكايين وكذلك آخرون يريدون ان يزيدوا قواهم العقلية

ونحن نجيب السائلين ونرشد الغافلين ان الكوكايين سم زعاف مورث للجنون ومؤيد للهلاك ويجب الابتعاد عن مزاياه خشية عقباه المؤكدة من الخسران

ولا أظن أن هناك شكا فى العاقبة الوخيمة المترتبة على تعاطى هذا السم لأنه منهك للقوى العقلية كما يشعل الانسان الشمعة من طرفيها فتكون أكثر نورا وأقل عمراً .

الدكتور

حسين الهراوى

﴿كولومب﴾ هو الرحالة الجغرافى كريستوف كولومب مكتشف امريكا فى القرن الخامس عشر

ولد بمدينة جنن من ايطاليا سنة ١٤٤٦ ومات فى مدينة فالادوليد سنة ١٥٠٦

يعتبر كولومب مكتشفا لامريكا ولكن يرجح ان بحارة من البروتون والباسك قد وصلوا فى شطحاتهم الى الارض الجديدة

من امريكا ثم تنوسى ذلك ولم يصل خبره الى كولوب نفسه

كان غرض كولومب اولا وجدان طريق الهند من جهة الغرب لتسهيل الاتصال بها على التجار الاوروبيين فسعى مدة طويلة للحصول على مايعينه على اداء هذه الخدمة للمجتمع فعرض مشروعه على كثير من الملوك والقادة فلم يرفع به احدهم رأسا واخيراً قبل الملك فرديناند ملك اراغون وايليزابت ملكة قسطيلة بالاندلس ان يساعداه وعيناه مقدما حاكما على كل ارض يحتلها باسمها . فأبحر من بالوس فى ٣ اغسطس سنة ١٤٩٢ فاكتشف فى اثناء هذه السفرة انحراف الابرة المغناطيسية . وفى ١٢ اكتوبر وصل الى غاناهاتى ثم الى كوبا فظنها كولومب بلاد اليابان ووصل ايضا الى سان دومنج . فرجع فى مارس سنة ١٤٩٣ رجوع الفائز العظيم

وفى سبتمبر سنة ١٤٩٣ أبحر كولومب من اسبانيا ومعه ١٢٠٠ مستعمر من الاوربيين فطاف جزائر الانتيل ثم عاد الى اسبانيا سنة ١٤٩٦

ثم سافر ثالث مرة سنة (١٤٩٩ — ١٥٠٠) فاكتشف فينزويلا و كولومبيا . ولكنه عجز عن حفظ النظام فى هذه المستعمرات فعزلته اسبانيا وعينت حاكما بدله اسمه بوباديلا . فقبض هذا على كولومب وأرسله مكبلا فى الحديد الى اوربا ولكن فرديناند واليزابت عفوا عنه وأطلقاه فسافر سنة ١٥٠٢ الى امريكا فاكتشف ساحل هوندوراس الى مضيق داريان وكان مقصده ان يجد المضيق الموصل الى الهند على ما كان يتخيله ثم مات سنة ١٥٠٦ تاركا وراءه شهرة خالدة جراء اقدامه العظيم وجرأته المتناهية

مما يروى فى سيرته انه لما حسده بعض نظرائه كما هى عادة الناس وقالوا ان كولومب ماعمل الا ما يستطيع ان يعمله كل انسان يرمى بنفسه فى لجج البحر متجها الى الوجهة التى اتجه اليها . فبلغ كولومب ذلك فأدب لهم مأدبة ودعاهم اليها وبينما هم على المائدة اعطى كلا منهم بيضة ورغب اليهم ان يجتهد كل منهم فى وقف بيضته على قمتها فحاولوا ذلك فعجزوا فقال لهم كولومب الامر سهل جداً ثم ضرب قمة البيضة على المائدة فانبعجت وصار لها قاعدة تسمح لها بالوقوف على

تلك الحالة . ثم التفت اليهم قائلا ها أنـا استطعت أن اقف البيضة على قتها

فقالوا : كل واحد منا يقدر على مثل ما فعلت

فقال لهم كولمب ولم لم تفعلوا؟

ففهم الجماعة أنه يعرض بهم لما سمع من تنقصهم اياه فخجلوا

﴿كولومبيا﴾ هى جمهورية بأمريكا الجنوبية كانت تابعة لاسبانيا ثم استقلت عنها حدودها لا تزال موضوعا للنزاع بينها وبين جاراتها البريزيل والاكواتور والبيرو

مساحتها (١٣٣٠٨٧٥) كيلو متراً مربعا ويقدر سكانها بستة ملايين نسمة منهم ١٥٠ الف من اهالى تلك البلاد الاصليين وهم لا يزالون على همجيتهم

فى كولومبيا معادن كثيرة منها الذهب والفضة والحديد والنحاس والزئبق والزمرد

يقدر القسم المزروع منها بمئة الف كيلو متر مربع فقط وهى تنتج الحبوب والبن والتبغ والسكر والعاج النباتى

﴿كولومبيا الانجليزية﴾ هى ولاية من كندا التابعة لانجلترة فى امريكا الشمالية مساحتها ٩٨٩١٢٤ كيلو مترا مربعا وعدد أهلها نحو ١٥٠ الف فقط. عاصمتها فيكتوريا . وكانت كولومبيا هذه تسمى كاليدونيا الجديدة الى سنة ١٨٥٨ فيها غابات ومعادن ومصايد للاسماك . وهى لا تقبل الزراعة الا فى جنوبها أما غاباتها فعظيمة وهى تبلغ ثلاثة ارباع مساحتها . يستخرج من كولومبيا ذهب وفضة وفحم حجرى

﴿الكوليرة﴾ الكوليرة مرض وبائى ينشأ من ميكروبات صغيرة تدخل معدة الانسان مع الماء الذى يشربه أو الطعام الذى يأكله فاذا لم تبده عصارات معدته ووصلت الى امعائه سليمة نمت هنالك وتكاثرت وأخذت طبيعة جسمه تحاول التخلص منها بالقىء والاسهال ولكن قلما يفيد ذلك فينتشر سمها فى جسمه ويميته

فاذا اتصلت مبرزات هذا المريض بالماء أو غسلت ثيابه الملطخة بها فى ترعة وشرب الناس منها ودخل من تلك الميكروبات شىء الى معداتهم انتشرت فيهم الكوليرة وفتكت بهم كما فتكت بصاحبهم الاول

ثم ان الذين يخالطون المصاب أو يغسلون ثيابه تتلطخ أيديهم بشىء من

تلك المبرزات فيعلق بها شيء من الميكروبات فاذا لم يبدها بالمبيدات المعروفة تسربت الى معدتهم وفتكت بهم ايضا

واذا طرحت المبرزات في الشوارع فقد تقع عليها الذبان فيلتصق ميكروب الكوليرة بأرجلها وأجنحتها ثم تقع على الطعام فتنقل الميكروب اليه وتعدى من يأكله

هذه اشهر طرق العدوى فاذا أخذت الحيطة من جهتها وقف انتشار الكوليرة لامحالة

فاذا انتشرت الكوليرة في بلد كان من الواجب على اهلها أخذ الاحتياطات الآتية اتقاء لخطرها

(أولا) حفظ المعدة في حالة جيدة من الصحة حتى تستطيع مكافحة ميكروبات الكوليرة اذا دخلتها. وقد شرب الدكتور (كلين) خصيم الدكتور كوخ كأسا فيها كثير من ميكروبات الكوليرة اثباتاً لنظريته فلم يصب بسوء فأثبت بذلك انه مادامت حموضة المعدة طبيعية مات ميكروب الكوليرة فيها ولكن اذا زالت الحموضة منها وصارت قلوية لم يمت بل يمر منها سليما الى الامعاء حيث يلقى هناك عصا التسيار وينمو ويتكاثر ولذلك يشير الاطباء باضافة قليل من حمض اللبنيك أو الايدروكلوريك الى الماء وقت شربه تسهيلا للهضم ومساعدة لحموضة المعدة على قتل ميكروب الكوليرة

(ثانيا) تنقية الماء مما يمكن ان يخالطه من ميكروبات الكوليرة باغلائه ثم تبريده فان ميكروب الكوليرة يموت بالحرارة ولو كانت درجتها بين ٥٥ و ٦٠ بميزان سنتغراد أي تحت درجة الغليان ولكن الغليان أجدر بالمحتاط

(ثالثا) تنقية المآكل بتسخينها قبل أكلها أو بغسلها بالماء المغلى حتى الخبز والفاكهة لان الذباب الذي يقع عليها قد ينقل ميكروب الكوليرة اليها

(رابعا) غسل اليدين قبل الاكل ببعض المطهرات اي بماء يكون فيه حمض الكربوليك أو السليماني. أما حمض الكربوليك فيمزج الدرهم منه بخمسين درهما من الماء. وأما السليماني فيمزج الدرهم منه بثلاثة آلاف درهم من الماء

(خامسا) الامتناع عن الاطعمة التي تلبك المعدة مهما كانت وعن الافراط في أي طعام آخر لانه اذا ضعفت المعدة عسر عليها قتل مكروب الكوليرة كما تقدم

(سادسا) الابتعاد عن الاماكن

الموبوءةاذا أمكن لان وسائط التوقى قد لاتمنع وصول ميكروب الكوليرة الى الطعام أو الى الشراب لاسيما وان الذبان تنقله اليهما كما تقدم

أما قيء المصابين ومبرزاتهم فيجب صب السليمانى عليها كلها لكى يميت مافيها من الميكروبات . وثيابهم الملطخة تطهر بالبخار السخن أو بمحلول السليمانى أو تحرق وهذا هو الافضل

ولايجوز صب مبيدات الميكروبات فى الكنف لان ميكروبات الفساد التى فى الكنف تكفى لاماته ميكروبات الكوليرة . وأما اذا صب فيها مو دمبيدة للميكروبات فقد تميت ميكروبات الفساد ويبقى ميكروب الكوليرة حيا

هذا من جهة الوقاية من الكوليرة . أما من جهة العلاج فيجب أن يوكل الى الاطباء النطاسيين . وهناك أسلوبان لمعالجة الكوليرة أحدهما أسلوب الدكتور كانتانى والثانى أسلوب الدكتور السير جورج جنسن

أما أسلوب كانتانى فمداره علي أن حمض التنيك الذى يمزج الدرهم منه بمئة درهم من الماء ويسخن الى الدرجة ٣٨ يميت ميكروب الكوليرة فى الامعاء اذا حقن به من المستقيم أو يمنع ضرره وان الماء الذى فيه قليل من ملح الطعام يقاوم تكاثف الدم

أما حمض التنيك فيذاب عشرة غرامات منه الى عشرين غراما فى لتر ونصف الى لترين من الماء السخن الذى حرارته الى أربعين درجة ويضاف اليها من ٢٠ الى ٣٠ نقطة من اللاودانوم ويحقن به المصاب فى المستقيم أما الملح فيذاب أربعة غرامات منه وثلاثة غرامات من كربونات الصودا فى لتر من الماء المسخن ويحقن به المصاب تحت الجلد فى الجزء القطنى البطنى والاربيتين وتحت الكتفين والاليتين . والحقن الاول بحمض التنيك يميت الميكروبات ويوقف الاسهال . والحقن الثانى بالماء والملح يمنع تكاثف الدم والتسمم الهيضى الكيماوى وهولا يستعمل الا فى الادوار الاخيرة من أدوار الكوليرة

أما اسلوب السير جورج جنسن فقد أسسه على هذه النظريات وهى :

ان الاسهال الذى يصحب الكوليرة هو وسيلة يلجأ اليها الجسم للتخلص من المواد السمية التى تفرزها الميكروبات .

وأما القيء فسببه تهيج المعدة بالمشاركة فالاسهال علاج طبيعي تحدثه الطبيعة للنجاة من شر ما ألم بها . فمن كانت بنيته قوية واحتمل الضعف الناتج من الاسهال إلى أن يتم التخلص من سموم المكروبات نال الشفاء والإمات قتيل الاسهال . وشدة الاسهال تكون بنسبة كثرة السموم التى تفرزها المكروبات . فالساعى إلى وقف الاسهال والحالة هذه يكون عاملا على قتل المريض لا محالة

وقد بنى الدكتور جورج جنسن أسلوبه على هذا البيان فقال :

(أولا) يجب التنبه لكل اسهال يحصل وقت انتشار الكوليرة وعدم اهماله ساعة واحدة

(ثانيا) لا يجوز السعى فى وقف ذلك الاسهال بواسطة مركبات الافيون أوغيرها من القوابض ما دامت الدلائل تدل على وجود مواد سامة أو مهيجة أو منتنة فى الامعاء وإلا فيكون فعل القوابض وقتيا ومتى انتهى رجع الاسهال . وفى مدة استعمال الدواء القابض يزيد امتصاص الجسم للسم الذى فى الامعاء ولذلك يجب طرد ذلك السم من الامعاء أولا بمسهل بسيط ولا بأس بعد ذلك من أخذ جرعات صغيرة قابضة لتلطيف الاسهال إذا زاد كثيرا

وقد وجد بالاختبار أن زيت الخروع أفضل من غيره فى هذه الحالة لسرعة فعله وعدم تهييجه الامعاء فتؤخذ ملعقة كبيرة منه بعد أن تمزج باللبن أو عصير الليمون أو الكونياك أو مستحلب الصمغ العربى إخفاء لطعمه . وإذا تقايأ المصاب الجرعة الاولى تكرر حالا ويمنع من تناول شيء إلى أن يمضى نصف ساعة أى حتى يصل الزيت الى الامعاء ويبتدىء فعله . وإذا حدث من فعله ضعف فيعطى المصاب نقطا قليلة من الافيون . واذا كان لا يستطيع شرب زيت الخروع مطلقا فلا بأس من أعطائه الكالوميل مع الكافور فاذا فعل المسهل فعله واتضح انه لم يبق فى الامعاء ألم ولا غاز ولا تطبل ونظف اللسان يستنتج أن المهيجات قد خرجت من الامعاء وان الامعاء قد صارت فى غنى عن المسهلات فيعطى المصاب إذ ذاك طعاما لطيفا مع قليل من الكنياك ويوقف الاسهال بالافيون

(ثالثا) لا يعطى الافيون إلا بعد

أن يخرج مكيروب الكوليرة ومفرزاته من الامعاء ويجب فى بعض الاحوال ان يكرر زيت الخروع والافيون على التعاقب للتلطيف اذا كان الاسهال قويا وبائيا مضعفا . واذا فُرّغت الامعاء بجرعة من زيت الخروع تعود فتمتلىء حالا من الافرازات المهيجة التى تكون قد تكونت فيها أو رشحت من الاوعية الدموية فيعاد اعطاء زيتَ الخروع

واذا رافق الاسهال قىء وجبت مساعدته بالماء الساخن وفائدة هذا الماء الساخن مزدوجة فانه ينبه الدورة الدموية ويساعد الاسهال . ولكن اذا جاشت النفس ولم يحصل القىء وترجح وجود مواد مهيجة أو غير مهضومة فى المعدة فلا يكفى الماء الساخن بل يجب اعطاء مقىء كملعقة كبيرة من ملح الطعام او ٣٠ قمحة من مسحوق عرق الذهب فى ماء ساخن . ومتى زاد القىء فى القوة أو عدد المرات يحسن تلطيفه بالثلج أو بوضع الخردل على المعدة أو اعطاء جرعة من الكالوميل لتصريف مهيجات المعدة من طريق الامعاء

ويروى العطش باعطاء الماء المبرد المحمض بقليل من عصير الليمون أو حمض الكبريتيك المعطر . ولابد من أن يكون ماء الشرب نقيا وأن يقيم المصاب فى الفراش

واذا استمر الاسهال وصارت المواد المفرزة مائلة الى البياض كماء الارز وهبطت حرارة الجسم وازرق لونه يكون المرض قد وصل الى الدرجة الثالثة درجة التهور فيجب حينئذ ان يلقى المصاب على ظهره ويرفع رأسه وصدره عن مساواة جسمه ويمنع عن الحركة وتفتح له الشبابيك والابواب لتجديد الهواء ويسمح له بشرب مقدار كبير من الماء المبرد بالثلج أو قطع الثلج ولكن لا الى درجة كافية لحط حرارة الجسد الداخلية . واذا اشتدت الحالة جداً فيستحسن الجرى على ضد ذلك اى يسقى الماء السخن لتدفئته وتنبيه الدورة الدموية واذا لم يحصل قىء فى الحالين يمنع القىء لئلا تتمدد المعدة به فتضيق التنفس وقد مدح بعضهم الحقن بالماء السخن لتنبيه الدورة الدموية ولا غنى من تدفئة الاطراف بالفلانلا المسخنة وقوارير الماء السخن

ومتى حدثت الاعتقالات العضلية فى الدرجة الثالثة يستعمل الدلك بالفلانلا

المسخنة ولا بأس باستعمال الادهنة المنبهة كالكلورفورم والتربنتينا ووضع الاطراف فى ماء قد سخن وأضيف اليه قليل من خردل

وتعرف حالة المصاب من المواد البرازية وحالة البطن ففى الاصابات السليمة يدوم الاسهال مدة الدرجة الثالثة وينتهى المرض بالموت غالبا وعليه فمن أهم الامور فى الدرجة الثالثة منع الامساك بجرعات صغيرة من زيت الخروع . ومن دقق فى فحص المصاب فى الدرجة الثالثة وجد أمعاءه متمددة بالمواد المائعة وليس فيها قوة لدفعها

واذا حدث نزف من الامعاء يمنع استعمال زيت الخروع ويبدل بزيت التربنتينا ٢٠ نقطة كل ساعتين مع مستحلب الصمغ العربى . ويمنع اعطاء الطعام للمصاب فى الدرجة الثالثة لان افرازات المعدة تكون متوقفة فيبقى الطعام غير مهضوم ولا بد من اعطاء مسهل خفيف من وقت الى آخر فى درجة رد الفعل ويطعم المصاب حينئذ الاطعمة المغذية الخفيفة كاللبن والارز والبيوكا والاررووط وتكون المعدة ضعيفة وتبقى مدة قبل ان تسترجع قوتها على هضم الجوامد فيحسن فى هذه الحالة أن يعطى المصاب جرعات صغيرة مقوية من الكينا وحمض الايدروكلوريك من الطعام

هذا أحسن ما وقفنا عليه فى معالجة الكوليرة وقد اعتمدنا على ما كتبه المرحوم الدكتور سالم باشا سالم فى المقتطف عن الاسلوب الاول وحضرة الدكتور وديع افندى بربارى عن الاسلوب الثانى وأفضل من هذا كله قطع الطريق على ميكروبات الكوليرة باتخاذ التدابير الصحية الفعالة على ما ذكرناه فى صدر هذه العجالة فقد ثبت ان لهذه التحوطات تأثيرا عظيما فى منع انتشارها وزوالها

﴿ كوّم ﴾ التراب جمعه وجعله كُومة كَومة اى قطعة قطعة و (اكتام الرجل) قعد على أطراف أصابع رجليه و (الكُوم) القطعة من الابل . و (الكُومة والكَومة) القطعة من التراب وغيره جمعها أكوام وكُوَم . و (الأكوم) المرتفع والبعير المرتفع السنام . والناقة كوماء جمعها كُوم

﴿ كان ﴾ عليه يكون كَونا وكِيانا تكفل به والاسم الكِيانة . وكان الشىء كَونا وكِيانا وكَينونة حدث

وقد تكون كان ناقصة فتدخل على

المبتدا والخبر فترفع الاول ويسمى اسمها وتنصب الثانى ويسمى خبرها نحو.(كان زيد قائما)

وتكون تامة وهى أم الافعال لأن كل شىء داخل تحت الكون فتأتى بمعنى ثبت نحو . (كان الله ولا شىء معه) وبمعنى حدث نحو : (اذا كان الشتاء فأدفئونى) وبمعنى حضر نحو : (وان كان ذوعسرة فنظرة الى ميسرة) وبمعنى وقع نحو : (ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن) وبمعنى أقام نحو (كانوا وكنا) وبمعنى ينبغى نحو (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) وبمعنى صار نحو : (وكان من الكافرين) وبمعنى الاستقبال نحو : (يخافون يوما كان شره مستطيرا) وبمعنى المضى المنقطع نحو : (وكان فى المدينة تسعة رهط) وبمعنى الحال نحو : (كنتم خير أمة أخرجت للناس) وبمعنى الاول والابد نحو : (وكان الله عليما حكيما) وبمعنى الدوام والاستمرار نحو (وكان الله غفورا رحيما)

ويقول الرجل لصاحبه اذا تفرس فيه (كن أبا فلان) ليعلم ان كان كما ظن

وتقول العرب فى الدعاء على انسان (لا كان ولا تكوّن) أى لا خلق ولا تحرك . يكنون به عن موته

تحذف النون جوازا فى مضارع كان المجرد عن الضمائر البارزة المجزوم اذا لم يكن بعدها همزة وصل نحو : لم يك زيد قائما ولافرق فى هذا بين كان الناقصة والتامة

وقد تزداد كان للتأكيد بين الشيئين المتلازمين كالمبتدا وخبره نحو (زيد كان قائم) والفعل ومرفوعه نحو (لم يوجد كان مثلك) والموصول وصلته نحو (جاء الذى كان أكرمته) والموصوف وصفته نحو (مررت برجل كان قائم)

وتنقاس زيادتها بين ما وفعل التعجب نحو (ماكان أحسن زيداً) ولا تزداد فى غيره الا سماعا

أكثر ماتزداد كان بلفظ الماضى وقد شذت زيادتها بلفظ المضارع كقول الشاعر :

أنت تكون ماجد نبيل

اذا تهب شمأل بليل

و (كناهم) اى كنا لهم (وكنت الغزل) أى غزلته و (كنت الكوفة) أى كنت بها و (منازل اقفرت كأن لم يكنها أحد) أى لم يكن بها أحد

و (كوّن الشىء) أحدثه . وتكوّن

الشيء) حدث واستكان) ذل وخضع .
و(الكائنة) الحادثة جمعها كائنات وكوائن.
و(الكُنْتِيّ والكُنْتُنِيّ) الكبير العمر
كأنه نسب الى قوله كنت فى شبابى كذا
وكذا الجمع كُنتيون وكُنتنيون. والكِيان
الطبيعة وقيل هى سريانية . و(الكِيانة)
الكفالة وهى اسم من كنت على فلان كَونا
اى تكلفت به . و (كِيوان) اسم زحل
وهو فارسى معرب . و (الكَوْنى) الكبير
العمر . و (المَكان) موضع كون الشيء
وهو حصوله. و(المَكانة)الموضع والمنزلة
جمعها مَكانات

تقول : (فلان مَكين عند فلان) أى
بين المكانة عنده

﴿كواه﴾ يكويه كَيا أحرق جلده
بحديدة . و (اكتوى) مطاوع كوى .
(المِكواة) حديدة يكوى بها البدن

﴿كى﴾ عن المغنى لابن هشام انها
تأتى على ثلاثة اوجه :

احدها أن تكون اسما مختصرا من
كيف تقول (كى تجنحون الى سلم) اى
كيف فحذفت الفاء كما يقال بعضهم سَوْ
أفعل يريد سوف أفعل

ثانيها ان تكون بمنزلة لام التعليل
معنى وعملا وهى الداخلة على ما الاستفهامية
فى قولهم السؤال عن العلة (كَيم جئت)
وتتصل بها الهاء عند الوقف فيقال (كيمه)
كما يقال (كمه) وعلى ما المصدرية كما فى
قوله (يرجى الفتى كيما يضر وينفع)أى
لانه يضر وينفع . وقيل ما كافة وعلى ان
المصدرية مضمرة وجوابا نحو (جئتك كى
تكرمنى) اذا قدرت النصب بأن

ثالثها أن تكون بمنزلة ان المصدرية
معنى وعملا وذلك فى نحو (لكى لا تأسوا)
يؤيده صحة حلول ان محلها وانما لو كانت
حرف تعليل لم يدخل عليها حرف تعليل
آخر.ومن ذلك قولك (جئتك كى تكرمنى)
وقوله تعالى (كى لا يكون دولة) اذا قدرت
اللام قبلها فان لم تقدر اللام فهى تعليلية
جارة ويجب حينئذ اضمار أن بعدها ولا
تظهر أن بعد كى الا فى الضرورة كقوله
(لسانك كيما ان تغر وتخدعا)

﴿الكى﴾ يستعمل الكى في الطب
لتحويل التهابات مزمنة . وقد كان قديم
الاستعمال عند الامم القديمة. ويرى الاطباء
المحدثون ان الحراريق والذراريح تقوم
مقامه ولا سيما اذا تكررت
على ان الاطباء المحدثين يستعملون

الكى فى عال النخاع الشوكى بواسطة جهاز خاص ويعملون عدة منها فى وقت وحيز واشتهر الكى الآن بالكهربائية فيسلطون تياراً بواسطة سلك على الجهة المراد كيها واكثر استعمال الكى فى اللثات الملتهبة وفى الجهات التى قطع منها السكالو والسنط من الاعضاء

﴿ كَيْت وكَيْت ﴾ تستعمل بمعنى كذا وكذا فيقال كان من أمره كيت وكيت اى كذا وكذا

﴿ كاده ﴾ يَكيده كَيداً خدعه والاسم المَكِيدة. و (كاده) احتال عليه. و (كاد فلانا) حاربه. و (كاد بنفسه) جاد بها و (كايده) مكر به. و (الكيد) الخبث والمكر والحيلة

﴿ الكِير ﴾ رق ينفخ فيه الحداد وأما المبنى من طين فهو كُور جمعه أكيار وكِيَرة بكسر ففتح

﴿ الكَيْس ﴾ الفطنة والسكون. و (كاس الغلام يَكِيس كَيسا وكِياسة) ظرف وفطن وسكن. و (كاس) حمق فهو ضد وهو (كَيِّس). و (كاس فلانا) غلبه فى الكياسة. (وكيّسه) جعله كيسا. و (كايسه) مكايسة غالبه فى الكَيس. و (كايسه فى البيع) غلبه. و (أكْيس الرجل إكياسا وأكاس إكاسة) ولد له أولاد كَيْسَى. و (تكيّس فلان) تظرف. و (الكِياسة) هى تمكين النفوس من استنباط ماهو انفع. و (الكَيْس) خلاف الحمق والجماعة. والطب. والجود. والعقل والظرف والفطنة. وحسن التأنى فى الامور

و (الكِيس) للدراهم والدنانير والدر والياقوت جمعه أكياس وكِيَسة بكسر ففتح

و (كَيسان) اسم للغدر و (الكَيِّس) الظريف البين الكياسة. و (امرأة مِكْياس) تلد الاكياس

﴿ الكيسانية ﴾ فرقة من الفرق الاسلامية أتباع المختار بن أبى عبيد الثقفى الذى قام بثأر الحسين بن على بن أبى طالب وقتل أكثر الذين قتلوا الحسين بكربلاء. قيل انه اخذ مذهبه عن مولى لعلى كان اسمه كيسان وقيل كيسان هذا لقبه. وقد افترق أهل مذهبه الى فرق يجمعها شيئان احدهما قولهم بامامة محمد ابن الحنفية (هو ابن على عليه السلام من غير فاطمة الزهراء) واليه كان يدعو المختار ابن أبى عبيد. والثانى قولهم بجواز البدء

على الله عز وجـل . ولهـذه البدعة قال بتفكيرهم كل من لايجـيز البدء على الله سبحانه وتعالى

وقد اختلف الـكيسانية فى سبب امامة محمد بن الحنفية فزعم بعضهم انه كان اماماً بعد أبيه على ابن أبى طالب واستدل على ذلك بأن علياً دفع اليـه الراية يوم الجمـل وقال له « أيبك محمـد لاخير فى الحرب اذا لم تزيك » (كذا)

وقال آخرون منهم ان الامامة بعد على كانت لابنـه الحسن ثم للحسين ثم صـارت الى محمـد بن الحنفية بعد اخيه الحسين بوصية منه حين هرب من المدينة الى مـكة وقد طولب بالبيعـة ليزيد بن معاوية

ثم افترق الذين قالوا بامامة محمد بن الحنفية فزعم قوم منهم يقال لهم الكربية أصحاب ابى كرب الضرير ان محمد بن الحنفية حى لم يمت وانه فى جبل رضوى وعنـده عين من المـاء وعين من العسل يأخذ منهما رزقه وعن يمينه أسد وعن يساره نمر يحفظانه من اعدائه الى وقت خروجه وهو المهدى المنتظر

وذهب البـاقون من الكيسانية الى الاقرار بموت محمد بن الحنفية واختلفوا فى الامام بعده فمنهم من زعم ان الامامة بعـده رجعت الى ابن اخيـه على ابن الحسين زين العـابدين . ومنهم من قال برجوعها بعده الى أبى هشام عبد الله بن محمد بن الحنفية . واختلف هؤلاء فى الامام بعد أبى هاشم . فمنهم من نقلها الى أبى محمـد بن على بن عبد الله بن عبـاس بن عبد المطلب بوصية أبى هاشم اليه وهذا قول الروندية ومنهم من زعم بأن الامامة بعد أبى هاشم صارت الى بيان بن سمعان وزعموا ان روح الله تعالى كانت فى أبى هاشم ثم انتقلت منـه الى بيان . ومنهم من زعم ان تلك الروح انتقلت من أبى هاشم الى عبـد الله بن عمرو بن حرب وادعت هذه الفرقة الهية عبد الله بن عمر ابن حرب . والبيانية والحربية كلاهما من فرق الغلاة وكان كثيرا الشاعر المشهور على مذهب الكيسانية الذين ادعوا حياة محمد ابن الحنفية ولم يصدقوا بموته ولذا قال فى قصيدة له :

ألا ان اللائمة من قريش
ولاة الحق أربعـة سواء

على والثلاثة من بنيه
هم الاسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط ايمان وبر
وسبط غيبته كربلاء
وسبط لايذوق الموت حتى
يقود الخيل يقدمها اللواء
تغيب لايرى فيهم زمانا
برضوى عنده عسل وماء

وقال كثير ايضا فى مذهبه ذلك :

برئت الى الاله من ابن اورى
ومن دين الخوارج اجمعينا
ومن عمر برئت ومن عتيق
غداة دعا امير المؤمنينا

يريد بعمر عمر بن الخطاب وعتيق ابا بكر الصديق

وقال كثير ايضا :

ألا قل للوصى فدتك نفسى
اطلت بذلك الجبل المقاما
أضرت بعشر ولوك منا
وسموك الخليفة والاماما
وعادوا فيك اهل الارض طرا
مقامك عندهم ستين عاما

ثم قال فى هذه القصيدة :

وماذاق ابن خولة طعم موت
ولا وارت له ارض عظاما
لقد أمسى بمجرى شعب رضوى
تراجعه الملائكة الكلاما
وان له لرزقا من امام
وأشربة يُعل لها الطعاما

وكان الشاعر المشهور السيد الحميرى على مذهب الكيسانية ايضا من الذين ينتظرون محمد بن الحنفية ويزعمون انه محبوس بجبل رضوى الى ان يؤذن له بالخروج ولذا قال فى شعر له :

ولكن كل من فى الارض فان
بذا حكم الذى خلق الاناما

وكان اول من قام بدعوة الكيسانية الى امامة محمد بن الحنفية المختار بن ابى عبيد الثقفى . وكان السبب فى ذلك ان عبيد الله ابن زياد لما فرغ من قتل مسلم بن عقيل وفرغ من قتل الحسين بن على عليهما السلام بلغه ان المختار بن أبى عبيد كان ممن خرج مع مسلم بن عقيل ثم اختفى فأمره باحضاره فلما دخل عليه رماه بعمود كان فى يده فشتر عينه وحبسه فتشفع اليه فى أمره قوم فأخرجه من الحبس وقال له قد احلتك ثلاثة ايام فان خرجت فيها

من الكوفة والا ضربت عنقك فخرج المختار هاربا من الكوفة الى مكة وبايع عبد الله بن الزبير وقاتل معه الى أن قاتل ابن الزبير جيش يزيد بن معاوية الذى كان تحت قيادة الحصين بن نمير السكونى واشتدت نكاية المختار فى تلك الحروب على أهل الشام . ثم مات يزيد بن معاوية ورجع جند الشام الى الشام واستقام لابن الزبير ولاية الحجاز واليمن والعراق وفارس ولقى المختار من ابن الزبير جفوة فهرب منه الى الكوفة وواليها يومئذ عبد الله بن يزيد الانصارى من قبل عبد الله بن الزبير فلما دخل الكوفة بعث رسله الى شيعة الكوفة ونواحيها الى المدائن ودعاهم الى البيعة له ووعدهم انه يخرج طالبا بثأر الحسين بن على ودعاهم الى محمد بن الحنفية وزعم أنه استخلفه وانه قد أمرهم بطاعته . واتفق ان عزل ابن الزبير فى خلال ذلك عبد الله بن يزيد عن الكوفة وولاها عبد الله ابن مطيع العدوى واجتمع الى المختار من بايعه فى السر وكانوا زهاء سبعة عشر الفا ودخل فى بيعته عبيد الله بن الحر الذى لم يكن فى زمانه أشجع منه وابراهيم بن مالك الاشتر ولم يك فى شيعة الكوفة اكثر منه تبعا فخرج بهم على والى الكوفة عبد الله بن مطيع وهو يومئذ فى عشرين الف مقاتل ودامت الحرب بينهما أياما ثم انتهت بهزيمة الوالى واستولى المختار على الكوفة فقتل كل من اشترك من أهلها فى قتال الحسين بن على بكربلاء . ثم صعد المنبر وخطب قائلا :

الحمد لله الذى وعد وليه النصر وعدوه الخسر ، وجعلهما فيهما الى آخر الدهر ، قضاء مقضيا ، ووعداً مأتيا

يا أيها الناس قد سمعنا دعوة الداعى وقبلنا قبل الواعى فكم من باغ وباغية ، وقتلى فى الواعية ، فهلموا عباد الله الى بيعة الهدى ، ومجاهدة العدا فانى أنا المسلط على المحلين ، والطالب بثأر ابن بنت خاتم النبيين

ثم نزل عن منبره وأنفذ بصاحب شرطته الى دار عمر بن سعد حتى أخذ رأسه ثم أخذ رأس ابنه جعفر بن عمر وهو ابن أخت المختار وقال ذاك برأس الحسين وهذا برأس ابن الحسين الكبير ثم بعث بابراهيم بن مالك الاشتر مع ستة آلاف رجل الى حرب عبيد الله بن زياد وهو يومئذ بالموصل فى ثمانين الف من جند الشام قد ولاه

عليهم عبد الملك بن مروان فلما التقى الجمعان على باب الموصل انهزم جند الشام وقتل رئيسه والحصين بن نمير فأنفذ ابراهيم ابن الاشتر برؤسهم الى المختار

فلما تمت للمختار ولاية الكوفة والجزيرة والماهين الى حدود ارمينية تكهن بعد ذلك وسجع كاسجاع الكهنة وقيل انه ادعى نزول الوحى عليه وروى أن من اسجاعه قوله :

أما والذى نزل القرآن ، وبين الفرقان ، وشرع الاديان ، وكره العصيان ، لاقتلن البغاة من ازدعمان ومذحج وهمذان ، ونهد وخولان ، وبكر وهزان ، وثعل ونبهان ، وعبس وذبيان ، وقيس وعيلان . ثم قال وحق السميع العليم ، العلى العظيم ، العزيز الحكيم ، الرحمن الرحيم ، لأعركن عرك الاديم ، أشراف بنى تميم

فبلغ خبر المختار محمد بن الحنفية وخاف من جهته الفتنة باسمه فى الدين فأراد قدوم العراق ليصير اليه الذين اعتقدوا امامته وسمع المختار ذلك فخاف ذهاب ولايته لمقدمه فقال لجنده أنا على بيعة المهدى ولكن للمهدى علامة وهو أن يضرب بالسيف ضربة فان لم يقطع السيف جلده فهو المهدى وانتهى قوله هذا الى محمد بن الحنفية فأقام بمكة خوفا من أن يقتله المختار

ثم أن المختار خدعه السبابية الغلاة من الرافضة فقالوا له أنت حجة هذا الزمان وحملوه على دعوى النبوة فادعاها لنفسه عند خواصه وزعم أن الوحى ينزل عليه وسجع بعد ذلك فقال :

أما وتمشى السحاب ، الشديد العقاب ، السريع الحساب ، العزيز الوهاب ، القدير الغلاب ، لأنبشن قبر ابن شهاب ، المفترى الكذاب ، المجرم المرتاب ، ثم ورب العالمين ، ورب البلد الأمين لأقتلن الشاعر المهين ، وراجز المارقين ، وأولياء الكافرين ، اعوان الظالمين ، وأخوان الشياطين ، الذين اجتمعوا على الأباطيل ، وتقولوا على الأقاويل الخ الخ

ونحن نرى أن زعيما كالمختار استهوى أفئدة الناس اليه وجمع الامصار عليه لا يمكن ان ينزل الى مثل هذا السجع الفارغ فهو ولا شك من تقولات الناس عليه . وهذا لا يمنع انه يتطالّ الى ما هو فوق قدره من مقاوم الشرف ، ورتب الكمال ، فأحبط عمله ، وأغضب المنتمين اليه . وقد حدث ذلك فان أهل الكوفة خرجوا عليه ،

ونصرته السبابية من غلاة الرافضة وعبيد أهل الكوفة لانه وعدهم أن يعطيهم أموال ساداتهم وقاتل بهم الخارجين عليه فظفر بهم وقتل منهم كثيرين وأسر جماعة منهم سراقة بن مروان البارقى فقدم الى المختار وخاف أن يقتله فاحتال بحيلة وذلك أنه لما مثل بين يديه رفع صوته قائلا ماأنتم أسرتمونا ولا أنتم هزمتمونا بعددكم وانما هزمنا الملائكة الذين رأيناهم على الخيل البلق فوق عسكركم . فأعجب المختار قوله هذا فخلى سبيله فلحق بمصعب بن الزبير بالبصرة وكتب الى المختار هذه الابيات

ألا أبلغ أبا اسحق انى
رأيت البلق دهما مصمتات
أرى عينى مالم تنظراه
كلانا عالم بالترهات
كفرت بوحيكم وجعلت نذرا
على قتالكم حتى الممات

أما سبب قول المختار بجواز البدء على الله عز وجل فهو ان ابراهيم بن الاشتر لما بلغه ان المختار تكهن وادعى نزول الوحى عليه قعد عن نصرته واستولى لنفسه على بلاد الجزيرة ، وعلم مصعب بن الزبير ان ابراهيم بن الاشتر لاينصر المختار فطمع عند ذلك فى قهر المختار ولحق به عبيد الله ابن الحر الجعفى ومحمد بن الاشعث الكندى وأكثر سادات الكوفة غيظا منهم من المختار لاستيلائه على أموالهم وعبيدهم وأطمعوا مصعبا فى اخذ الكوفة قهرا فخرج مصعب من البصرة فى سبعة آلاف رجل من عنده سوى من انضم اليه من سادات الكوفة وجعل على مقدمته المهلب بن أبى صفرة مع أتباعه من الازد وجعل أعنة الخيل الى عبد الله بن معمر التيمى وجعل الاحنف بن قيس على خيل تميم . فلما انتهى خبرهم الى المختار أخرج صاحبه أحمد بن شميط الى قتال مصعب فى ثلاثة آلاف رجل من نخبة عسكره وأخبرهم بأن الظفر يكون لهم وزعم ان الوحى قد نزل عليه بذلك فالتقى الجيشان بالمدائن وانهزم أصحاب المختار وقتل أميرهم ابن شميط وأكثر قواد المختار ورجع فلولهم الى المختار وقالوا له ألم تعدنا بالنصرة على عدونا ؟ فقال ان الله تعالى كان قد وعدنى ذلك لكنه (بدا له) أى أنه بدا له رأى آخر فتحول عن الاول . وهذا معنى قولهم أنه كان يقول بالبدء . واستدل المختار على قوله هذا بقوله تعالى (يمحوا الله مايشاء

ويثبت)

ثم ان المختار خرج لقتال مصعب ابن الزبير بنفسه فحدثت بينهما وقعة بالمذار من ناحية الكوفة وقتل فى تلك الوقعة محمد بن الاشعث الكندى فقال المختار طابت نفسى بقتله اذ لم يكن قد بقى من قتلة الحسين غيره ولا أبالى بالموت بعد هذا . ثم وقعت الهزيمة على المختار وأصحابه فانهزموا الى دار الامامة بالكوفة وتحصن بها مع أربع مئة من أتباعه وحاصرهم مصعب فيها ثلاثة أيام حتى فنى طعامهم ثم خرجوا اليه فى اليوم الرابع مستقتلين فقتلوا وقتل المختار معهم . وفى ذلك يقول أعشى همدان الشاعر :

لقد نبئت والانباء تنمى
بمالاقى الكوارث بالمذار
وما ان سرنى اهلاك قومى
وان كانوا وحقك فى خسار
ولكنى سررت بما يلاقى
ابو اسحق من خزى وعار

واختلف الكيسانية الذين انتظروا محمد بن الحنفية وزعموا انه حى محبوس بجبل رضوى الى أن يأذن الله له بالخروج واختلفوا فى سبب حبسه هنالك بزعمهم.

فنهم من قال لله فى أمره سر لا يعلمه الا هو ولا يعرف سبب حبسه . ومنهم من قال ان الله تعالى عاقبه بالحبس لخروجه بعد قتل الحسين بن على الى يزيد بن معاوية وطلبه الامان منه وأخذه عطاءه ثم لخروجه فى وجه الزبير من مكة الى عبد الملك بن مروان هاربا من ابن الزبير . وزعموا أن صاحبه عامر بن واثلة الكنانى سار بين يديه وقال فى ذلك المسير لاتباعه :

ياخوانى ، ياشيعتى لاتبعدوا ، ووازروا المهدى كى تهتدوا ، محمد الخيرات ، يامحمد انت الامام الطاهر المسدد ، لا ابن الزبير السامرى الملحد ، ولا والذى نحن اليه تقصد

وقال الذين اختلفوا فيه انه كان يجب عليه أن يقاتل ابن الزبير ولا يهرب فعصى ربه بتركه قتاله وعصاه بقصده عبد الملك ابن مروان وكان قد عصاه قبل ذلك بقصده يزيد بن معاوية ثم انه رجع من طريقه الى ابن مروان الى الطائف ومات بها ابن عباس ودفنه محمد بن الحنفية ثم سار منها الى الذر فلما بلغ شعب رضوى اختلفوا فيه فزعم المقرون بموته أنه مات فيه وزعم المنتظرون له أن الله حبسه

هنالك وغيبه عن عيون الناس عقوبة له على الذنوب التى أضافها اليه الى ان يؤذن له بالخروج وهو المهدى المنتظر

﴿كيس الراعى﴾ اسم نبات كثير الوجود بأوروبا له أوراق جذرية عليقية أى مستطيلة ريشية التشقق وفصوصها حادة متجهة نحو القاعدة وله أزهار بيضاء صغيرة وثمار ثلاثية الزوايا مقورة من الاعلى وعلى شكل قلب منقلب وهو يزهر فى معظم السنة ويكون على حافات الطرق والحيطان والبساتين

(خواصه الطبية) فيه قبض وعصارته تستعمل من أوقية الى اربع أوقيات علاجا للبول الدموى وغير ذلك من الانزفة حتى فى البهائم . واشتهر أيضا بمضادته للحفر والحمى وادرار البول والربو الرطب والاستسقاء وغير ذلك. واعتبروا بزوره صالحة لتنبيه التغلب وأوصوا بوضع النبات كله مدقوقا على الاوجاع الروماتيزمية والبواسير ونحوها

قال العلامة (ميريه) كتب لنا الطبيب ليجون أنه نال نتائج عظيمة من هذا النبات فى أمراض الصدر وسيما فى النفث الدموى

ينبغى استعمال هذا النبات طريا لانه اذا جف زالت خواصه وقد قل استعماله الآن

وقال عنه أطباء العرب : انه يفجر الدبيلات التى تحدث فى الجو اذا شرب وهو يدر الطمث ويضر الحوامل . واذا احتمل به نفع من عرق النسا . وهو لقوة فعله فى البدن والاسهال يسهل دما ويخرج بالقىء بلاغم واخلاطا مرارية اذا شرب منه مقدار أربعة دوانق ونصف

وقال ديسقوريدس بزره حريف مسخن اذا شرب منه ١٨ قيراطا أخرج المرة الصفراء بالقىء والاسهال

وذكر قراطس أن منه صنفا يسميه بعض الناس بالخردل الفارسى ونباته عريض الورق كبير الاصل وهو أقلها حرافة وحدة يدخل جرمه وبزره فى اخلاط الحقن لعرق النسا فينفع نفعا بينا ويعرف هذا الصنف فى الشام بالحرقف ويسميه أهل مصر والموصل حرفوف وحشيشة السلطات وقد يصلح بالملح والماء ينشف ويعمل باللبن فيطيب طعمه ويجيش فيشهى وهو اجود الابزاز التى تعمل باللبن

﴿كيف﴾ يقال فيها كى كما يقال فى سوف سو وهى اسم مبهم غير متمكن وتستعمل على وجهين أحدهما ان تكون شرطا فتقتضى فعلين متفقى اللفظ والمعنى غير مجزومين نحو (كيف تصنعُ اصنعُ) ولا يجوز (كيف تجلسُ أذهبُ) ولا (كيف تجلسْ أجلسْ) بالجزم وقيل يجوز الجزم بشرط اقترانها بما

والثانى وهو الغالب فيها أن تكون استفهاما اما حقيقيا نحو (كيف زيد ؟) او غيره نحو (كيف تكفرون بالله؟) فانه اخرج مخرج التعجب ونحو قوله (كيف ترجون سقاطى) فانه اخرج مخرج النفى ونحو قوله تعالى (وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله) فانه للتوبيخ

وتقع خبرا قبل ما لا يستغنى عنه نحو (كيف انت وكيف كنت) ومنه (كيف ظننت زيدا) و (كيف علمت فرسك)

وتقع حالا قبل ما يستغنى عنه نحو (وكيف جاء زيد) اى على اى حالة كقولك (لأكرمنك كيف كنت)

وتقع مفعولا مطلقا نحو (كيف فعل ربك) اى اى فعل فعل ربك . ومثله (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد) اى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد يصنعون

ولا يسأل بكيف الا عن الاوصاف الغريزية يقال: (كيف زيد أصحيح أم سقيم) ولا يقال (كيف زيد اقاعد ام قائم) بل يكون السؤال عن مثل هذه بهل أو بالهمزة

(الكَيْفة) الكسفة من الثوب . والخرقة ترقع ذيل القميص من قدام. وما كان من خلف فحَيْفه جمعها كِيَف

و (الكيفية) من كل شيء حاله وصفته

و (كيفما) مركبة من كيف وما اسم شرط نحو كيفما تتوجهْ تصادفْ خيرا

﴿كال﴾ الطعام يَكيله كَيلا حقق مقداره بواسطة الكيل ومثله (كيَّل الطعام) و (اكتال منه أو عليه) اخذ منه وتولى الكيل بنفسه . و (الكِيالة) حرفة الكيال واجرة الكيل و (الكِيلة) نوع الكيل

﴿الكَيلة﴾ صحتها بالعربية (الكيلجة) هى فى مصر جزء من اثنى عشر جزءا من الاردب وهى ربعان

﴿الكيلوغرام﴾ هو من الموازين

الفرنسية يساوى الف غرام أو ٣٢٠ درهم والغرام هو وزن سنتيمتر مكعب من الماء الذى درجته ٤ فوق الصفر . والكيلوغرام مشمول وعاء مكعب طوله عشرة سنتيمترات وعرضه مثلها وارتفاعه كذلك

﴿ الكيلو متر ﴾ هو مقياس فرنسى تقدر به الاطوال طوله الف متر

﴿ الكيمياء ﴾ هو علم يبحث فيه عن طبائع وخواص الاجسام الارضية وكيفية تحليلها وتركيبها

يعتبر هذا العلم من العلوم الحديثة العهد فلم يبعد تاريخ تكونه على حالته المعروفة اليوم عن مئة سنة . أما قبل ذلك فقد كان عبارة عن نظريات تجريبية لا انظام لها ولا قانون يجمع شتاتها وكثيراً ماكانت محتوشة بالخطأ . أما اليوم فقد صارت الكيمياء من وجهتها النظرية والعلمية فى مصاف جميع العلوم المقررة ومما يؤثر عنها أنها ترقت ترقيا سريعا للغاية فان قيامها على حالتها العصرية لم تكن نتيجة مجهودات القرائح فى أجيال عديدة كما كانت حال جميع العلوم الاخرى فان مسائل تحليل الهواء ونظرية الاحتراق والتنفس والتمييز بين الاجسام القابلة للوزن وغير القابلة للوزن والفصل بين الاجزاء البسيطة والمركبة وجميع المكتشفات التى قلبت حال هذا العلم تمت كلها فى خمس عشرة سنة . وكل هذه الانقلابات السريعة المدهشة التى طرأت على هذا العلم هى عمل رجل واحد هو لافوازييه العالم الفرنسى

وقد عزى الى العلامة لافوازيية أيضا القانون الطبيعى الخطير وهو (لاشىء يجدّ فى الكون ولاشىء يعدم فيه)

كان العلماء فى منتصف القرن الثامن عشر يسلمون بما كان يقول به العلماء الاقدمون من الخلط بين المادة نفسها وبين الحالة التى تكون عليها من صلابة وسيوله وغازية . وكان القول بالعناصر الاربعة الماء والتراب والهواء والنار من المقررات العلمية الثابتة . ومن هنا سرى اليهم الاعتقاد بتطور المعادن واستحالاتها وامكان تحول النحاس وغيره الى ذهب

ولكننا تحققنا اليوم أن الماء والهواء اللذين كانا يعتبران عنصرين ليسا غير جسمين مركبين، وأن التراب وهو العنصر الوحيد المشتبه قد حلت محله العناصر المختلفة الحالية ، وان النار بدل أن تعتبر مادة من المواد قد اعتبرت ظاهرة من الظواهر

الطبيعية . من هنا نشأ حد فاصل بين الاجسام القابلة للوزن والاجسام غير القابلة له وهذا الفصل أيضا من عمل لافوازيه

وقد عزى الى لافوازييه القانون الكيماوى المشهور (لاشىء يجد فى الكون ولا شىء يعدم فيه) ولكن ظهر ان هذا القانون كان يقول به أتباع الفيلسوف ابيقور . وقيل أن لافوازييه هو أول من استخدام الميزان فى الكيمياء وهو خطأ فان الميزان كان من أخص أدوات الكيمياء فى كل زمان ومكان

كان علماء الكيمياء الى القرن الثامن عشر يجهلون أن فى الكون غازات مستقلة عن الهواء العادى ولكن العالم (بويل) فى ذلك العهد نجح فى توليد (هواء صناعى) بصب حمض الفيتريوليك الممدود بالماء على الحديد ، وغفل أن هذا الغاز المتولد الذى سماه (هواء صناعيا) هو الايدروجين وجاء (هاليس) و (بويرهاف) فلم يكونا أبصر من بويل بحقيقة ذلك الغاز

وظل العلامة (بوميه) مدة طويلة يحسب الايدروجين هواء وينسب عدم امكان الاحتراق فيه الى مواد زيتية معلقة فى الهواء

وقد تساءل لافوازييه قائلا قبل اكتشاف عنصرى الهواء : « هل توجد أنواع من الهواء ، وهل هذه الاهوية المختلفة التى نجدها فى الطبيعة أو نتوصل الى تكوينها هى تغيرات من الهواء الجوى؟ »

فلما نبغ الطبيعى الانجليزى (بلاك) أثبت فى سنة (١٧٥٧) وجود حمض الكربونيك مستقلا عن الهواء ودلل على أنه يزول باتحاده بالقلويات ويعود للظهور ثانية ان عوملت تلك القلويات بالنار أو بالحوامض وعلى انه يبقى على حالته مع مروره من مركب الى مركب آخر

ولما ظهر (كافانديش) أثبت فى سنة ١٧٦٧ وجود غاز جديد سماه الهواء القابل للالتهاب . وكان هذا الغاز هو الايدروجين

ومن سنة ١٧٧١ الى سنة ١٧٧٤ اكتشف بريستلى أعظم الغازات وهو الاوكسيجين وسماه الهواء الديفلوجيستيك وبى اوكسيد الازوت وسماه الهواء النترى وبروتوكسيد الازوت وسماه الهواء النترى ديفلوجيستيك ، والامونياك وسماه الهواء القلوى الخ

ولما اكتشف لافوازييه سنة ١٧٧٧

اوكسيد الكربون ، وفولتاسنة١٧٧٨ غاز المستنقعات ، واكتشف شيل غاز الكلور بطلت نظرية وجود غاز مفرد وحلت محلها نظرية وجود اجسام كثيرة ذات اشكال غازية

ثم ان لافوازييه استفاد من جميع هذه الاكتشافات واستخدمها فى تجاربه فتأدى الى احداث الانقلاب العظيم الذى احدثه فى علم الكيمياء . اول ماتصدى لذلك اثبت سنة ١٧٧٤ ان المعادن فى استحالتها الى جير تزداد وزنا واثبت ان تكلس القصدير فى اوان مؤصدة ناشىء من اتحاده بمقدار من الهواء وان هذا الكلس مساو لذلك المقدار من الهواء . وبرهن ايضا ان هذا القدر هوجزء من الهواء لاالهواء برمته وسمى ذلك الجزء الاوكسيجين وان الجزء الذى يبقى فى الآنية من الهواء هوغاز آخرسماه الازوت فأثبت بهذه التجربة ان الهواء مكون من عنصرين هما الاوكسيجين والايدروجين فأغضب اكتشافه هذا جمهور العلماء وعدوا لافوازييه مبتدعا فى العلم حتى حمل السخط علماء برلين على احراق صورته

ولكن لافوازييه لم ينهزم امام هذه المظاهرات التعصبية فأثبت بواسطة التركيب صدق نظريته التحليلية اى انه أتى بمقدار من الاوكسيجين وآخر من الايدروجين فركب منهما الهواء بصفاته المعروفة

ثم أخذ فى بيان خواص هذين الغازين فبين وظيفة الاوكسيجين فى تركيب الحوامض سنة (١٧٧٣) فبرهن انه بانضمام الاوكسيجين الى الكبريت والفوسفور والكربون يتكون حمض الكبريتيك والفوسفوريك والكربونيك وان اوزان هذه الحوامض المختلفة هى عين وزن كل جسم منها مضافا اليه الاوكسيجين الذى دخل فى تركيبه

واثبت لافوازييه أيضا ان تنفس الحيوانات هو عبارة عن احتراق بطىء لانها تمتص الاوكسيجين من الهواء وتخرجه على هيئة حمض كربونيك

وزن هوولابلاس سنة ١٧٨٣ بكل دقة نتائج التنفس بواسطة ميزان الثقل وميزان الحرارة

وفى سنة ١٧٨٢ كلف العالم جيتون دومورفو بتحرير القسم الكيماوى فى الانسكلوبيذيا التى كانت تدعى اصولية فشرع فى احداث تسمية جديدة للاجسام

تدل على مايدخل فى تركيبها من البسائط وعلى شىء من خواصها الاصلية . فبذل عدة سنين فى هذه السبيل ولاجل ان يبلغ الغاية منه استعان باخوانه من العلماء الكيماويين المعاصرين وكان منهم لافوزييه نفسه والعلماء بيرتوليه وفوركروا فوالوا الاجتماعات ثمانية اشهر متوالية حتى أتموا هذه التسمية ورفعوها الى المجمع العلمى فى جلسته المنعقدة فى ١٨ ابريل سنة ١٧٨٧ وكانت تستند على تجارب لافوازييه وتستمدهم أصولها من التمييز بين المركبات الثنائية الاوكسيجينية من أكاسيد وحوامض وهى التى بتركبها تكون الاملاح المختلفة . وقد اعطيت الاجسام البسيطة أسماء تشير الى خواصها الرئيسية . ودعيت الاجسام المركبة بأسماء تومىء الى عناصرها المركبة لها . فالاكسيجين باتحاده مع الكربون والكبريت والفوسفور والازوت والزرنيخ يكون حمض الكربونيك والفوسفوريك والازوتيك والزرنيخيك. وينتج من اتحاده بالمعادن مركبات سموها أكاسيد يطبقون على كل منها لفظ اوكسيد متبوعا باسم المعدن . والمركبات الثنائية الخالية من الاوكسيجين اعطوها اسماء منحوتة من أسماء مركباتها مثل كبريتور الرصاص وكلورور الحديد . واذا اتحد جسمان بسيطان احدهما بالآخر على نسب مختلفة فأوجدا مركبات عديدة يشار الى أقل مركباتها اوكسيجينا بلفظ اوز (*eux*) فى آخر الاخير منهما والى أكثرها اوكسيجينا بلفظ ايك (*ique*) مثل حمض الكبريتوز *acide sulfureux* وحمض الكبريتيك الخ *acide sulfurique*

والمركبات الاشد تركبا اللاتى كانت معروفة اذ ذاك فى الكيمياء المعدنية ظهر لهؤلاء العلماء انها تتأدى جميعها الى املاح فأعطوها أسماء باعتبارها مركبات ثنائية فاعتبر كل ملح مكونا من حمض واوكسيد فوضعوا اسميهما معا بعد حذف كلمة حمض وابدال الوصف التالى لها بكلمة اخرى تنتهى بحرفى آت او بحروف إيت مثل قولهم سلفات اوكسيد النحاس أو بالايجاز سلفات النحاس وكبريتيت النحاس

وفى سنة ١٧٨٩ أوضح برتيللو الصفات الحمضية للايدروجين المكبرت وحمض البروسيك الخاليين كليهما من الاوكسيجين

وبين (دافى) بعده ان الكلورليس بأوكسيد لحمض المورياتيك ولكنه أصل

ذلك الحمض

وأظهر لافوازييه شكه في كون القلويات والبوتاسا والجير والالومين اجساما بسيطة

وفي سنة ١٨٠٠ استخدم العمود الكهربائي الذي اخترعه فولتا سنة ١٨٠٠ في التحاليل الكيماوية . وبتحليله البوتاسا والجير الخ بواسطة التيار الكهربائي اكتشف المعادن القلوية والقلويات الترابية

واثبت دافي ايضا ان الكلور عنصر بسيط بعد أن كان يعتبر مركبا باسم حمض المورياتيك الاوكسيجيني . وبعد أن بذل تينار وغيلوساك مجهودات عظيمة لتخليصه من الاوكسيجين الذي كان يتوهم فيه عادا فاعترفا مع دافي بأنه جسم بسيط . والى دافي هذا يرجع فضل البت بأن الكلور جسم بسيط وانه باتحاده مع الايدروجين يكون حمضا فتأيد قول لافوازييه ان الاوكسيجين وحده ليس بالعنصر المكون للحوامض بل ان هنالك أجساما اخرى مشابهة له تعطي باتحادها مع الايدروجين مركبات حمضية لاتخلو من مشابهة مع الماء

وبينما كان لافوازييه يضع أساس علم الكيمياء العصري كان علماء آخرون مثل (ونزل) يجدون وراء تقرير النسب القابلة للوزن للاجسام الصلبة ولاحجام الغازات التي تؤثر عليها بواسطة رد الفعل فنالت الكيمياء بواسطتهم درجة عظيمة من الدقة وتأسست الوسائل التحليلية المضبوطة

وبعد هذا التاريخ بعشرين عاما نشر العالم (ريختر) كتابه المدعو صناعة قياس العناصر الكيماوية فأثبت فيه مشاهدات (ونزل) وقرر النسب التي تتحد الاجسام بعضها ببعض على موجبها

وأفاض العالم دالتون في الكلام على القوانين التي تسري على نسب الاتحادات بين الاجسام

وفي سنة ١٨١١ أثبت الكيماوي الايطالي المدعو (افوغادرو) ان بين ذرات الاجسام الغازية تنافرا وقرر ان عدد هذه الذرات للغازات المختلفة يكون واحداً في الاحياز المتساوية

وتوالى بعد هؤلاء العلماء دوماس وبرتيللو وفرانكلان ومينديليف ووليم تومسون وفراديه وفريي وكابور وهوفان ومتسشرليخ وبيو وبيرسوز وبان وكيركوف وبراكونو ودفيل ودوليج ووهلر وبونس وورتز وويليامسو

وجبر هاردوت أوجد كل منهم لعلم الكيمياء اما اكتشافا جديداً أو اسلوبا نافعا فوصل العلم بمجهوداتهم الى حالته الراهنة ولا سبيل بنا الى تفصيل اعمال كل من هؤلاء العلماء لانها فنية محضة ولانهم لا طائفة الكيماويين وليس علينا فى هذه الدائرة الا بيان تاريخ هذا العلم بوجه عام وقد قمنا به فى هـذه المجالة على صورة نراها كافية لمثل هذه الـكتاب

(الكيمياء عند المسلمين) ثبت ان المسلمين الاولين اتجهت عنايتهم الى اتقان سائر العلوم وأول من نقل علم الـكيمياء من اليونانية الى العربية هو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان وعنه أخذها جعفر الصادق المتوفى سنة (١٤٠) ثم نبغ بعدهما جابر بن حيان ثم الكندى ثم ابو بكر الرازى وسواهم فاكتشفوا كثيرا من المركبات الكيماوية وعرفوا أشياء جمة عن أسرار اتحادات عناصرها ولا شك فى ان كيماويى العرب هم الذين وضعوا أساس الـكيمياء العصرية بما اكتشفوه فيها من الاجسام والمركبات وما أحدثوه فى أساليبها من التحسين

وقد ذكر محققو المؤرخين من أهل اوروبا انهم حضروا حمض النتريك وحمض الكبريتيك وماء الذهب أى حمض النيترو ايدروكلوريك واكتشفوا البوتاسا وروح النشادر وملحه وحجر جهنم (نترات الفضة) والسليمانى (كلوريد الزئبق) والراسب الاحمر (اكسيد الزئبق) وملح الطرطير وملح البارود (نترات البوتاسا) والزاج الاخضر (كبريتات الحديد) والكحول والقلى والزرنيخ والبورو وغيرها من المركبات التى لم يصل الينا خبر عنها ومن الذى كان يعتقد ان البارود المستعمل فى الحرب هو من أعمال العرب لولا ما ذكره بعض المؤرخين من منصفى الاوربيين. وهم أول من أوجد التقطير والترشيح والتصعيد والبـلورة والتذويب وكتب أماثلهم فى ابطال كيمياء الذهب والحكم بأنها من مولدات الخيال وأول من ألف فى ذلك الفيلسوف يعقوب الكندى فى أواسط القرن الثالث للهـجرة وقد تابعـه الشاعر فقال:

أعيا الفلاسفة الماضين فى الحقب
ان يصنعوا ذهبا الا من الذهب
او يصنعوا فضة بيضاء خالصة
الا من الفضة المعروفة النسب

فقل لطالبها من غـير معدنها
أضعت عمرك فى التنكيد والتعب

للكيمياء الذهبية انصار فى كل زمان ومكان وقد انتشر القول بها فى بلاد المسلمين واشتغل بها رجال كثيرون ومنهم من صرح فى كتبه وشعره بأنه وصل اليها ولا ندرى مبلغ هذا القول من الصحة

وقد اشتغل بها الاوربيون ايضا نقلا عن العرب وقد وصلوا أخيرا الى تكوين الذهب بالصناعة ولكنه يحتاج لنفقة طائلة

ويحسن بنا أن نثبت هنا قصيدة عصماء لابى الحسن الانصارى علي بن موسى الاندلسى المتوفى سنة (٥٩٣) وهو من كبار الذين اشتغلوا بعلم الكيمياء الذهبية وقال فيها من الشعر ما يعد من أرقه وأبلغه حتى قيل فيه ان لم يعلمك صناعة الذهب، علمك صناعة الادب. وقيل هو شاعر الحكماء ، وحكيم الشعراء . وهذه القصيدة طائية بدأها بالغزل وانتقل منه الى قصة موسى ثم تخلص من ذلك الى ذكر صناعة الكيمياء ولا يخلو بيت من غزله وما قاله فى قصة موسى من الاشارة الى صناعته قال :

بزيتونة الدهن المباركة الوسطى
عنينا فلم نبدل بها الاثل والخمطا

صفونا فآنسنا من الطور نارها
تشب لنا وهنا ونحن بذى الارطى

فلما أتيناها وقرب صبرنا
على السير من بعد المسافة ما اشتطا

نحاول منها جذوة ما ينالها
من الناس من لا يعرف القبض والبسطا

هبطنا من الوادى المقدس شاطئا
الى الجانب الغربى نمتثل الشرطا

وقد أرج الارجاء منها كأنها
لطيب شذاها تحرق العود والقسطا

وقمنا فألقينا العصا فى طلابها
اذا هى تسعى نحوها حية رقطا

وثار لطيف النقع عند اهتزازها
وأظلم من نور الظهيرة ما غطى

ومد اليهـا الفيلسوف يمينه
فجاذبها أخذا وأوسعها ضغطا

فصارت عصا فى كفه واحبها
وأخرجها بيضاء تجلو الدجى كشطا

فلم أر ثعبانا أدل لعالم
سواها ولا منها على جاهل أسطى

هى المركب الصعب المرام وانها
ذلول ولكن لا لكل من استمطى

فأعجب بها من آية لمفكر
يقصر عن ادراكه كل من اخطى

وتفجيرها من صخرة عشر أعين
رثنتين تسقى كل واحدة سبطا
وتفليقها رهوا من البحر فاستوى
طريقا فمن ناج ومن هالك غمطا
فذلك عصانا لا عصى خيزرانة
على انها فى كف ممسكها ألطا
وقد كان للزيتون فيها قساوة
ولكن لين الدهر صيرها نفطا
تسيل بماء الخد أبيض صافيا
اذا ماشرطناه على ساقها شرطا
ومن قبل ما أغوى ابانا بذوقها
جذاذا فأخطى والقضاء فما أخطا
قطفت جناها واعتصرت مياهها
فجمدت ما استعلى وذوبت ماانحطا
ولينة الاعطاف قاسية الحشا
اذا نفثت فى الصخر تصدعه هبطا
كأن عليها من زخاريف جلدها
رداء من الوشى المفوف أومرطا
توصل ابليس بها فى هبوطه
الى الارض من عدن ففارقها سخطا
امت بها حيا وسودت أبيضا
واسرفت فى قلع السواد فما ابطا
وأحييت تلك الارض من بعد موتها
برى وكانت تشتكى الجدب والقحطا

كأن العيون الثابتات بخصرها
عقدن نطاقا أو على جيدها مطا
كأن من البدر المنير مشابها
ومن انجم الجوزاء فى اذنها قرطا
كأن من الصدغ الذى فوق خدها
على ورده نونا ومن خاله نقطا
ظفرت بها بالنفس من جسم امها
كما ظفرت بالقلب فى صدره لقطا
وأرضعتها بالدر من ثدى بنتها
فعاشت وكانت قبل ماتت به عبطا
فحلت به روح الحياة كأنما
مزجت لها فى ذلك الدراسفنطا
و يرتها بنتا وصيرت بنتها
لها مرضعا فاعجب لمرضعة شمطا
فحلت هناك البنت والام فضة
فتى لم يزاحمه العذار ولا خطا
له منظر كالشمس يعطى ضياؤه
وليس كمثل البدر يأخذ ما أعطى
فهذا الذى اعيا الانام فاضمروا
لمن وضعوا الارماز فى علمها سخطا
وهذا هو الكنز الذى وضعوا له
برابى أخميم وخصوا بها قفطا
وتخليصه سهل بغير مشقة
لمن عرف التطهير والعقد الخلطا

أبا جعفر خذها اليك يتيمة
تورع لوقا أن يورثها قسطا
ولكننى لما رأيتك أهلها
سمحت بها لفظا وأثبتها خطا

ومن شعره ايضا فيها :

لقد قبلت عيناى من عينه قلبى
بلينة الاعطاف قاسية القلب
يهيم الفتى الشرقى منها بغادة
تشوق الى شرق وترغب عن غرب
هى الشمس الا انها قمرية
هى البدر الا انه كامن الشهب
اذا الفلك النارى أطلع شهبها
على الذروة العليا من الغصن الرطب
تراءت عروسا برزة الوجه تبتغي
رفاقا وكانت خلف الف من الحجب
فزوجها بكرا أخاها لأمها
أبوها رجاء فى المودة والقرب
فعاد بها حيا وكان فراقها
له سبب اذ مات من شقة الحب
فجن هوى لما استجنت بنفسه
وطار فقالت بعد جهد له حسبى
ولما ثنته عن طبيعته التى
بدت عنه الا أن تناهبها قلبى

تعالى عن الاشياء لونا وجوهرا
وجل فلم ينسب الى طينة الترب

﴿ كان ﴾ له يكين كَيْنا خضع

﴿ الكينونية ﴾ من الفرق الدينية زعموا أن الاصول ثلاثة النار والارض والماء وانما حدثت الموجودات من هذه الاصول دون الاصلين اللذين أثبتهما الثنوية قالوا والنار بطبعها خيرية نورانية والماء ضدها فى الطبع فما رأيت من خير فى هذا العالم فمن النار وما كان من شر فمن الماء والارض متوسطة. وهؤلاء يتعصبون للنار من أنها علوية نورانية لطيفة ولا وجود الا بها ولا بقاء الا بامدادها. والماء يخالفها فى الطبع فيخالفها فى الفعل. والارض متوسطة بينهما فيتركب العالم من هذه الاصول

﴿ الكنكينا ﴾ اسم امريكى لجملة قشور من أشجار تنبت ببلاد امريكا وقد عرفت هذه القشور بمضادتها للحمي ولا سيما القشور المأخوذة من جنس سنكونا وقد يطلق عليها اسم كينا أيضا . وأما سنكونا فهو آت من اسم زوجة حاكم البيرو وكانت تسمى سنكون

قد عرف الاسبانيون الفاتحون لامريكا خواص الكينا ضد الحمى فى سنة (١٦٣٢)

حيما أعطاها هندى من هنود أمريكا لاحد الجنود الاسبانيين فبال بها الشفاء ولكن لم تتضح خواصها الا سنة ١٦٣٨ حيث مرضت زوجة حاكم البيرو المسماة سنكون بحمى ثلاثية استعصت على جميع الوسائل فأعطاها حاكم لوكسا مسحوق الكينا فشفيت سريعا فحدث من ذلك تأثير كبير واشتهرت الكينا منذ ذلك الحين بمضادتها للحمي ثم حملت الى اسبانيا سنة ١٦٤٠ مع تلك الاميرة وشهرتها باسم مسحوق الاميرة

وفى سنة ١٦٥٩ اشتهر أمرها عند اليسوعيين برومية وسموها هناك بمسحوق اليسوعيين

وفى سنة ١٤٧٩ اشترى لويز الرابع عشر ملك فرنسا هذا الدواء السرى من انجليزى يسمى تالبوت وكان لم يعلم فى فرنسا بأن هذا المسحوق هو مسحوق قشر شجرة الكنكينا. فلما هلت سنة ١٦٨٢ عرف ذلك السر فأخذ التجار يستوردونها ويبيعونها للناس

ثم تقرر تأثير الكينا على الحميات طبيعيا بعد توالى المشاهدات فى المستشفيات ولكن لم تشرح شجرة الكينا شرحا علميا الا سنة ١٧٣٧ حيث قام بذلك العلامة كندامين

شجرة الكينا جميلة مغطاة دائما بأوراق وجدعها معتدل طوله من ١٠ الى ١٥ قدما أى نحو خمسة أمتار وقطرها ٣٠ سنتيمترا وقشورها مشققة بشقوق كثيرة ولونها سنجابى رمادى ويسيل منها بالشق عصارة مصفرة مرة قابضة وفروع هذا الشجر مستقيمة متقابلة أفقية وتحمل أوراقا متقابلة بيضية سهمية لامعة خالية من الزغب وتقرب لان تكون جلدية وطول الذنيب نحو ٣ سنتيمترات . وأزهارها بيضاء أو وودية ومهيئة بهيئة قمة انتهائية وحوامل الازهار أسطوانية حريرية كأنها غبارية وثمرها كم بيضى متوج بأسنان الكأس وثنائى المخزن وينفصل عن القاعدة نحو القمة الى جوزتين يحتويان على بزور كثيرة عدسية الشكل

(الصفات الكيماوية لقشور الكينا)

ذكر العلامة بوشرداه ان هذه القشور تنقسم الى رتبتين احداها كينا صادقة وتدخل فيها الانواع التى تحتوى على مقدار عظيم من الكينين أو السنكونين ويكون فيها خاصة مضادة الحمى ، وثانيها كينا

كاذبة لا تحتوى على شىء أصلا وانما هى قشور عادمة التأثير

وبعض العلماء يقسم قشور الكينا الى سنجابية وصفراء وحمراء ولكن هذا التقسيم لا يخلو من الاشتباه

قال بوشارداه أن الكينا السنجابية والصفراء والحمراء تحتوى على حسب تحاليل بالتيير وكونتو على كينا الكلس وكينات الكينين وكينات السنكونين والأحمر السنكونى الغير القابل للذوبان ومادة ملونة صفراء ومادة شحمية خضراء ونشا وجسم خشبى

وأنواع الكينا السنجابية والصفراء تحتوى على صمغ على حسب ماذكره هنرى وبليسون يوجد الكينين والسنكونين بمقدار كبير متحداً بالاحمر السنكونينى . وعلى حسب تحليلى تحتوى كينا جان على اريسين انتهى كلام بوشارداه

اما الاوصاف الرئيسية الهامة للجواهر الموجودة فى انواع الكينا فهى ان كينات الكينين والسنكونين ملحان يذوبان جيداً فى الماء ولا يذوبان فى الكحول الذى فى درجة ٣٩ من مقياس الكثافة وانما يذوبان فى الكحول الضعيف . والقلويات تحلل تركيبهما وترسب منها القواعد وطعمهما شديد المرار ويمكن تبلورهما اذا نقيا بالماء المقطر بعدا حالتهما بتبخير محلولاتهما الى الجفاف فيتحولان شيأ فشيأ الى كتلة حلمية مكونة من بلورات لامعة . والأحمر السنكونينى القابل للذوبان والغير القابل له لهما صفات قريبة جدا من المادة التنينية النقية أو المتغيرة فقد استخرج برزليوس من الاحمر القابل للذوبان مادة تنينية عادمة اللون

وأما المادة الدسمة والشحمية وكينات الكلس والمادة الملونة وغير ذلك فليس لها قيمة طبية

وقد بحث العلماء فى أجزاء شجرة الكينا فوجدوا ان الجوهر الخشبى والدقيق واللعاب أى الصمغ لا يصح أن تنسب لها فاعلية الكينا

وكذلك كينات الكلس والمادة الخضراء والمادة الصفراء القليلتا الطعم والاحمر السنكونينى الذى هو عادم الطعم قليل الذوبان فى السوائل ولا ينكر تأثير المادة التنينية التى فى الكينا لان لها دخلا فى فعلها الدوائى . وانما ينبوع القوة الدوائية فى الكينين والسنكونين اذ انهما يؤثران

على عضو الذوق واستعمالها يحرض النتائج الصحية الفزيولوجية فى البنية، فقوة فاعليتها ثابتة بالتجارب الكلينيكية فهما مركز قوة الكينا والكينين والسنكونين فى ذلك سواء وكما يصح استعمالها نقيين يستعملان أيضا محلولين الى كبريتات وكل منهما فيه خاصية مضادة الدورية واضحة

(خواص الكنكينا الطبية) الكينا علاج عظيم القدر فى ازالة الامراض الناتجة عن الاسترخاء وقلة التغذية وضعف الاعضاء لجمعها وتركيبها الطبيعيين اذا غيرها ضعف التغذية . ولكن استعمالها يكون خطراً فى الاحوال التى يوجد معها حرارة أو تهيج أو التهاب فى محل ما من البنية فقد تزيد فى العمل الالتهابى وتنشره فى المنسوجات والاجهزة الاخر . فعند ماتكون الطرق الهضمية ملتهبة يتسبب من تأثيرها على السطح المعدى المعوى عطش وجفاف فى اللسان وحرارة باطنة ورياح معوية وقولنج وغير ذلك اذا وصلت أجزاؤها الممتصة لجميع المنسوجات العضوية فانها تؤثر على القلب والاوعية الدموية بحيث يحصل فيها حساسية مرضية فيحصل فى النبض زيادة حيوية وفى الجلد حرارة وجفاف

فاذا كان فى اللب المخى والنخاعى عمل التهابى كان كثيراً ما يحصل من فعل الكينا هذيان زائد واهتزاز فى الاوتار واضطراب وسهر وتعب فيستنتج من ذلك كله أن الكينا فيها خاصة التقوية فى أى حال استعملت فيها

وللكينا شهرة عظيمة بخاصة ذاتية فيها وهى مقاومتها لجميع الحركات المرضية التى لها سير دورى فتنقاد لها الحميات والآلام المتقطعة التى تتكرر فى أوقات متحدة او تقرب لان تكون متحدة وكذا الآفات العصبية التى تأتى نوبا . ومن العظيم الاعتبار أن تلك الخاصة المضادة للدورية فى الكينا لا تشاهد اذا كانت تلك الآفات فى شدة اندفاعها التهيجية أى عند نوبة الحمى او آلامها فاذا أعطيت فى حمى ثلاثية او يومية بعد ابتداء التكدر الحمى فانها تصير النوبة أشد وأشق وأطول نعم يغلب أن تكون هذه النوبة هى الاخيرة فاذا أخذت قبل النوبة جاز أن تمنع ظهورها ثانيا

وتستعمل الكينا أيضا لوقف الاسهال الناشىء عن ضعف مادى فى القناة الغذائية حادث من عدم هضم الاغذية

التى استعملتها المرضى

وكذا تنفع فى الاسهالات المتسببة عن تقرحات فى السطح المعوى ولكن ينبغى لنجاحها أن تكون تلك القروح سطحية وأن لا توجد استحالة فاسدة فى منسوج القناة الغذائية ويختار من أنواع الكينا حينئذ ماتكون قابضة قوية واضحة هى الكينا السنجابية أوالحمراء وتنفع أيضا فى الاسهال الحاصل من عدم انهضام اللبن فاذا استعملها من عندهم ضعف فى القوى الهضمية عدة أيام نفعهم ذلك لارجاع قوة المعدة وفتح انشهية وتسهيل الهضم . ومقدارها فى هذه الاعراض يجب أن يكون يسيراً

وقال الاطباء ان الكينا لايجوز أن تعطى فى الحميات المتقطعة الا اذا انتظم سيرها الدورى ويلزم أيضا تهيئة الطرق الاولية لاستفراغ المواد التى توجد فيها قبل الامر باستعمالها وعلى أى حال يجب التأكد من عدم وجود علامات التهاب فى المعدة ولا فى الامعاء

قال بعض الاطباء يجب اعطاء الكينا قبل النوبة وقال البعض الآخر يجب اعطاؤها بعد النوبة وفى كل اربع ساعات يستعمل مقدار جديد الى الساعة القريبة من النوبة التالية قال بهذه الطريقة تالبوت ومدحها سيد نام

(مقاديرها فى الحميات) قال بعض الاطباء أن ٢٢ غراما بل ٨ غرامات من الكينا الصفراء تكفى فى العادة لقطع نوبة من الحمى المتقطعة ولكن يلزم استعمالها فى مرة واحدة فان استعملت كسوراً لم تنتج مثل هذه النتيجة فقد أعطى ٦٠ غراما من الكينا المذكورة مدة خمسة أيام أوستة فى فترات الحمى فلم تذهب الحمى بذلك مع ان ١٥ غراما استعملت فى دفعة واحدة فحصل منها النتيجة المطلوبة . وليتنبه القارىء الى هذه الكينا فهى الكينا الخشبية وليست ملح الكينا الابيض فان هذا الملح الابيض الذى اعتيد تعاطيه فى هذه البلاد وغيرها لآن لايجوز أن يتعاطى منه الا مقدار يسير ربع غرام أو نحو ذلك . ثم إن الكينا التى تعطى للتقوية وغيرها هى الكينا الخشبية لا ملح الكينا فليتنبه لذلك من يريد استعمالها لئلا يحدث من الخلط بينهما خطر عظيم

والطريق المعتاد لاخذ الكينا فى الحميات هو الفم وقد تحمن من الشرج

ان لم يستطع المريض تعطيها وقد يدلك بها الجسم ويحقن بها

وقد عمل للكينا مستحضرات عديدة فأدخلت على الانبذة وأضيفت الى جواهر أخرى

واشتهر استعمال الكينا أيضا فى الاحوال التى يكون فيها المجموع العصبى ضعيفاً والوظائف الحيوية منفكة وشوهد فيها خاصة مضادة الصرع والنقرس بل من الاطباء من سماها فى علاج النقرس بالدواء الالهى ولكن نفعها فى الصرع غير موثوق به لان الصرع نوباذات دورية غير منتظمة فلا تؤثر عليها الكينا

وشوهد أيضا ان الكينا واسطة نافعة لمقاومة السعال الرطب اذا كان المنسوج الرئوى مسترخيا وكان فيه مقدار كبير من الدم والخلايا الشعبية افراز زائد من مادة مخاطية ولكن لا يستعمل منها فى هذه الآفات الا مقادير متوسطة تكرر مرات فى اليوم

وتناسب أيضاً فى السعال التشنجى والتحريض سيلان الطمث اذا تقهقر حصوله الدورى لخود المجموع الرحمى أو ضعف جميع الجسم ويصح أن يستعمل لذلك منقوعها أو خلاصتها أو نبيذها منفردا كل منها او مجتمعا مع جواهر منبهة ويكرر ذلك كل يوم ثلاث مرات فتأثير قواعد الكينا على الرحم يوقظ حيويتها ويحرضها على الدخول فى الفوران الذى يسبق السيلان الطمثى ويصحبه

وقال بربييه من المؤكد ان الكينا تلطف بل تقطع التىء وخفقان القلب وعسر التنفس ونحو ذلك من العوارض التى هي من طبيعة تشنجية . فاذا كانت الاعضاء التى هى مجلس لتلك الظاهرات المرضية سليمة وكان انخرام افعالها وحركاتها ناشئا من الاندفاع الذى حملته لها الاعصاب لكون المخ أو النخاع المستطيل او الضفائر العصبية حصل لها تنوع مرضى صارت فى حالة جديدة أى عارضية فانه يلزم لاجل معرفة كيفية اعادة الكينا للعضو حالته الطبيعية أن تعرف أيضاً حقيقة هذا التنوع المرضى وما تقوم به هذه التغيرات غير الطبيعية فى المراكز العصبية التى قذفت هذا التكدر فى سير التأثير العصبى

والكينا واسطة نافعة أيضاً فى الضعف والنقص التدريجى للقوى والحجم حيث يكون ذلك تابعاً للاستفراغات الكثيرة

والانزفة الدموية والافراطات الباهية ونحو ذلك واستعمالها فى ذلك مشهور

ويجب أن يتعاطى فى هذه الاحوال بمقادير يسيرة تستعمل وقت الاكل فيختلط فعل الدواء مع نتيجة التغذيـــة الجيدة لان هذا الفعل الدوائى اذا كان منفردا منعزلا عن محصول التغذية المجهز من الغذاء لم يحصل منه نتيجة شفائية لان الفعل المقوى على المنسوجات النحيلة قليل المنفعة فيها بل عادمها .أما اذا حصل ذلك التأثير فى الوقت الذى تصل فيه الاصول المجهزة من الغذاء اليها فانه يكون سببا لتغير نافع عظيم القيمة باحداثه تثبيتا وامتراجا لتلك الاصول بجوهر الجزء الذى هو محل هذا التأثير

ونبيذ الكينا وصبغتها دواءان قويان فى الآفات الخنازيرية واحتقانات عقد الاطفال ولين العظام فيعطى المريض ثلاث خنازير العظام فيعطى المريض ثلاث مرات فى اليوم قرب وقت الاكل ملعقتان كبيرتان من الصبغة للبالغ فالتأثير المقوى لهذه المركبات على جميع الجسم سيما العقد الليمفاوية شديد النفع فى تلك الآفات ولكن عظم منفعتها المؤملة منها لا يحصل جيداً الا اذا ارتبطت نتائجها بنتائج التدبير الغذائى وحصل منها تأثير قوى فى تغذية السائلات والجامدات الحية. وقد يأمرون فى هذه الآفات بشراب الكينا الذى يجمع غالبا للشراب المضاد للحفر ويصح أن يعطى ذلك لمراضع الاطفا اذا ظن وجود الاستعداد الخنازيرى فيهم من ابتداء خلقتهم فيكون ذلك فيهم حينئذ واسطة حافظة من الداء . فاذا وجدت الخنازير فى سن متقدمة عن ذلك عولجت أيضا بالكينا علاجا نافعا

وتعطى الكينا أيضا فى آفات الليمفا بمقادير يسيرة ولكن مع استدامة الاعمال زمنا طويلا على شرط أن لا يوجد فى البنية علامة التهابية ولا تأثير مرضى يدل على آفة فى الاحشاء

ومستحضرات الكينا تنفع أيضا فى علاج الآفات الحفرية لان فعلها المقوى يؤثر التأثير الدوائي الذى كثيراً ما يضطر اليه فى هذه الآفات التى يكون فيها استرخاء الاعضاء ولين منسوجاتها الظاهرتان المرضيتان الواضحتان المميزتان

(استعمال الكينا من الظاهر) يوضع مسحوقها أو مغليها على الاعضاء التى يراد

ايقاظ القوة فيها فيوضع مسحوقا على المنسوج المسترخى للثة الاسنان لاجل ان ترجع لحالتها الاعتيادية وكذا لاجل شفاء القروح التى تكون اذ ذاك . وخاصة مضادة العفونة فى الكينا مشهودة سواء كانت الغنغرينة حاصلة من سبب باطنى كما يكثر ذلك فى بعض الحميات التيفوسية أو حصلت من سبب ظاهر كما يكثر وجود ذلك فى الاعمال الجراحية . فأما الغنغرينة فتستعمل فيها الكينا من الباطن وتوضع من الظاهر على الجزء الميت

(سلفات الكينين) هى كبريتات الكينين . كل الخواص التى ذكرناها آنفا هي لخشب الكينا نفسه لا لاملاحها مثل سلفات الكينين وغيره فلينتبه لذلك القراء فقد اصطلح العامة أن يسموا سلفات الكينين هذا بالكينا

يحضر سلفات الكينين من الكينا الصفراء الملكية وقد شوهد أن المئة من خشب الكينا يستخرج منها ٣ من كبريتات الكينين فيؤخذ من ذلك انه لاجل اعطاء مقدار من كبريتات الكينين مساو لمقدار الكينا اللازم لشفاء الحمى المنقطعة البسيطة يلزم ان يعطى المريض بدل كل درهم منها ١٢ سنتيغراما من الكينين فيؤخذ من ذلك أنه لاجل اعطاء المريض ما يوازى ٢٥ سنتيغراما من سلفات الكينين يعطى ٨ غرامات من مسحوق الكينا الصفراء مع أن هذا الاستنتاج ظهر بطلانه بالتجربة فان درهمين من خشب الكينا كانا دواء قويا ضد الحمى ولم تحصل من سلفات الكينين نتيجة مشابهة لتلك الا بتعاطى ١٨ قمحة منها

وقد يغش الباعة سلفات الكينين بالسكر والمانيت والنشا والصمغ العربى والغاريقون الابيض والاستيارين وكبريتات الكلس وغيرها

(خواص سلفات الكينين) شوهد أن فيه خاصية التقوية ومضادة الدورية وهى سريعة التأثير ويبقى تأثيرها عدة ساعات وهو يضاد الالتهاب ايضا ويسكن ويهدىء

وشوهد أن استعماله أزال أوجاع القسم المعدى التى استعصت على استعمال الاستفراغات الدموية وكانت مصاحبة لاحمرار اللسان وشبه سدد فى القناة الهضمية

وقال بنكييه أن فى هذا الملح خاصة مسكية على المخ وله على القلب تأثير وهو مهدىء حتى ظن انه يجب وضعه فى رتبة

الافيون والبنج وغيرهما من المسكنات
أما نفعه فى الحميات المتقطعة فمشهور ولكنه أكثر تهيجاً من خشب الكينا أولا بسبب شدة فاعليته ، ثانيا انه ليس فيه المعدل الموجود فى القشر وهو المادة التنينية ولذلك يحرض التهابات معدية مزمنة واسهالا أكثر مما تفعله الكينا ويحترس من هذه العوارض بجمع جواهر اخرى معه

وقال بعض الاطباء لايجوز اعطاؤه للحوامل لانه يضرهن

وهو يؤخذ من ٦ قمحات الى ٨ قمحات قبل مجىء النوبة بأربع ساعات فيمنع ظهورها أو ينوعها

حرف اللام

لات معناها ليس وهى كلمتان (لا) النافية وتاء التأنيث وتعمل عمل ليس ولا يذكر بعدها الا أحد المعمولين والغالب حذفه نحو ولات حين مناص. أى ولات الحين حين مناص

قال ابن فارس فى كتابه (فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها) لات اختلف الناس فيها فمنهم من زعم ان التاء متصلة بلا وانها بمنزلة ليس على تأويل (وليس حينَ مناص) نصب حين بغير ليس .

وقال الأفوه وجعل لات بمعنى حين

ترك الناس لنا اكتافهم
وتولوا لات لم يغن الفرارُ

اللاتين هم اللاتينيون سكان قطر اللاتينيوم وهو قطر قديم من ايطاليا الوسطى ممد على طول بحر تيربيين واللغة اللاتينية من أوسع اللغات وقد اشتقت منها الفرنسية والايطالية والاسبانية وغيرها وهى لغة علمية عالية

الكنيسة اللاتينية هى كنيسة نصارى الغرب فى مقابلة الكنيسة اليونانية أو الاغريقية

اللاادرية فرقة من الفلاسفة يتوقفون فى الحكم على الاشياء ويكثرون من قول لاادرى وهم تابعون فى فلسفتهم لبيرون الفيلسوف اليونانى وقد استوفينا الكلام على هذا المذهب فى ترجمة هذا الفيلسوف فى حرف الباء

﴿ اللاذقيـة ﴾ قال ياقوت الحموى هى مدينة فى ساحل بحر الشـام تعد فى أعمال حمص وهى غربى جبلة بينهما ستة فراسخ وهى الآن من أعمال حلب، مدينة عتيقة رومية فيها أبنية قديمة أثرية وهو بلد حسن فى وطاء من الارض وله مرفأ جيد محكم وقلعتان متصلتان على تل مشرف على الربض والبحر غربيها

قال صاحب المرآة وكانت للاذقية قديما تجارة واسعة فى الحر ويقال لها لاذقية العرب . وأما الآن فأكثر تجارتها فى التبغ الذى يجلب من الجبال المجاورة لها والحرير والقطن والسمسم والحبوب والزيت والعسـل والشمع والصوف وهى كثيرة الزلازل وقد خربتها الا قليلا وأهلها يبلغون أربعة آلاف

نقول يريد المؤلف من قوله لاذقية العرب تمييزها عن لاذقية الترك احدى مدن آسيا الصغرى. وقد اندثرت وقامت على اطلالها مدينة اسكى حصار

أما لاذقية العرب فهى لاتزال على ساحل البحر الابيض بها آثار أبنية قديمة ولها تجارة فى التبغ والحرير والحبوب والقطن والصوف وأنواع الزيوت . يسكنها اربعة آلاف نسمه فيهم خلق الكرم ويحبون الغريب

﴿ اللاذن ﴾ هو جوهر صمغى راتنجى ينتج من جملة أنواع قسمه بعض النباتيين الى قسمين أحدهما أزهاره وردية أو أرجوانيـة وثانيهما أزهاره صفر أو بيض فمن القسم الاول مايسمى قسطقريط أو كريت من الجزر اليونانية . وتنبت تلك الشجرة أيضا فى قندية والشام ومحال أخرى من جزائر اليونان . سوقها قائمة متفرعة وأوراقها حادة منفرجة الحـافات زغبية منتهية من الاسفل بذنيب عريض غشائى والازهار كبيرة الحوامل ولونها أحمر كحمرة الدودة وتنضم غالبا ثلاثة فى قمة الساق وتنفتح كأزهار بقية أنواع الفصيلة عند ماتظهر الاشعة الاولى للشمس وتتبع هذا الكوكب فى سيره وتذبل عند المساء

ومنه نوع أوراقه بيض قطنية الوجهين وهذه الشجرة تعلو من ٣ اقدام الى أربعة وأغصانها متفرعة متكاثفة أى متـكاثف بعضها على بعض

ومن أنواعها ماسماه بعض النباتيين بالمتشنج وهو أقل ارتفاعا من السابق وينبت بالاماكن التى ينبت فيها وقشرته

سمراء وأغصانه الجديدة زغبيـة مبيضة وتحمل أوراقا متشنجة الحافات مبيضة قطنية الوجهين

وأما القسم الثانى فمن أنواعه شجيرة جميلة قد تعلو من ٥ أقدام الى ٦ وتحمل أغصانها أوراقا متقابلة سهمية ضيقة حادة خضراء من الاعلى ومبيضة قليـلا من الاسفل وهى مغطاة بمادة لزجة ولكن تلك الاوراق عادمة الزغب ورائحتها عطرية والازهار كبيرة بيضاء وأهدابها كثيراً ما يوجد فى قاعدتها نكتة أرجوانية

وهذا النبات ينبت بالمشرق بجزائر اليونان واسبانيا وبروفانسا

ولهذا القسم نوع أوراقه سهمية لونها أخضر قاتم فى وجهها العلوى ومبيضة فى وجهها السفلى ومغطاة بطلاء راتينجى عطرى وأزهاره صفر منتقعة تضرب للبياض وهى مهيئة بهيئة باقة فى قمة تفرعات الساق

وقد أخطأ علماء العرب فى جعل هذا الشجر نوعا من اللبلاب أو شبيها به أو جعلوا جوهره طلا يقع على الورق عند بعضهم أو ينشأ من الشجرة نفسها عند آخرين ويقولون ان المعز ترتع فى هذا الورق فتلزق بها الرطوبة الدبقة فتتيبس فى أفخاذها وفى لحى التيوس فما تعلق بلحاها وأعاليها فهو الجيد وما تعلق بأسافلها وأظلافها ووطأته مع الرمل والتراب فهو الردىء قالوا ان من الناس من يأخذ منها هذه الرطوبة فيصفيها ويجعلها أقراصا ويخزنها للمتجر . ومنهم من يأخذ حبالا أوسيوراً من جلد فيمر بها على هذه الشجرة فما لزق بها من هذه الرطوبة جمعوه وعملوه اقراصا وهذا هو الخالص ويسمى بالعنبرى

وقال صاحب كتاب ما لا يسع ان الاول اى كونه طلا يقع على الاشجار المذكورة أشهر وأصح . ولكن قد عرفت ان هذا كله ليس بصحيح

قال ميريه الشجيرات اللاذنية دبقة الملمس لان الجوهر المدهونة به وهو الاذن دسم لزج ملصق مريح يعلق بشعر الحيوانات التى ترتع فى تلك الشجيرات ولاسيا المعز فتكشط وتجمع بالاذن

(أنواعه وصفاته الطبيعية) يتمـيز اللاذن فى المتجر الى أنواع . الاول الحقيقى الذى لا يحتوى إلا على ما يحمـل من المحال التى يجنى منها ويكون على شكل كتـلة متجانسة الطبيعة مسودة دبقة تلين بسهولة بين الاصابع بل تلتصق بها ومكسرها

سنجابى ويتحول بماسة الهواء الى السواد ورائحتها قوية مقبولة وطعمها فيه مرارة

والثانى اللاذن الكتلى المتجرى وهو عين النوع الاول الا انه مخلوط بمواد راتينجية وصمغية وغير ذلك. وهذا أيضا فيه نقاء

والثالث اللاذن الملتف وهو قطع ملتفة التفافا حلزونيا وفى غلظ الابهام وثقيلة جداً ولونها سنجابى ترابى وطعمها مر وهى وسخة جافة سهلة الكسر ومكسرها طلق محلب وتفتت تحت الاسنان وهى مركب صناعى غير نقى تصنعه أهل البلاد من اللاذن الحقيقى والرمل الحديدى والتراب وغير ذلك

ويمكن أن يزاد على هذه الانواع نوع رابع وهو لاذن اسبانيا أى اللاذن الحاصل بالاغلاء . وذلك انه يغلى فى الماء أنواع من النباتات اللاذنية فينال منها سائل يسبح على الماء ويتجمد بالتبريد وذلك النوع هو المستعمل باسبانيا ولكن لا يكون مشابها من جميع الاوجه للاذن قندية وغيرها . وهو قليل الطلب ولا يوجد فى متجر الادوية وربما سمى بالبلسم الاسود

أكثر ما يوجد فى المتجر هو الكتل والملتف مع عدم نقاء هذا الاخير

وقال جيبور كان الناس سابقا يجنونه بتمشيط شعور التيوس التى ترتع بأوراق شجرة اللاذن بكريت . والآن يتحصل عليه بامرار حبال من الجلد مترابطة على الشجر وتلك الحبال مهيئة بهيئة أسنان المشط ثم يقشط بسكين من الحبال المذكورة الراتينج ويوضع في مثلثات يزيد فيها قوامه واللاذن المتحصل عليه هكذا نادر فى المتجر . قال وقد رأيت منه كتلة تقرب من ٢٥ رطلا محوية فى مثانة وكان أسود صلبا ولكنه لزج وفيه يبس ومكسره سنجابى ويسود سريعا من الهواء ويلين بين الاصابع بأعظم سهولة ويلتصق بها كالتصاق القار وحينئذ تنتشر منه رائحة خاصة قوية بلسمية

(خواصه الكيماوية) يختلف تحليل اللاذن باختلاف الانواع المبحوث فيها فتحليل بلتبيه كان فى اللاذن الملتف فوجد فى ١٠٠ جزء منه ٢٠ من الراتينج و ٣٫٦٠ من صمغ محتو على قليل من مالات الكلس و ٠٫٦٠ من حمض المااليك أى التفاحى و ١٫٩٠ من الشمع و ٧٢٫٠٠ من الرمل الحديدى و ١٫٩٠ من الدهن الطيار

والاجزاء المفقودة

قال جيبور ومن الواضح ان عمله كان فى لازن غير نقى وأنا قد عالجت ١٠٠ قمحة من الذى شرحته أولا بالكحول الذى فى كثافة ٤٠ درجة ومغلى فاستولى السائل على الكتلة بالتبريد . ولما مدت بالكحول ورشحت ثانية لم يبق على المرشح الاسبع قمحات من الشمع . وأما المحلول الكحولى فأعطى بالتبخير ٨٦ قمحة من راتينج احمر شفاف رخو قوى الرائحة يعطى بالتقطير مع الماء دهناً طيارا . وجزء اللاذن الغير القابل للذوبان فى الكحول لم يعط للماء الا قمحة من جوهر لم يحمر محلوله صبغة عباد الشمس ولم يرسب فيه راسب بالكحول وتكدر مع العسر بأو كسالات النوشادر ولم يرسب بتحت خلات النوشادر الابعد زمن ما . وتلك النتائج تدل على عدم وجود صمغ وحمض تفاحى أو تفاحات الكلس أو انه لا يوجد منها فيه الا قليل جدا . والفضلة غير القابلة للذوبان فى الماء غير مركبة فيما يظهر الا من تراب وشعر ووزنها ست قمحات . ويستفاد من هذا التحليل ان اللاذن مركب من ٨٦ من راتينج ودهن طيار و ٧ من شمع وواحد من خلاصة مائية و٦ من مادة ترابية وشعر .

ووجود الشمع فى اللاذن ناشىء يقينا من الكيفية التى جنى بها . فان كثيرا من النباتات بقطع النظر عن العصارات الخاصة المحوية فى باطنها ولكثرتها فى الغالب تتصاعد منها الى الخارج يوجد على سطحها عدد كثير من شبه أجربة أى أغشية رقيقة مملوءة بالشمع ويقرب للعقل ان شجر لاذن كريت هو بهذه الكيفية

(خواصه العلاجية) هذا اللاذن فيه الخواص المنبهة والمقوية نظير الادوية المشابهة له ولذلك استعملوه فى الاحتقانات الباردة فى الاحشاء وفى النزلات المزمنة وفى القروح الباطنة ولتعريض خروج المشيمة ونحو ذلك . ويستعمل من الظاهر محللا ومذيبا ومقويا مخلوطا بالمراهم أو اللزوقات ويوجد فى البلسم الاختناقى أى المستعمل فى اختناق الرحم واللزوج المعدى واللزوج المضاد للكسر وراتينجه المستخرج بالكحول يكون جزءاً من الترياق الالهى ويدخل أيضا فى بيوت العطريات والاقراص وغير ذلك

وذكر متيول انه لا يوجد بايطاليا نقيا الا عند العطريين ويعمل منه الاتراك

كرات يضيفون له المسك والعنبر ويضعونه على النار بخوراً مماساً للهواء

وذكر بعض السياحين ان أهل مصر يمسكونه بأيديهم حفظا من الطاعون وهذا خطأ فان الذى يمسكه بعض الناس فى زمن الطاعون هو اللامى وهو راتينج آخر مذكور هنا.

وله فى كتب العرب استعمالات كثيرة منها ما أخذوه عن اليونانيين ومنها ماهو من تجاربهم فقالوا انه يحلل وينضج وانضاجه أقوى من تحليله وهو مفتح لافواه العروق باعتدال ولذا كان نافعا من علل الارحام واذا قطر فى الاذن مع الشراب المسمى أدورمالى أو مع دهن الورد أبرأ أوجاعها . وقد يدخن به فى قمع لاخراج المشيمة وادرار الطمث

واذا وقع فى أخلاط الفرزجات واحتمل أبرأ صلابة الرحم وحلل أورامها وقد يقع فى أخلاط الادوية المسكنة للاوجاع وفى أدوية السعال والمراهم واذا شرب بشراب عتيق عقل البطن وقد يدر البول . واذا حل فى دهن ورد وطلى به يافوخ الصبيان نفع من نزلاتهم ومن السعال المتولد عنها . واذا ضمد به مقدم الدماغ وتمودى عليه نفع أيضاً من نزلات الصبيان . واذا وضع على المعدة المسترخية شدها وعلامتها الغثيان وسيلان اللعاب وقلة العطش

واذا حل بدهن الورد واحتقن به للسحج نفع منه . وقالوا انه منتفخ للسدد. واذا خلط بشراب ومرودهن آس أمسك الشعر المتساقط فيسد بقبضه المسام التى فيها مراكز الشعر

لاركس هو شجر كالصنوبر ويتميز عنه بسنابله الهرية البسيطة غير المنضمة الى عناقيد وبفلوس مخروطاته المؤنثة اذ انها رقيقة القمة وغير تخينتها وهو أحد الاشجار المخروطية التى تكتسب بأوروبا أبعاداً عظيمة وجذعه جيد الاستقامة يرتفع غالبا ارتفاعا كبيرا بحيث يجاوز ١٠٠ قدم وقطره من ٣ أقدام الى ٤ فى قاعدته وفروعه أفقية وأغصانه الصغيرة دقيقة معلقة وأوراقه قصيرة مخرازية فيها خشونة وتتولد حزما صغيرة ليست الا أغصانا قصيرة جداً لم يتم نموها . وهذا الشجر على خلاف طبيعة الاشجار المخروطية يفقد أوراقه ويجددها كل سنة وأزهاره وحيدة المحل وعلى هيئة سنابل هرية تنشأ من مركز حزمة أوراق

أو انها تكون انتهائية

هـذا الشجر ينبت بالجبال المرتفعة بفرنسا وايطاليا والنمسا والروسيا وغيرها خشبه محمر البطن ولذا كان مقبولا جـداً وهو وان كان خفيفا الا انه صلب ويدوم زمنا طويلا بل خفته نافعة ليدخل في الابنية والعمارات

ولهذا الخشب منفعة جليلة جدا في كونه يحفظ سليما في الماء . ذكر مليير أنه وجد في البحر الشمالي سفينة مكونة من خشب المليز هذا وخشب مبريس غارقة في الماء من مدة تزيد على الف سنة ولم يزل ذلك الخشب سليما

ويستخدم ذلك الخشب أيضا لعمل قنوات للماء مدفونة في الارض ولعمل الدنان والبراميل والدلاء ونحو ذلك

وهو كأشجار الصنوبر والتنوب مملوء بجوهر راتينجي تسيل من شقوق تعمل في قشرته ترنتينا نقية جدا تستعمل في الطب والصنائع وتسمى تربنتينا برنيصون وتوجد بين الخشب والقشر كما أن أغصانه تفرز مادة دبقة تارة يكون فيها راتينجية والغالب كونها صمغية وتسمى صمغ أورمبورغ وتذوب كلها في الما. كالصمغ العربي الذي تقوم هي مقامه في تلك البلاد

ويأتي ذلك الصمغ كثير من غابات أورال ببلاد الروسيا ويخرج بالاكثر من قلب الشجرة والخشب وأما التربنتينا فمن القشرة ويخرج الصمغ وحـده من قديم ذلك الشجـر وأما الفروع الصغيرة السن فتفرز التربنتينا

كان هذا الصمغ معروفا عند ديسقوريدس وجالينوس ولكنهما كانا لايعرفان الشجر الذي يأتي هو منه . وأما مثيول ورنديرو بالاس فجرموا بأن المليز وهو اللاركس الذي نحن بصدده يسيل من قشره في الربيع عصـارة صمغية وفي الصيف نوع آخر فيه راتينجية وفي الشتاء راتينج حقيقي

وقال رنديران أزرار هـذا الشجر تكون في الربيع مدهونة براتينج مشابه لبلسم مكة وان هذه الشجرة في أوستريا تتصاعـد من اوراقها مدة الحر الشديد عصارة عساية تتيبس فتكون على شـكل المن وهو يكون على شـكل مادة لزجـة سكرية تتكاثف على شكل حبوب صغيرة لونها مبيض وطعمها سكري فيه تفـاهة . ويقال ان فيه خاصة المن الذي يسيل من

الدردار ولكنه قليل جدا لانه يتشرب ويزول بعد خروجه بزمن يسير . فقد ظهر ان هذا الشجر يحضر منه مواد سكرية صمغية وراتينجية فى أزمنة مختلفة وتتنوع بتنوع الاستنبات ولا ينبت الغاريقون الابيض الا على هذه الشجرة (المادة الطبية)

لازورد هو معدن يوجد بجبال أرمينية وفارس اجوده الصافى الرزين الشفاف الضاربة زرقته الى خضرة وحمرة ويغش بزرنيخ أصفر مع كل من الراج والرمل

لأك المَلأَك الرسالة والملك حذفت همزته فصارت ملَك بدل ملأَك و(المَلأَكة) الرسالة

لألأ النجم لمع و(تلألأ) مثله. و(اللألاء) الفرح الكامل وضوء السراج. و(اللُؤلُؤ) الدر جمعه لآلىء و(اللؤلؤة) واحدة اللؤلؤ

اللؤلؤ معروف وهو مكون من طبقات صدفية متراكزة يظهر أن فى وسطها جسم غريب . اعتبر بليناس من الاقدمين هذا اللؤلؤ من بادزهر وحصيات ناشئة من طفحان عارضى فى الصدف الذى لا يتميز عنه فى نظر علم الكيمياء

لاجل اجتناء اللؤلؤ يغوص الغواصون عليه فى أعماق البحار لتقلع منها الحيوانات الصدفية التى توجد فيها اللآلىء وتلك الحيوانات تكثر بجوار جزيرة سيلان ورأس قوران والخليج الفارسى وهولاندة الجديدة وخليج المكسيك ولذلك يميز اللؤلؤ الى شرقى وغربى . اللؤلؤ كلما كان ماؤه اصفى وحجمه اعظم وشكله انظم كان أكثر اعتبارا وأجل قيمة وقد ذكر أن اللؤلؤ يفقد لمعانه ولاجل اعادته اليه قبل يعطى للدجاج لتزدرده ثم تذبح بعد دقيقه ويخرج اللؤلؤ من معداتها معلما فاذا صح هذا يمكن تفسيره بأن اللؤلؤ شديد التأثر بالحوامض حتى الضعيفة فان ازدردته الدجاج أثرت عليه حوامض معدتها فأخذت من سطحه طبقة فعاد اليه لمعانه

وقد يقلد اللؤلؤ بكرات صغيرة مجوفة من زجاج مطلية من الباطن بغراء السمك المتحمل لمسحوق قشور الابليت وهو سمك صغير . والمادة الصدفية التى تحيط بقاعدة فلوس هذا السمك هى دهن المشرقيين يستعمل لاجل أن تعطى اللؤلؤ الزجاج منظر اللؤلؤ الطبيعي وتحفظ فى

روح النوشادر

وقد اشتهرت اللآلىء الصغيرة فى طب العرب وغيرهم من الاقدمين وقد بطل الآن استعمالها فأوصى الاقدمون باختيار الابيض الزاهى الشفاف النقى منها وقالوا اذا تحول اللؤلؤ الى مسحوق فانه يعطي بمقدار من ٧ قمحات الى نصف درهم فيكون مقويا للقلب ومضاداً للسم وغير ذلك ولا سيما القلويات ويعدونه ماصا وعلاجا للامراض الطاعونية والسموم والضرع والاسهال والانزفة ونحوها . ويدخل فى معجون القرمز ومسحوق الورد الاحمر مع أنه فى الحقيقة ماص فقط عادم الطعم

قال بليناس اول من جرب اللؤلؤ رجل من اهل الثروة والخلاعة اسمه قلوديوس أراد أن يعرف طعمه فوجده جيداً مفرحا فتعاطاه وأعطى ندماءه منه

يوجد من اللؤلؤ مالونه وردى او اصفر او سنجابى او اسود وهو من الاحجار الكريمة وقد يبلغ ثمن الواحدة اذا توفرت فيها شروط النقاء والصفاء والضخامة عشرات من ألوف الفرنكات

﴿ لأَمه ﴾ يلأَمه لأما ما نسبه الى اللؤم . و (لأَمه) اصلحه و (لؤُم الرجل يلؤُم لؤما) صد كرم فهو لئيم . و (لاءمه ملاءمة) وافقه و (ألام الرجل) أتى بما يلام عليه . و (التأم الجرح) انضمت أجزاؤه وصلح . و (التأم الشيئان) اتفقا و (استلأم) تدرع و (اللأمة) الدرع و (اللُّمَّة) الشكل والمثل والجماعة

﴿ اللامى ﴾ هو راتينج معروف عند القدماء باسم اللامى ينتج من شجر فى بلاد الحبشة والسودان أوراقه متعاقبة ريشية منتهية بفرد وريقاتها متقابلة وخالية من الاذينات وأزهاره بيضاء مهيئة بهيئة عناقيد ابطية وثمره فيه لحمية يسيرة ثم يصير بالتجفيف جلديا ويحتوى على نوى عدده من ١ الى ٥ وحيدة البزرة

قال ميريه اللامى الموجود بالمتجر هو راتينج كان يسمى سابقا صمغ اللامى ويتحصل عليه بواسطة شقوق تعمل فى الشجرة فالعصارة الراتينجية تكون أولا سائلة ثم تتيبس فى الشمس على القشرة فيكون هذا الراتينج حينئذ أصفر مخضراً قطنى الملمس مخلوطا أحيانا بنقط حمر وخفيفا سهل الكسر ويلين فى اليد وليس له طعم واضح اذا كان نقيا والا كان حارا فيه مرار ويكون متوسط الشفافية ورائحته تربنتينية

فيها شيء من رائحة المصطكي ولذلك يشبه بها . فاذا كان جديدا كانت رائحته شبيهة برائحة البلسم وهو يصل الى اوربا من اسبانيا فى صناديق كل صندوق فيه من ٢٠٠ رطل الى ٣٠٠ ويقال أن اللامى الحقيق فيه رائحة الشمار ولونه اخضر مبيض فصى ولا يوجد الآن فى بيت من بيوت الادوية اللامى المحاط بورق الغاب . ثقله الخاص ١٫٠١٨

(صفاته الكيماوية) لامي المتجر حلله بونستر فوجد فى ١٠٠ جزء منه ٦٠ جزء من الراتينج و٢٤ من تحت راتينج و١٢ من الدهن الطيار و ٢ من مادة خلاصية مرة وجزء واحد من مواد وسخة غريبة ويستخرج دهنه الطيار بالتقطير واليه تنسب رائحته وهو قابل للذوبان فى الكحول بمقدار كبير والفضلة من ذلك الذوبان يظهر انها من طبيعة صمغية وهو بأى جزء كان ينضم الى الجواهر الشحمية ويغش احيانا بالراتينج الآتى من ديفوس أو سطرالس

وقد يخلط اللامى ايضا ببلسم كندة الذى يقل ذوبانه فى الكحول وتربنتينا ساقس وبغير ذلك . واحيانا يباع باسم اللامى الصمغ الراتينجي للزيتون ويجنى فى فيلبين راتينج أيضا

(استعماله) يستعمل اللامى فى مركبات قديمة مثل مرهم الاصطركس وطلاء اركيوس وغيرهما وخواصه كخواص الراتينجيات عامة اى انه منبه مسخن محلل جيد لتحايل الرضوض العتيقة ومزيل للاحتقانات الباردة الحارجة وللاوجاع الروماتيزمية ونحو ذلك . وظنوا نفعه فى علاج الجروح والضربات على الرأس ولكنه لا يستعمل الآن الا من الظاهر ولا يستعمل وحده أصلا . ومع هذا فقد أوصى هرمان بمقدار نصف درهم منه ممزوجا بمح بيضة ويستعمل ذلك من الباطن علاجا للجنوريا

أما علماء العرب فقالوا ان اللامى اسم مشهور بالعراق لصمغ يجلب من الهند يميل الى بياض وصفرة ورائحته طيبة بين المر والمصطكى وهو حار يابس قابض مسخن قد جرب منه الصاق لجراح العظام ويضاف الى الادوية المسخنة فيقويها ويلطفها وهو من أدوية العصب والمبرودين والمشايخ

وقالوا انه مسخن ملطف مذهب البلغم ويفتح السدد شربا ويصلح الجروح والقروح والكسر والرض وضعف العصب

والامراض الباردة شربا وطلاء ويبخر به فيجلب العرق واذا حل فى ماء الآس وطلى به من فى عصبه استرخاء أو الاطفال الذين أبطأ بهم النهوض اشتدوا من وقتهم وهو محلل للاورام قاطع للرائحة الخبيثة ولا يناسب المحرورين

﴿اللأواء﴾ الشدة

﴿اللبأ﴾ أول اللبن

﴿لَبَّ﴾ بالمكان يلِبب لَبا أقام به ومثله (ألَبَّ بالمكان)

(لبِب الرجل) يلبَب صار ذا لُب ومثله (لبُب يلبُب) و(اللُّباب) المختار الخالص من كل شىء. و(لَبَّيْك) أى إلبابا بك بعد إلباب واقامة بعد اقامة أو اجابة بعد اجابة

و (اللُّب) خالص كل شىء والسم والعقل. و (اللَّبَب) المنحر وموضع القلادة ومايشد من سيور السرج فى اللَّبة من صدر الدابة و (اللَّبة) المنحر

﴿اللبلاب﴾ هو نبات شماعى أصله من الهند الشرقية ورقه على شكل شرشرة منحنية على زاوية قائمة وهو نبات سنوى ذو ساق متفرع يعلو من مترين الى ثلاثة وأوراقه مركبة من ثلاث وريقات بيضية حادة وأزهاره عنقودية بنفسجية متراكبة قليلا ويتكاثر بالبزور فى فصل الربيع ويستعمل زينة فى البيوت

وجاء فى كتب علماء العرب أن اللبلاب علم على كل ذى خيوط تتعلق بما يقاربها ورقه كورق اللوبياء ويسمى قسوس وقينالس وعاشق الشجر وحبل المساكين قالوا وهو بمصر يسمى العليق وهو بحسب الزهر لونا والثمر وعدمها وحجم الاوراق أنواع ، الاسود منه فرفيرى الزهر ، وغيره كزهره فى اللون . ويكون غالبه أبيض وهو احمر وازرق واصفر والبرى لاثمر له والمستنبت له ثمار صغار بين أوراقه وأزهاره مبهجة ويسمى حسنة ساعة . ويطول جداً وان قطع خرج منه أبيض ، وكله يتفرع ، ولاقوة له بل يسقط فى قليل من الزمان

(خواصه الطبية) قال أطباء العرب انه ينفع من قرحة المعى عن تجربة ويدمل الجراح ويفجر الدماميل خصوصاً باللبن ويمنع حرق النار بالشمع وكذا ورقه ضماداً وينفع زيته أوجاع الاذن قطوراً وعصارته تفيد من الصداع المزمن سعوطا بالايرسا والعسل والنطرون . وهو يسود اذا اختضب به

وان طبخ فى اى دهن كان حلل الاوجاع مروخا والاعياد والمفاصل

وأما الشحمى منه وهو الخشن المستطيل الورق فينفع من السعال والقولنج واوجاع الرئة والسدد والحميات والطحال والاسود منه يشوش الذهن . وهو يضر المثانة ويصلحه الصمغ والسكر ويشرب الى ثلاثة دراهم . ويشرب ماؤه من اثنى عشر الى ثلاثين درهما

﴿ لبث ﴾ بالمكان يَلْبَث لَبثا ولُبثا ولِباثا مكث وأقام . و(ما لَبِث أن فعل كذا) أى ما ابطأ . و(لَبَّثه وألبثه) جعله يلبث . و (تَلَبَّث بالمكان) توقف و (اللُّبْثة) التوقف

﴿ لَبخه ﴾ يَلْبَخه لَبْخا ضر (تَلَبَّخ الرجل) تطيب باللبيخة وهى نافجة المسك

﴿ اللبخ ﴾ هو شجر لطيف المنظر اصله من بلاد الهند الشرقية وبلاد الحبشه وقد انتشر كثيراً بالقطر المصرى وهو ينمو بسرعة وخصوصاً اذا كان مغروسا فى ارض خصبة

يتكاثر بالعقل التى تزرع زمن الافراك وهو الزمن الذى يفقد فيه اللبخ أوراقه القديمة . معظم العقل ينجح بشرط أن يسقى بماء وافر كل خمسة أيام مرة وبعد ثلاث سنوات او اربع تنقل من أرض الورش وتزرع بالمحل الذى أعد لها وينبغى ان تكون فى زراعتها متباعدة الواحدة عن الاخرى بنحو خمسة أمتار ومع ذلك فمتى وصلت هذه الاشجار الى سن العشرين سنة تصير فروعها كثيرة متراكمة فينبغى أن تقلع شجرة بجميع جذورها وصلايتها من بين كل شجرتين بعد قطع جميع فروعها وجزء من ساقها ثم تنقل فتغرس فى أرض أخرى

تزهر هذه الاشجار فى فصل الصيف فتنتشر منها رائحة ذكية فى الهواء . والاشجار التى تحمل أزهاراً كثيرة تسقم ويتأخر خروج أوراقها الحديثة وربما ماتت ولاجل تدارك هذا الضرر تقطع جميع فروعها العليا ولا يترك الا الفروع الغليظة الاصلية فبهذه الكيفية تعود لها قوتها

هذا الشجر يتحصل منه كثير من الخشب ومن المناسب تقليم فروعه كل سنتين مرة لاجل نمو ساقه

خشب لهذا الشجر ابيض ضارب للصفرة مندمج يستعمله الخراطون بكثرة

ويستعمل أيضا لصناعة مراكز العجلات المعدة لحمل الاثقال وزيادة على مافيه من فائدة الاظلال يستعمله النجارون أيضا فى أوجه مختلفة

(خواصه الطبية) ذكر له أطباء العرب خواص طبية فقالوا انه يقطع الدم حيث كان شربا وذروراً ووجع الاسنان مضغا وهو يقوى الشعر ضمادا ويحلل الاورام طلاء بالشراب ويبرد الونى والرض والكسر من اللاذن والآس فى أسرع وقت ودخانه يطرد الهوام. وهو يصدع وأكل لبه يورث الصمم

﴿لبد﴾ بالمكان يلبُدُ لبودا أقام به . ومثله (لبِد بالمكان يلبَد لبَدا). و(لبَد الصوف يلبِده ولبّده) نفشه وبله بماء ثم خاطه وجعله فى رأس العمد وقاية للبجاد ان يخرقه . و(تلبّد الصوف) لزق بعضه ببعض و (تلبّد الطائر بالارض) جثم . و(اللبّادة) مايلبس من اللبود وقاية من المطر.و(اللُبود) جمع لِبْد وهو كل شعر أو صوف متلبد وما يجعل على ظهر الدابة تحت السرج . و (اللِبْد) الصوف.و(مال لُبَد) كثير .و(لُبَد) اسم آخر نسر اتخذه لقمان. و(ابو لُبَد) الاسد و (اللِبْدة واللُبدة) كل صوف أو شعر متلبد

﴿لَبيد﴾ هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب العامرى وكان يقال لابيه ربيعة المقترين . ويكنى لبيد أبا مقبل وكان من شعراء الجاهلية وفرسانهم

وكان الحرث بن أبى شمر الغسانى وهو الاعرج وجه الى المنذر بن ماءالسماء مئة فارس وأمره عليهم فصاروا الى عسكر المنذر وأظهروا انهم أتوه داخلين فى طاعته فلما تمكنوا منه قتلوه وركبوا خيلهم فقتل أكثرهم ونجا لبيد فأتى ملك غسان فأخبره فحمل الغسانيون على عسكر المنذر فهزموهم يوم حليمة ، وحليمه هذه بنت ملك غسان وكانت طيبت هؤلاء الفتيان وألبستهم الاكفان وبرنس الاضريج وهو نوع من الاكسية

ادرك لبيد الاسلام ووفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد بنى كلاب فأسلموا ورجعوا الى بلادهم وقدم لبيد الكوفة بعد ذلك فأقام بها الى ان مات فدفن فى صحراء بنى جعفر بن كلاب . ويقال ان وفاته كانت فى أول خلافة

معاوية ومات وهو ابن مئة وسبع وخمسين سنة . ولم يقل شعراً فى الاسلام الا بيتا واحدا وهو قوله :

لحمد لله اذ لم يأتنى أجلى
حتى كسانى من الاسلام سربالا

وقال غيره بل هو قوله :

ماعاتب المرء الكريم كنفسه
والمرء يصلحه الجليس الصالح

قال له عمر بن الخطاب يوما أنشدنى من شعرك. فقرأ سورة البقرة وقال ما كنت لاقول شعرا بعد اذا علمنى الله سورة البقرة فزاد عمر فى عطائه خمس مئة درهم وكان الفين . فلما كان فى زمن معاوية قال له هذان الفودان فما بال العلاوة ، يعنى بالفودان الالفين وبالعلاوة الخمس مئة . قال لبيد أموت الآن وتبقى العلاوة والفودان فترك له معاوية عطاءه كاملا

كان لبيد آلى على نفسه فى الجاهلية أن يطعم الناس كلما هبت الصبا وألزم ذلك نفسه فى الاسلام . فخطب الوليد بن عقبة الناس بالكوفة فقال ان اخاكم لبيدا كان آلى على نفسه ان يطعم الناس كلما هبت الصبا وألزم ذلك نفسه فى الاسلام وهذا اليوم من أيامه فأعينوه فأنا أول من يعينه ثم نزل فبعث اليه بمئة ناقة وكتب اليه :

أرى الجزار يشحذ شفرتيه
اذا هبت رياح أبى عقيل
أغر الوجه ابيض عامرى
طويل الباع كالسيف الصقيل
وفى ابن الجعفرى بحلفتيه
على العلات والمال الجزيل
بنحر الكوم اذ سحبت عليه
ذيول صبا تجاوب بالاصيل

فلما أتاه الشعر قال لابنته اجيبيه فقد ارانى ولا اعيا بجواب شاعر فقالت:

اذا هبت رياح ابى عقيل
دعونا عند هبتها الوليدا
اغر الوجه ابيض عبشميا
أعان على مروءته لبيدا
بأمثال الهضاب كأن ركبا
عليها من بنى حام قعودا
أبا وهب جزاك الله خيرا
نحرناها واطعمنا الثريدا
فعد ان الكريم له معاد
وظنى يا ابن أروى أن تعودا

فقال لبيد لابنته احسنت لولا انك استطعمته .فقالت انه ملك وليس بسوقة ولا بأس باستطعام الملوك

وملاعب الاسنة هو عم لبيد وهو عامر بن مالك وسمى ملاعب الاسنة لقول أوس بن حجر فيه :

ولاعب أطراف الاسنة عامر
فراح له حظ الكتيبة أجمع

وكان ملاعب الأسنة أخذ أربعين مرباعا فى الجاهلية . وأربد بن قيس الذى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عامر ابن الطفيل هو اخو لبيد لامه فدعا عليه رسول الله عليه فأصابته صاعقة فأحرقته فقال فيه لبيد :

أخشى على الاربد الحتوف ولا
ارهب نوء السماك والاسد
فجعنى والرعد والصواعق بالـ
ـفارس عند الكريهة النجد

وفيه يقول :

بلينا وما تبلى النجوم الطوالع
وتبقى الديار بعدنا والمصانع
وقد كنت فى أكناف جار مضنة
ففارقنى جار بأربد نافع
فلا جزع ان فرق الدهر بيننا
فكل أمرىء يوما به الدهر فاجع
وما الناس الا كالديار وأهلها
بها يوم حلوها وعدوا بلاقع
وما المرء الا كالشهاب وضوءه
يحور رمادا بعد ما هو ساطع
وما المال والاهلون الا ودائع
ولا بد يوما أن ترد الودائع
وما الناس الا عاملون فعامل
يتبر ما يبنى وآخر رافع
فمنهم سعيد آخذ بنصيبه
ومنهم شقى بالمعيشة قانع
أليس ورائى ان تراخت منيتى
لزوم العصا تحنى عليها الاصابع
أخبر اخبار القرون التى مضت
أدب كأنى كلما قمت راكع
فأصبحت مثل السيف اخلق جفنه
تقادم عهد القين والسيف قاطع
فلا تبعدن إن المنية موعد
علينا فدان للطلوع وطالع
اعاذل ما يدريك الا تظنيا
اذا رحل السفار من هو راجع
أتجزع مما أحدث الدهر بالفتى
واى كريم لم تصبه القوارع

ومن جيد شعره قوله :

اذا المرء أسرى ليلة ظن أنه
قضى عملا والمرء ما عاش عامل

حبـائله مبثوثة بفنـانه
ويفنى اذا ما أخطأته الحبائل
فقولا له ان كان يقسم امره
ألما يعظك الدهر امـك هابل
فان أنت لم تصدقك نفسك فانتسب
لعلك تهديك القرون الاوائل
فان لم تجد من دون عدنان باقيا
ودون معد فلتزعك العواذل
وكل امرىء يوما سيعلم سعيه
اذا جمعت عند الاله المحاصل
ويستجاد قوله :
واكذب النفس اذا حدثتها
ان صدق النفس يزرى بالامل
يقول اكذب النفس اذا منيتها الخير ووعدتها اياه لانه اذا صدقتها فقلت مصيرك الى الزوال ازرى ذلك بأملك
ويعاب عليه من هذه القصيدة قوله:
ومقام ضيق فرجتـه
بمقامى ولسانى وجدل
لو يقوم الفيل او فياله
زل عن مثل مقامى وزحل
قالوا ليس للفيال من الخطابة والبيان ولا من القوة مايجعله مثلا لنفسه . وانما ذهب الى ان الفيل اقوى البهائم فظن ان فياله اقوى الناس
قالوا ولما حضرته لوفاة انشد يخاطب ابنتيه :
تمنى ابنتاى ان يعيش ابوهما
وهل انا الامن ربيعة اومضر
فقوما فقولا بالذى تعلمـانه
ولا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر
وقولا هو المرء الذى لاصديقه
اخاف ولا خان الصديق ولا غدر
الى الحول ثم اسم السلام عليكما
ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر
وهو احد اصحاب المعلقات نأتى على معلقته هنا قال :
عفت الديار محلهـا فمُقامها
بمنى تأبد غولها فرجامها (١)
فمدافع الريان عُرِّيَ رسمها
خلَـقا كما ضمن الوحى سلامها(٢)

(١) عفت اندرست . المحل مكان الحلول . والمقام محل الاقامة . ومنى اسم موضع . وتأبد توحش . والغول والرجام موضعان . يقول . اندرست ديار الاحبة بمنى وتوحش هذان الموضعان لارتحـال الاحباب عنها
(٢) مدافع جمع مدفع وهو مجرى

دمن تجرم بعد عهد أنيسها
حجج خلون حلالها وحرامها (٣)
ورزقت مرابيع النجوم وصابها
ودق الرواعد جودها فرهامها (٤)

الماء والريان جبل بعينه والخلق القديم والوحى جمع وحى وهو الكتابة او المكتوب والسلام الحجارة . يقول: ان مدافع الريان خلت من الاحبة بعد ان كانت قديمة يسكنهم اياها ولم يبق من ديارهم الا كل هامد خامد كالكتابة على الاحجار . شبه ما بقى من آثارهم بالكتابة على الاحجار

(٣) الدمن جميع دمنة وهي آثار الديار من البعر والرماد وغيرها وتجرم ذهب . وحجج جمع حجة وهى السنة . يقول أن هذه الديار بَعُد عهد أهلها بها فمضت السنون وأيامها ومنها الشهور الحلال والحرام والعرب كان لها أشهر حُرُم تحرم فيها القتال كالقعدة والحجة والمحرم ورجب

(٤) المرابيع جمع مرباع وهى الامطار فى الربيع . وصابها أصابها والودق المطر والرواعد السحائب والجَوْد المطر الغزير والرهام المطر الضعيف . يقول سقى الله هاتيك الديار أمطار الربيع وامطر عليها من مطر السحائب ذوات الرعد ما بين غزيرة وضعيفة

من كل سارية وغاد مُدجن
وعشية متجاوب إرزامها (٥)
فعلا فروع الايهقان واطفلت
بالجلهتين ظباؤها ونعامها (٦)
والعين ساكنة على اطلائها
عُوذا تأجلُ بالفضاء بهامها (٧)

(٥) السارية السحابة التى تسرى ليلا . والغادى السحاب الذى ينشأ غدوة والمدجن المطبق آفاق السماء . والارزام التصويت يقول : سقاها الله در السحب الليلية والنهارية وسحائب كل عشية تدوى اصوات رعودها

(٦) الايهقان الجرجير . واطفلت صار لها أطفال والجلهتان ناحيتا الوادى . يقول: طالت بسبب الامطار فى هذه الديار فروع الجرجير وولدت ظباؤها ونعامها

(٧) العين الواسعة العيون وهى الابقار الوحشية والاطلاء جمع طلا وهو ولدها . وعوذ جمع عائذ وهى الحديثات النتاج من كل انثى . وتؤجل ان تصير آجالا والآجال جمع إجل وهو القطيع من بقر الوحش والفضاء الصحراء وبهام جمع بهم وهو جمع بهمة وهى اولاد الضأن والمعز والبقر

وجلا السيول عن الطلول كأنها
زُبُر تُجد متونها أقلامُها (٨)

أو رجع واشمة أُسِف نؤورها
كِففا تعرض فوقهن وشامها (٩)

يقول: والبقرات الوحشية الواسعات العيون وهى حديثات الولادة قد عكفن على صغارهن يرضعنهم وقد صارت أسرابا وانتشرت فى الفلوات

(٨) جلا كشف والزبر جمع زبور وهو الكتاب وتجد تجدد والمتون الظهور وأراد بها هنا التى عليها الكتابة. يقول لما هطلت تلك الامطار وتكونت منها السيول كشفت آثار الديار فكأن تلك السيول اقلام تجدد كتابة تلك الكتب

(٩) الرجع الاعادة والواشمة المرأة التى تصنع الوشم وأسف بضم الالف اى ذرو النؤور الكحل الذى ترشه الواشمة على الجرح والكفف الدوائر من كل شىء ككفة الميزان وغيره والوشام جمع وشم وهو غرز الابرة فى اللحم ثم ذر الكحل عليه يقول: وكأن تلك السيول واشمة رجعت وشما قد ضعف اثره على يد واعادته بذر النؤور على ذراته حتى صار جديداً

فوقفت أسألها وكيف سؤالنا
صماخوا الدايبين كلامُها (١٠)

عريت وكان بها الجميع فابكروا
منها وغودر نؤيها وثمامها (١١)

شاقتك ظعن الحى حين تحملوا
فتكنسوا قطنا تصر خيامها (١٢)

(١٠) الصم الصلاب وخوالد بواق ما يبين اى مايظهر. يقول وقفت اسأل تلك الديار عن اهلها ولكن أى فائدة فى سؤال احجار صلبة لا تجيب سائلا ولا تفصح عن مرادها

(١١) ابكروا ساروا عنها بكرة والنؤى حفيرة تحفر حول البيت ليجرى فيها ماء المطر والسيل فلا يدخل البيت والثمام نبت ضعيف. يقول: خلت هذه الديار من أهلها وارتحلوا عنها بكثرة ولم يتركوا الا النؤى والثمام

(١٢) شاقتك اى هاجت شوقك والظعن جمع ظعينة وهى المرأة ما دامت فى الهودج. وتحملوا ارتحلوا وتكنسوا دخلوا الكناس وهو بيت الظبى تصر من الصرير وهو صوت الباب والرحل يقول: هيج شوقك نساء الحى حين ارتحلن على هوادج من القطن

من كل محفوف يُظل عصيّه
زوج عليه كلة وقِرامها (١٣)
زُجُلا كأن نعاج توضح فوقها
وظباء وجْرةَ عُطفا آرامها (١٤)
حُفزت وزيلها السراب كأنها
اجزاع بيشة اثلها ورضامها (١٥)

الخيام تصر اى انها كانت جديدة

(١٣) المحفوف المغطي . وزوج نوع من البسط تطرح على الهوادج . والكلة الستر الرقيق . والقرام ستر رقيق ايضا . يقول : انهن حين ارتحلن دخلن هوادج مغطاة بالثياب قد غطيت عيدانه بنوع من البسط يسمى الزوج وجعل فوقها ستر رقيق ثم ستر آخر منقوش

(١٤) الزجل جمع زجلة وهي الطائفة من الناس والنعاج . وتوضح ووجرة موضعان وعطف جمع عاطف من العطف وهو الميل . وآرام جمع رئم وهو الظبي الابيض . يقول : ارتحلن جماعات كأنهن فى هوادجهن نعاج أى بقرات وحش توضح وظباء وجرة عاطفات على اطفالهن

(١٥) حفزت أى دفعت . وزيلها أى فارقها . واجزاع جمع جزع وهو منعطف لوادى . وبيشة اسم واد . والاثل شجر .

بل ماتذكر من نوار وقد نأت
وتقطعت اسبابها ورِمامها (١٦)
مُرية حلت بفيد وجاورت
اهل الحجاز فأين أين مرامها (١٧)
بمشارق الجبلين او بمحجر
فتضمنتها فردة فرجامها (١٨)

والرضام صخور عظام يقول ان ابل تلك النسوة خرجت فاندفعت فى سيرها حتى فارقها السراب كأنها أثلات وادى بيشة واحجاره الضخمة يريد أنها ضخمة

(١٦) نوار اسم امرأة . والاسباب الحبال . والرمام جمع رُمة وهى قطعة من الحبل بالية . يقول : اى شيء تتذكر من هذه المحبوبة وقد بعدت دارها وتقطعت عنك حبالها اى لم يبق بينكما صلة

(١٧) و (١٨) مرية منسوبة الى مرة وهى قبيلة . وفيد موضع . ومشارق الجبلين اى جوانبهما التى تلى المشرق . والمحجر اسم مكان . وتضمنتها اى اشتملت عليها لنزولها فيها . وفردة ورجام موضعان . يقول : ان هذه المحبوبة نزلت هذه المواضع على دفعات كل دفعة تنزل موضعا منها فكيف يتسنى لك الوصول اليها

فصوائق ان ايمنت فظنة
منها وحاف القهر أو طلخامها (١٩)

فاقطع لبانة من تعرض وصله
ولشر واصل خلة صرامها (٢٠)

واحبُ المجامل بالجزيل وصرمه
باقٍ اذا ظلعت وزاغ قوامها (٢١)

بطليح اسفار تركن بقية
منها فأحنق صلبها وسنامها (٢٢)

فاذا تغالى لحمها وتحسرت
وتقطعت بعد الكلال خدامها (٢٣)

فلها هباب فى الزمام كأنها
صهباء خف مع الجنوب جهامها (٢٤)

او ملمع وسقت لأحقب لاحه
طرد الفحول وضربها وكدامها (٢٥)

(١٩) صوائق وحاف القهر وطلخام مواضع . وايمنت اتت باليمين ومظنة الشيء الموضع الذى يظن كونه فيه . يقول : انها ان صدقت نحو اليمين فالمكان الذى هو مظنة لنزولها وحاف القهر اوطلخام من صوائق

(٢٠) اللبانة الحاجة . والخلة المحبة . وصرّام قطّاع . يقول : فاقطع حاجتك ممن يستقيم لك وصله فشر الناس من يقيم على المحبة حتى تستحكم ثم يقطعها

(٢١) احبُ أعط . والصرم القطيعة . وظلعت من الظلع وهو غمز الدواب فى مشيها . وزاغ مال . وقوام الامر مايقوم به . يقول : من عاملك بالجميل فعامله بالمثل فاذا آنست منه ظلما فى مودته فمل عنه كما مال عنك

(٢٢) الطلح الذى اعجزه السير واهزله ، وتركن الضمير للاسفار . وأحنق اى هزل ورق . والصلب الظهر . يقول : من مال عنك فمل عنه بركوب ناقة قد اهتزلتها الاسفار وفيها بقية من قوة

(٢٣) و (٢٤) تغالى ارتفع . وتحسرت انكشفت عظامها . وخدامها جمع خدمة وهو سير يشد فى رسغ البعير . والهباب النشاط . والصهباء سحابة فى لونها صهبة اى حمرة . والجهام السحاب الذى أراق ماءه . يقول تكون هذه الناقة بعد ان هزلت وتقطعت سيورها خفيفة فى السير كأنها سحابة أسرعت مع ريح الجنوب

(٢٥) ملمع من ألمعت الفرس والاتان اذا اشرقت ضروعها للحمل واسودت حلمتاها ووسقت حملت . والاحقب حمار الوحش . ولاحه غيره . والكدم العض بأدنى الفم يقول : اوكأن تلك الناقة اتان اشرق ضرعها باللبن واسودت حلمتاها قد حملت من

يعلو بها حدب الاكام مسحّج
قدرا به عصيانها ووحامها (٢٦)
بأحزّة الثلبوت يربأ فوقها
قفر المراكب خوفها آرامها (٢٧)
حتى إذا سلخا جمادى ستة
جزءا فطال صيامه وصيامها (٢٨)
رجعا بأمرهما الى ذى مرة
حصد ونجح صريمة ابرامها (٢٩)
حمار وحش احقب أى فى حقويه بياض وقد حزله طراد الفحول له وعضها اياه

(٢٦) حدب الاكام ما احدودب منها . والآكام جمع أكمة . والمسحج لمعضض والوحام شهوة النكاح وقد يخص بشدة شهوة الحامل لبعض المآكل . يقول: ان هذا الحمار يعلو بهذه الاتان ليبعدها عن الفحول وهو فى ريبة من عصيانها عليه وشهوتها

(٢٧) احزة جمع حزيز وهو المكان الغليظ . والثلبوت اسم مكان . ويربأ يرقب والآرام اعلام الطريق . يقول: ما زال ذلك الحمار وتلك الاتان باحزة الثلبوت يرقب فوقها ليبصر ماحوله

(٢٨) و (٢٩) سلخا أى مر عليها برمته . وجمادى اذا أطلق أريد به زمن الشتاء وان لم يقع فى جمادى . وصيامه امساكه عن الماء . والمرة القوة . وحصد محكم . والصريمة العزيمة . وابرام الامر إحكامه . يقول: ما زالا باحزة الثلبوت حتى مر عليهما الشتاء وجاء الربيع حتى صار يكتفيان بأكل رطب الحشيش عن ورد الماء رجعا بأمرهما الى رأى قوى محكم يريد أنهما عزما بعد ذلك على النزول لطلب الماء

ورمى دوابرها السفا وتهيجت
ريح المصايف سومها وسهامها (٣٠)
فتنازعا سبطا يطير ظلاله
كدخان مشعلة يشب ضرامها (٣١)

(٣٠) الدوابر مآخير الحوافر . السفا شوك شجر البهمى . والمصايف جمع المصيف وهو الصيف . وسومها مرها والسهام ريح حارة . يقول: وقد رمى دوابرها الشوك وهيجت ريح الصيف الحشيش بمرورها وحرارتها

(٣١) سبطا أى غبارا مرتفعا طويلا ومشعلة اى نار مشعلة . ويشب يوقد . وضرام جمع ضرم وهو جمع ضرمة وهو كل شيء تسرع فيه النار . يقول: انهما ركضا الى الماء حتى ثار الغبار فكأنه وقد

مشمـولة غلثت بنابت عرفج
كدخان نارساطع اسنامها (٣٢)
فمضى وقدمهـا وكانت عادة
منه اذا هى عردت اقدامها (٣٣)
فتوسطا عرض السرى وصدعا
مسجورة متجاوراً قلامها (٣٤)
ارتفع من تحت أرجلها دخان نار مشعلة تتوقد ضرامها

(٣٢) مشمولة اى اصابتها ريح الشمال وهى صفة لمشعلة . وغلست خلطت ونابت عرفج اى طرى النبات المسمى بالعرفج . وأسنامها ماارتفع منها . يقول: ان الغبار الذى اثاراه كان كدخان نار هبت عليها ريح الشمال ووضع عليها الغض من نبات العرفج فراد فى دخانه

(٣٣) عردت أى حادت وتأخرت وأقدامها تقديمها . يقول : سارا الحمار قاصدا الماء وجعلها أمامه لكى لا تفر منه وكان ذلك ديدنه معها كلما سايرها

(٣٤) توسطا صارا فى الوسط . والعرض الناحية والسرى النهر الصغير وصدعا شقفا النبت الذى على الماء . والمسجورة المملوءة والقلام نبت يكون على الانهار . يقول : انهما خاضا النهر

محفوفة وسط اليراع يظلها
منه مصرّع غابة وقيامها (٣٥)
أفتلك أم وحشية مسبوعة
خذلت وهادية الصوار قوامها (٣٦)
خنساء ضيعت الفرير فلم يرم
عرض الشقائق طوفها وبغامها (٣٧)
حتى توسطاه وشقفا النبت الذى عليه

(٣٥) محفوفة أى محاطة . واليراع القصب . والمصرع الساقط . يقول . ان شدة عطشهما حملهما على توسط النهر على كثرة نباته وعلى انه محاط بالقصب يظله منه ما سقط وما هو قائم

(٣٦) الوحشية البقرة الوحشية . والمسبوعة التى أكل السبع ولدها . وخذلت اى تأخرت عن القطيع . وهادية الصوار التى تتقدمه . والصوار القطيع من البقر . وقوامها الذى يقوم به . يقول : أفتلك الاتان تشبه ناقتى أم بقرة وحشية أكل السبع ولدها وقد تأخرت عن أصحابها من الوحوش وأقامت على ولدها ترعاه وتتلفت الى البقر فاذا رأتها طابت نفسا وعلمت ان القطيع لم يفتها

(٣٧) خنساء من الخنس وهو تأخر الانف وقصره والابقار كلها خنساء

لمعفر قَهْد تنازع شلوه
غبس كواسب لايمن طعامها (٣٨)
صادفن منها غرة فأصبنها
ان المنايا لاتطيش سهامها (٣٩)

والفرير ولد البقرة . ولم يرم لم يبرح . والشقائق جمع شقيقة وهى أرض صلبة بين رماتين . والطوف الطواف . والبغام صوت تختلسه البقرة اختلاسا . يقول هذه البقرة الخنساء قد ضيعت ولدها حتى افترسه السباع ولم يبرح طوافها وخوارها يرن فى نواحى الارضين الصلبة فى طلبه

(٣٨) المعفر الملقى على العفر وهو أديم الارض . والقهد الابيض. والشلو العضو وقيل بقية الجسد . والغبس جمع أغبس وهو الذى لونه كلون الرماد. والمن القطع يقول : هى تطوف وتصيح لاجل جؤذر ملقى على الارض ابيض قد تنازعت أعضاءه ذئاب غبس لاينقطع طعامها أى هى لاتفتر عن الاصطياد

(٣٩) يقول : صادفت هذه الذئاب منها غفلة فأصبنها بافتراس ولدها . ثم قال وان الموت لاتطيش سهامه

باتت وأسبل واكف من ديمة
يروى الخمائل دائما تسجامها (٤٠)
يعلو طريقة متنها متواتر
فى ليلة كفر النجوم غمامها (٤١)
تجتاف أصلا قالصا متنبذاً
بعجوب انقاء يميل هيامها (٤١)

(٤٠) واكف من الوكف والوكفان وهو نزول المطر . والديمة المطرة التى تدوم واقلها نصف يوم وليلة والخمائل جمع خميلة وهى كل رملة ذات نبت وقيل هى أرض ذات شجر . والتسجام اى السجم يقال سجم الدمع اى صبه وسجم الدمعُ اى انصب، ويقول : باتت البقرة بعد فقدها ولدها وقد أسبل مطر واكف من مطر دائم يروى الرمال المنبتة فى حال دوام سكبها الماء

(٤١) طريقة المتن خط من ذنبها الى عنقها . والكفر التغطية . يقول : يعلو صلب هذه البقرة قطر متواتر فى ليلة سترت غيومها نجومها

(٤٢) الاجتياف الدحول فى جوف الشىء . والتنبذ التنحى . والعجب أصل الذنب . والنقا الكثيب من الرمل والهيام مالا تماسك به من الرمل . يقول : وقد دخلت البقرة الوحشية فى جوف اصل

وتضىء فى وجه الظلام منـيرة
كجمانةالبحرى سل نظامها (٤٣)
حتى اذا حسر الظلام وأسفرت
بكرت تزل عن الثرى ازلامها(٤٤)
علهت تردد فى نهاء صعائد
سبعا تؤاما كاملا أيامها (٤٥)

شجرة متنح عن سائر الشجر وقد قلصت اغصانها وذلك الشجر فى اصول كثبان من الرمل يميل ما لا يتماسك منه عليها لهطلان المطر وهبوب الريح

(٤٣) وجه الظلام اوله . والجمان در مصوغ من الفضة ثم يستعار للدر يقول : تضى هذه البقرة فى اول ظلام الليل كدرة الصدف البحرى حين سل النظام منها

(٤٤) الانحسار الانكشاف . والاسفار الاضاءة والازلام قوائمها واحده زلم يقول : حتى اذا انجلى ظلام الليل بكرت الناقة من مأواها فتزل قوائمها عن التراب الندى لكثرة المطر الذى اصابه ليلا

(٤٥) العله والهلع الانهماك فى الجزع والضجر . والنهاء جمع نهى ونهى وهما الغدير . وصعائد اسم موضع والتؤام جمع تؤم يقول : أمعنت هذه البقرة فى الجزع وترددت متحيرة فى وهادهذا الموضع

حتى اذا يئست واسحق خالق
لم يبله ارضاعها وفطامها (٤٦)
فتوجست رز الانيس فراعها
عن ظهر غيب والانيس سقامها(٤٧)
فغدت كلا الفرجين تحسب أنه
مولى المخافة خلفها وأمامها (٤٨)

وغدوانه سبع ليال تؤام للايام وقد كملت أيام تلك الليالى أى أنها ترددت فى طلب ولدها سبع ليال بأيامها وجعل أيامها كاملة اشارة الى أنها كانت من أيام الصيف وشهور الحر

(٤٦) الاسحاق الاخلاق . والخالق الضرع الممتلىء لبنا وانما كان خلقا لانقطاع ابنها . ثم قال ولم يبل ضرعها ارضاعها ولدها لافطامها اياه وانما أبلاه فقدها اياه

(٤٧) الرز الصوت الخفى والانيس والانس واحد . يقول : فتسمعت البقرة صوت الناس فأفزعها ذلك وانما سمعته عن ظهر غيب اى لم تر الانيس . ثم قال والناس سقام الوحش وداؤها لانهم يصيدونها

(٤٨) الفرج موضع المخافة . والفرج ما بين قوائم الدواب فما بين اليدين فرج وما بين الرجلين فرج ، والمولى هنا بمعنى

حتى اذا يئس الرماة وارسلوا
غضفادواجن قافلاأعصامها (٤٩)
فلحقن واعتكرت لها مدرية
كالسمهرية حدها وتمامها (٥٠)
لتذودهن وأيقنت ان لم تذد
ان قدأحم من الحتوف حمامها (٥١)

الأولى بالشيء . يقول فتدت البقرة وهى تحسب ان كلامن فرجيها محلا للمخافة أو تحسب ان كل فرج من فرجيها هو الاولى بالمخافة

(٤٩) الغضف من الكلاب المسترخية الآذان . والدواجن المعلمات . والقفول اليبس واعصامها بطونها. يقول: حتى اذا يئس الرماة من البقرة، وعلموا ان سهامهم لا تنالها ارسلوا كلابا مسترخية الآذان معلمة ضامرة البطون

(٥٠) اعتكرت عطفت . والمدرية طرف قرنها . والسمهرية الرماح. يقول : فلحقت الكلاب البقرة فأقبلت البقرة على الكلاب وطعنها بقرنها الذى هو كالرماح

(٥١) الذودالرد . والاحام القرب يقول : عطفت البقرة لترد الكلاب عن نفسها وأيقنت انها ان لم تذدها قرب موتها

فتقصدت منها كساب فضرجت
بدم وغودر فى المكر سخامها (٥٢)
فبتلك اذ رقص اللوامع بالضحى
واجتاب اردية السراب اكامها (٥٣)
أقضى اللبانة لا أفرط ريبة
او ان يلوم بحاجة لوامها (٥٤)
او لم تكن تدرى نوار بأننى
وصال عقد حبائل جذامها (٥٥)

(٥٢) تقصدت قتلت . وكساب اسم كلبة . وسخام اسم كلبة اخرى. يقول: فقتلت البقرة كساب وضرجتها بالدم وتركت سخاما فى موضع كرها صريعة

(٥٣) يقول : فبتلك الناقة اذا رقص لوامع السراب بالضحى ولبست الآكام أردية من السراب اقضى حوائجى وهذا الجواب فى البيت التالى

(٥٤) اللبانة الحاجة . والتفريط التضييع . والريبة التهمة. واللوام مبالغة فى اللائم . يقول : بركوب هذه الناقة واتعابها فى حر الهواجر أقضى وطرى ولا أفرط فى طلب بغيتى الا ان يلومنى لائم . وتحرير المعنى انه لا يقصر ولكن لا يمكنه الاحتراز من لوم اللوام

(٥٥) الحبائل جمع الحبالة وهى

تراك أمكنة اذا لم أرضها
او يعتلق بعض النفوس حمامها (٥٦)
بل انت لا تدرين كم من ليـلة
طلق لذيذ لهوها وندامها (٥٧)
قد بت سـامرها وغاية تاجر
وافيت اذ رفعت وعز مدامها (٥٨)

مستعارة للعهد والمودة . والجذع القطع . والجذام مبالغة الجاذم . وجع الى التشبيب بمحبوبته فقال او لم تكن تعلم نوار انى وصال عقد العهود والمودات وقطاعها . يريد انه يصل من استحق الصـلة ويقطع من استحق القطيعة

(٥٦) يقول : انى تراك أماكن اذا لم ارضها الا أن يرتبط نفسي حمامها فلا يمكنها البراح وأراد ببعض النفوس نفسه

(٥٧) ليلة طلق وطلقة ساكنة لا حر فيها ولا قر . والندام جمع نديم ، والندام ايضا المنادمة . يقول : بل انت لا تعلمين كم من ليلة ساكنة غير مؤذية بحر ولا ببرد لذيذة اللهو والمنادمة قد بت أسامر ندمائي فيها وهذا الخبر يأتى فى البيت الذى بعده

(٥٨) الغاية راية ينصبها الخمار ليعرف مكانه . والتاجر الخمار . يقول قد بت تلك الليلة أسامر ندمائي ورب راية خمار اتيتها حين رفعت ونصبت وغلت خمرها وقل وجودها يتمدح باشترائه الخمر غالية لندمائه

أغلى السبـاء بكل أدكن عاتق
اوجونة قدحت وفض ختامها (٥٩)
بصبوح صافيـة وجذب كرينة
بمـوتر تأتاله ابهامهـا (٦٠)
بادرت حاجتها الدجاج بسحرة
لأُعَلّ منها حين هب نيامها (٦١)

(٥٩) سبأت الخمر اشتريتها . واغلى الشيء . اشتراه غاليا . والادكن الذى فيه دكنة ، والجونة السوداء اراد بها خابية سوداء . والقدح الغرف . والفض الكسر . والختام الخاتم . يقول : اشترى الخمر غالية السعر باشتراء كل زق ادكن او خابيـة سوداء قد فض ختامها واغترف منها

(٦٠) الـكرينـة الجارية العوادة . والائتيال المعالجة . والموتر العود يقول : وكم من صبوح خمر صافية وجذب عوادة عوداً متوتراً تعالجه بابهامها استمتعت بالاصغاء الى أغانيها

(٦١) يقول : بادرت الديوك لحاجتي الى الخمر اى تعاطيت شربها قبل ان يصدح الديك لاسقى منها مرة بعد اخرى

وغداة ريح قــد وزعت وقرة
قد أصبحت بيد الشمال زمامها (٦٢)
ولقد حميت الحى تحمل شكتى
فرط وشاحى اذ غدوت لجامها (٦٣)
فعلوت مرتقبا على ذى هبوة
حرج الى اعلامهن قتامها (٦٤)
حــين استيقظ نيام السحر

(٦٢) القرة البرد . يقول : وكم من غداة تهب فيها الشمال وهى ابرد الرياح وبرد قد ملكت الشمال زمامه قد كففت عادية البرد عن الناس باطعامهم

(٦٣) الشكة السلاح . والفُرط الفرس المتقدم السريع الخفيف . يقول : ولقد حميت قبيلتى فى حال حمل فرس متقدم سريع سلاحى ، ووشاحى لجامها اذا غدوت . يريد انه يتوشح بلجامها لفرط الحاجة اليه

(٦٤) المرتقب المكان المرتفع الذى يقوم عليه الرقيب . والهبوة الغبرة والحرج الضيق جدا . والاعلام الجبال والرايات والقتام الغبار . يقول . فعلوت عند حماية الحى مكانا عاليا اى كنت ربيئة لهم على ذى هبوة أى على جبل ذى هبوة ، وقد قرب قتام . تلك الهبوة الى أعلام فرق

حتى اذا ألقت يدا فى كافر
وأجن عورات الثغور ظلامها (٦٥)
أسهلت وانتصبت كجزع منيفة
جرداء يحصر دونها جرامُها (٦٦)

الاعداء وقبائلهم اى على جبل قريب من جبال الاعداء وراياتهم

(٦٥) الكافر الليل سمى به لكفره الاشياء اى لستره اياها ، والاجنان الستر والثغر موضع المخافة ، وعوراته أشدها مخافة ، يقول : حتى اذا ألقت الشمس يدها فى الليل ابتدأت فى الغروب ، وعبر عن هذا المعنى بالقاء اليد لان من ابتدأ بالشىء قيل القى يده فيه ، وستر الظلام مواضع المخافة

(٦٦) أسهل أتى السهل من الارض والمنيفة العاليــة الطويلة والجرداء القليلة السعف والليف ، والحصَر ضيق الصدر ، والجرام جمع الجارم وهو الذى يجرم النخل أى يقطع حمله . ويقول : لما غربت الشمس وأظلم الليل نزلت من المرقب وأتيت مكانا سهلا وانتصبت الفرس لجزع نخلة طويلة يضيق صدور الذين يريدون قطع حملها لعجزهم عن ارتقائها

رفعتها طرد النعام شلّه
حتى اذا سخنت وخف عظامها (٦٧)
قلقت رحالتها واسبل نحرها
وابتل من زبد الحميم حزامها (٦٨)
ترقى وتطعن فى العنان وتنتحى
ورد الحمامة اذا أجد حمامها (٦٩)

(٦٧) رفعتها مبالغة فى رفعتها . والطرد والشل واحد وهو المطاردة . يقول: حلت فرسى وكلفتها عدوا مثل عدو النعام أو يصلح لاصطياد النعام حتى اذا جدت فى الجرى وخف عظامها فى السير قلقت رحالتها الخ

(٦٨) القلق سرعة الحركة . والرحالة شبه سرج يتخذ من جلود الغنم ليكون أخف. وأسبل أمطر وهطل. والحميم العرق. يقول : اضطربت رحالتها على ظهرها لاسراعها فى عدوها وامطر نحرها عرقا وابتل حزامها

(٦٩) الانتحاء الاعتماد . يقول : ترفع عنقها نشاطا فى عدوها حتى كأنها تطعن بعنقها فى عنانها وتعدت فى عدوها الذى يشبه ورد الحمامة حين جد الحمام التى فى جلتها فى الطيران لما أُلحّ عليها من العطش

وكثيرة غرباؤها مجهولة
ترجى نوافلها ويخشى ذامها (٧٠)
غُلب تشذر بالذحول كأنها
جن البدىّ رواسيا أقدامها (٧١)
أنكرت باطلها وبؤت بحقها
عندى ولم يفخر على كرامها (٧٢)

(٦٩) الذام العيب . يقول : ورب مقامة أو قبة أو دار كثرت غرباؤها وغاشيتها وجهلت اى لا يعرف بعض الغرباء بعضا فيها ترجى عطاياها ويخشى عيبها . يفتخر بالمناظرة التى جرت بينه وبين الربيع بن زياد فى مجلس النعمان بن المنذر

(٧١) الغلب الغلاظ الاعناق . والتشذر التهدد والذحول الاحقاد الواحدة ذَحْل والبدى اسم موضع . والرواسى الثوابت . يقول : هم رجال غلاظ الاعناق كالاسود اى خلقوا خلقه الاسود يهدد بعضهم بعضا بسبب الاحقاد التى بينهم . ثم شبههم بجن ذلك الموضع فى ثباتهم فى الخصام والجدال

(٧٢) باء بكذا أقر به . يقول : أنكرت باطل دعاوى اولئك الرجال الغلب واقررت بما كان حقا منها عندى ولم يفتخر على كرامها أى لم يغلبنى بالفخر كرامها

وجزور ايسار دنوت لحتفها
بمغالق متشابه أجسامها (٧٣)
أدعو بهن لعاقر أو مطفل
بذلت لجيران جميع لحامها (٧٤)
فالضيف والجار الجنيب كأنما
هبطا تبالة مخصبا اهضامها (٧٥)

(٧٣) الجزور الناقة التى تذبح . وايسار جمع يَسَر وهو صاحب الميسر . والمغالق سهام الميسر . يقول: ورب جزور اصحاب ميسر دعوت ندمائى لعقرها ونحرها بأزلام متشابهة الاجسام . وسهام الميسر يشبه بعضها بعضا . وتحرير المعنى ورب جزور اصحاب ميسر كانت تصلح لتقامر الايسار عليها دعوت ندمائى لهلاكها اى لنحرها بسهام متشابهة. يفتخر بنحره اياها من صلب ماله ومن كسب قماره

(٧٤) العاقر التى لا تلد والمطفل ذات الطفل . واللحام جمع لحم . يقول : أدعو بالقداح لنحر ناقة عاقر او ناقة مطفل تبذل لحومها لجميع الجيران. وذكر العاقر لانها اسمن والمطفل لانها أنفس

(٧٤) الجنيب الغريب . وتبالة واد مخصب من أودية اليمن . والاهضام جمع هضم المطمئن من الارض . يقول : فالاضياف والجيران الغرباء عندى كأنهم نازلون هذا الوادى فى كثرة نبات أماكنه المطمئنة . شبه ضيفه وجاره فى الخصب والسعة بنازل هذا الوادى أيام الربيع

يأوى الى الاطناب كل رذية
مثل البلية قالص اهدامها (٧٦)
ويكللون اذا الرياح تناوحت
خلجا تمد شوارعا ايتامها (٧٧)

(٧٦) الاطناب حبال البيت واحدها طُنُب . والرذية التى ترذى فى السفر أى تتخلف لفرط هزالها أو كلالها استعارها للفقيرة والبلية الناقة التى تشد على قبر صاحبها حتى تموت والاهدام الاخلاق من الثياب وقلوصها قصرها يقول: وتأوى الى اطناب بيتى كل مسكينة ضعيفة متقلصة الاهدام ثم شبهها بالبلية فى شدة قصورها وعجزها عن الكسب

(٧٧) تناوحت تقابلت. والخلج جمع خليج وهو النهر الصغير يخلج من نهر كبير او من بحر . وتمد تزاد . وشرع فى الماء خاض فيه. يقول: وتكلل للفقراء والمساكين والجيران اذا تقابلت الرياح أى فى كَلَب الشتاء واختلاف هبوب الرياح جفانا تحكى

انا اذا التقت المجامع لم يزل
منا لزاز عظيمة جشامها (۷۸)
ومقسم يعطى العشيرة حقها
ومغذمر لحقوقها هضامها (۷۹)
فضلا وذو كرم يعين على الندى
سمح كسوب رغائب غنامها (۸۰)

بكثرة مرقها انهارا تشرع ايتام المساكين فيها وقد كالمت بكبور اللحم

(۷۸) لزاز يقال رجل لزاز الخصوم أي يُلزبهم ان يقرن بهم ليقهرهم يقول: اذا اجتمعت جماعات القبائل فلم يزل يسودهم رجل منا يقمع الخصوم عند الجدال ويتجشم عظائم الخصام

(۷۹) التغذمر والغذمرة التغضب مع همهمة والهضم الكسر والظلم . يقول : هذا الرجل يقسم الغنائم فيوفر على العشائر حقوقها ويغضب عند اضاعة شيء من حقوقها ويهضم حقوق نفسه ويريد بقوله ومغذمر لحقوقها اى لاجل حقوقها

(۸۰) الندى الكرم والرغائب جمع الرغيبة وهي مارغب فيه من شيء نفيس او خصلة شريفة او غيرها والغنام مبالغة الغانم . يقول : انه يفضل ماسبق ذكره تفضلا ولم يزل منا كريم يعين اصحابه

من معشر سنت لهم آباؤهم
ولكل قوم سنة وامامها (۸۱)
لايطبعون ولا يبور فعالهم
اذ لايميل مع الهوى احلامها (۸۲)
فاقنع بما قسم المليك فانما
قسم الخلائق بيننا علامها (۸۳)
واذا الامانة قسمت فى معشر
أوفى بأوفر حظنا قسامها (۸٤)

على الكرم اى يعطيهم ما يعطيه جواد يكسب رغائب المعالى ويغتنمها

(۸۱) يقول : هو من قوم سنت لهم اسلافهم كسب رغائب المعالى واغتنامها ثم قال ولكل قوم سنة وامام يأتمون به

(۸۲) الطبع تدنس العرض وتلطخه والفعل طبع يطبع . و (البوار) الفساد والهلاك . والفعال الفعل جميلا او قبيحا يقول لا تدنس اعراضهم بعار ولا تفسد افعالهم اذ لا تميل عقولهم مع اهوائهم

(۸۳) يقول فاقتنع ايها العدو بماقسم الله تعالى فان قسّام المعايش والخلائق علامها . يريد ان الله تعالى قسم لكل انسان مااستحقه من كال ونقص ورفعة وضعة

(۸٤) المعشر القوم . وأوفى ووفى كل

فبنى لها بيتا رفيعا سمكه
فسما اليه كهلها وغلامها (٨٥)
وهم السعاة اذا العشيرة أفظعت
وهم فوارسها وهم حكامها (٨٦)
وهم ربيع للمجاور فيهم
والمرملات اذا تطاول عامها (٨٧)
ووفر . والوفور الكثرة . وبأوفر حظنا اى بأكثر حظنا . يقول : واذا قسمت الامانات بين أقوام وفر وكل قسمنا من الامانة اى نصيبنا الاكثر منها

(٨٥) يقول : بنى الله تعالى لنا بيت شرف ومجد عالى السمك اى السقف فارتفع الى ذلك الشرف كهل العشيرة وغلامها . يريد أن كهولهم وشبابهم يسمون الى المعالى والمكارم

(٨٦) السعاة جمع الساعى وأفظعت أصيبت بأمر فظيع . يقول : اذا أصاب العشيرة أمر عظيم سعوا فى دفعه وكشفه وهم فرسان العشيرة عند قتالها ، وحكامها عند تخاصمها . يريد رهطه الادنين

(٨٧) أرمل القوم نفدت أزوادهم . يقول . هم لمن جاورهم وللنساء اللواتى نفدت أزوادهم ربيع لعموم نفعهم واحيائهم اياه بجودهم كما يحيي الربيع الارض . وتحرير

وهم العشيرة ان يبطىء حاسد
أو أن يميل مع العدو لئامها (٨٨)
المعنى انهم لمن جاورهم وللنساء اللواتى نفدت أزوادهن بمنزلة الربيع اذا تطاول عامها لسوء حالها لان زمان الشدة يستطال

(٨٨) يبطىء حاسد اى كراهية ان يبطى حاسد بعضهم عن نصر بعض أو كيلا يبطىء حاسد بعضهم عن نصر بعض وكراهته ان يميل لئام العشيرة واخساؤها مع العدا ويظاهر الاعداء على الاقرباء

لبس عليه الامر يلبسه لَبسا خلطه . و (لبِس الثوب يلبَسه لُبسا) وضعه على جسمه . و(لبّس عليه الامر) خلطه . و (لابسه مُلابسة) خالطه و(لاَبس الامر) زاوله . و(ألبسه) غطاه و(تلبّس بالامر أو بالثوب) اختلط به و (اللِباس) مايلبس جمعه ألبِسة . والزوج والزوجة يقال لكل منهما لباس للآخر . و (اللَبْس) الخلط و (اللِبس) مايلبس جمعه لُبوس . و(اللِبسة) هيئة اللبس . و (اللَبْسة) الشبهة . و(اللَبوس) مايلبس . و (الملبَس) مايلبس

الملبس يحسن بنا تحت هذا

العنوان أن نأتى على نبذة صحية فى امره :
الملبس هو الحاجة الثالثة للانسان بعد الشرب والاكل . وهو على شدة ضرورته وتأثير شكله على الصحة يذهب فيه أكثر الناس مذهبا لايتفق مع علم الصحة ولا مع الغرض الذى وضع هو لاجله فنجمل الكلام عليه فيما يلى :
كثير من الناس يحتملون الامراض لاجسامهم بسوء ملبسهم فقد يشاهد كثير منهم يركمون على اجسادهم من الملابس مالاتستدعيه حال الجو ظنا منهم أن ذلك يحميهم عوادى البرد ، وهم فى ذلك واهمون فقد ثبت أن الاكثار من الملابس لايدفع مرضا ولا يمنع عرضا مادام لم يراع العلم فيها
فان الامراض الخطيرة الشأن كالروماتيزم والتهابات الرئتين والاضطرابات الهضمية وامراض القلب واوجاع الرأس وآلام الصدر الخ كلها قد تتأتى من التشدد فى التدثر بالملابس الكثيرة ولبيان ذلك نقول :
خلق الله الجسم وجعل فيه ثقوبا صغيرة يقال لها المسام احصاها العلماء . فبلغت نحو ٢٤٠٠٠٠٠ وظيفتها افراز العرق والغازات المختلفة . وليس هذا العرق الا افرازاً يحتوى على كثير من المتحصلات السمية التى تتخلف من الاطعمة من هلاك عدد لايحصى من الخلايا الجسدية التى بادت بحركة الحياة وصار خروجها من الدم ضربة لازب والا بقيت فيه وأحدثت اضطرابا عظيما فى البنية . ألا ترى أن التعريق يشفى كثيراً من أنواع الحمى وأمراضا أخرى الامر الذى يدل دلالة واضحة على خطورة وظيفة هذه المسام الجسدية ؟ فاذا أهمل الانسان العناية بأمر هذه الفتحات فتركها تنسد بالدهن الذى يفرزه الجسم ولم يتعهدها بما يزيله من الغسل بالصابون والدلك بالماء قصرت عن أداء وظيفتها فحدث من وراء ذلك اضطراب فى الصحة ينجم عنه كل ماقدمناه من الامراض فيسرع المصاب الى تلمس الصحة بالعقاقير وهو غافل عن السبب الاصلى للمرض وهو اهماله أمر الصحة الجلدية فلا تجديه تلك العقاقير نفعا
الملابس الكثيرة التى لايراعى فيها العلم الصحى مما يساعد على منع المسام عن أداء وظيفتها فتكون سببا فى تلك الامراض أيضا

اذا تقرر هذا فما هو الملبس الصحى الذى يحمينا شدائد الحر والبرد ولا يمنع المسام من أداء وظيفتها ؟

يجيب علماء الصحة على هذا السؤال بقولهم ان كثرة الملابس ليست وسيلة محمودة للتدثر للسبب الذى ذكرناه آنفا وهو تعطيل مسام الجلد عن أداء وظيفتها ويقولون ان أحسن وسيلة للتدثر هو ايقاظ الحرارة الغريزية للجسم بتعهد الجلد بالغسل يوميا بماء فاتر ولا يراد بالغسل المكث فى الحمام مدة طويلة بل بدلك الجسم كله بفوطة خشنة مبتلة مدة لا تزيد عن دقيقتين أو ثلاث ثم تجفيف البدن جيداً وأرداف ذلك بحركات رياضية مناسبة كتحريك الذراعين حول العضد ، والساقين حول مفصلها العلويين على حالات شتى ، وثنى الجسم وتقويمه على نظام خاص مدة لاتزيد عن ربع أو نصف ساعة

بهذه الواسطة ينتشر الدم فى الجلد فتتولد فيه مناعة طبيعية دافعة لافاعيل البرد لا مناعة صناعية كما يحصل من التدثر بالملابس

أما الاعتماد على الملابس وترك الجلد خاليا من الدم بعدم تعهد الاعضاء بالحركة فطريقة تؤدى بالانسان الى كثير من المضار أقلها صيرورة الانسان قابلا للتأثر بأقل تيار من الهواء يصيبه فى وقت من الاوقات

وفى النظر لحالة العمله من الصناع والزراع عبرة لمن يريد الاعتبار فانهم لا يلبسون من الملابس مايتعدى الشعار والدثار المصنوعين من القطن بل منهم من ليس على صدره شىء وهم مع ذلك متمتعون من الحرارة الغريزية بما لا يتمتع به ساكنو القصور فى حجراتهم الموصدة وحول مواقدهم المتأججة

العلة فى ذلك ان العملة بتحريكهم أعضاءهم بالعمل يولدون فيها حرارة غريزية كافية لمقاومة بردالجو المحيط بهم فيتمتعون بالدفء الذاتى الذى يحميهم غوائل الطبيعة ولكن الاغنياء يهملون استثمار ذلك الينبوع الحرارى الطبيعى الكامن فى أجسادهم ويعمدون الى اعاضته بالملابس والمدافىء فيشبهون الزمنى والعجزة ويتعرضون بذلك لفعل التيارات الهوائية متى لاح لهم عمل خارج بيوتهم فلا يكاد يغادرهم الزكام طول فصل الشتاء

لا يجوز أن تختلف ملابس الشتاء عن ملابس الصيف الا فى منسوجاتها فيجب أن تكون فى الشتاء من الصوف وفى الصيف من القطن فان للصوف خاصة التدفئة بطبيعته ناهيك انه اللبوس الذى اختاره الله للحيوان الاعجم فهو والحالة هذه أليق الملابس بالاجسام الحيوانية

هنا يجب ان ننبه ان الانتقال من عادة اكثار الملابس الى هذه الطريقة الصحية لا يجوز أن يكون الا تدريجا تفاديا من حدوث برد أو زكام على ان الطبيعة ذاتها أكبر هاد للانسان الى ما يجب عمله فانه متى بدأ فى الاعتناء بصحة جلده من تعهده بالدلك والماء الفاتر ثم البارد زادت حرارته الغريزية وأحس بدفء طبيعى ونشاط يحمله على ترك طبقة اوطبقات من ملابسه الاعتيادية

﴿رأى الدكتور (ايجلر) فى الملبس﴾
(الصحى)

كتب الدكتور ايجلر الالمانى مقالا فى موضوع الملبس نقله عنه الاستاذ (بلز) فى كتابه الطب الطبيعى ننقله عنه قال :

يجب الالتفات أولا الى هذا الامر وهو انه ليس الحامى لنا من البرد هو القماش المنسوج من مادة خاصة ولكن السر فى التدفئة يعود الى طريقة صنعه وأسلوب نسجه فان الثوب الثقيل الصفيق لا يحمينا من البرد بقدر ما يحمينا منه ثوب رقيق واسع النسيج لانه ليس الثوب هو الذى يوجد لنا الدفء بل الطبقة الهوائية التى توجد بين الجسم وبينه . هذه هى الحقيقة الاولية فى قانون الملبس فلا يجوز نسيانها فالملابس مهما كانت غليظة اذا لم تحفظ طبقة من الهواء بين جسمنا وبينها تفقدنا الحرارة الجسمية اولا فأولا

فالكساء لا يكون مدفئا الا على قدر ما تكون وبرته الداخلة مكونة لخزانة هوائية ولم تكن قد تحلت بالاستعمال . فالصدار الجديد من الصدف يدفىء أكثر من صدار آخر قد ذهب وبره . والفراء لا تدفىء الا لأن صوفها يخزن كية كبيرة من الهواء

الملابس التى تلى الجسد مباشرة وظيفتها هامة جداً فى أمر التدفئة فيجب أن تترك محلا لطبقة من الهواء أى أن لا تكون لاصقة بالجلد. هذه الطبقة من الهواء لا تمنع فقط الفقد السريع للحرارة بل تحيط الجسم أيضا بدرجة منها ثابتة . ويكون المحيط الهوائى الذى يتنفس فيه

الجسم دفئا وثابتا على قدر ما فيه من طبقات الهواء . ولذلك نجد ان عدة أقمصة خفيفة واسعة النسيج تدفىء أكثر من ثوب واحد مهما كان ثخينا

والافضل تعويد الجسم على أن يستغنى عن الصدار الصوف والحريرى . وان كره ذلك الذين تضطرهم أعمالهم الى الجلوس عدة ساعات فى مكان موصد

الملابس الداخلة يجب أن تكون قابلة لتعدية السوائل وتكون الملابس الخارجة غير قابلة لتلك التعدية حتى لا تمتص رطوبة الجو فيحدث من تبخرها برد عظيم

ويرى الدكتور (ايخلر) انه يمكن جعل الملابس الخارجة غير قابلة لامتصاص الماء بتشبيعها بالمحلول الآتى وهو : ١٠٠ جزء من الماء و ٣٠ جزء من الشب و ٣٩ جزء من اسيتات الرصاص و ٣ أجزاء من الجلاتين

هذا المحلول قليل الثمن ولكنه يجعل الثوب الخارجى غير قابل لامتصاص الرطوبة عدة سنين فيترك الرطوبة تسيل عليه كما يتركها ريش الطيور

فاذا أوجزنا نتيجة المباحث على مسئلة الملابس تحصل لدينا ما يأتى وهو : ان الملابس يجب أن تتكون من نوعين من الاقمشة تكون طبيعتاهما متناقضتين فيجب أن يكون منسوج الالبسة الداخلة التى تلى البدن واسعاً ويصلح لامتصاص السوائل التى تنفرز من الجلد. وأما الملابس الداخلة الملامسة للهواء الجوى فيجب أن تكون على العكس ذات منسوج ضيق وغير قابلة لامتصاص الرطوبة . ويجب أن يكون الصنفان رديئَى الايصال للحرارة وحسَنَى الايصال للهواء . فالذين يجعلون ملابسهم على هذه القاعدة يتقون خطر تغيرات الجو

﴿لَبِقَ﴾ الرجل يلبَق لَبَقا . ولَبُق يلبُق لَبَاقة حذق . و (اللَبِق واللَبِيق) اللين الظريف. و(رجل لَبِق) أى حاذق

﴿لبَك﴾ الشىء يلبُكه لبكا خلطه و(لبِك الامر) يلبَك لبَكا اختلط . و(لبَّكه) خلطه . و (تلبَّك) تلبس .و (التَبك) اختلط

﴿اللبن﴾ هو السائل المغذى الابيض الذى ينفرز من ثدى المرأة وإناث بعض الحيوانات لتغذية صغارهن فى أدوار الطفولة الاولى . و (ألْبن القومُ) كثر لبنهم . و(اللَبَان) الصدر . و(اللِبان)

الرضاع .و(اللُبَان) هو الكندر انظر كندر . و(اللُبانات)الحاجات جمع لُبَانة و(اللَبِن) المضروب من الطوب واحدته لَبِنة

﴿ اللبن ﴾ هو سائل ابيض معتم حلو الطعم متبول جداً ينفرز من الغدد الثديية لاناث ذوات الثدى عند خروجه من الثدى تكون فيه عطرية خاصة وهى آتية من وجود حوامض فيه

وهو مكون من مادة ملحيه ومادة حمضية وثلاث قواعد توجد فيه إما محلولة أو على هيئة مستحلبية اعنى الزبد والجبن وسكر اللبن.ومقدار هذه الجواهر يختلف كثيرا كقوام اللبن وطعمه وغيرهما . وكما يختلف اللبن باختلاف الحيوانات يختلف أيضا فى النوع الواحد باختلاف الاقاليم والفصول والامزجة والممارسة وجنس التغذية وغير ذلك. ويقال ان بعض النساء اذا انتقلن من الاقليم الذى يقمن به الى اقليم آخر تغير تركيب لبنهن وصار ملحا لا يصلح لتغذية الاطفال

وذكر بعض المؤلفين ان لبن البقرة فى بلاد التتار خال من الدسم بحيث لا يستخرج منه زبدة ولذا كان لبن الفرس هناك أجود منه

وذكر غرونيير كلبة كان يتجمد لبنها وحده ويخرج منه زبد اذا تغذت بأغذية نباتية ويصير قلويا خاليا من الزبد اذا تغذت بمواد حيوانية

وقد عرف ان النباتات الصليبية والثومية تعطى طعمها ورائحتها للبن الحيوانات وان البازلة الخضراء تعطيه ذوقا خاصا .ويلونه البقم باللون الاحمر ولذلك يؤثر عليه الزعفران وقد يتلون لبن البقرة بالزرقة ويكون ذلك ناشئا من المواد الغذائية التى تتعاطاها وعلم ان النباتات المسهلة تجعل لبن الاناث مسهلا

بل ذكروا أن لبن البقرة الواحدة قد تعتريه تغيرات واضحة فى أزمنة مختلفة من النهار ، وقد يكون ذلك من تأثير التغيرات الجوية فقط. وقد يتفق فى الحلبة الواحدة ان الجزء الاخير من اللبن يكون أكثر تحملا للزبد فيكون أخف من الجزء الاول. ولذا يجب اختيار ما يناسب منه سواء أخذ للتداوى أو التغذى

فأول شروط صلاحيته ان يكون مأخوذا من حيوانات سليمة متغذية من الحشيش

الطرى مرباة فى زرائب خارجة من المدن نظيفة جيدة الهواء

وأجود لبن البقر هو ما أخذ من بقر عمرها من ٣ الى ٤ سنين وبعد أن تلد بثلاثة أشهر . ووقت جنيه الصباح من أيام الربيع

واللبن الذى يباع بالمدن يكون متغيرا عن حالته الطبيعية لانتزاع الباعة قشدته ومده بالماء وكثيراً ما يغشونه بالدقيق أو بياض البيض او عصارة عذبة لاخفاء الغش الاول اى نزع القشدة منه ولكن الذوق يكشف ذلك

ولقبول اللبن فى الثدى للتغير يمكن الاستفادة من ذلك لتحويله الى تركيب نافع لبعض الاحوال المرضية .فيمكن اعطاء المراضع الاغذية المناسبة لحالة مرض الجنين ومنعها عن الاغذية المخالفة له حتى يجىء اللبن نافعا للطفل غير ضار به .ومما اشتهر من ذلك منع المراضع عن أكل الاثمار الفجة والكرنب والقرنبيط لان اللبن مع هذه المآكل يسبب القولنجات للطفل وقد يعطين مسهلات اذا أريد اسهال رضيعهن ، ويعرضن للعلاج الزئبق لاجل شفاء أولادهن من الزهرى وشوهد أيضا اكتساب اللبن خواص السم بأكل الحيوانات نباتات سامة أو تعاطيها أغذية كانت موضوعة فى أوان من النحاس وغير ذلك

(الصفات الكيماوية للبن) اللبن يحمر صبغة عباد الشمس وهو أثقل من الماء ويمتزج به ويتجمد على البارد ويتجمد على الحرارة بأى حمض كان وهذه ظاهرة تنفع لتحضير مصل اللبن . وتفعل مثل هذا الفعل أيضا الاملاح الحمضية ولا سيما زبدة الطرطير وكبريتات النوشادر وأدركلورات النوشادر والكحول والاتير المائى وكثير من جواهر حيوانية تستعمل لتحضير الجبن كالانفحة (المنفحة) الغشاء الباطن لقوانص الطيور

واللبن الحار يتجمد أيضا اذا شبع بالسكر أو الصمغ . ولكن اكثر الاملاح المتعادلة الاخرى على العكس لا يحصل منها تغيير لطبيعة اللبن . والقلويات وروح النوشادر تبعد تجمده وانما تحل جبنه متى فصلته منه . ومعرفة هذه الخواص نافعة للاطباء ولبيوت تحضير العلاجات

واذا عرض اللبن للهواء ولاسيا اذا كانت درجة الحرارة لطيفة فانه يتغطى

حالا بطبقة مصفرة يختلف ثخنها ثم يتكون تحتها بعد قليل جسم متجمد يسبح فى المصل وبالجملة ينفصل اللبن الى ثلاثة أشياء مختلفة يمكن عزلها وهى القشدة والجبن والمصل

واذا وضع اللبن فى أوان مسدودة فى حرارة من ١٨ الى ٢٠ درجة من مقياس ريومور فانه يحصل فيه تخمر بطىء فيتكون فيه غاز الحمض الكربونى ويجمد ويحمض وبعد نحو ٢٠ يوما يوجد فيه آثار من الكحول

واللبن المغلى اسهل حفظا من اللبن العادى فانه اذا تبخر على نار هادئة خرج منه ماء ذو رائحة ويتحول الى نوع من العجين يحلى ويعطر ليوضع فى انواع من الفطير

ولبن البقر وان كان كثير الشيوع فى اوروبا الا انه يستعمل فى كثير من البلاد ألبان أخرى تستخرج من الغنم والمعز والحمير والجاموس ويؤخذ اللبن فى أمريكا من حيوان اسمه فيجونيو وفى بلاد الفرس وبلاد العرب والشام يؤخذ اللبن من النياق وجميع هذه الالبان تختلف طعما ولونا ورائحة وقواما وتركيبا وان كانت مكونة من قواعد واحدة

والغالب أن لبن الحيوانات المجترة كالبقر والمعز والغنم يكون اكثر تحملا للاجزاء الجبنية وأقل سكرية (أى سكر اللبن) من لبن النساء والحيوانات غير المجترة كالحمير والافراس وها هى الصفات المميزة لكل من تلك الالبان

(لبن الضأن) أثقل من لبن البقر وأقل مصلا وأكثر زبداً أو لبنا وذوبانا ويحتوى أيضا على جبن أكثر دسما ولزوجة ولا يتكون منه خلط منعقد وفيه قليل من سكر اللبن وايدروكلورات البوتاسا والكلس والنوشادر ووجد فيه بالتحليل الكيماوى ١١٫٦ من القشده و٥٫٨ من الزبد و١٥٫٤ من الجبن و٤٫٣ من سكر اللبن ويعمل منه جبن مقبول جدا

(لبن المعز) كثير الشبه بلبن البقر ويختلف عنه فى الرائحة الخفيفة للتيس فى كونه أكثر منه قواما وقشدته أقل تحملا للزبد وجبنه أكثر ولزوجته أكبر من لزوجة الضأن وزبده أصلب وأشد بياضا ومصله يحتوى على سكر اللبن وايدركلورات الكلس . وقد ظهر بالتحليل أن فيه ٨ من القشدة و٤٫٦ من الزبد و٩٫٢ من الجبن

و٤ر٤ من سكر اللبن

(لبن الانسان) أخف من لبن البقر وأقل قواما منه وفيه جبن أقل ولا يتجمد بالحوامض الضعيفة وطعمه أحلى وأكثر سكرية لان فيه مقداراً كبيراً من سكر اللبن والقشدة ويندر أن يخرج منه زبد ويحتوى على ايدروكلورات الصودا والكلس وعلى كبريت أيضا

(لبن الحمير) يستعمل الاوربيون هذا اللبن وهو يقرب من لبن النساء غير انه يحتوى على قشدة أقل وجبن أكثر ولذا كان أكثر تجمدا

(لبن الفرس) متوسط بين لبن النساء ولبن البقر وقشدته لا تعطى زبدا والحوامض ترسب منه الجبن على شكل ندف صغيرة. وقد وجد فيه بالتحليل ايدروكلورات النوشادر وجسم شبيه بكبريتات الكلس وهذا اللبن يصنع منه فى بلاد التتار النبيذ المسمى كومس وهو سائل عذب الطعم لذاع

(استعمالات اللبن) اللبن غذاء الاطفال الطبيعى ولكن الكبار اعتادوا تعاطيه تغذيا وتداويا لخفته واحتوائه على جميع مقومات الجسم

من خواصه العلاجية انه يهيئ للسمن ويلطف الفاعلية المضوية فيحمل على الظرف وهدوء السهوات . واذا جمع اللبن مع الدقيق والبيض والسكر كان قاعدة لكثير من الاطعمة الكثيرة الاستعمال ولا تتغير بذلك صفته الملطفة . أما اذا ضم للشاى أو القهوة والشكولاتا أو نحو ذلك من الجواهر الاخر العطرية أو الكحوليات فان تأثيره يتنوع تنوعا كبيرا

ثم ان التغذية اللبنية تكون أساسا علاجيا لآفات الصدر والطرق الهضمية والمثانة وتكون ملطفة فى أغلب الآفات العصبية وأمراض الجلد وفى الآفات المزمنة المصاحبة لقابلية تهيج قوية . ومدحوها أيضا فى النقرس وفى الآفات الروماتيزمية والبول السكرى واليرقان . ولا يخفى تأثيره الجليلة النافعة فى التسممات بالجواهر الاكالة اما كملطفة واما مضادة للسموم كما فى بعض الاحوال

ولكن الخاصة المغذية التى فى اللبن على أعلى ماتكون تمنع من استعماله فى الاحوال التى يؤمر فيها المريض بالحمية القاسية غير انه اذا مد بماء كثير جاز أن يعطى كمشروب مرخ حتى فى بعض الحميات

الحادة

ثم يظهر ان كل نوع من أنواع اللبن يناسب أحوالا خاصة وان كان كل منها يقوم مقام الآخر عند الحاجة فيشاهد على وجه عام أن ألبان الحيوانات المجترة أقل خفة من ألبان النساء والفرس والاتان فهى مفضلة متى أريد تسكين التهيج الالتهابى او العصبى بدون ارادة تغذية المرضى تغذية كثيرة . ولبن الماعز ولاسيما اذا تغذت بحشائش عطرية اقل ارخاء من الالبان الاخر واحسن انهضاما بل كأنه مقو وهو الذى يستعمل غالبا فى الارضاع الصناعى فيعطى للاطفال زيادة حيوية . ولبن النعاج أكثر زبداً من غيره وأقل مصلا وسكرية فهو كثير التلطيف ولذا يؤمر به الشيوخ الذين أليافهم متيبسة ولبن النساء الذى يحتوى على كثير من سكر اللبن مناسب بالاكثر لاحوال الذبول والهبوط الناشئين من الافراط فى الشهوات وفى السل الرئوى وان منعه فيه بعضهم خوفا من العدوى اذا باشر المريض مصه من الثدى بنفسه . ولبن الاتان عند من لايتحاشاه يناسب ايضا فى تلك الاحوال ويستعمل بالاكثر مسكنا سواء فى معالجة هذا الداء الاخير ولاسيما اذا تقدم الداء يسيراً أو فى علاج الاحتقانات البطنية أو فى نقاهة الامراض الضعيفة التى تستعمل فيها أنواع الالبان . ولبن الفرس الذى هو أخف من لبن النساء والاتان كثيراً ما يختار لذلك اذا سهل وجدانه . وهو على رأى بعضهم دواء فى بعض المحال للديدان المبرومة مع ان بعض العلماء نسب لافراط الاغذية اللبنية تولد هذه الحيوانات وتضاعفها

وأما لبن الحيوانات التى تتغذى باللحم فلم تعمل عليها تجارب حاسمة

وكثيراً مايستعمل اللبن كمضامض وغراغر فى الخناقات وزرقات وحقنا فى التهابات الامعاء والبواسير والاغشية المخاطية الباطنية وكمادات سواء بخرق تغمس فيه أو بوضعه فى مثانة توضع على الصدر أو البطن أو غيرهما رجاء نفوذ تأثيره المرخي أو الملطف الى الاعضاء المحوية فى تلك التجاويف . ويستعمل حمامات موضعية أو عامة ويكون خالصا او مخلوطا بسوائل أخر فيكون ملطفا أو مرخيا أو مسكنا أو محسنا او غير ذلك . ويضم الى لباب الخبز أو الى أدقة مختلفة لتتكون منه ضمادات

مرخية توضع على الوجه أو الثدي أو غير ذلك من الاجزاء التي جلدها لطيف المزاج ولكنها تحمض بسهولة فيلزم تجديدها كثيرا . وكثيرا ما يجمع لأجل ذلك مع جواهر لعابية أو مخدرة أو زعفران ويتكون منه مع الجواهر المنومة مطبوخات وضمادات مضادة للديدان وغير ذلك

واللبن يكون غالبا قليل المناسبة للضعفاء أو الذين بنيتهم بالطبيعة رخوة لينفاوية معرضة للخنازير أو مصابة بهذا المرض والذين أحشاؤهم البطنية محتقنة ونحو ذلك ولا يناسب استعمال اللبن في الالتهابات الحادة والأنزفة القوية والحميات الصفراوية والمخاطية والعفنة عموما وفي جميع أنواع الحمى ولاسيما النقي أو القليل الامداد بالماء . ومع هذا فيندر ان يوجد فيه جميع الاخطار التي اتهموه بها

واذا ساء هضم اللبن ونتج منه غثيان وقولنجات واسهال ونحو ذلك فيعالج على حسب الاحوال بالكينا أو بمستحضر حديدي أو بضم منقوع عطري قليلا اومرا أو ماء حديدي وعلى الخصوص بتحت كربونات المغنيسيا أو ماء الكلس اليه وكذا اذا تيسر تحمله جاز مع طول الزمن ان يحرض نوعا من التلبك المعدي أو البطني ويجب منع استعماله أو يستعمل مقيء خفيف أو مسهلات من المغنيسيا المكلسة أو الراوند

نسب بعضهم للبن القلاع الذي يعتري أفواه الاطفال الصغار لطول مكث لبن الام وحموضته فيها ولكن ذلك لم يثبت

(مصل اللبن) هو سائل صاف مخضر وطعمه عذب مقبول يستخرج من اللبن المأخوذة قشدته فيكون تسعة أعشاره تقريبا ويتحصل عليه بواسطة تجمد جبنه وهو مركب من سكر اللبن وأملاح هي ايدروكلورات البوتاسا وفوسفات الكلس وفيها حمض زبديك وحليك ولبنيك

والمصل الحاصل بنفسه من تجمد اللبن بذاته عند تحصير الجبن مقبول للذوق حمضي . وأحسن المصل ما يصل في الارياف حيث يكون اللبن المجهز له نقيا وأعلى صفة من مصل لبن البقر المحبوس في المدن

قال بوشارداه أحسن طريقة للحصول على المصل هي ان يؤخذ من لبن البقر لتر واحد ويغلى ثم يضاف له شيئا فشيئا مقدار كاف من محلول مصنوع بجزء من

الحمض الطرطيرى و٨غرامات من الماءفاذا حصل التجمد جيداً على النار مع نصف بياض بيضة تحل اولا فى ملاعق من الماء البارد يصفى مع العصر ثم يوضع المصل البارد ثم تضرب نصف البيضة فيهاويوصل بذلك لدرجة الغليان ثم يصب فيه قليل من الماء البارد لأجل خفض درجة الغليان ثم يصفى من منخل ويرشح من ورقة غسلت قبل ذلك بالماء المغلى. ويمكن انعقاد اللبن بحوامض اخرى

(خواص المصل) استعمال المصل فى العلاج قديم فان فيه خاصة مرخية تظهر فى حالة الصحة والمرض . وبما انه حمضى قليلا لعابى ملحى فيستعمل للترطيب وتسكين العطش والتهيج فى الحميات المحرقة ويعين على الاستفراغات الثفلية والبولية . ومع ذلك فقد يحصل منه امساك لبعض المرضى . ويستعمل ملطفا ومرخيا بل ومسكنا فى الامراض الحادةعامة ولا سيما الحميات الصفراويةوالالتهابيةوالتهاب الاعضاءالهضميةوالرئويةوالجلديةوغيرها

ومدح بعضهم استعماله شربا وحقنا فى الدوسنطاريا المستعصية وكثيرا مايعطى ايضا محللا ومفتحا وكغذاء عذب قليل الجوهرية فى كثير من الآفات المزمنة والالتهابات البطيئة فى الطريق الهضمية واحتقانات الاحشاء البطنية ولاسيما الكبد والايبوخنداريا وغير ذلك من الآفات العصبية والحفر حيث جعله بتمان أحسن علاج له وفى أمراض الصدر بل السل نفسه

والعادة ان يأمر بالمصل فاتراً بمقدار رطل أو رطلين فى اليوم ويستعمل بالاكواب ولا سيما فى الصباح على الخلاء وخصوصا فى الربيع فيعطى منه كوب فى كل ساعتين واحيانا على المصل بشربات كشراب زهر البرتقال وكربرة بيرو ونحو ذلك . وأحيانا اخرى يساعد فعله المرطب بشراب الليمون وعنب الثعلب ونحو ذلك ويقوى فعله المدر للبول باضافة قليل من ملح البارود أو زبدة الطرطير او خلات البوتاسا أو نحو ذلك عليه

ويقوى فعله الملين بشراب البنفسج وشراب زهر الخوخ أو درهم من الملح النباتى أى طرطيرات البوتاسا او المن او حب التمر هندى او نحو ذلك

ويقوى فعله المحلل والمفتح بخلطه بعصارات منقية من النباتات المرة أو المضادة للحفر أو العطرية أو نحو ذلك

(ملخص من المادة الطبية)

(اللبن الحامض) هو مايتولد من الاختمار بخميرة اللبن المعروفة بالروبة . وكيفية تحضيره ان تمزج ملعقة لبن مع ثلاثة فناجين حليب قبل الاغلاء ثم يغلى الحليب وبعد مايبرد ويصير على حرارة ٢٥ أو ٣٠ تضاف اليه الروبة وتمزج به مزجا جيدا ويغطى الوعاء ويلف بقماش ويوضع فى محل دفيء مدة ١٢ ساعة فيصير القشدة

(خواصه الطبية) هو غذاء خفيف جدا سهل الانهضام يقبله المريض أكثر من الحليب وهو عظيم النفع فى أمراض المعدة والامعاء وفى الاسهال المزمن ويقوم مقام الحليب فى الظروف التى يعسر فيها هضمه

وقال العلامة الاستاذ متشنيكوف الروسى تلميذ العلامة الكبير باستور ان الانسان لايموت قبل بلوغه السن الطبيعى الذى حدده له بثلاث مئة سنة الا من مساورة الميكروبات له فى امعائه الغلاظ وامتصاصها لحيويته شيئا فشيئا . قال وقد اكتشف هو لتلك الميكروبات عدواً لدوداً يشن عليها الغارات الشعواء فيبيدها وهذا العدو هو الميكروب النافع المسبب لاختمار اللبن الحامض . ومما يؤثر عنه فى ذلك انه قال :

«كل اللبن الحامض وعش الى الابد»

فيجب على الشيوخ والحالة هذه أو من كانوا على أبواب الشيخوخة أن يكثروا من اللبن الحامض ولكن يجب أن يكون ذلك اللبن نقيا ومعمولا من الحليب الخالص من الشوائب والاولى عمله فى البيوت على الطريقة التى ذكرناها هنا

﴿ كيف يغش اللبن الباعة ﴾

أصبح اللبن من أكثر المواد الغذائية شيوعا بين الناس وهو بهذا الاعتبار يستحق من عنايتهم مالا يستحق سواه . وقد أعجز رجال الصحة مراقبة باعة اللبن رغما عن العقوبات المترتبة على غشه، فلم يبق الا توجيه نظر الناس الى مضار هذا الغش لعلهم يعملون على توقى شره

المادة التى يغش بها اللبن هى الماء . وقد ظهر أخيراً ان الماء فى بعض فصول السنة ولاسيما المستقى من الاماكن القذرة يكون حاويا لاصناف عديدة من الميكروبات الحية ولاسيما الحمى التيفودية

الخبيثة وباعة اللبن عندنا لا يعرفون مبلغ هذا الضرر على صحة الناس، بل لا يهمهم مرض الناس أو صحوا ماداموا هم يحصلون على دراهم معدودة من وراء الغش . فتراهم يضيفون على ألبانهم من المياه الراكدة القذرة حين يأمنون الرقباء

وفى البلدان التى تشدد مصلحة الصحة فى مراقبتهم ينتهزون فرصة خروجهم من نطاق المراقبة فيعمدون الى اضافة الماء على اللبن بدون نظر لمصدره حتى ولو كان مستقى من الاحواض التى تشرب منها الحيوانات وقد رأى بعض اصحابنا امرأة تمد لبنها بماء تستقيه من حوض صغير عمل بجوار جدار بيت لبل ظمأ الكلاب الضالة فقدّر بعد هذا مبلغ ما يصيب الناس من المضار الفادحة بسبب سريان ميكروبات هذه المياه القذرة الى احشائهم

وقد غصت كتب العلم ومجلاته بمباحث الباحثين فى الامراض التى يجرها الانسان على نفسه بتعاطيه اللبن فكان مجموع ذلك يخيف المطالع وربما حمله على هجر اللبن بتاتا

كتب العلامة (هنرى دوفاريني) فى المجلة العلمية الفرنسية بحثا فى هذا الموضوع ذكر فيه انه حدثت فى قرية واحدة خمسة وثلاثون اصابة بالحمى الحصبية موزعة فى أربعة وعشرين بيتا فلما بلغ الخبر الحكومة جدت فى البحث عن علة هذا الامر فوجدت ان جميع هؤلاء المصابين تعاطوا لبنا من محل واحد وان اللبانة التى حلبت لهم هذا اللبن كان لها طفل مصاب بتلك الحمى . فظهر السبب واضحا فى اصابة جميع هؤلاء الناس دفعة واحدة وهو ان تلك الحالبة ذات الولد المصاب كانت يداها وثيابها ملوثة بهذه الميكروبات فعلق باللبن منها شيء وسرى الى الشرايين

رب قائل يقول اذا كان الامر كذلك فلم لم تصب الام بتلك الحمى . نقول لا يصاب بمرض الا من استعد له فربما تلوث الممرض بميكروب مرض ولم يتأثر به ولكنه ينقل ذلك الميكروب الى المئين من الناس فيصاب به العشرات منهم

وقد أثبت العلامة هوار *huart* بأن اللبن هو السبب فى اصابة ٥٠ فى المئة من الذين يمرضون سنويا بالحمى التيفودية و ١٤ فى المئة من الذين تنتابهم الحمى الحصبية و ٧ فى المئة من الذين تعتريهم

الدفتريا

وذهب هذا العالم الى أن السبب فى تلوث اللبن بميكروبات هذه الامراض هو الماء الذى يضيفه الباعة اليه. وقد يكون مصدر تلك الميكروبات اللبن نفسه أحيانا فقد تكون البقرة مصابة بالسل أو بغيره. وقد تضاربت آراء الباحثين حول مسئلة انتقال أمراض البقر الى الناس أو عدم انتقالها اليهم. ولكنهم أجمعوا على ضرر لبن الابقار المرضى وعلى عدم جواز تعاطيه. وما أكثر عدد هذه الابقار وأشد عناية باعة اللبن باخفائها عن الاعين. فالوسيلة الوحيدة لاتقاء أكثر مضار اللبن هو غلاؤه قبل تناوله، وان كان هذا الاغلاء يضيع كثيرا من قيمته الغذائية

أكبر انواع غش اللبن هو اضافة الماء الية وانتزاع قشدته منه، وخلط لبن اليوم باللبن المحلوب بالامس. وهناك طرق أخرى للغش كاضافة النشا أو الدقيق أو بياض البيض اليه

فقد اعتاد اللبانون بأن يأخذوا قشدة اللبن المحلوب وزبدته ويبقى سائل قليل التغذية تفه الطعم ويا ليتهم يتركونه كذلك بل يزيدونه ميوعة بصب الماء اليه فيضيع بذلك أكثر صفاته

وقد بحث مئة نموذج من اللبن فى باريس فوجد ان ٤٦ منها يبلغ ما أضيف اليه من الماء ١٠ فى المئة أو يزيد عن هذا القدر ولكن فى لوندرة لم يوجد غير ٣٦ أو ٢٧ وفى داخل انجلترة لم يوجد غير ٢٠ أو ٢٢.

وقد كتب حضرة الدكتور بارودى الموظف بوزارة المعارف المصرية والكيماوى مقالا نفيسا فى جريدة المؤيد عن غش اللبن وغيره بمصر نأتى على ما قاله فى اللبن :

« ان اللبن هو الغذاء الوحيد للانسان فى اول حياته وهو غذاء المرضى ومن فى حالة النقاهة، ذلك الغذاء الذى يجب أن يكون تحت المراقبة الشديدة هو بكل أسف أكثر مواد الغذاء غشا فبائع اللبن ينزع منه قشدته ويضيف عليه الماء والنشا والدقيق وغير ذلك من المواد التى يضيفونها على اللبن وقد شاهدت بنفسى مرات عديدة جهة مسطرد والقبة بائعى اللبن الذى يجلبونه الى العاصمة واقفين على شاطىء الترعة فى البقعة التى تحوى الاوساخ الناشئة عن فضلات الحيوانات وتنظيف الملابس وبيدهم صفائح اللبن يملأونها من ذاك الماء

القذر فربما يكون من هنا وقعت اصابات الحمى فى السنة الماضية بحلوان ولاتنس أولئك الذين يقفون بين الساعة السابعة والثامنة فى أول شارع عابدين ويجرون عملية الخلط المحزنة

« أما فى الاسكندرية فالامر يدعو للراحة والسرور لان المراقبة هناك شديدة جداً بعناية الدكتور جودشاش الذى توصل فلا لمنع غش اللبن» انتهى كلام الدكتور بارودى

(هضم اللبن) اعتاد أكثر الناس ان يعتبروا اللبن كالماء فيشربونه عبا ظانين أن ذلك جهد متعاطيه . ولكنه قد ثبت الآن أن اللبن اذا لم يختلط باللعاب اختلاطا تاما نزل الى المعدة فتجبن بالحوامض الموجودة فى عصارتها وصار صعب الهضم جدا . وهذا يفسر تضرر بعض المرضى من تعاطيه . فأحسن وسيلة لتعاطى اللبن هى أن يؤخذ جرعا تلاك فى الفم حتى تمتزج باللعاب ثم تزدرد فينزل اللبن الى المعدة حاصلا على القدر الكافى من اللعاب لهضمه بمساعدة العصارات الاخرى

وقال بعض العلماء ان اللبن يفيد الاطفال والشيوخ فائدة عظيمة لوجود ماسهل هضمه فى معدهم ولايفيد الشبان ولا الكهول لعدم وجود ذلك المسهل لهضمه فى معدهم فالاولى بهم الامتناع عن تعاطيه

ثم إن اللبن مولد للغازات فيجب أن يخلط بقليل من مغلى الانيسون أو القرفة أو غيرهما من طاردات الغازات وإلا ثقل على أكثر المرضى وامتنعوا عن تعاطيه لهذا السبب

﴿اللبانة المغربية﴾ هى عصارة لبنية يتحصل عليها من بعض الاشجار تعتبر من المسهلات القوية ومن المقيئات ولكن شدتها منعت استعمالها فى العلاج الا من الظاهر فتستعمل محمرة ومنفطة

﴿ابن اللبانة﴾ هو محمد بن عيسى ابن محمد أبو بكر الاندلسى الشاعر المشهور بابن اللبانة

له كتاب مناقل الفتنة، ونظم السلوك فى وعظ الملوك ، وسقيط الدرر ولقيط الزهر ، فى شعر بنى عباد . من شعره .

هلا ثناك علىّ قلب مشفق
لترى فراشا فى فراش يحرق
أصبحت كالرمق الذى لا يرتجى
وبقيت كالنفس الذى لا يلحق

وغرقت فى دمعى عليك وعمنى
طول فهل سبب به أتعلق
او خدعة بتحية مقبولة
فى جنب موعدك الذى لا يصدق
انت المنية والمنى فيك استوى
ظل الغمامة والهجير المحرق
لك قد ذابلة الوشيج ولونها
لكن سنانك أكحل لا أزرق
ويقال انك ايكة حتى اذا
غنيت قيل هو الحمام الاورق
لو فى يدى سحر وعندى رقية
لجعلت قلبك بعض يوم يعشق
ليذوق ماقد ذقت من ألم الهوى
وترق لى مما تراه وتشفق

وقال يمدح المعتمد بن عباد :

بكت عند توديعى فما علم الركب
اذاك سقيط الطل أم لؤلؤ رطب
وتابعها سرب وانى لمخطئ
نجوم الدياجى لا يقال له سرب
لئن وقفت شمس النهار ليوشع
لقد وقفت شمس الهوى لى والشهب
هنا بين عصف الريح والموج مثل ما
هنا بين أضلاعى ملوى به القلب

ومنها :

كأنى قذى فى مقلة وهو ناظر
بها والمجاديف التى حولها هدب

ومنها فى المديح :

حوى قصبات السبق عفوا وما سعى
لها البرق خطفا جاء من دونها يكبو
ويرتاح عند الجود حتى كأنه
وحاشاه نشوان يلذ له الشرب
سألت اخاه البحر عنه فقال لى
شقيق الا أنه البارد العذب

وقال أيضا :

فى نرجس الاحداق * وسوسن الاجياد * نبت الهوى مغروس * بين القنا المياد

وفى نقا الكافور والمندل الرطب
والهودج المزرور حمين بالقضب
نادى بها المهجور من شدة الحب

أذابت الاشواق * روحى على اجساد * أعارها الطاووس * من ريشه ابراد

كواعب اتراب تشابهت قدا
عضت على العناب بالبرد الاندى

اوصت بى الاوصاب وأغـرت الوجدا
واكثر الاحباب اعدى من الاعدا
تفتر عن اعـلاق * لآلىء أفـراد * فيه اللمى محروس * بألسن الاغمـاد
من جوهر الذكرى عطل نحور النور
جاوز به البحـرا وأخرق حجاب النور
وقـل له شعـرا بفضـلك المشهور
جمعت فى الآفاق * تنافر الاضـداد * فأنت ليث الخيس * وانت بدر النـاد
خرجت محتـالا ابغى سنا الـبرق
اقطـع اميـالا غربا الى شرق
مؤمـلا حالا يكون من وفـق
فقـال من قالا وفاه بالصـدق
دع قطعـك الآفاق * يا أيهـا المرتاد * واقصد الى باديس * خير بنى حماد
يا من رجا الطـلا وامل التعـريس
ان شئت ان تحـلا بطائل التأنيس
لا تعتمـد الا على علا باديس
من فرقـه أعلى قدرا من البرجيس
مـواطن الارزاق * أولئك الامجـاد * فاحطط رحال العيس * وانفض بقاء الزاد
حيا النسيم بمنـدل عن طيب زهر انيق
ونرجس الروض تخجل منه خدود الشقيق
فانهض الى الدن واقبل منه سؤال الرحيق
وفض منـه ختامه * عن مل مسك مختم * تكاد منـه المدامة * للشرب أن تتكلم
حاكت على النهر درعا ريح الصبا فى الاصايل
واسبل القطر دمعـا على جنوب الاصايل
فاسمع من العود سجعا تشق منه الغـلايل

ما زينته حمامة * من فوق غصن منعم * ولا ادعته كرامة * بنت الحسين بن مخدم

اما على فانى ممن سمعت بذكره
والود يشهد عنى بما ابوح بفخره
وقد رأيت التمنى يختال فى ثوب بره

فى حلة من أسامة * بظاهر الحسن معلم * متوج بالكرامة * وبالسماح مختم

حيا النسيم تلسمان بوا كف القطر هطال
فقد قضت كل احسان بجودها بابن شملال
وقصرت كل انسان عما حواه من اجلال

ندب يذل هامه * ربيعة بن مكدم * وما حواه أسامة * فى عصره المتقدم

قد جاءك المتنبى ياسيف هذا الزمان
يختال فى ثوب عجب بما حوى من معان
يشدو ارتجالا فيسبى كل الوجوه الحسان

هذا المليح فى العمامة * لو انه متلثم * لقلت هذى غمامة * غطت على قمر التم

توفى سنة (٥٠٧) بميورقة

﴿لبنان﴾ قال ياقوت الحموى فى معجم البلدان هو جبل مطل على حمص يجىء من الفرج الذى بين مكة والمدينة حتى يتصل بالشام فما كان بفلسطين فهو جبل الحمل وما كان باردن فهو جبل الجليل ، وبدمشق سنير ، وبحلب وحماة وحمص لبنان . ويتصل بانطاكية والمصيصة ويسمى هناك اللكام ثم يمتد الى ملطية وسميساط وقاليقلا الى بحر الخزر فيسمى هناك العتيق . وقيل ان فى جبل لبنان كورة لحمص جليلة وفيها من جميع الفواكه والزرع شىء كثير . ولبنان ايضا قرب مكة يقال لهما لبن الاسفل ولبن الاعلى وفوق ذاك جبل يقال له المبرك به برك الفيل بعرفة وهو قريب من مكة

نقول ان فى هذا الكلام شىء من الخطأ الجغرافى والمعروف الآن أن لبنان اسم لجبال لبنان الكبرى يبلغ ارتفاعها نحو ثلاثة آلاف متر ثم لبنان الصغرى وهى جبال

مشهورة بجودة الهواء يقصدها الناس للاصطياف من مصر وغيرها . يسكن لبنان طائفة من المارونية يبلغ عددهم خمسة وثلاثين الفا واخرى من الدروز والمتاولة وبين المارونية والدروز عداء مستمر فتحدث بينهم حروب دموية وقد حدثت بينهم مذبحة سنة ١٨٦٠ استدعت تدخل فرنسا فأعطي أهل لبنان امتيازاً ضمنته الدول أخص مافيه ان تعين تركيا عليهم واليا مسيحيا وان لا يؤخذ منهم جنود للجيش العثمانى

كانت تعتبر حكومة جبل لبنان متصرفية من متصرفيات سورية عاصمتها بيت المقدس من مدنها المشهورة زرق مكايل بمقاطعة كسروان للموارنة بهذه المقاطعة مدرستان وللاتين مدرستان اخريان . ودير القمر وبها متاجر ومصانع مختلفة وابنية عظيمة يسكنها نحو عشرة آلاف نسمة وزحلة يسكنها نحو عشرة آلاف نسمة ايضا من النصارى وفيها يقيم الذين يقصدون لبنان وهو الآن تحت الانتداب الفرنسى

اللَّبُؤة انثى الاسد واللبأة واللبْوة بتسكين البائين وبغير همز الواو لغتان فيها (انظر اسد)

لَبَّى بالحج تلبية قال: لَبَّيك اللهم لبيك . أى اجابة لك اللهم بعد اجابة

لَتَّ الدقيق بلُته بله بشيء من الماء. و(اللات) صنم كان لبنى ثقيف بالطائف

اللتر من المكاييل الفرنسية وهو وعاء طوله عشرة سنتيمترات وعرضه وارتفاعه كذلك ومشموله من الماء يزن الف غرام او ٣٢٠ درهما

لَثِغ يلثَغ لَثَغا كان بلسانه لُثغة. و (اللثَغ) تحول اللسان من السين الى الثاء او من الراء الى الغين الخ . و (اللُّثغة) اللثغ . و (الالثغ) ذو اللثغة

لَثَم فه يلثِمه لثما قبله. (لثَّمت المرأة وجهها) وضعت عليه اللثام

الملثمون دولة الملثمين أو المرابطين كانت بمراكش من سنة (٤٠٠ الى ٥٤١)ه أو من سنة (١٠٠٩ الى ١١٤٦) ميلادية

هذه الدولة من قبيلة صنهاجة احدى قبائل البربر وذهب بعض المؤرخين أن صنهاجة من حمير خلفهم الملك افريقش بالمغرب باستحالة لغتهم الى البربرية وهذا كله لا يعول عليه .

كان موطن الملثمين أرض الصحراء بين بلاد البربر والسودان كانوا على بداوة تامة أموالهم الانعام وطعامهم اللحوم والالبان وسموا الملثمين لانهم كانوا يتلثمون ولا يكشفون وجوههم. ورثوا هذه العادة عن أسلافهم وبقيت فيهم سنة. وقيل فى سبب تلثمهم أقوال كثيرة منها أن أسلافهم من حمير كانوا يتلثمون لشدة الحر فى اليمن وقيل ان قوماً من أعدائهم كانوا يتربصون غفلتهم اذا غابوا عن بيوتهم فيطرقون الحى ويسبون نساءهم ويسلبون اموالهم فأشار عليهم اماثلهم ان يبعثوا بنسائهم الى ناحية فى زى الرجال ويقعدون فى البيوت ماثمين كالنساء حتى اذا داهمهم العدو خرجوا اليه فنكلوا به وقيل غير ذلك

كان دينهم الاصلى الوثنية ثم أسلموا بعد فتح العرب للاندلس وحملوا من يلادهم من امم السودان على الاسلام ثم افترق ملكهم بعد ذلك وصاروا طوائف واستمرت دولتهم نحواً من مئة وعشرين سنة

قام فيهم الامير محمد بن تيفارت فعرف بالعدل والفضل فملكوه عليهم سنة (٤٠٠) فحكمهم ثلاث سنين ثم مات فى بعض غزواته فقام بأمرهم يحيى بن ابراهيم الكدالى من سنة (٤٠٣ الى ٤٣٤) فمكث فيهم الى سنة (٤٢٧) ثم استخلف على صنهاجة ابنه ابراهيم بن يحيى وارتحل هو قاصداً الحج فلما قضى الفريضة أخذ فى العودة الى بلاده فمر بالقيروان فلقى بها العلامة أبا عمران الفاسى وحضر درسه وتأثر بوعظه فأعجب به الشيخ وسأله عن اسمه ونسبه فأخبره وأعلمه بسعة بلاده ومافيها من كثرة الخلق وغلبة الجهل عليهم. فسأله الاستاذ عن فروض دينه فوجده لم يعرف منها شيأ فسأله عن سبب جهله فأخبره بأن ذلك لعدم وجود علماء ببلاده ورجاه أن يبعث معه ببعض طلبته ليعلم قومه فأعطاه الشيخ أبو عمران كتابا الى الفقيه واجاج بن زلو بمدينة نفيس ليبعث معه أحد طابته فرفض طلبة الشيخ أبى عمران الذهاب معه . فلما وصل الأمير يحيى بن ابراهيم الى الفقيه واجاج بكتاب أبى عمران أرسل معه أحد طلبته عبد الله بن يس الجزولى وكان من أهل العلم والفضل والورع فلما وصل به الى بلاده تلقتها القبائل بالترحاب وشرع الفقيه يعلمهم احكام الدين ولكن حالت دون تعليمهم تلك الاحكام عادات ورثوها عن آبائهم

ورسخت فيهم على مر الاجيال فعزم الفقيه على تركهم وشأنهم والرحيل عنهم فمنعه يحى بن ابراهيم وقال له انما أحضرتك لتعلمنى خاصة وليس على أن أجبر الناس على ترك ما هم فيه ان كانوا متمسكين به ثم أشار على أستاذه أن يعتزلا الناس الى جزيرة قريبة يعبدان الله فيها فوافقه واتبعهما سبعة نفر فابتنى الاستاذ عبد الله بن يس رابطة ومن هنا لقبوا بالمرابطين فأقاموا يعبدون الله ثلاثة اشهر فتسامع الناس بهم وانهم اعتزلوا العوائد المخالفة للدين فكثر الواردون عليهم والتائبون على أيديهم فلم تمر مدة حتى اجتمع لديهم نحو الف رجل من أشراف صنهاجة فسماهم الاستاذ عبد الله بن يس بالمرابطين للزومهم رابطته

ولما آنس منهم التقوى دعاهم الى جهاد من خالفهم من قبائل صنهاجة فأجابوه فأمرهم أولا بارشاد عشائرهم وارجاعهم عن غيهم فوعظوهم فلم يتعظوا فخرج اليهم عبد الله بن يس بنفسه فوعظهم وحذرهم فلم يرفع أحد رأسا بما قال لهم فأمر أصحابه بجهادهم فبدأوا أولا بقبيلة كدالة فغزاهم فى ثلاثة آلاف رجل من المرابطين فانهزموا بين يديه وقتل منهم خلقا كثيرا وأسلم الباقون اسلاما جديداً وحسنت حالهم ثم سار الى قبيلة لمتونة فقاتلها وانتصر عليها فاذعنت له وبايعته فلما رأى ذلك سائر أهالى صنهاجة سارعوا الى التوبة والمبايعة وأقروا له بالسمع والطاعة

فلما قوى أمر عبد الله بن يس أخذ فى اشتراء السلاح وتجنيد الجنود لغزو القبائل حتى ملك جميع بلاد الصحراء وذللها وطار صيته فى جميع البلاد

ثم توفى يحيى بن ابراهيم سنة (٤٣٤) ه

فتولى أبو زكريا يحيى بن عمر اللمتونى من سنة (٤٣٤) الى سنة (٤٤٧) ولاه الاستاذ عبد الله بن يس لما رأى فيه من الكفاءة والفضل وكان الآمر الناهى فى الحقيقة هو الاستاذ عبد الله نفسه

فى سنة (٤٤٧) وصل الى عبد الله ابن يس كتاب من علماء سلجماسة ودرعة يرجونه فيه أن يأتيهم ليطهر بلادهم من الظلم الذى انتشر بها ، فخرج اليهم فى صفر من تلك السنة فى جيش ضخم حتى وصل الى درعة فطرد منها عاملها واستولى عليها

واتصل خبر قدومه بمسعود بن وانودين أمير تلك الجهات فسار لقتاله وبعد وقائع هائلة قتل مسعود وانهزم جنوده واستولى عبد الله بن يس على سلجماسة وأصلح شأنها وغير ماوجده فيها من المنكرات وكسر المزامير وآلات اللهو واحرق دور الخمور واستعمل على سلجماسة عاملا من لمتونة وعاد الى الصحراء

فى هذه السنة توفى الامير ابوزكريا يحيى بن عمر فى بعض غزواته ببلاد السودان

ثم تولى الامير ابو بكر بن عمر اخو المتقدم من سنة ٤٤٧ الى سنة ٤٥٣ وفى سنة (٤٤٨) ندب الاستاذ عبد الله بن يس المرابطين لفتح بلاد السوس فزحف الامير ابو بكر بن عمر اليها فى جيش لجب جعل على مقدمته ابن عمه يوسف بن تاشفين فغزا جزولة من قبائلها وفتح مدينة ماسة وتارودانت قاعدة بلاد السوس وكان بها قوم من الرافضة فقاتلهم عبد الله بن يس حتى رجعوا الى مذهب اهل السنة

ثم ارتحل عبد الله بن يس الى بلاد المصامدة ففتحها ثم تقدم الى بلاد قبائل تراغوطة فافتتحها ايضا وتوفى سنة (٤٥١) أثر جراح أصابته

فاستمر الامير ابو بكر على رئاسته وجددت له البيعة بعد وفاة عبد الله بن يس وأقام بمدينة اغمات الى سنة (٤٥٠) ثم خرج غازيا الى المغرب فى جيش عرمرم من صنهاجة وجزولة والمصامدة ففتح بلاد فزز وزناتة وفتح مداين مكناسة ثم نزل على مدينة لواتة فحاصرها وافتتحها عنوة وأخربها فلم تعمر بعد الى الآن ثم رجع الى اغمات

وفى سنة (٤٥٢) بلغه انه وقع خلاف بين رجال الصحراء فقصدها واستخلف على المغرب ابن عمه يوسف بن تاشفين، فلما أصلح حال الصحراء بلغه ان ابن عمه قوى شأنه فأراد عزله وكان ليوسف بن تاشفين زوجة تدعى زينب بنت اسحق وكانت امرأة أبى بكر بن عمر من قبله فأشارت عليه بما يجب ان يقابل به ابن عمه فعمل بمشورتها فتنازل له ابو بكر بن عمر عن الرياسة وعاد الى الصحراء يجاهد كفار السودان الى ان مات من سهم مسموم أصابه سنة (٤٨٠)

فتولى بعده يوسف بن تاشفين من سنة (٤٥٢) الى سنة (٥٠٠) قلنا ان

أبا بكر بن عمر تنازل ليوسف هذا عن الرئاسة وعقد له على بلاد المغرب وبايعه أشياع المرابطين وعاد هو الى الصحراء يقاتل كفرة السودان بنصف الجيش فسار يوسف بن تاشفين بالنصف الباقى الى سلجماسة سنة (٤٥٣) فقاتل من بالمغرب من مغراوة وبنى يفرن وسائر قبائل البربر وتتبع المغرب بلدا بلدا حتى دوخه ثم سار الى مدينة اغمات

وفى سنة (٤٥٤) كانت قدمه قد رسخت فى ملك المغرب فسمت همته الى بناء مدينة فخمة تكون له حصنا حصينا فبنى مدينة مراكش ومعناها بلغة البربر امش مسرعا)

وفى سنة (٤٥٤) جمع مئة الف من جنوده وقصد مدينة فاس فقاتلته قبيلة زناتة حتى انهزمت وحوصرت بمدينة صدنية فدخلها عليها عنوة ثم رحل الى فاس وحاصرها حتى فتحها سنة (٤٥٥) ثم خرج الى غمارة ففتح الكثير منها حتى اشرف على طنجة وبها يومئذ الحاجب سكوت البرغواطى من موالى بنى حمودة ثم رجع الى منازلة قلعة فزاز فخالفه بنو معنصر بن حماد المغراوى الى فاس فدخلوها وقتلوا عامله عليها فسير الجنود لقتالهم فشددوا على زعيمهم تميم بن معنصر الخناق حتى قتل هو وجماعة من عشيرته فقام مقامه القاسم ابن محمد المكناسى فجمع قبائل زناتة فخرج بهم الى المرابطين وانتصر عليهم وأزاحهم عن فاس

وكان الامير يوسف بن تاشفين اذ ذاك محاصراً لقلعة فازاز فلما بلغه خبر انهزام جنوده امام الزناتيين ترك على قلعة فازاز فرقة من جنوده وقصد هو بجيوشه الزناتيين سنة (٤٥٥) فغزا بنى فراس ففتح بلادهم ثم قصد بلاد فندلاوة فدوخها ثم عمد الى ورغة ففتحها . وفى سنة (٤٦٠) فتح جميع بلاد غمارة وجبالها من الريف الى طنجة وفى سنة (٤٦٢) أقبل الى فاس فنزل عليها وشدد عليها الحصار ثم دخلها عنوة فقتل بها من مغراوة وبنى يفرن ومكناسة خلقا كثيرا ، فتم له فى هذه المرة فتح جميع بلاد المغرب الاقصى ماعدا سبته وطنجة وبعد ذلك تجول فى جميع أنحاء ملكه مصلحا لامور الرعية راداً للناس عن كثير من غوياتهم

وكانت سبتة وطنجة لبنى حمود الادريسيين الذين استولوا على الاندلس

بعد انقراض الدولة الاموية فيها فاستنابوا على سبتة وطنجة بعض مواليهم الصقالبة فلم تزل المدينتان بيدهم الى ان انتهيا الى الحاجب سكوت البراغوطى فاستمر عاملا على المدينتين حتى ظهر يوسف بن تاشفين فدعا يوسف بن تاشفين الحاجب سكوت لمساعدته على غمارة فهم باطاعة أمره فنهاه ابنه عن ذلك فسمل بعشورته فأسرها يوسف بن تاشفين فى نفسه حتى فرغ من أمر المغرب فصرف همه لفتح طنجة وسبتة . وفى هذه الاثناء كان الملك الفونس الاسبانى مشدداً الوطأة على بلاد الاندلس الاسلامية فاستنجد الملك المعتمد بن عباد ملك اشبيلية بيوسف بن تاشفين فكتب اليه يوسف معتذراً بما يشغله من أمر المغرب ووعده بالمساعدة حينما ينتهى من أمر الحاجب سكوت

وفى سنة (٤٧٠) سير يوسف بن تاشفين جيشا الى طنجة فبرز اليه الحاجب سكوت وكان شيخا يبلغ التسعين فانهزم وقتل وهرب ابنه الى سبتة وتحصن بها

وفى سنة (٤٧٢) بعث ابن تاشفين جيشا لغزو المغرب الاوسط فسار الى تلمسان وظفر بصاحبها وقتله وعاد الى مراكش

وفى سنة (٤٧٥) وصل الى يوسف ابن تاشفين كتاب من المعتمد بن عباد ملك اشبيلية يعلمه فيه بما يجده المسلمون فى الاندلس من أنواع الاذلال والقهر من غارات الملك الفونس ويسأله النجدة والمساعدة فأجابه يوسف بقوله : «اذا فتح الله علىّ سبتة اتصلت بكم وبذلت جهدى فى جهاد العدو »

وكان الفونس السادس ملك اراغون قد تحرك فى هذه السنة بجيوش جرارة فاستولى على أكثر بلاد الاندلس حتى نزل على اشبيلية فأفسد كل ماحولها وأخربه وكذلك فعل فى شدونة وأخرب بشرق الاندلس قرى كثيرة ثم سار حتى وصل الى جزيرة طريف فأدخل قوائم فرسه فى البحر وقال : « هذا آخر بلاد الاندلس قد وطئته » ثم رجع الى مدينة سرقسطة ونزل عليها وحاصرها وحلف ان لا يرتحل عنها حتى يدخلها أويموت دونها فبذل له أميرها مالا طائلا فقال الفونس : المال والبلاد لى . وبعث الى كل قاعدة من قواعد الاندلس جيشا لحصارها ثم ملك مدينة طليطله من يد صاحبها القادر بن ذى

النون سنة (٤٧٧) فلما انتهى ضعف ملوك الاندلس الى هذا الحد أجمعوا أمرهم على استنجاد يوسف بن تاشفين فكاتبه أهل الاندلس كافة خاصتهم وعامتهم يستصرخونه في انقاذهم من مخالب العدو . فلما تواترت الكتب عليه أرسل ابنه المعز بن يوسف الى سبتة فنازلها براً وأحاطت بها أساطيل المعتمد بن عباد بحرا فافتتحوها عنوة سنة (٤٧٧) وقتل المعز صاحبها صبراً . وأرسل الى أبيه يخبره بما تم ففرح بذلك وقصد العبور الى الاندلس لانجاد مسلميها . ولما سمع المعتمد بن عباد بفتح سبتة جاز البحر الى بلاد المغرب لاستنفار يوسف بن تاشفين الى الجهاد فلقيه مقبلا الى طنجة على أهبة الجواز الى الاندلس . فأمره يوسف بن تاشفين بالعودة الى بلاد الاندلس والاستعداد بمن عنده من الجنود حتى يلحقه ثم اجتاز يوسف البحر واتخذ الجزيرة الخضراء قاعدة لاعماله . ولما تكاملت جنوده بساحل الجزيرة الخضراء عبر هو فى أثرها فى موكب عظيم من قواد المرابطين وانجادهم فوصل الى الجزيرة الخضراء فى منتصف ربيع سنة (٤٧٩) وكان فى انتظاره المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية وابن الافطس صاحب بطليموس وغيرهما من ملوك الاندلس لأن الاندلس فى ذلك العهد وقبله كانت قد انقسمت الى عدد كبير من الممالك الصغيرة كل منها مستقلة عن سواها وكان هذا سبب ضعفها فانتهز عدوها هذه الفرصة فقاتل هذه الممالك واحدة بعد الاخرى حتى انتهى بها الضعف الى العجز التام عن مقاومته وكان ما كان من استنجاد ملوك الاندلس بيوسف بن تاشفين

لما نزل ابن تاشفين الى الاندلس كان الفونس السادس يحاصر سرقسطة فلما علم بقدوم ابن تاشفين عدل عن حصارها وقصد مقابلته فالتقى الجمعان بموضع يعرف بالزلاقة . ونزل المعتمد بن عباد بموضع آخر يحجز بينه وبين يوسف ربوة وبين المسلمين والافرنج نهر بطليموس يشرب منه الجميع . فأمر الفونس جيوشه بالهجوم على المعتمد بن عباد وقال لقواده ان ابن عباد هو مثير هذه الحركة عليكم وهؤلاء الصحراويين وان كانوا أهل حرب الا انهم يجهلون هذه البلاد وقد أتى بهم ابن عباد فاهجموا عليه واصدقوه الحملة حتى اذا هزمتموه هان عليكم أمر

الصحراويين »

فأتت جواسيس ابن عباد فأخبرته بالخبر فأرسل الى ابن تاشفين يستمده وكان ألفونس قد أسرع اليه فأحاط بابن عباد من جميع الجهات وكاد يسحقه سحقا لولا أن تداركه مدد ابن تاشفين فنفس عنه كربته ثم لحقه ابن تاشفين نفسه وقد ملأت أصوات طبوله الجو فلما سمع ألفونس ذلك قصده بمعظم جيوشه فصدمه ابن تاشفين صدمة ردته الى مركزه الاول فاشتد القتال بين الفريقين بصبر لامزيد عليه ثم انتهى الامر بانهزام ألفونس هزيمة شنعاء وأصابه جرح باحدى ركبتيه بقي يخمع منها طول حياته. واستمر ألفونس في هزيمته وجيوش المسلمين تتبعه بالقتل والاسر حتى اعتصم الى ربوة فأحاط به المسلمون فلما جن الظلام انسل منها ألفونس بمن بقي معه تاركين كل ما كان معهم من الذخائر والاسلحة

فعظم شأن يوسف بن تاشفين بهذا النصر العظيم وتلقب من ذلك اليوم بأمير المسلمين وأتاه تقليد المقتدى بأمر الله العباسي على مافتحه ولقبه ناصر الدين ثم رجع يوسف بن تاشفين الى بلاده

وفي سنة (٤٨٤) طمع يوسف بن تاشفين في امتلاك الاندلس وقد بهرته بمدنيتها ومدائنها ونعيمها ونعمها فأرسل اليها جيشا بقيادة سير بن أبي بكر فعبروا الخليج وأتوا مدينة مرسية فملكوها وأعمالها ثم ساروا الى مدينة شاطبة ومدينة دانية فملكوها ثم قصدوا مدينة اشبيلية وبها صاحبها المعتمد بن عباد فحاصروه بها وضيقوا عليه فأظهر من الشجاعة وشدة البأس وحسن الدفاع مالم ير مثله . فلما رأى أن كل ذلك لايجديه نفعا أمام هجوم جيوش ابن تاشفين كتب الى الفونس ملك اراغون يطلب مساعدته على ان تكون البلاد له فأمده بجيش عظيم

فلما بلغ قائد ابن تاشفين قدوم الملك ألفونس انتخب عشرة آلاف من خيرة جنوده تحت قيادة ابراهيم بن اسحق ووجههم اليه فلقوه بالقرب من حصن المدور فحدثت بينهم وقعة هائلة انتهت بهزيمة الافرنج ولم يفلت منهم الا القليل ثم تفرغ سير لمحاصرة اشبيلية حتى فتحها عنوة وقبض على المعتمد وجماعة من أهل بيته وبعث بهم الى مولاه فسجن المعتمد باغمات واستمر في السجن الى ان مات

سنة (٤٨٨)

ثم قصد القائد سير بطليوس وقبض على صاحبها عمر بن الافطس وقتله هو وابنيه يوم عيد الاضحى سنة (٤٨٩)

وبعد ذلك استولى سير على جميع بلاد الاندلس وأزال عنها ملوك الطوائف ولم يبق منهم غير المستعين بن هود صاحب سرقسطة وكان قد اعتصم بالافرنج

وفي سنة (٥٠٠) توفى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فقام بالامر بعده ابنه على بن يوسف بعهد منه فبايعه الناس الا أهل مدينة فاس فان ابن أخيه يحيى بن أبي بكر بن يوسف الذى كان أميراً عليها من قبل جده أبي ان يبايع عمه فخرج عليه وانقاد له جماعة من قواد لتونة فقصده عمه فلما علم يحيى ان لاقبل له بالمكافحة سلم نفسه فأخذه عمه الى مراكش ثم اتهمه بالتشغيب عليه فنفاه الى الجزيرة الخضراء فمكث بها حتى مات

وفي سنة (٥٠٣) رحل امير المسلمين على بن يوسف الى الاندلس للجهاد فانتهى الى قرطبة ثم خرج منها الى مدينة طلاموت ففتحها عنوة وفتح حصونا كثيرة حتى انتهى الى طليطلة فأعجزته فعاد الى المغرب الاقصى

وفي سنة (٥٠٤) فتح الامير سير ابن ابى بكر سنترين و بطليوس والبرتقال واشبونة وغيرها من البلاد الواقعة غرب الاندلس وكانت سرقسطة تحت سلطة بنى هود تغلبوا عليها فى صدر المئة الخامسه أيام الطوائف وتوارثوها الى ان كان منهم احمد ابن يوسف الملقب بالمستعين بالله فزحف عليه الافرنج سنة (٥١٣) فانهزم المستعين وقتل فتولى بعده ابنه عماد الدولة

فلما كانت سنة (٥١٢) زحف الافرنج ثانية على سرقسطة واتصل الخبر بأمير المسلمين على بن يوسف فكتب الى أمراء غرب الاندلس يأمرهم بالاتحاد مع أخيه تميم بن يوسف الذى كان يومئذ واليا على شرق الاندلس أن يسيروا معه لاستنقاذ سرقسطة ومولاردة . فخرج تميم وقاتل الافرنج حتى كل ومل فرجع الى مقره بلنسية فشدد الافرنج الحصار على سرقسطة حتى افتتحوها

وفي سنة (٥١٣) تقدم الافرنج الى شرق الاندلس وأخذوا يفتحون حصونه حتى استولوا على قلعة أيوب وهى من أمنع قلاع الاندلس فانزعج امير المسلمين على

ابن يوسف من هذه الاخبار وجاز الى الاندلس وقاتل الاسبانيين وانتصر عليهم في بضعة مواقع حتى ردهم الى بلادهم ورجع هو الى مقره سنة (٥١٥)

في أيام على بن يوسف ظهر محمد بن تومرت المعروف بالمهدى بجبال المصامدة فكان ظهوره الضربة القاضية على دولة المرابطين وسببا لتأسيس دولة الموحدين (انظر الموحدين مادة وحد)

تولى بعد موت على بن يوسف ابن تاشفين بن على من سنة (٥٣٧) الى سنة (٥٣٩) وكان أمر عبد المؤمن بن على خليفة محمد بن تومرت قد استفحل بجميع بلاد المصامدة أهل جبل درن وخرج للاستيلاء على المغرب الاقصى فسار امير المسلمين تاشفين بن على لقتاله فحدثت بينهم وقائع انهزم فيها الملثمون فلما علم تاشفين بن على عدم مقدرته على رد هجمات الموحدين رحل الى وهران سنة (٥٢٩) فتعقبه الموحدون اليها وقتلوه بها

فتولى أمير المسلمين اسحق بن على ابن يوسف من سنة (٥٣٩) الى سنة (٥٤١) ولكنه لم يلبث طويلا حتى دهمته جنود الموحدين وحاصرت مراكش وهو بها سنة (٥٤٠) واستمر حصار مراكش تسعة أشهر حتى كاد الجوع يهلك أهلها فخرجوا لقتال الموحدين وقتل عامة الملثمين ونجا اسحق بن على بين يدى عبد المؤمن فقتله الموحدون وانمحى أثر الملثمين واستولى الموحدون على جميع البلاد وخلفوا الاولين على ولاية المغرب (انظر موحدين مادة وحد)

اللِثة هو ماحول الاسنان من اللحم جمعها لِثات

(أمراض اللثة) هى تقرح اللثة ، والتهاب اللثة ، واللثة الاسفنجية . هذه الامراض كثيراً ماتصاحب الحفر وهو تسوس الاسنان فترم اللثة وتنتفخ وتدمى لادنى سبب وقد تتقرح حافتها حتى تكشف مغارز الاسنان وكثيرا ما تتخلخل أو تسقط

(العلاج) تستعمل لاجل تخفيف الالتهاب مضمضة مسكنة محللة مثل :

مغلى الشعير	٢٠٠ غرام
الماء العسلى	٤٠ غراما
صبغة الافيون	٥ غرامات

أو مضمضة بوريكية أو من البورق مثل :

مسحوق البورق ٣غرامات
عسل ٣٠غراما
أومضمضةمن كلورات البوتاساو بعد زواله تمس اللثة بصبغة اليود أو بخمر مغلى مع قليل من الرشـاد ويتخذ لتخفيف القروح والالتهاب الشديد مضمضة من مغلى الشعير مع الشب الابيض أو عصير الليمون الحامض أو الخل أو الخل المعطر أو مغلى خشب الكينا أو عود القرح مثل:

جذر عود القرح	٣٠	غراما
افيون	٣٠ر٠٠	سنتي غراما
خل بكر	٣٧٥	غراما

وتستعمل أيضا بدل هذه صبغة اليود أو تمس اللثة بحجر جهنم

(خراج اللثـة) يحصل غالبا من ضرس متسوس ويعرف بورم صلب أولا يكون مركزه قرب الضرس المصاب ثم يرتخي ويلين ولصلاجه تتخذ المضامض المحللة والمسكنة المذكورة آنفا مع ضمادات من بزر الكتان على الخد والدهن تحته بمرهم الزئبق مع خلاصه البلادونا ثم فتح الخراج

﴿لجأ﴾ الى الحصن يلجأ لجأ . ولجيء يلجأ لجأ لاذ به و (لجأه اليه وألجأه اليه) اضطره اليه . و (التجأ) لاذ واعتصم و(اللجأ) المعقل والحصن ومثله الملجأ

﴿لجب﴾ الجيش يلجب لجبا . صاحوا و (اللجب) كثرة أصوات الابطال . و(جيش لجب) أي ذو جلبة وصياح

﴿لج﴾ الرجل يلج لججا ولجاجة عند في الخصومة و(لج) في الامر واظبه فهو (لجوج) و (لاجه) خاصمه . و (اللج واللجة) معظم الماء.و (اللجي) نسبة الى اللج

﴿لجلج﴾ الرجل تردد في الكلام ومثله تلجلج . و (اللجاج) التردد في الكلام

﴿لجمه﴾ الماء وألجمه بلغ فاه . (ألجم الدابة) ألبسها اللجام . و (اللجام) ما يجعل في فم الفرس من الحديد

﴿لحت﴾ القرابة بينهم تليح لحا لصقت.و(لحت العين) تلحح لححا لصقت أجفانها . و(ألح السائل) ألحف يقال (هو ابن عمه لحا) اى لاصق النسب

﴿لحح﴾ القوم وتلحلحوا لم يبرحوا

محكهم وبعدوا وهو من الاضداد

﴿لحد﴾ القبر يلحده لحداً عمل له لحداً . و (اللحد) الشق المائل يكون فى عرض القبر . و (ألحد الميت) دفنه . و (ألحد الى فلان) مال اليه . و (ألحد فى الحرم) ترك القصد فيما أمر به واستحل حرمته . و (التحد اليه) مال اليه . و (الملحد) المائل عن الدين جمعه ملاحدة وملحدة . و (الملتحد) الملجأ

﴿لحس﴾ القصعة يلحسها لحسا لعقها . و (لحّسه الشيء) جعله يلحسه

﴿لحظه﴾ يلحظه لحظا راقبه . ومثله (لاحظه) . و (اللواحظ) الأعين . و (اللحاظ) مؤخر العين مما يلى الصدغ جمعه لحظ . و (اللحظ) باطن العين جمعه لحاظ و (اللحظة) المرة من اللحظ

﴿لحفه﴾ يلحفه لحفا غطاه باللحاف و (لحفه الثوب) ألبسه إياه . و (لاحفه) لازمه . و (ألحف) ألح . و (تلحّف) اتخذ لحافا . و (التحف باللحاف) تغطى به . و (اللحاف) كل ثوب يتغطى به . و (الملحفة) الملاءة

﴿لحقه﴾ يلحقه لحقا ولحاقا أدركه و (ألحقه به) جعله يلحقه و (تلاحق الناس) لحق بعضهم بعضا و (التحق به) لحقه

﴿لحم﴾ الامر يلحمه لحما أحكمه . و (لحم الصائغ الفضة) لأمها . و (لحم الرجل يلحم لحما ولحم يلحم لحامة) كان لحيما

و (لاحم الشيء بالشيء) ألصقه به و (ألحم فلان عرض فلان) أمكنه منه يغتابه . و (تلاحم الشيء) تلاءم . و (تلاحموا) تقاتلوا و (التحم الشيء) تلاءم و (اللحيم) الكثير اللحم . و (اللُحمة) القرابة وما نسج عرضا فى الثوب . و (اللحيم) الكثير اللحم . و (الملحمة) الوقعة فى الحرب

﴿اللحم﴾ كان اللحم يعتبر من المواد الضرورية للحياة الانسانية وغفل اصحاب هذا القول عن أمم تعد بمئات الملايين لاتتغذى باللحم اما لأنها لاتجده او لان دينها يحرم عليها أكله كبعض فرق الهنود . وقد رأى كثير من الفلاسفة الاقدمين وجوب الاكتفاء بأكل النبات وجروا على ذلك وانما حدا بهم الى هذا استنكارهم لذبح الحيوان واستقذارهم لاكل أشلائه الدامية . وقد زهد أبو العلاء

المعرى فى اللحم فحرمه على نفسه وعاش خمسا واربعين سنة لايتناول الا النباتات

وقد بحث العلماء فى القرن الماضى والحاضر فى امكان الاكتفاء بالنباتات حينما كثر عديد النباتيين بين ظهرانيهم فانضحت لهم نتائج جليلة الفائدة نرى أن نثبتها هنا ليستفيد منها حضرات القراء

ولاسبيل لنا فى بيان تاريخ المذهب النباتى الا ترجمة ماكتبه أقطاب العلم فى دوائر المعارف الكبرى فقد جاء تحت عنوان المذهب النباتى فى الملحق الثانى من دائرة معارف القرن التاسع عشر الفرنسية ماترجمته :

« كان المذهب النباتى معروفا من أقدم عهود التاريخ فقد نصت عنه الكتب المصرية والهندية المقدسة والكتب الاسرائيلية والمسيحية وكتابات الفيثاغوريسيين حتى إنه ليمكن تتبعه الى يومنا هذا فيما كتبه افلاطون وبلوت وفيرجيل واوفيدوهوراس وبلوتارك وآباء الكنيسة ومتصوفة القرون الوسطى وكتاب عهد النهضة . وورد عنه ذكر فى كتابات من هم أقرب الينا كالعلماء غاسندى وبوسويت وجان جاك روسو ولينيه وبرناردان دوسان بيير وفرنكلان وويسلى وكتاب آخرين وقد قرر الجميع بدرجات مختلفة من البيان بأن الانسان لم يخلق ليتغذى بلحوم الحيوانات . ثم ظهر الدكتور ج . ب . غليزس (١٧٧٣ ـ ١٨٤٣) فأعطى هذه النظرية صبغة علمية بكتابه المسمى الحياة الجديدة فلم تصادف صيحته آذانا مصغية فى فرنسا ولكن كان الامر على نقيض ذلك فى انجلترا والمانيا . فان هذه البلاد تملك الآن علما نباتيا غنيا بالمؤلفات له جماعات عديدة وجرائد وأطباء ومصحات يطبقون فيها العلم على العمل »

ثم قالت دائرة المعارف المذكورة:

« ان الدكتور سافريه الفرنسى قال بأن متبعى التدبير اللحمي فى الغذاء لا يمثلون فى الارض الا اقلية ضعيفة جداً هى بؤرة الامراض والضعف والانحطاط الباكر وهى اقلية الاغنياء وجزء من سكان المدن »

قالت تلك الدائرة عينها : « وقد عد الدكتور (سميث) الانجليزى الامم التى لاتتغذى باللحم فقال :

« هى أمة الهندوس باتامار وفلاحو

الروس والنورفيج وجنود بولونيا وعملة ونوتية المصريين ومعدنو امريكا الجنوبية والمكسيكيون واسبانيو روسالادا وعمال البريزيل وريوجانيرو ولاجيارا والطبقة العامية من الصين وهنود توباسكو واليابانيون وجنود بوليفيا ونوتية وعمال اليونان وحمالو ازميروسكان جزائر كنارية وحمالو ونوتية الآستانة والجنود التركية وعمال بلجيكا وفلاحو بفاريا وايطاليا والسويد واكوسيا والبرتون والسوفيار والبييمونتيون . هذا غير جميع الذين لا يتناولون اللحم الا مرة فى السنة أو فى أيام الاعياد . » انتهى

هذا مايقال عن قدم عهد التدبير النباتى فى الغذاء وكثرة الآخذين به اختيارا أو اضطرارا من سكان المعمور اما ما يقال عنه علميا فقد ثبت اليوم فيزيولوجيا وكيماويا بأن التدبير النباتى حاصل على جميع شروط التغذية الطبيعية قالت (دائرة معارف القرن العشرين الفرنسية) فى مادة التغذية من المجلد الثانى ما ترجمته :

« من المحقق ان الجبن والعدس والفاصولياء والبازلة والفول أغذى من لحم البقر من جهة المواد الزلالية وجهة المواد الايدروكربونية والدهنية أيضا . وكثير من الناس يتوهمون خطأ بأن اللحم هو الغذاء الاكثر تعويضا للجسم فان التحليلات الكيماوية دلتنا على مبلغ خطأ هذا الرأى والعمل اليومى يقوى هذه النظرية لأن كثيرا من الناس المشتغلين بأجسادهم كالفلاحين والعمال وطوافى البريد بالقرى وأدلاء الجبال عمدة غذائهم الجبن

« فلا يوجد والحالة هذه من الوجهة الفزيولوجية مانع أساسى يمكن معارضة التدبير النباتى به مادامت الاغذية المستعملة فى هذا التدبير الغذائى مساوية فى درجة التغذية للاغذية الحيوانية الاكثر تعويضا للفقد الجسمى . وانا لنترك جانب تلك المستندات التى يستمدها النباتيون من الشعور والاحساس وعلم الجمال والفطرة الخ فان المسألة لا يجوز أن ينظر اليها الا من وجهة فيزيولوجية محضة ويمكن أن يقال ان التدبير الغذائى النباتى من هذه الوجهة لا يظهر أن فيه أدنى مانع أو ضرر وليس لدى الفيزيولوجى ما يستند عليه لدحضه وابطاله

« ومما يثبت بأحسن أسلوب ان

التدبير النباتي مفيد وانه مما يمكن تحقيقه بدون ضرر على الصحة هو أن كثيرا من الناس عولوا عليه ووجدوا أنفسهم أحسن مما كانوا قبله . ولنضف الى ذلك ما قاله العالم (فوساجريف) بأن طائفة الترابيست (هم جماعة دينيون متقشفون) يكادون يكونون نباتيين صرفا ومع ذلك فلا تصادف بينهم امراضا معدية » انتهى

وقال الاستاذ بـاز رئيس المستشفى المشهور بألمانيا فى كتابه الطب الطبيعى صحيفة (١٥٦٩)

« من الخطأ الاعتقاد بأن المرضى يتقوون ويسترجعون صحتهم بأكل اللحم أو بشرب المرق المستخرج منه والاطباء العديدون الذين يصفونه لمرضاهم يرتكبون بذلك طيشا عظيما لان له تأثيرا ضارا بالمرضى ويبعد أن يجلب اليهم أى نفع كان »

وقال في صحيفة (١١١٤) :

« ان للحم تأثيرا مهيجا ضارا بالبنية وانه ليستنتج من منع الاطباء مرضاهم من تعاطيه في حالة الحمى انه مما لا يستحق ان يوصى به . فان الاغذية التى تضر المرضى (تأمل) يكون ضررها أكبر من نفعها للاصحاء . والفرق بين الحالين أن الاصحاء لا يحسون بضررها سريعا . ثم إن قيمة اللحم الغذائية ليست على الدرجة التى يتوهمها الناس فان رطلا من دقيق القمح أو الحبوب الاخرى أو من النباتات الخضراء يحوى من المواد المغذية أكثر مما يحويه رطل من أجود لحوم البقر »

وقال الدكتور (بونجرا) في كتاب (التدبير الغذائى النباتى المؤسس على العقل والعلم) :

« القوة المعوضة العامة للاغذية توجد حيث وضعت الطبيعة عنصر الحياة بالقوة أو فى حالة كون أى كما هى فى الحبوب والبقول والجذور والدرنات والفواكه والبيض واللبن أو ما يشتق منها . أما اللحم او الجثة الهامدة فليست الا حثالة ميتة قد استنفدت دورها الغذائى وصارت مملوءة بالقلويات المتخلفة من الاجسام العضوية المتحللة وببقايا استحالات المواد الحية الى مواد جامدة ومن هنا فهى لا تصلح للتغذية الطبية لأن الموت لا يستطيع أن يحفظ الحياة »

وقال الاستاذ (راوكس) من لوزان كما نقلتـه عنه دائرة معارف القرن

التاسع عشر

« التغذى بالجثث الميتة يؤدى الى الداء الكحولى لامحالة وهو الجرح الدامى فى جسم الهيئة الاجتماعية الحاضرة وقد استحوذ بشكل شنيع غير قابل للشفاء على الذين يغتذون بالجثث وهو عامل على افنائهم بسرعة . وقد دلت التجربة على ان النباتيين لا يصابون به »

وقال الاستاذ الانجليزى الدكتور (هيج) كما نقله (ج.فوجت) فى كتابه (كيف الحصول على مخ صحيح) :

« الغذى باللحوم يشحن الدم بحمض البوليك فيسم البنية ويسبب لها الامراض العسرة الشفاء ولا دواء لذلك الا الاكتفاء بالنباتات »

مثل هذه الاقوال الواردة فى مضار اللحوم لاتحصى ونستطيع ان نملأ منها سفرا كبيرا . ولكن ليس ذلك قصدنا فقد أردنا ايراد رأى العلم الرسمى فى امكان الاكتفاء بالنباتات لنتصف من جهة لمئات الملايين من سكان الكرة الارضية الذين لا يغتذون باللحم ، ولننتصر من جهة أخرى لمبدأ فى التغذية أصبح له أكبر شأن فى العالم . بل أصبح علاجا ناجعا لكثير من الامراض العضالة

قالت دائرة معارف لاروس فى ملحقها الثانى :

« يسمى التدبير النباتى المستعمل فى الطب (فنزيآرى) وهو مذهب طبقه جيراننا (الالمان) على المرضى بنجاح عظيم على انه يكاد يكون غير معروف عند جماعة الظلمانيين المتشددين من طوائفنا . أولئك الاطباء من جيراننا لايستخدمون فى التطبيب الا القوى المتحدة للهواء والماء النقى والرياضة فى الصباح على حالة حفاء ويتبع ذلك علاج بالماء على قواعد علمية (وتدبير غذائى نباتى) لايستعمل فيه الا النباتات الوطنية »

(رأى الاستاذ هوشار فى الاقتصار على النباتات) كتب الاستاذ هوشار الفرنسى العضور فى المجمع الطبى وصاحب مجلة الطبيب العملى عدة مقالات فى مضار اللحم نلخصها فيما يلى :

« ان الانسان ليقتل نفسه باتباعه فى غذائه تدبيرا مضادا للطبيعة حتى أن معدل الحياة البشرية قد سقط تدريجا من ٥٠ الى ٤٠ ثم الى ٣٥ سنة واليك بعض آراء كبار العلماء :

« قال كوفييه الطبيعي المشهور (يظهر أن جسم الانسان مركب بحيث تكون معظم تغذيته من الفواكه وجذور النبات واجزائها المائية »

« وقال فلورس الفسيولوجي المشهور: « اذا اعتبرت معدة الانسان وأسنانه وامعاءه هو من أكلة النباتات والفواكه الطبيعية »

« وقال ميشيل لبفى: « يظهر اننا نتبع في حفظ حياتنا قاعدة مخالفة لقواعد حفظ الحياة »

ثم قال هوشار: « لايخلوا هذا من غلو ولكن هناك حقيقة ثابتة وهى ان الغذاء الحيوانى الذى نأكله ليس بغذاء بل هو تسمم مستمر متكرر»

(الامراض التى يسببها أكل اللحم)

ثم قال: « أما الامراض المسببة عن الافراط في أكل اللحم فهى داء النقرس والروماتيزم والبول السكرى وهناك أمراض أخرى كأمراض الكلى والمعدة والقلب والاوعية والصداع والربو وألم الاعصاب والامراض الجلدية والعصبية وعلى الاخص النوراستانيا التى تزيد انتشارا يوما بعد يوم، كلها تتسبب عن سوء انتخاب الاغذية والافراط في تناولها»

ثم أتى على رأى الأستاذ لينوسيه وهو قوله: « ان كل ماينسبونه الى اللحم من الاضرار لايخلو من الصحة لانه من المؤكد ان اللحم من بين جميع الاغذية العادية يحدث تسمما بطيئا للجسم وهو عامل خطير لاحداث داء البولينا وداء المفاصل

وقال: « ان الدكتور كيونكا نجح في توليد أعراض النقرس في الدجاج بقصرهم على التغذية اللحمية. ثم قال: « انه لاشك في امكان جعل البنيـة في حالة صحة جيـدة بالاقتصار على الاغذية النباتية دون سواها

« وكثيرا ماينشأ الربو من الغذاء وقد نشرنا حالات لم تنجع فيها العلاجات وزالت في بضعة أشهر بقصر اصحابها على أكل اللبن والنباتات

ثم قال « اعتاد الاغنياء أن يتغذوا بالدقيق الابيض وهو قليل التغذية وكلما ازداد بياضه قلت تغذيته وقد أثبت العالم ماجندى ان الكلاب التى تتغـذى بالخبز الابيض والنخال تعيش أكثر من الكلاب التى تتغذى بالخبز الابيض فقط لان الخبز الابيض قليل التغذية ويحدث امساكا

« والعضلات لاتقوى بأكل اللحم بل بأكل الخبز والادهان

« فكان اليونانيون يهيئون شبانهم للمصارعة بقصرهم منذ نعومة أظفارهم على التغذى بالتين والجوز والجبن والخبز الخشن

« وفى فرنسا أشد الرحال هم الذين يفضلون للتدبير النباتى على غيره

«وفى روسيا يشتغل العملة ١٦ ساعة متواصلة ولا يأكلون الا النباتات والجبن والخبز الاسود

قال: «وفى القطر المصرى يتغذى العملة والنوتية بالشمام والبصل والفول والعدس والذرة وهم أشداء أقوياء. وكذلك نوتية الآستانة وعملة المناجم فى شيلى

«وفى الولايات المتحدة لم يعمل السكة الحديدية التى تخترق البلاد الى الاوقيانوس الا العمال الصينيون وهم لا يتغذون الا بالارز وسكان جبال هملايا أشداء أقوياء ولا غذا لهم الا الارز . ويوجد قبائل هندية تقطع فى اليوم من ١٥ الى ٢٠ فرسخا وذلك فى مدة ثلاثة أسابيع متواصلة وهى لا تتغذى الا بالارز

«هذه كلها أدلة تبرهن على أن التدبير النباتى يكسب العضلات قوة

(النباتات تحتوى على فسفور أكثر)

ثم قال الاستاذ هوشار: «ان الاغذية النباتية تحتوى من حمض الفوسفوريك على مقدار أكبر مما يحتويه اللحم منها والاغذية النباتية ليست بثقيلة على المعدة خلافا لما يعتقده الجمهور فانها تهضم فى الامعاء أما اللحم فيهضم فى المعدة

(شفاء النوراستانيا بالتدبير النباتى)

ثم قال: «ونحن الآن فى جيل كثرت فيه النوار استانيا وأفضل علاج للاشانها الاقتصار على تدبير غذائى نباتى لبى ينقى المجموع العصبى . وقد يشفى الارق المستعصى باتباع التدبير المشار اليه. واللحم منبه للمخ والعضلات فالا فراط فيه يضعف المخ والعضلات وهو لا يكون دائما غذاء منوعا

(الاقتصاد على النباتات يطيل الحياة)

ثم قال الاستاذ هو شار: فى التاريخ شواهد كثيرة تدل على ان اتباع التدبير الغذائى النباتى يطيل الحياة من أمثلة ذلك كورنارو رئيس جمهورية البندقية فقد كتب تاريخ حياته وهو فى السادسة والثمانين وتوفى بعد أن جاز المائة وكان متبعا تدبيراً نباتيا صعبا جدا على أثر مرض شديد اعتراه بسبب أفراطه فى الطعام

« وبتريس أوتيل عاش ١١٣ سنة

وكان يتغذى بالنباتات ولم يأكل لحما الافى عدد محصور من مآدب أدبها لاسرته

«وكثير من الفلاسفة والكتاب اتبعوا تدبيراً نباتيا فى حياتهم وتوفى أكثرهم فى سن متقدمة جدا نذكر منهم نيوتن الفلكى المشهور الذى توفى وله (٨٥) سنة وكان يتغذى بالخبز والنباتات والماء . وفونتنيل الفيلسوف الفرنسى وشيفريل الكيماوى عاشا أكثر من مائة سنة وغيرهم من مشاهير الكتاب والعلماء كبرناردين دوسان بيير وفرنكلان وفولتير وجان جاك روسو وميشيليه ولا مرتين

ثم قال الاستاذ هوشار : «والتدبير النباتى يطيل الحياة لأنه لا يهدم البنية ويقى الجسم من الاصابة ببعض الامراض بخلاف التدبير الغذائى اللحمى الذى يولد فى الجسم عددا عظيما من الاعراض كتصلب الشرايين وعددا عظيما من أمراض القلب والاصابات الكلوية والكبدية» انتهى ما نقلناه عن الاستاذ هوشار

وقد ثارت بيننا وبين أحد الاطباء بالقاهرة مناظرة علمية فى هذا الشأن فى جريدة الشعب فى شهر ينساير من سنة (١٩١٤) فذهب الطبيب الى وجوب أكل اللحم وذهبنا الى وجوب الاقتصار على النباتات مستندين على المفردات العلمية، والابحاث الحديثة والتجارب الثابتة فهاجت هذه الكتابات أحد فضلاء الاطباء وهو الدكتور نجيب قناوى بك الى كتابة فصل بجريدة الاهالى الصادرة فى ٢ فبراير سنة ١٩١٤ عززفيه رأينا ونقل آراء سديدة عن بعض العلماء الاوربيين فى هذا الصدد نرى ان نأتى عليها هنا قال الدكتور :

« ومن العبث ان يقال ان الانسان لا يمكنه ان يعيش بدون أن يأكل لحما فى غذائه

« اما الذين يفضلون أكل النباتات على غيرها فكثيرون وقد ذكر بعضهم فريد بك وجدى فى اعداد الشعب الاغر وظهر حديثا مقال للدكتور جلاى استاذ علم وظائف الاعضاء بكلية فرنسا فى شهر مارس سنة ١٩١٣ فى محاضرة ألقاها على الجمعية العلمية للاغذية النباتيـة فانه قال : « الغذاء النباتى يحتوى بلا شك على العناصر اللازمة لجسم الانسان ففيها الماء والاملاح المعدنية بالكمية المطلوبة ومواد هيدور كربونية ومواد زينية وأزوتية »

« هذا وللنباتات ثلاث فوائد أقرها

ألد عدو للنباتيين نعني به الدكتور كسبرى أولها أنها ضعيفة المواد التي تسبب أكثار حمض البوليك وهو عامل مهم في احداث الآلام المفصلية ثانيها انها تقلل الادمان على شرب الخمور وذلك لاحتوائها على جزء عظيم من الماء يكفي الانسان مؤنة الظمأ وأخيراً انها غذاء رخيص يمكن للفقير أن يحصل عليه . يقولون إن النباتات غير منبهة وتكون كتلة عظيمة في القناة الهضمية وليس فيها ما يكفي الجسم من الازوت ولكن هذه العيوب الثلاثة هي في نظر الدكتور جلاى خياليات أكثر مما هي حقائق وهو يدحضها بقوله : ان أكثر الناس يستعملون المنبهات في غذائهم وان الكتل العظيمة التي تتكون في القناة الهضمية لا يحدث الا من اكل الكرنب والقرنبيط والبطاطس وما أشبهها لا في غذاء يحتوى على الحبوب والفواكه وخصوصا الجافة منها

«اما القول بان المواد الازوتية قليلة في النباتات فلا يمكن للانسان معها أن يقدر على العمل فقد قال عنها الدكتور جلاى : «يكفينا أن نثبت بالادلة والتجارب التي عملت بواسطة الدكاترة جوتيكي وكوبانى في مدينة بروكسل على ثلاثة وأربعين نباتيا منهم المعلم والتلميذ والموظف والعامل والمرأة والمالك فقد دلت على أن النباتيين يمكنهم تحمل العمل مرتين ونصفا أكثر من أكلة اللحوم قبل أن يصلوا الى حد الطاقة وانهم اكثر نشاطا في الشغل وأن راحة أعضائهم ترد اليهم بسرعة فانهم يكفيهم راحة دقيقتين ليعودوا الى ما كانوا عليه من العمل » انتهى ما نقلناه

(مقدار المواد الزلالية التي يحتاج اليها الجسم) كان الناس يعتقدون ان المواد الزلالية في اللحوم أكثر منها في النباتات فأثبتت لهم الكيمياء بالتجربة أن ما يحتويه رطل القمح من المواد الزلالية أكثر مما يحتويه الرطل من اجود اللحم وجاء العلم فأثبت اليوم أن المادة الزلالية الموجودة في النباتات أجود في التغذية من تلك المادة الموجودة في الاجسام الحيوانية وأقام الدليل بعد ذلك على ان ما يحتاج اليه الجسم من تلك المادة أقل بكثير مما كان يتوهم بل ان الاكثار منها يفضي الى المرض فجاءت هذه التجارب مفسرة لهذا المظهر العجيب من تمتع الفقراء والمحرومين من الاطعمة الكافية بالصحة والقوة

وحرمان الاغنياء من تينك النعمتين مع انغماسهم فى المآكل الدسمة وعنايتهم بأجسامهم . وفسرت لنا مع هذا مايروى عن الصحابة وأمثالهم من اكتفاء الرجل منهم فى اليوم بشئ يسير من الخبز أو التمر وتمتعهم مع ذلك من القوة البدنية بما يعجز عنه سواهم . وقد اطلعنا أخيراً على مباحث للدكتور (هندهيد) والاستاذ (تشتندن) الانجليزيين ترجمتها جريدة المقطم ونشرتها فى عددها الذى صدر فى ١٩ اكتوبر سنة ١٩١٦ فرأينا ان ننقلها عنها لقراء هذا الكتاب . قالت الجريدة المذكورة :

«وقد طالعنا مقالة لاحد اطباء أوروبا يتبين منها ان الذين اعتادوا أكل اللحم والبيض ومايدخل فى حكمهما من الاطعمة يفرطون فى الاكثار منها فيؤذون انفسهم أذى كبيراً من حيث لايدرون وهذه المقالة مفعمة بالفوائد فآثرنا اقتطاف أهم ماورد فيها ونشره عملا بما جرينا عليه من نشر المقالات المفيدة فى حفظ الصحة . استهل الطبيب الكاتب مقالته بهذا السؤال وهو : كم يحتاج الجسم البشرى من البروتيين (الالبومن) لكى يؤدى وظائفه حق الاداء

« والبروتين اسم جنس للاطعمة النتروجينية أو الالبومنية فى بعض البقول

« والموضوع من أهم مواضيع حفظ الصحة فان الامراض الناشئة عن الافراط فى أكل البروتيين كثيرة ، والوفيات بها تزيد على الوفيات سواها فان أمراض القلب والكليتين والكبد ناشئة عن سوء تمثيل البروتيين لمعرفة مايجب أكله من اللحم والبيض واللبن ونحوها من الامور التى تعد اساسا لحفظ الصحة واطالة العمر

« ثم ان اعظم الاطباء مجمعون على ان بعض الامراض الاخرى العضالة كالسرطان ناشئة عن الخطأ فى تعيين مقدار البروتيين فى الطعام وحسبنا هذا وذاك دليلا على وجوب افراغ العناية فى هذا البحث

« وان من بحث فى هذا الموضوع الدكتور هيند هيد الدنمركى فظهر له من ابحاثه ان ٢٥ غراما من البروتيين فى اليوم تكفى الشخص العادى وتحفظ صحته وكان المظنون قبلا ان المقدار اللازم يبلغ اربعة أضعاف هذا القدر وقد قال هذا الطبيب ان زيادة هذا المقدار فى الطعام مضر بالجسم

«ولا يخفى ان اطعمه البروتيين كاللحم

والبيض هى أغلى الاطعمة وان الفقراء والمتوسطين يتعبون كثيراً في تدبير أثمانها ولكن متى ثبت لنا ان الناس يدفعون الأثمان الغالية لشراء الضرر والاذى وتقصير العمر غلب علينا الضحك لولا ان المسألة من المبكيات

«وقد دقق الدكتور هندهيد فى تجاربه توصلا فى النتيجة التى استنتجها فكان يختار رجلا من الذين يعملون الاعمال اليدوية العنيفة ويكيل لهم الاطعمة ويزنها ويدقق فى وزن مفرزات اجسامهم ويمحص قوتهم واعضاءهم وبين التجارب التى جربها انه جاء برجلين اقتصر فى اطعامهما عاما كاملا على البطاطس والمرجرين (الزبدة النباتية) وكان يجنس الطعام يوميا بحيث يكون اقل مايصيب الواحد منهما كل يوم مالا يقل عن ٢٠ غراما الى ٢٥ غراما من الالبومن بدلا من ٨١ غراما وهو المقدار الذى عين من قبل بالتجارب العلمية

«والمعلوم ان البروتيين قليل جداً فى البطاطس فاستخلاص المقدار المطلوب من الالبومن من البطاطس يقتضى ثلاثة ارطال منه فكان الطبيب الدنمركى يعطى كلا من هذين الرجلين هذا المقدار من البطاطس كل يوم مع ست أواق (٥٤) درهما من المرجرين ويمنعهما من أكل اللحم والبيض واللبن فكانت صحتهما فى آخر العام من اجود مايكون وحاضر أحدهما مع العدائين فقطع ٢١٤ ميلا فى ١٩ ساعة اى فى اقل من الوقت المفروض

« هذا بعض مااستنتجه الدكتور هندهيد من ابحاثه وتجاربه :

(١) ان الالبومن الموجود فى الاطعمة النباتية يغنى فى الجسم عن الالبومن الموجود فى الاطعمة الحيوانية (كاللحم والبيض واللبن) وان مقدار الالبومن الذى يحتاج الجسم اليه أقل من المقدار الذى كان يظن لازما له

(٢) ان الاطعمة التى يقل الالبومن فيها تزيد قوة الجسم على احتمال المشقة والتعب فقد قال الطبيب المذكور : « لا اعرف واحداً من الذين يكثرون من أكل اللحم احرز قصب السبق فى محاضرة طويلة »

(٣) ان عدد الوفيات بأمراض الكبد والكليتين والامعاء يبلغ بين سكان المدن المترفين نحو اربعة اضعاف مايبلغه

بين الفلاحين الذين معظم طعامهم من البطاطس والادهان (الريوت)

«وقال ان العرب الذين يأكلون الخبز والتمر فيهم من صلابة العود وشدة الصبر على التعب مايدهش الاوربيين وأن جراية جنود السخ المنود وهم من اشد جنود الدنيا عبارة عن كأسين من اللبن و٢٥ اوقية من الخبز واوقيتين من الزبد واربع اواق من الفاصولياء وخمس اواق ونصف اوقية من البطاطس وهم لا يأكلون اللحم الا مرتين او ثلاثة فى الشهر ونعم مايفعلون

«ويلخص استنتاج الدكتور هندهيد بقوله ان قيمة الالبومن انباتى افضل من قيمة الالبومن الحيوانى ولكن يجب الاعتدال جداً فى استعماله وبكميات معينة وانه يجدر بالناس ان يقلوا من أكل اللحم وان لايكون أكله مع القلة مستمراً بل أن يؤكل فى فترات متباعده

«قال الطبيب الكاتب ولو كانت تجارب الدكتور هندهيد فريدة فى بابها لما أعرناها هذا الاهتمام فقد اتفق غير مرة للعلماء ان اخطأوا فى البحث مدفوعين بعاملى الحماسة الى استنتاج مايتوقون الى تأييده واعظم التجارب تدقيقا قد لايخلو من الخطأ فيؤدى الى نتائج مغلوطة . ولكن التجارب المذكورة تطابق ماتوصل اليه باحثون آخرون فمن ذلك ان الاستاذ تشتندن تعمق فى مثل هذا المبحث فاقتنع هو وأنصاره بأن تنقيص البروتيين فى الطعام هو سبيل الصحة وان السواد الاعظم من الناس ينكب عن هذا السبيل عمدا

« وقد جرب الاستاذ تشتندن هذه التجارب بنفسه وبجماعة من زملائه وتلاميذه وبينهم نفر من لاعبى الالعاب الرياضية فالفى ان صحته تحسنت وقوته زادت بانقاص مايأكل ولاسيما من أطعمة البروتيين . ووافقه على ذلك آخرون فكانوا يقوون وتجود صحتهم اذا نقصوا مقدار الطعام الذى يأكلونه

« ومما يبعث على الاستغراب فى هذه التجارب ان نتائجها كانت متماثلة فى لاعبى الالعاب الرياضية وفى الذين يعيشون عيشة ساكنة هادئة فان قوتهم ازدادت بانقاص مايأكلون من اللحم والبيض واللبن عما ألفوه قياسا على ماتطلبه قابليتهم

«وقد تبين للاستاذ تشتندن ان هذه القابلية التى نحسبها طبيعة ونعتمد عليها

فى الدلالة على مقدار ما يجب أن نأكله ليست دليلا مأمونا بل هى نتيجة عادات سيئة فى الاكل حادت بالانسان عن جادة الصواب فان القابليـة اذا كانت طبيعية لا تجيز للمرء أن يأكل من الطعام الا نصف القدر الذى يأكله الناس عادة أو ثلثه

« قال الطبيب الكاتب : قلت ان الدكتور هندهيد أثبت ان الجسم البشرى يحتاج كل يوم الى ٢٥ غراما من البروتيين وأقول الآن ان هذه الكمية بالتقريب موجودة فى ثلاث بيضات او ثلاث بوصات مكعبة من لحم البقر أو ثلاث كبايات من اللبن ثم ان قطعة كبيرة من الخبز الافرنجى تحتوى نحو اربع غرامات من البروتيين وصحنا من البطاطس يحتوى نحو غرامين ونصف غرام

« ولكن الجهاز الهضمى لا يستطيع ان يستخرج كل البروتيين الموجود فى الطعام الذى يدخل جوف الانسان فاذا أكل المرء طعاما ليس فيـه غير ٢٥ غراما من البروتيين فان جسمه لا ينـال من هـذا البروتيين الا نحو النصف ولذلك يجدر بنا أن يكون الطعام اليومى محتويا على ٥٠ غراما على الاقل من البروتيين لسد حاجة أنسجة الجسم

« وبعبارة أخرى ان الجسم ينال حقه من البروتيـين أو الالبومن اذا كان فى الطعام بيضة وحدة وكباية لبن وخمس أوقيات من لحم البقر يكون هذا وزنها قبل طبخها . والمحقق ان هذا القدر يساوى كل ما يحتاج اليه

« ولا يغرب عن البال ان الانسان اذا اقتصر على القدر المتقدم من الطعام فانه لا يجد فيه الكفاية لتوليد الحرارة اللازمة لجسمه فلا بد اذاً من أن يضم اليه شىء من الاطعمة غير الالبومنية كالنشا والسكر والدهن وهذه توجد فى الاطعمة المصنوعة من الحبوب والقطانى والبقول

« ولما كانت هذه الاطعمة تحتوى على مقادير قليلة من البروتيين كما تقدم الكلام فان كلها يزيد مقدار الالبومن الذى يستخرجه الجسم من اللحم والبيض واللبن فيجب اذاً انقاص مقدار أطعمة البروتيين شيئا قليـلا ليبعد من الالبومن الموجود فى الحبوب والقطانى والبقول التى تدخل فى طعام الانسان اليومى

ان الجسم يحتاج يوميا الى نحو (٢٤٠٠) وحـدة من الحرارة ولزيادة

البيان نقول ان رطلا من الخبز يحتوى على نحو (١٢٠٠) وحدة من الحرارة أى على نصف المقدار المذكور ورطلا من البطاطس يحتوى على ٣٠٠ وحدة ورطلا من الكرنب ١٤٠٠ وحدة ورطلا من الجزر ٢٠٠ وحدة ورطلا من الاسفاناخ ١٠٠ وحدة ورطلا من البصل ٢١٥ وحدة وهكذا

« اما الفواكه فرطل الموز فيه ٤٠٠ وحدة من الحرارة والتفاح ٢٦٠ وحدة والتين ٣٢٠ وحدة والعنب ٣٣٠ والبرتقال ١٢٠

« ولكن وحدات الحرارة فى الفواكه الناشفة أكثر عن هذا كثيراً فرطل التفاح الناشف يحتوى على ١١٩٠ وحدة ورطل البلح الناشف ١٤١٥ وحدة والجوز نحو ٣٠٠٠ وحدة واللوز ٢٦٨٥ وحدة فى الرطل الواحد

وربما كان الجوز أعظم الاطعمة فى احتوائه على مقادير كبيرة من البروتيين ومولدات الحرارة (كربوهيدرات) والدهن

« فاذا تقرر ما ذكرناه عن المقدار الذى يجب أكله من أطعمة البروتيين كاللحم والبيض واللبن نقول ان الاطعمة المولدة للحرارة كالحبوب والقطانى والبقول والفاكهة يجب ان تكون نحو عشرة أضعاف الدهن والزيت

« ولكن الامر المهم فى مسألة الطعام هى عدم الافراط في شيء منه ولكن الخطر كل الخطر ناشيء عن الافراط فى أطعمة البروتيين أى اللحم والبيض واللبن

« ويجب ملاحظة الفرق بين الآكلين فالذى يعمل أعمالا بدنية عنيفة يجب ان يعطى من الطعام أكثر مما يعطى من كان قليل الحركة أو كان شغله من الاشغال العقلية

« وختم الطبيب مقالته ببعض الوصايا العامة التى يجدر بالمرء مراعاتها فى طعامه وهى (١) الاعتدال فى الاكل من جميع أنواع الطعام التى تقدم على المائدة ولا تأكل من طعام واحد مرتين (٢) اترك المائدة وأنت شاعر انك تستطيع ان تأكل زيادة عما أكلت (٣) زن جسمك مرة بعد مرة وقابل بين أوزانه وعدل طعامك بحسب ما ترى من نقص الوزن أو زيادته

« فان لم تهتم هذا الاهتمام القليل وتمن هذه العناية اليسيرة بجسمك فلا يحق لك ان تشكو اذا اعتلت صحتك ولا ينتظر أن

تكون من طويل العمر » انتهى ما نقلناه

ظهر لنا من هذا المبحث وغيره ان اللحم قد ثبت ضرره ثبوتا لا يتطرق اليه ظل من شك ، وان فائدة الاكتفاء بالنباتات صارت من العقائد العلمية المقررة ولا عبرة بما ذكره الدكتور الانجليزى من تحديد قدر اللحم فانه ذكر ذلك مضطراً لاعتقاده ان أكثر الناس يعز عليهم ترك عوائدهم الراسخة وان كانت من الجوائح على صحتهم . اما هو فقد نص صريحا على ان الاكتفاء بالنباتات خير وسيلة لحفظ الصحة والسلامة من الامراض والاوصاب

﴿ لحن ﴾ القارىء يلحن لحنا أخطأ فى الاعراب . و (لحنه) خطأه . و(اللحن) من الاصوات المصوغة للغناء جمعه ألحان . و (اللحن) اللغة يقال : (لحنت بلحنه) أى تكلمت بلغته و(لحن الكلام) فحواه ومعناه ومعاريضه يقال : (عرف ذلك فى لحن كلامه) أى فى معاريضه و(اللُحَنة) الكثير اللحن

﴿ لحاه ﴾ يلحُوه لَحْوا اشتمه . و(لحا الشجرة) قشرها ومثله (التحاها) و (لحا فلانا) لامه وشتمه . و (لاحاه) نازعه . و(تلاحوا) تلاعنوا . و(التحى) نبتت لحيته . و (اللِحَاء) قشر الشجر . و (اللَحْيُ) عظم الحنك ومنبت اللحية وهما لَحْيان جمعه لُحِيّ و (اللِحية) شعر الخدين والذقن

﴿ لخص ﴾ الكلام بينه وشرحه . و(لخص الشىء) أخذ خلاصته

﴿ لَخْم ﴾ حى باليمن كانت منهم ملوك العرب فى الجاهلية (انظر عرب)

و(اللَخْمة) الفترة يقال : (به لخمة) أى ثقل وفترة . و(رجل لخمة) بفتحتين او بضمة وفتحة أى به ثقل وفترة

﴿ اللخمى ﴾ هو أبو الحسن على ابن الانجب أبى المكارم المفضل أبى الحسن على بن أبى الغيث مفرج بن حاتم ابن الحسن بن جعفر بن ابراهيم بن الحسن اللخمى المقدسى الاصل الاسكندرى المولد والدار المالكى المذهب

كان من الفقهاء الفضلاء على مذهب الامام مالك ومن أكابر الحفاظ المشهورين فى الحديث وعلومه . صحب الحافظ أبا الطاهر السلفى الاصبهانى نزيل الاسكندرية وانتفع به . وصحبه الشيخ الحافظ العلامة زكى الدين ابو محمد عبد العظيم بن عبد

القوى بن عبد الله المنذرى ولازم صحبته وانتفع به وعليه تخرج وذكر عنه فضلا غزيرا وصلاحا عظيما

كان أبو الحسن اللخمى يقول الشعر فمنه قوله :

تجاوزت ستين من مولدى
فأسعد أيامى المشترك
تسائلنى زائرى حالتى
وماحال من حل فى المعترك

وله ايضا :

أيانفس بالمأثور عن خير مرسل
وأصحابه والتابعين تمسكى
عساك اذا بالغت فى نشر دينه
بما طاب من نشرله أن تمسكى
وخافى غداً يوم الحساب جهنما
اذا نفحت نيرانها أن تمسكى

وله أيضا :

ثلاث باءات بلينا بها
البق والبرغوث والبرغش
ثلاثة أوحش مافى الورى
ولست أدرى أيها أوحش

وله أيضا :

ولمياء تحيى من تحى بريقها
كأن مزاج الراح بالمسك فى فيها
وماذقت فاها غير انى رويته
عن الثقة المسواك وهو موافيها

كان اللخمى ينوب فى الحكم بثغر الاسكندرية ودرس فى المدرسة المعروفة به هناك ثم انتقل الى القاهرة ودرس بالمدرسة الصاحبية وهى مدرسة الوزير صفى الدين أبى محمد عبد الله بن على المعروف بابن شكر واستمر بها الى حين وفاته ولد سنة (٥٤٤) بالاسكندرية وتوفى سنة (٦١١) بالقاهرة

﴿ لدّه ﴾ يلُدّه لدّاً خاصمه وشدد خصومته فهو لدّ ولدُود . و (اللّدَد) الخصومة . و(الألدّ) الخصم الذى لايفىء الى الحق جمعه لُدّ

﴿ لُدّ ﴾ هى قرية قرب بيت المقدس من نواحى فلسطين وهى على نحو ساعة من مدينة الرملة اشتهرت فى الحروب الصليبية

﴿ لدَغته ﴾ العقرب والحية تلدَغه لدْغا لسعته فهو ملدوغ ولديغ

(لدغ العقرب) لايعتد بلدغ العقرب مالم تكن اللدغات عديدة فتحدث تهيجا عاما مزعجا وقد تحصل عنها أعراض شديدة تشبه الاعراض الحاصلة عن لدغ

الحية وهى تحدث حكة وانتفاخا وألما شديدا وقد يحصل منها التهاب فى الجلد يشبه بأعراضه وهيئته الشرى بسبب امتصاص السم المبثوث فى طرف الابرة فى مقر الجرح

فلعلاج ذلك تنزع الابرة (ابرة العقرب أو الحشرة) ويغسل موضعها بماء فينيكى أو بروح النوشادر ١٥ نقطة الى فنجان ماء أو فنجانين أو يوضع على الوخزات كربونات الصودا أو طباشير محضر أوماء أو تغسل بماء الرماد واذا وجد محلول فانسويتن يغطس فيه العضو الملسوع واذا كان الالم شديدا يضاف اليه نقط من اللودنم وبعد تسكين الألم يدهن المحل بماء كولونيا أو روح الكافور أو دهون الصابون أو دهون الكافور المركب لتحليل الانتفاخ ويضمد البعض اللسعات السامة بضمادة من عرق الذهب (انظر لسع الحية)

﴿لدمه﴾ يلدمه لدما لطمه . و (التدم) اضطرب . و (التدمت المرأة) ضربت صدرها فى النياحة . و (اللدْم) صوت الشىء الذى يقع على الارض . (أم ملدم) الحمى

﴿لدُن﴾ الشىء يلدُن لَدانة ولُدونة كان لَدْنا و (لَدّنه) لينه. و (اللَدْن) اللين. و (لَدُنْ) ظرف مكان وزمان مثل عِند الا أنه أخص من عند

﴿لَذّ﴾ الشىء يَلَذ لَذاذة صار شهياً فهو لَذ ولَذيذ و (لذِذته ولذِذت به) وجدته لذيذاً . و (لذّذه) جعله يلتذ و (تلذّذ بالشىء) وجده لذيذاً . و (اللَذة) نقيض الالم

﴿لذَع﴾ الحب قلبه يلذَعه آلمه

﴿الذى﴾ الذى اسم موصول صيغ ليتوصل به الى وصف المعارف بالجمل نحو: (جاء الرجل الذى سمعت عنه)

﴿لزَب﴾ الشىء يلزب لزوبا ثبت ولصق . و (لزُب الطين يلزُب) لصق وصلب . و (اللازب) اللازم و (اللزْبة) القحط

﴿لزَج﴾ الشىء يلزَج لزَجا ولزوجا تمطط ولم يتقطع وعلق باليد . والاسم (اللُزوجة) فهو لزِج و (تلزّج) تلجن

﴿لزق﴾ به يلزَق لزوقا لصق . و (التزق به) التصق به (انظر لصقة)

﴿لزِم﴾ الشىء يلزَم لُزوما ولِزاما ثبت ودام . و (لزمه المال) وجب عليه

و(لازمه) لزمه ومثله التزمه . و(استلزم الشيء) اقتضاه و (اللزام) الحساب والملازم جداً والفصل في القضية

﴿لسعته﴾ العقرب والحية تلسعه لسعا لدغته فهو (ملسوع ولسيع)

﴿لسع الحية﴾ يحدث من لسع الحيات ألم يمتد الى الطرف الملسوع ثم الى جميع الجسم فتنتفخ اللسعة وتحمر ويمتد انتفاخها الى الاعضاء المجاورة لها وقد يعم الجلد كله ويسيل منها مصل دام وينفط حولها نفاطات صغيرة أشبه بنفاطات الحرق ثم يخف الالم شيئا فشيئا ويبرد العضو الملسوع وتنتشر عليه بقع وتحدث أعراض عامة تدل على انقلاب عظيم في البنية كالاغماء والبرد والعرق البارد وعسر التنفس والدوار والقيء أو الفواق والسبات

(العلاج) قد لا يحصل من لسع الافاعي أعراض خطرة ويشفى الملسوع بدون دواء لان أكثر الثعابين غير سام على أن هذا الامر لا يجوز أن يركن اليه والأولى الاسراع بمداواة اللسعة فورا فيكوى الجرح بثلاث أو أربع نقط من روح النوشادر . وان لم يوجد فيغسل بعرق أو سبيرتو أو خل أو ماء كولونيا أو ماء فينيكي أو بمحلول فانسويتن ويضغط حوله الى الاعلى ضغطا شديدا يمنع بوقفة الدم السم عن السريان في الجسم . ويقوم الضغط برباط متين أو بأنبوبة من الكاوتشوك أو بفوطة أو غيرها . ثم يمص الجرح بالفم مصا كافيا ويتفل الدم حالا فلا يؤثر في غشائه المخاطي إن لم يكن مجروحا ويمضمض بعد ذلك بماء وخل أو بماء وسبيرتو . ويسوغ ان يحجم للغاية ذاتها

وأما اذا كانت اللسعة عميقة فيحمى مسمار من حديد أو آلة أخرى حديدية الى درجة البياض وتنفذ في أعماق الجرح ولا يذهبن عن البال أن الحديد اذا أحمي الى درجة البياض لا يحدث ألما كما لو أحمي الى درجة الحمرة و يعالج بعد ذلك بكمادات من العرق أو الخل المخفف أو ماء كولونيا أو يعالج على الطريقة الآتية وهي :

أن يحاط أعلى اللسع برباط متين ثم يحقن بمحقنة نقطتان أو ثلاث من محلول برمنغنات البوتاسا أو حمض الكروميك بنسبة ٨ الى ١٠٠ في نقط نفوذ الانياب ثم على محيطها ويرفع الرباط فذلك ترياق للسم قبل سريانه ولا يجسر عليه الا الطبيب .وأما اذا تعذر استدعاؤه حالا

فيشترط محل الانياب شروطا عميقة ويستخرج منها دم واف ثم توضع عليها رفائد مبلولة بمحلول حمض الكروميك (١ الى ١٠٠)

ويجب أن تتخذ مع هذه وسائل أخرى أيضاً فيدفأ السيع جيداً ويعرق ان امكن ويسقى مشروبا سخنا من نقيع مادة عطرة كالمليسيا أو ورق النارنج وغيرها معها سبيرتو أو عرقي أو ورم أو كونياك وخمس أو ست نقط من روح النوشادر مكررة . واذا لم يستطع البلع فيحقن بأحد المواد المذكورة فى المستقيم (انظر ثعبان وافعى)

﴿ اللَّسَن ﴾ الفصاحة و (لاسنه) غالبه فى الجدال . و(اللِّسان) المقول أى آلة القول . و(رجل لَسِن) فصيح

﴿ لسان الابل ﴾ هو نبات كثير الفروع مربع طويل الاوراق فيه خشونة (حواصة الطبية) قال عنه أطباء العرب أنه يخفف الجراح ويقطع الدم ذروراً وشربا حتى القروح الباطنة . وماؤه بعد استقصاء طبخه مع الزبيب والعناب مسكن للهيب فاتح للسدد ومدر . وشربته الى أوقتين ومن جرمه الى ثلاثة دراهم وهو يضر الكلى ويصلحه الصمغ

﴿ لسان البحر ﴾ هو محار لحيوان بحرى اسمه سبيدج وقلمار واخطبوط من الحيوانات التى تصادف ببلاد اليونان وايطاليا لتؤكل . والاخطبوط والقلمار لحمهما أقل صلابة وأكثر قبولا من لحم السبيدج وكانوا يقولون انه مقو للمعدة وطارد للرياح وهذا خطأ

بعض أنواع الاخطبوط تتصاعد منه رائحة عنبرية أو مسكية عظيمة الاعتبار. وهذه الحيوانات الرخوة محوية فى كيس خاص بها مع سائل منفرز أسمر هو نوع من الحبر يستعمل فى التصوير والرسم وكان بعضهم يظنه هو حبر الصين ولا يوجد ما يدل على صحة هذا الظن . وقد كان يستعمل حبر هذه الحيوانات لمعالجة السعال ونخامات الدم ووجع الحلق والفيضانات الخ

السبيدج الاعتيادى . أو الطبى هو حيوان يزيد طوله عن قدم ويوجد على شواطىء الاقيانوس وأكثر وجوده على سواحل البحر الابيض المتوسط ، كان القدماء يكثرون من أكله وقد منع استعماله فيثاغورس وهو عادم الطعم قشرى الشكل قليل الانهضام واحسن أوقات أكله

من يناير الى مارس . ويرطبونه بنقعه فى الماء المملح مع الكلس أو الرماد . وأكله مسلوقا أحسن من أكله مقلوا وكانوا فى الزمان الماضى يملحونه او يجففونه لأجل حفظه . وهو لا يؤكل بباريز بل ترك أكله بالشواطىء الجنوبية . وكان بقراط يستعمله فى أمراض النساء ويعتبره قابضا . واما بليناس فقال انه مسهل ومدر للبول ودكر حالينوس انه مقو للمعدة . وأعطى منقوعه عـلاجا لوجع الاسنان واما سورانوس فاستعمل حبره عـلاجا لداء الثعلب وهو ملين اى مسهل خفيف . وبيضـه الذى هو على هيئة عناقيد متفرعة يسمى عنـد العامة عنب البحر ومدحه أبقراط وجمعه مع الذراريح وبزر الكرفس المائى علاجا لعسر الطمث . ومدحه بليناس عـلاجا لنزلة الطرق البوليـة ومرسليوس علاجا للحميات الصغيرة . ويستعمل أيضا من الظاهر لازالة نكت الجلد وكل هذا قد ترك الآن لعدم ظهور صحته

﴿لسان الجمل﴾ هو نبـات له اصناف كثيرة منها ما يرتفع على وجـه الارض الى ثلاثة اقدام وساقه قائمة كثيرة التفرع أسطوانيـة مغطاة بزغب طويل شديد المتانة كبقية الاجزاء الحشيشية للنبات وتحمل اوراقا متعاقبة بيضية حادة كاملة عادمة الذنيب ضيقـة خشنة الملمس وفى حافتها تموج والازهار زرقاء عنقودية تقرب ان تـكون سنبلية محورية متخلخلة فى اطراف الاغصان والكأس مستطيل ذو خمسة اقسام عميقة خيطيـة سهمية قائمة

هذا النبات يحتوى على مادة لعابية كثيرة

(خواصه الطبية) يؤثر على الاعضاء تأثيرا مرخيا ويوصى بمطبوخه اوعصارته فى التهيجات المرضية وفى حرارة الطرق الهضمية ويعطى مغليه فى الحميات الالتهابية والالتهاب وغير ذلك

وقد وسع أطباء العرب دائرة استعماله فقالوا ان طبيخه مع الملح والخل ينفع من قرحة الامعاء والاسهال المزمن وأنه يصلح للمحمومين والمصروعين وأصحاب الربو ويضمد بأوراقه على القروح الوسخة ويقطع سيلان الدم ويوقف سير القروح الخبيثة والاورام الحارة . وعصير ورقه ينفع قروح الفم مضمضة واللثة المسترخية والدامية ويحتمل صوفه لوجع الرحم الذى ينجم من

الاختناق . وطبيخ جذره يسكن وجع الاسنان مضمضة وغير ذلك

﴿لسان العصفور﴾ هو نبات يوجد منه نحو ٣٠ جنسا فمنها جملة بأمريكا الشمالية وجنوب أوروبا وهى أشجار جميلة قد استنبت منها ببساتين مصر . أوراقها غالبا كبيرة ريشية منتهية بفرد الا نوعا واحداً فان أوراقه كاملة متقابلة بدون أذينات . والازهار غالبا صغيرة . قد يكون لها كأس صغير مكون من أربع قطع وتويج مكون من أربع أهداب مستطيلة ضيقة وتارة وهو الغالب لايكون لها كأس ولاتويج والثمر كم قشرى مستطيل لسانى الشكل رقيق ينتهى من الاعلى بزائدة غشائية يختلف طولها ويحتوى على بزرة تارة مفلطحة وتارة اسطوانية . والبزرة تحتوى فى مركز باطنها اللحمى على جنين قائم جذيره الملتف نحو السرة طويل اسطوانى

(خواصه الطبية) القشر المر القابض للنوع العالى كان مستعملا مضاداً للحمى قبل اكتشاف الكينا وكان يسمى كينا أوروبا وقال أطباء العرب ان هذه القشور اذا سحقت بخل وضمد بها اطراف المفاصل المرضوضة نفعها

أوراق شجر لسان العصفور هى الغذاء الغالب للزراريح وفيها خاصة الاسهال واضحة فقد تموطى بتلك الخاصة كأوراق السنا والمغص الناتج منها أقل من مضغه وأعطاها بعضهم بمقدار مساو لمقدار السنا لستة عشر شخصا فوجدها أقل اسهالا منه بحيث التزم أن يزيد عليه ثلث مقداره لتكون النتيجة منه مشابهة للنتيجة الحاصلة من السنا . فكان الاستفراغ أكثر وستقارب المدة وكان فعلها أسرع انتهاء وبذلك صارت أنفع وشاهد أن البول فى مدة اسهالها كان أكثر قدراً وتحملا للرواسب . ولا عجب من فعلها المسهل اذا علم أن الدردار ينتج المن وهو من مسهلات أوروبا التى يستعملها العامة هناك بدل السنا لأنها تنتج مغصا شديدا مثله ولان السنا يغش بالنبات السام المسمى ريدول

وقد ذكر أن شجرها طارد للثعابين وان استعمالها يفيد من نهش الافعى وقد أعطيت عصارتها بمقدار ٨ أوقيات لامرأة نهشها ثعبان ووضع ثفلها على الجروح الناتجة من النهشة فبرئت . ذكر هذه التجربة

الجراح بوجار وذكر أنه شاهد أمثلة لذلك كثيرة وشاهد غيره امثالها أيضا

واعتبر الاطباء أوراق هذه الشجرة مقوية تفضل شاى الصين اذا استعملت مثله. وذكر كثيرون انها تبرىء داء الخنازير اذا أعطيت حمامات أو مغليات . وظنت أيضا ملحمة للجروح كما قال صاحب كتاب مالا يسع انها تدمل الجراح وتنقى القروح الرطبة

ثمار هذه الشجرة تكون على هيئة عناقيد مكونة من أكام بأى غلف مفرطة مستطيلة مذهبة بغشاء . وهى تستعمل فى انجلترة من التوابل ويقال انها مدرة للطمث وللبول . وقال العرب انها مفتتة للحصيات

﴿لسان الثور﴾ هو نبات سنوى جذره مستطيل مسود من الظاهر وأبيض من الباطن وساقه تعلو من قدم الى قدمين حشيشية أسطوانية لحمية مجوفة مغطاة بزغب خشن جدا . والازهار زرق جميلة وأحيانا وردية او مبيضة تتجمع على هيئة سنبلة محورية متخلخلة فى طرف الاغصان وكل منها محمول على حامل طويل نحو قيراط والثمار غير منتظمة اى فيها ارتفاعات والانخفاضات

(الصفات الطبيعة والكيماوية لهذا النبات) أجزاؤه عادمة الطعم والرائحة مملوءة بعصارة لزجة . وفيها أجزاء من نترات البوتاسا

واستخرج منه جلوتين أى المادة الدبقة واستخرج منه كبريت أيضا. وقالوا ان ازهاره فيها زلال نباتى ومادة ملونة حمراء ومادة قابضة وصمغ وراتينج رخو واملاح وان ٤٤ من خلاصته تحتوى على ١٨ من جوهر مخاطى و ١٣ من جوهر حيوانى يذوب فى الماء ولا يذوب فى الكحول و ١١ من حمض نباتى متحد بالبوتاسا و٥ر٠ من حمض نباتى متحد بالكلس و١ من خلات البوتاسا و٥ر٠ من نترات البوتاسا وتجفيفه يستدعى احتراسات بسبب لزوجة عصارته فيلزم ان تعرض اسطحة كثيرة منه للهواء وتقلب حينا بعد حين

(استعمالاته العلاجية) يؤثر لسان الثور على المنسوجات الآلية تأثيرا مرخيا فمطبوخه يؤثر أولا على الجهاز الهضمى فاذا طال أضعف جميع وظائف الحياة ويحس بتأثيره فى الاكثر فى المجموع اللدورى اذا كان شديد الفاعلية وفى المجموع الجلدى اذا

كان الجلد جافا متهيجا ، وفى المراكز العصبية اذا كانت فى حالة تنبه مرضى وكان تأثيرها العصبى متخرما ، ومن المجرب ان مغلى هذا النبات أو عصارته يحرمان انتظام المعدة التى أغشيتها رقيقة ضعيفة قليلة التغذية

وقد اشتهر هذا النبات بكونه صدريا ملطفا معرقا بلطف فيستعمل دائما لتحصيل تنفيس جلدى قوى

ويستعمل مغليه أيضا لاثارة سيلان البول وتحصل تلك النتيجة اذا كان انقطاع افرازهذا السائل ناتجا من حرارة أو تهيج فى المجموع الكلوى . فالتأثير المرخى للنبات يعدل هذا العارض فيسهل البول بكثرة

وقد اوصى بطبيخه المحلى بالعسل او السكر او الشراب المرخى كشروب هادى فى الحميات الالتهابية والصفراوية والمخاطية ونحوها ٠ ويستعمل مع النجاح فى ابتداء الاستهواء الحاصل من تأثير الهواء البارد عند ما يكون الجلد حارا . فاستعمال ذلك المشروب مع ملازمة السرير يعيد التنفيس الذى يخلص السطح الشعبى . كما يستعمل فى الالتهاب الرئوى والبلوراوى ونحوها. لان هذا المشروب يقلل زيادة تنبه الاوعية الدموية ويبطئ الانقباضات السريعة للاوعية الشعرية ويسكن اضطراب الدم وفيه قوة على تسكين العطش والاحتراق الباطن وغير ذلك ولذا نسب لهذا النبات خاصة الترطيب

وكانوا يعطون عصارته المنقاة فى الماليخوليا والايبوخوندريا وينسبون لها خاصة التفتيح ويرون أن الاحشاء البطنية لهؤلاء المرضى تحتوى على تلبكات وسدد فالماليخوليون والايبوخونداريون الذين حصلت لهم راحة بلسان الثور كانت طرقهم الهضمية متهيجة فعولجت تلك الحالة المرضية بالفعل المرخى للنبات وتيسر به قطعها اذا دووم على استعمالها زمنا طويلا مع أنه يوجد أيضا فى تلك الآفات حالة مرضية فى المخ والنخاعين وحركات غير اعتيادية فى الضفائر العصبية للعظيم الاشتراكى غير ان الفعل الملطف لمغلى لسان الثور قد يخفف ذلك او يزيله

وخلاصة هذا النبات كانت مستعملة قديما كمحلل وكانت مياهه المقطرة تضاف أحيانا فى الجرعات المسكنة مع انه لا يكون لها فعل حينئذ وتتغير بعد بضعة أيام وتنتشر منها رائحة الا يدروجين المكبرت وذلك

لا يحصل فى الجرعة المحضرة من الازهار فقط

وتركيب تلك الازهار المزرقة لعابى وهى عادمة الرائحة وطعمها تفه وتؤثر على الاعضاء الحية فترخى منسوجاتها اذ ليس فيها قاعدة عطرية ولا شيء ينبه القلب او يثير قوى الحياة مع انهم مكثوا زمنا طويلا يظنون ان فى تلك الازهار خاصة تقوية القلب وتفريحه

وقال أطباء العرب ان هذا النبات كله شديد التفريح والتقوية للاعضاء الرئيسية الحواس وانه يسهل المرتين فينفع من من الجنون والوسواس والبرسام والماليخوليا ويتكون من عصيره وعصير التفاح والزبيب شراب نقل فى الخواص ان اوقية ونصف اوقية منه تعادل رطلا من الخمر الخالص فى شدة التفريح مع حضور الذهن وقالوا انه يضعف القوى الحيوية ويزيل اليرقان ويصفى اللون

(كيفية صنعه) المنقوع الحار للسان الثور يصنع بأخذ ١٢ غراما من اوراقه الجافة و ١٠٠٠ غرام من الماء وقد يصل مقدار الورق لا كثر من ذلك فتنقع الاوراق فى الماء ساعة ثم يصفى

وخلاصته تصنع بأن يبل المسحوق المتوسط لهذا النبات بنصف وزنه من الماء الذى حرارته ٢٠ درجه وبعد تركه فيه ساعتين يمرس باليد ثم يؤخذ الصافى ويغسل المسحوق جملة مرات وتسخن السوائل فى حمام مارية وتصفى ثم تصعد حتى تصير فى قوام الخلاصة. والمقدار منها من غرامين الى خمسة غرامات

﴿لسان الكلب﴾ هو نبات ساقه غليظة قنوية زغبية تعلو من قدم الى قدمين واوراقه طويلة رخوة بيضية سهمية مغطاة بزغب مبيض. وازهاره يتكون منها سنابل طويلة قائمة ملتفة على هيئة قوس فى الطرف وهى وحيدة الجانب متخلخلة وتويجها احمر نبيذى مائل للزرقة وفى أنبوبته فلوس خمسة محدبه متقاربة. والثمار ٤ خشنة الملمس مفلطحة مثبتة فى قاعدة المهبل

هذا النبات سنوى واصنافه كثيرة ينبت فى المحال غير المزروعة فى جهات من اوروبا ولا سيما فرنسا . وهو يكاد يكون عادم الرائحة تفه الطعم

(الصفات الطبيعية والكيماوية للجذر) هذا الجذر غليظ عصارى متفرع احمر

ومسود من الظاهر وابيض من الباطن ورائحته كريهة زهمة . وجد فيه بالتحليل الكيماوى ١٠ أجزاء من ماءه تحمل لقاعدة مريحة و٢٫٠٨ من مادة ملونة شحمية و٢٫٠٧ من مادة راتينجية و٣٫٠٦ من فوق اوكسالات البوتاسا و١٫٠٦ من خلات الكلس و ٠٫٩ من مادة تنينية ومادة خلاصية و ٢ من مادة حيوانية و١٫٠٢ من ايتولين و٥ من مادة صمغية و٨٫٠٣ من خلاصة قابلة للذوبان فى الماء و٩ من حمض بكتيك و٢من أوكسالات الكلس و٣١ من الليف الخشبى و٥ من أجزاء مفقودة وظن محلله سندلا أن تأثيره آت اليه من الماء المتحمل لتلك القاعدة المريحة

(خواصه الطبية) هناك رأيان متضادان فى أمر هذا العقار أولهما انه عادم الفائدة والخطر ، وثانيهما انه ضار لا يصح التعويل عليه . وقد حكى بعضهم انه شاهد أسرة تسممت به ومات واحد منها ولكن ميريه رد هذا الرأى وقال انه لا يوجد نبات من تلك الفصيلة الثورية فيه صفات مهلكة تقرب من صفات الفصيلة الباذنجانية

يوصف هذا العشب للتسكين والتخدير فيؤمر به فى السعال والنزلة والانزفة الصدرية وفيضانات البطن ونحوها . وذكروا أيضاً وجود قاعدة قابضة فى هذا النبات ولذلك أوصوا به للاسهال والدوسنطاريا والليقوريا واستعملوه أيضاً من الظاهر ضماداً على الحروق وورم الغدة الدرقية والاورام الخنازيرية وغير ذلك كملطف ومحلل . ونسبو له أيضا خاصة أخرى يصعب اثباتها وهو اتلافه لسم الحيوانات فمدح نفعه الطبيب ترنون من تولوز فى نهش الافعى

وأكد الطبيب هاجان أنه اجتنى هذا النبات من محل آجامى وجففه فى الظل وأعطى مسحوقه بمقدار عشر قمحات ثلاث مرات فى اليوم فأبرأ داء الكلب وما عدا ذلك غسيل الجرح بالماء البارد ثم غطاه ثانيا بلصوق أكليل الملك مدة عشرة أيام وهذه الوصفة مستعمله عند عوام بعض أقاليم الروسيا حيث أقام هذا الطبيب عدة سنين

﴿ لصق ﴾ الشىء بغيره يلصق لصقا لزق . و (ألصقه) أزقه و (التصق) التزق

لصقة — اللصقة أو اللبخة أو الضمادة هي أدوية تستعمل من الخارج وتتركب من مسحوق مادة او ورق نبات اولب ثمر محلولة في الماء السخن حتى تأخذ قواما رخوا

ولا يقتصر فعل اللصقة واللبخة على السطح الظاهر بل قد يمتد الى الداخل ايضا والانتفاخ الذي يحدث بعد وضعها انما هو نتيجة تجمع السوائل تحت البشرة

(حرارة اللصقة واللبخة) تختلف هذه الحرارة باختلاف المقصود من فعلها . فالملطفة والمسكنة تستعمل فاترة والمطبخة والمحمرة تستعمل ساخنة واذا أريد استمرار فعلها الساخن تغطى بقطعة من الصوف أو بقماش مصمغ ولكل من هذه الصفات تأثير على قدر درجة حرارتها

(عمل اللصقات واللبخات) يفضل ان تعمل اللصقات رخوة لا جامدة لان الجامدة تجف بسرعة اذا كان القسم المضمد ملتهبا جدا فتضغط على المحل وتؤلمه وتفاديا من ذلك تغير تكراراً وتوضع بين طيتي قماش رقيق مستعمل لان الجديد يكون قاسيا وقد يستعمل القطن بدل القماش . وتغير اللبخة كل ساعتين مرة وعلى الاقل ثلاث مرات في النهار

ولاجل وضعها تمد مادتها بين طيتي قماش تمسك من أطرافه لاجل ان لا يسيل منها شيء ثم توضع على المحل وتثبت برباط موافق واذا أريد تغييرها تحضر اللصقة الجديدة ثم ترفع الاولى وتوضع الثانية في محلها

أكثر اللصقات أو اللبخات استعمالا هي اللبخات الملطفة والمحللة والمحمرة والمسكنة والمضادة للفساد

(اللصقات الملطفة) اكثرها استعمالا لصقة بزر الكتان ولب الخبز والنخالة ودقيق البطاطا والارز ولب التفاح

لصقة بزر الكتان تحضر على طريقتين الاولى ان يوضع مسحوقها في وعاء ويصب عليه الماء المغلي شيئا فشيئا ويبرت بملعقة حتى يتحصل على عجينة متجانسة خالية من الكتل الصلبة

والثانية أن يحل مسحوق بزر الكتان في الماء البارد ثم يغلى على النار ويبرت بالملعقة . ولكن الطريقة الاولى افضل . وعلى انه يجب في كلتيهما استعمال الدقيق الحديث لان العتيق يحمض ويختمر وبدل ان يلطف ويسكن ويحدث نفاطات وبثورا

قبل وضع اللصقة يستحسن مسح السطح الجلدي بروح الكافور أو بالسبرتو لمضادة الفساد

بعد حصول العجينة تمد بملعقة على قطعة من القماش القديم النظيف وتثنى حوافيه حتى لا تتسرب العجينة على الجهات المجاورة للمحل المصاب ثم يغطى سطحها بقماش رقيق أيضا وتوضع على المحل المراد معالجته

واذا أريد من اللصقة فعل مسكن تحضر بنقيع الشوكران والخشخاش أو غيرها من المواد المسكنة

واذا لم يوجد بزر الكتان يمكن الاستعاضة عنه بلب الخبز أو النخالة

(لصقة لب الخبز) يؤخذ رغيف ذى لباب ويقطع قطعا صغيرة ثم يغلى فى الماء أو بماء الخبازى او الخطمية أو بماء بزر الكتان الى أن يحصل القوام الموافق

(لصقة النخالة) تغلى النخالة مع اللبن أو مع ماء الخطمية او الخبازى او ماء بزر الكتان فتكتسب قواما موافقا

(لصقة البطاطا) يعجن الدقيق فى الماء البارد ثم يوضع على النار ويحرك بالملعقة حتى يكتسب قواما موافقا ويجوز ان يسكب عليه المغلى شيئا فشيئا ويحرك بقوة بملعقة من الخشب يجب أن تكون هذه اللصقة أكثر ميوعة من السابقة لأنها تجف بسرعة ولكنها تفضل عليه بكونها لا تتعطن

(لصقة الارز والشعير) يغلى الارز أو الشعير بالماء حتى يكتسب القوام المناسب ثم تستعمل . وهى لا تتعطن ويحسن استعمالها في حالة تهيج العضو ووجود حكة واكزيما

(لصقة لب التفاح) تستعمل لخفتها وصغر حجمها فتقشر التفاحة وينزع بررها ونسيجها الصلب وتغلى بالماء ومتى نضجت استعملت

(اللصقات عادمة الفساد) لصقات بزر الكتان عرضة للتعطن ولذلك يستعاض عنها بدقيق النشا أو البطاطا محضرا بالضغط بالكبس بين طبقات القطن فيباع مجهزا على هذه الحالة . وهى عبارة عن اقراص تبل فى الماء المغلى بضع ثوان ثم تعصر لاخراج الماء الزائد منها وعند استعمالها تغطى بشمع لمنع تبخرها وهى كأوراق الخردل يمكن حفظها ونقلها فى الاسفار

(اللصقات المفتحة) يطلق هذا

لاسم على اللصقات التي من شأنها تعجيل استواء الصديد في الدمامل والخراجات وغيرها

جميع اللصقات الملينة تعتبر مفتحة وقد يستعمل لهذه الغاية بصل الزئبق أو البصل الاعتيادي المشوي وقد يضاف اليه ورق الحماض

(اللصقات المحللة) يطلق هذا الاسم على اللصقات التي من خواصها تحليل الاورام غير الالتهابية أو التي تبقى بعد زوال الالتهاب كما يرى بعد السقوط والضرب

يستعمل لهذه الغاية لصقة بزر الكتان يرش عليها الماء الابيض وهو :

تحت خلات الرصاص السائل ٨ غرامات
ملح الرصاص نصف ملعقة كبيرة
ماء نصف كيلو

يضاف اليه القليل من الكحول الصرف او الكحول المكوفر

(لصقة الصابون) للصابون خاصة التحليل ولذلك يمكن ادخاله في تركيب اللصقات فيؤخذ ١٢٥ غراما من الصابون الابيض الاعتيادي ويقطع قطعا صغيرة ويمزج مع ضعف وزنه من دقيق الشعير أو دقيق بزر الكتان ويحل بكمية كافية من الماء المغلي ويحرك حتى تحصل منه عجينة تمد على قطعة من قماش عتيق نظيف ويجب تجديدها كل ست أو ثماني ساعات

(اللصقات المحمرة) يراد بالتحمير احداث التهاب أو تهييج في محل بعيد عن المحل المريض بقصد تحويل الألم الاصلي اليه فتستعمل المحمرات اذا أريد تحويل الاحتقان الدماغي مثلا أو اظهار نفاط ارتدع أو الاسراع في اظهار نفاط أبطأ ظهوره

المحال التي تختار لوضع اللصقات المحمرة هي الاخمص أو انسي الركبة والفخذ واذا أريد التحويل عن الجهة العليا من الجسم كما في أمراض الدماغ وعلل الصدر فانه يمكن وضعها فيما بين الكتفين أيضا . وتوضع على المعدة في أحوال القيء وعلى جدران الصدر في أحوال عسر التنفس

وأما في الاحوال العصبية والروماتيزمية وفي النفاطات الغائرة أو غير الكاملة فتوضع على المحلات المصابة نفسها

ومدة وضع اللصقات المحمرة تختلف باختلاف طبيعة مادتها وتبقى غالبا حتى

لشعر المريض بحدتها . على انه اذا كان فاقد الشعور فلا يصح أن تتجاوز مدتها من ١٥ الى ٢٠ دقيقة اذا كانت من الخردل الصرف وأقل من ذلك فى النساء والاطفال . وهى اذا بقيت مدة طويلة أحدثت فقاعات كبيرة تصير أشبه بذرنوح عسر الشفاء

المحمرات العادية هى الخردل و اللصقات المخردلة

(الخرادل) تحضر لصقة الخردل بمزج دقيقه الحديث بقليل من دقيق الحنطة وجبل الخليط بالماء البارد ومده على قطعة من القماش أو الصاقه على المحل المقصود والحكمة من وضع دقيق الحنطة جعل اللصقة متماسكة حتى لا يتسرب منها شىء ولا تبقى منها بقية على الجلد بعد نزعها

وفى دقيق الخردل لا يجوز استعمال الماء الساخن لانه يذهب بالاصل الفعال ولا اضافة الخل أو الخمر لانهما يجمدان الزيت الطيار ويضعفان فعل الخردل

وقد اعتاد الناس استعمال أوراق الخردل المحضرة وهى مفيدة فيكفى أن تبل الورقة بالماء البارد بضع ثوان قبل وضعها

(اللصقات المخردلة) وتحضر بمد عجينة بزر الكتان تمد على قطعة قماش ثم يمد فوقها عجينة بزر خردل أو يرش دقيق الخردل على لصقة بزر الكتان وذلك أفضل من تحضير بزر الكتان وبزر الخردل معا

فاذا تألم المريض من الخردل أو من لصقة الخردل فيجب نزعها ونقلها الى محل قريب ويدهن على محلها السابق بالزبدة أو القشدة أو بالمرهم الساذج ليذهب الالتهاب الذى أحدثه الخردل

(اللصقات التى تستعمل بدل الخرادل) يستعاض عنها بلصقات بزر الكتان مذرورا عليها السبيرتو أو الخل القوى . وقد يستعمل مغلى الشوفان بأن تغلى كمية منه وتمد على قطعة من القماش ويضاف اليه قليل من الخمر

وعند الحاجة يستعمل الثوم المدقوق وهو من المحمرات الشديدة الفعل . واذا طالت مدة وضعه فعل فعل الذرنوح

(الاكياس الملاجية) اذا وضعت بعض المواد الجافة فى أكياس بعد رفع درجة حرارتها فعلت فعلا منبها منها الرماد والرمل والشوفان والنخالة يجفف على النار وتوضع فى كيس يربط طرفه ومثلها ملح

الطعام الناعم اذا سخن

هذه الاكياس تستعمل لازالة بعض الارتشاحات المصلية وبعض الانتفاخات ويلزم تكرارها

(اللصقات المسكنة) هي التي تستعمل لتسكين الآلام وتحضر بأن تعمل عجينة ساخنة من بزر الكتان ويرش عليها نقط من اللاوذانوم أومغلي مركزمن الخشخاش أو تطبخ أوراق البنج أوالشوكران والخس وتحضر منهـا ضمادات ولايجوز استعمال هذه المواد الابمشورة طبيب حاذق

(اللصقات المنبهة) تحضر من أوراق المواد العطرية بأن تؤخذ قبضة من السعتر والانيسون وحصا البان والبعيثران الخ وتغليها في نصف لترمن الماء وتصعها بين قطعتي قماش على الاقسام المريضة ويسوغ أن يرش عليها خمر أو سبيرتو

(اللصقات المنبهة والحريفة) تؤخذ قبضةمن جذور الفجل البرى وورق حشيشة الملاعق والجرجير والجوز وتغلى في لترمن الماء حتى يبقى النصف ثم توضع هـذه الاعشاب بين قطعتي قمـاش على القروح المزمنة وعلى الانتفاخات المنفاوية

ويمكن استعمال كل من هذه الاعشاب على حدة

ويستعمل لهذه الغاية أيضا الصبغات محمضة بقليل من الخل او بنقط من عصير الليمون

﴿ لطَخه ﴾ يلطَخه لَطخا لوثه.و (تلطّخ) تلوث

﴿ لطَمه ﴾ بالعصا يلطَمه لطما ضربه بها و(لطَم عينه) لطما

﴿ لطَف ﴾ به يلطُف لَطفا رفق به فهولطيف.و(لطّفه) جعله لطيفا و(لاطفه) رفق به. و (ألطفه بكذا) أتحفه به . و (تلطّف في الامر) ترفق فيـه وتخشع . (اللُطف) من الله تعالى التوفيق والعصمة

﴿عبد اللطيف البغدادي﴾ هوموفق الدين عبد اللطيف بن يوسف بن محمد

كان نحويا لغويا متكلما طبيبا فيلسوفا

ولد ببغداد سنة (٥٥٥) سمع من ابن أبي البطي وأبي زرعة المقدسي وشهـدة وجماعة آخرين . وروى عنه الضياء والمنذرى وابن النجار والقوصى . وحدث بالقدس ومصر ودمشق وحران وبغداد وكان أحد الاذكياء المتضلعين من الآداب والطب وعلم الاوائل. الا أن دعاويه كانت أكثر من علومه

كان دميم الخلقـة بخيـلا قليل لحم

الوجه وكان يتنقل فى البلاد . من كلامه :
« اللهم أعذنا من جموح الطبيعة ،
ومن شمس النفس وسلّس لنا مقادة التوفيق
وخذ بنا فى سواء الطريق، ياهادى العمى،
يامرشد الضلال ، يامحيي القلوب الميتة
بالايمان ، خذ بأيدينا من مهواة الهلكة ،
ونجنا من ردغة الطبيعة ، وطهرنا من درن
الدنيا الدنيئة ، بالاخلاص لك والتقوى،
انك مالك الدنيا والآخرة . سبحان من
عم بحكمته الوجود ، واستحق بكل وجه
أن يكون هو المعبود، تلألأت بنور وجهك
الآفاق ، وأشرقت شمس معرفتك على
النفوس اشراقاوأى اشراق»

أقام عبد اللطيف مدة بمصر فلما توفى
الملك العزيز توجه الى القدس سنة (٦٠٤)
وكان يأتيه خلق كثيرون يشتغلون عليه فى
أصناف من العلوم . ثم سافر الى حلب
وقصد بلاد الروم وأقام بها سنين كثيرة فى
خدمة الملك علاء الدين بن داود بن بهرام
وكان له منه المرتبات الوفيرة . والمكانة
الاثيرة . وصنف باسمه عدة مصنفات ثم
توجه الى ملطية وعاد الى حلب

(مصنفاته) غريب الحديث والمجرد
منه . والواضحة فى اعراب الفاتحة
والالف واللام . وشرح بانت سعاد .
وذيل الفصيح ، خمس مسائل نحوية .
وشرح مقدمة ابن بابشاذ وشرح الخطب
النباتية . وشرح سبعين حديثا . وشرح
اربعين حديثا طبية . والرد على فخر الدين
الرازى . وتفسير سورة الاخلاص. وشرح
نقد الشعر لقدامة . وقوانين البلاغة .
والانصاف بين ابن برى وابن الخشاب
فى كلامهما على المقامات . ومسئلة أنت
طالق فى شهر قبل مابعد رمضان . وقبسة
العجلان فى النحو . واختصار العمدة لابن
رشيق . ومقدمة حساب. واختصار كتاب
النبات . واختصار كتاب الحيوان . وله
اختصارات لكتب كثيرة فى الطب . وله
أخبار مصر الكبير . والافادة فى أخبار مصر
تاريخ يتضمن سيرته . ومقالة فى
الرد على اليهود والنصارى . ومقالة فى
النفس . ومقالة فى العطش . ومقالة فى
السقنقور . ومقالة فى العلم الالهى . وكتاب
الجامع الكبير فى المنطق والطبيعي والالهى
زهاء عشرة مجلدات . وشرح الراحمون
يرحمهم الرحمن . واختصار الصناعتين
للعسكرى . واختصار ماد البقاء للتميمى.
وكتاب بلغة الحكيم . ومقالة فى الماء .

ومقالات فى العادات والحركات المعتاصة وفى حقيقة الدواء والغـذاء وفى التأدب بصناعة الطب وفى الراوند والحنطة والبحران والرد على ابن رضوان أخلاق جالينوس وارسطو وفى الحواس وفى الكلمة وفى تدبير الادوية والادواء من جهة الكيفيات وفى تعقب اوزان الادوية وفى المعنى وفى النفس وفى الصوت والكلام فى بئر الحرب وجواب مسألة سئل عنها فى ذبح الحيوان وقتله وهل هو سائغ فى الطبع وفى العقل كما هو سائغ فى الشرع ومقالات فى المـدينة الفاضلة وفى العلوم الضارة فى كيفية استعمال المنطق وفى القياس وفى تزييف الشكل الرابع وفى تزييف مايعتقده ابن سينا وفى القياسات المختلطات وفى تزييف المقاييس الشرطية وفى ابطال الكيمياء وفى البرسام وفى الرد على ابن الهيثم وفى اللغات وكيفية تولدها وفى القدر

وله من الكتب ايضا بلغة الحكيم . والكلمة فى الربوبية وتعقب حواشى ابن جميع على الىانون . والشيعة . وتحفة الامل . والحكمة الـكلامية . والترياق . وحواش على كتاب البرهان للفارابى . وحل شىء من شكوك الرازى على كتب جالينوس . ورسـالة فى الممكن . والفصول الاربعـة المنطقية وتهذيب كلام افلاطون وكتاب فى القياس يدخل فى اربع مجـلدات . وكتاب فى السماع الطبيعي مجلدان وشرح الاشكال البرهانية وعهد الحكماء وكتاب القولنج . توفى سنة ٦٢٩ ببغداد

لطَـمه يلطِـمه لطما ضرب خده بباطن كفه . و(لاطمه) لطمه و(تلاطموا) لطم بعضهم بعضا

اللَـظَـى النار وقيل لهبها

لعِـب الصبى يلعَـب لَعبا ولُعبا تلهى بشىء . و(تلاعب وتَلَـعّب) لعب . و (لاعبـه) لعب معه و (اللُـعبة) التمثال الصغـير يلعب به و (الأُلعوبة) اللعب . و (رجل تِلعاب وتِلعابة) كثير اللعب

اللعب لم يعن المربون وعلماء التربية بمسألة اللعب الامنذ زمان قريب فكان اللعب لايتعدى فى زمن الاقدمين بالنسبة للاطفال والشبان غير طور التلهى وصرف الفائض من النشاط الجثمانى

وقد كانوا يعلمون أن الادمان على الدرس وصرف الساعات المتواصلة فى التحصيل يتعب الاعصاب ويكد العقل

وانه لا بد من صرف أوقات فى التلهى واللعب لاعادة القوى المفقودة بالمجهودات العقلية الى حالها الاولى

هذه الحقيقة اصبحت الآن عامة بين الناس فليس فيهم من يهملها ولكن الذى ينظر اليه علم التربية (البيداغوجيا) هو موضوع آخر يتعالى عن عقول العامة. ذلك ان علم التربية يرى فى اللعب الشرط الاساسى لانماء القوى الجسدية والعقلية والادبية

فأما من جهة ضرورته لانماء القوى الجسدية فما لا يختلف فيه اثنان فانه لا شيء فى العالم يستطيع ان يسير بالاعضاء نحو النمو غير اللعب الذى يقف له الطفل جميع قوى جسمه ويندفع فيه اندفاعا اضطراريا دافعا معه جميع مواهبه الجسدية والعقلية للحركة . وناهيك ما يكون وراء هذا من نمو مجموع تلك المواهب نموا متواصلا منتظما . ولكن الطفل اذا ترك ونفسه أكب على أنواع محدودة من اللعب لا تدفع جميع قواه للعمل معا فكان من الضرورى للقائمين على تربيته وتكميل هدايته الى احسن وجوه اللعب على القواعد التى تقررت بين أئمة هذا الفن وهو ما يسمى بالجيمناستيك . وأحسنت المدارس صنعا فى جعل هذا النوع من اللعب العلمى اجباريا على جميع التلاميذ

ولقد نرى كثيراً من الآباء لحبهم أن يروا أبناءهم ناجحين فى المدرسة يراقبونهم وقت فراغهم من الدروس فيضطرونهم لاعادة دروسهم أو لعمل واجباتهم المدرسية فيضرونهم بذلك ضرراً عظيما جداً اذ يقفون حائلا بينهم وبين نموهم العقلى والجثمانى فلا يتأدون الى عكس ما يطلبون . هذا فضلا عما يصابون به من شدة الانهماك من جمود القرائح ، وقصر النظر وغير ذلك مما يؤثر أكبر تأثير على وجودهم المستقبل . فعلى هؤلاء الآباء بدل أن يقهروا أولادهم على ملازمة الدرس بعد ساعات المدرسة أن يقسروهم على اللعب فى الهواء الطلق والرياضة فى الجهات التى ترجع اليهم قواهم التى فقدوها فى ساعات الدراسة . هذا خير وأبقى من قهرهم على متابعة العمل ليل نهار

ولقد أحسنت ادارات التعليم فى تعطيل الدروس يوما ونصف يوم فى الاسبوع وفى تعطيلها نحو مئة يوم فى السنة ، وهى لا تقصد من ذلك ان تصرف التلاميذ

هذه الفترات فى اعادة الدروس أو فى تلقى دروس أخرى فى استعادة قواهم الضائعة ، وتنمية مواهبهم الكامنة حتى يعودوا الى علومهم بقوة أرقى، وقابلية أكبر فيساعدون القائمين بتربيتهم على أداء وظائفهم من تثقيف عقولهم ، وتكوين ملكاتهم والا ذهب تعبهم سدى

هذا أثر اللعب فى تنمية القوى الجسدية والعقلية معا أما أثره فى تنمية القوى الادبية فان الالعاب تقتضى من الطفل أن يستخدم فيها ارادة ومهارة ودقة وحرارة وثباتا وغير ذلك فتنمو هذه الصفات فيه نموا مطرداً ولا سيما اذا كانت الالعاب بين فريقين من التلاميذ كلعب الكرة فانها تضطر كل فريق لاعمال جميع مواهبه السابقة للحصول على الفوز والغلب ولا شىء فى العالم يمكنه ان يستجيش كل هذه القوى الادبية فى الاطفال ويحملها على النمو غير اللعب لأن مجرد النصائح لا تغنى شيئا فان قلت لابنك كن قوى الارادة صلبا فى عزيمتك ، دقيقا فى أعمالك ، جريئا لنيل أغراضك ، ما فقه منك أكثر ما تقول ولئن فقه لم يَعْدُ فى نظره حد الكلام الفارغ الذى يدخل من اذن ويخرج من أخرى . ولكنك لو دفعته للعب الكرة مع فريق ضد فريق دفعته الفطرة رغم أنفه لاستخدام ارادته وعزيمته وقوته العضلية ، وما أودع فى جبلته من حيلة ومهارة وجرأة وبعد نظر الخ فلا ندرى كيف يكره الآباء بعد هذا أن يروا أبناءهم يلعبون ويحبون أن يروهم منكبين ليل نهار على الدرس او جامدين حيث هم لا يتحركون ؟

ولقد فطر الله النفوس على اللعب لهذا الغرض فتراه عاما بين الاطفال والشبان وبين جميع الطوائف الحيوانية مما يثبت لك ببرهان محسوس انه شرط أساسى فى تنمية القوى وترقية المواهب

﴿لَعثم﴾ فى الامر وتَلَعثم تلكأ وتوقف فيه

﴿لعَج﴾ الشىء يلعَج فى الصدر خلج . و (لعَجه الامر) اشتد عليه . و (اللاعج) الهوى المحرق جمعه لواعج

﴿لعِس﴾ يلعَس لعَسا . كان فى شفته لعَس فهو (ألعس) و (اللعَس) سواد مستحسن فى الشفة و (اللُعْسَة) لون الألعس

﴿لعلع﴾ السراب بص وتلألأ

﴿ لعِق ﴾ الدواء يلعَقه لحسه و (ألعقه الدواء) جعله يلعقه و (اللَّعْقه) اسم ماتأخذه فى الملعقة فى المرة الواحدة و (المِلعقة) آلة يلعق بها الطعام وغيره

﴿ اللَّعْل ﴾ حجر كريم

﴿ لعل ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل . هى للترجى تنصب الاسم وترفع الخبر مثل « إنَّ » نحو : « لعل فلانا حاضرٌ »

﴿ لعَنه ﴾ يلعَنه لعْنا طرده وأخزاه وسبه فهو (لاعن) وذلك (ملعون و لَعين) و(تَلاعنا) لعن احدهما الآخر و (لاعنه ملاعنة ولِعانا) باهله ولعن كل واحد منهما الآخر و (المَلْعَنة) هى الفعلة التى يلعن بها فاعلها كأنها مظنة اللعن

﴿ اللِعان ﴾ أجمع الأئمة على ان من قذف امرأته أو رماها بالزنى أو نفى حملها واكذبته ولا بينة له انه يجب عليه الحد وله ان يلاعن وهو ان يكرر اليمين أربع مرات بالله انه لمن الصادقين. ثم يقول فى الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين فاذا لاعن لزمها حينئذ الحد ولها درؤه باللعان. وهو ان تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين ثم تقول فى الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين فان نكل الزوج عن اللعان لزمه الحد الا عند أبى حنيفة وعنده انه يحبس حتى يلاعن أو يقر وكذلك يفعل بالنسبة للزوجة

﴿ لغَب ﴾ يلغَب لَغْبا ولُغوبا تعب . ومثله (لغِب يلغَب لَغَبا) و(لغّبه السير) أعياه

﴿ اللُغْد ﴾ لحمة فى الحلق و (اللُغدود) ما أطاف بأقصى الفم الى الحلق من اللحم

﴿ لغَز ﴾ الشىء يلغُزه لَغْزا مال به عن وجهه و (لَغَز فى كلامه) عماه ولم يبينه و (لاغزه) كلمه على طريق اللغز و (ألغز كلامه وفى كلامه) عمّى مراده وأتى به مشتبها و (اللُغْز) مايعمّى من الكلام

﴿ لغَط ﴾ القوم يلغَطون لغطا صوتوا و (اللغَط) الصوت والجلبة

﴿ لغا ﴾ الرجل يلغو لغواً تكلم و(لغا الشىءُ) بطل و (لغا فى كلامه يلغو لغوا) قال باطلا و (لاغاه) هازله و (ألغى الشىء) أبطله و (اللاغِيَة) اللغو

﴿ اللغة ﴾ أصوت يعبر بها كل جيل من الناس عن جدانا تهم جمعها لُغَى

ولغات

اللغـات كثيرة جـدا حتى قدرها بعضهم بثلاثة آلاف وزادها بعضهم الى أكثر من ذلك. ولقد تشعبت هذه اللغات حتى يستحيل الآن ردها الى أصولها التى اشتقت منها ولقد انقطع لهـا فى أوروبا وأمريـكا عشرات من الرجال قصروا أعمارهم على دراستها وتحليلها ولهم فى ذلك ابحاث ممتعة . وقد تمكنوا من ارجاع كل هذه اللغات الى أصول ثلاثة وهى :

(أولا) اللغة الآرامية . نسبـة الى الآراميين وهم جيل من الناس كانوا عائشين جهة مصاب نهرى الدجلة والفرات قبل ألوف من السنين . وقد اشتقت منها العربية والسريانية والقبطية والحبشية وغيرها

(ثانيا) اللغـة الطورانية نسبة الى طوران فى التركستان ومنها اشتقت اللغـة التترية والتركية والصينية والجركسية والدانيماركية والمنكارية

(ثالثا) اللغة الايرانية المنسوبة لهضبة ايران بآسيا ومنها جاءت اللغة الفارسية والهندية واليونانية واللاتينية وما تفرع منها من لغات اوروبا

(علم اللغات) يسمى هذا العـلم بعلم الفيلولوجيا وهو يبحث عن أصل اللغات واشتقاق بعضها من بعض وقد اشتغل به جمهور من بحاثى أوروبا فتأدوا الى نتائج عظيمة وكانت نتيجة ابحـاثهم ان عرفوا أن اللغات تنقسم الى قسمين كبيرين لغات مرتقية وأخرى منحطة . وميزوا الاخيرة بأنها أقل ابانة عن المعانى وأبسط ألفـاظا وتركيبا وعرفوا منها اللغات الافريقية والامريكية التى يتكلم بها شعوب امريكا الاصليين ولغات شمال آسيـا ، واللغـة الصينية ومن صفاتها ان ألفاظهـا أحادية المقاطع وليس فيها فروق بين الاسم والفعل والحروف. فقد تكون الكلمة الواحدة فيها اسما وفعلا وصفة باضافة ألفاظ أخرى اليها ومن اللغات المنحطة عدوا اللغات الحامية ومنها لغة قدماء المصريين والاحبـاش الاقدمين والبربرية وانما سميت هـذه اللغات حامية نسبة الى حام بن نوح عليه السلام

وميزوا اللغات المرتقية بسعة مداها فى التعبير عن المعـانى وشمولها لالفاظ متعـددة على قدر مايحتاج اليه الانسـان

للتعبير عن كل ما يجيش بصدره من المعانى ويجول بخاطره من المدركات

وقد قسموا هذه اللغات الى متصرفة وغير متصرفة . فالاولى تمتاز بقبول أصلها للتصريف وتنقسم الى طائفتين عظيمتين

(اولاهما) الآرية او الهندية الاوربية وتنقسم الى جنوبية وشمالية . فالجنوبية هى لغات جنوب آسيا وهى اللغة السنسكريتية ومن فروعها الهندية والفارسية والافغانية والكردية والبخارية والارمنية والارستية ، وأما الشمالية فنها لغات اوروبا وتنقسم الى (سلتية) : ومنها اللغات التى تستعمل فى الجزر البريطانية الالغة انجلترة. والى (ايطالية) : منها اللاتينية وفروعها الايطالية والفرنسية والاسبانية والبرتغالية، والى (هيللينية) : ومنها اللغة اليونانية : والى (وندية) ومنها : لغات روسيا وبلغاريا وبوهيميا، والى (توتونية):ومنها لغات انجلترة وجرمانيا وهولاندة والدانمارك وجزيرة ايسلاندا

من الصفات المميزة للغات الآرية انها مؤلفة من أصول قابلة التصريف وأن الاشتقاق فيها يكون باضافة ادوات اكثرها يدل على معنى مستقل وهذه الاضافات تلحق غالبا آخر الالفاظ واحيانا اولها

والطائفة الثانية من اللغات المتصرفة المرتقية هى اللغات السامية نسبة الى سام ابن نوح عليه السلام ومنها العربية وهى أرقى اللغات على الاطلاق وتنقسم الى ثلاثة أقسام :

(١) الآرامية وفرعها السريانية والكلدانية فالاولى لغة بابل القديمة وآشور. والسريانية هى الكلدانية مع تغيير فى ألفاظها فكأن البابلية دعيت أولا آرامية ثم لما تغيرت قليلا سميت كلدانية ثم تغيرت ثانية فسميت سريانية ثم انقسمت السريانية الى سريانية شرقية وسريانية غربية

(٢) والعبرانية وليست عبرانية اليوم بالعبرانية الخالصة بل دخلها ألفاظ من الآرامية و الكلدانية . وتتفرع عنها اللغة الفينيقية والقرطاجية

(٣) العربية وهى ارقى اللغات السامية وقد كانت قبل بعثة النبى صلى الله عليه وسلم محصورة فى جزيرة العرب فلما ظهر الاسلام انتشرت فيما بين أواسط الهند وبوغاز جبل طارق ومابين البحر الاسود وبحر العرب تشهد بذلك حروفها وألفاظها المستعملة

فى لغات الترك والفرس والهنود وغيرهم
وتتفرع من العربية لغـات الحبشة
وفروع أخرى

أهم الاصول المميزة للعربية أنها مؤلفة
من أصول ثلاثية الاحرف تعتريها الحركات
المختلفة فتغير معانيها فتقول فى مادة علم
عَلِم وعُلم وعالم وعـلام وعليم الخ . اما
قابليتها للاشتقـاق على طريقـة الالحاق
فتشارك فيها الطائفة الآرية ولكنها تمتاز
بحصول معظم اشتقاقها بتغيـير حركات
حروفها وبأنها لاتقبل الادوات الملحقة
اذا كانت ذا معان مستقلة

وبالاستقراء الدقيق اتضح للباحثين
أن اللغات السامية ترجع كلها الى أصل
واحد سماه علماء اللغات اللغة السامية وهى
البابلية . والطائفة الآرية ترجع الى ثلاثة
أصول وهى اللاتينية واليونانية والسنسكريتية
أى الهندية

فمن اللاتينيـة تفرعت معظم لغات
اوروبا . ومن اليونانيـه تفرعت لغـات
اليونان . وأما مابقى فتنوع من اللغة
السنسكريتية قالوا وترجع هذه اللغات الى
أصل واحد مفقود هو اللغة الآرية

اما اللغـات المرتقية غير المتصرفة
فتمتاز بكونها مؤلفة من أصول جامدة فيها
تقبل التغيير فى بنائها وبأن الاشتقاق فيها
يقوم بالحاق ادوات لامعنى لها فى ذاتها
فى آخر تلك الاصول وهـذه تبقى بدون
تغيير كحال اللغة التركية . مثاله فيها (جال)
وهو الاصل الدال على المجىء فتقول
(جالدى) اى جاءوا (جالديدى) اى كان
جاءو (جالديلر) اى جاؤا و(جالديديلر)
اى كانوا جاؤا و(جالمديديلر) اى ما كانوا
جاؤ و(جالديمى ؟) اى هل جاء وهلم جرا

(كيف اختلفت هذه اللغات) قلنا
ان علماء اللغة قالوا ان اللغات كلها مشتقة
من أصل واحـد فكيف حـدث هذا
الاختلاف العظيم بين اللغات ؟ قيل أن
الانسان الاول نشأ بين العراق وأرمينيا
فلما كثر نسله تفرقوا فى الارض طلبا للعيش
فتخالفت لغاتهم وأدخل كل منهم الى
لهجته ألفاظا جديدة على حسب الحاجة
فاشتد الخلاف بينهم على مر الايام

قالوا والظاهر أن أهل اللغات المنحطة
كانوا أقدم من رحل عن موطن الانسان
كالصينيين والمصريين الاقدمين

ثم هاجر أجـداد الامم التى تتكلم
اللغة الطورانية فسكنوا بشمال آسيا ومنهم

المنوليون والتتار وغيرهم. ثم نزح الآريون فتوزعوا فى جهات الهند وفارس وكردستان واوربا . ثم هاجر الساميون تلك الارض أيضا فكانت كل طائفة من المهاجرين ترتقى بلغاتها فى طريق غير طريق الطائفة الاخرى فتفاوتت اللغات تماوتاذ ريعاحتى يظهر للناظر فيها بادىء بدء أنها لغات مستقلة . وكان كلما قرب زمن انفصال الطوائف بعضها عن بعض زادت لغاتها تفاوتا وكلما قرب زمن انفصالها حفظت تلك اللغات نوعا من المشابهة . مثال ذلك تجد الفرق بين اليونانية واللاتينية أكثر مما هو بين اللاتينية والفرنسية أو بينها وبين الايطالية وغيرها من اللغات الاوربية والسبب فى ذلك ان عهد انفصال اللاتينية عن اليونانية أبعد من عهد انفصال الفرنسية والايطالية عن اللاتينية

ثم لا تنس ان النمو فى كل لغة يحدث فى طريق وعلى أسلوب مخالف كل المخالفة للطريق والاسلوب اللذين تنمو عليهما غيرها لذلك يتبادر الى الذهن ان تلك اللغات مستقل بعضها عن بعض والحقيقة ما قدمناه

الفت الشىء يلفته لفتا لواه وصرفه الى ذات اليمين والشمال. و(تلفّت اليه والتفت) صرف وجهه اليه

اللفت ثمر أصله من اوربا أشهره نوعان البلدى والفرنسى. أما البلدى فلونه ابيض وطرفه ارجوانى وله أشكال كثيرة أشهرها المستدير المبطط وأما النوع الفرنسى فهو صنفان لفت ميلان الابيض واللفت الابيض المبطط ذو الورق التام وكلاهما ابيض اللون منبسط الشكل الا انهما أرق جسما واصغر حجما من البلدى

لزرعه طريقتان فاما ان تبذر البزور نثراً على الارض واما ان تزرع فى صفوف متباعدة من ٢٥ الى ٤٥ سنتيمترا حسب النوع المراد زرعه

والطريقة الثانية أفضل من الاولى ويجب ان يخف النبات الذى فى الخطوط حتى تكون المسافة بين كل شجرة واخرى من ١٥ الى ٢٥ سنتيمترا حسب النوع المزروع

(وقت الزوع) تبذر البذور من شهر سبتمبر الى شهر ديسمبر وأوفق الاوقات لزراعته من اكتوبر الى نوفمبر. واجود اللفت ما زرع فى ارض صفراء رملية خصبة عميقة ناعمة رطبة مع ريها ريا غزيرا وتسميدهم

جيدا بالسماد البلدى وتتوقف جودة المحصول على خف النبات وهو يحصد بعد زرعه بشهرين أو خمسة وسبعين يوما يبذر فى الفدان ربعان من بزره نثراً باليد

﴿ لفَحه ﴾ بالسيف يلفَحه لفحا ضربه به

﴿ لفَظ ﴾ الشيء يلفِظه . رماه (لفظ الكلام) نطق به و(اللُّفَاظة) ما يرمى

﴿ لفَع ﴾ الشيب رأسه يلفَعه لفعا شمله ومثله لفعه و(تلفَّعت المرأة بمرطها) تلففت به

﴿ لفَّه ﴾ يلُفه لفا ضمه وجمعه (تلفف فى ثوبه والتف)اشتمل به.و(التف النبات) كثر . و(اللِفافة) ما يلف على لرجل وغيرها جمعها لفائف و (اللِيف) المجموع . و (جنات ألفافا) أى أشجارها ملتفة بعضها ببعض

﴿ لفَق ﴾ الثوب يلفِقه لفقا ضم شقه منه الى أخرى فخاطها و(لفِق الشيء يلفَقه) أصابه وأخذه و(لـفَّقَ الحديث) زخرفه

﴿ اللفلافة ابرية ﴾ هى نبات معمر كثير الوجود بمزارع فرنسا تستعمل كمسهل

وقد وجد العلماء فى جذرها بالتحليل راتينجا بمقدار من ٤ الى ٥ وخلاصة صمغية وسكراً قابلا للتبلور ودقيقا نشائيا وزلالا وكبريتات الكلس واملاحا ناتجه من احتراق الجذر واوكسيد الحديد وماء

واذا استعمل راتينجها بمقدار ٣٠ سنتيغراما سبب مغصا وقولنجات شديدة بدون ان يحصل منه استفراغات ثفلية . فاذا استعمل بمقدار ٦٠ سنتيغراما فانه يسهله بلطف ولكن بدون مغص ولاقولنج فهذا هو المقدار اللازم لتعاطى هذا الراتينج وهو يمزج بدرهم من الصمغ العربى

واعتبر بعضهم هذا النبات لاحما للجراح بسرعة . وذكر آخرون نفعه فى النقرس والحصى والامراض الجلدية غير ان ذلك يحتاج للتجربة

﴿ اللفلافة الكبيرة ﴾ هو نبات معمر يتسلق على زرائب البساتين فيزينها بأكاليله الكبيرة الوحيدة القطعة الجميلة البياض . وجذره مملوء بعصارة خاصة طبيعتها خلاصية راتينجة فيها خاصة التهييج ولذلك كانت جيدة الاسهال يصح أن تستعمل بدل السقمونيا

وقد استعملت مع النجاح المتكرر

فى الاستسقاء ولكن جذره هو المسهل بالاكثر وقد حلل العلماء هذا الجذر فوجدوا فيه راتينجا بقرب من جزء من عشرين بالنسبة للوزن كله ويشبه راتينج الجلابا والسقمونيا ويسهل مثلها على حسب التجارب التى عملها شوفلبير على نفسه ويحتوى عدا هذا على مواد دسمة وزلال سكر وأملاح وسليس وحديد وكبريت وبالجملة توجد فيه القواعد التى فى جذر اللفلافة الصغيرة . وهذا الجذر فى خاصة الاسهال يبلغ نصف ما للجلابا منها. وقد قل استعماله الآن وإن كان من أحسن مسهلات البلاد التى ينبت فيها . وأوراقه الموضوعة أو المنقوعة تسهل أيضا اسهالا جيداً واذا طبخت أوراقه فى الماء والزيت كانت ضماداً محللا

ويقال أن هذا النبات كله ينفع علاجا للشلل والحصى والحديد ونحو ذلك

مقدار استعماله للبالغين من غرام الى غرام ونصف ومقدار ما ينقع من أوراقه من درهم الى ثلاثة دراهم تنقع فى قليل من الماء . ومقدار خلاصته للاطفال ٥٠ سنتيغراما

﴿لفا﴾ تلافاه تلافيا تداركه و (اللَفَاء) بالفتح التراب وكل شىء حقير

﴿لَقَبه﴾ بكذا فتلقَّب به جعله له لقبا فصار لقبا له. و(اللَقب) اسم يسمى به الانسان سوى اسمه الاول فيراعى فيه المعنى بخلاف العلَم

﴿لقَح﴾ النخلة يلقَحها لقْحا أبَّرها و (لقَّح) النخلة وألقحها بمعنى لقحها «انظر أبر» و(اللواقح) الرياح التى تحمل بخار الماء فتركه على السحاب فيصير ماء فينزل مطرا . أو التى تلقح النباتات فان كثيراً ما يكون عضو الذكورة منها فى شجرة وعضو الانوثة فى شجرة أخرى فلا تتلقح إلا بواسطة الرياح وذلك أن الرياح بهبوبها تحمل الطلع من أعضاء الذكورة الى أعضاء الأنوثة (أنظر زهرة) و(اللِقاح) ماتلقح به النخلة

﴿لقَط﴾ الشىء يلقُطه لقْطا أخذه من الارض بلا عناء . و(لَقَط الثوب) رفاه. و(تلقَّط الشىء). و (التقطه) جمعه من هنا وهناك و (اللُقَطة) الشىء الذى تجده ملقى فتأخذه. و(اللَقيط) الشىء الذى ينبذ . و(الِملقاط) المنقاش

﴿اللقطة﴾ أجمع الأئمة على أن اللقطة تُعرَّف حولا كاملا اذا لم يكن

شيئا تافها يسيراً أو شيئا لابقاء له . وان صاحبها أحق بهـا من ملتقطها . واذا لم يحضر صاحبها بعد سنة فعند مالك والشافعي للملتقط ان يحبسها أبداً وله التصدق بها وله ان يأكلها . وقال ابو حنيفة ان كان غنيا فلا يجوز ان يمتلكها واذا جاء صاحبها بعد سنة وكان الملتقط تصرف في اللقطة فله ان يأخذ ثمنها يوم تملكها . وقال داود ليس له شيء

﴿ لقِف ﴾ الشيء يلقَفه لَقْفا . اخذه او تناوله مرمياً اليه (وتلقف الشيء) تناوله بسرعة

﴿ اللَقلقة ﴾ كل صوت في اضطراب وحركة

﴿ اللقلق ﴾ هو طائر اعجمي طويل العنق يكنيه اهل العراق ابو خديج . قال عنه علماء العرب انه يأكل الحيات وصوته اللقلقة وانه يوصف بالفطنة والذكاء

قال العلامة ابن سينا من ذكاء هذا الطائر انه يتخذ له عشين يسكن في كل واحد منهما بعض السنة وانه اذا أحس بتغير الهواء عند حدوث الوباء ترك عشه وهرب وربما ترك بيضه ايضا

وقال ايضـا ان الهوام تهرب من مـكان هو فيه لفزعها منه واذا ظهرت قتلها

﴿ لقِم ﴾ الطعام يلقَمه لَقْما أكله سريعا و (لقّمه) الطعام و (ألقمه) اياه جعله يلقمه و (التقمه) ابتلعه و (اللَقَم) معظم الطريق و (اللُقمة) مايهيأ للفم

﴿ لقمان ﴾ هـو لقمان بن باعوراء ابن اخت أيوب أو ابن خالته أو من أولاد آزر قيل عاش الى مبعث داود فلما بعث قطع الفتوى فسئل في سبب امتناعه . فقال ألا اكتفي اذا كفيت ؟

أكثر أقوال العلماء انه كان عليما . قال ابن عباس لقمان لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان راعيا اسود فرزقه الله العتق ورضي قوله ووصيته وحكاها في القرآن وهي قوله تعالى « ولقد آتينا لقمان الحكمة ان اشكر لله ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني حميد . واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابني لاتشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم . ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك الي المصير . وان جاهداك على أن تشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل

من أناب الىّ ثم الىّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون . يابنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير . يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور . ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور . واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الاصوات لصوت الحمير »

وقال عكرمة والشعبى كان لقمان نبيا . روى انه دخل على داود عليه السلام وهو يسرد درعا وقد لين الله له الحديد فأراد أن يسأله فسكت فلما أتم داود الدرع التى كان يسردها لبسها وقال نعم لبوس الحرب أنت . فقال لقمان: الصمت حكمة وقليل فاعله

فقال له داود : بحق ماسميت حكيما

وروى ان مولاه امره بذبح شاة وبأن يخرج منها اطيب مضغتين فأخرج اللسان والقلب . ثم امره بمثل ذلك بعد ايام وان يخرج اخبث مضغتين فأخرج اللسان والقلب ايضا

فسأله مولاه عن ذلك فقال هما أطيب مافيها اذا طابا واخبث مافيها اذا خبثا

﴿لقن﴾ الشىء يلقنه لقنا فهمه سريعا و(لقّنه الكلام) فهمه اياه و(تلقن الشىء) اخذه

﴿اللَّقْوة﴾ العقاب الانثى وبالكسر مثله قال أبو عبيدة سميت لقوة لسعة أشداقها وقيل لاعوجاج منقارها

واللقوة ايضا مرض يميل به الوجه الى جانب

﴿اللقوة﴾ كثيراً ماتحدث هذه العلة عند النوم فى الفلوات وقت البرد أو فى مجرى هواء وعن الخوف أو من انفعال آخر عقلى فجائى وضرب او آفة اخرى وقد تحدث من تقرح الاذن الداخلة فى الاولاد او من نحو سلعة داخل الجمجمة او تحت الاذن

(اعراضها) تسبق غالبا بصداع وقد تحدث بدون عرض منبه فيرى العليل وجهه قد اعوج او يتنبه اليه من عدم تمكنه ضبط الطعام بين الاضراس فى الجانب المصاب وفى هذه العلة لا تتحرك الجبهة وينجذب الشدق نحو الجانب السليم ونحو العين

من عدم استطاعته اغماضها فتسيل دموعها على الخد ولا يتمكن العليل من الضحك أو الصفير

(علاجها) كثيرا ماتبرأ بدون علاج في مدة تتراوح بين ١٢و٢٤ ساعة واذا شعر المصاب بألم أمام فتحة الاذن يرسل بعض العلق هناك أو يوضع ذرنوح وراء الاذن ويسقى المريض مسهلا ملحيا او ٥٠ر٠ سنتيغراما من الكالوميل،ويستعمل حقنا ملينة وبدهن مكان الشلل بزيت النفط او بمروخ النوشادر وهو :

زيت الزيتون	٦٠ غراما
روح النوشادر	١٠ غرامات

يمزجان بالتحريك

او يدلك بمرهم الفرارين وهو مركب من ٥ سنتغرامات من الفراترين و ١٠ غرامات من الفازلين او بمرهم الاستركنين وهو مركب من ١٠ سنتيغرامات من الاستركينين و ١٠ غرامات من الفازلين وبعد زوال حدة المرض يعتمد على الكهربائية ويودور البوتاسيوم

﴿ لُقِيَ ﴾ الرجل أصابته اللقوة وهو داء يصيب الوجه يعوجّ منه الشدق وهو داء عصبي يعالجه الاطباء بما تقدم

﴿ لَقِيه ﴾ يَلقاه لقاء ولُقْيانا استقبله وصادفه و(لقّاه الشيء) طرحه اليه و (لاقاه) قابله و (ألقاه) رماه و (تَلَقّاه) لقيه و(التقَى الشيء) لقيه و(استلقى على قفاه) نام و (اللَقَى) الشيء الملقى المطروح .و (الاُلْقِيّة) ماالقى من مسائل المعاياة جمعها ألَاقِيّ .والالاقيّ ايضا الشدائد و (التِلْقاء) اسم من اللقاء وقد توسع فيه فجعل ظرفا لمكان اللقاء نحو (جلس تِلْقاءه) أي حذاءه و(قال من تلقاء نفسه) اى من عند نفسه

﴿ لَكِيء ﴾ بالمكان يَلكأ لَكا أقام به و(تَلكّأ عليه) اعتل وأبطأ

﴿ لَكَزه ﴾ يلكُزه ضربه بجمع كفه

﴿ لَكِع ﴾ فلان يلكَع لَكاعة لؤم وحمق و (امرأة لَكَاع) اى لئيمة و (اللُكَع) اللئيم

﴿ لَكَمه ﴾ يلكُمه لكْما ضربه باليد مجموعة الاصابع و (لاكمه) لكم احدهما الآخر

﴿ اللُكَام ﴾ جبل الكام هو الجبل المشرف على انطاكية والمصيصة وطرسوس وبلاد الثغور

وقال ابن حوقل جبل اللكام داخل

بلاد الروم ويقال أنه انتهى الى حد مئتى فرسخ ويظهر فى الاسلام بين مرعش والهارونية وعن زرية فيسمي اللكام الى أن يجاوز اللاذقية ثم يسمى جبل نهراء الى حمص ثم يسمى جبل لبنان ثم يمتد على الشام الى ان يصل الى بحر القلزم

﴿ لكِن ﴾ الرجلُ يلكَن لَكَنا ثقل لسانه فهو (ألكن) جمعه لُكْن

﴿ لكِنْ ﴾ أصلها لا كن حذفت الفها خطا لا لفظا وهى حرف ابتداء . و (لكن) من الحروف المشبهة بالفعل ينصب الاسم ويرفع الخبر ومعناها الاستدراك وهو أن ينسب لما بعدها حكم مخالف لما قبلها

﴿ لَمْ ﴾ حرف جزم لنفى المضارع وقلبه للماضى نحو (لم يقلْ) اى ماقال : وتدخل على لم همزة الاستفهام فيصير النفى معها ايجابا ويدخله معنى التوبيخ والتقرير نحو (ألم آمرك)

﴿ لَمح ﴾ البصر يَلمَح لمحاً . امتد و (لمح) الشىء ابصره بنظر خفيف او ختلس النظر . والاسم (اللَمْحة) و (لمَّح الى الشىء) اشار اليه و (اللَمْحة) النظرة بالعجلة جمعه مَلامح

﴿ لَمزه ﴾ يلمِزه عابه و (اللُمَزة) العياب للناس

﴿ لَمسه ﴾ يلمُسه ويلمِسه مسه بيده ومثله (لامسه) و (تلمَّس الشىء) تطلبه و (التمس الشىء) طلبه و (اللُماسة) الحاجة و (المَلمَس) موضع اللمس

﴿ لمظ ﴾ تلمَّظ الرجل تتبع بلسانه اللُماظة وهي بقية الطعام فى الفم

﴿ لَمع ﴾ البرق يلمَع لمعانا أضاء و (اللُمعة) قطعة من النبت أخذت فى اليبس و (الألمِعيّ) الذكى المتوقد و (الألمَعية) الذكاء و (اليَلمَع) البرق الخلب والسراب

﴿ لمّ ﴾ الشىء يَلُمه لما جمعه و (ألم على القوم) أتاهم و (اللامّة) العين المصيبة بسوء (أكلا لَمّا) أى شديدا و (اللَمَم) جنون خفيف . وصغائر الذنوب

﴿ لمّا ﴾ حرف يدخل على المضارع فيجزمه وينفيه ويقلبه ماضياً مثل لم الا ان منفيها مستمر النفى الى الحال نحو (لما يجىء للآن و (اللَمّة) الشىء المجتمع و (اللُمّة) واللُمَة الصاحب اوالاصحاب و (اللِمّة) الشعر المجاور شحمة الاذن (المُلِمّة) النازلة الشديدة و (لمّ الشىء)

جمعه و (اللُمْلوم) الجماعة و (يَلَمْلَمَ) ميقات أهل اليمن في الحج وهو جبل على مرحلتين من مكة

﴿اللَمَّة﴾ الجماعة . وترب الرجل وشكله

﴿اللِّمة﴾ المرة جمعها لِمام تقول (ما يزورنا الا لِماما) أي في الاحايين (للّمه) المجتمع من الناس أيضا

﴿لَمِيَ﴾ يلمَى لَمْيا اسودت شفته و (اللَمَى) سمرة في باطن الشفة . و (الألْمَى) الذى شفته لَمَى

﴿لن﴾ حرف نفى ونصب واستقبال

﴿لهبت﴾ النار تلهَب لهباً ولهيبا اشتعلت خالصة من الدخان و (لَهَّبَ النار فتلهَّبت وألهبها فالتهبت) أي أوقدها حتى صار لها لهب فاتقدت و (اللهب) لسان النار

﴿ابو لهب﴾ احد صناديد قريش ممن كانوا يهيجون الفتن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكفاه الله شره و (اللهيب) حر النار

﴿لهِث﴾ الكلب يلهَث اخرج لسانه عطشا او تعبا مع تنفس شديد

﴿لهج﴾ بالشيء يلهَج لهجا أغرى به فثابر عليه فهو لَهِج ولاهج و (اللَهْجة) اللسان وقيل طرفه وقيل هى لغة الانسان التى جبل عليها

﴿لَهْوَجَ﴾ الشيء خلطه ولم يحكمه

﴿لَهَزه﴾ الشيب يلهَزه ظهر فيه و(لَهَزه القتير) خالطه

﴿لَهْزَمه﴾ قطع لَهْزمته وهى عظم ناتىء فى اللَحْى تحت الاذن وهما لهزمتان جمعها لَهَازم

﴿لهِع﴾ الرجل كفرح يلهَع لهعا تشدق و (اللُهَاعة) الغفلة و (تَلَهّع فى كلامه) أفرط

﴿ابن لهُيعة﴾ — هو ابو عبد الرحمن عبد الله بن لهيعة بن عقبة بن لهيعة الحضرى الغافقى المصرى

كان مكثرا من الحديث والاخبار والرواية . فقال محمد بن سعد فى حقه أنه كان ضعيفاً ومن سمع منه فى اول أمره أقرب حالا ممن سمع منه فى آخره . وكان يقرأ عليه ماليس من حديثه فيسكت فقيل له فى ذلك فقال ماذنبى انما يجيئونى بكتاب يقرأونه علىّ ويقومون ولو سألونى لاخبرتهم أنه ليس من حديثى

وكان ابو جعفر المنصور قد ولاه القضاء بمصر فى مستهل سنة (١٥٥) وهو أول قاض بمصر من قبل الخليفة وصرف عن القضاء فى شهر ربيع الاول سنة (١٦٤) وهو اول قاض حضر لنظر الهلال فى شهر رمضان واستمر القضاة عليه الى الآن

وذكره ابن الفراء فى تاريخه فقال توفى أبو خزيمة ابراهيم بن يزيد القاضى الحميرى وولى مكانه عبد الله بن لهيعة الحضرمى وكان سبب ولايته أن ابن خديج كان بالعراق قال دخلت على أبى جعفر المنصور فقال ياابن خديج لقد توفى ببلدك رجل أصيب به العامة . قلت ياأمير المؤمنين ذاك اذاً أبو خزيمة ؟ قال نعم فمن ترى ان نولى القضاء بعده ؟ قلت ابن معدن اليحصبي ياأمير المؤمنين . قال ذلك رجل أصم ولايصلح القاضى أن يكون أصم . قال فقلت فابن لهيعة ياأمير المؤمنين . قال فابن لهيعة على ضعف فيه . فأمر بتوليته وأجرى عليه فى كل شهر ثلاثين ديناراً وهو أول قاض مصرى أجرى عليه ذلك وأول قاض بها استقضاه خليفة وانما كان ولاة البلد هم الذين يلون القضاة

روى عنه الحديث عمرو بن الحرث والليث بن سعد وعثمان بن الحكم الجذامى وعبد الله بن المبارك

ولد سنة (٩٧) وتوفى سنة (١٧٤) وقيل سنة (١٧٠)

﴿ لهف ﴾ على مافات يلهف لهفا حزن وتحسر . و(تلهف عليه) تحسر . و (يالهف فلان) كلمة تحسر . و (اللهفان) المتحسر و (الملهوف) الحزين المفجوع بمصيبة

﴿ لهم ﴾ الشيء يلهمه لهما ابتلعه و(ألهمه الشيء) أباحه اياه و(ألهمه الله خيراً) لقنه اياه و (التهم الشيء) ابتلعه . و (اللهام) الجيش العظيم و (اللهيم) المنية والداهية و(أم اللهيم) المنية والداهية و(الالهام) أن يلقى الله فى الروع أمرا يبعث الانسان على الفعل أو الترك

﴿ اللهميم ﴾ بكسر اللام السابق الجواد من الخيل والناس جمعه لهاميم

﴿ لها ﴾ الرجل بالشيء يلهو لهواً لعب و(لها عن الشيء) غفل عنه و(لهى به يلهى لهيا) أحبه و(لهى عنه) سلاه و(لهاه وألهاه) شغله و(تلاهى) التلهى و(اللهو) مايشغل الانسان من هوى وطرب

و (اللَّهاة) اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم جمعها لَهوات. و (اللَّهْوة) العطية جمعها لُهى . و (الأُلْهية) ما يتسلاهى به و (المَلْهَى) اللهو وزمانه وموضعه

﴿لو﴾ حرف يفيد الشرط نحو «لوصلح الناس صلح رعاتهم» والمصدرية نحو «يود أحدهم لو يعمر الف سنة» ويقال لها فى المثال الاول حرف امتناع لامتناع اى امتناع الجواب لانتفاء الشرط

﴿اللوبياء﴾ اصلها من بلاد الهند الشرقية وتزرع بأوروبا كثيراً وهى هنالك تستعمل غذاء للجيوش وهى تحب البلاد الحارة وتنجب فيها وتوافقها الارض الخفيفة الخصبة الرطبة وزراعتها فى الارض الطينية تقلل من محصولها وجميع الاسمدة توافقها وهى تكسب من الارض كثيراً من موادها ولذلك يجب تعويضها للارض بالاسمدة

(طرق زراعتها) تحفر حفر فى المصاطب وتوضع ثلاث او اربع بزور فى كل حفرة بحيث تبعد الحفرة عن الاخرى ٣٥ الى ٤٠ سنتيمترا او المصاطب بعضها عن بعض بنحو ٦٠ سنتيمترا ثم يخف النبات حتى لايبقى الا شجيرتان فى كل حفرة . تزرع من أواسط فبراير والاحسن ان تزرع فى شهر مارس

هذا النبات قوى الانتاج ويحتاج لماء غزير . ويبدأ بحصده بعد ٦٠ يوما من زراعته ويستمر انتاجه مدة الصيف الى اول اكتوبر . واذا أريد أن تترك اللوبياء لتحرج حبوبا فلا تحصد الا بعد خمسة اشهر

﴿لوبولين﴾ هو جوهر يستخرج من حشيشة الدينار وهو قاعدتها الفعالة

(صفاته الطبيعية) هو حبوب لامعة صغيرة بيضاء بصفرة لها رائحة خاصة بها قوية نفاذة ، وتحتوى على مادة صفراء قاتمة عطرية فيها حرافة

(تحليله الكيماوى) ظهر من التحليل الكيماوى ان اللوبولين يحتوى على راتينج ومادة مرة ودهن طيار وصمغ وآثار مواد شحمية وأوزمازوم وخلات النوشادر وكبريت وسليس واوكسيد الحديد واملاح قاعدتها الكلس والبوتاسا

(خواصه الطبية) ظهر من التجارب انه افضل من حشيشة الدينار من الوجهة العلاجية فهو يحتوى على خواص مقوية

عظيمة واذا أخذ بمقدار كبير أثر على الاعصاب وسخن البطن وآلمه

وقد استعمله بعض الاطباء علاجا للحمى فوجده قوى الفعل فيها بمقدار ثلاث حبات تؤخذ بالعسل حبة صباحا وأخرى فى وقت الزوال وثالثة مساء ولكن حدث منها حرارة فى المعدة نزلت الى القدمين وصعدت الى الرأس مع قولنجات وجذبات فى البطن وثقل فى البدن وتعب ولكنه وقف سير الحمى . وهو لا يتفق مع أملاح الحديد والزئبق والقصدير والبلاتين

﴿اللابة﴾ الحرة من الارض جمعه لابات و (ليس بين لابتى المدينة مثله) اى بين حرتيها

﴿لوبليا﴾ هو نبات ينبت بأمريكا الشمالية ساقه حشيشية مستقيمة تعلو من قدم الى قدمين زووية زغبية ولاسيما من أسفلها واوراقها متعاقبة متقاربة منفرشة سهمية زغبية قليلا مسننة تسنينا غير منتظم والازهار بنفسجية وحيدة فى آباط الاوراق قصيرة الذنيب يتكون منها فى قمة الساق سنبلة طويلة جدا مقمعة بالاوراق . المستعمل فى الطب من هذا النبات جذروه وهى فى غلظ الخنصر لونها سنجابى رمادى محززة بالطول مكسرها أصفر كأنه صفيحى ويوجد فيه تجاويف كثيرة مشممه وطعمها يكون أولا سكريا ثم يكون حريفا قليلا يشبه التبغ ورائحتها عطرية ضعيفه

(تحليلها) وجد فى هذه الجذور بالتحليل مادة شحميه فى قوام الزبد وسكر غير قابل للتبلور ولا للتخمر ومادة لعابيه ومالات الكلس الحمضى ومالات البوتاسا وآثار من مادة مرة سهلة التغير جدا ومريات وكبريتات البوتاسا وفوسفات الكلس وآثار من السليس وأوكسيد الحديد وجوهر خشبى

(خواصة الطبية) اذا استعمل مطبوخة بمقدار يسير فانه يحرض تنفيسا جلديا فاذا استعمل بمقدار اكبر من ذلك قليلا زاد فى الاستفراغات الثفلية وقد يؤثر كدواء مقىء اذا كان مركزاً . ولهذا الجذر شهرة عظيمة عند أطباء أمريكا فى معالجة الزهرى فيستعملونه أحيانا وحده وأحيانا مع الزئبق . ولم يعلم فى أوروبا الا سنه (١٧٥١) ولم ينتشر بها على انه جليل النفع

اذا استعملت هذه الجذور بمقدار يسير كانت مدرة للبول ومسهلة واذا زيد

مقدارها كانت مقيئة

﴿لوت﴾ اللات صنم من أشهر أصنام العرب ورد ذكره فى القرآن فى قوله تعالى: « أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى »

قال العلامة جار الله الزمخشرى اللات اسم صنم كان لثقيف بالطائف وأصله فعليه من لوى يلوى لانهم كانوا يلوون عليها ويعكفون للعبادة أو يتلوون عليها أو يطوفون فكأنه حذفت الياء تخفيفا وحركت الواو فانقلبت الفا والوقف عليه بالتاء كى لايشبه اسم الله. وقيل أصله اللات بالتشديد وقد قرىء به. زعموا انه سمى برجل كان يلت عنده السمن بالزيت ويطعمه الحاج

وعن مجاهد كان رجل يلت السوبق بالطائف وكانوا يمكفون على قبره فجعلوه وثنا

والعزى تأنيث الاعز وكان لغطفان هى شجرة مسمرة بعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها قيل فخرجت منها شيطانة مكشوفة الرأس ناشرة الشعر تضرب رأسها وتدعو بالويل والثبور فجعل خالد يضربها بالسيف حتى قتلها وهو يقول :

ياعز كفرانك لاسبحانك
انى رأيت الله قد أهانك

فرجع الى النبى صلى الله عليه وسلم وأخبره بما فعل فقال تلك العزى ولن تعبد أبدا

لاشك عندنا فى أن أمر هذه الشيطانة من زيادات الوضاعين الذين كانوا يرمون الى افساد الدين الاسلامى بدس الاقوال الخرافية فيه

وأما مناة فهى صخرة كانت لهزيل وخزاعة كأنها سميت بذلك لأن دماء النسايك كانت تمنى عندها أى تراق

﴿اللَولب﴾ آلة من حديد أو خشب ذات محور ذى دوائر بارزة وهو الذكر أو داخله وهى الانثى ويقال له أيضا البرغى

﴿لاث﴾ ثوبه بالطين يَلُوثه لَوْثا. لطخه و (لوّثه) لطخه و (تلوّث) تلطخ و (التاث به) تلطخ به و (اللَوْث) الشر والنجاسة و (اللَوَث) الاسترخاء

﴿لاح﴾ الشىء يلوح لَوْحا بدا و (لوّح الرجل تلويحا) أشار من بعيد و (ألاح الشىء) بدا و (اللَوْح) كل

صفحة عريضة خشبا او عظما

﴿لاذ﴾ بالجبل يلوذ لَوذاً و لياذاً . استتر به وتحصن فيه و(لاوذبه) لاذ به و(الملاذ) الحصن

﴿اللوزتان﴾ لحمتان في جانبي الحلق و(اللوزينج) من الحلوى كالقطائف يوضع فيه السمن واللوز

(التهاب اللوزتين) تلتهب اللوزتان مع التهاب الحلق ومؤخر البلعوم فيظهر غشاء الحلق محمراً داكنا ويحصل ألم فى البلع واضطراب فى التكلم وخنة فى الصوت . واذا لم يكن سوى الاحمرار والورم الخفيف فهو الالتهاب البسيط واذا التهبت اللوزتان فترمان وتعيقان البلع وقد تلتهب احداهما فقط . وكثيراً ما يرى على سطح الاعصاء مادة منفرزة لزجة بيضاء شديدة الالتصاق يعسر على المريض قذفها . وتكون مع هذا الالتهاب حمى شديدة يسبقها قشريرات متكررة

(العلاج) يكون بالابزن الحار المحردل صباحا ومساء ورفادات من الماء البارد او الثلج على العنق او بلبخات من بزر الكتان او لب خبز الحليب ، وبالحقن الملينة او المسهلة والغراغر المحللة والمناقيع المحللة محلاة بالعسل ويمسح الحلق مرارا بفرشاة مغموسة فى زيت الزيتون وزيت اللوز أو عصير الليمون الحامض او بورق وعسل (أجزاء متعادلة) ويبخر الفم بماء مغلى وحمض البوريك ولا يأكل سوى اللبن

فاذا زاد ورم اللوزتين وشعر بنبضات وألم شديد فيدهنان من الخارج بمرهم الزئبق ممزوج بخلاصة البلادونا لتسكين الالم ويضمدان بلصقات مسخنة حتى تتقيحا وعلى الطبيب أن يفتح للصديد سبيلا اذا لم ينتج بذاته أو تستعمل فى أواخر المرض غراغر من مغلى الشعير وعسل مع قليل من الشب الناعم لاجل تقليص الاوعية الدموية وتجفيف الورم بطرد الدم المحتقن فيها

ويستعمل عسل الورد غرغرة فى بدء المرض وأواخره كحلل بمقدار ملعقة صغيرة لكأس من مغلى الشعير ويستعمل كذلك كلورات البوتاسا . وعلى المريض ان يشرب مشروبا رطبا فى أواخر المرض

ولا بأس من وضع نقطة من رب السوس او اقراص الصمغ العربى او اقراص كلورات البوتاسا فى الفم حتى تذوب على مهل لاجل ترطيب الحلق وتطريته

﴿ اللوز ﴾ هو ثمر معروف شجره يعلو باستقامـة ويتفرع فروعا خضراء زاهيـة شديدة الملاسـة أوراقه متعاقبة سهميـة مسننة والازهـار كبيرة وردية . والثمر نووى اخضر

(صفاته الطبيعة) اللوز بيضى الشكل قليل القبول للضغط واللحمية وعلافه الخارج خشبى محزز واللب طعمه حلو وأما اللوز المر فصنف منه نوع بالزراعة

(تحليله الكيماوى) علم أن كل مئة جزء من اللوز الحلو فيها ٥٤ جزءمن زيت ثابت و ٢٤ من الزلال و٦ من سكر سائل و٣ من الصمغ و٣٫٥ من المـاء و٤ من الجوهر الليفى و٥ من غلالات رقيقة و٠٫٥ من أجزاء مفقودة وحمض خلى ولا يدخل فى تركيبه دقيق أصلا

(استعماله) اللوز كثير الاستعمال فى الفطائر وأنواع الحلوى والملبسات وغيرها وقد يؤكل قبـل أن يجف فتكون مادته الزيتية أقل . وكلما عتق ازدادت تلك المادة فيه وصعب هضمه

(خواصه الطبية) لا يستعمل طبيا من اللوز الا المستخرجات منـه ولا سيما المستحلب وهو مؤلف من لوز وسكر وماء فيكون شبيه باللبن ويعمل بنقع ٣٢ غراما من اللوز المعرى عن قشرته الرقيقة فى لتر من الماء واضافة ٣٢ غراما من السكر اليه وقد يعطر بنحو ٨ غرامات من ماء زهر البرتقـال وبعـد نقعه يدق فى هاون مع السكر حتى يصير الكل عجينة تذاب بالماء شيئا فشيئا فيكتسب لونا لبنيا فيصفى من منخل ويتعاطى لقمع حرارة الصيف وهو يفيد أيضا فى احتراق الحميات . واذا أريد جعل ذلك جرعة معدلة ينزل مقدار الماء الى ١٢٥ غراما واذا ترك هذا اللبن ونفسه فى حرارة ١٥ درجة ظهر على سطحه جوهر رائحته ومنظره كالقشدة وتتصـاعد منه بسرعة رائحة خلية ويرسب فى قعر الاناء راسب أبيض ويصير السائل نصف شفاف

واذا أغلى هـذا المستحلب تغطى سطحه بغـلالة قيل ان لها خواص اللبن الحيوانى ويتكون فى وسط السائل جزء متجمد كبير المقدار ومركب من زلال متيبس ومقدار من الدهن ويصير السائل صافيا وله طعم عذب سكرى شبيه بمصل اللبن ولكنه أكثر قبولا منه فى الذوق . ويمكن اتخاذ هذا المصل شرابا مرخيا

ملطفا يختلف عن المستحلب بكونه متعريا عن الزلال والدهن الثابت والمادة الليفية وبكونه أخف وأقل غذاء

وقد كشف فى هذا السائل المستحلب بواسطة الكيمياء مقدار كبير من أجزاء زيتيـة محفوظ ذوبانهـا بالزلال والسكر والصمغ

وقد شوهد ان خاصة الارخاء فى هذا المستحلب عظيمة فاستعماله يضعف القوى الهضمية فيقلل حيوية المعدة ولا سيما عنـد الذين أغشيتهم المعدية رقيقـة وضعيفة التأثير العصبى . وأما أصحـاب المعد القوية فيهضمونه ويكون لهم سائلا مغذيا بلطف ويفقد فى تلك الحالة خاصته الدوائية

فان كان باطن الطرق الهضمية متهيجا اوملتهبا كان هذا المشروب بدرجة حرارة باردة مطفئا للعطش ومسكنا لحس الاحتراق الباطن المتعب للمريض ومخففا للمرض والثقل فيكون لهم مرطبا منديا محللا

وتأثير هذا المستحلب على الاجهزة الاخر تابع للتأثير الذى تفعله الاجزاء الزيتية النافذة مع الدم فى جميع المنسوجات ونخص بالذكر فعـل هـذه القواعـد فى النخاعـين وضفائر الاعضاء العقدية فان هذا المستحلب يسبب نقصا فجائيا فى حياة المراكز العصبية ويبطىء الفعل العضوى الناشىء من الاصول المحيية التى توصلها الاعصاب لجميع الاعضاء والقوة المرخية لهذا المشروب تظهر بالاكثر فى الحال المرضية التى يوجد فيها تنبه مرضى اذ فى كل يوم نرى ان استعماله يقلل اضطراب الدم وقوة النبض وسرعته ونمو الحرارة الحيوانيـة . وانه يستعمـل لمقاومـة تهيج أو تطلب سكون أونوم فيكون مسكنا منوما اذا استعمل عند النوم او يسبب سيـلان البول اذا وقف الافراز البولى بسبب حرارة أوتقلص فى الاعضاء البولية وهو يستعمل فى الحميات الحادة والتهيجات والالتهابات فى الجهاز الهضمى والدورى والتنفسى والعصبى وغير ذلك وبالاختصار فى الاحوال المرضية التى يراد فيها ابطاء الحركات العضوية أو تلطيف ازدياد الحيوية أو نقص الحرارة المحرقة

العادة أخـذ هذا المستحلب ليـلا لتسكين الاضطراب الذى تكابده المرضى عند دخول المساء وينسب لفعله المسكن

السكون والراحة الحاصلان عقب استعماله وقد تتغذى به المرضى المصابون بالحمى البطيئة لانهم اذا تزايدت فيهم الحساسية وصار النبض قويا سريعا خفيف من تأثير المنبهات فيحتاج حتى فى التغذية للتلطيف

وقد يضاف لمستحلبات جواهر مختلفة الطبيعية فيسمى بالمستحلب العربى مايدخل فى تركيبه نصف أوقية من الصمغ العربى وذلك يقوى القوة المرخية التى فى قواعد اللوز . وقد يضاف اليه قمحات من نترات البوتاسا اذا أريد زيادة افراز البول أو تسكين العطش تسكينا أكيداً فان هذا الملح يتمم المقصد الاول بتنبيهه منسوج الكليتين وينتج النتيجة الثانية باحداثه زيادة فى افراز الاجربة المخاطية للغشاء المغشى للحلق والمرىء وغيره فيصير هذا الغشاء أكثر رطوبة وأقل خشونة

واذا وضع فى المستحلب جوهر قوى الفعل كشراب الخشخاش أو شراب خلات المورفين أو مسحوق مسهل أو نحو ذلك يفقد خاصته الدوائية ويكون كحامل للادوية الاخر التى وضعت فيه ويخدم حينئذ كمعدل لها ولا يشاهد تأثيره المرخي أصلا

(اللعوق الابيض للوز) يعمل لعوق مكون من ١٨ غراما من اللوز الحلو وغرامين من اللوز المر ومن كل من السكر الابيض وزيت اللوز الحلو ١٦ غراما ومن مسحوق صمغ الكثيرا غرام واحد ومن ماء زهر البرتقان ١٦ غراما ومن الماء العام ١٢٥ غراما . هذا اللعوق دواء كثير الاستعمال يوصى به فى جميع أدواء الصدر وهو مستحضر لاضرر فيه ومقبول

(شراب اللوز الحلو الشعيرى) يعمل من اللوز الحلو والشعير واللوز المر والسكر والماء وماء النارنج شراب معدل مقبول يقوم مقام المستحلب

(دهن اللوز الحلو) يستخرج من اللوز الحلو بالعصر فيدق اللوز حتى يصير كالعجينة ويعرض للعصر فالدهن الحاصل يقدر بنصف اللوز المستعمل . فاذا سخنت تلك العجينة الدهنية بلطف كان مقدار الدهن الحاصل أكثر غير أنه يكون أكثر قابلية للتزنخ وأقل جودة للاستعمال الباطنى من الحاصل منه على البارد ولا يحسن أن يحضر ذلك الدهن الا عند الاحتياج اليه ويجب أن يكون أبيض اللون مخضراً

عادم الرائحة مقبول الطعم خاليا من الحرافة وقد يغش هذا الدهن بدهن اللوز المر ولكنه متى حل فى الماء انتشرت منه رائحة قوية منسوبة لحمض ادروسيانيك

دهن اللوز يمزج عادة مع شراب لينقسم فيه بواسطة الخض ويستعمل ملعقة ملعقة وهو سواء كان وحده أو مخلوطا مع شراب يثقل على المعدة ثم يمر حالا الى الامعاء فيغير الحركات الطبيعية للقناة الغذائية فاذا كانت الملاعق متقاربة وكان عددها كثيرا حرض هذا الجوهر استفراغات ثفلية وخرج من الجسم بصفاته الطبيعية وفى هذه الحالة يكون فى دهن اللوز الحلو خاصة التليين

فاذا جعل بين الملاعق عدة ساعات أو استعمل الدهن بمقادير يسيرة فانه يمتص ولا يسبب استفراغات ثفلية بل تدخل الاجزاء فى الدم وتنتشر فى جميع المنسوجات فتشعر الالياف العضوية بتأثيرها المرخى فاذا كانت أعضاء الهضم فى حالة التهاب قطع هذا الدهن حالتها المرضية وأقله انه ينتج تخفيفا واضحا فيسكن القولنجات وتوتر البطن ونحو ذلك . ويستعمل أيضا فى التسمم من الجواهر الحريفة ويعطى فى الالتهابات الرئوية والبلوراوية والنزلات فينتج منه فى السطح المعدى استرخاء يمتد بالاشتراك الى أعضاء التنفس زيادة على فعل تلك الاجزاء الدهنية على تلك الاعضاء بعد امتصاصها

ومن المحقق انه يلطف السعال ويساعد على النفث النخامى ويعطى فى تهييجات الطرق البولية والاوجاع الكلوية

وذكروا انه مضاد للديدان قوى الفعل أكيد ولكن يلزم حينئذ أن يكون مقداره كبيرا فلا يخاف من اعطاء نصف كوب منه فى كل ربع ساعة علاجا لدود القرع . ومن المؤكد ان رطلا ونصف رطل من الدهن يكفى فى العادة لطرد هذه الديدان

ولكن الدكتور (تيسو) عارض فى كثرة اعطاء هذا الزيت للاطفال فقال انه يضعف المعدة ويجعل هضم اللبن غير تام فى كثير من الاحوال فيزيد فى القولنجات ولا يسكنها وزاد على ذلك قوله ان الدهن المذكور يقبض البطن أحيانا لاضعافه العمل الانقباضى للامعاء . هذا ما قاله تيسو وهو موجب للتأمل

كثيراً ما تغفل من دهن اللوز

وصعيات حتى يتحصل منها على نتائج مرخية ملطفة ويظهر ان دهن اللوز هـذا هو أحسـن الزيوت المستعمـلة من البـاطن بسبب ميوعته وطعمـه العذب وصفاته المسكنة . وله استعمال كبـير فى الجرعات واللعوقات والاطلية والدهانات والصوابين الطبية والقيروطيات والمراهم وغير ذلك

ويستعمل أيضا كحامل لادوية كثيرة ويدخل فى الاغذية وانما علو ثمنه يعيق استعماله فيها والا فهو أجود الزيوت كافة وثفل اللوز الباقى بعـد العصر يستعمل لتنظيف الجلد وتلطيفه ويسمى بعجينـة اللوز

(مقدار استعماله) المقدار منه للاشخاص الضعفاء من ٣٠ الى ٦٠ غراما

اللوز الهندى أصله من امريكا فى بزره أصل مغذ تصنع منه الشكولاتا ثمره مستطيل ذو أضلاع يشبه الشمام الصغير يزرع فى ارض متخلخلة خصبة ويتكاثر بالعقل

لاص يلوص عنه حاد عنه

لوط لاط الشيء بالشيء ألصقه به و (لاط بسهمه) أصابه

لوط عليه السلام هو ابن أخى ابراهيم عليه السلام فهو ابن هاران بن آزر ، كان لوط ممن آمن بعمـه ابراهيم وهاجر معه الى مصر وعاد الى الشام فأرسله الله تعالى الى أهل سدوم فظل يدعوهم الى الحق وينهاهم عن الفحشاء ويقول لهم كما حكي الله عنه فى التنزيل: أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين . أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر ، فكانت هذه المواعظ لا تزيدهم الا مضيا فى عملهم فأهلكهم الله كما أهلك الجبارين قبلهم

لوع لاعه الحبُّ يَلوعه أمرضه و(الْتاع قلبه) احترق و (اللَّوعة) حرقة الحزن أو الهوى

لوق لاق الدواة أصلح مدادها و (لَوَّق الطعام) أصلحه بالزبد و (اللُّوْق) كل شيء لين

لوك لاك اللقمة يلوكها لَوْكا مضغها او ادارها فى فمه

لولا حرف يأتى للتحضيض نحو (لولا تستغفرون الله) وللشرط نحو (ولولا دفـع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض) ويقال لها حينئذ حرف

امتناع لوجود أي انتفاء الجواب لوجود الشرط

﴿لوم﴾ لامه على كذا يلومه لوما ومَلاما ومَلامة وبخه فهو لائم وذلك مَليم ومَلوم و (لوّمه) شدد في لومه و (ألامه) بمعنى لامه فهو (مُليم و (ألام الرجلُ) أتى ما يلام عليه و (تلوّم في الامر) تمكث فيه وانتظر و (استلام) استحق اللوم و (اللائمة) مؤنث اللائم

﴿لون﴾ لوّن الشيء جعله ذا لون و (تلوّن الشيء) صار ذا لون. و (رجل مُتلوّن) لا يثبت على خلق

﴿لوى﴾ لوَى فلان دينه يَلوِيه لَيا مطله و (تَلوَّى) انعطف و (التوَى) اعوج و (اللواء) العلم وهو دون الراية جمعه ألْوية و (اللِوَى) ماالتوى من الرمل جمعه ألْواء وألْوية و (التَوى الامر) عسر

﴿ليت﴾ لاتَهُ حقه يَليته لَيْتا نقصه ومثله ألاته

﴿ليت﴾ حرف للتمني تتعلق بالمستحيل غالبا نحو (ألا ليت الشباب يعود) وهي تنصب الاسم وترفع الخبر

﴿ليث﴾ اللَيْث الاسد

﴿الليث بن سعد﴾ هو أبو الحرث ابن سعد بن عبد الرحمن امام اهل مصر في الفقه والحديث

كان مولى قيس بن رفاعة وهو مولى عبد الرحمن بن خالد بن مسافر الفهمي واصله من اصبهان وكان ثقة سريا

قال الليث كتبت من علم محمد بن شهاب الزهري علما كثيرا وطلبت ركوب البريد اليه في الرصافة فخفت ان لا يكون ذلك لله تعالى فتركته

وقال الشافعي الليث بن سعد أفقه من مالك الا ان اصحابه لم يقوموا به

وكان ابن وهب يقرأ عليه مسائل الليث فمرت به مسألة فقال رجل من الغرباء احسن والله الليث كأنه كان يسمع مالكا يجيب فيجيب. فقال ابن وهب للرجل بل كان مالك يسمع الليث يجيب فيجيب هو. والله الذي لا اله الا هو ما رأينا أحداً قط أفقه من الليث

كان الليث من الكرماء الاجواد. ويقال ان دخله كان كل سنة خمسة آلاف دينار وكان يفرقها في الصلات وغيرها

قال منصور بن عمار أتيت لليث فأعطاني الف دينار وقال ضن بهذه الحكمة التي آتاك الله تعالى

كان الليث حنفي المذهب ولي القضاء بمصر . وقيل اهدى اليه مالك صينية مملوءة تمراً فأعادها اليه مملوءة ذهبا

وكان يتخذ لاصحابه الفالوذج ويضع فيه الدنانير ليحصل كل من أكل كثيراً أكثر من صاحبه

. حج سنة (١١٣) وهو ابن عشرين سنة وسمع من نافع مولى ابن عمر . وكان الليث يقول قال لي بعض اهلي ولدت سنة (٩٢) للهجرة والذي أوقن سنة (٩٤) في شعبان وتوفي سنة (١٧٥) هـ ودفن بمصر في القرافة الصغرى وقبره يزار الى اليوم ويقال انه من اهل قلقشندة وهي قرية قريبة من القاهرة

﴿ الليث ﴾ ابن ابي سليم من علماء الحديث توفي سنة (١٤٨) هـ

﴿ ليس ﴾ كلمة دالة على نفي الحال وتنفي غيره بالقرينة وهي فعل لايتصرف

﴿ الِليف ﴾ قشر النخل واحدته لِيفة

﴿ ليق ﴾ لاق الدواة يَليقها لَيقا جعل لها لِيقة . و (لاق به) لصق به و(ما يَليق بك هذا) اى لا يناسبك و (ألاق الدواة) لاقها و (الِليقة) صوفة الدواة

﴿ ليكورغ ﴾ هو اخو بوليديكتوس ملك اسبارطة فلما توفي هذا الاخير سنة (٨٨٤) قبل الميلاد تاركا زوجته حبلى طلبت اليه هذه ان يتزوج بها ويستبد بالملك بعد أخيه على ان تهلك جنينها فأبى ان يفعل ذلك . بل تركها حتى وضعت غلاما فأخذه واهتم به ردعاه ملك اسبارطة وكان يدبر مهام الدولة بالنيابة عنه . ثم حدث بينه وبين امرأة أخيه نفور فكره أن يقيم على تلك الحال فسافر الى جزيرة كريت ومنها الى آسيا الصغرى فمصر لكي يدرس علوم تلك البلاد وشرائعها فحصلت وهو غائب فتن كثيرة في بلاده وجاهر كثيرون بالخروج على الملك وشريعته وبعثوا الى ليكورغ أن يوافيهم على عجل ليضع حداً لهذا الاختلال وألحوا عليه فأجابهم وعاد الى وطنه فسلموه مقادتهم فأخذ في اصلاح الامور ورأب الصدوع وأول شيء عمله تغيير شكل الحكومة من الملكية الى الجمهورية تذرعا الى محو امتيازات الشرفاء والسوية بين الناس في الحقوق فأقام مجلساً مكوناً من ٢٨ شخصاً وجعل للشعب الحرية في انتخابهم وقصرهم على سن الشرائع للبلاد مع ترك الحق للشعب

فى قبول أو رفض ما يقدم اليه من تلك الشرائع

ولما كان ليكورغ يريدان يكون عمله وطيد الاركان ثابت الدعائم رأى أن يهيء شعبه لقبول أخلاق وآداب تساعده على مراميه فقرر بينهم مبدأ المساواة وجعلهم كأعضاء الاسرة الواحدة فقسم بينهم الاراضى بالسوية حتى لايكون بينهم فقير ولا غنى وأبطل التعامل بالذهب والفضة واستبدل الحديد بهما . وغلا فى هذا السبيل حتى قرر أن يأكل الناس بعضهم مع بعض فى مآدب عامة لافرق بين أسرة وأسرة . وعلم انه لا يتم له ثبوت هذه الاخلاق فى الامة الا بتربية النشء على هذه المبادىء الصارمة فقرر ان الاولاد هم حق الجمهورية فكان يأخذهم من والديهم ويسلمهم الى مراضع حتى اذا بلغوا السابعة أخذهم الى مدارس أعدها لهم يعلمهم فيها كيف يحتملون الآلام وشظف العيش واحتقار اللذات والصبر على المكاره حتى انه كان يأمر بضربهم ضربا مبرحا ليعودهم على احتمال الاذى بصبر وثبات وكان المعلمون يؤاسون بين جميع الاولاد فى التعليم والتربية وصارت النساء تبارى الرجال فى هذه الاخلاق فلم تمض سنون معدودة حتى نشأت فى اسبارطة ناشئة من أهل الحرب والاقدام لم يتفق مثلها لامة من الامم فقويت اسبارطة وعزت كلمتها وهابها مجاوروها وبقيت على هذه الحال نحو خمسة قرون ثم عدت عليها العاديات وبادت كما باد سواها من الامم ولو كانت جمعت بين التربية الجسدية والتربية العقلية لكانت أكثر بقاء على الارض وأجمل أثراً فى التاريخ ولكنها لم تلتفت الا للتربية الجسدية فكنت ترى أن جارتها جمهورية آتينا بينما كانت تنبغ الفلاسفة والحكماء ، والمشترعين والاطباء ، فتنشر فى الارض انوار العلم والحكمة كانت اسبارطة جامدة حيث هى لا تفكر الا فى ترقية قوتها الجسدية كالوحشى المفترس فلاغرو ان لم تترك للتاريخ الا هذه الصحيفة الموجزة

﴿ الليل ﴾ من مغرب الشمس الى طلوع الفجر و (ليل لائل) هو أشد ليالى الشهر ظلمة . وسبب تعاقب الليل والنهار دوران الارض حول الشمس فبسبب كرويتها لاتضىء الشمس سائر جهاتها فى آن واحد بل تضىء نصفها فقط ويبقى

النصف الآخر مظلما حتى يحاذى الشمس بدوران الارض فيأخذ حظه من الاستنارة وتتم الارض هذه الدورة فى أربعة وعشرين ساعة

يقال (عامله ملايلة) أى استأجره لليل

﴿ ابن أبى ليلى ﴾ هو أبو عيسى عبد الرحمن بن أبى ليلى وقيل داود بن بلال بن احيحة بن الجلاح الانصارى وفى اسم أبيه خلاف غير ماتقدم

كان من كبار التابعين بالكوفة وسمع من على بن أبى طالب وعثمان بن عفان وأبى أيوب الانصارى وعمر بن الخطاب ولكن الحفاظ لايثبتون سماعه عن عمر . وأبو ليلى له روايه عن النبى صلى الله عليه وسلم وشهد وقعة الجمل وكانت راية على بن أبى طالب معه . وسمع منه عبد الرحمن الشعبى ومجاهد وعبد الملك بن عمير وخلق سواهم

ولد لست سنين بقين من خلافة عمر وقتل بدجيل وقيل غرق فى نهر البصرة وقيل فقد بدير الجماجم سنة (٨٣) فى وقعة ابن الاشعث وقيل سنة (٩٢)

﴿ ابن أبى ليلى ﴾ هو محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى يسار ويقال داود بن بلال بن احيحة بن الجلاح الكوفى

كان ابن أبى ليلى هذا من أصحاب الرأى أى الذين يفضلون الرأى فى الفقه على أحاديث الآحاد وآرائهم فى الفقه ويقولون نحن رجال وهم رجال . تولى القضاء بالكوفة وأقام حاكما ثلاثة وثلاثين سنة فى عهد بنى أمية ثم بنى العباس وكان فقيها مفتيا

كان يقول لاأعقل من شأن أبى شيئا غير انه كانت له امرأتان وكان له حبان أخضران فيبيت عند هذه يوما وعند هذه يوما

تفقه ابن أبى ليلى على الشعبى وأخذ عنه سفيان الثورى

قال سفيان الثورى فقهاؤنا ابن أبى ليلى وابن شبرمة

وقال ابن أبى ليلى دخلت على عطاء فجعل يسألنى فأنكر بعض من عنده وكلمه فى ذلك فقال هو أعلم منى

وكانت بينه وبين أبى حنيفة وحشة يسيرة . وكان يجلس للحكم فى مسجد الكوفة فيحكى انه انصرف من مجلسه فسمع امرأة تقول لرجل ياابن الزانيين فأمر بها فأخذت ورجع الى مجلسه وأمر

بها فضربت حدين وهى قائمة .فبلغ ذلك أبا حنيفة فقال أخطأ القاضى فى هذه لواقعة فى ستة أشياء: فى رجوعه الى مجلسه بعد قيامه منه ولا ينبغى له الرجوع بعد أن قام منه فى الحال . وفى ضربه الحد فى المسجد وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أقامة الحدود فى المساجد. وفى ضربه المرأة قائمة وانما تضرب النساء قاعدات كاسيات وفى ضربه اياها حدين وانما يجب على القاذف اذا قذف جماعة بكلمة واحدة حد واحد .ولو وجب أيضا حدان لا يوالى بينهما بل يضرب أولا ثم يترك حتى يبرأ ألم الضرب الاول .وفى اقامة الحد عليها بغير مطالب

فبلغ ذلك محمد بن أبى ليلى فسير الى والى الكوفة وقال ههنا شاب يقال له أبو حنيفة يعارضنى فى أحكامى ويفتى بخلاف حكمى ويشنع على بالخطأ فأريد أن تزجره عن ذلك . فبعث الوالى الى ابى حنيفة يمنعه عن الفتيا. فيقال انه كان يوما فى بيته وعنده زوجته وابنه حماد وابنته ، فقالت له ابنته انها صائمة وقد خرج من بين أسنانها دم وبصقته حتى عاد الريق ابيض لا يظهر عليه أثر الدم فهل افطرت اذا بلعت الآن الريق . فقال لها أبو حنيفة سلى أخاك حماداً فان الامير منعنى من الفتيا

وهذه الحكاية معدودة فى مناقب أبى حنيفة وحسن تمسكه بامتثال أمر صاحب الامر فان اجابته طاعة حتى انه أطاعه فى السر ولم يرد على ابنته جوابا

ولد ابن أبى ليلى سنة (٧٤) وتوفى سنة (١٤٨) وهو على القضاء فولى أبو جعفر المنصور ابن أخيه مكانه

ليلى الاخيلية

هى ليلى بنت عبد الله الاخيلية الشاعرة المشهورة

كانت من أشعر النساء لا يقدم عليها الا الخنساء كان توبة بن الحمير يهواها فخطبها الى أبيها فأبى عليه فتدله فى هواها حتى دعى مجنون ليلى

قال لها الحجاج بن يوسف الثقفى يوما ان شبابك قد مضى ، واضمحل أمرك ، فأقسم عليك ألا اصدقتنى هل كانت بينكما ريبة قط وخاطبك فى ذلك ؟ فقالت لا والله ياأمير المؤمنين الا انه قد قال لى ليلة وقد خلونا كلمة ظننت انه قد خضع فيها لبعض الامر فقلت له :

وذى حاجة قلنا له لا تبح بها
فليس اليها ما حييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه
وأنت لا خرى فارع وخليل
فلا والله ما سمعت بعدها منه ريبة
حتى فرق بيننا . فقال لها الحجاج فما كان منه بعد ذلك ؟ قالت وجه صاحبا له الى حاضرنا وقال له أعل شرفا واهتف بهذا البيت بين أهله
عفا الله عنها هل أبيتن ليلة
من الدهر لا يسرى الى خيالها
فلما فعل ذلك عرفت المعنى فقالت :
وعنه عفا ربى وأحسن حفظه
يعز علينا حاجة لا ينالها
وعن محمد بن الحجاج بن يوسف قال بينما الامير جالس اذ استؤذن لليلى فأذن لها فدخلت امرأة طويلة دعجاء العين حسنة المشية حسنة الثغر فسلمت عليه فرحب بها الحجاج وقال لها ما وراءك ؟ ضع لها وسادة ياغلام. فجلست .فقال لها ما أقدمك الينا ؟ فقالت السلام على الامير والقضاء لحقه ، والتعرض لمعروفه . فقال كيف خلفت قومك ؟ قالت فى حال خصب وأمن ودعة . أما الخصب في الاموال والكلأ . وأما الامن فقد أمنهم الله عز وجل . وأما الدعة فقد خامرهم من خوفك ما أصلح بينهم . ثم قالت ألا أنشدك أيها الامير ؟ قال اذا شئت . فقالت :
أحجاج لا يفلل سلاحك انما الـ
منايا بكف الله حيث يراها
اذا هبط الحجاج أرضا مريضة
تتبع اقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذى بها
غلام اذا هز القناة سقاها
سقاها دماء المارقين وعلها
اذا جمحت يوما وخيف أذاها
أعد لها مصقولة فارسية
وأيدى رجال يحلبون صراها
أحجاج لا تعطى العداة مناهم
أبى الله أن يعطى العداة مناها
ولا كل خلاف تقلد بيعة
بأعظم عهد الله ثم شراها
فأمر وكيله ان يعطيها خمس مئة درهم ويكسوها خمسة أثواب من خز
وفى خبر آخر انها وفدت عليه فقال لها أنشدينى بعض شعرك فى توبة فأنشدته.
لعمرك ما بالموت عار على الفتى
اذا لم تصبه فى الحيات المعاير

وما أحد حى وان عاش سالما
بأخلد ممن غيبته المقابر
ولا الحى مما احدث الدهر معتب
ولا الميت ان لم يصبر الحى ناشر
وكل جديد او شباب الى بلى
وكل امرىء يوما الى الله صائر
قتيل بنى عوف فيالهفا له
وما كنت اياهم عليه احاذر
ولكننى أخشى عليه قبيلة
لها بدروب الشام باد وحاضر
فقال الحجاج لحاجبه اذهب فاقطع عنى لسانها فدعا بالحجام ليقطع لسانها فقالت ويحك انما قال الامير اقطع لسانها بالعطاء والصلة فارجع اليه فاستأذنه . فلما اخبره استشاط الحجاج غيظا وهم بقطع لسانه ثم أمر بها فأدخلت عليه . فقالت كاد وعهد الله يقطع أيها الامير مقولى : وأنشدته :
حجاج انت الذى مافوقه احد
الا الخليفة والمستغفر الصمد
حجاج انت شهاب الحرب اذ نهجت
وانت للناس نور فى الدجى يقد
﴿الليمون﴾ هو ثمر مشهور حامض يزرع بمصر واوربا ويعرف منه نوعان الليمون البلدى وليمون اضاليا . الاول هو الليمون الحقيقى الذى ينمو فى جزائر الهند الغربية والثانى ليمون ايطاليا المعتاد

الليمون الحقيقى يزرع بمصر منذ زمن بعيد وأما ليمون أضاليا فهو أحدث منه

شجر الليمون البلدى شوكى كثير الفروع أوراقه صغيرة مستطيلة على شكل القطع الناقص وزهره صغير . أما ثمره فلونه اخضر وحجمه صغير مستدير كثيراً أو قليلا وقشره رقيق ناعم كثير العصير حمضى حاد ولبه مر

أما شجر ليمون اضاليا فأقل فروعا الا انها مفلطحة وأقل شوكا من شجر الليمون البلدى واوراقه كبيرة مستطيلة وأبعد عن شكل القطع الناقص من النوع الاول . وزهره كبير وثمره حجمه متوسط الا انه اكبر بكثير من الليمون البلدى ولونه اصفر وقشره سميك خشن مستدير ولبه أقل اشتمالا على العصارة وأقل حموضة

شجر الليمون البلدى يثمر طول السنة اما شجر ليمون اضاليا فلا يثمر الا مرة واحدة فى العام . والنوع الاول يكون على أحسن حالاته فى الصيف وأوائل الخريف أى فى وقت الفيضان . اما ليمون اضاليا فيبلغ أعلى

درجات كماله فى اوائل الربيع واوائل الشتاء

(كيفية زراعته) يزرع البلدى من البذور لامن العقل . وأما ليمون اضاليا فيزرع من البزور ومن العقل أيضا . ويمكن الحصول على النوعين بالترقيد والتطعيم

يستخرج من قشر الليمون زيت ويخلل الليمون البلدى ولكن ليمون اضاليا يُسَكَّر

(تركيب عصارة الليمون) تحتوى عصارة الليمون البلدى على ١٧٧ر١ من الحمض الليمونى و ٧٢ر٠ من قاعدة مرة وصمغ وحمض تفاحى و ٥٧ر٩٧ من الماء والى الحمض الليمونى تنسب خواص الليمون العلاجية

(خواص الليمون العلاجية) اذا استعملت عصارة الليمون بمقدار يسير نبهت الشهية . واذا حلت بالاغذية صيرت طعمها مقبولا وسهلت هضمها وثبت علمياً ان هذا الحمض لا يضعف المعدة بل يميد لها فعلها . فالاشخاص الذين معدهم حارة وقناتهم الهضمية متهيجة يجدون فى الليمون مشروبا نافعا وواسطة دوائية ثمينة . و اذا كان طعم فمهم رديئا ولديهم عسر فى الهضم وجذب وحرارة فى القسم المعدى ونحو ذلك زالت منهم هذه الاعراض بتعاطى الليموناتا باردة مدة ثلاثة أو اربعة أيام ولاسيما فى الصباح على خلاء المعدة

ولكن هنالك أشخاصا لا تتحمل معدهم هذا المشروب فيثقل عليهم اذا كان لديهم تهيج شديد أو حصل فى معدهم حساسية شديدة من تأثير عصبى قوى أو كانت لديهم قابلية للتهيج او كان فى تلك المعدة قروح اوسرطان متقرح او نحو ذلك

والماء المتحمل بعصارة الليمون تمتص قواعده الحمضية وتذهب مع الدم لجميع اجزاء الجسم فاذا كان الجسم فى حالة سكون واعتدال لم يؤثر وصول هذه القواعد للمنسوجات العضوية تأثيراً سيئا ، ولكن الحوامض لا تناسب أرقاء الامزجة الذين لأعضائهم حساسية شديدة فيحدث لهم من عصير الليمون وخز وتعب عام

وانما ينتج من تأثير حمض الليمون نتيجة واضحة عند ماتكون البنية فى حالة تنبه مرضى او صحى فاذا كان الجسم حارا من رياضة قوية او عمل شاق او كان فى الجهاز الدورى حركة حمى بحيث صار النبض قويا سريعا كان تأثيره حمض الليمون

واضحا ولذا يشاهد دائما أن أكوابا من الليموناتا تبطىء النبض وتلطف الحرارة الحيوانية أى تنتج نتيجة معتدلة مرطبة. فاذا استعمل كل ساعتين كوب منها أثناء الحمى كانت نتيجة ذلك تسكين اضطراب الدم والانزعاج الشريانى والاحتراق العام وتعديل قحولة الجلد . وكثيرا ما يحصل من تلك الليموناتا سيلان البول ربما أذهب الهذيان والهبوط ونحو ذلك

وتستعمل الليموناتا مع النجاح فى التهاب الطرق الهضمية والطرق البولية ويجب أن يكون السائل فى علاج الدواء الاول حلواً وأن لا يكون الحمض متسلطا حتى لا يتضرر المريض من مماسته للسطح المعدى أو المعوى المتألم

قال بروسيه ان حمض الليمون هو الحمض الذى تقوى المعدة على تحمله دون سواه فى الالتهاب المعدى

وتعطى الليموناتا أيضا فى أحوال التسمم بالجواهر الحريفة والمخدرة ولا يلتجأ لقوته المعدلة فى التهابات الاعضاء التنفسية لان أجزاء الحوامض التى يمتلىء منها الدم تهيج منسوج هذه الاعضاء فتنبه السعال

ويمتنع استعمال الليموناتا فى الحصبة لما يصحبها من تهيج الجهاز التنفسى الذى يريد من استعمال هذا المشروب

والليموناتا تنفع من القىء وتسكن القولنجات الاعتيادية . ومدحوا عصارة الليمون بأنها مضادة للديدان قوية الفعل وكذا للحفر . وتستعمل أيضاً لتنظيف اللثة واصلاح القروح النتنة . وذكروا نفعها فى الارفة الرحمية الحاصلة عقب الولادة بأن تعصر باليد ليمونة فى باطن الرحم لتنبيه هذا العضو وقهره على الانقباض فينقطع السيلان الدموى

وكثيراً ما تضاف تلك العصارة على الادوية الكريهة كالمسهلة لتستر طعمها وذكروا ان خلطها بمريات الصودا واسطة قوية لعلاج الدوسنطاريات والحميات المترددة وأوجاع الحلق والغنغرينة وربما جعلت دواء ذاتيا للبول السكرى وزلق الامعاء وتستعمل فى الصبغ لايقاظ بعض الالوان كالنيلاء والعصفر

ويجب فى العلاج بعصارة الليمون أن يحترس من تقطير المركبات التى فى القشر لان تلك المركبات حريفة تنبه

الاعضاء العصبية مع ان الواجب حفظها من هذه التنبه

﴿الحمض الليمونى﴾ يوجد هذا الحمض فى الليمون والبرتقال وغيرهما من ثمار هذه الفصيلة ويوجد ايضا منضما مع حمض الماليك فى جميع الثمار الحمر ولا سيما عنب الثعلب

وهو قطع صلبة بيضاء منشورية شبيهة بالشكل المعينى وهو عادم الرائحة وطعمه شديد الحمضية ويصير مقبولا اذا مد بالماء وثقله الخاص ١٫٠٣٤ وهو يحمر صبغة ورق عباد الشمس

وهو مركب من ٣٣٫٨١١ من الكربون ٥٩٫٨٥٩ من الاوكسيجين و ٦٫٣٣٠ من الايدروجين . وقال بوشارداه الخالى من الماء يحتوى على عدد متساوى من الجواهر الفردة والاوكسيجين والايدروجين

(تحضيره) يؤخذ مقدار كاف من عصارة الليمون المنقاة وتشبع على الحرارة بالطباشير المسحوق ناعما شيئا فشيئا حتى تشبع شبعا تاما فينتج من ذلك فوران قوى وليموناتا كلسية لا تذوب بل ترسب فتجنى على المرشح وتغسل مرات كثيرة بالماء الحار حتى يكون ماء الغسيل غير ملون . ثم تعالج الليموناتا الكلسية بالحمض الكبريتى الذى يكون مقداره ضعف مقدار الطباشير

(خواصه الطبية) هذا الملح لا يؤخذ الا ممدوداً بالماء أى بنسبة غرام واحد لكل لتر من الماء محلى بستين غراما من السكر . وهو يستعمل فى جميع ما تستعمل فيه عصارة الليمون واذا أريد حفظه جيداً وجب وضعه فى قوارير محكمة السد . وشراب الحمض الليمونى يصنع باذابة ٢٠ غراما من الحمض الليمونى فى ٤٠ غراما من الماء ويمزج المحلول مع الف غرام من الشراب البسيط الابيض الحار ايضا ويضاف للشراب اذا برد اربعة غرامات من صبغة قشر الليمون . وهذا الشراب مستعمل كثيرا فى المستشفيات لما تستعمل له عصارة الليمون

وأقراص الحمض الليمونى تصنع بأخذ ٩ غرامات من الحمض وغرام واحد من الدهن الطيار لليمون و ٣٩ غراما من السكر ومقدار كاف من لعاب صمغ الكثيرا ويعمل ذلك أقراصا كل قرص ١٢ قمحة ويستعمل من ذلك المقدار الكافى

كثيراً ما يستعمل الحمض الطرطيرى بدل الحمض الليمونى فى جميع هذه المستحضرات لقلة ثمنه ولكن طعم مشروبه أقل لذة من طعم مشروب الحمض الليمونى (المادة الطبية)

﴿ الليمون الشعيرى ﴾ هو صنف من الليمون كان يسميه العرب زنبوعاً وهو بيضى مستدير منته بحلمة قشره اصفر منتقع وحوصلاته الدهنية مقعرة ولبه مائى عذب أو تفه أو قليل المرارة

ومنه صنف ثماره متوسطة الغلظ كرية متوج بحلمة عريضة مفلطحة وقشرتها رقيقة جدا وصفراء منتقعة ولبها عذب فيه تفاهة وعطرية

ومنه صنف آخر ثماره صغيرة كرية أو كمثرية لونها اصفر ليمونى ولبها عذب والصواغ فى الهند يستعملون عصارة هذه الثمار لتنظيف مصنوعاتهم وتستعمل أيضا لتنظيف الثياب والاقمشة

وقال أطباء العرب عن هذا الصنف من الليمون ان لحمه فيه حلاوة ظاهرة ورخاوة بينة وهشاشة وتخلخل ليست فى لحم الاترج ولذا صار أقل برداً وأقرب الى الاعتدال من لحم الاترج وأسرع هضما وأخف على المعدة منه وأما حماضه فكحماض الاترج فى سائر أحواله ولذا صار ينفع فى جميع ما ينفع فيه حماض الاترج وصار شرابه كشرابه

وقالوا أيضا ان هذا الليمون كالليمون الاعتيادى يسكن اللهيب والعطش والصفراء ويفتح الشهية وماؤه ينفع فى الاسهال المزمن والدرب والحميات

﴿ الليمون الحلو ﴾ يزرع من هذا الشجر نوعان وهما البلدى والاضالى أو الكمثرى . فالاول هو الليمون الحلو المصرى والثانى هو الليمون الحلو الهندى الاول يشبه فى الهيئة والحجم البرتقان وقشره أخضر ذابل ناعم ولبه أبيض حلو كثير العصارة الا أنه خال من الرائحة والحموضة وموسمه مبكر فيظهر فى نوفمبر ويختلف الاضالى عن البلدى فى أن شكله بيضى ذو حلمات ولون قشره اصفر خفيف ولبه مصفر حلو كثير العصارة الا أنه خال أيضا من الرائحة والحموضة

﴿ الليمون الهندى ﴾ ثمره كبير الحجم وهو من أحسن الفواكه التى تؤكل على المائدة الا أنه نادر الوجود يزرع منه فى مصر نوعان وهما الماكروكار أو الميكرو

كاربا

فالاول اكبر حجما ولبه وردى أما الثانى فأصفر ولونه أبيض وثمره مستدير قليلا ولونه مصفر وقشره ناعم سميك مر جداً ولبه حلو قليل الحموضة أو كثيرها

أما الترنج فيزرع منه فى مصر أنواع كثيرة أهمها النوع المعروف بالترنج البلدى وهو فاكهة كبيرة الحجم أسطوانية الشكل ولها حلمات فى رأسها وقشرها سميك لين ناعم أو خشن قليلا أو كثيراً محبب وذو رائحة عطرية. واللب الذى لا ينمو الا قليلا مصفر اللون حامض الا أنه عادم العصارة وجزؤه الخارجى تصنع منه مربى جيدة

﴿لين﴾ لان يلين لينا وليانا ولينة ضد خشن أو ضد صلب. و (لين الشىء) ألانه. و (لاينه) لان له. و (الليان) رخاء العيش و (اللين) ضد الخشن. و (اللينة) النخل الدقل جمعها لين و (اللين) ذو اللين

﴿الملينات أو الادوية الملينة﴾ يطلق اسم الادوية الملينة على الجواهر التى تسبب استفراغات ثفلية بسبب تأثيرها المرخى الذى تحدثه على السطح الباطن للامعاء وأما المسهلات فهى التى تحدث الاسهال بسبب تأثيرها المهيج. فاستعمال الدواء الملين لا تعقبه الحرارة الباطنة التى تصاحب غالبا استعمال المسهل فاذا وصل الى المعدة فلا يتحول الى كيلوس بفعلها وانما يؤثر كتأثير المرخيات فيسبب تعبا وثقلا وحسا بكرب فى القسم المعدى وهذه ناتجة فقط من مقاومة القوى العصبية له. وكذلك مروره فى القناة المعوية يسبب مثل تلك الظاهرات. ويظهر أنه يؤثر فى جميع الاحوال كجسم غريب متعب للاعضاء ولذا يشاهد حالا ازدياد الحركة التقلبية التى بها يخرج الجثلة الى الخارج مع المواد الاخر المحوية فى الامعاء. فالاستعمال المستطيل للملينات لا يسبب التهابا فى الغشاء المخاطى المعدى المعوى كما تفعل المسهلات. وانما يسبب ضعفا فى المعدة وفقداً فى الشهية وبطأ فى الهضم واسهالا وتلك أعراض تنقطع باستعمال الجواهر المنبهة أو المقوية

النتائج العامة الحاصلة من تأثير الملينات مباشرة تتغير عن المسهلات لانها لا تنبه جميع الاعضاء وانما تؤثر كتأثير المعدلات والمرخيات

ثم على حسب استعمال تلك الجواهر

أما أن تؤثر تأثيراً موضعياً واما أن لا تغير حالة الاعضاء التي تلامسها تغييرا محسوساً وانما تؤثر على البنية عموماً . فاذا أعطى ملين بجوهره أوممزوجا بمقدار يسير جدا من حامل فانه يسبب استفراغات بدون أن يحدث بالمباشرة ظاهرات هامة . فاذا أذيب فى مقدار كبير من الماء كان تأثيره الموضعى قليل الوضوح ويتوجه بالاكثر تأثيره للبنيـة عموما فيصح ان يقـال ان المرخيات ليست الا ماينات فقدت قوتها فى الطرق المضمية . فما ذكر علم الفرق بين رتبة المسهلات ورتبة الملينات وان كان كل منهما يحرض استفراغات فالملينات تؤثر ببطء ولطف لان قوتها أضعف من قوة المسهلات القوية وانما تماثلا فى الخاصة الدوائية ولذا وضعت فى رتبة خاصة مؤسسة على عدم مساواتهـا للمسهـلات فى القوة والا فالاستفراغات من الاعلى أو من الاسفل لايعرف منها ماحصل فى القنوات المضمية اذ كثيراً ما تحصل تلك الاستفراغات من أسباب مختلفة بل متعارضة . وقد تنسب لمؤثرات ليس فيها أدنى شبه بما ذكره

فاذن يجب الذهاب الى أعلى من ذلك واعتبار الفعل العضوى الذى يصحب او يحرض الاستفراغ الثفلى والقىء ليعرف تأثير المواد الدوائيـة التى لها تأثير كبير بحيث تفرغ القناة المذائية بواسطة ذلك الثوران وتعرف المواد التى تفـ ـل هذه النتائج بحركة اخرى ميكانيـة وتختلف الرتبتان أيضافى التركيب الكيماوى فالجواهر الاولى مكونة من حسم سكرى وجسم لعابى وزيت ثابت والجواهر الاخر يوجد فيها جوهر خلاصى وراتينج وقاعدة حريفة مهيجة وأمـلاح وغـير ذلك ويختلفان ايضا فى الاوصاف المحسوسـة فالملينات عادمة الرائحة ولها طعم سكرى أوتفه أو حمضى والمسهلات يتصاعد منها فى العادة رائحة مغثية وتترك على عضو الذوق طعما مرا كريها واكثر ما نشتغـل به هنا هو فعل هذه الادوية على الاعضاء المضمية فتجد هنالك تخالفا بين الخواص الدوائية للمينات والمسهلات . فالملينات توثر على السطح المعوى تأثيراً يجعله مسترخيا . وأما المسهلات فيحصل منها غير ذلك فتحدث تهيجا خاصـا وتحرض فعل الاعضاء المفرزة والمبخرة والمنفخة فى هذا الغشاء والجواهر الاول أى الملينـات كثيراً ما تتسلط عليها القوى المضمية وتحولهـا الى كيلوس وذلك

لايحصل أصلا فى الادوية الاخرى فانفصال الرئتين احداهما عن الاخرى حصل من مدة طويلة فى صناعة العلاج فقد ثبت بالتجربة الاكلينيكية أنه لا يصلح خلط الملينات بالمسهلات اذ الاطباء يعلمون ان الملينات لاتهيج الخلة ولا تسبب حرارة ولا عطشا كما تفعل ذلك المسهلات الشديدة وان الملينات لا تسرع النبض ولا تحرض التنبه العام الذى حصل دائما من المسهلات ولايخافون من الالتجاء للملينات في الحميات وفى تهيج القنوات الغذائية والآفات الالتهابية ويحذرون فى تلك من تعاطى المسهلات . فالملينات تتمم كل يوم دلالات علاجية لتلك الآفات لا يناسب اتمامها بالمسهلات . وكان هذا كله معلوما لاطباء العرب من زمن طويل كما هو مرقوم فى مؤلفاتهم

اذا علمت ذلك سهل عليك أن تعرف انه لا يمكن وصف الملينات والمسهلات بلقب واحد مشترك بينهما اذ أن أحدهما يحدث فى الطرق الغذائية استرخاء . والثانى يحدث تهيجا . واذا أحدثت الملينات استرخاء فى القناة المعويه انزعجت تلك القناة من المواد الموجودة فيها فدفعها الى الخارج فبالنظر للبنية الحيوانية كلها نرى أن القوة الخاصة بالملينات تختلف من كل وجه عن القوة المنسوبة للمسهلات . لان المسهلات تؤثر فى جميع الاجهزة وسيما الاوعية الدورية تأثيراً منبهاً والملينات تؤثر تأثيراً معدلا ملطفا فتسكن الاضطراب المرضى وتعدل الاحتراق الحى وهذا كله كاف لتحقيق فصل المسهلات عن الملينات فى التقسيم الاقرباذينى . وزيادة عن ذلك فان الملينات لا تحدث تغيراً في المراكز العصبية فلا تعطى للتأثير العصبى صفة جديدة ولا تحرض اعتقالا ولا تركزاً فى النبض ولا انتقاصا ولا تغيراً فى الوجه ولا غير ذلك مما تفعله المسهلات اذا استعملت بمقادير كبيرة

الملينات المشهورة الاجاص والتمر هندى والخوخ الجاف والخيارشنبر والدبس والزنجبيل وزهر الدرفن وزهر الفول وزيت الزيتون وشراب التفاح وعرق السوس والعسل والمن

وقد تمزج هذه الملينات بأدوية أخرى كالمقويات فيكون فيها خاصة التليين وخاصة التقوية معاً كما يضم شراب الكينا الى زيت اللوز الحلو أو زيت الخروع أو

محلول المن فى مطبوخ مر

(مزج الملينات بالمنبهات) ضم قدماء الاقرباذينيين الى المن السمتر وحب الهال والكمون ليكون الاسهال آكد وتكون الاستفراغات أقل بطأ. والمن وحده كثيرا مايحصل منه مدة ساعات قراقر شاقه وقولنجات خفيفة . وانما يحصل فعله من الاسفل أحيانا بعد خمس ساعات أو ست من استعماله ونتائجه تكون أقل تأخراً اذا ضم اليه جسم منبه وكان قدماء الاطباء يأمرون بخلط خيار الشنبر بالقرفة أوجوز الطيب أومسحوق بزور الانيسون أوالشمار أو الكزبرة أو الجزر أو نحو ذلك لاجل التحرز من الرياح والاوجاع والحركات التى يسببها هذا الجسم المخاطى السكرى اذا دام زمنا طويلا فى القناة الهضميه

(مزج الملينات بالمرخيات) الملينات لها تركيب كيماوى كالمرخيات فتتركب من قواعد مثلها أى من أجسام سكرية وأجسام ريتية ولعاب وغير ذلك وهى ممتعة كلها بخاصة ارخاء المنسوجات الحيه فاذا أعطيت المرخيات فى حالة تركز فانها تفسد الحركات الطبيعية للامعاء كالملينات فتنتج مثلها استفراغات ثفلية فاذا أضيفت الملينات الى أدوية هذه الرتبة فانها انما تكون مساعدة لقوتها الدوائية فأوقيتان من المن فى كوب من مطبوخ جذر الخطمية أو بزر الكتان أو فى محلول الصمغ يسببان بالتأكيد استفراغات ثفلية

(خلط الملينات بالمعدلات) كثيرا ماتضاف عصارة الليمون أوعنب الثعلب أو نحو ذلك على المحلول المائى للمن واضافة حمض نباتى لاينوع تنوعا مدركا ممارسة الخاصة الملينة فانا نجد فى لب التمر هندى والقراصيا والخيار شنبر مخلوطا طبيعيا من جسم مخاطى سكرى مع قواعد حمضية

(مزج الملينات مع المسهلات) التراكيب الاقرباذينية التى تمزج فيها الملينات مع المسهلات كثيرة فى كتب مركبات الادوية ونرى كل يوم المن والخيار شنبر وغيرهما من أوراق السنا او قرونه أو الراوند أو الجلابا أو السقمونيا أو غير ذلك . ويسهل ادراك نتيجة ذلك الانضمام فان الجسم الملين معول حقيقى للخاصة المسهلة وليس هو كما يظن مساعداً يلزم أن يعطى زيادة قوة وزيادة سعة لهذه الخاصة . وقد ثبت بالمشاهدة انه من النافع خلط جوهر ملين بجوهر مسهل لاجل

تأكيد النتيجة المفرغة التى لهذا المسهل ولاجل حصول اسهال لطيف متضاعف فاذا استعمل الجوهر المسهل وحده فانه يحرض تهييجا قويا على السطح المعوى ويضع الاعضاء التى تتفتح فيها القنوات المفرزة فى حالة انقباض فالشخص المسهول تحصل له قولنجات ويشعر بحركة عظيمة فى الطرق الهضمية ولكن لايخرج ثفلا من الاسفل الا يسيرآ فجزء ملين يلطف التهيج ويسهل عمل الاجهزة المفرزة ونشاهد كل يوم نفاطات يكون سطحها أحمر حارآ متهيجا ولايخرج منه الا مصل نتن ويحصل منه ضرر كبير فيوضع عليه دواء مرخ فيحصل حالا تقيح سهل كثير وبمثل ذلك يمكن ان أوقية أو أوقيتين من زيت اللوز الحلو استعملتا عشية الاسهال تزيدان فى نتيجته

(مزج الملينات مع المقيئات) تضم هذه الادوية بعضها مع بعض مثاله ضم مقدار مناسب من الابيكاكوانا أو قمحتان من الطرطير المقىء الى أوقيتين من المن محلولا فى الماء فلا يمكن تمييز فعل الجسم الملين فى هذا المركب وانما ممارسة خاصته الملطفة على عضو الهضم تميل لتقيه

قوة الدواء المقىء وحمو وخزاته

(الاستعمال العلاجى للملينات)

الطبيب الذى يريد استعمال الجواهر الملينة يجب عليه ان يراعى دائما نتائجها الموضعية ونتائجها العامة فيعرف أولا ما النتيجة المرادة من هذين القسمين فيقدر مقدار هذه الجواهر وكيفية الاستعمال. فهذه الادوية تستعمل فى الامراض الحمية فتارة بسبب فعلها على الطرق الهضمية وتارة بسبب تأثيرها على أجهزة عضوية أخرى واحيانا يعين هذان النتاجان معآ على مقاومة العوارض المرضية . والقدماء الذين كانوا لايعنون باسم المسهلات الاجواهر شديدة التهيج كانوا يأمرون بالادوية المفرغة فى ابتداء الحميات متى كان هناك علامات ولكنهم كانوا يشكون حينئذ فى فعل المسهلات وكانوا يعرفون وسائط لتفريغ الطرق الهضمية ولدفع المواد التى فيها وللتحرس من توابع التغير الذى يحصل فى هذه المواد اذا مكثت فى القناة الهضمية التى باطنها متهيج فاذن هذه الوسائط من طبيعة واحدة وصفاتها واحدة وتؤثر بكيفية واحدة كأدويتنا الملينة كاللبن المغلى مع عصارة النباتات اللعابية ونحو ذلك .

فني وقت شدة الهيجان الحمى قبل ان يحصل الطفح لا يستقيم الامر بهذه الادوية لاجل تفريغ القناة الغذائية وتستعمل الملينات . وان كان اللسان احمر جافا وكان هناك عطش وكان البول نادراً والجلد قحلا ، وكان هناك بالاختصار تهيج واضح جداً فلا يتجاسر فى هذه الحالة على اعطاء دواء مسهل من المسهلات الحقيقية فهذان النوعان من الادوية متميزان أحدهما عن الآخر اذ ان احدهما لا يجوز استعماله فى الاحوال المرضية التى اذا استعمل فيها النوع الآخر رجى الحصول على نتائج حسنة ويمكن أن ننبه على ان الملينات والمسهلات تختلط بعضها ببعض فى مؤلفات المادة الطبية وتكون احيانا دراستها فى علم الاقرباذين غير تامة فيستنتج من ذلك ان هذين القسمين من الادوية اذا حصل من كل منهما استفراغات ثفلية انكشفت فيها خاصة مؤثرة واحدة ولكن الاطباء الذين يشاهدون كل يوم نتيجة استعمالها فى حالة المرض يجعلون بينها فرقا عظيما بقدر عظم الفرق بين خاصيتيهما الدوائيتين

ويوجد فى كتب بعض محققى الاطباء توضيح النتائج القريبة التى تدل عليها المستنتجات فقالوا ان الملينات تحرض بدون تكدير ولا تهييج استفراغ المواد المحوية فى الامعاء وكما تؤثر فى الطريق الاول تمر أيضا فى كتلة الدم فتعدل الاستعداد التشنجى فى الاوعية وتقلل توترها وتلطف حركاتها وتسكن هيجان السوائل وشدتها وصولتها وغير ذلك

فاذا أريد فى الحميات تفريغ القناة الغذائية وكانت حالة التهيج او الالتهاب فى السطح المعدى المعوى مانعة من كل انطباع مهيج فالتجربة تستدعى استعمال الادوية الملينة . ومن المناسب حينئذ أن تعطى للمريض فى حالة تركز وبمقدار فيه بعض ارتفاع لتؤكد نتيجتها الموضعية . ويمكن اختيار التمر هندى ولب القراصيا والخيارشنبر والمن وزيت الخروع ونحو ذلك فاذا أعطيت هذه الجواهر بمقادير يسيرة أو ممدودة بمقدار كبير من الماء أو من مصل اللبن أو من حامل آخر فان خاصة التليين لا توجد أصلا وانما تظهر خواصها المرضية أو المعدلة وممارسة هذه الخاصة هى التى تقلل الاحتراق الحمى وتلطف اضطراب الدم وشدة فاعلية الجهاز الدورى وتسيل البول وتعدل قحولة الجلد وتحدث التصعد

الجدرى وغير ذلك

وقد يضطر ولكن نادراً لاستعمال المليِّنات فى الحميات المتقطعة أما فى الالتهابات فكما تستعمل المليِّنات لاظهار قوتها فى الطرق الاولى يلزم استعمالها أيضاً لاجل أن ينطبع تأثيرها على الجهاز الدورى والتنفسى والجلدى وغيرها . فاذا أعطى المن فى الجدرى او الحصبة او القرمزية فان قوته الملطفة تظهر أيضا نافعة كخاصته المليِّنة ومثل ذلك أيضا التمرهندى فى الحصبة فالمشروبات المحمضة التى يجهزها هذا الجوهر لا تنتج دائما استفراغات ثفلية مدة كون تأثيرها المعدل يميل دائما لتلطيف العوارض المرضية . وتستعمل أحيانا فى التهابات الاغشية المخاطية للمواد الممتعة بخاصة التليين لاجل تفريغ الطرق الهضمية ولكنها تستعمل ايضا لاجل التلطيف وتسكين العمل الالتهابى

ومدحوا استعمال المن والزيوت المذبة فى بعض التهابات الاغشية المصلية كالالتهاب البلوراوى والبريتونى والرئوى والكلوى وغير ذلك .

وكثيراً ما التجأوا للمليِّنات لتفريغ الطرق الاولية فى هذه الالتهابات وكثيرا ما أعطيت بوصف كونها مرخية

والخاصة المرخية أو المرهلة فى الجواهر المليِّنة تجعلها مضرة فى عيوب الوظائف الهضمية الناشئة من الضعف المادى فى المعدة والامعاء او المتعلقة بضعف التأثير العصبى فى هذه الاعضاء . ولاجل ذلك قد يزيد عسر الهضم وفقد الشهية

وتستعمل المليِّنات فى الامساك الناشىء من افراط القوة او الحرارة فى الامعاء الغلاظ

ومدح بعض الاطباء الزيوت العذبة فى علاج القولنج الحرقفى

واستعمل مع النجاح زيت اللوز الحلو وخصوصا زيت الخروع لاجل اتلاف الديدان المعوية ولكن المنافع التى تنال فى هذه الحالة من الجواهر الزيتية تنشأ من فعل خاص تفعله فى تلك الديدان فهى تقتلها أولا ثم تدفعها الى الخارج

ويؤمر أيضا بالمليِّنات فى الالتهابات والتهيجات فى الاعضاء البولية وعسر البول واحتباسه الناشئين من هذا السبب فيحسن الحال غالبا باستعمال المليِّنات

(تركيب الجواهر المليِّنة وفعلها ومقارنتها بالمسهلات) الجواهر المليِّنة

مركبات من لعاب وسكر وزيت ثابت وحوامض نباتية . وأما الجواهر المسهلة فهى قواعد مرة وخلاصية وملونة بأملاح

والجواهر الملينة طبيعتها غذائية وموادها الكيماوية كثيرا ما تتسلط عليها القوى الهضمية فتتغير طبيعتها وتحولها الى كيموس والجواهر المسهلة ليست قابلة للانهضام ولا يمكن استخدامها فى تركيب القواعد المصلحة للجسم

الملينات ترخى منسوج الامعاء فاذا حصل عقب استعمالها استفراغات سفلية فذلك لكونها صارت جسما ثقيلا متعبا فتسعى هذه الاعضاء فى التخلص منها سريعا اى بدفع جميع ما تحتوى عليه فى باطنها . ولكن المسهلات تحدث فى الطرق الهضمية تهيجا يثير الحركة التقلبية فى الامعاء والاستفراغات التى تتبع استعمال مسهل يتركب معظمها فى اثنال مخاطية ومصلية وصفراوية وهو الذى حرضها

الملينات تفعل على جميع المنسوجات الحية انطباعا مرخيا أو معدلا ولا يتبع استعمالها تكدر اصلا فى التأثير العصبى ولا ينتج اصلا جملة العوارض التى تكون تابعة لافراط الاسهال. وأما الجواهر المسهلة فلها على أصحاب المجموع العقدى وعلى النخاع الشوكى فعل لا ينبغى انكاره . فاذا استعملت بمقدار كبير فانها تعطى للتأثير العصبى صفة اخرى وتحدث اعتقالات فى الفخذين والساقين. ثم ان امتصاص جزيئاتها يثير دورة الدم ويرفع درجة الحرارة الحيوانية وغير ذلك

الملينات تستعمل فى الامراض الناتجة من التهيجات والالتهابات واما الجواهر المسهلة فكثيراً ما تزيد فى قوة هذه الآفات . فاذا استعملت الملينات فى الامراض الحادة فانها كما هو واضح تلطف الاحتراق الحمى وتقلل شدة العوارض المرضية . وأما المسهلات فاذا استعملت فى هذه الامراض فانها تزيد فى الحمى وتقوى جميع الاعراض وقد استفيدت منافع جليلة من المسهلات فى الاحتقانات الدموية التى تكون فى المخ وفى أعضاء الصدر ونحو ذلك. واما الملينات فاستعمالها فى هذه أقله أن يكون غير نافع والمسهلات تكون قوية الفعل فى الاوذيمات الخلوية واما استعمال الملينات فى ذلك فتعين غالبا على زيادة هذه الاحوال المرضية

﴿ الليفا ﴾ الاعضاء الينفاوية لا تزال معرفتها ناقصة وهى تشاهد فى الاعضاء عامة على هيئة كتل غددية مركبة من نسيج ملتحمى شبكى حاويا فى عيون شبكاته عنصراً رئيسيا أو أساسيا كرات بيضاء وفى هذا القسم توجد الاعضاء غير المعروفة التركيب والوظيفة المسماة بالجسيمات الينفاوية أو الغدد الوعائية الدموية

﴿ المزاج الينفاوى ﴾ يكون صاحبه منتفخ الجسم شاحب اللون غليظ الشفتين سمينا لاقوام له رخواً تتعبه أقل حركة ، قليل الاكل عسر الهضم بطيء النبض كثير النوم ومن كانت هذه حالته تناسبه المآكل المنبهة والرياضة والاجتهاد فى تقليل النوم ويجب عليه عمل كل مالا ينمى المجموع الليفاوى فيه مثل الحركة وعدم سكنى الاماكن المنخفضة وعدم التغذى بالاغذية المائية

حرف الميم

﴿ ماب ﴾ قال ياقوت الحموى هى مدينة قديمة قدبادت وصارت قرية تسمى الربة وهى من معاملة الكرك على أقل من نصف مرحلة من جهة الشمال . وبالغرب من ربة رابية مرتفعة الى الغاية تسمى شيان تظهر من بعد . ولماب ذكرشهير فى تاريخ الاسرائيليين قال فى العزيزى وبينها وبين عمان على طريق الموجب (بلد بين القدس والبلقاء) ثمانية واربعون ميلا

﴿ ابن ماجة ﴾ هو ابو عبدالله محمد ابن يزيد بن ماجة الربعى بالولاء القزوينى الحافظ المشهور مصنف كتاب السنن فى الحديث

كان اماما فى الحديث عارفا بعلومه وجميع ما يتعلق به ارتحل الى العراق والبصرة والكوفة وبغداد ومكة والشام ومصر والرى لكتب الحديث وله تفسير القرآن الكريم وله تاريخ جيد وكتابه فى الحديث احد الصحاح الستة

ولد سنة (٢٠٩) وتوفى سنة (٢٧٣) وصلى عليه اخوه ابو بكر وتولى دفنه اخواه ابو بكر وعبد الله وابنه عبدالله

اصله من قزوين وهى مدينة بالعراق العجمى انجبت جماعة من كبار العلماء

الاسلاميين

﴿الماجشون﴾ هو ابو يوسف يعقوب أبن ابى سلمة دينـار وقيل ميمون الملقب بالماجشون القرشى التيمى

كان من موالى المنكدر من أهل المدينة سمع ابن عمر وعمر بن عبد العزيز ومحمد بن المنكدر وعبد الرحمن بن هرمز الاعرج وروى عنه ابناه يوسف وعبـد العزيز وابن اخيه عبد العزيز بن عبد الله ابن ابى سلمة

وقال يعقوب بن ابى شيبة الماجشون يعقوب بن أبى سلمة مولى الهدير

كان الماجشون مع عمر بن عبد العزيز فى ولايته للمدينة ويحدثه ويأنس به فلما ولى عمر الخلافة قدم عليه الماجشون فقال له عمر انا تركناك حيث تركنا لبس الخز فانصرف عنه

ذكره محمد بن سعد فى كتاب الطبقات

وقال يعقوب بن شيبـة قال مصعب كان الماجشون يعين ربيعة الرأى على أبى الزناد لان أبا الزناد كان معاديا لربيعـة الرأى فكان أبو الزناد يقول مثلى ومثل الماجشون مثـل ذئب يلج على أهل قرية فيأكـل صبيـانهم فاجتمعوا له وخرجوا فى طلبه فهرب منهم فانقطعوا عنه الاصاحب فخار ألح فى طلبه فوقف له الذئب فقال هؤلاء أعذرهم وأنت مالى ومالك والله ما كسرت لك فخارة قط . والماجشون ما كسرت له كبرآ ولا بربطا قط

وذكر يعقوب بن شيبـة فى تاريخ المـاجشون ان ابنـه قال عرج بروح الماجشون فوضعناه على سرير الغسل وقلنا للناس نروح به فدخـل غاسل اليه يغسله فرأى عرقا يتحرك فى أسفل قدمه ، فأقبل علينا وقال أرى عرقا يتحرك ولا أرى أن أعجل عليه ، فاعتللنـا على النـاس بالامر الذى رأيناه وفى الغد جاء الناس وعـدا الغاسل عليه فرأى العرق على حاله فاعتذرنا الى النـاس فمـكث ثلاثا على حاله ثم انه استوى جالسا فقال ائتونى بسويق فأتى به فشربه . فقلنا له خبرنا مارأيت ؟ قال نعم عرج بروحى فصعد بى الملك حتى أتى سماء الدنيا فاستفتح ففتح له ثم هكذا فى السموات حتى انتهى الى السماء السابعـة فقيل له من معك ؟ قال الماجشون . فقيل له لم يؤذن له بعد بقي من عمره كذا وكذا سنة وكذا كذا شهرا وكذا كذا يوما وكذا كذا ساعة ثم هبط بى فرأيت النبى

صلى الله عليه وسلم وأبو بكر عن يمينه وعمر عن يساره وعمر بن عبد العزيز بين يديه فقلت للملك الذى معي من هذا ؟ قال عمر ابن عبد العزيز . قلت انه لقريب المقعد من رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال انه عمل بالحق فى زمن الجور وانهما عملا بالحق فى زمن الحق

نقول أن لم تكن هذه الحكاية مختلقة لتكبير شأن الماجشون فهى ولاشك مبالغ فيها فقد يحدث أن يموت الشخص موتا ظاهريا وترى روحه عوالم الغيب ويذكرها بعد افاقته فيخبر عنها وقد حدث ذلك لناس كثيرين ولكن مسألة صعود الملك بروحه واستفتاح أبواب السموات الى غير ذلك كله من بقايا العقائد القديمة التى مؤداها أن الجنة فى السماء وان السماء فوق الارض وانها طبقات عليها حراس من الملائكة، والروح شيء يحمله ملك فوق كفه، وما اشبه هذا مما جاءت العلوم الحقة بدحضه واثبات بعده عن الحقيقة ونسب الى الدين ظلما وزوراً تارة من طريق الاحاديث الموضوعة وطوراً نقلا عن أهل الملل السابقة . جنى كل هذا على الاسلام أولئك المؤلفون الذين يحشرون فى كتبهم كل ما يسمعونه بدون تمحيص بقصد ايراد الغرائب والتبريز فى جمع العجائب

﴿الماجشون﴾ هو ابو مروان عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله بن أبى سلمة الماجشون واسمه ميمون وقيل دينار القرشى التيمى المنكدرى مولاهم المدنى الاعمى الفقيه المالكى

تفقه على الامام مالك وعلى والده عبد العزيز وغيرهما وقيل انه عمى فى آخر عمره وكان مولعا بسماع الغناء

قال أحمد بن حنبل قدم علينا ومعه من يغنيه . وحدث وكان من الفصحاء

روى انه ذاكره الامام الشافعى فلم يعرف الناس كثيراً مما يقولان لان الشافعى تأدب بهذيل فى البادية وعبد الملك تأدب فى خؤولته من كلب بالبادية

وقال يحيى بن أحمد المعدل : كلما تذكرت أن التراب يأكل لسان عبد الملك صغرت الدنيا فى عينى

وسئل احمد بن المعدل فقيل له اين لسانك من لسان أستاذك عبد الملك (الماجشون) ؟

فقال كان لسان عبد الملك اذا تعايا احيا من لسانى اذا تحايا

والماجشون ابو يوسف بن يعقوب المتقدم ذكره هو عم والد عبد الملك الماجشون الذى نحن بصدده . قيل لقيته بذلك سكينة بنت الحسين بن على بن أبى طالب وجرى هذا اللقب على أهل بيته من بنيه وبنى أخيه . وقيل ان أصلهم من اصبهان فكان اذا سلم بعضهم على بعض قال شونى فسمى الماجشون

توفى عبد الملك الماجشون سنة (٢١٣) وقيل (٢١٢) وقيل (٢١٤)

﴿ماذران﴾ قال ياقوت هى قلعة قرب همذان تعرف بقلعة اليسير لأنه فتحها وفى بعض جبال طبرستان بين سنان والدامغان فتحة يخرج منها ريح فى أوقات من السنة على سلك الجادة لا تصيب أحداً الا أتت عليه وجملته كالرميم ولا يقرب منها من الطريق ، يقال لها الماذران

﴿المارانى﴾ هو أبو عمرو عثمان بن عيسى بن درباس بن قير بن جهم بن عبدوس الهدبانى المارانى الملقب ضياء الدين

كان من أعلم الفقهاء بمذهب الامام الشافعى وهو أخو القاضى صدرالدين بن عبد الملك الحاكم بالديار المصرية وناب عنه فى الحكم بالقاهرة واشتغل فى صباه بأربل على الشيخ أبى سعد عبد الله بن أبى عصرون ، وتمهر فى المذهب وأصول الفقه وأتقنهما وشرح المهذب شرحا وافيا لم يسبق الى مثله فى قريب من عشرين مجلدا ولم يكمله بل لقى من كتاب الشهادات الى آخره وسماه الاستقصاء لمذهب الفقهاء وشرح اللمع فى أصول الفقه للشيخ أبى اسحق الشيرازى شرحا مستوفى فى مجلدين وله غير ذلك

وقبل موت القاضى صدر الدين المذكور عزل ضياء الدين عن النيابة فوقف عليه الامير جمال الدين جسر بن الهكارى مدرسة أنشأها بالقصر بالقاهرة وفوض تدريسها اليه ولم يزل بها الى أن توفى فى ثانى عشر ذى القعدة سنة (٦٠٢) بالقاهرة ودفن بالقرافة الصغرى وقد قارب التسعين

﴿مأرب﴾ قال ياقوت الحموى هو بلاد الازد وقيل هو اسم قصر كان وقيل هو اسم لملك سبأ كما ان تبعا اسم لكل من ولى اليمن وهى كورة بين حضرموت وصنعاء

وقال صاحب المرآة والى الجنوب

الشرقى من صنعاء مأرب ويقال لها سبأ سميت باسم عبد شمس الملقب بسبأ قيل بنى هناك سداً عظيما فساق اليه السيول من أمد بعيد وبنى جانبا كبيرا من المدينة على السد وفى بعض السنين ترا كمت الامطار فدفنت السد وهلك بذلك خلق كثير وسميت هذه الحادثة سيل العرم الذى تفرقت به عدة قبائل من العرب قال وفى تلك النواحى كتابات على الصخور بالحرف المسند المعروف بالخط الحميرى نسبة الى حمير بن سبأ

﴿ماردين﴾ قال ياقوت هى قلعة مشهورة على قلة جبل الجزيرة مشرفة على دنيسر ودارا ونصيبين وذلك الفضاء الواسع تحتها ربض عظيم فيه أسواق وفنادق ومدارس وربط فيه كالدرج كل ضرب يشرف على ما تحته من الدور ودورهم ليس دون سطوحها مانع والماء عندهم قليل وأكثر شربهم من صهاريج معدة فى بيوتهم . انتهى

ولا تزال المدينة ماردين قائمة من جهة شرق الرها (ارفة) على رأس جبل مسمى باسمها يصعد اليها بدرج منقور فى الصخر يزيد عدد سكانها على عشرة آلاف نفس وفيهم نصارى

﴿المأزرى﴾ هو أبو عبد الله محمد ابن على عمر بن محمد التميمى المأزرى الفقيه المالكى المحدث

كان أحد الاعلام المشار اليهم فى حفظ الحديث والكلام عليه . شرح صحيح مسلم شرحا جيداً سماه كتاب المعلم بفوائد كتاب مسلم وعليه بنى القاضى عياض كتاب الاكمال وهو تكملة لهذا الكتاب. وله فى الادب كتب متعددة وله كتاب ايضاح المحصول فى برهان الاصول وكان فاضلا متفننا

توفى سنة (٥٣٦) وعمره ثلاث وثمانون سنة

والمأزَرى أو المأزِرى نسبه الى مازر وهى بليدة بجزائر صقلية

﴿المازنى﴾ هو أبو عثمان بكر بن محمد بن عثمان وقيل بقية وقيل عدى بن حبيب المازنى البصرى النحوى

كان أمام عصره فى النحو والادب أخذ عن أبى عبيدة والأصمعى وابى زيد الانصارى وغيرهم .وأخذ عنه أبو العباس المبرد وبه انتفع وله عنه روايات كثيرة .

له من التصانيف كتاب ما تلحن فيه العامة وكتاب الالف واللام وكتاب التصريف وكتاب العروض وكتاب القوافي وكتاب الديباج على خلاف كتاب ابي عبيدة

قال القاضي بكار بن قتيبة قاضي مصر يقول مارأيت نحوياً قط يشبه الفقهاء الاحيان بن هرمة والمازني يعني أبا عثمان المذكور

كان المازني في غاية الورع. ومما رواه المبرد ان بعض أهل الذمة قصده ليقرأ عليه كتاب سيبويه وبذل مئة دينار في تدريسه اياه فامتنع أبو عثمان من ذلك. قال فقلت له جعلت فداك اتردهذه المنفعة مع فاقتك وشدة اضاقتك ؟

فقال ان هذا الكتاب يشتمل على ثلاث مئة مسئلة وكذا وكذا آية من كتاب الله عز وجل واست ارى ان امكن منا ذميا غيرة على كتاب الله وحمية له

قال فاتفق ان غنت جارية بحضرة الواثق الخليفة بقول العرجي :

أظلوم ان مصابكم رجلا
أهدى السلام تحية ظلم

فاختلف من كان بالحضرة في اعراب رجلا فمنهم من نصبه وجعله اسم ان ومنهم من رفعه على انه خبرها والجارية مصرة على ان شيخها أبا عثمان المازني لقنها اياه بالنصب، فأمر الواثق باشخاصه. قال أبو عثمان فلما مثلت بين يديه. قال من الرجل ؟ قلت من بني مازن. قال أي الموازن أمازن تميم أم مازن قيس أم مازن ربيعة ؟ قلت من مازن ربيعة. فكلمني بكلام قومي وقال باسمُك ؟ لأنهم يقلبون الميم باء والباء ميما. قال فكرهت أن أجيبه على لغة قومي كيلا أواجهه بالمكر. فقلت بكريا يا امير المؤمنين

ففطن لما قصدته وأعجب به

ثم قال ماتقول في قول الشاعر (أظلوم ان مصابكم رجلا) أترفع رجلا أم تنصبه ؟

فقلت بل الوجه النصب ياأمير المؤمنين

فقال ولم ذلك ؟

فقلت ان مصابكم مصدر بمعنى اصابتكم

فأخذ اليزيدي في معارضتي. فقلت له هو بمنزلة قولك ان ضربك زيدا ظلم فالرجل مفعول مصابكم وهو منصوب به والدليل عليه ان الكلام معلق الى ان

تقول ظلم فيتم

فاستحسنه الواثق وقال هل لك من ولد؟

قلت نعم بنية ياأمير المؤمنين

قال ماقالت لك عند مسيرك؟ فقلت

انشدت قول الاعشى :

أيا أبتا لاترم عنـدنا

فانا بخـير اذا لم ترم

أرانا اذا أضمرتك البلا

دُ نجفى وتقطع منك الرحم

قال فما قلت لها ؟ قلت قول جرير :

ثقى بالله ليس له شريك

ومن عند الخليفة بالنجاح

فقال على النجاح ان شاء الله تعالى

ثم امر لى بألف دينار وردنى مكرما

قال المبرد فلما عاد الى البصرة قال لى

كيف رأيت ياابا العباس رددنا لله مئـة

فعوضنا الفا

نقول فى هذه الحكاية امر ان يجب

لفت نظر القارىء اليهما (اولهما) ان الورع

لايمنع من تعليم الذمى آيات من كتاب الله

بل ربما كان الاولى تعليمه لانه قد يكون

سببا فى تقديره قدر الاسـلام وتصحيح

اعتقاده فيه

(وثانيهما) اننا لانعقل ان بيتا

كالذى تقدم بصعب فهمه على وجهه واعرابه

على صوابه فى عصر الواثق وبحضرة مثل

اليزيدى فان من تلاميذ المدارس الثانوية

عندنا اليوم فى عصر انحطاط العربية من

يستطيع ان يحلله احسن تحليل فكيف

يتعذر مثل ذلك على جلساء الواثق ومنهم

اليزيدى وهم فى عصر شباب اللغة ثم لا

ينجيهم من الخلاف الا استدعاء المازنى

نفسه من البصرة . ان هذا لشىء عجاب

ولا يفسر الا بادعاء ان الواثق كان قليل

العلم بلغته وان جلساءه كانوا من جهلة الندماء

ولا يبعد ان تكون هذه الحكاية موضوعة

ذكر المازنى عن نفسه قال : قرأ على

رجل كتاب سيبويه فى مدة طويلة فلما

بلغ آخره قال لى : اما انت فجزاك الله خيراً

واما أنا فما فهمت منه حرفا

توفى المازنى سنة (٢٤٩) وقيل (٢٤٨)

وقيل (٢٣٦) بالبصرة

﴿ الماس ﴾ هو كربون نقى (انظر

كربون) متبلور بلورات مختلفة كلها مشتقة

من الشكل المكعب وهو شف (اى شفاف)

صاف ذو لمان بكسر الضوء ويبدده بقوة

ولذلك يستعمل فى الحلى وهو اما عادم

اللون او متلون باللون الوردى او الاخضر

او الاصفر الا الاسمر وقد يكون اسود . وهذه الالوان فيه مسببة من وجود مواد غريبة فى جوهره وهو أكثر الاجسام صلابة فيخطط جميع الأجسام ولا يخططه منها الا البور ولأجل صقله وتسطيحه يدلك بمسحوق نفسه وهو يوجد فى الصخور القديمة الخارجة من جوف الارض فهذه الصخور تتبدد بالمياه فتنجذب قطعها بتيارات الماء ولذلك يوجد معظم الماس فى رمل بعض الأنهار ويوجد فى الهند وجزائر بورنيو وسومترا والبريزيل وفى جنوب أفريقا

ويقدرون وزن الماس بالقيراط وهو يساوى ٢٠٥ ملليمترامات وبلورات الماس لا تتعدى عادة قيراطا واحدا وقد يوجد منها ما يكون كبيراً فتعلو قيمته . فقد كان فى تاج ملوك فرنسا قطعة تزن ٣٠ غراما قيمتها ٢٤٠ الف جنيه وعند دولة الروسيا قطعة تزن ٤١ غراما . ووجدت قطعة في جزيرة بورنيو تزن ٤٧ غراما

وقد أمكن ايجاده بالصناعة بالتأثير الاتحادى لأجزاء متساوية من الفوسفور وكربور الكبريت والماء وبهيئة ذات طبقات احداها فوق الاخرى وتترك ونفسها زمنا ما ولكن لم يمكن للآن تركيبه الا قطعا صغيرة لا تغنى فى الاستعمال شيئا . والهمة مبذولة لايجاد قطع كبيرة منه . وكان بعض المجريين أعلن فى نحو سنة ١٩١٠ انه تسنى له الحصول على قطع كبيرة منه بالصناعة فارتاعت لذلك الخبر الشركات الانجليزية التى تستخرجه من افريقا الجنوبية وتوقعت من وراء نجاحه خرابها وتلاشى رؤوس أموالها التى صرفتها فى اقامة المبانى فى محال استخراجه فحاولت أن تتحدمع ذلك المكتشف على أن يبيع لها اكتشافه وبذلت له مليونى جنيه ثم اتضح له انه لم ينجح فى اكتشافه فأمنت شره ولم تعبأ به

ذكر الماس أطباء العرب فقالوا: ان من أصنافه الهندى وهو أبيض وأكثر ما يوجد بقدر الباقلا وهو قريب من لون ملح النوشادر الصافى. ومنها المقدونى وهو دون ذلك فى البياض وفوقه فى العظم ما يسمى بالحديدى لشبه لونه به والصنف الرابع القبرصى وهو يوجد فى معادن قبرص ويشبه الفضة وبعضهم يجعله حجراً مستقلا برأسه غير داخل فى أنواع الماس لأن من شرط الماس ان لا ينفعل من النار ولا من

الحديد وهذا تعمل فيه النار . ومنه صنف يميل الى خضرة يسيرة وغير خفيفة وهو أردؤها . انتهى كلامهم

نقول وهو الآن يستخرج بمقادير عظيمة من جنوب افريقا وصار للانجليز هنالك معادن ثرية جدا تستخرجه وتصدره الى اوروبا ويستخرج أيضا من كثير من ممالك امريكا

كان القدماء يستعملون الماس في الطب وقد بطل ذلك الآن . وذكر بعض العلماء انه سم ميكانيكي ولو حول الى مسحوق غاية في اللطافة وذلك بسبب صلابته وكون زواياه قاطعة وذكروا مثالا لذلك ما حدث لأحد القناصل من ازدراده ماسة كانت معه فانه مات بسببها

وذكر بعضهم انه يمنع حصول السكر وانه مضاد للتسمم بل أشاروا بزرق مسحوقه في المثانة لأجل تفتيت حصاتها . ونسب كثير من المتأخرين له خاصة مضادة للدوسنطاريا بمقدار درهم ولكن لم يتسن تحقيق ذلك بالتجربة أولا لغلو ثمنه ثانيا لشدة خطره

وقد ذكر قدماء الاطباء انه يقوى القلب تعليقا ويؤمن الخوف ويسهل الولادة ويفتت الاسنان بلا كلفة ولولا ذلك كان أعظم مقولها وهذا كله وهم باطل وقالوا ان المسدس منه يمنع الصرع وهو يكسر جميع الأجساد ويؤثر فيها الا الرصاص فانه يفتته ويؤثر فيه . ويجعل في رؤوس المثاقب لتثقب به اليواقيت وغيرها

﴿ماسذان﴾ قال ياقوت الحموى هي مدن عدة بأرجان يخرج ماؤها من البذنجين ومن هذه المدينة الى الرى عشرة فراسخ بها قبر المهدى ولا أثر بها الى الابناء قد تعفت رسومه ولم يبق منه الا الآثار ثم يخرج منها الى السيروان والى الصيمرة

وقال القزويني ماسبذان بالذال المعجمة مدينة مشهورة بقرب السيروان كثيرة الشجر والحميات والكباريت والزاج والبوارق والامـلاح بها عين عجيبة من شرب منها قذف اخلاطا كثيرة لكنه يضر بأعصاب الرأس . وان احتقن بمثلها أسهل اسهالا عظيما

﴿مَأْق﴾ العين ومُؤْقها ومُوقها وموقِيها طرفها مما يلي الانف وهو مجرى الدمع . و (ماقيها) مؤخرها جمعها مَآق وماق ومُؤق وآماق وجمع المؤقى مآق و (الـمَائِق) الباكي الذي أخذته المأقة

وهى شبه الفواق يحصل عندالبكاء

﴿ابن ماكولا﴾ هو الامير سعد الملك ابو نصر على بن هبة الله بن على ابن جعفر بن خلكان بن محمد بن دلف ابن ابى دلف القاسم بن عيسى ابن ادريس ابن معقل بن عمير العجلى ، المعروف بابن ماكولا وهو من ذرية ابى دلف العجلى احد قواد هرون الرشيد المعروف بالشجاعة والكرم

اصله من جرباقان من نواحى اصبهان استوزر الامام القائم بأمر الله العباسى أباه وتولى عمه ابو عبدالله الحسن بن على قضاء بغداد

سمع الحديث الكثير وصنف المصنفات النافعة وأخذ عن مشايخ العراق وخراسان والشام وغير ذلك

كان ابن ماكولا احد الفضلاء المشهورين تتبع الالفاظ المشتبهة فى الاسماء الاعلام وجمع منها شيئا كثيرا . وكان الخطيب أبو بكر صاحب تاريخ بغداد قد أخذ كتاب ابى الحسن الدار قطنى المسمى المختلف والمؤتلف وكتاب الحافظ عبد الغنى بن سعيد الذى سماه مشتبه النسبة وجمع بينهما وزاد عليهما وجعله كتابا مستقلا سماه المؤتلف فى تكملة المختلف فجاء الامير أبو نصر المذكور وزاد على هذه التكملة وضم اليها الاسماء التى وقعت له وجعله أيضا كتابا مستقلا وسماه الاكمال وهو فى غاية الافادة فى رفع الالتباس والضبط والتقييد وعليه اعتماد المحدثين وارباب هذا الشأن فانه لم يوضع مثله . ولقد أحسن فيه غاية الاحسان . ثم جاء ابن نقطة وذيله وماقصر فيه . ولا يحتاج الامير ابن ماكولا مع هذا الكتاب الى فضيلة أخرى فانه فيه دلالة على كثرة اطلاعه وضبطه واتقانه

وينسب اليه من الشعر قوله :

قوض خيامك عن أرض تهان بها
وجانب الذل ان الذل يجتنب
وارحل اذا كان فى الاوطان منقصة
فالمندل الرطب فى أوطانه حطب

ولد فى عكبرا سنة (٤٤١) وقتله غلمانه بجرجان سنة نيف وسبعين واربعمئة

وذكر ابو الفرج بن الجوزى فى كتاب المنتظم انه قتل سنة (٤٧٥) وقيل فى سنة (٤٨٧) وقال غيره سنة (٤٨٩) بخراسان وقيل بالاهواز

قال الحميدى خرج الى خراسان ومعه غلمان له أتراك فقتلوه بجرجان واخذوا ماله

وهربوا وطاح دمه هدراً رحمه الله تعالى . مدحه الشاعر المعروف بصردر

قال القاضي بن خلكان الذي ننقل عنه هذه الترجمة: « لا أدرى سبب تسمية بالامير هل كان أميراً بنفسه أم لانه من أولاد ابي دلف العجلي »

ومن شعره :

ولما تفرقنا تباكت قلوبنا
فممسك دمع عند ذاك كساكبه
فيانفسى الحرى اكتسى ثوب حسرة
فراح الذى تهوينه قد كساك به

وقال ايضا :

فؤاد مايفيق من التصابى
أطاع غرامه وعصى النواهى
وقالوا لو تصبر كان يسلو
وهل صبر يساعد والنوى هى

وقال ايضا :

علمتني بهجرها الصبر عنها
فهى مشكورة على التقبيح
وأرادت بذاك قبح صنيع
فعلته فكان عين المليح

وقال أيضا :

أقول لقلبي قد سلا كل واحد
ونفض اثواب الهوى عن مناكبه
وحبك مايزداد إلا تجلدا
فياليت شعرى ذا الهوى من مناك به

وقال أيضا .

تجنبت أبواب الملوك لانني
علمت بما لم يعلم الثقلان
رأيت سبيلاً لم يحد عن طريقه
من الشمس الا من مقام هوان

المؤونة الثقل والشدة والقوت و(مأنه يمأنه) احتمل مؤونته

مالطة هي جزيرة من جزر البحر الابيض المتوسط تملكها انجلترة تبعد ٩٠ كيلو متراً عن جزيرة صقلية وعلى بعد ٢٩٠ كيلو مترا من شاطىء تونس مساحتها بما فيها مسائح الجزر الاربع التابعة لها ٢١٩ كيلو مترا مربعا وعدد أهلها ١٨٦٧٠٠ عاصمتها فاليتا

أرض مالطة مجدبة وقد ترى عليها الصخور عارية وليس بها الا نحو خمسة نهيرات قليلة المياه فماؤها قليل ولولا ان اهلها يختزنون المياه فى الصهاريج لاعوزهم الشرب

جوها فى الشتاء معتدل صحي متوسط درجة حرارتها فى أشهر البرد ١٤ درجة وأقصى حد تصل اليه ١١٫٧٥ والاقامة

فيها فى شهر فبراير حيث تكون الامطار الغزيرة قد انقطعت عنها يعد من اللذات الطبيعية ولذلك يقصدها كثير من الانجليز فى هذا الشهر ليخلصوا من جو انجلترة الكثير الضباب فى ذلك الوقت من السنة ولكن حرها شديد جداً من يونيو الى آخر اكتوبر فان حرارتها تبلغ الى ٤٠ درجة ونصف درجة فى النهاية العظمى والى ٢٩ او ٣٠ فى المتوسط . وتهب فيها اثناء الصيف ريح يسمونها السيروكو مخيفة جداً فانها تجفف كل شيء وتثير من الغبار مايكفى لتغطية جميع المحصولات الزراعية

قلنا ان ارض مالطة جدبة ولكن عمل المالطيين المتواصل جعلها تنتج بعض الاصناف النباتية . ولكن الكثيرين منهم يهجرونها للزراعة فى صقلية

من محصولات مالطة الآن البرتقال واليوسف افندى والتين والحبوب وتكثر فيها المعيز والحمير والبغال ففيها منها نحو ٦٠٠٠ رأس ومن الغنم نحو ١٠٠٠٠ ومن حيوانات اخرى ذات قرون ٩٠٠٠

ومع ذلك كله فان مالطة لاتستطيع ان تكفى اهلها مؤونة الحياة فهم مضطرون لجلب كفايتهم من الخارج اما بالاعمال البحرية من الصيد وغيره واما بالهجرة الى مصر وتونس والجزائر وسيسليا وغيرها

المالطيون معروفون بالقوة والنشاط وحب العمل ولكنهم قساة يلعبون بالسلاح فيما لا ينبغى أن يمد فيه الى السلاح ويقدر عددهم بربع مليون

حكومة مالطة مؤلفة من الحاكم الانجليزى ومن ثمانية أعضاء ينتخبهم الاهالى وهم الذين يسنون القوانين للجزيرة . والبلاد هناك تنقسم الى ٤٥ مركزاً لكل مركز حاكم . وقد بلغ ايراد الجزيرة سنة ١٨٩٣ (٢٧٥٠٠٠) جنيه ويبلغ ماعليها من الديون (٧٩٠٠٠) جنيه

ليس بمالطة غير ١٣ كيلو متراً من السكك الحديدية و ١٠٥ كيلو مترات من أسلاك تلغرافية . وفيها مدارس ابتدائية ومدرستان ثانويتان وجامعة للعلوم العالية انشئت سنة ١٩٦٨

المالطيون ديانتهم الكاثوليكية ورئيس اساقفتهم يعينه البابا ويتمتع بايراد يقدر بمئة الف فرنك وهو يحمل لقب مطران رودس ايضا

يبلغ عمق ميناء مالطة من ٢٠ الى ٢٤ متراً وفيها تسعة احواض من صنع

الطبيعة منحوتة فى الصخور فتستطيع الاساطيل الكثيرة الالتجاء اليها فى امان تام وبمعزل عن كل مهاجمة من الخارج

تعتبر مالطة من الموانى التجارية التى توصل الى انجلترة فان حبوب روسيا ورومانيا تصل اليها لتسافر منها الى البلاد الانجليزية وقد بلغ محمول السفن التى دخلت اليها وخرجت منها سنة (١٨٩٣) ٨١٨١٠٠٠ طن ويقدر ثمن بضائعها بأربعين مليونا من الجنيهات

وقد وقفنا فى جريدة الاهرام الصادرة فى ١٧ ديسمبر سنة (١٩١٤) على وصف مفصل لمدن مالطة ولغة اهلها فرأينا أن ننقله عنها بعد ماتقدم تتميما للفائدة قالت:

(أشهر مدن مالطة) «فاليته» وهى قاعدتها وبها ميناؤها الكبير وقد تقدم وصف موقعها وبها كاتدرائية كبيرة وأوبرا جميلة ومن أهم آثارها مدافن فرسان ماريوحنا وميناؤها الكبير ينقسم الى قسمين الواحد للبوارج والبواخر الكبيرة والآخر للسفن التى هى أصغر منها وهى كثيرة الحصون القديمة والحديثة على الجانبين ومعظمها ظاهرة فى الصورة . وفى فاليته فنادق للمسافرين

ثم مدينة فلوران وسنجلية وفتوريوز (أى المنصور لحرب انتصر فيها أهل مالطة على المسلمين) وكوسيسكوو (مدينة) (نوتانيلى) القاعدة القديمة وستافاليا ولربط وسليمة ومن قراها المعروفة مليحة والقديس بولس وموسناوبيرشر كاراوليه وعطرد وبلران ونكسار وجرجوروميسيدا وزيتون وقورية ونحو ٢٠ قرية غيرها

والى يمين فاليته خلف الميناء سهل متسع اسمه «مرسه» وهو اشهر ميدان فى مالطه ويستعمل للاحتفالات الكبيرة وعرض الجند

ومن القشلاقات العسكرية الشهيرة فى مالطة قشلاق فلوريانا وقشلاق بمبروك وقشلاق ام طرفه وقشلاق فردالا وقشلاق سنت كلمت ويرجح أن الاسرى يورعون على هذه القشلاقات وقد سبق لنا أن نشرنا فى الاهرام كتابا وردمن احدهم فى «سنت كلمنت» وقشلاق سنت كلمنت هذا يبعد نحو ميلين عن ميناء فاليته

ومن اشهر قلاع مالطة قلعت سنت الموو قلعة سنت انجل وقلعة مادلينا

* * *

(محاصيلها) العسل والقطن والعنب

والبرتقال والمشمس والخوخ والخروب والتين وغيرها من الفاكهة والذرة والقمح والشعير وتبلغ مساحة الارض المزروعة فى مالطة نحو ٤٦٥٣٤ فدانا

* * *

(لغة مالطة) ذهب بعضهم الى انها عربية فاسدة وقال آخرون فينيقية غير انا نراها خليطا من العربية والايطالية وغيرها من لغات الامم التى احتلت مالطة وقد وصف احمد فارس الشدياق لغة مالطة بقوله :

تبالها لغة بغير قراءة
وكتابة عين بلا انسان
تتبلبل الالباب فى تركيبها
ويكل عنها حد كل لسان
أذنابها ورؤوسها عربية
فسدت وأوسطها من الطليانى

وانا لنذكر تفكهة للقارىء بعض ابيات منظومة باللغة المالطية وتحت بعضها تعريبه :

سيار التبر دقوا ترمبيته
«اطلقوا المدافع وتفخوا بالبوق»
جانيى عاد وما جيش
«وحبيبى الآن لم يحضر»
قضبت العونلامرت انفتشو
«لبست العباءة وخرجت افتش عليه»
تسيبو وخرجت شبيبيت
«وجدته جالسا فى حضن شابة»

وغيره

يبنا تحو وانت تحبنى
حلى لملك ويا ميعى
حل ترى من هو الحيار
يبنك يطعمك البسكوتينى
ورقدك فوق الطيار

غيره

المحبوب تاقلبى سافر
ليلى ونهارى نبكيح
جعلتلو بدمعى البحر
وبالتنهدات تاقلب الريح

غيره

يبنا اشتقت نجى فوق سدتك
تجى شبيهة تاعصفور
نطفى المصباح بجوانحى
نعطيك بوسة ورجع تمور

هذا ويلاحظ القارىء أن هذه الابيات أغلبها عربى وقد خلت من أى شىء آخر ولعل سبب ذلك ان العرب هم الدين علموهم الشعر لاسواهم لما اشتهر عن

العرب من الولع بالنظام

وأهل مالطة يقولون عنها « حبيبتنا مالطة الفلوروتا الموندو » وهذا بعضه ايطاليا والبعض الآخر عربى وتعريبه «حبيبتنا مالطة زهرة الدنيا» وهم يقولون التفاح «تفيح» وللرمان «رمين» وللبطيخ « بتيخ » وللخيار « حيار » والاجاص « لنجاص » وللخبز « حنز »

ويتعلمون كل لغة ماعدا لغتهم وكانت الحكومة الانجليزية قد فكرت ان تضع للغة مالطية طريقة تكتب بها وتقرر مبدئيا ان تستعمل الحروف العربية غير ان معارضة بعض الاساتذة الايطاليين عرقلت ذلك وأهمل هذا الامر

ومن سكان مالطة ١٢ فى المئة يتكلمون الايطالية ونحو ١٩ الفا يتكلمون اللغة الانكليزية وعدد هؤلاء يزيد سنويا وفيها ٨٩ مدرسة تحضيرية نهارية و ٣٣ ليلية

وفى فاليته مدرسة عالية للبنات واخرى للذكور فى (كوتازغودش)

(ديانتها) معظم اهالى مالطة من الكاثوليك وهم شديدو التعصب يحافظون كثيرا على الطقوس الكنيسية والاعياد وفى مالطة من الكنائس الكبار سبع وسبعون ومن الصغار مائتان وخمسون ومن الاديرة أحد وعشرون . انتهى ما نقلناه عن الاهرام

(تاريخها) يقل فى البلاد بلد لقى ما لقيته مالطة من التقلبات السياسية فقد يستدل من قصيدة هوميروس الشاعر اليونانى القديم ان (الفنيقيين نزلوا بها)

وذكر ان بها مغارة الهة المكر كاليسو التى ذكرها الفيلسوف فنيلون الفرسى فى روايته المسماة تليماك . وقد أسس بها الفنيقيون سنة ١٢٠٠ قبل الميلاد مركزا تجاريا. وقد حملوا اليها طينا زراعيا وأنشأوا بها الحدائق الغناء والمروج

ثم انتقلت مالطة الى حكم اليونان سنة (٧٣٦) قبل الميلاد ثم ملكها القرطاجيون سنة (٤٠٠ قبل الميلاد وكانت إذ ذاك شهيرة بمنسوجاتها القطنية وبوردها وعسلها

ثم صارت فى القرن الاول للصوص البحر . ويروى ان القديس بولس غرق بها سنة ٥٦ بعد الميلاد

وفى القرون الوسطى وقعت على التعاقب تحت نير الفنداليين سنة (٤٥٤) والاسترغوثيين سنة (٤٩٤) ثم استولى

عليها بيليزر الرومانى ثم ملكها العرب سنة (٨٧٠ و ٩٠٤) وسموها مالطاس وهو الاسم الذى حفظته للآن . ثم ملكها النورمانديون سنة (١٠٩٠) وجعلوها مقرا لمركيز من اشرافهم . ثم استولى عليها الاراغونيو واتبعوها الى صقلية ومن عهدها كان حظها تابعا لحظ متبوعها حتى جاء الامبراطور شارلكان الالمانى النمساوى واقطعها فرسان سان جان الاورشليميين الذين طردهم الاتراك من رودس سنة (١٥٢٥) وأيد المنشور البابوى ذلك سنة (١٥٣٠) فاضطر أولئك الفرسان لصد الاتراك عن الجزيرة وتمكن رئيسهم لافيت سنة (١٥٦٥) من صد غارة هائلة أغارها عليها السلطان سليمان العثمانى وأسس المدينة التى تحمل اسمه الى الآن وهى عاصمتها . ودام هؤلاء الفرسان يدفعون عنها قرصان البحر مدة طويلة فكانت مالطة فى زمنهم قائمة مقام الشرطة البحرية ضد هؤلاء اللصوص

ولما جاء نابليون استولى على هذه الجزيرة فى مقابل مال دفعه لرئيس هؤلاء الفرسان . ولكن الانجليز حاصروها سنتين ودخلوها عنوة فى ٨ ستمبر سنة (١٨٠٠) ورغما عما تعاهدوا به فى معاهدة (اميان) سنة (١٨١٢) من رد الجزيرة الى أصحابها لم تستطع انجلترة أن تقوم بهذا التعهد . وجاءت معاهدة باريس سنة (١٨١٤) معترفة لانجلترة بحقها فى البقاء فيها فصارت مالطة الآن أقوى موانيها الحربية فى البحر الابيض المتوسط

﴿مالقة﴾ هى مدينة باسبانيا ثغر على البحر الابيض المتوسط تبعد عن مدريد بنحو ٤١٥ كيلو متراً يصدر منها البرتقال والليمون والنبيذ والزيت والرصاص وبها معامل للصابون والسكر عدد أهلها نحو (١٢٧٠٠٠) نسمة بها ميان عربية قديمة منها دار الصناعة ومكان محصن ويسميها الفرنج (مَلَـجا) اول من بناها الفنيقيون وهى زاهية العمران الى اليوم

﴿الماليخوليا﴾ ويقال لها المالنخوليا أيضا وهى مرض عقلى خاص وصفه المميز له ان يكون المصاب به حزينا كئيبا ولكنه لا يصاب بهذيان ولا بجنون

هذا الداء يكون احيانا وراثيا واحيانا ناشئا من ضعف المجموع العصبى البطىء، وتارة يكون مسببا من الاحوال الطارئة على الشخص كحزن واهتمام وافراط عقلى من

عدم الرياضة وقد يشتد هذا المرض باهماله

(وصف المرض) يشعر المريض بضعف قواه المعنوية وبحزن شديد على أثر مصائب بيتية مؤلمة أوغيرها ، ويكون شكله دالا على المرض. فيصير كل شيء كان يوجب له السرور والغبطة فيا مضى ثقيلا عليه لايستطيع احتماله . وقد يشعر المريض بخوف وذعر ويكون بصره تارة مضطربا بتحير وتارة ثابتا . وتراه لايهتم بملابسه وهيئته ويصبح لونه سنجابيا شاحبا . ويشعر بسوء هضم وهزال وقد يصحب هذه الاعراض سرعة غضب وشدة حس بكل شيء خارجي . وقد يكون على العكس قليل الحس

وقد يشاهد على المريض ضلال فى وجهتما او وجهات متعددة من تيارات أفكاره فيصور أمورا غير معقولة اومضطربة و متغيرة . وقد يكون لطريقة كلامه وعمله صفات تشير الى مرضه . وقد يكون له افكار ثابتة فى امور وهمية خاصة بينما يكون هو فى جميع افعاله واقواله الاخرى يجرى على وتيرة منتظمة . لاتبدو عليه اى علامة من علامات الاضطراب العقلى

(علاج الماليخوليا) الطب العلاجي لاتأثير له على هذا النوع من المرض اللهم الا اذا كان بالمريض ضعف أو مرض جثمانى فيعالجه الاطباء من الوجهة الجثمانية أما المرض الاصلى فيلبث معه ويستعصى على كل علاج . وقد عنى أطباء العرب بكثرة الكلام على الماليخوليا فوصفوا لها الافتيمون والحلتيت وغيرهما ولكن ثبت أن هذه المحاولات لاتفيد فوائد يحسن السكوت عليها

اما العلاج الذى ثبت نفعه بالتجربة فهو الرياضة والارادة: فعلى المصاب بهذا المرض ان يرتاض فى الرياض والخلوات وأن يجد فى تقوية دمه واعصابه بترك اعماله العادية حينا من الزمن وان يصرف جميع اوقاته فيما يصرفه عن الفكر فى ذاته . هذا من جهة . ومن جهة اخرى وهى اهم الجهتين ان يقوى ارادته ويبعثها الى اقصى قواها فى مقاومة المرض فاذا كان ينتابه المرض على شكل وهم وغم وجب عليه ان يقوى ارادته فى التغلب عليه بأن يوحى الى نفسه انه ليس بمهموم ولا بمغموم وان الهم والغم ليسا الا عرضين زائفين ولا تأثير للاعراض على الجواهر متى انفت منها او ترفعت عنها . وان كان المرض يقلقه من جهة ايهامه

بأمور وهمية أو خيالات عقلية وجب عليه أن يقوى ارادته فى ابعاد ذلك عن فكره بكل وسعه ومهما كلفه ذلك غير مدخر وسيلة من الوسائل معتقداً انه بهذا العمل يزيل هذه الاوهام ويبددها وتصبح لا تأثير لها عليه أصلا كما ليس لها تأثير على غيره

وان كان الداء يزعجه من جهة خوف أو توقع مكروه أو مصائب يبتية وجب عليه أن يدفع ذلك بكل قواه ويهرب من التفكر فيه كما يهرب من الحيوانات الكاسرة فلا يجوز أن يجلس وحده مفكراً فى كيفية التخلص من هذه الاوهام فان ذلك يزيدها نشوبا فيه وان كان يعتقد انه يبحث عن وسيلة يتخلص بها منها ، بل عليه أن لا يفكر فيها بتاتا ولو توهم ان عدم فكره فيها سيوجب عليه ما يوجب من الآلام

اذا أتقن المريض استعماله هذا النوع من الارادة شفى مما به فى عشية أو ضحاها وأما ان استسلم لها أوردته الموارد المرة وكدرت عليه صفاء الحياة ونعيمها

فعلى المصابين بهذا المرض أو بما يشبهه أن يستفيدوا من القوى العتيدة التى أودعها الله فى نفوسهم فيبعثوها من مكامنها ويستثيروها من مواطنها لينالوا بها الدرجات العالية التى عينها الخالق للانسان من غايات الكمال البشرى وان لا يستسلموا للضلالات العصبية الحقيرة فينغصوا عيشهم ويقضوا عليهم بعدم التقدم الى تلك الغايات التى لا تصفو حياة الآدمى الا بالوصول اليها . وانا لآتون هنا للقارىء ببحث جديد لعدة من كبار المجربين فى التنويم المغناطيسى وهو يستند على ما كشفه البحث من امكان تلقين الانسان نفسه بنفسه وهو صاح كما يلقن المنوّم المنوَّم فى حالة الاستهزاء فيؤثر فى ذاته مثل التأثير الذى يؤثره الاول فى الثانى وهى خطوة عظيمة جداً فى سبيل معالجة النفس بالنفس فليحرص عليها القراء فانها من الاسرار الطبية العزيزة المنال وليستفد منها المصابون بالاوهام العقلية فانها خير وسيلة لما بهم من الاعراض ولقد كتبنا فى ذلك فصلا فى مجلتنا (الحياة) فننقله عنها :

منذ عدة من السنين اندفع جمهور من علماء الطب الفرنسيين للبحث عن أسلوب جديد للعلاج يكون مؤسسا على التنويم المغناطيسى فأحدثوا فى ذلك تجارب عديدة جاءت بأحسن النتائج وخصوصا فى

الامراض العصبية التي أخذت تلتهم جميع الطبقات فى العصر الحاضر باسم الهستريا والنوراستانيا . وكان العلماء الذين اجتهدوا فى هذا الموضوع الدكاترة ريبو وليبولت وديلاجراف وليمجو وليفى وبيرنهيم من جامعة نانسى

ولا يخفى ان هذا النوع من المعالجة يقتضى أن ينوم المريض تنويما مغناطيسيا ويُلقن ما يجب ان يُلقنه مما يكون أكبر العوامل فى شفائه

ولكن الدكتور ليفى توصل الى طريقة يمكن الاستغناء بها عن الطبيب المنوم ويستطيع بواسطتها كل انسان ان يلقن نفسه بنفسه ما يريد ان يكون عليه من الصفات وسمى طريقته التلقين الذاتى

هذه الطريقة لا تستدعى أن ينام المريض ولاان يتولاه احد سواه فهوذاته يصلح لان يتولى علاج نفسه من كل ما ألم به من الامراض العصبية وما يتبعها من ضعف الارادة وفقد العزيمة والخوف والوسوسة الخ

وقد قرر الدكتور ليفى ان السير على طريقته يؤثر تأثيراً صادقا سواء اعتقد المريض فى تأثيرها أم لم يعتقد

وتعليل حدوث الشفاء بطريقته ان المخ أصل جميع الاعصاب المنبثة فى الاعضاء وان تلك الاعصاب هى العوامل التى تدفع تلك الاعضاء لاداء وظيفتها فاذا تكدر المخ وأصابه ما يزعجه تكدرت تلك الاعضاء وأنزعجت واذا اطمأن واعتدل تبعته فى ذلك . ولما كانت اضطرابات الاعضاء فى الامراض العصبية تابعة لاضطرابات المخ فان كل هدوء يحدث لها ويتنزل منها يؤثر على مجموع الاعصاب تأثيراً يكون له أعظم النتائج المحسوسة

قال الدكتور ليفى :

« كل فكرة يقبلها المخ تميل لأن تنقلب الى عمل محسوس وكل خلية مخية تتأثر بفكرة تؤثر على الألياف العصبية التى يجب ان تحققها » بهذا أيد الدكتور ليفى ما قاله قبله الدكتور بيرنهيم وهو : « ان الفكرة تنقلب فى الجسم احساساً وحركة »

فاذا كان أحدنا يشكو من ألم فى رأسه ونوم نوما مغناطيسيا ولقن بأنه لا يشعر بألم فيه ثم اوقظ شفى من ذلك الالم . هذا أمر مثبت بألوف من التجارب . وعند الدكتور ليفى ان النوم ليس بضرورى فاذا لقن الانسان نفسه بنفسه انه لا يشكو من

ألم فى رأسه شفى منه كما لو نومه منوم ولقنه ذلك

وبما ان الامراض العصبية أكبر اسبابها تركيز الانتباه على الافكار المهيجة المؤثرة أو المخيفة المزعجة ودوام القلق والخوف والاهتمام بأمر الحياة الخ كان لتهدىء المخ وتلقينه هذا الهدوء والسكون للاعصاب اكبر تأثير فى ازالة هذه الاعراض العصبية المؤلمة

كيف نحصل على تهدىء المخ؟
(وكيف نجعله يلقن ذلك)
للاعصاب ؟

رأى الدكتوران ليبولد وليفى مان احسن وسيلة لذلك تضمن حصول الهدوء المطلوب الذى له أكبر النتائج على صحة الاعصاب هى ان يجلس الانسان او يستلقى على سريره فى غرفة بعيدة عن اللغط وأن يغمض عينيه ويخلى فكره من جميع المشاغل ويرخى جميع عضلاته ويستمر على هذه الحالة زمنا حتى يصير كمن هو على وشك النوم فاذا شعر جسمه براحة تامة وعقله بهدوء عظيم كان ذلك وقت العمل فاذا كان يريد أن يستشفى من ألم فى الدماغ أو من خوف يعتريه احيانا أو من وسوسة تقلقه كثيراً فليقل فى نفسه مثلا « انا لا أشعر بألم فى الرأس» او «انا ثابت الجأش رابط الجنان لا اشعر بخوف وهمى» أو «انا صحيح العقل لا أتوسوس ولا أتردد فى الامور»

فاذا قالها فى نفسه مرة فليسكن عدة ثوان ثم ليقلها بصوت خافت بحيث تسمعه اذناه اربع مرات ، بين كل مرة واخرى عدة ثوان . فاذا تم ذلك فليقلها ثلاث مرات أخرى بصوت أعلى بين كل مرة ومرة عدة ثوان . ثم ليقلها مرتين اخريين بصوت جهورى صريح ثم ليقم بدون ان يفكر فيما قال

قال الدكتور ليفى فيكون نتيجة ذلك كأن احداً انامه نوماً مغناطيسيا ولقنه هذه الاوامر فيزول عنه الصداع أو يقوى جأشه ولا يعود يخاف على جارى عادته أو تزايله الوسوسة التى كانت تقلقه

ولابد من تكرار هذا العمل حتى ينتج نتيجة ثابتة مستمرة

يقول أصحاب هذه المعالجة النفسية فى تعليلها ان هذه الاوامر التى تصدر من المخ وهو المتسلط على جميع الاعضاء تسرى منه الى الاعصاب فتنطبع فيها انطباعا

غريبا وتحدث عين النتائج التى تحدث فيها لو نوم الشخص تنويما مغناطيسيا ولقنها تلقيناً استهوائياً .وقد ذكروا لها حوادث شفاء كثيرة وان سعة علم الدكتورين ليبولد وليفى وبعدهما عن السفاسف مايضمن صدق ماذهبا اليه وقد شاعت طريقتهما فى أوروبا وظهرت فيها مؤلفات عديدة

المالیك حمض الماليك من الحوامض الكثيرة الانتشار فى الكون فيوجد فى كثير من الثمار ولا سيما التفاح والبرقوق وثمر النبات المسمى سوربيير وغيرها وذكروا وجوده فى طلع النخل وقال بعضهم انه يوجد أيضا فى ثمر نبات القشدة . وذكر وكلين انه يوجد مختلطا مع حمض الطرطريك والليمونيك فى لب التمر هندى ومع حمض الاوكساليك فى الحمض ولا ينسب الطعم الحمضى الذى فى عنب الثعلب والتوت الشركى ومعظم الثمار الحمر الا له مع حمض الليمون ويمكن الآن الحصول عليه نقيا

وهو يستخرج الآن من ثمار النبات المسمى سوربيير أى الغبيراء فاذا وصلت الثمار الى كمال نضجها تدق فى هاون من رخام اوزجاج ثم تعرض لعصر قوى وتغلى العصارة ثم ترشح وتعالج بكربونات الصودا المخلوط بمقدار مفرط من ازوتات الرصاص المذاب فينتج من ذلك راسب كثير اذا ترك ونفسه فى محل متوسط الحرارة يتحول شيئا فشيئاً الى بلورات كثيرة محاطة بمادة ندفية . فاذا غسل الراسب جملة مرار بالماء البارد وصفى السائل فى كل مرة تزال المادة الندفيــة بسهولة . وأما البلورات التى هى اثقل فتجتمع فى قاع الاناء وتلك البلورات هى مالات الرصاص اى تفاحاته المخلوطة بطرطرات والبومنات أى زلالات مركبة من الزلال واوكسيد الرصاص وتكون تلك البلورات ملونة بصفرة السوربيير

ثم لتنقيه البلورات واستخراج الحمض منهـا تعرض الغليان مع مقـدار كبير من الحمض الـكبريتى الممدود بالماء فى جفنة من الصينى حتى تزول تحببياتها فتتكون من ذلك كتلة تحتوى على كبريتات الرصاص وحمض كبريتى خالص وحمض تفاحى ومادة ملونة وزلال وحمض طرطيرى ويمكن ان يكون فيها ايضا حمض ليمونى . ثم يضاف على تلك الكتلة شيئا فشيئا كبريتور البوريوم محـلولا وتقطع تلك الاضـافة عند مايوجد السائل محتويا على قليل من

الباريت اى يرسب منه راسب بالحمض الكبريتى فيتحول بذلك كبريتات الرصاص الى كبريتات الباريت وكبريتور الرصاص والسائل الشديد الحمضية يزول لونه وينقى حالا ويظهر أن تلك النتيجة ناشئة من الرصاص المكبرت ثم يرشح ويغلى مع مقدار مفرط من كربونات الباريت فالحمض الطرطيرى يرسب على هيئة ليمونات وينفصل الزلال أيضا وأما الحمض التفاحى فيبقى فى المحلول فى حالة مالات أى تفاحات حمضى لم يتمكن كربونات الباريت من التشبع منه وهذا هو السبب فى استعمال هذه الكربونات فبموجب ذلك يكفى بعد تحصيل الحمض التفاحى نقيا تركيز السائل بالتناسب لتنال منه بلورات . والاستعمالات الطبية لهذا الحمض كاستعمال الحمض الطرطيرى والليمونى والعصارات الحمضية ويوجد أثر هذا الحمض فى بول من يستعمله

والغبيراء التى يستعمل منها حمض المااليك هو ثمر لايتميز عن الكمثرى بصفة هامة فهو قسم من الثمار الكبرى التى تتميز بتويج مكون من أهداب مفرشة وبأعضاء أناث يختلف عددها من ٢ الى ٥ وبثمر كرى الشكل ومخازنه من ٢ الى ٥ جدرانها غضروفية

من أنواعها سوبوس دومستيكا وهو شجر مرتفع جداً ينبت بطبيعته فى غابات أوروبا أزهاره بيض قمية وثماره كمثرية صغيرة تقرب للكرية محمرة غصة جداً قبل تمام نضجها ولكن تلين فيها بعد بكيفية لين النقل وتكتسب طعما مثله

هذا النبات يكثر فى جنوب أوروبا وتسقط ثماره فى ابتداء اكتوبر وهى غصة فى حجم بيضة الحمامة ولا تكون حينئذ قابلة للاكل بسبب قابضيتها الناشئة على حسب ماقال بعضهم من حمض الغبيريك الذى فيها ولكن الحقيقة انها ناشئة من حمض المااليك

ومن أنواع الغبيراء سوبوس اوكافاريا أى غبيراء الطيور وهو شجر جميل ينبت فى غابات أوروبا ثماره بيضية لونها أحمر قرمزى تظهر فى الشتاء فتستلذها الطيور وهى تجنى وتطبخ عصارتها حتى تكون بهيئة رب ثخين فتنفع البواسير وتبرىء سلس البول ويستعملها بعضهم علاجا للحفر

ومدح ثمارها الجافة بعض العلماء

علاجا لحصى الكلى

وقد استنبت هذا الشجر بالبساتين للزينة ولاطباء العرب كلام على الغبيراء فقد قالوا انه شجر كثير الوجود بالمشرق وأعمال انطاكية يقارب شجر العناب خشن الاوراق سبط العود له زهر الى الصفرة ومنه ذهبي يخلف ثمرا دون النبق فيه غضاضة وعوده قليل القوة حاد الرائحة طيب عطري يزهر بالربيع ويدرك ثمره وسط الصيف

(خواصه الطبية) قال أطباء العرب انه يفتح السدد ويذهب أمراض الصدر كالربو وقرحة الرئة وأمراض والكبد كالاستسقاء والبرقان والفالج واللقوة والكزاز والنافض. وان هرى فى الزيت وأدهن به أقام الزمنى وطول الشعر. وقالوا انه يضر المحرور ويصدع ويصلحه السكنجبين وشربته مثقال ومن حبه ثلاثة دراهم

وقال ابن سينا انه يحبس كل سيلان وهو اقل قبضا وعقلا من الزعرور ويقمع الصفراء المنصبة الى الاحشا وينفع من السعال الحار ويحبس القيء والبطن والبول وينفع من السحج الصفراوى

قالوا وهى تضر المعدة ويصلحها الفانيد

﴿المانوية﴾ هم أصحاب مذهب دينى ظهر فى الفرس قال العلامة الشهرستانى فى كتابه الملل والنحل :

المانوية أصحاب مانى بن فاتك الحكيم الذى ظهر فى زمان سابور بن أزدشير وقتله بهرام بن هرمز بن سابور وذلك بعد عيسى عليه السلام أخذ دينا بين المجوسية والنصرانية وكان يقول بنبوة المسيح عليه السلام ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام

حكى محمد بن هرون المعروف بأبى عيسى الوراق وكان فى الاصل مجوسيا عارفا بمذاهب القوم ان الحكيم مانى زعم أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين أحدهما نور والآخر ظلمة وأنهما أزليان لم يزالا ولن يزالا وأنكر وجود شىء لا من أصل قديم وزعم انهما لم يزالا قويين حساسين سميعين بصيرين وهما مع ذلك فى النفس والصورة والفعل والتدبير متضادان وفى الحيز متحاذيان تحاذى الشخص والظل وانما يتبين جواهرها وأفعالهما فى هذا الجدول

النور الجوهر

جوهره حسن فاضل كريم صاف نقي طيب الريح حسن المنظر

الظلمة الجوهر
جوهرها قبيح ناقص لئيم كدر
خبيث منتن الريح قبيح المنظر
النفس (أى نفس النور)
نفسه خيرة كريمة حكيمة نافعة عالمة
النفس (أى نفس الظلمة)
نفسها لئيمة شريرة سفيهة ضارة جاهلة
الفعل (أى فعل النور)
فعله الخير والصلاح والنفع والسرور
والترتيب والنظام والاتفاق
الفعل (أى فعل الظلمة)
فعلها الشر والفساد والضرر والغم
والتشويش والتبتير والاختلاف
الحيز (أى حيز الخير)
جهة فوق وأكثرهم على انه مرتفع
من ناحية الشمال وزعم بعضهم انه بجنب
الظلمة
الحيز (أى حيز الظلمة)
جهة تحت وأكثرهم على انها منحطة
من ناحية الجنوب وزعم بعضهم انها بجنب
النور
أجناسه (أى أجناس النور)
خمسة أربعة منها أبدان والخامس
روحها فالابدان هى النار والنور والريح
والماء وروحها النسيم وهى تتحرك فى هذه
الابدان
أجناسها (أى أجناس الظلمة)
خمسة أربعة منها أبدان والخامس
روحها فالابدان هي الحريق والظلمة
والسموم والضباب وروحها الدخان وهى
تدعى الهامة وهى تتحرك فى هذه
الابدان
الصفات (صفات النور)
حية طاهرة خيرة زكية وقال بعضهم
كون النور لم يزل على مثال هذا العالم له
أرض وجو . وأرض النور لم تزل لطيفة على
غير صورة هذه الارض بل هى على صورة
جرم الشمس وشعاعها كشعاع الشمس
ورائحتها طيبة أطيب رائحة وألوانها ألوان
قوس قزح
وقال بعضهم ولاشىء الا الجسم
والاجسام على ثلاثة أنواع أرض النور
وهى خمسة وهناك جسم آخر ألطف منه
وهو النسيم وهو روح النور . قال ولم يزل
يولد ملائكة وآلهة وأولياء ليس على سبيل
المناكحة بل كما تتولد الحكمة من الحكيم
والنطق والطيب من الناطق . وملك العالم
هو روحه ويجمع عالمه الخير والحمد والنور

الصفات (صفات الظلمة)

خبيثة شريرة نجسة دنسة . وقال بعضهم كون الظلمة لم تزل على مثال هذا العالم لها ارض وجو . فأرض الظلمة لم تزل كثيفة على غير صورة هذه الارض بل هى أكثف واصلب وروائحها كريهة انتن الروائح والوانها لون السواد

قال بعضهم ولا شىء الا الجسم ، والاجسام على ثلاثة انواع ارض الظلمة وشىء آخر اظلم منه وهوالسموم . قال ولم تزل تولد الظلمة شياطين اراكنة وعفاريت لاعلى سبيل المناكحة بل كما تتولد الحشرات من العفونات القذرة . وقال وملك ذلك العالم هو روحه بجميع عالمه الشر والنميمة والظلمة

ثم اختلف المانوية فى المزاج وسببه والخلاص وسببه . وقال بعضهم ان النور والظلام امتزجا بالخبط والاتفاق لا بالقصد والاختيار . وقال اكثرهم ان سبب المزاج ان ابدان الظلمة تشاغلت عن روحها بعض التشاغل فنظرت الى الروح فرأت النور فبعثت الابدان على ممازجة النور فأجابتها لاسراعها الى الشر فلما رأى ذلك ملك النور وجه اليه ملكا من ملائكته فى خمسة اجزاء من اجناسها الخمسة فاختلطت الخمسة النورية بالخمسة الظلامية فخالط الدخان النسيم . وانما الحياة والروح فى هذا العالم من النسيم . والهلاك والآفات من الدخان . وخالط الحريق النارَ والنورُ الظلمةَ والسمومُ الريحَ والضبابُ الماءَ . فما فى العالم من منفعة وخير وبركة فمن أجناس النور ، ومافيه من مضرة وفساد وشر فمن اجناس الظلمة فلما رأى ملك النور هذا الامتزاج امر ملكا من ملائكته فخلق هذا العالم على هذه الهيئة لتخلص اجناس النار من اجناس الظلمة وانما سارت الشمس والقمر وسائر النجوم لاستصفاء اجزاء النور من اجزاء الظلمة. فالشمس تستصفى النور الذى امتزج بشياطين الحر ، والقمر يستصفى النور الذى امتزج بشياطين البرد ، والنسيم الذى فى الارض لايزال يرتفع لان من شأنها الارتفاع الى عالمها . وكذلك جميع اجزاء النور أبداً فى الصعود والارتفاع ، واجزاء الظلمة ابداً فى النزول والتسفل حتى تتخلص الاجزاء من الاجزاء ويبطل الامتزاج وتنحل التراكيب ويصل كل الى كله وعالمه وذلك هو القيامة والمعاد

وقال ومما يعين فى التخلص والتمييز ورفع اجزاء النور التسبيح والتقديس والكلام الطيب واعمال البر فترتفع بذلك الاجزاء النورية فى أعمال عمود الصبح الى فلك الفجر فلا يزال القمر يقبل ذلك من أول الشهر الى النصف فيمتلىء فيصير بدراً ثم يؤدى الى الشمس الى آخر الشهر فتدفعه الشمس الى نور فوقها فيسرى فى ذلك العالم الى أن يصل الى النور الاعلى الخالص ولا يزال يفعل ذلك حتى لا يبقى من اجزاء النور فى هذا العالم الاقدر يسير منعقد لا تقدر الشمس والقمر على استصفائه فعند ذلك يرتفع الملك الذى يحمل الارض ويدع الملك الذى يجتذب السموات فيسقط الاعلى على الاسفل . ثم توقد نار حتى يضطرم الاعلى الاسفل ولا يزال يضطرم حتى يتحلل ما فيها من النور ويكون مدة الاضطرام الفا وأربع مئة وثلاثا وستين سنة

وذكر الحكيم مانى فى باب الالف من الجبلة فى أول الشابرقان ان ملك عالم النور فى كل ارضه لا يخلو منه شيء وانه ظاهر باطن وانه لا نهاية له الا من حيث تناهى أرضه الى ارض عدوه وذكر ان المزاج القديم هو امتزاج الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والمزاج المحدث الخير والشر . وقد فرض مانى على اصحابه العشر فى الاموال والصلوات الاربع فى اليوم والليلة والدعاء الى الحق وترك الكذب والقتل والسرقة والزنا والبخل والسحر وعبادة الاوثان وان يأتى على ذى روح ما يكره ان يؤتى اليه بمثله

واعتقاده فى الشرائع والانبياء ان أول من بعث الله بالعلم والحكمة آدم أبو البشر ثم شيثا بعده ثم نوحا بعده ثم ابراهيم بعده عليهم الصلاة والسلام ، ثم بعده بالبددة الى أرض الهند وزرادشت الى أرض فارس والمسيح كلمة الله وروحه الى أرض الروم والمغرب وبولس بعد المسيح اليهم ثم يأتى خاتم النبيين الى ارض العرب

وزعم ابو سعيد المانوى رئيس من رؤسائهم ان الذى مضى من المزاج الى الوقت الذى هو فيه وهو سنة (٢٧١) من الهجرة احد عشر الفا وسبع مئة سنة وان الذى بقى الى وقت الخلاص ثلاث مئة سنة . وعلى مذهبه مدة المزاج اثنى عشر الف سنة . قال الشهرستانى الذى

نقل عنه هذا الفصل : فيكون قد بقي من المدة خمسون سنة من زمننا هذا وهو (٥٢١) هجرية فنحن في آخر المزاج وبدو الخلاص ، فالى الخلاص الكلي وانحلال التراكيب خمسون سنة والله أعلم

﴿ المانيزيوم ﴾ ويسميه البعض بالمغنيسيوم هو قاعدة أملاح المانيزيا لا يوجد في الطبيعة منفرداً ولكنه يحضر بالصناعة . من خواصه انه اذا اشتعل احترق بلمعان ولهذا يستخدم في صناعة الفوتوغرافيا

وهو معدن سنجابي لامع ثقله النوعي ١٫١٥٠ قابل للطرق يصهر على درجة منخفضة من الحرارة ويتحول الى مانيزيا بفعل الهواء والرطوبة

تولد أملاح المانيزيا مع القلويات الكاوية رواسب بيضاء جلاتينية القوام تذوب في سيال الامونيا

واذا عومل المانيزيوم بالحوامض تولدت عدة مستحضرات ملينة مثل الكربونات الخفيفة والثقيلة وسلفات المانيزيا اما حجر الصابون او الطلق المعروف بالطباشير الفرنسي فهو سليكات المانيزيا والالومينيا ويتركب من ٤٥ من السليك و ٣٤٫٧٥ من المانيزيا و ٩٫٢٥ من المانيزيا و ١٠٫٧٥ من البوتاسا و ١ من أوكسيد الحديد و ١٧ من الماء

(المانيزيا الخفيفة) أو أكسيد المانيزيوم هي كربونات المانيزيا تحمى في بوتقة حتى ينطرد منها غاز حمض الكربونيك فلا تفور اذا أضيف اليها حمض الكبريتيك المخفف وهي مسحوق ابيض ضخم تمتاز عن المانيزيا الثقيلة بخفتها فنسبتها اليها كنسبة ٣ ونصف الى ١ وزنا ولا تمتزج بالماء بسرعة ولا تلين الامعاء مثل الثقيلة ولا تفور مع الحوامض جرعتها الى ٢٠ قمحة للاسهال وهي تدخل في مسحوق الراوند المركب وتستعمل من الظاهر ذروراً للحروق

(المانيزيا الثقيلة) هي كربونات المانيزيا المحمرة في بوتقة حتى ينطرد منها غاز حمض الكربونيك ولا تفور مع حمض الكبريتيك

وهي مسحوق ابيض قلما يذوب في الماء بل يذوب في الحوامض بدون فوران فيذوب منها الى جزء واحد في ستة آلاف جزء من الماء البارد . وجزء واحد في ستة وثلاثين الف جزء من الماء الحار فهي كالكلس تقبل الذوبان في الماء البارد

اكثر مما تقبله فى الحار

(خواصها الطبية) تستعمل مضادة للحموضة وتنوع وتلين وتضاد تكوّن الحصاة وتستعمل كثيراً فى الدسببسيا (انظر معدة) والصداع والنقرس وغير ذلك من الامراض الموافقة لحوضة المعدة والقبض وتفضل على بيكربونات الصودا ضد الحموضة وتعطى على شكل ملين اذا كانت بقية الادوية تسبب غثيانا وتضاف غالبا الى ما سواها من الادوية وهى توافق الاولاد اذا اقتضى الحال اعطاؤها ملينة لانها لطيفة الفعل

جرعتها من ١٠ الى ٢٠ قمحة اذا استعملت ضد الحموضة ومن ٢٠ الى ٦٠ اذا استعملت مسهلا والمانيزيا الخفيفة . أفضل من الثقيلة ولا تتفق معها الحوامض

(كربونات المانيانيزيا الخفيفة) هى مسحوق ابيض خفيف يرسب باضافة بيكربونات الصودا الى محلول كبريتات المانيزيا المخففة الباردة ثم يغسل الراسب بماء حار ويكرر غسله حتى لا يعود يرسب راسبا مع كلوريد الباريوم ثم تجفف فى درجة ٢١٢ من ميزان الحرارة لفرانهيت اى ١٠٠ سنتيغراد فتتولد على شكل بلورات نحيفة تشبه فى خواصها كربونات المانيزيا الثقيلة

يذوب منها جزء فى ٢٥٠٠ جزء من الماء البارد وجزء فى ٩٠٠٠ جزء من الماء الحار

جرعتها من ١٠ الى ٢٠ قمحة اذا أخذت لمضادة الحموضة ومن ٣٠ الى ٦٠ قمحة اذا أخذت ضد الاسهال

(كربونات المانيزيا الثقيلة) هى مسحوق ابيض يرسب من محلول سلفات المانيزيا المركز الحار مع محلول كربونات الصودا ثم يجفف المزيج ويهضم الباقى الجاف فى الماء ويجمع على المصفاة ويغسل جيداً حتى ينفصل منه كل كبريتات الصودا ثم يعاد تجفيفه على درجة ١٠٠ سنتغراد

جرعتها من ١٠ الى ٢٠ قمحة اذا استعملت ضد الحموضة ومن ٣٠ الى ٦٠ قمحة اذا أخذت مسهلا . وهى تدخل فى أقراص البزموت

(مستحضرات المانيزيا) سيال كربونات المانيزيا أى المانيزيا السائلة وهى تحضر باشباع الماء بغاز حمض الكربونيك وتحتوى كل أوقية سائلة منه

على عشر قمحات من كربونات المانيزيا

صفاتها : هى سيال صاف خال من المرارة واذا تبخرت أوقية منه الى درجة الجفاف بقى باق يكون وزنه بعد تكليسه أربع قمحات لا يذوب فى الماء ويكشف عنه بكواشف المانيزيا

جرعته من أوقية الى أوقيتين أى من ٣٠ الى ٦٠ غراما

(المزيج الابيض) هو عبارة عن عشرة قمحات من كربونات المانيزيا ودرهم من كبريتات المانيزيا وأوقية من ماء النعنع الفلفلى

(مزيج المانيزيا والراوند) هو عبارة عن سبعة قمحات ونصف قمحة من الراوند و١٥ قمحة من كربونات المانيزيا وأوقية من ماء النعنع الفلفلى

(سيال بروميد المانيزيوم) هو عبارة عن ٢٠ اوقية من حمض الايدروبروميك المخفف مشبعا بأوقية من كربونات المانيزيا جرعته من درهم الى درهمين أى من ثلاثة غرامات ونصف غرام الى سبعة غرامات

(سيال ليمونات المانيزيا) هو مركب من كربونات المانيزيا ١٠٠ قمحة ومن حمض الليمونيك ٢٠٠ قمحة وشراب الليمون نصف أوقية ومن بيكربونات البوتاسا المتبلورة ٤٠ قمحة ومن قدر كاف من الماء

فيذاب حمض الليمونيك فى أوقيتين من الماء ثم يحرك المذوب بعد ما يكون قد أضيف اليه كربونات المانيزيا كى تذوب الاملاح ثم يصفى المحلول فى زجاجة ويزاد من الشراب كمية كافية لملء الزجاج ثم يضاف بيكربونات البوتاسا وتسد الزجاجة وتربط بخيط او شريط ثم تمخض حتى تذوب بيكربونات البوتاسا

جرعتها من ٥ الى ١٠ أواق وتستعمل لأجل تليين الامعاء والتبريد

(كبريتات المانيزيا) هى منشورات معينة شفة (أى شفافة) دقيقة عادمة اللون طعمها مر

(خواصها الطبيه) هى مسهل لطيف سليم العاقبة يفعل بدون احداث ألم وغثيان ويستعمل ضد المغص والقبض المستعصى وفى الاحوال التى تستدعى اعطاء مسهلات ولا تضعف المعدة ولا تهيجها . وينبه هذا الملح الامعاء ولا ينبـه الكبد ويدخل فى تركيب مزيج السنا

جرعتها من نصف أوقية الى أوقيـة

اى من ١٥ الى ٣٠ غراما

ولايجوز ان توصف كبريتات المانيزيا هذه مع طرطيرات الصودا ولا تتفق معها الكربونات القلوية وماء الكلس وخلات الرصاص ونترات الفضة

(سليسيلات المانيزيا) هى ابر عادمة اللون ندية تذوب بسهولة فى الماء والكحول جرعتها من ٥٠ الى ١٠٠ قمحة وهى تعطى فى الحمى التيفودية

(كبريتيت المانيزيا) هى مسحوق ابيض متبلور يتأكسد بتعريضه للهواء يذوب منه الجزء فى ٢٠ جزءا من الماء ولايذوب فى الكحول ويعطى عوضاً عن كبريتيت الصودا . وقد مدح استعمال هذا الملح غرغرة فى الدفتريا بنصبة الى ١٦ ماء اوبتلطيخ قوائم اللهاة بفرشاة رطبة مذرور عليها شىء من الملح الذى نحن بصدده

جرعتها من ٢٠ الى ٣٠ قمحة اى من غرام ونصف الى غرامين

﴿المانيتزم﴾ انظر نوم مغناطيسى

﴿ماه البصرة﴾ قال ياقوت الحموى الماه قصبة البلد وهو يقال لنهاوند وهمذان وقم فيقولون ماه البصرة وماه الكوفة كما يقولون قصبة البصرة وقصبة الكوفة

﴿المئة﴾ معروفة جمعها مئات ومِئون والنسبة اليها مِئَوى

﴿مَتّ﴾ الى فلان يمُتّ ما توسل اليه بشىء

﴿مَتَح﴾ الماء يمتَحه مَتْحا نزعه من البئر

﴿المتر﴾ مقياس فرنسى وهو ينقسم الى عشرة ديسيمتر والديسمتر الى عشرة سنتيمتر والسنتيمتر الى عشرة ملليمتر . فالمتر مئة سنتيمتر او الف ملليمتر

وله مضاعفات وهى الديكامتر اى عشرة امتار والهكتومتر اى مئة متر والكيلو متر اى الف متر والمريامتر اى عشرة آلاف متر

﴿متَع﴾ بالشىء يمتَع متعا ذهب به . و (متَع الشىء) طال و (متَع النهار) ارتفع وبلغ غاية ارتفاعه قبل الزوال . و (متَع السراب) ارتفع فى اول النهار . و (متَع الحبل) اشتد . و (متَع النبيذ) اشتدت حمرته . و (متَع الرجل) جاد وظرف . و (متُع الرجل) يمتُع مَتاعة ظرف

و (متّع المرأة المطلقة) اعطاها متعة

وهى ماتعطاه بعد الطـلاق من كسوة او مال اوغيره من قبل المساعدة

(أمتعه الله بكذا) بمعنى متعه به و (تمتع بكذا وامتتع به واستمتع به) انتفع به زمانا طويلا و (تمتع الحاج) حج بالعمرة اى ضم عمرة الى حجه

(الماتع) الطويل من كل شىء. والجيد من كل شىء البالغ الغاية فى الجودة والجيد الفتل من الحبال. والشديد الحمرة من النبيذ والخل

(المَتاع) كل مايتمتع به من الحوائج كالطعام والبر وأثاث البيت. وقيل المتاع كل ماينتفع به من عروض الدنيا كثيرها وقليلها سوى الفضة والذهب قال الله تعالى: «الحياة الدنيا متاع» أى بلغة يتبلغ بها لا بقاء لها. واصل المتاع مايتبلغ به من الزاد وهو اسم من متّع جمعه أمتعة وجمع الجمع اماتع واماتيع تقول: (هذه امتعة فلان وأماتيعه)

(المَتْع) الكيد. و (المُتْعة) السقاء والدلو والرشاء. و (المُتْعة والمِتْعة) اسم للتمتيع. ومايتبلغ به من الزاد وقيل الزاد القليل. والبلغة ومايتمتع به من الصيد والطعام. تقول: «أبغنى مُتعة أعيش بها» اى اطلب لى شيئا آكله جمعها مُتَع ومتَع

و (مُتعة المرأة) ماوُصلت به بعد الطلاق من نحو القميص والازار والملحفة وغيرها وهى متعة الطلاق

و (التمتع) الجمع بين الحج والعمرة باحرامين

﴿مَتَكَ﴾ الشىء يمتُكه قطعه مثل بتكه

﴿مَتَلَ﴾ الشىء يمتُله متلا زعزعه وقيل حركه

﴿مَتُنَ﴾ الشىء يمتُن مَتانة قوى واشتد فهو (مَتين) و (متَن ومتّن الشىء) جعله متينا

و (ماتنه) ماطله. و (ماتن فلانا) باعده فى الغاية. و (ماتنه فى الشعر) عارضه (تقول بينهما مماتنة) اى معارضة ومباراة. و (ماتن الرجل) فعل به مثل ما يفعل به

(والمَتْن) من كل شىء ماظهر منه وماصلب من الارض وارتفع وقيل ماارتفع من الارض واستوى جمعها مِتان ومُتون. والمتن ايضا الظهر يذكر ويؤنث

(مَتْن الطريق) جادتها و (مَتْن

الكتاب) خلاف الشرح والحواشي

﴿ متى ﴾ وتضم في لغة فيقال متى على خمسة أوجه ورد في المغني لابن هشام

فتكون اسم استفهام عن الزمان كقوله تعالى : « متى نصر الله »

واسم شرط يجزم فعلين كقوله: « متى أضع العمامة تعرفوني »

وحرف بمعنى من او في وذلك في لغة هذيل يقولون : « أخرجها متى كمه » أي منه و « أدخلها متى كمه » أي فيه

واسم مرادف للوسط ولا تضم تقول « وضعته متى كمي » اي في وسطه وقيل هي هنا بمعنى في

﴿ مَثَلَ ﴾ الرجل بين يديه يمثُل مثولا قام منتصبا و (مثّل بفلان مثّلا) نكل به (مثُل فلان بين يدي الحاكم يمثُل مثولا) قام منتصبا . و (ماثله) شابهه و (تمثّل الشيء) تصور خياله و (تماثل الشيئان) تشابها . و (تماثل العليل من علته) قارب البرء و (امتثل الامر) احتذاه

و(المِثَال) صفة المقدار والشيء و (المِثْل) كلمة تسوية يقال: (فلان مِثل فلان) و (المُثْلة) التنكيل و(المَثُلة) العقوبة جمعها مَثُلات و(المثيل) الشبيه. و (الأَمثل) جمعه أماثل . و (الطريقة المُثلى) الشبهى بالحق . و (الأُمثولة) ما يتمثل به من الابيات و(التمثال) الصورة المصورة و (التمثيل) انظر كلمة تياترو

﴿ المثانة ﴾ هي مستودع عضلي غشائي معد لتجمع البول فيه وهي موضوعة في الحوض الصغير وهي عند الذكور بين الارتفاق العاني والمستقيم وعند الاناث بين الارتفاق العاني والرحم . يختلف شكلها على حسب حالتي الامتلاء والفراغ فاذا كانت ممتلئة فهي بيضية واذا كانت فارغة فهي كمثرية . قمتها الى الاعلى وقاعها الى الاسفل والامام فالقمة متجهة نحو السرة ومربوطة بثلاث ثنيات متوسطة هي الرباط الثاني السرى المتوسط وهو آثار الاوركو الذي يستحيل الى حبل ليفي بعد الولادة ورباطان جانبيان هما الثنيتان الجانبيتان المكونتان من الشريانين السريين اللذين ينسدان بعد الولادة

تسع المثانة نحو نصف لتر من البول. والوجه المقدم لها غير مغشى بالبريتون ويجاور الوجه الخلفي من المثانة في الذكور

بجهته المستقيمة والحويصلات المنوية وفى الاناث عنق الرحم والمهبل. والجزء العلوى للوجه الخلفى من المثانة مغطى بالبريتون فقط ومكون بينه وبين المستقيم فى الذكور قعر كيس وبينه وبين جسم الرحم فى الاناث قعر كيس بريتونى . والجهتان الجانبيتان من المثانة مجاورتان للقناتين الناقلتين للمنى . وهاتان الجهتان يتغطى الجزء العلوى من كل منهما بالبريتون فقط

وزيادة عن الاربطة المذكورة توجد اربطة أخرى منها الرباطان المسميان فى الذكور بالرباطين العانيين البروستاتيين المثانيين الجانبيين وهما حبلان ليفيان يذهبان من الاجزاء الجانبية من المثانة ومن البروستاتا الى وسط الارتفاق العانى ومنها رباط آخر يسمى بالرباط العانى المتوسط وهو عبارة عن شريط لبفى ممتد من المثانة الى العانة موضوع فى المسافة التى بين الرباطين العانيين البروستاتيين الجانبيين. وأما القمة فمنها ينفصل الاوركو وتكون مغطاة بالبريتون

وأما الوجه الباطنى من المثانة فمغطى بالغشاء المخاطى المكون لثنيات تزول بالجذب والتمدد وفى الجزء السفلى من هذا الوجه ثلاثة فتحات احداها مقدمة هى فتحات قناة مجرى البول والاثنتان الاخريان خلفيتان وهما فتحتا الحالبين المحاطتان من الاعلى بثنية صغيرة كالصمام وهذه الفتحات الثلاث هى المحددة للمسافة المثلثة المسماة بالمثلث المثانى اى مثلث ليثو الذى زواياه هى الثلاثة الفتحات المذكورة وخلف هذا المثلث يكون الجزء السفلى من قاع المثانة منبعجا ويعرف بقاع المثانة وفى هذا المحل يتجمع البول عند الاشخاص المصابين بالنزلات المثانية والفتحة المقدمة البولية لهذا المثلث تقابل العنق الثانى وتكون حلقية ومحاطة بالبروستاتا وفيما بعد تصير مستعرضة ذات شفتين عليا وسفلى والفتحة البولية هى حقيقة النقطة الاكثر انحداراً من المثانة ما عدا عند الشيوخ فان قاع المثانة يكون متمدداً وفتحات الحالبين تكون مختفية بثنية مخاطية وتكون موضوعة فى طرفى قاعدة المثلث المثانى مرتبطة بعضها مع بعض بشريط عضلى برفع الغشاء المخاطى والحالب يسرى منحرفا بين طبقات المثانة قبل انفتاحه فى هذا التجويف وذلك لاجل عدم رجوع البول اليه عند تمدد المثانة والجزء الضيق امام

الفتحة المقدمة يسمي بعنق المثانة وهو المحاط بالعضلة العاصرة له

وقد يوجد فى الوجه الخلفى من المثانة بروزات طولية نتيجة ضخامة الالياف العضلية لها وفى هذه الحالة تسمى بالمثانة ذات الاعمدة كما أنه يشاهد على السطح الباطن منها أحيانا انبعاجات صغيرة على شكل خلايا فتسمى بالمثانة ذات الخلايا أى الحفر

(تركيب المثانة) تتركب المثانة من ثلاثة أغشية غشاء ظاهر مصلى وآخر متوسط عضلى وثالث باطن غشائى مخاطى وأوعية وأعصاب

فالظاهر المصلى هو البريتون الذى يعطى قمتها وكلا من الجهتين الخلفية والجانبية ويتكون منه فى الذكور بين المثانة والمستقيم وفى الاناث بين المثانة والرحم قعر كيس فحينئذ يكون قعر المثانة غير مغشى بالبريتون ومثلث ليتو

وأما الطبقة العضلية فمتكونة من ثلاث طبقات معدودة من الظاهر الى الطبقات الاولى الياف طولية والثانية الياف مستعرضة أى حلقية والثالثة الياف مشتبكة

فالطولية لا توجد على الاجزاء الجانبية من المثانة وانما توجد على كل من وجهيها المقدم والخلفى مكونة من شريطين طوليين وبعض الياف هذين الشريطين يذهب من الامام الى الاوركو ومن الخلف الى العضلة العاصرة للمثانة والى الصفاق العجانى

وأما الالياف الخلفية فتوجد فى الجهة المقدمة من المثانة من القمة الى قمة قناة مجرى البول فيتكون منها حول هذه الفتحة مايسمي بالعضلة العاصرة للمثانة

وأما الالياف المشتبكة فهى عبارة عن شبكة شاغلة لجميع امتداد المثانة تحت الغشاء المخاطى وأليافها على العموم متجهة اتجاها عموديا

وأما الغشاء المخاطى الثانى فهو دقيق غير محتو على حلمات ولا على غدد وبشرته ذات خلايا مسطحة تتكون منه عدة طبقات

(أوعية المثانة وأعصابها) شرايينها تأتى من الحرقفى البطنى وأما أوردتها فتصحب شرايينها ويتكون منها حول قاعها شبكة ثم تصب فى الاوردة الحرقفية الباطنة وأوعيتها اللينفاوية عديدة تصل الى المقدة الحرقفية الباطنية أى الخثلية وأعصابها

تأتى من الضفيرة الخثلية ومن الاعصاب العجزية فيكون بناء على هـذا جزء من المثانة بعيـداً عن الارادة والجزء الآخر تحت الارادة (انتهى من ارشادالخواص فى التشريح الخاص بتصرف)

(امراض المثانة) التهاب المثانة:

(أعراض المرض) يشكو العليل من ثقل وألم فى أسفل البطن وفى العجان ممتد على الاحليـل يزداد بالضغط ومن زحير أثناء البول ويتكلفه بصعوبة ومن زحير فى المستقيم كزحـير الدوسنطاريا يكلف العليل التغوط المتواتر . ويشعر عند البول بحرقة فيخيل اليه ان البول ماء مغلى يسيل من المجرى وهو فى أشد حرارته ويكون قليل المقدار مكدرا برواسب وصديدوم احيانا .واذا مكث البول فى المبولة طويلا فسدوانتن . ويرافق هذا كله غثيان اوقىء واما الحمى فقد تكون واضحة شديدة مع نبض سريع وهذيان وانحطاط وقد تكون خفيفـة حتى لايكاد يشعر بها المصاب . وكثيراً ماينحبس البول فلا ينزل اويقطر نقطة نقطة

تبقى هـذه الاعراض بضعة أيام ثم يبرأ العليـل او تنقلب علته الى مرض مزمن

(أسباب هذا المرض) من أسبابه الضرب أو امتداد الالتهاب من مجرى البول او عن الحصى المثانية او عن مزاج نقرسى اوروماتزمى وعن حبس البول مدة طويلة اوعن بقاء شىء منه فيها كما يحدث عنه من يبول مستلقيا وعن شرب مواد حريفة كالذبان الهنـدى وزيت التربنتينا وبلسم كوباى وعن العرض على الـبرد والرطوبة ولاسيما الرجلين والبطن الخ

(علاجه)اذا سرى الالتهاب من مجرى البول اومن الرحم يوضع علق على الشرج من ثمان الى عشر ديدان . واذا كان ناجما من الـبرد أفادته المعرقات أو سليسيلات الصودا بجرعة نصف غرام كل ساعتين مدة ثلاثة او اربعة ايام بشرط ان يكون القلب سليما لان مرضه يزدادمن السليسيلات

واذا كان الالتهاب خفيفـا تكفيه الضمادات المسكنـة المسخنة وهى التى تتخذ من الخشخاش او اللاودانوم اوالبنج او الشوكران اوعنب الذئب وكيفية عملها هى ان يرش على لصقة بزر الكتان نقط من اللاودانوم او يستحضر مغلى مركز

من الخشخاش وتحضر به لزقة بزر كتان أو تطبخ أوراق البنج أو الشكران أو الخس وتحضر منها ضمادات

ومحل وضع هذه الضمادات أو اللصقات هو اسفل البطن مع دهونات محللة كرهم الزئبق وخلاصة البلادونا (اجزاء متعادلة) والمغاطس الحارة مكررة مرتين أو ثلاث مرات يوميا وشرب كثير من المياه الملطفة كغلى بزر الكتان وعرق النجيل وشعر العرنوس الخ وبعض المسهلات اللطيفة كزيت الخروع وسترات المانيزيا والحقن الملينة والمسكنة كالحقنة الآتية :

يغلى بزو الكتان جيدا حتى يتحصل منه ماء لزج كزلال البيض ثم يؤخذ مئة غرام منه ويضاف اليه ١٠ او ٢٠ نقطة من اللاودانوم وتزرق منه حقنة تحفظ فى المستقيم وتعاد مرتين أو ثلاث مرات يوميا بدون اللاودانوم فيسكن الالم ويخف زحير المستقيم والمثانة وتكفى هذه الوسائط فى الالتهاب واراحة العليل فى غيبة الطبيب

وفى الحالة المزمنة يفيد كبسول بلسم كوباى أو كبسول زيت التربنتينا ثلاث أو اربع حبات يوميا أو مغلى شعر العرنوس أو مغلى الشعير أو نقيع النجيل أو لترماء مع أربعة غرامات بيكربونات الصودا وماء القطران الذى يحضر على الطريقة الآتية :

تؤخذ اجزاء متعادلة من مسحوق الفحم والقطران البرقى النقى وتفرك معا فيمتص الفحم القطران فيصير مسحوقا أسود يحفظ فى زجاجة محكمة السد وتؤخذ منه ملعقة كبيرة أو ملعقتان وتحل فى لتر من ماء وتحرك كثيرا مدة ساعتين ثم يصفى بخرقة لفصل الفحم ويشرب ماؤه وحده أو ممزوجا بخمر جيدة مع الطعام أو على معدة فارغة

فى اثناء سير هذا المرض على العليل ان يعتنى بصحته اعتناء تاما فلا يأكل الا اللبن واللبن الرائب ويجتنب الاشربة الروحية والمآكل المملحة والافاويه والعجينيات وما أشبهها. ويجب الامتناع عن المباشرة والمشى الطويل والبعد عن البرد والرطوبة وعدم ركوب الخيل والمركبات

(سلس البول فى الصغار) هو عبارة عن البول فى اثناء النوم وهو مرض ناتج عن قلة حس المثانة عند بعض الناس فاذا تجمع فيها البول دفعته بدون شعور منها والمصاب مستغرق فى نومه لعدم حس

العاصرة به . وينشأ عند البعض الآخر من زيادة حس المثانة فلا تقوى على احتمال البول فيها فتدفعه

هذا المرض يصيب الصغار غالبا وقلما يعترى البالغين ويشفى عنه التسنين الثانى بدون علاج واذا امتد فالى سن المراهقة

وقد يحصل عن ديدان فى المستقيم أو عن تشقق المعدة ويشفى بشفائها ويصيب بعض الحوامل

(العلاج) يقتضى تفريغ المثانة قبيل النوم وايقاظ المصاب مرتين أو اكثر لمنع الاستغراق وكثيرا مايفيد الزواج فى هذا المرض

ومما يفيد كثيراً حبوب مركبة من ربع قمحة من خلاصة البلادونا وربع قمحة من ورقها تصنع حبة واحدة وتؤخذ قبل النوم أوبرومور البوتاسيوم نصف غرام او غرام أو شراب الكلورال ملعقة كبيرة أو صغيرة بحسب السن قبل النوم .واذا كان العليل ضعيف البنية تنفعه المستحضرات الحديدية كشراب يودور الحديد ملعقة صغيرة مرتين يوميا بعد الاكل أوشراب فوسفات الكينا والحديد ثلاث نقط مرتين يوميا لولد عمره ثلاث سنين . وكذا الاستحمام بالماء البارد أو التغطيس فى الماء البارد مع العناية بعدم تعريضه للبرد

(احتباس البول) قد يحتبس البول فى المثانة لاسباب عديدة منها الشلل والاورام التى تنمو ضمنها وتسد المجرى والحصى التى تكون فيها وتضخم الغدة التى فى عنقها (المسماة بغدة البروتستاتا) والشلل الذى يعتريها اذا طال حصر البول فيها وتشنج العاصرة الى غير ذلك والمتقدمون فى العمر وأصحاب المزاج النقرسى والروماتزمى معرضون لهذه العلة كثيرا

(أعراض المرض) يقل تكلف البول أولا مع الشعور بألم وثقل ثم يحصل أن البول يقطر قطراً ولا يسيل سيلا واذا طال مكثه تتغير كيفيته ويصير نشادريا ومن تراكمه فى المثانة يملأها ويمددها فيهيج تكلفا زائدا لتفريغها ولا يبرز منها وكثيراً ماترافق هذه الاعراض حمى مع سرعة فى النبض وقذر فى اللسان وفقد للشهية وانحطاط فى القوى

واذا لم يستخرج البول وترك أكثر من ذلك تحدث أعراض التسمم البولى أو تتمزق المثانة أو تحل بها الغنغرينا

ولما كانت هذه العلة شديدة الخطر كان الواجب الاسراع باستدعاء طبيب خبير لكى يستخرج البول بواسطة الميل (القسطرة) وفى غيابه يغطس العليل فى ماء ساخن ويبقى فيه قدر ساعة وربما يخف الالم ويسيل البول

واذا لم يكن بالبيت حمام من الزنج فتوضع كمادات ساخنة على أسفل البطن وتغير مراراً

واذا صعب استحضار الطبيب فينقل اليه المريض بدون توان فيستخرج له البول والا تسمم دمه ولم يعد يفيد الدواء ويموت المصاب على أشنع حالة

ويحسن بالمعرضين لهذه العلة أن يتعلموا ادخال الميل لذواتهم وان يستصحبوه أينما ذهبوا حتى لا يقعوا فى خطر شديد اذا صعب عليهم استحضار طبيب فى جهة من الجهات

﴿مجّ﴾ الشراب من فيه يمجُّه مجا لفظه. و(المُجَاج) الريق و(المُجَاجة) ما يلقيه الرجل من فمه

﴿مجُد﴾ يمجُد مَجادة فهو مَجيد مثل مجَد يمجُد مَجْداً صار ذا مجد. و (مجّده وأمجده) عظمه. و (تماجد) ذكر مجده. و (المَجْد) العز والرفعة. و (المجيد) الرفيع العالى الكريم

﴿المجيدى﴾ الريال المجيدى من المسكوكات العثمانية قيمته عشرون قرشا عثمانيا تساوى بالقروش المصرية ١٦ قرشا وله نصف وربع من الفضة

﴿المجْر﴾ الكثير من كل شىء

﴿المجر﴾ بلاد المجر مملكة بشرق أوربا تعتبر جزءاً من مملكة النمسا وقد انفصلت عنها سياسا سنة (١٨١٧) وبقيت متصلة بها الى سنة ١٩١٩ وهذه المملكة كانت تشتمل غير بلاد المجر كرواتيا وسلافونيا وترانسيلفانيا وقد افترقت الآن

عاصمتها مدينة بودابست مساحتها ٣٢٢٠٠٠ كيلومتر مربع وعدد أهلها كما ورد فى تعداد سنة (١٩٠٦) ١٩٢٥٤٥٥٩ بنسبة ٥٩٫٨ من السكان فى كل كيلومتر

هذه المملكة كانت تخلو كاستريا جارتها من الوحدة القومية فان فيها من المجر ٨٧٤٢٣٠١ ومن الالمان ٢١٣٥١٨١ ومن السلوفاك ٢٠١٩٦٤١ ومن الرومانيين ٢٧٩٩٤٧٩ ومن الكرواتيين والصربيين ٢٧٣٠٧٤٩ ومن الروتينيين ٤٢٩٤٤٧ ومن أجناس مختلفة ٢٩٧٧٦١

وكما تختلف هذه المملكه من الوجهة القومية تختلف أيضاً من الوجهة الدينية فان فيها من الكاثوليك الرومانيين ٩٩١٩٩١٣ أى ٢٥ر٥٠ فى المئة من عدد سكانها ومن الكاثوليك اليونانيين ١٨٥٤١٤٣ اى ٦٤ ر ٩ فى المئة ومن اليونانيين الشرقيين ٢٨١٥٧١٣ أى ١٧ر١٥ فى المئة ومن اللوتريين ١٢٨٨٩٤٢ أى ٩٤ر٦ فى المئة ومن الكالفانيين ٢٤٤١١٤٢ أى ٨٣ ر ١٢ فى المئة ومن البروتستانت الموحدين ٦٨٥٦٨ أى ٦٥ر٠ في المئة ومن اليهود ٨٥١٢٧٨ أى ١٨ر٤ فى المئة

عدد الزراع فيها يبلغون ٤١ر٧٦ فى المئة من مجموع السكان ولا يشتغل فيها باستخراج المعادن أكثر من ٧٠٠٠٠ نسمة ويشتغل فى المعامل ٩١٣٠٠٠ عامل اى ٢٦ر٥ فى المئة من مجموع الاهالى

أكبر موانى المجر هى ثغر فيُوم

يمكن أن تتميز فى المجر ثلاثة أنواع مختلفة من الاراضى وهى :

(١) جبال الكاربات وفيها الاملاح والمعادن الثمينة والحديد

(٢) جهة بنات وفيها الحديد والفحم

(٣) البلاد الواقعة غرب نهر الدانوب وهى مشهورة بالفحم

ويستخرج من ترانسلفانيا حديد وملح كثير

سهل المجر عبارة عن حقول متسعة لزراعة القمح فهى تنتج سنويا ٥٠ مليون هيكتولتر . وفيها كروم كثيرة تغطى نحو ٣٥٠٠٠٠ هكتار من الارض . وهذه البلاد تعد من أخصب بلاد العالم ويملك صغار الفلاحين نحو ثلث أراضيها . وفيها نحو مئتى مالك يملكون أكثر من جزء من اثنى عشر جزءاً منها

أشهر مدائنها بودابست وزيجيد وزابادكا وماريانيريز يوبول وديريكزن الخ

(تاريخ المجر) كان المجر قبل سنة ١٠٠٠ وثنيين . وكانت بلاد النمسا الى سنة ٨٩٤ خالية من المجر . ولكن حدث فى أواخر القرن التاسع أن سقطت مملكة مورافيا السلافية وامارة ذالان وغيرها البلغارية فجاء المجر بواسطة نهر الدانوب واحتلوا تلك الجهات وكانوا الى ذلك الحين متوحشين يشنون الغارات على المانيا وايطاليا وفرنسا ولكن تألبت عليهم هذه

الشعوب فطردهم فى النصف الاخير من القرن العاشر الى بلادهم الاولية

فلما تولى ملكهم (جيزا) رأى ضرورة ادخال قومه فى الديانة المسيحية فبدأ توارد المبشرين من الالمان والتشيك واليونان اليهم فعمد القديس ادا البير الى تعميد ولى عهد المملكة فلم تستطع الوثنية المجرية أن تعيش فى وسط هذه المزاحمات أكثر من مئة سنة ثم زالت وحلت محلها المسيحية

وقد كانت وثنيتهم عبارة عن عبادة قوى الطبيعة بفرضهم لكل مظهر من مظاهرها إلها كاله السموات وإله المياه وإله الغابات الخ ولكنهم مع ذلك كانوا يعتقدون بوجود اله واحد يدعونه ابستن وبوجود شيطان مريد اسمه أوردوج وكانوا يصدقون بحياة بعد هذه الحياة ومما يميز هذه الوثنية انها كانت قليلة الأبه بالتصاوير وليس لها كهنوت قوى فلم تستطع أن تقاوم المسيحية زمنا طويلا . كما لم تستطع قبائلهم السبعة أن تدوم على مقاومة الملكية الموحدة

فكان أول ملك مسيحى جلس على عرش تلك البلاد سانت اتيين بن جيزا فكان ملكا ورسولا كهنوتيا معا أرسل اليه البابا سلفستر الثانى بتاج مقدس

بعد موت سانت اتيين سنة (١٠٣٨) وتملك سانت لاديسلاس من سنة (١٠٧٧) حدثت فتن داخلية كان الغرض منها ارجاع الوثنية ثانية ولكن سانت لاديسلاس وكولومان ثبتا عرشيهما بأمرين أولهما بسن قانون لا يسمح باعادة الوثنية القديمة وثانيهما بفتح كرواسيا وسواحل بحر الادرياتيك

وقد جرت الحوادث الاهلية أمة المجر الى أن تكون أمة دستورية فى ذات الوقت الذى كانت فيه الامة الانجليزية كذلك أى من لدن القرن الثالث عشر . من سنة (١٣٠٠ الى سنة ١٥٢٦) حكم المجر ملوك من أسر مختلفة اشتهر منهم اثنان لويز الكبير فانه درأ عن أوروبا كلها حملات الترك وتحمل كل ماصبوه عليهم من غاراتهم الشعواء وصار مثله كمثل من فدى غيره بنفسه فصبر على هذه الشدائد كلها ونجى أوربا من خطر تلك الغارات العثمانية فى القرن الرابع عشر

ومنهم ماتياس كورفان (١٤٥٨ — ١٤٩٠) فكان أكبر ملوك المجر وأبعدهم صيتا وأشدهم شكيمة على أعدائه فصد الاتراك وقهر التشيك

فلما مات بدأ الانحطاط فى المملكة من جراء حقد الفلاحين على الاشراف الذين كانوا شديدى الصلف والكبرياء فلم تحتمل هذه المملكة من جيش السلطان سليمان العثمانى الا ضربة واحدة فسقطت تهوى كأن لم تغن بالامس وذلك فى وقعة موهاكس سنة (١٥٢٦)

(بين الترك والنمساويين من سنة ١٥٢٦ الى سنة ١٧١١) حدث خلاف بين زعيمين من طالبى الملك فى المجر وهما فرديناند وجان زابولى فأيد الترك هذا الاخير فوقعت الحروب الشديدة التى انتصر فيها الترك انتصارات عظيمة على النمساويين

ومن سنة ١٥٤١ كانت المجر ثلاثة أقسام أولها قسم المجر النمساوية ظلت تكافح الاستبداد النمساوى وتجاهد الاتراك الذين كانوا يغيرون عليها مدة مديدة وثانيها المجر المستقلة وكانت فى شرق المكان الذى هى به الان أى بترانسلفانيا وثالثها المجر التركيةوهى المجر الوسطى مع عاصمتها بوداه ولكن هذا الانقسام نفعها جداً فقد دفعها الى الاصلاح دفعا

ثم حدث أن بوداه سقطت فى يد الاتراك سنة (١٦٨٦) وماجاءت سنة (١٦٨٨) حتى كانت المجر التركية خالية من الجنود العثمانية

المجر النمساوى من سنة (١٧١١ الى سنة ١٨٢٣) فى هذا الدور وحده يبدأ التاريخ العصرى لبلاد المجر فكانت أيام الامبراطور شارل السادس (١٧١١ الى ١٧٤٠) أيام شقاء وعناء وانحطاط على بلاد المجر خاصة والنمسا عامة

وبعد ذلك حكمت الامبراطورة مارى تيريز من سنة (١٧٤٠ الى ١٧٨٠) فكانت أيامها أيام اتفاق ووئام بين النمساويين والمجر وقد كانت الملكة تعتبر هؤلاء من أفضل رعاياها واجدرهم بالعناية

ومن سنة (١٧٨٠ الى ١٧٩٠) جاء الامبراطور يوسف الثانى فأفسد بقلة تبصره كل ماكان سائدا من الوئام بين النمساويين والمجر فعادت القلاقل الى ماكانت عليه

ولما تولى ليوبولد من سنة (١٧٩٠ الى ١٧٩٢) حدثت انقلابات دستورية استدعت اضطرابات أهلية ودينية

ومن سنة (١٧٩٢ الى سنة ١٨٢٥) اشتغل النمساويون بمقاومة الحركة الثورية الفرنسية فنشأت قلاقل كثيرة فى بلاد

المجر

ومن سنة ١٨٢٥ الى سنة ١٨٤٨ نشأت فى بلاد المجر حركة ثورية كانت ترمى الى نيل دستور ومجلس نيابى وكان روح هذه الحركة هو الكونت اتيين زيخينى وناجى ويك وكوسوث وفيسيلينى فهبت الحكومة لقمع هذه الحركة وقضت على كوسوث وحبسته . ولكنه قدكان جمع الشعب على محبته لفصاحته واخلاصه ولم تأت سنة ١٨٤٨ حتى بدا دور شديد لبلاد المجر

فنى سنة ١٨٤٩ انتصر جورجى قائد الجيوش الثورية على جيوش الحكومة ورفع نير ملوك النمسا عن المجر وانتخب كوسوت رئيساً لحكومتها ولكن مما يؤسف له أن وقع خلاف بين هذه الحكومة والجنرال جورجى فتدخلت الروسيا بالسلاح لاعانة الحكومة النمساوية فاضطر كوسوت للتنازل عن الرئاسة للجنرال جورجى فسلم هذه القوة فكانت النتيجة سحق القوة الوطنية المجرية

ومن سنة ١٨٤٩ الى سنة ١٨٦٧ ينقسم تاريخ المجر الى دورين أولهما من سنة ١٨٤٩ الى ١٨٥٩ وهو دور الحكم المطلق لبراطرة النمسا على المجر ثم خنت وطأة هذا الحكم وكان الجنرال الان كلابكا وهينو لا يزالان يقاومان حركة الاستبداد النمساوى فلما ضعف أمرهما لم يستطيعا الهرب الى تركيا كأكثر رجال الثورة المجريين فقبض عليهما وقتلا . فلما هدأت حركة الثورة وفرغ النمساويون من الانتقام عفوا عن المجرمين السياسيين ولكنهم محوا كل امتيازات بلاد المجر

ومما حدث أن النمسا طلبت فى أبان اطفائها لتلك الثورة من تركيا أن تسلمها زعماء الثورة المجرية الذين التجأوا الى بلادها فلم تقبل بحجة ان أولئك يعتبرون مجرمين سياسيين والقانون الدولى لا يبيح تسليمهم فتذمرت الروسيا من هذا الرفض وهددت تركيا بالحرب فلم تعبأ بهذا التهديد ووطنت نفسها على الحرب من أجلهم فعد المجريون هذا الاباء من أجل الخدم لهم واعترفوا بهذا الجميل وهم لا يزالون يعترفون لها به الى اليوم لانه كان سببا فى بقاء أعظم رجال الحركة الوطنية أحياء يبثون تعاليمهم وينشرون مبادئهم

ثم لما توالت على النمسا الحروب الدموية من جهة ايطاليا والنمسا رأى

الامبراطور فرنسوا جوزيف ان خير وسيلة لسياسة البلاد وبحاتها من الانحلال هو مسايرة المجريين في ميولهم حتى لايكونون جهة ضعف في الامبراطورية فذهب بنفسه سنة ١٨٦٧ الى بودا وأعلن استقلال المجر عن النمسا استقلالا اداريا تحت سلطته فكان هذا الحل الاخير من أحسن الحلول لمسألة المجر فعاش المجريون والنمساويون تحت سلطته يحكم كل شعب نفسه بقوانينه الخاصة ومجالسه النيابية ودستوره بلا تعرض لشؤون الآخر. ولم يزالوا على ذلك حتى استقلوا بعد الحرب العامة ١٩١٨

﴿المجريطي﴾ هو الحكيم المجريطي القرطبي مؤلف رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا وهي على نمط رسائل اخوان الصفا المشهورة ولكنها لم تطبع ولم تشتهر

توفي سنة (٣٩٥) ه

﴿مجّسه﴾ صيره مجوسيا

﴿المجوس﴾ قال العلامة الشهرستاني في كتابه الملل والنحل :

المجوس وأصحاب الاثنين المانوية وسائر فرقهم المجوسية يقال لهم الدين الاكبر والملة العظمى اذ كانت دعوة الانبياء بعد ابراهيم الخليل عليه السلام لم تكن في العموم كالدعوة الخليلية ولم يثبت لها من القوة والشوكة والملك والسيف مثل الملة الحنيفية اذ كانت ملوك العجم كلها على ملة ابراهيم وجميع من كان في زمانه كل واحد منهم من الرعايا في البلاد على أديان ملوكهم وكان لملوكهم مرجع هو موبذ موبذان أعلم العلماء وأقدم الحكماء يصدرون عن أمره ولا يرجعون الا الى رأيه ويعظمونه تعظيم السلاطين لخلفاء الوقت وكانت دعوة بني اسرائيل أكثرها في بلاد الشام وما وراءها من المغرب وقل ماسرى من ذلك الى بلاد العجم

وكانت الفروق في زمان ابراهيم الخليل راجعة الى صفين احداهما الصابئة والثانية الحنفاء فالصابئة كانت تقول انا نحتاج في معرفة الله تعالى ومعرفة طاعته وأوامره وأحكامه الى متوسط لكن ذلك المتوسط يجب أن يكون روحانيا لاجسمانيا وذلك لزكاء الروحانيات وطهارتها وقربها من رب الارباب والجسماني بشر مثلنا يأكل مما نأكل ويشرب مما نشرب يماثلنا في المادة والصورة. قالوا (ولئن أطعتم بشراً مثلكم انكم اذاً لخاسرون)

والحنفاء كانت تقول انا نحتاج في

المعرفة والطاعة الى متوسط من جنس البشر يكون درجته فى الطهارة والعصمة والتأييدو الحكمة فوق الروحانية يماثلها من حيث البشرية ويمايزنا من حيث الروحانية فيتلقى الوحى بطرف الروحانية ويلقيه الى نوع الانسانية بطرف البشرية وذلك قوله تعالى «قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الىّ» وقال جل ذكره : « قل سبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولا »

ثم لما لم يتطرق للصابئة الاقتصار على الروحانيات البحتة والتقرب اليها بأعيانها والتلقى منها بذاتها فزعت جماعة الى هيا كلها وهى السيارات السبع وبعض الثوابت فصابئة الروم مفزعها السيارات وصابئة الهند مفزعها الثوابت وسنذكر مذاهبهم على التفصيل ان شاء الله تعالى وربما نزلوا عن الهياكل الى الاشخاص التى لا تسمع ولا تبصر ولا تغنى عن الانسان شيئا . والفرقة الاولى هم عبدة الكواكب والثانية هم عبدة الاصنام وكان الخليل مكلفا بكسر المذهبين على الفرقتين وتقرير الحنيفية السمحة السهلة احتج على عبدة الاصنام قولا وفعلا كسرا من حيث الفعل فقال لابيه آزر «ياأبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا» الآيات حتى جعلهم جذاذاً الا كبيراً لهم وذلك الزام من حيث الفعل وافحام من حيث الكسر ففزع من ذلك كما قال تعالى :

«وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم »

ابتدأ بابطال مذاهب عبدة الاوثان على صيغة الموافقة كما قال تعالى :

« وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض »

أى كما آتيناه الحجة كذلك نريا الحجة فساق الالزام على أصحاب الهياكل مساق الموافقة فى المبدأ والمخالفة فى النهاية ليكون الالزام أبلغ والافحام أقوى والا فابراهيم الخليل عليه السلام لم يكن فى قوله «هذا ربى» مشركا كما لم يكن فى قوله «بل فعله كبيرهم هذا» كاذبا وسوق الكلام على جهة الالزام غير سوقه على جهة الالتزام . فلما أظهر الحجة وبين المحجة قرر الحنيفية التى هى الملة الكبرى والشريعة العظمى وذلك هو الدين القيم

وكان الانبياء من أولاده كلهم

بقرون الحنيفية وبالخصوص صاحب شرعنا محمد صلوات الله عليه كان في تقريرها قد بلغ النهاية القصوى وأصاب المرمى وأسمى

ومن العجب ان التوحيد من أخص أركان الحنيفية ولهذا يقترن نفي الشرك بكل موضع ذكر الحنيفية حنيفا وما كان من المشركين . حنفاء لله غير مشركين به

(ثم الثنوية) اختصت بالمجوس حتى اثبتوا أصلين اثنين مدبرين قديمين يقتسمان الخير والشر والنفع والضرر والصلاح والفساد يسمون أحدهما النور والثاني الظلمة وبالفارسية يزدان وأهرمن ولهم في ذلك تفصيل مذهب ومسائل المجوس كلها تدور على قاعدتين احدهما بيان سبب امتزاج النور بالظلمة والثانية سبب خلاص النور من الظلمة وجعلوا الامتزاج مبدأ والخلاص معاداً

(المجوس) أثبتوا أصلين كما ذكرنا الا أن المجوس الاصلية زعموا أن الاصلين لايجوز أن يكونا قديمين أزليين بل النور أزلي . والظلمة محدثة . ثم لهم اختلاف في سبب حدوثها أمن النور حدثت والنور لايحدث شراً جزئياً فكيف يحدث أصل الشر ، أم شيء آخر ولاشيء يشارك النور في الاحداث والقدم وبهذا يظهر خبط المجوس . وهؤلاء يقولون المبدأ الاول من الاشخاص كيومرث وربما يقولون نزروان الكبير والنبي والآخر زرادشت والكيومرثية يقولون كيومرث هو آدم عليه السلام وقد ورد في تواريخ الهند والعجم كيومرث آدم ويخالفهم سائر أصحاب التواريخ

(الكيومرثية) أصحاب المقدم الاول كيومرث أثبتو أصلين يزدان أزلي قديم واهرمن محدث مخلوق . قالوا أن يزدان فكر في نفسه انه لو كان لي منازع كيف يكون ؟ وهذه الفكرة رديئة غير مناسبة لطبيعة النور فحدث الظلام من هذه الفكرة وسمي أهرمن وكان مطبوعاً على الشر والفتنة والفساد والضرر والاضرار فخرج على النور وخالفه طبيعة وقولا وجرت محاربة بين عسكر النور وعسكر الظلمة ثم ان الملائكة توسطوا فتصالحوا على أن يكون السفلي خالصاً لاهرمن ، وذكروا سبب حدوثه ، وهؤلاء قالوا سبعة آلاف سنة ثم يخلي العالم ويسير الى النور . والذين كانوا في الدنيا قبل الصلح أبادهم وأهلكهم ثم بدأ

برجل يقال له كيومرث وحيوان يقال له ثور فقتلتهما فنبت من مسقط ذلك الرجل ريباس وخرج من اصل ريباس رجل يسمى ميشة وامرأة اسمها ميشانة وهما أبو البشر ونبت من مسقط الثور الانعام وسائر الحيوانات وزعم ان النور خير الناس وهم ارواح بلا اجساد بين ان يرفعهم عن مواضع اهرمن ، وبين أن يسلبهم الاجساد فيحاربون اهرمن فاختاروا لبس الاجساد ومحاربة اهرمن على ان يكون لهم النصرة من عند النور والظفرة بجنود اهرمن وحسن العاقبة . وعند الظفر به واهلاك جنوده يكون القيامة فذاك سبب الامتراج وهذا سبب الخلاص

(الزروانية) قالوا ان النور ابدع اشخاصا من نور كلها روحانية نورانية ربانية لكن الشخص الاعظم الذى اسمه زروان شك فى شىء من الاشياء فحدث اهرمن الشيطان من ذلك الشك

وقال بعضهم لابل ان زروان الكبير قام فزمزم تسعة آلاف وتسعمائة وتسعا وتسعين سنة ليكون له ابن فلم يكن . ثم حدث نفسه وفكر وقال لعل هذا العالم ليس بشىء فحدث اهرمن من ذلك الهم الواحد وحدث هرمز من ذلك العلم فكانا جميعا فى بطن واحد وكان اهرمن أقرب من باب الخروج فاحتال هرمز على الشيطان حتى شق بطن أمه فخرج قبله وأخذ الدنيا وقيل انه لما مثل بين يدى زروان فأبصره ورأى ما فيه من الخبث والشرارة والفساد أبغضه فلعنه وطرده فمضى واستولى على الدنيا

واما هرمز فبقى زمانا لايدله عليه وهو الذى اتخذه قوم ربا وعبدوه لما وجدوه فيه من الخير والطهارة والصلاح وحسن الاخلاق

وزعم بعض الزروانية انه لم يزل كان مع الله شىء ردىء اما فكرة رديئة واما عفونة رديئة وذلك هو مصدر الشيطان

وزعموا أن الدنيا كانت سليمة من الشرور والآفات والفتن وكان أهلها فى خير محض ونعيم خالص فلما حدث اهرمن حدثت الشرور والآفات والفتن وكان بمعزل من السماء فاحتال حتى خرق السماء وصعد

وقال بعضهم كان هو فى السماء والارض خالية عنه فاحتال حتى خرق السماء ونزل الى الارض بجنوده كلها فهرب النور بملائكته واتبعه الشيطان حتى

حاصره فى جنته وحاربه ثلاثة آلاف سنة لا يصل الشيطان الى الرب تعالى ثم توسطت الملائكة وتصالحا على ان يمكث ابليس وجنوده فى قرار الضوء تسعة آلاف سنة بالثلاثة آلاف التى قاتله فيها ثم خرج الى موضعه ورأى الرب تعالى عن قولهم الصلاح فى احمال المكروه من ابليس وجنده ولا ينقضى الشر حتى تنقضى مدة الصلح فالناس فى البلاء والفتن والخزايا والمحن الى انقضاء المدة ثم يعود الى النعيم الاول وشرط ابليس عليه ان يمكنه من اشياء يفعلها ويطلقه فى افعال رديئة يباشرها فلما فرغا من الشرط أشهدوا عليهما عدلين ودفعا سيفيهما اليهما وقالا لهما من نكث فاقتلوه بهذ السيف. ولست اظن عاقلا يعتقد هذا الرأى القائل ويرى هذا الاعتقاد المضمحل الباطل ولعله كان رمزاً الى ما يتصور فى العقل

ومن عرف الله سبحانه وتعالى بجلاله وكبريائه لم يسمح بهذه الترهات عقله ، ولم يسغ هذه الخرافات سمعه

واغرب من هذا ما حكاه ابو حامد الزوزنى ان المجوس زعمت ان ابليس كان لم يزل فى الظلمة والجو والخلاء بمعزل عن سلطان الله ثم لم يزل يزحف ويقرب بحيله حتى رأى النور فوثب وثبة فصار فى سلطان الله فى النور وادخل منه هذه الآفات والشرور

فخلق الله سبحانه وتعالى هذا العالم شبكة له فوقع فيها متعلقا بها لا يمكنه الرجوع الى سلطانه فهو محبوس فى هذا العالم مضطرب فى الحبس يرمى بالآفات والمحن والفتن الى خلق الله فمن أحياه الله رماه بالموت ومن اصحه رماه بالسقم ومن سره رماه بالحزن فلا يزال كذلك الى يوم القيامة

وكل يوم ينقص سلطانه حتى لا يبقى له قوة فاذا كانت القيامة ذهب سلطانه وخمدت نيرانه وزالت قوته واضمحلت قدرته فيطرحه فى الجو والجو ظلمة ليس له حد ولا منتهى ثم يجمع الله سبحانه وتعالى اهل الاديان فيحاسبهم ويجازيهم على طاعة الشيطان وعصيانه

(واما المسخية) فقالت ان النور كان وحده نوراً محضا ثم انمسخ بعضه فصار ظلمة وكذلك الخرمدينية قالوا بأصلين ولهم ميل الى التناسخ والحلول وهم لا يقولون باحكام وحلال وحرام

ولقد كان فى كل أمة من الامم

مثل الاباحية والمزدكية والزنادقة والقرامطة كان تشويش ذلك الدين منهم وفتنة الناس مقصورة عليهم

(الزرادشتية) اصحاب زرادشت بن يورشب الذى ظهر فى زمان كشتاسف بن لهراسب الملك وابوه كان من أذربيجان وامه من الرى واسمها دغد وزعموا ان لهم انبياء وملوكا اولهم كيومرث وكان اول من ملك الارض وكان مقامه باصطخر وبعده أوشهنج بن فراول ونزل ارض الهند وكانت له دعوة آثمة وبعده طمهورث وظهرت الصابئة فى اول سنة من ملكه وبعده اخوه جم الملك ثم بعده انبياء وملوك منهم منوجهر ونزل بابل واقام بها

وزعموا ان موسى عليه السلام ظهر فى زمانه حتى انتهى الملك كشتاسف بن لهراسب وظهر فى زمانه زرادشت الحكيم زعموا ان الله عز وجل خلق من وقت ما فى الصحف الاولى والكتاب الاعلى من مكوته خلقا روحانيا فلما مضت ثلاثة آلاف سنة انفذ مشيئته فى صورة من نور متلالىء على تركيب صورة الانسان واحف به سبعين من الملائكة المكرمين وخلق الشمس والقمر والكواكب وبنى آدم غير متحرك ثلاثة آلاف سنة

ثم جعل روح زرادشت فى شجرة انشأها فى أعلى عليين وغرسها فى قلة جبل من جبال اذربيجان يعرف باسمو يذخر ثم مازج شبح زرادشت بلبن بقرة تشربه ابو زرادشت فصار مضغة فى رحم امه فقصدها الشيطان وغيرها فسمعت أمه نداء من السماء فيه دلالات على برئها فبرأت ثم لما ولد ضحك ضحكة تبينها من حضر واحتالوا على زرادشت حتى وضعوه بين مدرجة البقر ومدرجة الخيل ومدرجة الذئب وكان ينتهض كل واحد منهم بحمايته من جنسه ونشأ بعد ذلك الى أن بلغ ثلاثين سنة فبعثه الله نبيا ورسولا الى الخلق فدعا كشتاسف الملك فأجابه الى دينه

وكان دينه عبادة الله والكفر بالشيطان والامر بالمعروف والنهى عن المنكر واجتناب الخبائث وقال النور والظلمة أصلان متضادان

وكذلك يزدان واهرمن وهما مبدأ موجودات العالم وحصلت التراكيب من امتزاجهما وحدثت الصور من التراكيب المختلفة والبارى تعالى خالق النور والظلمة ومبدعهما وهو واحد لاشريك له ولا ضد

ولا ند

ولا يجوز ان ينسب اليه وجود الظلمة كما قالت الزروانية لكن الخير والشر والصلاح والفساد والطهارة والخبث انما حصلت من امتزاج النور والظلمة ولو لم يمتزجا لما كان وجود للعالم وهما يتقاومان ويتغالبان الى ان يغلب النور الظلمة والخير الشر

ثم يتخلص الخير الى عالمه والشر ينحط الى عالمه وذلك هو سبب الخلاص والبارى تعالى هو مزجهما وخلطهما حكمة رآها فى التركيب وربما جعل النور أصلا وقال فى وجوده وجود حقيقى

وأما الظلمة فتبع كالظل بالنسبة الى الشخص فانه يرى انه موجود وليس بموجود حقيقة فأبدع النور وحصل الظلام تبعا لان من ضرورة الوجود التضاد فوجوده ضرورى واقع فى الخلق لا بالقصد الاول كما ذكرنا فى الشخص والظل

وله كتاب قد صنفه وقيل أنزل ذلك عليه وهو زندوستا يقسم العالم قسمين مينه وكيتى يعنى الروحانى والجسمانى والروح والشخص وكما قسم الخلق الى عالمين يقول أن ما فى العالم ينقسم قسمين بخشش وكنش يريد به التقدير والفعل وكل واحد مقدر على الثانى

ثم يتكلم فى موارد التكليف وهى حركات الانسان فيقسمها ثلاثة اقسام منش وكونس وكنش يعنى بذلك الاعتقاد والقول والعمل ، بالثلاث يتم التكليف فاذا قصر الانسان فيها خرج عن الدين والطاعة واذا جرى فى هذه الحركات على مقتضى الامر والشريعة فاز الفوز الاكبر

وتدعى الزرادشتية له معجزات كثيرة منها دخول قوائم فرس كشتاسف فى بطنه وكان زرادشت فى الحبس فأطلق فانطلق قوائم الفرس

ومنها أنه مر على اعمى بالدينور فقال خذوا حشيشة وصفها لهم وعصروا ماءها فى عينه فانه يبصر ففعلوا فأبصر الاعمى وهذا من جملة معرفته بخاصية الحشيشة وليس من المعجزات فى شىء

(ومن المجوس الزرادشتية) صنف يقال لهم السيسانية والبها فريدية رئيسهم رجل من رستاق نيسابور ويقال له خواق خرج أيام أبى مسلم صاحب الدولة وكان زمزميا فى الاصل يعبد النيران . ثم ترك ذلك ودعا المجوس الى ترك الزمزمية

ورفض عبادة النيران ووضع لهم كتابا وأمرهم فيه بارسال الشعور وحرم الامهات والنبات والاخوان وحرم عليهم الخمر وأمرهم باستقبال الشمس عند السجود على ركبة واحدة وهم يتخذون الرباطات ويتبادلون الاموال ولا يأكلون الميتة ولا يذبحون الحيوان حتى يهرم وهم أعدى خلق الله للمجوس الزمازمة

ثم ان موبذ المجوس رفعه الى ابى مسلم فقتله على باب الجامع بنيسابور وقال أصحابه انه صعد الى السماء على برذون أصفر وانه سينزل على البرذون فينتقم من أعدائه وهؤلاء قد أقروا بنبوة زرادشت وعظموا الملوك الذين يعظمهم زرادشت

ومما أخبر به زرادشت فى زندوستا قال سيظهر فى آخر الزمان رجل اسمه اشيزريكا ومعناه الرجل العالم بالدين والعدل ثم يظهر فى زمانه بتياره فيوقع الآفة فى أمره وملكه عشرين سنة ثم يظهر بعد ذلك أشيزريكا على أهل العالم ويحيى العدل ويميت الجور ويرد السنن المغيرة الى أوضاعها الاولى وينقاد له الملوك ويتيسر له الامور وينصر الدين الحق ويحصل فى زمانه الامن والدعة وسكون الفتن وزوال المحن والله أعلم

(الثنوية) هؤلاء أصحاب الاثنين الازليين يزعمون أن النور والظلمة أوليان قديمان بخلاف المجوس فانهم قالوا بحدوث الظلام وبتساويهما فى القدم واختلافهما فى الجوهر والطبع والفعل والحيز والمكان والاجناس والابدان والارواح

ومنهم المانوية (انظر مانوية)

(المزدكية) هو مزدك الذى ظهر فى أيام قباد والد انو شروان ودعا قباد الى مذهبه فأجابه واطلع أنوشروان على حزبه وافترائه فطلبه فقتله

حكى الوراق ان قول المزدكية كقول كثير من المانوية فى الكونين والاصلين الا ان مزدك كان يقول ان النور يفعل بالقصد والاختيار والظلمة تفعل على الخبط والاتفاق والنور عالم حساس والظلام جاهل أعمى وان المزاج كان على الاتفاق والخبط لا بالقصد والاختيار وكذلك الخلوص انما يقع بالاتفاق دون الاختيار وكان مزدك ينهى الناس عن المخالفة والمباغضة والقتال

ولما كان أكثر ذلك انما يقع بسبب النساء والاموال فأحل النساء وأباح

الاموال وجعل الناس شركة فيها كاشتراكهم فى الماء والنار والكلأ

وحكى انه أمر بقتل الانفس ليخلصها من الشر ومزاج الظلمة ومذهبه فى الاصول والاركان انها ثلاثة الماء والنار والارض ولما اختلطت حدث عنها مدبر الخير ومدبر الشر فما كان من صفوها فهو مدبر الخير وما كان من كدرها فهو مدبر الشر

وروى عنه ان معبوده قاعد على كرسيه فى العالم الاعلى هيئة قعود خسرو فى العالم الاسفل وبين يديه أربع قوى قوى التمييز والفهم والحفظ والسرور كما بين يدى خسرو اربعة اشخاص موبذان موبذ والهربد الاكبر والاصبهبد والرامشكر وتلك الاربع يدبرون أمر العالمين بسبعة من وزرائهم سالار وبيشكار وبالون وبروان وكاردان ودستور وكودك وهذه السبعة تدور فى اثنى عشر روحانيين حوانده دهنده ستاننده برنده خورنده دونده خيزنده كشنده زننده كننده آينده شونده پاينده

وكل انسان اجتمعت له هذه القوى الاربع والسبع والاثنتى عشرة صار ربانيا فى العالم السفلى وارتفع عنه التكليف قال وان خسرو بالعالم على انما يدبر بالحروف التى مجموعها الاسم الاعظم ومن تصور من تلك الحروف شيئا انفتح له السر الاكبر ومن حرم ذلك بقى فى عمى الجهل والنسيان والبلادة والغم فى مقابلة القوى الاربع الروحانية وهم فرق الكوذكية وأبو مسلمية والماهينة والاسبيد جامكية . والكوذكية بنواحى الاهواز وفارس وشهرزور والآخر بنواحى سغد سمرقند والشاش وايلاق

(الديصانية) اصحاب ديصان أثبتوا أصلين نورا وظلاما فالنور يفعل الخير قصدا واختيارا والظلام يفعل الشر طبعا واضطرار فما كان من خير ونفع وطيب وحسن فمن النور وما كان من شر ونتن وقبح فمن الظلام

وزعموا ان النور حى عالم قادر حساس دراك ومنه يكون الحركة والحياة . والظلام ميت جاهل عاجز جماد لافعل له ولا تمييز

وزعموا ان الشر يقع منه طباعا وخرقا

وزعموا ان النور جنس واحد وان ادراك النور متفق وان سمعه وبصره وسائر حواسه شىء واحد فسمعه هو بصره وبصره هو حواسه وانما قيل سميع بصير لاختلاف التركيب لا لانهما فى نفسه

شيئان مختلفان

وزعموا ان اللون هو الطعم وهو الرائحة وهو المجسة وانما وجدوه لوناً لان الظلمة خالطته ضربا من المخالطة ووجدوه طعما لأنها خالطته بخلاف ذلك الضرب وكذلك تقول في لون الظلمة وطعمها ورائحتها ومجستها

وزعموا ان النور بياض كله لم يزل يلقى الظلمة بأسفل صفحة منه وان الظلمة لم تزل تلقاه بأعلى صفحة منها واختلفوا في المزاج والخلاص

فزعم بعضهم ان النور داخل الظلمة والظلمة تلقاه بخشونة وغلظ فتأذى بها وأحب أن يرققها ويلينها ثم يتخلص منها وليس ذلك لاختلاف جنسهما ولكن كما ان المنشار جنسه حديد وصفحته لينة وأسنانه خشنة فاللين في النور والخشونة في الظلمة وهما جنس واحد فتلطف النور بلينه حتى يدخل تلك الفرج فما أمكنه الا بتلك الخشونة فلا يتصور الوصول الى كمال ووجود الا بلين وخشونة

وقال بعضهم بل الظلمة لما احتالت حتى نشبت بالنور من اسفل صفحته فاجتهد النور حتى يتخلص منها ويدفعها عن نفسه فاعتمد عليه فلجج فيه وذلك بمنزلة الانسان الذى يريد الخروج من وحل وقع فيه فيعتمد على رجله ليخرج فيزداد لحوجا فيه فاحتاج النور الى زمان ليعالج التخلص منه والتفرد بعالمه

وقال بعضهم ان النور انما دخل الظلمة اختياراً ليصلحها ويستخرج منها أجزاء صالحة لعالمه فلما دخل نشبت به فصار يفعل الجيد والقبيح اضطراراً لا اختياراً ولو انفرد في عالمه ما كان يحصل منه الا الخير المحض والحسن البحت وفرق بين الفعل الضرورى والفعل الاختيارى

(المرقونية) أثبتوا قديمين أصلين متضادين أحدهما النور والآخر الظلمة وأثبتوا أصلا ثالثا هو المعدل الجامع وهو سبب المزاج فان المتنافرين المتضادين لا يمتزجان الا بجامع وقالوا الجامع دون النور في الترتبة وفوق الظلمة وحصل من الاجتماع والامتزاج هذا العالم

ومنهم من يقول الامتزاج انما حصل بين الظلمة والمعدل اذا هو قريب منها فامتزج به ليتطيب به ويلتذ بملاذه فبعث النور الى العالم الممتزج روحا مسيحية وهو روح الله وابنه تحننا على المعدل السليم

الواقع فى شبكة الظلام الرحيم حتى يخلصه من حبائل الشياطين فمن اتبعه فلا يلامس النسا ولم يقرب الزهور واذا مات أفلت ونجا ومن خالفه خسر وهلك . قالوا وانما أثبتنا المعدل لأن النور الذى هو الله تعالى لا يجوز عليه مخالطة الشيطان وأيضاً فان الضدين يتنافران طبعاً ويتمانعان ذاتاً ونفساً فكيف يجوز اجتماعهما وامتزاجهما فلا بد من معدل يكون منزلته دون النور وفوق الظلام فيقع المزاج معه وهذا على خلاف ما قاله المانوية وان كان ديصان أقدم وانما اخذ مانى منه مذهبه وخالفه فى المعدل وهو أيضا خلاف ما قال زرادشت فانه يثبت التضاد بين النور والظلمة ويثبت المعدل كالحاكم على الخصمين الجامع بين المتضادين لا يجوز ان يكون طبه وجوهره من أحد الضدين وهو الله عز وجل الذى لا ضد له ولا ند

وحكى محمد بن شبيب عن الديصانية انهم زعموا ان المعدل هو الانسان الحساس الدراك اذ هو ليس بنور محض

وحكى عنهم انهم يرون المناكحة وكل ما فيه منفعة لبدنه وروحه حراما ويحترزون من ذبح الحيوان لما فيه من الألم

وحكى عن قوم من الثنوية ان النور والظلمة لم يزالا حيين الا أن النور حساس عالم والظلام جاهل اعمى والنور يتحرك حركة مستوية والظلام يتحرك حركة عجز فيه خرقاء معوجة فبينا الامر كذلك اذ هجم بعض هامات الظلام على حاشية من حواشى النور فابتلع النور منه قطعة على الجهل لا على القصد والعلم وذلك كالطفل الذى لا يفصل بين التمرة والجمرة وكان ذلك سبب المزاج

ثم ان النور الاعظم دبر فى الخلاص فبنى هذا العالم ليستخلص ما امتزج به من النور ولم يمكنه استخلاصه الا بهذا التدبير (الكينونية والصيامية) وأصحاب التناسخ منهم

حكى جماعة من المتكلمين ان الكينونية زعموا ان الاصول ثلاثة النار والارض والماء وانما حدثت الموجودات من هذه الاصول دون الاصلين الذين أثبتهما الثنوية قالوا والنار بطبعها خيرة نورانية والماء ضدها فى الطبع فما رأيت من خير فى هذا العالم فمن النار وما كان من شر فمن الماء والارض متوسطة وهؤلاء يتعصبون للنار شديداً من حيث انها

علوية نورانية لطيفة لاوجود الا بها ولا بقاء الا بامدادها والماء يخالفها فى الطبع فيخالفها فى الفعل والارض المتوسطة بينهما فيتركب العالم من هذه الاصول

(والصيامية) منهم أمسكوا عن طيبات الرزق وتجردوا العبادة الله وتوجهوا فى عبادتهم الى النيران تعظيما لها وأمسكوا أيضا فى النكاح والذبائح

(والتناسخية) منهم قالوا بتناسخ الارواح فى الاجساد والانتقال من شخص الى شخص وما يلقى من الراحة والتعب والدعة والنصب فرتب على ما أسلفه قبل وهو فى بدن آخر جزاء على ذلك . والانسان أبداً فى حد أمرين أما فى فعل وأما فى جزاء وما هو فيه فاما مكافأة على عمل قدمه وأما عمل ينتظر المكافأة عليه والجنة والنار فى هذ الابدان وأعلى عليين درجة النبوة وأسفل السافلين دركة الجنة فلا وجود أعلى من درجة الرسالة ولا وجود أسفل من درجة الجنة

ومنهم من يقول الدرج الاعلى درجة الملائكة والاسفل دركة الشيطانية ويخالفون بهذا المذهب سائر الثنوية فانهم يعنون بأيام الخلاص رجوع أجراء النور الى عالمه الشريف الحميد وبقاء أجراء الظلام فى عالمه الخسيس الذميم

وأما بيوت النيران للمجوس فأول بيت بناه أفريدون بيت ناربطوس وآخر بمدينة بخارا هو بردسون واتخذ بهما بيتا بسجستان يدعى كركراولهم بيت نار فى نواحى بخارى يدعى قباذان وبيت نار يسمى كويسه بين فارس وأصبهان بناه كيخسرو وآخر بقومس يسمى جرير وبيت نار يسمى كنكدز بناه سياوس فى مشرق الصين وآخر بارجان من فارس اتخذه ارجان جد كشتاسف وهذه البيوت كانت قبل زرادشت

ثم جدد زرادشت بيت نار بنيسابور وآخر بنساو وأمر كشتاسف أن يطلب ناراً كان يعظمها جان جم فوجدوها بمدينة خورزم فنقلها الى أيجرد ويسمى آذرخوا والمجوس يعظمونها أكثر من غيرها وكيخسرو لما خرج الى غزو افراسياب عظمها وسجدها ويقال إن أنو شروان هو الذى نقلها الى الكارمان فتركوا بعضها وحملوا بعضها الى نساو فى بلاد الروم

وعلى باب قسطنطينية بيت نار اتخذه سابور بن ازدشير فلم يزل كذلك

الى أيام المهدى وبيت نار باسفينيا على قرب مدينة السلم لتوازن بيت كسرى وكذلك بالهند والصين بيوت نيران

(وأما اليونان) فكان لهم ثلاثة ابيات ليست فيها نار وذكرناها والمجوس انما يعظمون النار لمعان منها انها جوهر شريف علوى

ومنها انها ماأحرقت ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام

ومنها ظنهم ان التعظيم ينجيهم فى المعاد من عذاب النار وبالجملة هى قبلة ووسيلة واشارة أهل الاهواء والنحل وهؤلاء يقابلون أرباب الديانات تقابل التضاد كما ذكرنا واعتمادهم على الفطرة السليمة والعقل الكامل والذهن الصافى فمن معطل بطال لا يرد عليه فكره راد ، ولا يهديه عقله ونظره الى اعتقاد ، ولا يرشده فكره وذهنه الى معاد ، قد الف المحسوس وركن اليه وظن أنه لا عالم سوى ماهو فيه من مطعم شهى ومنظر بهى ، ولا عالم وراء المحسوس وهؤلاء هم الطبيعيون الدهريون لايثبتون معقولا

ومن محصل نوع تحصيل قد ترقى عن المحسوس وأثبت المعقول لكنه لايقول بحدود واحكام وشريعة واسلام

ويظن انه اذا حصل المعقول وأثبت للعالم مبدأ ومعاداً وصل الى الكمال المطلوب من جنسه فتكون سعادته على قدر احاطته وعلمه ، وشقاوته بقدر سفاهته وجهله ، وعقله هو المستعد لقبول تلك الشقاوة وهؤلاء هم الفلاسفة الالهيون

قالوا الشرائع وأصحابها أمور مصلحية عامة والحدود والاحكام والحلال والحرام امور وضعية والشرائع لها رجال لهم حكم علمية وربما يؤيدون من عند واهب الصور باثبات أحكام ووضع حلال وحرام مصلحة للعباد وعمارة للبلاد وما يخبرون عنه من الامور الكائنة فى الحال من أحوال عالم الروحانيين من الملائكة والعرش والكرسى واللوح والقلم فانما هى أمور معقولة لهم قد عبروا عنها بصور خيالية جسمانية

وكذلك مايخبرون من أحوال المعاد من الجنة والنار ثم قصور وأنهار وطيور وثمار من الجنة فترغيبات للعوام بما يميل اليه طباعهم ، وسلاسل واغلال وخزى ونكال فى النار فترغيبات للعوام مما ينزجر عنه طباعهم والا ففى العالم العلوى لايتصور أشكال جسمانية وصور جرمانية وهذا أحسن مايعتقدونه فى الانبياء لست أعنى

بهم الذين أخذوا علومهم من مشكاة النبوة وانما أعنى بهؤلاء الذين كانوا فى الزمن الاول دهرية وحشيشية وطبيعية والهية قد اغتروا بحكمهم واستقلوا بأهوائهم وبدعهم ثم يتلوهم ويقرب منهم قوم يقولون بحدود وأحكام عقلية وربما أخذوا أصولها وقوانينها مؤيدة بالوحى الا أنهم اقتصروا على الاول منهم وما تعدوا الى الآخر وهؤلاء هم الصابئة الاولى الذين قالوا بعاذيمون وهرمس وهاشيت وادريس ولم يقولوا بغيرهما من الانبياء والتقسيم الضابط أن يقول من الناس من لا يقول بمعقول ولا محسوس وهم السوفسطائية

ومنهم من يقول بالمحسوس ولا يقول بالمعقول وهم الطبيعية

ومنهم من يقول بالمحسوس والمعقول ولا يقول بحدود وأحكام وهم الفلاسفة الدهرية

ومنهم من يقول بالمحسوس والمعقول والحدود والاحكام ولا يقول بالشريعة والاسلام وهم الصابئة

ومنهم من يقول بهذه كلها وبشريعة ما واسلام ولا يقولون بشريعة المصطفى صلى الله عليه وسلم وهم اليهود والنصارى

ومنهم من يقول بهذه كلها وهم المسلمون

مجن يمجُن مجونا ومَجانا هزل ضد جد و(الماجن) الهازل و(المَجّان) ماكان بلا بدل . يقال : (هذا الشىء لك بالمجان)

المح خالص كل شىء وصفرة البيض وزلاله وصفرته معاً

المحاسبى هو أبو عبدالله الحرث ابن أسد المحاسبى الزاهد المشهور

كان أحد رجال الصوفية الكبار وهو ممن اجتمع له علم الظاهر والباطن وله كتب فى الزهد والاصول وله أيضاً كتاب الرعاية

مما يروى عنه ان أباه ترك له سبعين الف درهم فلم يأخذ منها شيئاً لان أباه كان قدريا أى منكراً للقضاء والقدر على مذهب المعتزلة فرأى المحاسبى ان من الورع أن لا يأخذ ميراثه وقال صحت الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يتوارث أهل ملتين شتى . ومات وهو محتاج الى درهم واحد

نقول ان هذا الحديث لا ينطبق فى نظرنا على القدرية ولا الجبرية ولا غيرهم

من سائر الفرق الاسلامية فالذى ينكر القدر انما ينكره تنزيهاً لله عن الظلم فقد قال كيف يقدّر الله على رجل المعصية ويحتمها عليه ثم يؤاخذه عليها وهو الذى قهره على فعلها ؟ فلما لم يستطع القدرى أن يخرج من هذا المأزق أنكر القدر . ومثل هذا وان كان مخطئاً قصير النظر فى رأينا فلا يطلق عليه انه من ملة أخرى

ويحكى عن المحاسبى أنه كان اذا مد يده الى طعام فيه شبهة تحرك على أصبعه عرق فكان يمتنع عنه

وسئل عن العقل ما هو فقال : نور الغريزة مع التجارب يزيد ويقوى بالعلم والحلم

ومن كلامه : « فقدنا ثلاثة أشياء حسن الوجه مع الصيانة ، وحسن القول مع الامانة ، وحسن الاخاء مع الوفاء »

قال السمعانى عرف المحاسبى بهذه النسبة لانه كان يحاسب نفسه . وقال كان الامام احمد بن حنبل يكرهه لنظره فى علم الكلام وتصنيفه فيه وهجره فاستخفى من العامة فلما مات لم يصل عليه إلا اربعة نفر توفى سنة (٢٤٣) هـ

﴿محص﴾ الذهب بالنار يمحصه محصا خلصه مماشابه. و(محّص الشىء) طهره . و (تمحّصت الظلماء) تكشفت

﴿محضه﴾ يمحضه محضاً سقاه المحض . أى الخالص من اللبن أوغيره و (محّضه الود وماحضه) أخلصه اياه . و (محُض يمحُض محوضة) صارمحضاً اى خالصا

﴿محق﴾ الشىء يمحقه محقا أبطله ومحاه . و(أمحق القمرُ) دخل فى المُحاق وهو آخر الشهر حيث يختفى القمر . و (انمحق الهلال) لم يكد يرى فى آخر الشهر

﴿محك﴾ الرجل يمحك محكا ومحْكا نازع فى الكلام و (ماحكه) لاجه وخاصمه فهو محِك وماحِك ومَحْكان

﴿محل﴾ البلد يمحل محلا ومحولا أجدب فهو ماحل و (محل به الى الحاكم يمحل محْلا ومِحالا) وشى به اليه و(ماحله) ماكره . و (أمحل البلد) أجدب . و (تمحّل الشىء) طلبه بالحيلة

و (المِحال) الكيد والعذاب والقوة . و (لامحالة) أى لاحيلة

﴿محنه﴾ يمحنه اختبره وجربه

ومثله (امتحنه) و (المحنة) مايمتحن به الانسان

﴿محا﴾ الشيء يمحو محواً زال و(محا الشيء) أزاله . و (امحى الشيء) زال

﴿المخ﴾ هو الجزء الأكبر حجما من باقى أجزاء الدماغ وزنه ١٢٥٠ عراما وهو موضوع فى الجزء المقدم والعلوى من تجويف الجمجمة وشكله بيضى مضغوط من أعلى الى أسفل طرفه الدقيق الى الامام والغليظ الى الخلف . وهو مكون من نصفين متساويين يسميان بالنصفين الكريين للمخ وينضمان أحدهما للآخر بواسطة عدة أجزاء متوسطة ومنفردة وشكل كل نصف كرى منشورى مثلث تتميز له ثلاثة اوجه وطرفان . فالوجوه أنسى ووحشى وسفلى ، والطرفان مقدم وخلفى

(التركيب الظاهر للمخ) يتميز للمخ سطح علوى وسطح سفلى أى قاعدة فالسطح العلوى يشاهد فيه على الخط المتوسط الشق العظمى للمخ أى الشق بين النصفين الكريين ، ومن الجانبين الوجه المحدب الوحشي للنصفين الكريين

فالشق العظيم للمخ معد لقبول شرشرة المخ وممتد من الامام الى الخلف، وموضوع على الجسم المندمج. وهذا الشق يصل الى السطح السفلى للمخ بطرفيه المقدم والخلفى. وأما فى الوسط فيصل الى الجسم المندمل

والحافة العليا لهذا الشق تجاور الجيب والمستطيل العلوى وجسيمات بكيونى الموضوعة فى هذا المحل

وأما الوجه الوحشى للنصفين الكريين فهو محدب ويشاهد فيه عدة تلافيف وانبعاجات أى تعرجات نشرحها فيما بعد ولا نذكر منها هنا الا واحدا منها يسمى بشق بوراند وهو الذى يفصل التلافيف الجدرانية بعضها عن بعض ويصالب الوجه الوحشى للنصفين الكريين من الوحشية الى الانسانية

وأما السطح السفلى للمخ أى القاعدة فيشاهد فيها أجزاء موضوعة على الجهة الجانبية وأجزاء موضوعة على الخط المتوسط والاخيرة تعد من الامام الى الخلف

(أولا) الطرف المقدم للشق العظيم للدخ الذى يقبل النتوء المظمى المسمي بعرف الديك

(ثانيا) قبوة مصلية متكونة من العنكبوتية ومتجهة من النصف السكرى الى الآخر

(ثالثا) الجذر السنجابى للعصبين البصريين المعروف بالكيازما

(رابعا) مسافة معينية الشكل محدودة من الامام بجذرى العصبين البصريين ومن الخلف بفخذى المخ

ويشاهد فى هذه المسافة من الامام الى الخلف الصفيحة الرمادية وساق الغدة النخامية والحدبتان الحلميتان ثم المسافة بين أفخاذ المخ

(خامسا) قطع قنطرة (فارول) فى النقطة التى فيها تختلط مع أفخاذ المخ

(سادسا) الشق المخى لبيشا

(سابعا) وسادة الجسم المندمج

(ثامنا) الطرف الخلفى للشق العظيم للمخ

لنذكر هذه الاجزاء كل جزء على حدته فنقول:

(١) الطرف المقدم للشق العظيم للمخ هو معد لقبول قذشرشرة المخ وطوله ثلاثة سنتيمترات تقريبا وهو يقابل عرف الديك

(٢) القبوة المصلية هى موضوعة فى الجزء المقدم لقاعدة المخ وتغطى الشرايين المخية المقدمة وركبة الجسم المندمل المنفصلة عنها بمسافة قليلة جدا

(٣) الجذر السنجابى للعصبين البصريين هو مركب من صفحة من جوهر سنجابى مثلثة محدودة من الخلف بتصالب العصبين البصريين ومن الجانبين بأطراف الجسم المندمج . هذه الصفيحة تساعد على تكوين الحافة المقدمة للبطين الثالث أى المتوسط

(٤) محل تصلب العصبين البصريين هو موضوع على الميزاب البصرى ومتكون من انضمام الجذرين العصبيين الآتيين من الجزء الخلفى ومحل هذا التصالب يحدد الصفيحة الرمادية من الامام

(٥) المسافة المعينة التى سبق ذكرها المحتوية على الصفيحة الرمادية وساق الغدة النخامية والغدة والحدبتين الحلميتين والمسافة بين أفخاذ المخ . ولنشرح كل منها على التعاقب فنقول :

(١) أما الصفحة الرمادية فهى مكونة من جوهر سنجابى شاغل للجزء المقدم من المسافة المعينة الموضوعة بين أفخاذ المخ

ومحل تصالب العصبين البصريين ، ويشاهد فى مركزها ساق الغدة النخامية الذى يندغم عليها

(ب) وأما الجسم النخامى أى الغدة فهو جسم صغير مستدير متصل بالساق وموضوع فى السرج التركى ومثبت فيه بواسطة حجاب حاجز من الام الجافية وهذه الغدة بيضية الشكل وكثيرة الاوعية

(ت) وأما الساق نفسه فيبلغ طوله من خمسة الى ستة مليمترات ومجوف من باطنه ويتصل بتجويف البطين المتوسط ومفسد من جهة الغدة

(ت) وأما الحدبتان الحلميتان فهما جسمان مستديران بيضيان متقاربان احدهما من الآخر ومتكونان فى مركزهما من جوهر سنجابى وترى من خلالهما القوائم المقدمة للقبوة ذات القوائم الاربع وهما يفصلان الصفيحة الرمادية عن المسافة التى بين أفخاذ المخ وهذه المسافة الاخيرة موضوعة فى الجزء الخلفى للمسافة المعينية ومثقوب بعدة ثقوب صغيرة لمرور الاوعية ولهذا تسمى الجوهر المثقب

(٦) قطع قنطرة فارول الذى يوجد خلف ما سبق ذكره

(٧) الشق المخى لبيشا الذى لا يشاهد منه الا الحافة العليا على المخ منفصل وهو عبارة عن قوس على هيئة نعل الفرس معانق لقنطرة فارول وتتميز له شفتان . عليا متكونة من وسادة الجسم المندمل من الوسط وعلى الحافة الانسية للفص الخلفى للمخ من الجانبين . وأما الشفة السفلى فتتكونة من الحافة المقدمة المشقوقة من المخيخ . وهذا الشق معد لقبول الدائرة الصغرى لخيمة المخيخ ويشاهد فيه ثلاث فتحات تتصل مع تجاويف المخ ومعدة لمرور غشاء الام الحنون . فجزء هذا الغشاء الذى يدخل من الفتحة المتوسطة يكون فى البطين المتوسط للقماش المشيمى . وأما الذى يدخل من الفتحتين الجانبيتين لهذا الشق فيكون فى البطينين الجانبيين لضفائر المشيمية

(٨) وسادة الجسم المندمل هى موضوعة خلف الشق المخى لبيشا وبين الشق العظيم للمخ ومتكونة من جوهر ابيض ممتد من نصف كرى الى آخر وهى محاطة بثنية لفافية موجودة على السطح الانسى للنصف الكرى وتسمى بلفافة

الجسم المندمل . ويوجد أسفل هذه الوسادة مباشرة الاشياء الآتية وهى :

(ا) الغدة الصنوبرية

(ب) وريد جالينوس

(ت) القماش المشيمى وأسفل منه الحدبات التوأمية الاربع

(٩) الطرف الخلفي للشق العظيم للمخ يبلغ طوله من جهة القاعدة المخية ستة سنتيمترات تقريبا وهذا هو نفس القياس الحقيقي لعرض قاعدة شرشرة المخ

وأما الاجزاء الموضوعة على الجهة الجانبية لقاعدة المخ فهى من الامام الى الخلف ثلاثة ارتفاعات تسمى بالقرون المخية مقدم ومتوسط وخلفى أى جبهى ووتدى ومؤخرى وكل منها يقابل الحفرة المسماة باسمه الموجودة على الوجه الباطن لعظام الجمجمة . ويشاهد أيضا شق عظيم يسمى بفرجة سلفيوس موضوع بين القرن المقدم والمتوسط وهو يقسم كل صنف كرى الى فصين مقدم وخلفى

فالفص المقدم يكون المثلث المقدم من الكتلة المخية ويكون أيضا الشفة العليا لفرجة سلفيوس

وأما الفص الخلفى فهو كرى الشكل ويميز له سطح سفلى مقعر ويغطى خيمة المخيخ وسطح علوى مختلط مع كتلة التلافيف المخية . وحافظة وحشية محدبة مكونة لجزء من دائرة قاعدة المخ وحافة أنسية مقعرة تكون الاجزاء الجانبية للشق المخى لبيشا وطرف مقدم هو القرن الوتدى وطرف خانى هو القرن المؤخرى

وفرجة سلفيوس هى عبارة عن شق موضوع بين الفصين المخيين المقدم والمتوسط وشكلها كشكل قوس تقعيره الى الخلف ويميز لهذه الدرجة شفتان وطرفان . فالشفة المقدمة أى العليا متكونة من الفص المقدم للمخ . والخلفية أى السفلى متكونة من الفص الخلفى وهى مغطاة بالعنكبوتية ويوجد فيها الشريان المخى المتوسط وفروعه وهو المعروف بشريان فرجة سلفيوس

وأما الطرف الانسى لهذه الفرجة فثقوب بعده ثقوب معدة لمرور الاوعية ولذا يسمى بالجوهر المثقب وشكله مربع مستطيل تقريبا فالضلع الخلفى له متكون من جذور العصب البصرى والضلع المقدم من الجذر الابيض الوحشى للعصب الشمى والضلع الانسى متكون من جذر العصب

البصري نفسه والصلع الوحشي من القرن الوتدى للفص الخلفي للمخ

وأما الطرف الوحشي لهـذه الفرجة فيشاهد في قاعة بتباعد شفتيه عنقود صغير متكون من ٣ الى ٤ تلافيف مخيـة تسمى بفصوص رايل أو بفصوص الجسم المضلع ففي هذا المحل تفرع فرجة سلفيوس يوجد في الجزء الاكثر أنسية من الطرف الانسى لهذه الفرجة عقد تسمى بالعقـدة الشمسية موضوعـة خلف الجوهر المثقب المقدم وحجم هذه العقدة يكون متناسبا مع نمو الاعصاب الشمسية عند الحيوانات وتركيبها كتركيب العقد المخية أعني انها متكونة من مادة متجانسة مختلطة بخلايا عصبية اما ذات استطـالتين او ذات استطـالة واحدة

(التلافيف المخية) هي عبـارة عن ثنيات من جوهر عصبي موجود على سطح المخ وتنضم مع التـلافيف المجـاورة لهـا واتجاهها يكون دائما متعرجا والمسافات الفاصلة لها تسمى بالانبعاجات أو التعرجات وهـذه الانبعـاجات معدة لمرور السائل الدماغي الشوكي

والمهم من هذه التلافيف اثنتان احداهما موضوعة على الوجه الانسى للنصف الكـرى وتسمى بلفافة الجسم المندمل ومنفصلة عنه بواسطة جيب هذا الجسم ثم تنعطف على وسادته وتنتهي في الجزء العلوى الانسى لفتحة البطين الجانبي في حـذاء قرن أمون أى رجل جاموس البحر

وثانيتهما مكونة من لفافتين جداريتين منفصلتين احداهما عن الاخرى بواسطة شق (رولاندو) وهما ينزلان من الحافة العليا للنصف الكرى الى الوجه السفلى له ومصالبان لحافته الوحشية ويسميان بلفافتي الارتفاق لانهما لا يوجدان به الا في الانسان وفي بعض الحيوانات المرتفعة

ثم انه توجد أيضـا ثلاث تلافيف جبهية وتلافيف مؤخرية ولا يوجد بين هذه التلافيف حد فاصل واضح وأخيراً توحد لفافة الجزء الانسى للوجـه السفلى من الفص الجبهى تسمى باللفافة الشمسية وأخرى في قاع فرجـة سلفيوس تسمى بفصيص رايل أو بفصيص الجسم المضلع وهو هام جداً اذ لا يوجد الا في الانسان والقرد

(التركيب الباطن للمخ) المخ يحتوى

فى باطنه على تجاويف منفصلة بعضها عن بعض بواسطة حواجز فأحد هذه التجاويف متوسط سفلى يسمى بالبطين المتوسط او البطين الثالث والآخران موضوعان على الجانبين ويسميان بالبطينين الجانبيين والحاجز الذى يفصل البطين المتوسط من الجانبيين يكون افقيا ويسمى بالقبوة ذات الثلاثة القوائم وأما الحاجز الذى يفصل البطينين الجانبيين أحدهما عن الآخر فيكون عموديا ويسمى بالحاجز الشفاف أى اللامع وجميع هذه البطينات مغطاة بقبوة كبيرة تسمى بالجسم المندمل ولنشرح هذه الاعضاء على التعاقب فنقول :

(الجسم المندمل أو المجمع العام أو المجمع العظيم) هو شريط عصبى عريض متكون من ألياف طوالية ومن ألياف مستعرضة وهو يضم النصفين الكريين للمخ احدهما للآخر ويكون لقبوة كاملة تغطى البطينين الجانبيين وهو سميك ولا سيما فى حذاء الوسادة والركبة ورقيق جداً حذاء المنقار ويتميز له وجهان علوى وسفلى وطرف مقدم وخلفى وحافتان جانبيتان

فالوجه العلوى اعرض من الخلفى من الامام ومختلط من الجانبين النصفين الكريين ويشاهد فى وسطه خطان بارزان مستطيلان يسميان بالعصرطين المستطيلين للجسم المندمل وعلى جانبيهما تشاهد خطوط مستعرضة متكونة من الالياف المستعرضة لهذا المجمع تسمى بالخيوط المستعرضة وهذا الوجه العلوى يجاور الحافة السفلى لشرشرة المخ ولفافة الجسم المندمل المنفصلة عنه بمسافة تسمى بجيب الجسم المندمل وأيضا يجاور الشريان المخى المقدم

وأما الوجه السفلى فهو أملس ومكون لقبوة تغطى البطينين الجانبيين واستمالاتهما الثلاثة ويندغم عليه فى جزئه المقدم من الامام على الخط المتوسط الحاجز اللامع ويختلط فى جزئه الخلفى بالقبوة ذات القوائم الثلاثة

وأما الحافتان الجانبيتان فيرى اختلاطهما بالنصفين الكريين متى نظرنا من جهة الوجه العلوى للمجمع العام وهناك تنفرش اليافهما وتساعد على تكوين الجوهر الابيض للتلافيف المخية

واما اذا نظرنا من جهة الوجه السفلى لهذا المجمع فيتميز لها ثلاث استطالات

اى قرون مقـدمة يسمى بالقرن الجبهى وخلفى يسمى بالقرن المؤخرى وسفلى يسمى بالقرن الوتدى وهـذه القرون تغطى الاستطالات الثلاث للبطين الجانبي

وأما الطرف المقدم فيكوّن ركبة الجسم المندمل التى هى مغطاة بابتداء لفافة هذا الجسم ومنعطفة عليهـا الشرايين المخيـة المقدمة وهذا الطرف يرسم قوسا يتجه الى الاسفل والخلف آخذا فى الرقة شيئا فشيئا ليكوّن مايسمى بمنقار الجسم المندمل الذى يكون موضوعا أمام الجذر السنجابى للعصبين البصريين ففى هـذه النقطـة يشاهدان المضرطين المستطيلين لهذا المجمع ينحنيان مثل الركبة وينفصلان حذاء المنقار ثم يسيران تابعين لجانب حافتى الجذر السنجابى للعصبيين البصريين ويميزان من خلال الجوهر المثقب المقـدم ليتوزعا فى الفص الخانى للمخ ويسميـان بأطراف الجسم المندمل

وأما الطرف الخانى أى الوسادة فيتميز لهـا حافة سائبة أسمك من باقى الجسم وأطول من الحافة المقدمة وسائبة في جزئها المتوسط ومغطاة من طرفيها بلفافة الجسم المندمل وهذه الوسادة موضوعة أسفل شرشرة المخ أو أعلى الطرف المقدم للمخيخ والحدبات التوأمية الاربع ولا تلصق بشىء من هذه الاجزاء وهى التى تكون الجزء المتوسط من التنقة العليا لشق بيشا

(الحاجز الشفاف أى اللامع) هو صفيحة عصبية رقيقة موضوعة وضعا عموديا بين البطينين الجانبيين من جهة والجسم المندمل والقبوة من الجهة الاخرى ويتميز له وجهان أحدهما عن الآخر وأما الحافة العليا فمحدبة وتختلط مع الجسم المنـدمل والسفلى مقعرة وتختلط بالقبوة ، والمقدمة صغيرة وتختلط بركبـة الجسم المنـدمل ومنقاره

ويوجد فى مركز هذه الصفيحة تجويف صغير يسمى البطين الخامس أو بطين الحاجز اللامع وهو لايتصل بالتجاويف المخية

(القبوة ذات القوائم الثلاث) هي حاجز أفقى مكون من جوهر أبيض يفصل البطين المتوسط على البطينين الجـانبين وشكله مثلث يرسم قوسا حقيقيا تقعيره الى اسفل ويميز له وجهـان علوى وسفلى وثلاث حافات وثلاث زوايا

فالوجه العلوى يندغم عليه من الامام

على الخط المتوسط الحاجز اللامع ومن الخلف الجسم المندمل ويساعد على تكوين الوجه السفلى للبطينين الجانبيين

وأما الوجه السفلى فمقعر ويكوّن قوة البطين المتوسط وهو مبطن بالقماش المشيمى الغير الملتصق به

وأما الحافتان الجانبيتان فيتجهان الى الخلف والوحشية آخذتان فى الرقة شيئا فشيئا وترتكزان على السريرين البصريين وهاتان الحافتان تجاور الضفائر والمشيمة مجاورة تامة بحيث يمنعان أدنى اتصال بين البطين الجانبى والمتوسط

وأما الحافة الخلفية فتختلط مع الجسم المندمل بجزء منها وفى هذه النقطة تختلف الالياف المستعرضة لهذا الجسم بالالياف المنحرفة للقبوة بحيث تكتسب شكل شجرة

وأما الزاوية المقدمة فتنحى الى الامام والاسفل راسمة لقوس تقعير خلفى يساعد على تحديد البطين المتوسط ثم يتفرع الى فرعين أى الى قائمتين مقدمتين ينتهيان فى السرير البصرى للجهة المقابلة بعد تكوينها للطبقة البيضاء الحدبتين البيضاويتين ففى وسط هذه الحدبات تنحنى كل قائمة على نفسها لتكوّن شكل ثمانية بالافرنكى

لكى تنتهى فى سلك السرير البصرى

وعند تفرغ القائمين وتباعدهما تكونان موضوعتين على الوجه الخلفى لحبل أبيض عصبى يسمى بالمجمع الابيض المقدم للمخ فينتج من هذا الموضع انبعاث مثلث يسمى بالتقعير القمعى وكل قائمة تكوّن مع الطرف المندمل للسرير البصرى المقابل لها فتحة تسمى بثقب (مونرو) معدة لاتصال البطين المتوسط مع البطين الجانبى

وأما الزاويتان الخلفيتان فيتجهان الى الوحشية والخلف وتتفرعان الى فرعين أحدهما وحشى يتبع طول الحافة الانسية لقرن أمون على شكل شريط رقيق ليكوّن ما يسمى بالجسم المحدود

وأما الفروع الآخر فتختلط بالطبقة السطحية لقرن امون المسمى برجل جاموس البحر

(القماش المشيمى) هو غشاء خلوى وعائى ذو شكل مثلث متكون من الام الحنون وموضوع فى الجزء العلوى من البطين المتوسط أسفل القبوة ويميز له حافة خلفية وحافتان جانبيتان وقمة

فالحافة الخلفية تقابل الجزء المتوسط من الشق العظيم لبيشا وهى موضوعة أسفل وسادة الجسم المندمل وتحتوى فى سمكها على الغدة الصنوبرية

وأما القمة فتتفرع الى فرعين يتصلان بالضفائر المشيمية فى محاذاة ثقب مونرو

وأما الحافتان الجانبيتان فوضوعتان أسفل حافتى القبوة ويوجد فى سمك القماش المشيمى وريدان يسميان بوريدى جالينوس وهما ينضمان أحدهما الى الآخر ليكونا أسفل الوسادة وريداً يصب فى الجيب المستقيم محاطا بغمد مصلى محدث للاتصال بينه وبين الصفيحة الجدرانية والحشوية العنكبوتية

(الغدة الصنوبرية) هى جسم صغير مخروطى الشكل قمته متجهة الى الخلف والاعلى وقاعدته الى الامام والاسفل وهى ترتكز بجزئها السفلى الى الحدبتين التوأميتين المقدمتين وجزئها العلوى يجاور وسادة الجسم المندمل وهذه الغدة موضوعة بين صفحتى الحافة الخلفية للقماش المشيمى وينشأ من قاعدتها أى من جزئها السفلى ثلاث استطالات مقدمة ومتوسطة وسفلى

فالمقدمة تتبع طول الجزء الانسى للسرير البصرى وتنتهى فى حذاء ثقب مونرو

وأما المتوسطة فهى مستعرضة وتتجه نحو السرير البصرى ولا يمكن اتباع سيرها فى سمكه

وأما السفلى فتتجه الى أسفل والوحشية نحو السرير البصرى أيضا ومن المشرحين من يظن ان الاستطالة المتقدمة هى منشأ القبوة ذات القوائم الثلاث

وهذه الغدة تتركب فى سطحها الظاهر من جوهر سنجابى محتو على أوعية شعرية ومنسوج خلوى وفى مركزها يوجد تحببات حجرية

(البطن المتوسط أى الثالث) هو تجويف موضوع على الخط المتوسط بين السريرين البصريين أسفل القماش المشيمى والقبوة وشكله قمعى مفرطح ويميزله قاعدة وقمة وحافتان وجدران

فالقاعدة متكونة من القماش المشيمى الملامس للقبوة

وأما القمة فتتكون من تجويف ساق الغدة النخامية

وأما السطحان أى الجداران فتساويان وشكلهما مثلث ذو قاعدة متجهة الى الاعلى

وكل سطح اى جدار محدود من جهة القاعدة اى بخط ابيض واضح ليس شيئا آخر غير الاستطالة المقدمة للغدة الصنوبرية وهذا السطح ينقسم بواسطة خط أى ميزاب مقدم خلفى الى نصفين علوى ليس هو الا السرير البصرى وسفلى هو الجوهر السنجابى بين البطين الذى هو عبارة عن صحيفة سنجابية منفرشة على الجزء السفلى من هذا البطين وعلى حافته الى ساق الغدة النخامية المكونة لقمة البطين

وأما الحافة الخلفية فمتجهة بانحراف من أعلى الى أسفل ومن الامام الى الخلف ويشاهد فيها من أعلى الى أسفل الغدة الصنوبرية وأطرافها المقدمة والمجمع الابيض الخلفى للمخ ثم الفتحة المقدمة لقناة سلثميوس

والمجمع الخلفى للمخ عبارة عن حبل ابيض يبلغ فى السمك واحداً الى واحد ونصف مليمتر ويتجه بالعرض ثم يغوص فى سمك السريرين البصريين وهو موضوع أعلى الفتحة المقدمة لقناة سلثيموس وأسفل الغدة الصنوبرية

وأما الحافة المقدمة فهى غير منتظمة ومتكونة من أعلى الى أسفل من الظرف المقدم للقبوة المتفرعة الى فرعين والتقعير القمعى والجزء المتوسط للمجمع الابيض المقدم للمخ وأسفل ذلك الجدار السنجابى للعصبين البصريين ومحل تصالبهما والصفيحة الرمادية ويشاهد فى تجويف البطين الثالث استطالة من جوهر سنجابى ممتدة من سرير بصرى الى آخر وتسمى بالمجمع السنجابى وفى بعض الاحيان تكون غير موجودة وتجويف هذا البطين يتصل بالبطينين الجانبيين بواسطة ثقب (مو نرو) ويتصل بتجويف البطين الرابع بواسطة قناة سلفيوس وزيادة على ذلك يشاهد فى قاعدة هذا البطين فى الجهة الخلفية فتحات معدة لمرور الأم الحنون لتكوّن القرش المشيمى وهى الفتحة الموجودة فى الجزء المتوسط للشق العظيم لبيشا أو الشق المخي

(البطينان الجانبيان) هما تجويفان يوجدان فى سمك النصفين الكريين تحت الجهتين الجانبيتين للوجه السفلى للمجمع العام ويتصلان فى القرون الثلاثة المخية أى فى القرن الجبهى والوتدى المؤخرى فالجبهى يتجه الى الامام والمؤخرى الى الخلف والوتدى الى أسفل راسما لقوس حول السرير البصرى لينفتح

على الوجه السفلى للمخ فى طرف انتهاء الشق المحى لبيشا وهذه الاستطالات الثلاث تختلط حذاء الطرف الخانى للسرير البصرى واما الاستطالة المقدمة أى الجبهية فتحتوى فى جدارها السفلى من الامام الى الخلف على الجسم المضلع والسرير البصرى وميزاب بينهما مشغول من أعلى الى اسفل بالضفائر المشيمية والصفيحة القرنية ووريد الجسم المضلع والشريط الهلالى ويشاهد خلف وانسى السرير البصرى القبوة الموضوعة عليه ولنذكر كلا من هذه الاجزاء على حدته فنقول :

أما الجسم المضلع فموضوع وحشى السرير البصرى على جانب الحاجز اللامع ويميز له سطح علوى سائب محدب فى تجويف البطين متجه الى الخلف وتقعيره الى الاسفل والانسية وهذا السطح محدود بالميزاب الموجود بينه وبين السرير البصرى — وسطح سفلى عليه فصوص الجسم المضلع اى فصوص رايل وسطح انسى مجاور للسرير البصرى — وسطح وحشى مختلط بالتلافيف المخية وطرف مقدم معانق لركبة الجسم المندمل وطرف خلفى ينفذ فى السرير البصرى

وهذا الجسم المضلع يتركب من طبقتين من الجوهر السنجابى منفصلتين بطبقة من الجوهر الابيض فاحدى الطبقات السنجابية تشاهد من جهة البطين وتسمى بالنواة السنجابية بين البطينات للجسم المضلع والثانية موضوعة اسفل منها وتسمى بالنواة السنجابية خارج البطينات

واما الجوهر الابيض فموضوع بينهما ومتكون من ألياف بيضاء متشعمة فاصلة النويات السنجابية وأما الصفيحة القرنية فهى عبارة عن ثنية مكونة من الغشاء المخاطى للبطين وشاغلة لطول الميزاب الموجود بين الجسم المضلع والسرير البصرى

وأما وريد الجسم المضلع فيتجه من الخلف الى الامام ماراً فى وسط الميزاب الفاصل للجسم المضلع عن السرير البصرى ثم يكون منشأ وريد جالينوس ويمر فى ثقب مونرو

واما الشريط الهلالى فهو عبارة عن حزمة من الالياف طويلة شاغلة للميزاب الفاصل للجسم المضلع عن السرير البصرى وموضوعة أسفل وريد الجسم المضلع

وأما السرير البصرى فهو انتفاخ بيضى الشكل موضوع خلف الجسم المضلع على حانبي البطين المتوسط وأعلى الافخاذ المخية ويميز لكل سرير بصرى طرف مقدم وطرف خلفى وأربعة أسطحة علوى وسفلى وأنسى ووحشى . فالطرف المقدم يكون مع القائمة المقدمة للقبوة ثقب مونرو وهو منفتح من الامام ويسمى بالحدبة المقدمة للسرير البصرى وهو أحد مناشىء القبوة

واما الطرف الخلفى فمنفصل عن الطرف الخلفى للسرير البصرى للجهة المقابلة بالحدبات التوأمية الاربع وهو منتفخ ويسمى بالحدبة الخلفية للسرير البصرى محاط بالضفائر المشيمية وبالقائمة الخلفية للقبوة

واما الوجه العلوى فحدب وبارز من جهة البطينات ومغطي بالضفائر المشيمية وبالقبوة مفصول عن الوجه الانسى بواسطة الطرف المقدم الصنوبرى

وأما الوجه السفلى فرتكز بجزئه المقدم على فخذ المخ ويوجد بينهما نواة سنجابية تسمى بالجسم الزيتونى العلوى

وأما الجزء الخلفى لهذا الوجه فسائب ويقابل الشق المخى لبيشا وفى هذا المحل يشاهد حدبتان صغيرتان يسميان بالجسمين الركبيين للسرير البصرى احداهما انسية والاخرى وحشية فالانسية تقبل حزمة ليفيه عصبية آتية من الحدبتين التوأميتين الخلفيتين والوحشية تقبل حزمة أخرى آتية من الحدبتين التوأميتين المتقدمتين

وأما الوجه الانسى فيكوّن جدار البطين المتوسط ويجاور الحدبات التوأمية الاربع

وأما الوجه الوحشى فمختلط بالجسم المضلع ومنفصل عنه من الاعلى بالميزاب المشغول بالاجراء السابقة الذكر

والسرير البصرى يتركب من نويات سنجابية تسمى بالمراكز العضلية وتنقسم بالنسبة للوضع الى مقدم أى شمى ومتوسط أى بصرى وخلفي أى سمعى ومركزى على الخط المتوسط يسمى بمركز الاحساس

وأما الاستطالة الخلفية أى التجويف الاصبعي اى القرن المؤخرى فترسم قوسا تقعيره يلى الانسية وينتهى بقعر كيس ويحتوى على ارتفاع يسمى برجل الطائر وهى ليست شيئا آخر الا لفافة مخية انقلبت فصار جوهرها الابيض بارزاً الى الباطن

وأما الاستطالة المتوسطة أى القرن الوتدى فيرسم قوساً تقعيره يلى الانسية معانقا للسرير البصرى وينتهى فى طرف شق بيشا ويحتوى من الانسية الى الوحشية على بروز أبيض يسمى بقرن أمون وأنسى ذلك يشاهد الجسم المحدود الذى هو عبارة عن الزاوية الخلفية للقبوة . وأنسي هذا الجسم الاخير وأسفل منه يشاهد ارتفاع سنجابى مستطيل ذو حلمات صغيرة يسمى بالجسم ذو الحافات المسننة

(الضفائر المشيمية للبطينات الجانبية) تتركب هذه الضفائر من استطالتين محرتين على طول الحافتين الجانبيتين للقبوة ومتكونتان من استطالة الام الحنون التى نفذت فى القرن الوتدى للبطين الجانى ثم بعد ذلك تتجه فى القرن المقدم لهذا البطين معانقة للجزء الخلفى للسرير البصرى وتستمر على جانب حافتى القبوة وتنتهى فى حذاء ثقب مونرو وهناك تختلط بالقماش المشيمى

(غشاء البطينات الجانبية) هو غشاء مصلى رقيق يغطى جميع سطح البطينات المخية ومغطى هو نفسه بطبقة بشرية اسطوانية ذات خلايا اهتزازية وهذا الغشاء لا يتصل بالعنكبوتية ولا الام الحنون

وبعد أن يغطى البطينات الجانبية يغطى البطين المتوسط بعد مروره من ثقب مونرو ثم يغطى قناة سلفيوس وبعد ذلك البطين الرابع ثم تجويف القناة المركزية للنخاع وحينئذ يسمى بعشاء التجاويف النخامية المخية والسطح العائر لهذا العشاء مغطى بطبقة من منسوج خلوى خاص محتو على جسيات بشرية تسمى بالمنسوج الخلوى العصبى لفرجوف

(المخيخ) هو جزء الدماغ الموضوع فى الحفرتين الخلفتين من المؤخرى خلف برزخ الدماغ ويميز له وجهان علوى وسفلى ودائرة . فالوجه العلوى محدب على الخط المتوسط ومسطح من الجانبين وجزؤه المتوسط بارز ويسمى بالدودة العليا للمخيخ وميازيبها مستمرة على الوجه العلوى المغطى بخيمة المخيخ

وأما الوجه السفلى فتشاهد فيه القبوة العنكبوتية المحددة للمجمع الخلفى وللسائل الدماغى الشوكى وهذه القبوة موضوعة بين المخيخ والنخاع المستطيل . ويميز لهذا الوجه شق متوسط وعلى جانبيه يوجد النصفان الكريان للمخيخ

فالنصفان الكريان محدودان بميازيب تقعيرها يلى الانسية والامام . وأما الشق المتوسط فيسمى بالشق بين النصفين الكريين وهو مشغول بارتفاع مقدم خلفى يسمى بالدودة السفلى التى تستمر من الخلف مع الدودة العليا وتكوّن الفص المتوسط للمخيخ وعلى جانبى الدودة السفلى تشاهد استطالة عصبية تكوّن مع هذه الدودة بروزاً صليبياً يسمى بالارتفاع المرمى للاستاذمالوكورن . والطرف المقدم للدودة السفلى سائب وغائص فى تجويف البطين الرابع ويكون مايسمى بالقاصمة التى على جانبيها تنشأ ثنية صغيرة تتجه الى الوحشية نحو فصيص العصب الرئوى المعدى تسمى بصمام تيران ويوجد فى هذا الصمام تجويف يشرف على تجويف البطين الرابع مشابه لعش الهدهد

وأما الدائرة فشكلها بيضى ويشاهد فيها شرم مقدم وآخر خلفى فالمقدم معد لقبول قنطرة فارول ويكون الشفة السفلى للشق العظيم لبيشا . وأما الخلفى فمعد لقبول شرشرة المخيخ ويوجد على أسطحة المخيخ ميازيب وصفائح وصفيحات . فالميازيب هى المسافات الفاصلة للصفائح والصفيحات والفصصات . والمهم من هذه الميازيب هو الكبير الدائرى وهو أفقى وغائر ويقسم المخيخ الى نصفين علوى وسفلى ويشاهد على السطح السفلى فصيص بارز على جانب النخاع المستطيل يسمى بالفص اللوزى .

وأمام ذلك يشاهد الفصيص العصبى الرئوى المعدى الذى هو أصغر من السابق وموضوع مباشرة أسفل الافخاذ المخيخية المتوسطة

والمخيخ يتركب من جوهر ابيض وجوهر سنجابى . فالابيض يشغل مركز المخيخ ويحتوى فى باطنه على الجسم الزيتونى للمخيخ وهذا الجسم موضوع فى مركز كل نصف كرى للمخيخ وهو على هيئة غشاء مصفر اللون منثن على نفسه ومشابه للكيس ، فتحته مشرفة على نقطة محل اجتماع الثلاثة الافخاذ المخية وعلى الزاوية الجانبية للبطين الرابع

وأما الجوهر الابيض فيرسل عدة استطالات باطنة تتفرع على الجوهر السنجابى ومجموع هذه الاستطالات المتفرعة يكوّن مايسمى بشجرة الحياة والجوهر الابيض يرسل أيضا ثلاث استطالات خارجية أخرى مهمة تسمى بالافخاذ المخيخية

فالافخاذ العليا تتجه أسفل الحدبات التوأمية الاربع والمتوسطة تتجه الى الامام وتختلط مع قنطرة فارول والسفلى تتجه نحو النخاع المستطيل

(برزخ الدماغ) يطلق هـذا الاسم على مجموع الاجزاء الموضوعـة بين المخ والنخاع الشوكى والمخيخ ويميز له جزآن علوى وسفلى منفصلان عن الجانبين بواسطة شق مقدم خافى

العلوى يتركب من أعضاء موضوعة بين الاسرة البصرية والبطين المتوسط من الامام والمخيخ من الخلف وهى من الامام الى الخلف الحدبات التوأميـة الاربع وصمام فيوسنس ثم على الجـانبين الفخذان المخيان العـلويان وشريط رايل وهذا الجزء العلوى منفصل عن العلوى بواسطة قناة سلفيوس والبطين الرابع. وأما السفلى فيتركب من الاسفـل الى الاعلى من النخـاع المستطيل وقنطرة فارول والفخذين المتوسطين المخيخين والفخذين المخيين

(الحدبات التوأمية الاربع) هى ارتفاعات صغيرة عددها أربعة موضوعة بين السريرين البصريين خلف البطين المتوسط وأمام الصفائح العليـا للمخيـن وتنقسم الى حدبتين مقدمتين وحدبتين خلفيتين وهذه الاخيرة أصغر من الاولى وكل منها يرسل حزمة ليفية عصبيـة الى الاجسام الركبية وهذه الحدبات التوأمية الاربع تكون المنشأ الحقيقى للاعصـاب البصرية وتكون مغطاة بقـاعدة القماش المشيمى والغدة الصنوبرية

(صمام فيوسنس) هو غشاء عصبى يساعد على تكوين قبوة البطين الرابع ويغطى الغلصمة وهو موضوع أسفل الصفـائح العليا للمخيخ بين الافخاذ المخيخية العليا خلف الحدبات التوأمية الاربع ويوضع على الجزء المقدم لهذا الغشاء حزمة صغيرة بيضاء تتجه الى الحدبات التوأمية الخلفية تسمى بلجام صمام فيوسنس وينشأ من قمة هذا الصمام الاعصاب الاشتياقية

(الفخذان العلويان المنحنيان) هما حبلان أبيضان ممتدان من الجزء المقدم للمخيخ فى محاذاة الجسم للعينى أى الزيتونى المخيخى الى الحدبات التوأمية الاربع ثم يمران أسفلهما ويتصالب أحدهما بالآخر ويتجهان نحو الفخذين المخيين

ويساعدان على تكوينها ويميز لها سطح علوى موضوع على سطح واحد مثل صمام فيوسنس فى مستوى واحد وسطح سفلى يساعد على تكوين قبوة البطين الرابع وحافة وحشية تختلط بالفخذين المخيخيين المتوسطين وحافة أنسية يندغم عليها صمام فيوسنس

(شريط رايل أى الحزمة المنحرفة لبرزخ الدماغ) هو عبارة عن مثلث عصبى موضوع على جانبى السطح العلوى لبرزخ الدماغ وحافة هذا المثلث السفلى تقابل الميراب الفاصل بين سطح برزخ الدماغ وأما حافته الخلفية فتعانق الفخذين المخيين العلويين وحافته المقدمة تقابل الحدبات التوأمية الخلفية. وأما القمة فتتجه نحو الحدبتين التوأميتين الخلفيتين وفخذى المخيخ العلوى لتختلط مع صمام فيوسنس وأما الفخذان المخيخيان المتوسطان فنشرحهما مع قنطرة فارول وأما السفليان فمع النخاع المستطيل انتهى من كتاب (ارشاد الخواص فى التشريح الخاص بتصرف)

(أمراض المخ) المخ من الاعضاء الرئيسية فى الجسم الانسانى وهو عرضة لعدد عظيم من الامراض والاعراض نأتى هنا على بعضها مما يهم الناس معرفته وان كانت معالجته لا يسمح بها الا لمهرة الاطباء لخطورتها

(الاضطراب العقلى) أظهر أمراض المخ وأشيعها هو اضطراب العقلى وقد يكون العقل سليما ولكن يوجد تغير مرضى فى أجزاء المخ لوجود نقط نزفية وجهات لينة فى بعض أجزاء النسيج الابيض من مادته ولا يعرف ذلك الا بعد تشريح جثة المصاب وانما لم تظهر آثار لهذه الاعراض أثناء الحياة لانها كانت جزئية. ولكن متى وجد اضطراب فى عقل انسان كان ذلك دليلا واضحا على وجود تغير فى النسيج السنجابى القشرى للمخ

تنحصر اضطرابات العقل فى تناقص قوته وفى زيادته بما يفوق العادة وفى ضياعه جملة. فلندرس هنا هذه الاعراض واحداً بعد الاخرى لخطورتها

(١) تناقص قوة العقل يعرف بخمود حواس الشخص وبلاهته وعدم فهمه وببطء اجابته على المسائل التى تلقى عليه وبعدم تناسب أفكاره وبضعف أو بفقد حافظته. فمتى وجدت هذه الاعراض

وصحبها تشوه فى عظام الجمجمة أو عظام الوجه كان ذلك التغير العقلى فطريا فى المصاب . وهنا يجب البحث فى درجات عقول آبائه ودرجة تربية المريض ومعارفه

وقد يكون نقص العقل وخموده عارضا وفى هذه الحالة يكون ناجما عن نزف مخى أولـين فى مادته أو التهاب حاد فيه أو اضطراب فى دورته أو فى تغذيته فمتى كان الخمود تاماً كان المريض فاقداً للحس والادراك والحركة فلا يتنبه بأى منبه كان ويبقى عادم الحركة مرتخى الاطراف والعواصر أيضا فينفرز بوله وتخرج مواده الفضلية بدون ارادته أو ينحصر بوله وتبقى فضلاته فى أمعائه فيضطر الطبيب لاستخراجها بالآلات . ويكون تنفسه بطيئا شخيريا ونبضه فى الابتداء بطيئا ثم يسرع فيما بعد ويكون التنبه الانعكاسى الجلدى مفقوداً أيضاً . وانما تستمر دورته وتنفسه لان مراكزهما فى البصلة وهى أسفل المخ فلم تلحقها الاصابة

وقد لايكون فقد الادراك والحركة والحس تاما . وقد يفيق المصاب بالسكتة ويبقى عنده اضطراب فى الفهم ، والتفهيم وقد يحصل ذلك بدون أن يسبق بسكتة ويصحب بها

فوسائط التفهيم هى لاشارة والتكلم والكتابة ، وسائط الفهم هى السمع ورؤية الاشارة والقراءة

وقد ثبت ان الفهم والتفهيم فى الانسان متعلقان بثلاثة أجهزة خاصة فى المخ وهى :

(أولا) جهاز علوى قشرى مكون من أعضاء تولد الفكر والتصور

(ثانياً) جهاز موضوع أسفل من المتقدم معه لتخزين صور الكلام المدرك بالسمع أو البصر (أى بالقراءة) ومعد أيضا لصوغ صور الكلام بالفهم واليدأى بالتكلم والكتابة ويشمل هذا الجهاز مراكز الذاكرة فاضطراب هذا الجهاز ينتج عنه فقد المذكرة صور الكلام للتكلم وفقدها لنقشه أى لكتابته وربما فقدت المذكرة صور الكلام فلا يفهم المصاب الكلام المسموع ولا المقروء

وعلى حسب رأى العلماء المتقدمين يوجد لكل حافظة من حوافظ معرفة الاشارات والكلام وصور الكلام محل خاص بعيد عن الآخر ولكن يوجد بينها تواصل بواسطة ألياف ضامة ولهذا فقد

يعوض بعضها بعضا فى الوظيفة فمتى تغير أحدها أثر على باقيها وأتلفها . وقد يحصل التغير للجميع ان كان المتغير منها هو الاهم الاقوى وتكون البواقى تابعة له . ولنأت بموجز على كل من هذه الاعراض فنقول:

(فى صمم الكلام) هو عدم امكان المريض ادراك صور الكلام مع حفظه لسلامة حاسة السمع فهو يسمع الاصوات ولكنه لايدرك لها معنى . وقد يكون هذا النوع من الصمم غير تام فيدرك المصاب بعض مقاطع الكلمة أو يفهم كلة واحدة دون الباقى . ومركز تمييز الكلام المسموع هو اللفيف الاول والثانى الصدغيان

(عمى الكلام) هو فقد البصر لخاصة معرفة صور الكلام المكتوب . وقديكون هذا العمى تاما فلا يرى المصاب فى الورقة المقدمة اليه غير خطوط مرسومة لا دلالة لها فى نظره. وقد يكون هذا العمى جزئيا فيعمى عن تمييز الاحرف المنفردة فقط أو عن تمييز اجتماع الاحرف المكونة لجزء من كلة أو عن تمييز الاشارات الحسابية ومثل هذا المريض لا يمكنه قراءة كتابته ولا كتابة غيره ولا الارقام ولا الاشارات التى تستعمل لتفهيمه لانه فقد معرفة صورها

محل حافظة معرفة الكتابة والاشارات المنظورة وفهمها هو فى الثنية المحنية للفيف الجدارى السفلى

(فقد معرفة نقش الكتابة) المصاب بهذا العرض لايمكنه أن يكتب كلمة واحدة من الكلام ولا رقما من الارقام ولا أن يأتى بأشارة متعارفة بين الناس كاشارة (تعال) أو (اذهب) أو (اسكت) مع سلامة يده وقدرتها على الحركة. وقد يذكر المصاب بعض الاحرف أو بعض أجزاء الكلمات فيكتبها ويخيل اليه أنها كافية فى الدلالة عما يريده

محل هذه الحافظة فى القاعدة اللفيف الجبهى الافقى الثانى

(فقد خاصة النطق) هى أكثر الانواع حصولا فمتى كانت تامة فلا يمكن المصاب أن ينبس بحرف مع حفظه لحركات لسانه وشفتيه وبصره وسمعه فيسمع الكلام ويقرأ الكتابة ولكنه لا يستطيع أن ينطق بكلمة ما لانه فقد حافظة صور الكلام

وقد يكون هذا المرض جزئيا فيمكنه أن ينطق لبعض الكلمات أو بعض

الاحرف أو جزء من كلمة أو كلمة واحدة لا معنى لها فتراه يستعملها فى كل جواب وتفهيم كأنها تعوض جميع صور الكلام الغائبة عن حافظته فمن المرضى من يكون قوله (نعم) فى كل كلام فيرددها الى مالا نهاية له متخيلا انه يعبر ضميره ومنهم من يضع (لا) فى كل موضع .ومن المرضى من لا يستطيع النطق بنفسه ولكنه يستطيع أن يردد مايقال له

والمصاب بهذا العارض لا يستطيع أن يقرأ الكلام المكتوب ولا أن يفهمه

محل وجود صور الكلام لمعرفة النطق به وكتابته هو قاعدة اللفيف الجبهى الثالث اليسارى المسمى لفيف بروكا . ثم ان حافظة وجود صور الكلمات ومعرفة نطقها أو كتابتها هى واحدة فمتى تلفت نسى المريض صور الكلمات فلا يجد فى فكره كلمة ولا حرفا

وقد شوهدت أنواع أخر من المرض فى جميع الامراض التى تحدث الالتهابات الشريانية وفى الامراض التى تنجم عنها السدد السيارة مثل الامراض العفنة

(فقد السمع والقراءة) قد ينجم فقد السمع والقراءة بدون تغير فى المراكز القشرية نفسها أى بدون تغير فى خلاياها المولدة للفكر ولا فى خلاياها المختزنة لصور الكلام فيحدث عن تغير فى الالياف الموصلة لمركز من المراكز المذكورة الى مركز آخر أو عن تغيير موجود أسفل المركز القشرى فى ابتداء أليافه الموصلة له بالدائر أو فى بعض هذه الالياف . وبناء على ذلك يكون التغيير قاصراً على ذاكرة المراكز المتغيرة . وأما صور الكلام المخزونة فى المراكز الاخرى فتبقى محفوظة ، فالتكلم النفسى يكون محفوظا وأما المركز المفصول من الدائر يكون متغيراً بتغير أليافه الموصلة للدائر ولذا كان اضطراب الكلام قليل الوضوح

وبسبب تغير مواطن الاصابات قد يحفظ المصاب صور الكلام فيفهمه بالكتابة ويقرأ الكتابة فيدرك معناها لسلامة حوافظ هذه الخصائص ولكن لا يمكنه أن يفهم الكلام المنطوق لان الخاصة لتوصيل صور الكلام المنطوق تكون مصابة

وقد لا يعرف المريض صور الكلام المعروض على سمعه ولكنه يكتب ويتكلم ويقرأ فلا يكون معه غير صمم الكلام

مع انه يسمع الاصوات الاخرى غير الكلام ويفهمها

وقد يعمى عن صور الكلام المكتوب ولكنه مع هذا يتكلم ويسمع ولكنه لايقرأ

فعلى الطبيب أن يحدد موطن الاصابة ونوع أعراضها ليعرف كنه المرض وعلاجه

وعلى كل حال فاستمرار هذه الاعراض بعقب حصول صدمة سيارة يحدث عنها لين مخى وتبتدىء غالبا بنوبة سكتة يصحبها شلل نصفى جانبى يمينى للجسم وهذا العرض يكون دالا على لين المخ لاعلى النزيف المخى

وقد تكون هذه الاعراض غير مصحوبة بشلل نصفى جانبى للجسم بل منفردة فتكون حينئذ وقتية أو تستمر وفى كلتا الحالتين تكون اما ناجمة عن ضغط ورم مخي مجاور للشريان المغذى لمركز التكلم واما عن ضغط لطخة صغيرة التهابية زهرية وعائية مخية أوسحائية أى عن وقوف دورة الشريان المذكور وقوفا وقتيا بخلاف الاعراض الناجمة عن اللين فانها تستمر ان لم يعوضها لفيف الجهة الثانية من المخ أو جزء مجاور من اللفيف المذكور يكون سليما أى ليس واقعا فى اللين وهذا نادر ولهذا فان أغلب هذه الاعراض لايشفى بل يستمر الى الموت

(اضطراب اللسان) اللسان عضو معد لايصال صور الكلام الى الغير أى ان فعله فعل ميكانيكى وحينئذ لا ينجم عن اضطرابه مثل الاعراض المتقدمة لان حافظة معرفة صور الكلام تكون موجودة عند المصاب فهو يتكلم ولكن لايكون كلامه ككلامه أيام كان صحيحا بل يكون مضطربا . وهذا مايشاهد فى الشلل النصفى الجانبى اليمينى للجسم الناجم عن النزف المخى لاعن لين فيتكلم المريض ولكن ككلام من يكون من فمه مادة لزجة ثخينة . وهذا الاضطراب الميكانيكى ناجم عن شلل العصب العظيم الذى تحت اللسان فى الجهة المصابة بالشلل النصفى الجانبى

بهذه الصفة يتميز الاضطراب الميكانيكى للتكلم عن المرض السابق ذكره

ويوجد اضطراب الفعل الميكانيكى

للتكلم أيضا عند المصاب بالشلل البصلي فيكون الكلام بطيئاً متردداً مصحوبا بارتعاش الشفتين واللسان بسبب حصول عثور بالمقاطع

ويوجد ايضا اضطراب اللسان عند المصاب بالاسكليروز اللطخى متى وجدت لطخ فى الاجزاء العليا للمحور المخى النخاعى (البصلة) فيكون كلام المصاب بطيئا وحيد النغم يقرب من تكلم المصاب بالشلل البصلى لكنه يتميز عنه بكونه وان كان بطيئا الا انه ارتجاجى تشنجى فيبتدىء النطق بانقباض خفيف فى الشفتين اى بتشنجهما تشنجا خفيفا وينقبض فى الوقت نفسه جلد الجبهة ويتكرش ويفعل المريض مجهودا عظيما لينطق بالكلمة فينطق مقطعا مقطعا بكل صعوبة مع فعل مجهود عظيم كأنه مدفوع ليتكلم ويجعل بين مقطع وآخر من مقاطع الكلمة فترة سكوت قصيرة المدة وأخيراً ينطق المقطع الاخير من الكلمة بقوة

ثم ان صعوبة التكلم عند المصابين بالاسكليروز اللطخى المذكور يستمر فى الازدياد تدريجا وقد يحصل اثناءه نوب تحسين وقتى ولكن يعقبها زيادة فى الاضطراب

ثم ان الاضطراب المخى قد يكون قاصراً على مراكز الادراك المخى التعقلى اى يحصل اضطراب القوى المدركة للاحساسات والافعال التى بها يزن الانسان أفكاره وأفعاله أثناء التيقظ فينجم عن ذلك الامراض العقلية الجزئية التى هى الهذيان والضلال وأما الجنون فيكون الادراك مفقودة بالمرة

فالهذيان ينجم عن اضطراب العقل اضطرابا مرضيا وله أنواع : (١) الهذيان الحاد (٢) والهذيان الهوسى (٣) والماليخوليا (٤) والهذيان المرتب (٥) والهذيان الاعتقادى التدريجى (٦) وهذيان القتل

ففى النوع الاول يصير عقل المصاب به مضطربا متعبا لا يعجبه شيء ويسيء الظن بكل شخص يعرفه ويحبه بل وفى أقاربه

وفى الدور الثانى يسمع سماعا كاذبا أن الناس يتذاكرون لمعاكسته وأنهم يهددونه ويتهمونه بأعمال جنائية

وفى الدور الثالث يهرب المريض ويتجنب العالم لأنه يرى رؤية كاذبة انه

متبوع نشحص ليقتله ويمتنع عن الاكل لتوهمه أن الناس يتالأون على سمه. ويرى أخيراً أنه لو قتل نفسه نجا من شر الناس. كل هذه الانواع ناجمة عن تغير مرضى فى القشرة السنجابية وأعظمه الالتهاب المنتشر للنسيج الخلوى للقشرة المذكورة

(أسباب الهذيان) ينجم عن الامراض الحادة العفنة كالحمى التيفودية او التيفوسية ويغلب حصول الهذيان ليلا ولا يصير نهاراً الا فى آخر أدوارها عند شدة خطرها

ويكون الهذيان مستمراً ليلا ونهاراً فى الدرن ذى الشكل التيفودى

وقد يكون نتيجة الالتهاب الرئوى الحاد الذى يصيب قمة الرئة

وقد يكون ثمرة الالتهاب الرئوى الحاد الذى يصيب المدمنين على الخمر ولذا يجب على الطبيب أن يفحص الصدر ليميز هذه الاعراض عن التغيرات المخية الاصلية

وقد يكون الهذيان ناجما عن الالتهاب السحائى المصاحب للالتهاب الرئوى

وقد ينجم عن التسممات كالتسمم البولى عند المصابين بمرض برايت أى البول الزلالى

وقد يحدث لهذيان عن اليرقان ويسمى بالجنون الكبدى سبب تأثير عناصر الصفراء على الجهاز العصبى المركزى اى المخ

وقد يكون الهذيان من التسمم بالادوية مثل تعاطى جزء كبير من الديجيتالا او البلادونا أو الافيون اوساليسيلات الصودا أوقد يطرأ من التسمم الرصاصى عند المشتغلين بالمركبات الرصاصية

ويحدث من الادمان على الخمر. وفى هذه الحالة يسبق النوبة الهذيانية عدم راحة للجسم وللمخ وفقد الشهية والقوى واضطراب النوم ثم يحدث الهذيان فيتهيج المصاب ويزيد ويفعل افعالا تعوز مجهوداً قويا بدون تعقل وترتعش يداه ورجلاه وشفتاه ويتكلم بصوت عال ارتجاجى واذا كان على فراشه يتركه ويخرج من حجرته ويكون وجهه شاحبا وعيناه كثيرتى الحركة وتنفسه متتابعا ويرى مرئيات كاذبة كحيوانات أو كائنات سماوية أو يصيح قائلا النار النار الحريق الحريق . أو يصيح قائلا قد أصبت بضربة أو بمرض وقد يكفى فى هذه الحالة زجر المريض بشدة ليعود الى العقل . وقد

تمكث هذه النوبة من اربعة الى خمسة ايام او اكثر ثم تزول عقب نوم هادىء

وقد يحدث الهذيان عن الاحتقان المخى وعن الانيميا المخية وعن الامراض الحمية العادية الحادةمتى كانت درجة الحرارة مرتفعة وعن الالتهاب السحائى الحادوعن الدور الاول للالتهاب السحائى الدرنى وعن الالتهاب المخى الحادوعن الالتهاب المخى المزمن الاصلى او التبعى وعن الدور الاول للشلل الضمورى

ومن الامراض المخيـة ماينتج التخيلات وهى نتيجـة الاضطراب فى وظائف المخ الخاصـة بقبول الحس العام او بقبول احـدى الحواس الاخرى مع اضطراب قوة الادراك التعقليـة وبذلك تحدث للمريض افـكار كاذبة او يسمع اصواتا وهمية او يرى مرئيات لاحقيقةلها او يشعر باحساسات لاوجود لهاو يعتقدان ذلك حقيقة . وبذلك تنقسم التخيلات الى اقسام

(اولها) التخيلات المخيـة المختصة بالحواس وفيها يسمع المصاب اصواتا باطنية وقد يكتب رسائل تحت املائها . وقد تكون التخيلات المخية شعوراً بارتياح أو بحزن أو يأس أوذنب أوتدين أوالحاد أوتوهم أو شجاعة أو بكونه جميلا أو ملكاً أو غنياً جداً أو غيوراً بافراط

ومن أعراض هذا المرض اهمال المريض لنفسه فيصير قذراً . ومن هذ النوع أن تجد المصاب يهوى قتل العالم أو السرقة أو اضرام النار فى البيوت

(ثانيها) التخيلات البصريةوهى أكثر أنواع التخيلات شيوعا فيرى المريض خيالات مزعجة أو حيوانات مؤذية كثعبان وغيره أو يرى أشخاصاً يتبعونه ليقتلوه أو يسموه

(ثالثها) التخيلات الهيجا بيةوفيها ينتقل المصاب من محل لآخر كثيراً . ويشتم ويضرب ويكسر كل ماقابله.

(رابعها) التخيلات اللمسية فيشعر المصاب بوخز أوقرص أوعض كلب كلب او قطع بسكين

(خامسها) التخيلات الحسية فيحس بأنه مرتفع عن الارض او طائر فى الجو

(سادسها) تخيلات الحس العام فيخيل له انه توجد بجسمه حيوانات مؤذية

(سابعها) تخيلات الذوق وفيها يشعر المصاب بطعم كريه فى المشروبات

والمأكولات

(ثامنها) تخيلات الشم وفيها يشم روائح كريهة لا أصل لها

(تاسعها) تخيلات السمع فيسمع اصواتا تكلمه لا وجود لها

(عاشرها) التخيلات الخاصة بأعصاء التناسل وفيها يشعر المصاب باحساسات لا حقيقة لها

يحدث هذا للمصاب وقد يعلم انه وهم باطل ولكنه لا يستطيع التغلب عليه. وعلى أى حال فهذا المرض يتولد عند المستعد له من تغير مرضى مخى أو من احساس مرضى يصير بسرعة فى قوة الاحساس الطبيعى الحقيقى. والاسباب الموجبة له هى الخوف والحزن واليأس والفرح المفرط والمفاجآت

أما الضلال فهو من الاضطرابات العقلية الخاصة بالتمييز فترى المصاب يدرك الاشياء ولكن بدون ضبط فيظن ان ابنه والده وابنته زوجته وخادمه سيده واحلامه مرئيات حقيقية وما حدث من عهد بعيد افعالا حديدة. وتشاهد هذه الاعراض عند الهستريات وفى التسمم الكحولى وفى دور النقاهة لبعض الامراض الطويلة المدة وعند المصابين بالشلل العام

(الدوار) هو اضطراب مخى محله مركز قبول الاحساسات العامة فيحدث ضلال فى احساس هذا المركز أى يحدث فيه حس كاذب فيخيل للمريض بأن جسمه دائر أو أن الاجسام المحيطة به تدور أو تهتز فيدل الدوار حينئذ على أن المخ متأثر. وهذا ينجم عن أسباب عديدة

(أولها) الامراض التعفنية الحادة

(ثانيها) عند اضطراب دورة المخ بسبب حالة احتقانية أو انيمية

(ثالثها) عن الالتهاب الشريانى الحلوى الزمن فيكون للدوار مصاحبا لحالة عدم كفاية الصمام الاورطى لغلقه أوضيقه

(رابعها) يحدث عن تغيرات معدية سواء كانت مصحوبة بتمدد معدى أو غير مصحوبة وهو دور عصبى محض

(خامسها) يحدث فى حالة ضعف الاعصاب (النوراستينى) غير مصحوب بتغيرات معدية

(سادسها) يحدث للمسافرين على البحر وهو عصبى ناتج من تطوح المخ بحركة الباخرة او رؤية صعودها ونزولها

(سابعها) من أورام مخية فيكون مصحوبا بأعراض أخرى تميز وجود تلك

الاورام

(ثامنها) من أورام المخيخ ويصطحب يتطوح المريض من جهة الى اخرى اثناء سيره

(فى اضطرابات الحركة الارادية أى الشلل) قد تكون قوة الانقباض العضلى الارادى ضعيفة وقد تكون القوة مفقودة بالمرة فيسمى بالشلل العام . وقد علم مما تقدم ان ارادة الحركة تصدر من المراكز الحركة المخية وان الارادة الصادرة من احد هذه المراكز اومن جميعها تصل الى العضل بالألياف الناشئة من المراكز المذكورة وأن هذه الالياف تكون أسفل من منشأها القسم المتقدم للتاج المشع ثم للجهة المقدمة للمحفظة الانسية ثم للجهة المقدمة للافخاذ المخية ثم للجهة المقدمة لقنطرة فارول ثم للجهة المقدمة للبصلة ، ثم يتصالب الجزء الاعظم منها فى عنق البصلة والباقى لا يتصالب فيها ثم تنزل الياف الحزمتين فى النخاع وفيه تختلط بقرونه المقدمة وبالاعصاب النخاعية المقدمة المتصلة بالعضل فمتى حصل تغير وأتلف أحدهذه المراكز أو أتلف جملة منها أوحصل التغير فى الالياف الموصلة المذكورة فى نقطة ما منها اثناء سيرها من منشأها الى انتهائها او حصل تغير فى نفس العضل نجم عن ذلك شلل العضل المذكور . ويقال للتغير المصيب للمراكز المخية تغير مخى والمصيب لألياف التوصيل أو للعصلات تغير دائرى

فاذا كان التغير قاصراً على مركز مخى محرك واحد سمى الشلل الناجم عنه بالشلل الوحيد أو المنفرد وحينئذ يكون شاملا للطرف بتمامه فاذا كان الطرف المصاب علويا سمى شللا علويا وان كان الطرف سفليا سمى شللا سفليا . ولكن ينجم الشلل السفلى المفرد غالبا عن تغير فى النخاع ويندر ان يكون فى المركز المخى المحرك للطرف السفلى المذكور أى فى جزء قشرة الجزء العلوى للفيف الصاعد الجبهى والصاعد الجدارى وخصوصاً الجبهى

اما اذا كان التغير قاصراً على جزء قشرة الجزء السفلى للفيف الصاعد كان الشلل حينئذ قاصراً على الطرف العلوى للجهة المضادة لجهة التغير المخى

وأما اذا كان التغير القشرى عاما للمراكز الحركة المخية لأحد النصفين الكريين للمخ فينجم عن ذلك شلل عام للجهة الجانبية للجسم المضادة لجهة التغير

القشرى ويسمى هـذا الشلل بالفالج . وهو يحصل أيضاً متى كان مجلس التغير فى الالياف النازلة من المراكز المحركة المخية اثناء تكوينها للجزء المقدم للتاج المشع أو أثناء تكوينها للجزء المقدم والثلثين المقدمين من الجرء الخلفى للمحفظة الانسية لتقارب الالياف النازلة المذكورة . ومتى كان مجلس التغير فى الثلثين المقدمين من القسم الخلفى من المحفظة الانسية وكائناً قبل تصالب العصبين الوجهين وتحت اللسان كان شلل النصف الجانبى للوجه واللسان فى جهة شلل الطرف العلوى والسفلى لجانب الجسم ويكون شلل الوحه حينئذ قاصراً على العصب الوحهى السفلى

ومتى كان التغير المرضى عاماً لالياف التاج المشع أو عاماً لألياف المحفظة الانسية كان الشلل النصفى الجانبى للجسم مصحوبا بفقده الاحساس فى النصف الجانبى المذكور لان الالياف الموجودة فى القسم الخلفى للتاج المشع اوفى المتلث الخلفى للمحفظة الانسية هى الموصلة للاحساس العام للنصف الجـانبى للجسم الى مركز قبول هـذا الاحساس الموجود فى النصف الـكرى للجهة المضادة لجهة منشأ الاحساس من الجسم

واذا حصـل تغير فى القـائم المخى أصيب العصب المحرك للعين بعد تصالبه مع المماثل له للجهة المقابلة

وأما شلل الوجه واللسان والطرف العلوى والسفلى فيكون في الجهة الجانبية للجسم المقابل للتغير المخى

أما اذا كان مجلس التغير الحـدبة المخية فيكون شلل الوجه فى جهة التغير الحدبى . وأما شلل الطرف العلوى والسفلي لجانب الجسم وفقده احساسه فيكون فى الجهة المقابلة للتغير الحدبى أى يكون الشلل متصالبـا أيضا لان الحالة هنا بالنسبـة للعصب الوجهى كحالة التغير القائمى المخى بالنسبة للعصب المحرك العام العينى بسبب ان العصب الوجهى متصالب مع المماثل له للجهة المقابلة اعلى من الحدبة المخية . واما الالياف المحركة للطرف العلوى والطرف السفلى والالياف الناقلة للاحساس فانها متصالبة فى البصلة وهى كائنة اسفل من الحدبة ولذا يكون شلل الوجه فى جهة التغير الحدبى وشلل الطرف العلوى والسفلى فى الجهة المقابلة

وأما اذا حصل تغير فى البصلة فينجم

عنه اصابة جملة أعصاب دماغية لأن نويات منشأ اكثر الاعصاب الدماغيـة كائنة فى البصلة ومتقاربة جدا بعضها من بعض . فاذا كان محل التغير وسط البصلة نجم عن ذلك شلل العصب اللسانى والعصب الوجهى والعصب الرئوى المعدى والعصب الشوكى ومجموع ظواهر هذا التغير يكون ما يسمى بالشلل الشفوى اللسانى الحنجرى البلعومى وبالشلل البصلى وبناء على ذلك محصول الشلل المذكور يدل على أن مجلس التغير كائن فى البصلة واما اذا كان مجلس التغير البصلى حاصل فى اهرامها المقدمة اسفل محل خروج الاعصاب الاخيرة الدماغيـة فى البصلة فينجم عنه شلل نصفى جانبى للجسم غير مصحوب بشلل وجهى ولا بتغير فى حاسة الابصار ولا فى حاسة الشم ولا بتغير عقلى

واما اذا كان التغير فى المخيخ كانضغاط احد نصفيه بورم فينجم عنه شلل نصفى جانبى للجسم لكنه يتميز عن الشلل المخى باصطحابه بألم قمحدوى وبقىء وباضطراب بصرى ويتميز أيضا بتطوح الشخص فى اثناء المشى

بالاجمال الشلل النصفى الجانبي المخى المركزى الناجم عن لين مخى أو نزيف مخى أتلف الجزء القشرى تلافيف الصاعدة لاحد نصفى المخ أو تلف الالياف النازلة من المراكز فى المحفظة الانسية يبتدىء فى أكثر الاحوال بنوبة سكتية مخية فاذا أفاق منها المريض وجد عنده شلل في احد جانبي الجسم فى الجهة المضادة لجهة التغير المخى

وقد توجد نوب سكتية غير ناجمة عن النزيف المخى ولا عن الانسداد الوعائي المخى بل عن الاحتقان والانيميا المخيين او عن تسمم بولى مخى أو عن اورام مخية او عن شلل عام وتتميز النوبة السكتية الناجمة عن الاحتقان المخى او عن الانيميا المخية بكونها وقتية واذا صحبها شلل كان وقتيا مثلها وتتميز السكتة الناجمة عن التسمم البولى باصطحابها بورم فى اجزاء أخرى من الجسم ويوجد الزلال فى البول (انظر عصب) (مقتبس من كتاب المعاينة والعلامات التشخيصية لعيسى باشا حمدى بتصرف)

(علاج هذه الامراض) لانستطيع وصف شىء يمكن للانسان ان يعمله بنفسه فان جميع هذه الامراض تعوز عناية

الطبيب ومراقبته فيجب التعويل عليه

﴿المَخدة﴾ المعونة

﴿مخرت﴾ السفينة تمخُر مخراً جرت تشق الماء و (الماخور) محل العواهر

﴿مَخرق﴾ الرجل مَخرقة موه وكذب

﴿مخض﴾ اللبن يمخُضه ويمخَضه مخضا استخرج زبده بوضع الماء فيه وتحريكه . و (مَخضت الحامل) تمخض مخاضا دنا ولادها فهي ماخِض . و (تمخض اللبن) صار مَخيضا . و (تمخض الولد) تحرك . و (ابن المَخاض) الفصيل اذا لقحت أمه وقيل ما دخل في السنة الثانية

﴿مخط﴾ المخاط يمخُطه ويمخَطه اخرجه و (المُخاط) ما يسيل من الانف

﴿المخلصة﴾ هو نبات ينبت بالاراضي غير المنزرعة وله سنابل جميلة وازهار صفر وسوق قائمة واوراق مغبرة ضيقة سوقه شبيهة بسوق الكتان طعمه خفيف المرارة ورائحته مغثية كريهة وهي تدل على انه من النباتات الخطرة على الصحة

(خواصه الطبية) شوهد في المخلصة خاصة الاسهال وادرار البول وأكثر استعماله من الظاهر كادات على البواسير ومدحه في ذلك كثيرون . وكانوا يستعملون ازهاره في الامراض الجلدية المزمنة مجتمعة مع ازهار اللبيدة البيضاء

وقد اطال أطباء العرب الكلام فيه وذكروا له انواعا ولكن كلامهم لا يوثق به في المسائل النباتية من الوجهة التي تختص باصولها وأنواعها فان علم النبات لم يكن على عهدهم قد بلغ من الترقي درجة يحسن السكوت عليها كما هو شأنه الآن

﴿مدَحه﴾ يمدَحه مدحا احسن الثناء عليه و (تمدَّحه) مدحه . و (تمدَّح الرجل) قرظ نفسه وافتخر . و (امتدحه) مدحه . و (المِدحة) ما يمدح به وكذلك المديح . و (المَمادح) ضد المقابح

﴿مَد﴾ الحبل يمُده بسطه . و (مد الكاتب من الدواة) اخذ مداداً بالقلم منها و (مدَّه في غيه) امهله . و (مدَّد الشيء) مده . و (أمده) أمهله واخره ونصره واعانه بمال . و (امد الجرح) حصلت فيه المدة و (تمدد) مطاوع مدد . و تمطى . و (امتد) انبسط . و (استمد) طلب المدد . و (المادة) الزيادة وكل شيء يكون ممداً لغيره . و

(المادى) القائل بأنه لاموجود الا المادة (انظر مادة) و(المِداد) مامددت به السراج من زيت . و (المَد) من البحر ارتفاع مائه انظر (المد) و(المُد) مكيال وهو رطلان عند أهل العراق ورطل وثلث عند أهل الحجاز وقيل ملء كفى الانسان المتدل جمعه أمداد ومُددة و (المَدد) العون والغوث و(المَدّة) غمس القلم فى الدواة مرة للكتابة . و(المِدة) ما يجتمع فى الجرح من القيح و(المُدة) الغاية من الزمان والمكان . و (المديد) الممدود

المادة — لايزال العلماء عاجزين عن معرفة كنه المادة التى تتركب منها الاشياء المحسوسة فى الكون . ارتأى ديموكريت الفيلسوف اليونانى القديم أن الاجسام مكونة من ذرات صغيرة جداً لاتقبل الانقسام وزعم انها متأثرة بقوتين قوة تجذب بعضها الى بعض وقوة تميل لتنفير بعضها من بعض فان كان الجسم صلبا كانت قوة الجذب فى ذراته تفوق قوة الدفع فتتماسك . وان كان الجسم سائلا تعادلت القوتان ولذلك يمور السائل ولا يتماسك ويأخذ شكل الاوانى التى يوضع فيها . وان كان الجسم غازيا كانت قوة الدفع فيه أكثر من قوة الجذب ولذلك تميل الغازات للانتشار والامتداد

وقد أخذ العلماء بهذا المذهب وقبلوه مئات من السنين ولكن بعد أن هذبوه وقوموه على حسب الحاجة فى تعليل ظواهر الطبيعة

فقالوا ان كل مافى الكون ينقسم الى مادة وقوة فالذهب والنحاس والخشب مثلا مادة ، والحركة والكهربا والحرارة قوة

قالوا والقوة والمادة مختلفتان ولكنهما متلازمتان فلا توجد مادة مستقلة عن قوة ولا قوة مستقلة عن مادة . وزعموا أن لكل من المادة والقوة خواص يشتركان فى بعضها ويختلفان فى البعض الآخر وأن كلا منهما أزلى أبدى ثابت فى مجموع فلا يتلاشى شىء منهما ولا ينتج

أما عن ماهيتهما فافترق العلماء الى ثلاثة مذاهب :

فمؤدى المذهب الاول ان الاجسام مكونة من ذرات لاتقبل الانقسام والمواد تحصل من تركباتها على نسب مختلفة . وقد قوى اكتشاف الراديوم هذا المذهب فان العلماء استطاعوا أن يقيسوا حجم الذرة

ووزنها بالواسطة ويتحققوا أنها كلها متساوية حجما ووزنا

يقول أشياع هذا المذهب ان الاجسام لا تختلف فى كنهها ولكن فى كيفية وضع ذراتها فقط فالحديد والماء والزيت والكحول من نوع واحد ولكن اختلاف خواصها وأشكالها وأحجامها وأثقالها اتاها من اختلاف وضع ذراتها . وقد توصل بعض العلماء الى تحويل الراديوم والهليوم والرصاص والبوتاسيوم والصوديوم بعضها الى بعض

أما عن القوة فقالوا ان مظاهرها المختلفة ليست الا تموجات يحدثها الجسم الذى هو مركز القوة كالتموجات الدائرية التى تحدث فى الماء عند سقوط جسم ثقيل فيه. ثم رأوا ان هذه التموجات لا تحدث فى الهواء فقط بل تحدث فى الفضاء ايضا فان الضوء والحرارة والكهرباء تخترق الاوانى الخالية من الهواء وتجتاز الفراغ الذى بين الكواكب

ولما كان لابد لتموجات القوة من شيء تتموج فيه فاستنتجوا من ذلك ان الفراغ المطلق لا وجود له فلا بد من أن يكون الفراغ مملوءاً بشيء لطيف جداً من نوع المادة سموه الاتير . وعليه فالقوة هى تموجات الاتير وتختلف مظاهرها وظواهرها باختلاف سرعة هذه التموجات فاذا تموج الاتير بسرعة معينة أنتج الحرارة وبسرعة معينة أخرى أنتج الضوء وبسرعة معينة ثالثة أنتج الكهرباء

فقالوا كما ذكره العلامة الكيماوى الانجليزى وليم كروكس اذا تذبذب الاتير فى كل ثانية ٣٢٠ و٦٤٠ و١٢٨ و٢٥٦ و ٥١٢ و ١٠٢٤ و ٣٢٧٦٨ مرة أنتج الصوت

واذا تذبذب ١٠٨٩٣٢٤٨٢٤ مرة فى الثانية الو حدة أنتج الكهرباء

واذا تذبذب ٥٦٢٩٤٩٩٥٣٤٢١٣١٢ مرة فى الثانية أنتج الضوء الخ

ولكن منذ بضع سنين قامت حركة فى المجامع العلمية ترمى الى قلب هذه النظرية وكان ذلك على أثر اكتشاف الراديوم وعناصر أخرى تماثله . ذلك أنه شوهد أن من خواص هذه العناصر أنه ينبعث منها على الدوام حرارة وضوء وكهرباء . فمن أين تصدر هذه القوة ؟ فلاحظ العلماء بعد تجارب دقيقة مضبوطة ان مادة تلك العناصر تنقص شيأ فشيأ

وان القوة التي تتحول منها تتحول في ظروف خاصة الى مادة أخرى من قبيل الراديوم تسمى هليوم فاستنتجوا من ذلك ان مواد هذا النوع من الاجسام تتحول الى قوة وان القوة قد تتحول الى مادة

ثم وسعوا مدى نظريتهم هذه فقالوا ان جميع الاجسام تشع على الاجسام ضوءا وكهرباء وحرارة مثل الراديوم وأمثاله ولكن ببطء شديد جداً بحيث لا نستطيع أن نشاهدها بحواسنا ولا بالآلات غير انه في الامكان اظهارها تحت تأثير قوة المغناطيس

فاضطر العلماء ان يهجروا مذهب الجوهر الفرد وعدم قابلية الذرة للانقسام بل تركوا مذهبي عدم تلاشي المادة وعدم تلاشي القوة وذهبوا الى عكس ذلك. فقالوا ان الذرة نفسها مركبة من دقائق صغيرة كثيرة تسمى (يون) أو (الكترون) واحدة منها مكهربة بكهرباء ايجابية والثانية مكهربة بكهرباء سلبية وهي تدور حول الاولى والمجموع متوازن بفعل الجاذبة كالسيارات الدائرة حول الشمس فكل ذرة عبارة عن نظام شمسي مصغر

قالوا وليست اليون أو الالكترون هي النهاية التي يقف عندها انقسام المادة بل انها تنقسم الى دقائق أصغر منها حجما وهذه الدقائق الصغرى الناتجة من تحطم الذرات تكوّن هي وأجزاؤها عند انفصالها من الجسم الحرارة او الضوء او الكهرباء ولهذا لم يعترفوا لها بمادتها بل اعتبروها قوة . أو أن كل واحدة منها كمية صغرى من الاثير تدور حول مركزها كزوبعة محلية

وخلاصة هذا المذهب الجديد ان المادة والقوة شيء واحد يتحول كل منهما الى الآخر فالمادة تتحول الى قوة والقوة الى مادة بفعل النواميس العاملة عليهما . وان المادة لاوجود لها في الواقع فما في الكون الا قوة متكاثفة جدا كما ان الماء بخار متكاثف . وعليه فلا يوجد غير القوة وهي تظهر بمظاهر مختلفة من الصوت والضوء والحرارة ومنها ما نسميه بالمادة ومجموع هذه القوة ثابت وقد تأيدت هذه النظرية بالاكتشافات الجديدة فأصبحت رأي العلم الرسمي اليوم

(رأى طمسون في الجوهر الفرد)

ذهب العلامة الانجليزي السير وليم طمسون ان الجوهر الفرد موجود وانه عبارة عن

زوبعة حلقية فى الاثير وبين كيف انه لايقبل القسمة وانه موجود من أزل الآزال . فذهب ان العالم كله مملوء بسائل تام الاتصال شامل لكل خلاء وقد تحركت فيه أجزاء منه حركة زوبعية سريعة فتميزت عن سواها وأحس بها وهى المادة الملموسة . وهى لاتقبل القسمة لانها لو قبلتها لزالت خصائصها الجوهرية فهى كالهيولى تقبل القسمة فرضا لافعلا لان الهيولى لا تنقسم فعلا مع انها ذات امتداد والا لزم ان يقسم جسم متصل مالىء للخلاء لافراغ حوله ولا مسام له وذلك مستحيل . والجواهر من حيث انها ذات خصائص معينة ولاتنقسم مع بقاء هذه الخصائص فيها كما ان الكريات الحية لاتقبل القسمة طبيعيا لا حيويا مع بقاء خصائصها كما هى . وبهذا الاعتبار تكون الجواهر الفردة للعوالم كالكريات الحية للحس

قال الكيماوى (ورتز) ان مذهب الجواهر الزوبعية تتصح به بعض خصائص المادة وكل الاقوال فى طبيعة الجواهر الفردة ويظهر انه أقرب المذاهب الى الحقيقة

(فى وحدة العناصر والقوى) قال العلامة الدكتور شبلى شميل فى كتابه (الحقيقة) :

«ذهبوا الى أن الجواهر الفردة متماثلة فى الذرات مختلفة فى الصفات وانها متحركة وشكلها متغير ولايخفى ان العناصر التى وصفها الكيميون تبلغ نحوا من ستين عنصرا واذا تأيدت اكتشافات السبكترسكوب نربما بلغت ٧٣ عنصراً وقد اعتبروها بسيطة ومن اتحاداتها المختلفة تتألف الاجسام المختلفة . واجتهدوا أولا فى تعيين صفاتها التى تمتاز بها ثم مالبثوا أن تساءلوا عما اذا كانت هذه العناصر بسيطة حقيقة أو كانت لماصفات مشتركة تجمعها وتردها الى اصل واحد . فربما كان الكيميون الاقدمون مصيبين فى بحثهم عن تحول المعادن . فقام دوماس وهو من أكابر علماء الكيمياء فى هذا العصر وقرر أولا انه يمكن ترتيب هذه العناصر صفوفا تتفاعل كيماويا تفاعلا واحدا . وقد بين تبعاً لرأى (بروست) ان أوزانها الجوهرية أعداد كاملة كأن جواهر العناصر المزعومة بسيطة وهى بالحقيقة مركبة من أعداد مختلفة من هذه الاجزاء المماثلة ولاتختلف

فيما بينها الا بعدد هذه الاجزاء فقط . ثم أشار (مندلف) و(لوثارماير) الى نسب شديدة بين الاوزان الجوهرية للعناصر وصفاتها الخاصة وقالا بوجود خلل فى جداول هذه العناصر . وقد تنبأ بأن هذا الخلل لا بد من أن يسد ووصفا العناصر التى تنقص والتى يلزم اكتشافها . وقد توصل (لكوك) الكيماوى الى نتائج شبيهة بتلك بعد درس الحل الطيفى لهذه الاجسام البسيطة اى درس طبيعة النور المنبعث عنها وهى مشتعلة . وقد جاء اكتشاف الغاليوم له والسكنديوم (لغلاف) مصداقا على صحة هذه الانباء العلمى . ثم أن (لوكير) لاحظ فى طيف بعض البسائط كالكالسيوم والفوسفور انقساما يدل على بداية انحلال فترجح لهم أن الاجسام المزعومة بسيطة ليست ابيات مستقلة بل أنها ربما كانت صورا مختلفة لمادة واحدة هى الهيولى الواحدة والغير المتلاشية كالاثير

« وقد تقوى هذا الترجيح بما كان قد علم من وحدة القوى فلا يخفى أن القوى كانت عندهم فى السابق متعددة فالنور والحرارة والكهربائية والمغناطيس كانوا يعتبرونها سوائل مادية مستقلة بعضها عن بعض تنفذ مادة الاجسام وتجمع فيها على نسب مختلفة ، والجاذبية والالفة الكيماوية والالتصاق كانت قوى تحرك دقائق هذه الاجسام . وبقى هذا القول معولا عليه فى العلوم الطبيعية حتى قام (رمنو) وقال ربما كانت الحراره متحولة عن الحركة . ثم بين (فرسنل) أن النور عبارة عن حركة اهتزازية . وكذلك بين (ماير) و(حول) و(هرن) و (تندل) أن الحرارة ليست سوى اهتزاز أجزاء المادة وقد برهنوا أن الحرارة تتحول الى حركة والحركة الى حرارة تبعا لقواعد معينة . ثم بين (امبر) وحدة الكهربائية والمغناطيس وبين (سبك) كذلك أنه يكفى احماء نقطة ملتحم معدنين لتوليد مجرى كهربائى ولا يخفى فعل الحرارة فى توليد المغناطيس والفرك فى توليد الكهربائية . وتحولها الى نور وحرارة ومن ثم الى حركة صار أمرا معروفا عاديا مستعملا فى الصنائع وانارة الطرق فى المدن الشهيرة فانتهى مذهب السوائل المادية من مدار العلم الطبيعى . واذا ارتاب صاحبنا (يريده مناظره) بصحة هذا القول فليراجع (صفحة ١١ و٢١ و٦٥ و٤٢٨ وخاصة ٢٩٨ و ٢٩٩) من كتاب

الدروس الاولية في الفلسفة الطبيعية للفاضلة السيدة الن جكسن

« فلم يبق عند الطبيعيين بعد هذا سوى مادة لطيفة هي الاثير المالىء الخلاء والنافذ في كل الاجسام والحركة لها وانتفت القوة كذلك وعوض عنها بالحركة فليس للحركة سبب سوى الحركة نفسها ولا واسطة لايصالها الى الاجسام سوى بالاصطدام ولا محول للحركة سوى الحركة المكتسبة والحركة نفسها غير متلاشية كالمادة ومقدارها في الكون واحد كمقدارها الا انها قابلة للتحول الى ما لا نهاية له بحيث يصعب معرفتها في استحالاتها البعيدة فأوجد ذلك نظراً جديداً في بناء الاجسام الجوهري فالجوامد والسوائل والغازات التي كان يظن أنها مؤلفة من أجزاء صغيرة ساكنة هي بالحقيقة متحركة حركة باطنة شديدة وحرارتها كما نحس بها بحواسنا ليست سوى التأثير الواقع علينا من اهتزاز أجزائها . وظهر لهم حسب الاكتشافات الحديثة أن شكل الجواهر الفردة يتوقف على الاهتزازات التي تحركها وان الحركة هي التي كونت جواهر الاجسام الفردة ودقائقها في وسط الاثير وان الاثير ليس سوى الهيولى في أبسط ما يمكن تصوره وان الصور التي تلبسها الهيولى انما هي ناشئة عن الحركة التي تحركها وان المادة والحركة غير منفصلتين لان وجود المادة يقتضي الحركة كما ان الحركة تطلب المادة وهكذا ردوا هاتين الابتين اللتين ترجع اليهما المواد والقوى الى شيء واحد

« وهذه هي خلاصة ما دلت عليه مباحث مشاهير الفلسفة وعلماء الطبيعة والكيماء في هذا العصر

« فيرى مما تقدم أن القول بالجواهر الفردة وتماثلها وحركاتها وتغير شكلها وتحول القوى هو من مقتضيات العلم لا من مختلقات الوهم لانطباقه على قضايا طبيعية وكيماوية لا تعقل بدونه على أن الكيماويين لم يتمكنوا من حل العناصر وردها الى الهيولى كما تمكن الطبيعيون من رد القوى كلها الى الحركة وانما حكموا بذلك من باب الترجيح لما رأوه أولا من الدلائل على ان العناصر ليست بسيطة كما تقدم وثانيا لأن وحدة القوة تطلب وحدة المادة كذلك . واذا صح تحول القوى بعضها الى بعض وصح ان أصلها الحركة وهي

واحدة وصح ان الحركة هي اهتزاز أجزاء المادة فكيف لا يصح ان تكون المادة واحدة وانها تتحول وتظهر بمظاهر مختلفة

(في اختلاف الطبع باختلاف الوضع)

ثم قال الدكتور شبلي شميل تحت هذا العنوان ايضا :

« وأما كون المتماثلات لا يحصل من تركبها سوى متماثلات فهذا لا يصح الا اذا تماثل الكم والكيف والذات والصفات والا فتعطى مختلفات . ولعل المتعرض لا يعتد الاختلاف اختلافا حتى يكون في الطبع فيقول ان اختلاف الكم والكيف لا يحصل عنه اختلاف الطبع . وهذا وهم فان أسماء العقود كالعشرة بقطع النظر عن الشيء المدلول عليه بها هي غير الواحد المؤلفة منه والتي تنحل اليه . والمثلث بهذا الاعتبار نفسه هو غير النقطة المؤلف منها والتي ينحل اليها . ثم ان مزيج عنصرين كالنتروجين والاوكسجين مثلا هو غير مركبهما ولا فرق بينهما الا في نسب جواهرهما وفي ترتيب بعضها بالنسبة الى بعض لا بادخال شيء جديد أو تغيير في صنائعها الخاصة ، قال (ورتز) : « ان التركيب ليس ناشئا عن تداخل جواهر المادة بعضها ببعض بل ترتيبها بعضها حول بعض » ولا يخفى كذلك ان العناصر الجوهرية التي تركب المواد الحية هي الاوكسيجين والنتروجين والهيدروجين والكربون ونسبها في المواد المذكورة لا يختلف الا في الكم والوضع . ومع ذلك فما أكثرها وما أعظم اختلافها . ولا يرد علينا بأن الكيمياء الآلية هي غير الكيمياء الغير الآلية فالاحياء ليس لها كيمياء خاصة ولا يقول المعترض « ان هذه المركبات ليست من هذا الباب لانها مركبة من عناصر مختلفة » لان هذا القول غاية في الغرابة وماذا عساه أن يقول في الخشب والصمغ والنشا مثلا فان تركيبها لا يختلف الا في وضع هذه العناصر أو ماهو قوله في الكحول والحامض الخليك كذلك فان تركيبهما لا يختلف الا في الكم . فلو لم يكن اختلاف الوضع والكم يحدث اختلاف الطبع لما اقتضى ان تتغير طباع هذه المواد تغيراً جوهريا فهما اذن كافيان وحدهما لاحداث الاختلاف . وهذا كل ما يلزم لتعليل سائر الاختلافات ولاسيما اذا اعتبرنا في ذلك تغير شكل الجواهر الفردة

« أو ماذا يقول المعترض في المواد

البوليميرفيـة أى التى تختلف هيـآتها ولا تختلف ماهيتها ولا تركيبها . وفى المواد لالوتروبية أى التى تختلف صفاتها ولا تختلف ذواتها ؟ فلو لم يكن اختلاف الوضع كافيا لاحداث الاختـلاف لما اقتضى ان تختـلف خصائص البسائط كالـكبريت والفسفور والاكسيجين والكربون وتتفاعل تفاعلات مختلفة ولا شك ان الفرق بين الماس والفحم هو أشـد جداً من الفرق بين الحديد والنحاس . ومن ينكر هـذا الفرق يلزمه أن ينـكر الفرق أيضا بين الحرارة والنور والكهربائية والمغناطيس وبينها وبين الحركة .أليس لهذه الصفات خاصة فارقة ومع ذلك أليست كلها مظاهر مختلفة لقوة واحدة ؟

(فى ان القوة والجوهر سيان)

« وأما كون الحركة الباطنة وتغير الشـكل تقتضيان القسمة بالفعل (وهو اجتماع النقيضين) فهو صحيح اذا اعتبرت الحركة شيأ مستقـلا بذاته غير الجوهر الفرد وربما عنوا بالحركة الباطنة الذرات أيضا فكانت الحركة والجوهر الفرد شيئا واحدا . ويلزم ان يكون ذلك كـذلك لأن المادة فى أدق أجزائها اذا فرضت ساكنة لم تعقل وكذلك الحركة اذا فرضت بدون شىء متحرك لم تعقل أو تلاشيا معاً وهذا لا يعقل ايضا. قال ورتز : ان القوء لاتكون وحدها بل يلزم أن تصـدر من شىء وأن تفعل على شىء وان تظهر الحركة وكيف تكون حركة بدون شىء متحرك واذا صح رأى طمسن عن الجواهر الفردة فربما زال الاشكال»

«قال المقتطف فى الكلام على الهيولى :

« وأما خصائص الحلقات الزوبعية فقد أثبتها هلمـلتز الجرمانى بالبرهان على فرض كون الحلقات فى جسم تام السيولة لا يقبل الانضغاط مطلقا متجانس الاجزاء أى ان كثافته واحدة فى كل جانب من جوانبه تام الاتصال أى أنه غير مؤلف من جواهر منفصل بعضها عن بعض لا يتغير قسم جرم منه ولا كثافته اذا تحرك (القسم) وانما يتغير شكله »

وقال ورتز : « وهذه الزوابع مرنة وشكلها متغير ولا يتوازن الا فى الدائرة فاذا تغيرت عن هـذا الشكل فـلا تزال تتحرك حتى تعود اليه واذا أريد قطعها بمدية فانها تهرب من أمام المدية أو تلتف عليها فهى تمثل شيئا ماديا لا ينقسم

واذا تحرك حلقتان فى جهة واحدة بحيث يكون مركز كل منهما على خط واحد وسطحه كذلك على موازاة هذا الخط فالحلقة المتأخرة تنقبض على نفسها وسرعتها تزيد والسابقة تتسع وسرعتها تقل حتى تسبقها المتأخرة ثم يحصل ما حصل ولكن ذاتيتها لا تفقد بتغير شكلها وسرعتهما » انتهى كلام الدكتور شبلى

(ملاحظاتنا على هذا الكلام) اننا لم نعن بنقل ما كتبه الدكتور شبلى شميل الا لنورد عليه ملاحظاتنا فان كتاباته انتشرت باللغة العربية وأصبحت عمدة المتحككين فى المذهب المادى من أبناء هذه البلاد ، فكان من واجبنا أن نكافح نظرياته أينما ثقفناها لانها من أكبر العقبات فى سبيل تأييد الدين الحق ، والدين أكبر ضروريات الحياة الانسانية وأعظم مقومات المدنية الكاملة ، لا باعتباره داعيا الى الاخلاق الفاضلة فقط بل باعتبار ان ما يدعو اليه من وجود الصانع والروح والخلود من المطالب الاولية للنفس البشرية ان فقدتها فقدت غاياتها التى تنزع فطرتها اليها ، وتعتمد فى تكملها عليها ، فاذا كفى الحيوان من مقومات الحياة ان يجد ما يأكله وما يأوى اليه ويحفظه من المبيدات الوجودية ، فان للانسان مرامى معنوية ليست فى اقامة صرح وجوده وتكميل بناء حياته بأقل ضرورة له من ضرورياته المادية وحوافظه الصورية

فالانسان كائن بعيد المرامى ، وان شئت فقل لاحد لمراميه ، والكون الذى يعيش فيه غير متناه سواء فى حدوده أو فى مساتيره ، وقد دفع بالانسان الى هذا الكون لا ليعيش فيه فقط كما تعيش الحيوانات ثم يندثر ويتلاشى بل ليستكنه أسراره ، ويكتشف خوافيه ، وقد عُلّق على كل ذلك كماله الصورى والمعنوى ، فان صدمته عقبة عن متابعة سيره فى هذا السبيل ارتكس حاله الى أسوأ مما عليه الحيوان الاعجم فأصبح خطراً على نفسه وعلى غيره وصارت حياته أيام شر وشؤم عليه وعلى ما يحيط به

فمن أوليات المسائل التى كلف بها الانسان كشف سر المادة المشهودة وسر الروح المحجوبة ولا يخفى ان على هذين السرين يقوم أمر الوجود كله فليس فيه غير مادة وروح ، فان بلغ الانسان ما يرى

اليه من كشف سرها ، والوقوف على أمرها لم يبق امامه من المساتير شيء الا مايلابسه من ظواهرهما ، أو يعنيه من مظاهرها ، ولا أدرك بعد ذلك ماذا يكون حاله من الرقى الباهر ، والكمال البعيد المدى . وناهيك بالكائن الذى يقف على سر الوجود بمظهريه الصورى والمعنوى ، وفى عالميه الفاعل والمنفعل

أنا لا اظن ان هذا الكشف يتم للانسان وهو فى حالته المشاهدة من القصور العلمى فلا بد من ان يسبق اكتشافه لهذين السرين بلوغه غاية من الكمال المعنوى لا نتخيلها الآن تخيلا حتى يكون اكتشافه الجديد العظيم مناسبا لدرجته من العلم والفضل ، لانه فى طريقة اليها سيضطر لان يحل من المعضلات ، ويكتشف من المجهولات مالا يحيط به خيال ، ولان يصوره ذهن بحال

الا أن حضرات الماديين رأوا أن يختصروا هذا الطريق الوعر على الانسان فلا يجشموه خطر مزاولة المجهولات ، ومعالجة المعضلات ، فزعموا أولا أن الروح غير موجودة فكفوا الانسان مشقة البحث عنها .... ثم ادعوا انهم ادركوا سر المادة ولكنهم اختلفوا .... فقال بعضهم انها مكونة من جواهر فردة غير قابلة للانقسام ، وذهب بعضهم الا انها مركبة من الكترونات دائرة حول نقطة كالسيارات حول الشمس ، ومال بعضهم الى أن المادة والقوة إثنيتان متميزتان ورأى البعض الآخر ان لا موجود الا القوة كما قررناه فى الفصل السابق

ليس هذا الاختلاف بعجيب لو وقف الأمر عنده أو لو تعداه الى خلافات أخرى ، ولكن العجيب أن يدعى مقلدو الماديين من امثال الدكتور شبلى شميل وغيره ان المادة قد كشف سرها وانجاب سترها ، وان هذه الاقاويل حقائق علمية ومقررات تجريبية .... الى غير ذلك من الاقوال الخفيفة

فأما انكارهم للروح فليس لهم فيه حق بينما مئات بل ألوف من اخوانهم الذين كانوا ماديين مثلهم بالأمس ينادونهم اليوم باسم المباحث الروحية ويناشدونهم الله والرحم ان ينظروا امعهم نظرة انصاف ليروا ان هناك ظواهر تعتبر من الخوارق المناقضة لكل النواميس الطبيعية المعروفة تظهر لهم فى شروط من الاحتياط العلمى ليس وراءه

مزيد وتثبت لهم بدليل حسى أن للانسان روحا أو بالاقل ان وراء هذه المادة عالما ارقى منها

ولكن حضرات الماديين يرون الطريق وعراً فهم يريدون الوصول الى اللباب بسرعة .... فأصروا على انكارهم الروح وادعوا أن من يقول بغير ذلك فهو ممخرق أو مجنون ....

هب أنهم يخلصون من التعب فى انكارهم الروح وان كان هذا ذنب لا يغفر لانه نكوص بالعلم الى الوراء مع وجود العوامل المسهلة للوقوف على الحقيقة، فهل يمنذرهم عاذر فى دعوى بعضهم انهم اكتشفوا سر المادة وهى لا تزال موضع الخلاف كما رأيت ؟

أما أنا فما رأيت من تجار أعلى هذه الدعوى غير الدكتور شبلى شميل فى الكلام الذى أوردته عنه . ولكن أقطاب العلماء من أهل أوروبا لا يزالون فى حيرة عظيمة من أمرها وانى لناقل اليك بعض أقوالهم فى ذلك

واننا نبدأ بايراد قول الفلسفة الحسية عن دائرة اختصاصها ليعرف القارىء الحدود الفاصلة بين ما يسمى فلسفة وما يسمى أوهاما فى عرف الفلسفة العصرية

قال الاستاذ (ليتريه) *Littre* وهو شيخ من شيوخ الفلسفة المادية فى كتابه (كلمات عن الفلسفة الحسية)

« لما كنا نجهل أصول الكائنات ومصائرها فلا يجدر بنا أن ننكر وجود شىء سابق عليها أو لاحق لها ، كما لا يجدر بنا ان نثبت ذلك ، فالمذهب الحسى يتحفظ كل التحفظ أمام مسألة وجود العقل الاول لاقراره بجهله المطلق فى هذا الشأن . كما أن العلوم الفرعية التى هى منابع للمذهب الحسى يجب عليها أن تحترس من الحكم على أصول الاشياء ونهاياتها بمعنى أننا ان لم ننكر وجود الحكمة الالهية فلا نتعرض لاثباتها فنحن على الحياد التام بين النفى والاثبات »

هذا قول عمدة الفلسفة الحسية ومنه يرى القارىء أن ليس من وظيفة الفلسفة المادية الحكم على ما لم يصل الى العلم من طريق الحس، فالماديون بنص مذهبهم هذا يجب عليهم أن يبتعدوا عن كل خيال يطوف بالذهن فى الحكم على شىء وجوداً أو عدما حتى لا يقعوا فيما وقع فيه أهل الملل الساطلة من خلق الصور الوهمية

واعتبارها حقائق لا تقبل النقض . وقد عزز ذلك الدكتور (روبينيه) *Robinet* فى كتابه (الفلسفة الحسية) بقوله :

« ان الفلاسفة الحسيين يريدون ان يبعدوا كل خيال او توهم وأن لا يعتمدوا الا على المشاهدة المحسوسة وأن يحذفوا من أقوالهم كل الفروض التى لا يمكن تحقيقها »

هذه أقوال شيوخ الماديين فما بال شذاذ منهم يتطرفون فى الحكم على أصل المادة فيجعلوها ذرات غير قابلة للانقسام مشايعين فى ذلك ضلالات لوسيب وديموكريت، او حلقات زوبعية فى الاتير متبايعين اوهام الاستاذ وليم طمسن

ماهو الاتير ؟ هل أحد رآه ؟ هل وقع تحت احدى الحواس الحس ؟ لا ، وانما هو مادة فرضية فرضت لتعليل وحود المادة وفهم بعض الظواهر الطبيعية . ألا يجوز ألا تكون المادة ذرات غير قابلة للانقسام وان لا يكون الاتير سائلا مالئا للكون وان لا تكون المادة حلقات زوبعية ؟

يجوز كل ذلك

ثم ألا يجوز ان يأتى احد العلماء فى القرن الحادى والعشرين بنظرية تهدم ما تقرر الى اليوم فيرضاها العلماء وينبذوا جميع النظريات المقررة الآن ؟

يجوز كل ذلك وانا لا ننطق عن هوى فهذا رجل من أكبر علماء المادة العلامة وليم كروكس الكيماوى الانجليزى الطائر الصيت قال من خطبة له بالمؤتمر العلمى المنعقد فى برلين سنة (١٩٠٣) ما يأتى

« لقد ظهرت فى القرن التاسع عشر نظريتان على ذرات المادة ، فالكهرباء والاتير وهى نظريتنا الحالية على تركيب المادة يمكن ان تظهر لنا مرضية ولكنها الى اى حال ستؤول يا ترى فى آخر القرن العشرين ؟ ألم تعلمنا الضرورة هذا الدرس وهو ان مباحثنا ليست الا ذات صبغة وقتية »

هذا قول زعيم من زعماء الفلسفة الحسية ممن له اعظم المباحث فى المادة ومكتشف عدة ظواهر من حالاتها ، فما لبعض العلماء يتسرعون فيبنون على الاوهام صروحا من الالحاد ، ولم يكفهم ان يجعلوا ذلك الالحاد حظهم من العلم الناقص بل يميلون لنشره بين الدهماء باسم العلم الطبيعى والعلم منه براء ؟

قال الفيلسوف الفرنسى (اجوست

سباتيية)auguste Sabatier في كتابه (فلسفة الاديان) :

«ان العلماء اول المعترفين في كل فرع من فروع العلم بأنهم لم يدركوا منه الاجزاءاً محدودا ، وان اكثرهم تواضعاً هم اكثرهم علماء على انهم كلهم يعترفون بأن ماحصلوه للآن من الاكتشافات وما درسوه من هذا الجزء اليسير من الطبيعة ليس الاعدما بالنسبة لما يجهلونه (تأمل) فهم مستعدون لتقبيح النواميس التى قرروها وتوسيع الفروض التى فرضوها وضم كل مايشاهدونه من المشاهـدات الصحيحـة الى مالديهم منها

«نعم يوجد بين هـذه المشاهدات مايدهشهم ويشوش افكارهم كما نراه كل يوم ولكنك لو تلاحظ موقف العالم الحق امام هذه الظواهر الجديدة تره لا يشك فى انها تابعة لنواميس مجهولة ولكنها حقيقيـة وموجودة ، وتره لا ييأس من امكان عزوها الى تلك القوانين وزيادة مواد العلم بها . ونجاحه السابق يضمن له نجاحه فى المستقبل ، وتره يتتبع ابحاثه بدون طيش لانه لا يعرف الجبن الأدبى »

نقول هذه هى خطة العلماء الجديرين بهذا الاسم . اما اسرار الكون العالية فانهم يعترفون بالعجز عن ادراك كنهها ويقرون بأنهم ماحصلوا منها الاشيأ لا يصلح ان يذكر ، ثم يجهدون أنفسهم للحصول على زيادة مادتهم ، ولكن فريقا من خوارجهم يبنى على الفروض الوهمية اصولا من الالحاد ثم ينشرها بين الناس كأنها ثمرة من ثمرات العلم الطبيعى وماهى فى حقيقتها الا من بنات الخيال لا تفترق عما ولده واضعو الميتولوجيا فى سالف الازمان

نحن لا ننكر الافتراضات العلمية ولا نقول بأنها ضارة بل نقول ان لها وظيفة مؤقتة فى التعليل ، فنحن لا نأبى ان نقول مع وليم طمسون ان الكون مملوء بسائل الاثير وأن المادة حلقات زوبعية فيه ، ومستعدون لان نقول مع غيره ما يكون اجمع لظواهر المادة من هذه النظرية ، ولكننا لا نرفع الافتراضات الى مقاوم الحقائق العلمية فنستنتج منها مالا تحتمله من الاصول ، والاصل الوهمى المفروض لا ينتج الا نتيجة وهمية فارغة . واعجب كيف يغيب ذلك عن علم اولئك الماديين ؟

قال الاستاذ (ايزليه) مدرس الفلسفة بكلية فرنسا فى مقدمة كتبها

لكتاب ألفه الكاتب المشهور (جول بوا) على ماوراء المادة قال :

« ماهى المادة وما هى الحركة ؟ انا اظن ان هذه المادة ليست الامظهر القوة وان الحركة ليست الا مظهر الفعل . قل ماشئت فالمسألة زادت اشكالا ، فما هى القوة ؟ وماهو الفعل ؟ هما عبارتان معناهما واحد ولم يفترقا الا بالاعتبار فقط . قال غوث : «فى المبدأ كان الفعل» فليكن الأمر كما قال ، ولكن بصرف النظر عن متناقصات (كانت) الفيلسوف على الفضاء والزمان ، ماذا هو هذا الفعل الذى يظهر انه لانهاية لحوادثه ؟ وماذا هو العامل ؟ وماذا هو ذلك الفاعل المستتر الذى لا يظهر أبدا ؟ »

هذه بعض اقوال العلماء وغاية ما نرمى اليه فى هذا الفصل هو ان نثبت للقارئين بأن النظريات التى قررها علماء الطبيعة فى اصل المادة فروض خيالية فرضت لتعليل الظواهر المادية ، وان اقطاب العلم الطبيعى يعترفون بذلك على رؤوس الاشهاد ، ويصرحون بأن هذه النظريات قابلة للتغير بحسب ارتقاء العلوم وزيادة المكتشفات . فكل فلسفة الحادية تبنى على هذه النظريات تعد ساقطة بطبيعتها فليس للمادى ان يؤكد قدم المادة ، أو حدوثها ، وليس له ان يقرر ان للقوة أو الحركة صفة من صفاتها ، كل ذلك خارج عن دائرة سلطان الفلسفة الحسية كما نقلناه هنا من نص كلام اقطابها

فنحن لانعارض سير العلم فى طريق اكتشاف كنه المادة ولكننا نناقض كل مدع بأن العلم قد وصل الى ادراك ذلك الكنه وهذه أقوال العلماء بين أيدينا تشهد بأن العلماء لايزالون فى حيرة من أمرهم فيها

ثم هب أنهم اثبتوا رأى وليم طمسون وهو انها حركة زوبعية فى الاثير أورأى المحدثين من أنها الكترونات دائرة حول واحد منها ، أوأن لاموجود غير القوة فهى تستحيل بالحركة الى مادة وان والمادة تستحيل الى قوة كما ثبت من استحالة الراديوم والهليوم فماذا يفيد هذا الاكتشاف الماديين فى نظرياتهم الالحادية ؟

هل ينفى واحد من هذه الآراء وجوب وجود قوى حكيمة حية مدبرة لهذا الكون ، وهل ينفى وجود روح للانسان خالد بعد هذه الحياة ؟

يقول الماديون نعم ، فانه متى علم ان

المادة مالئة للكون على حالة اتير وانها متأثرة بحركة أزلية لاتنفك عنها اومتى تحقق ان ليس فى الكون الا قوة تستحيل الى مادة صار افتراض وجود الصانع عبثا لعدم الحاجة اليه ، فان كل ما فى الكون من مظاهر الابداع المادى وظواهر الادراك العقلى يمكن تعليله بفعل النواميس الطبيعية

وهذا خطأ فاحش فان هذه النواميس الطبيعية التى يتبجح باكتشافها الماديون ليست الا مظاهر مختلفة للقوة الكلية المؤثرة فى الكون ، وليست هى قوى مختلفة مستقلة بعضها عن بعض . فلا يوجد فى الكون الا ناموس واحد هو الناموس الأكبر ناموس القدرة الخالقة المدبرة وكل ما فى العالم من اصغر ذرة الى اكبر كائن يدل عليها ويشير اليها . فالذى أوجد هذه الزهرة البديعة الشكل مثلا ليست هي نواميس الامتصاص والجذب والدفع والتكاثر مما لا يدرك للجمال معنى ، ولا للابداع سبيلا ، ولكن هو الناموس الاعظم ناموس القدرة الكلية المتسلطة على الكون لانها تعرف ماهية الجمال ، وتعلم السبيل الى الى ايجاده وابلاغه غاياته

لا نقول ذلك جموداً على وراثة ولا تعصبا لدين ولكننا نقول ذلك لانه لا يعقل ان يقوم هذا الكون على ما فيه من ابداع واحكام بغير فرض وجود قوة عقلية أقامت وجوده وأفاضت من نورها عليه

نقول هذا ويشاركنا فيه أولو العلم الصحيح من زعماء علماء الطبيعة انفسهم ، هم العلماء المشتغلون بالاكتشافات والتجارب ، العاملون فى البحث والتنقيب

قال العلامة (داروِن) صاحب مذهب النشوء والارتقاء عند كلامه على نشوء العين وتدرجها فى الكمال :

«يجب التسليم بأنه توجد قوة مدبرة مظهرها الانتخاب الطبيعى تراقب دائما ما يحدث من العوارض على الطبقات الشفافة للعين لاجل ان تنتخب بعناية من تلك العوارض ما يستطيع فى أحوال مختلفة وبنوع ما ودرجة ما أن يميل لاحداث صورة اكثر وضوحا »

من هنا يعلم القارىء أن دراون يرى انه يجب التسليم بوجود قوة إلهية عاقلة ليستطاع تعليل انتخاب الطبيعة للصالح فى تحويل الكائنات . فمذهب دراون فضلا عن انه لا ينفى العقيدة بوجود الخالق فهو يوجبها ايجابا فكأنها جزء من مذهبه فما

قيمة جعجعه الماديين ماراء هذا الاعتراف الصريح من دارون، وبأى خيال استعاصوا عن هذه الحقيقة ؟

هل فى تسلسل الكائنات من خلية بسيطة الى الانسان مع ماستوجبه ذلك من التحولات العجيبة ، وما اقتصاه من الاطوار الغريبة ، وما استدعاه من كبر العلم وواسع النظر وشامل العناية ، هل فى ذلك كله مايزرى بقدرة الخالق فيظهر الكون مستغنياً بنفسه عن الحكمة ؟

لا يقول علماء الكون من أنصار دارون بذلك بل قالوا بضده :

قال العلامة الفزيولوجى جوفروا سانتيلير فى كتابه (اصول الفلسفة الزولوجية) «ان تسلسل الانواع مظهر من أفخم المظاهر للقوة الخالقة وسبب لزيادة الاعجاب بها وشكرها وحبها »

وأحسن ماقيل فى هذا الباب ماكتبه العلامة الكبير (كاميل فلامريون) الفرنسى فى كتابه الله فى الطبيعة قال فى صفحة ٤٣٥

«اذا أعلنا ان جميع أنواع النباتات والحيوانات لم تخلق خلقا مستقلا على شكل مقدر لكل منها ، بل ان هذا النوع كله نتيجة قوة متحدة بالمادة ، فهل يمنعنا ذلك من الاعتقاد بوجود عقل خالق وبظهور الغرض والقصد فى الخليقة ؟ ألسنا نكون متعمدين عدم التدبر بعين البصيرة اذا رفضنا اعتبار هذه القوة الملازمة للمادة نتيجة عقل مدبر ؟ ألسنا نكون عميا اذا جحدنا الاعتراف بهذه الدلائل الناطقة بوجود سبب قادر أزلى فى الكون ؟

«ان الزعم بأن الخليقة تتكون بذاتها وتترقى بطبيعتها بقيامها على اتجاه ثابت نحو نتائج متدرجة فى الكمال يعتبر كنصف اعتراف بأن هذه الطبيعة مقودة نحو الكمال بسبب عاقل . كيف يعقل ان الطبيعة الميتة تفكر فى ان تترتب على التعاقب فى شكل نباتى ثم حيوانى ثم انسانى ، وان تكوّن هذه الاعضاء التى تؤلف الكائن الحى وتكون كفؤا لحفظ الحياة فى خلال القرون ، وأن تبنى هذه الاجهزة التى بها الكائن الحى يكون فى اتصال مستمر بالاشياء المغايرة له ؟ بأى اتفاق مدهش تكونت هذه الاعضاء رويدا رويدا لاجل توصيل المؤثرات الخارجية الى الجسم ثم ارتبطت هذه الاعضاء بالمخ المدرك الذى

هو وحده يحكم ويهيم ؟ وكيف اتفق ان تكون هـذه الاعصاء على اكمل مايكون من البناء والتركيب ؟ وكيف حدث ان اكثر الاجهزة كلت ولم تأت عديمة الجدوى او فاسـدة الصنعة ؟ وكيف تستديم الاجسام الحيـة أنواعها بالتوالد حافظة لكل صفاتها ؟ ولماذا كانت الخليقة مؤلفة من أجناس وأنواع وفصائل ؟ ولماذا يستطيع العقل الانسانى ان يرتب هذه الكائنات فى مجموعها ترتيبا مؤسسا ويجد فيه نظاما عاما ؟ ولماذا لم تكن الطبيعـة مجموعا من الكائنات المشوهة ؟

« انهم يجيبـونك على كل هـذه الاسئـلة بقولهم العـلة فى ذلك ناموس الانتخاب الطبيعي . فتراهم يفسرون جميع المسائل بتكرار قولهم ان الطبيعة مدفوعة الى الترقى المستمر ، وانها تدع الخبيث وتأخذ الطيب وتميل دائما الآن توجد الصور الكاملة

« نعم ولكن هذا الميل للامام وهذا الترقى الطبيعى وهـذه الحاجة الى الكمال ماهو ان لم يكن عمل قوة عامة تقود العالم نحو غاية عالية ؟ وماهو هذا التدرج من جميع الكائنات نحو التـكمل ان لم يكن مظهراً واضحاً لعامل يعلم أين يوجه سفينة الكون وكيف يقودها . عامـل لم تستطع المادة الخاضعـة له ان تقيم أمامه أقل العثرات ؟ »

وقال أيضا فى صفحة ٤٤٦

« ان فوق كل هذه الاستحـالات الممكنة للكائنات ناموساً لايتحول يقود ترقى الطبيعة منـذ بدء تكوّن الانواع الاوليـة العريقة فى السذاجة من لدن العصور الأولى لوجود الارض على ماحققتاه الجيولوجيا والباليونتولوجيا (علما طبقات الارض والحفريات) . هذا الناموس هو ناموس الترقى الواضح الذى لاينكر أثره فى سلسلة الانواع المتعـاقبـة من أول الحيوانات الرخوة الى الانسان . كيف يمكن أن ينكر هذا الناموس انه مقود بعقل أليس يمثل غرضاً ومقصداً وقانوناً مفروضاً على الطبيعة برمتها ؟ نحن نربأ بكل عالم الطبقات الارض والأحافير وبكل طبيعى ان ينكر هذا القانون

«ان العقل الخالق المدبر الذى نسميه (الله) هو اذن القانون الأولى الأبدى والقوى الصميمة العامة المؤلفة للوحدة الحية للعالم» انتهى

نقول هذا مايدحض به أكابر العلماء تهوسات الماديين فى نفى العقل الخالق ولو شئنا لملأنا مجلدات من مثل هذه الاقوال الحكيمة

ويحسن منا أن نتوج هذا المقال بكلمة ثمينة كتبها العلامة الفرنسى لوجيلى فى كتابه (العلم والفلسفة) قال :

«العلم يستسلم أحياناً لشكوك وانكارات تزعجنا ، ولكن للعلم مساتير لايسبر لها غور فهو يكتفى بالالفاظ كلما لم يجد سبيلا للنفوذ الى سرائر الظواهر المحسوسة . تكثر الكيمياء من ذكر الالفة أليست هذه الالفة قوة فرضية وإنية غير مدركة بالحواس كالحياة والروح الكيمياء ترجع الى الفزيولوجيا فكرة الحياة وتأبى عليها أن تشتغل بها ولكن الفكرة التى تحوم حولها الكيمياء هل فيها ظل من الحقيقة ؟ هذه الفكرة هى غالباً لاتدرك ليس فقط فى أصلها ولكن فى نتائجها أيضا. فهل يمكن للانسان ان يتأمل برهة مثلا فى القوانين المسماة بقوانين برتلو بدون أن يدرك بأنه حيال سر لايسبر غوره ؟ واذا اعتبرنا ظاهرة بسيطة من ظواهر الاتحاد الكيماوى ورأينا هذا الميل الذى يدفع بعض الذرات الى بعض فتتباحث ثم تتضام بعد تخلصها من المركبات التى كانت تحويها أليس فى هذا مايحير العقل؟ كلما أنعم الانسان فى درس العلوم من وجهتها المعنوية زاد اعتقاداً بأن ليس فى العلم مايمنع من اتفاقه مع أبعد الفلسفات العتيقة مرمى. العلوم تحلل العلاقات وتأخذ القياسات وتكتشف النواميس التى تنظم عالم الظواهر ولكن لايوجد ظاهرة واحدة مهما كانت تافهة لاتضعها العلوم حيال أمرين ليس للاسلوب التجريبى عليهما من سبيل (أولهما) أصل المادة التى تغيرت بواسطة تلك الظاهرة الطبيعية ، (وثانيهما) القوة التى استدعت هذه التغيرات فيها

« نحن لانعلم ولا نرى الا الظواهر والقشور أما الحقيقة والعلة فتأبيان أن تنكشفا لنا . وأنه ليحق لفلسفة عالية أن تعتبر كل القوى الخاصة التى أفاعيلها قد تحللت بالعلوم المختلفة صادرة من قوة أولية أبدية واجبة الوجود مصدر كل حركة ومركز كل عمل. اذا وجهنا أنفسنا هذه الوجهة تظهر لنا الحوادث الطبيعية والكائنات ذاتها صورا متغيرة لفكرة إلهية» انتهى

(الشبهات الكبرى للماديين) لانرى

بدأ من ان نورد فى هذا الفصل الشبهات الكبرى التى سولت للماديين القول بنفى الخالق

(١) الشبهة الاولى نفى القصد أى أن الكائنات وُجدت وتنوعت بدون قصد من قوة مبدعة

من الشبه التى يتبجح الماديون بأنها من أكبر الشبه على وجود الخالق هو زعمهم أن الكائنات الطبيعية فى أدوار تكونها تدل على انها حصلت لا عن قصد، ولكن اتفاقا . وهم يتذرعون بذلك الى نفى كل قدرة خالقة وكل عقل مدرك فى الكون ، وهى شبهة يشهد الوجود بجملته وتفصيله، بل وتنطق كل ذرة فيه ، بأنها من الشبه البعيدة القرار فى الانحطاط ، ولو كان الماديون ممن يتثبتون او يحكمون الروية لما تأدوا الى هذا الدرك الاسفل من الاحكام الجائرة

يقول عمدة الملحدين ، وشيخ شيوخ الماديين بوخنر فى كتابه (المادة والقوة) ما نصه :

« كل الاجرام السماوية كبيرة أو صغيرة تخضع صاغرة بغير استثناء ولا انحراف الى الناموس الملازم لكل مادة ولكل جزء من مادة كما تدلنا عليه التجربة من آن لآخر . وان جميع حركاتها تبدو لنا وتحدد أمامنا وتنشأ عن حدوثها بضبط رياضى لا يتطرق اليه الخلل » انتهى كلامه

فياليت شعرى اذا كانت الاجرام السماوية وهى على ما تعلم من العظم والجلالة تتحرك فى مداراتها خاضعة صاغرة لناموس مقرر وملازم لأصغر ذرات المادة فهل بعد هذا دليل كل وجود القصد ؟ ألا يقال هنا لماذا كان الناموس المدبر المنظم ملازما للمادة لا يفارقها ، هل قرره الاتفاق المحض والعدم الصرف ، أم قضى على الكون بالنظام من الاول؟ من قضى بذلك ولماذا لم يكن مكانه الخبط والفوضى والاختلال ؟ لماذا تقولون ان هذا الناموس المدبر الملازم للمادة موجود بلا قصد ولا تقولون أنه أثر قدرة عالية وتدبير حكيم ؛ اذا كانت بداهة العقل تشعر بأن النظام لا يصدر من العدم والضبط لا ينشأ الامن ضابط فلماذا تنسبون الناموس المنظم الملازم للمادة الى الجهل ولا تنسبونه الى عقل مدبر ؟

كل هذه مسائل لو ألقيتها عليهم انغضوا رؤسهم ورفعوا اكتافهم وقطبوا

وحوهم وتركوك وشأنك وهم لايحيرون جواباء ولكنهم يظلون على ماهم عليه جاحدين ولو جئتهم بكل آية ما زادتهم الارسوخا فيا هم فيه كأنه حال لا يستطيعون عنه حِوَلا

وقد كنا نرجو أن نمر على هذه الشبهة مر الكرام على لغو الكلام، ولكننا نريد أن نقتفى أثرهم فى كل مجال جالوا فيه لتأييدها فى نظر المستضعفين من طلبة العلم الطبيعى لنرى بالدليل الحسى أن هؤلاء الماديين لا يتكلمون باسم العلم ولكن باسم الاهواء النفسية . وانهم بمذهبهم هذا لا يخدمون النوع البشرى ولكنهم يهلكونه ويهلكون أنفسهم وهم لا يشعرون

قال الدكتور شبلى شميل وهو من زعماء المذهب المادى فى الشرق فى كتابه مذهب النشوء والارتقاء صفحة ٢٤٤

« أما الداعه (يريد مجادلا له) الى الغاية والقصد فمنقوض بما فى الحيوانات والنباتات من الاعضاء الزائدة التى يسمونها أثرية والتى لا فائدة لها وفيا يسمونه حكم الضرورة فمثال الاعضاء التى لا فائدة لها الاسنان القواطع فى أجنة كثير من الحيوانات المجترة فهذه تكون فى سمك عظم بين الفكين ولا تبرز أبدا ولذلك لا فائدة لها فما الغاية من وجودها . والانسان فى غنى عن تحريك أذنيه فما الفائدة من العضلات المرتبطة بهما وربما اكتسب الانسان بالمزاولة والتمرين القدرة على تحريكهما ؟ وأما فائدتهما فظاهرة فى بعض الحيوان . ومن هذا القبيل أيضا العيون الاثرية التى لا تبصر فى بعض الحيوانات التى تقطن الكهوف أو تقيم تحت الارض وفى أكثر ذوات الفقار يوجد زوجان من الاطراف زوج أمامى وزوج خلفى ويكون أحد هذين الزوجين ضامراً غالبا وفى النادر يكون الاثنان ضامرين كما فى الحيات . على أن بعض الافاعى (كالبوايتون) له زائدتان عظميتان فى القسم الخلفى لا فائدة لهما وانما هما أثران لطرفين كانا موجودين فى أجداده. وأمثلة ذلك كثيرة جداً فى الحيوان والنبات كما لا يخفى على علماء هذين الفنين وفى هذا القدر كفاية لغرضنا . فلو كانت الغاية موجودة لما وجب أن يكون فى هذه الكائنات شىء لا فائدة له وربما كان مضراً أيضا . وكم حار علماء طبائع الحيوان

والنبات بهذه الاعضاء الأثرية قبل دارون وذهبوا فيها مذاهب شتى حتى ظهر مذهب دارون فقطعت جهيزة قول كل خطيب لان كل عضو لازم نما بالاستعمال، فعرف ان الاعضاء الأثرية كانت نامية فى أجداد كانت لازمة فيها وضمرت حيث لم يبق لها لزوم وفى البعض زالت بالكلية فلا دخل للغاية وانما الدخل للضرورة .وما نراه من النظام فهو كذلك ضرورى لامقصود لان التغير الحاصل فى جزء من أجزاء هذا العالم يتبعه تغير فى سائر الاجزاء على حكم الضرورة كنتيجة لسبب فاذا كانت العوالم موجودة على النظام الذى نراها فيه فلانها هى من الارتباط بعضها مع بعض بحيث لا يمكن ان تكون على خلاف ذلك . فلو تغير نظام أحدها لوجب أن يكون التغير شاملا لعموم النظام ولذلك لم يكن الكون بعضه بالنسبة الى بعض ولا هو كائن ولن يكون الا منتظما وان اختلف فى الازمنة الثلاثة لارتباطه بعضه ببعض وجريه على سنن شاملة لجميعه. وكذلك يقال فى الارتقاء فان العالم لا يسير الا متقدما لضرورة تغلب الانسب فى منازعة هذا الوجود كما هو مقرر فى مذهب دارون » انتهى كلام الدكتور شميل

***

نقول اننا لاجل دحض هذه الشبهة نعمد أولا الى النظر فى مجموع الكون ثم نتنزل منه الى كائناته لان الحكم على المجموع بالنظر الى بعض جزئياته يفضى الى ضلال بعيد وخطأ عظيم

فهل مجرد النظر الى الكون جملة يشعرنا بأنه وجد بالضرورة بلا قصد ؟ اللهم لا

ان هذه الكواكب السابحة فى الفضاء على مدارات منتظمة تشعر بتجاذبها المتبادل وجريها الى غاياتها ، وانتهائها الى نهاياتها ، بأنها مقودة بنظام دقيق ، ينبيء عن قصد حكيم وتدبير سديد .أريد به قيامها على هذا الترتيب البديع لانتاج أغراض بعيدة من عمارية الكون وتحليته بكل الابداعات الممكنة

ان قال الماديون ان هذا النظام لا يدل على قصد وانما هى الضرورة التى تقيمه على هذا النمط وتعليلهم ذلك بأن التغير الذى يحصل فى جزء من أجزاء هذا العالم يتبعه تغير فى سائر الاجزاء على حكم الضرورة كنتيجة لسبب الخ ، ان قال

المادیون هذا أجبناهم بأن كلامنا فى مبدأ هذا النظام لا فى أطواره ، فلماذا كان الكون فى مبدأه منتظما حتى اقتضى الحال أن يجر كل تغير فى جزء من أجزائه الى تغير فى مجموعه على حكم الضرورة ؟ ولم لم يكن فى مبدأه خبطا وخلطا وفوضى مستحكمة حتى يؤدى كل تغيير فى جزء من أجزائه الى اضطرابات لا تتناهى وارتباكات لا تقف عند حد ؟

يقولون الكون منتظم بحكم الضرورة وهى كلمة فارغة ، فما هى هذه الضرورة القاضية بالنظام ، المنزهة عن الخلط والفوضى؟

الضرورة ان لم تكن كلمة فارغة فهى حالة عمياء صماء بكماء ، فلماذا تتجه دائما الى الوجهة المنتجة للابداع ، المثمرة للعمران ، ولا تتجه الى خطة خسف ، ووجهة عسف ، فتنتج الدمار والفناء ، وتثمر الانحلال والتلاشى؟

خل الكون جانبا وهلم ننظر الى بعض عوالمه وهى الكرة الارضية ، فهل لا يرى الرائى ، اذا ألقى عليها نظرة تأملية؟ بأن آثار القصد بادية على كلياتها وجزئياتها ؟

ألا ترى أولا انها بما متعت به من عوامل الحياة ووسائل العيش ، قد أعدت بقصد لان تكون مأهولة بالنباتات والحيوانات والانسان ؟

ثم ألا ترى انها بما أودعت من المرافق والقوى المختلفة قد أهلت لان تكون مجالا للمبدعات التكوينية والترقيات الانسانية ؟

دع الكون فى جملته وتأمل عالم النباتات وقل لى ألا ترى معى ان آثار القصد ظاهرة فيها ظهور الشمس فى رائعة النهار ، أنظر الى أعضاء شجرة وسرح فكرك فى أجزائها المختلفة من أول جذورها الضاربة فى بطن الارض الى قمم أعضائها المشرأبة الى عنان السماء ، وأجل الروية فيما أودعته أوراقها من الاعصاب الدقيقة والخزانات التنفسية والمادة الخضراء ، وما متعت به تلك الاوراق من الخواص لامتصاص الغازات المختلفة من الجو ثم اعادة بعضها اليه بعد تحويله الى مركبات جديدة . وما حليت به أزهارها من الألوان البديعة والروائح الشذية والهيئات الجميلة ، وما وضع فى باطنها من أعضاء الذكورة والانوثة ، وما هديت اليه تلك الاعضاء

من التقارب فى حين التلقيح لأداء تلك الوظيفة ، ثم انتقل من ذلك الى الثمرة وتأمل فى هيئة غلافها ولونها وطعمها ورائحتها وبذورها وما أودعته من الاجنة لانتاج شجرة مماثلة للتى خرجت منها وما أحيط ذلك الجنين به من المواد الحافظة لحيويته الخ الخ تأمل فى ذلك كله ثم قل لى ألا ترى فيه آثارا للقصد ، ودلائل للارادة ؟

دع عالم النباتات فى تنوعه واختلافه الذى لاينتهى الى حد ، ثم تأمل فى عالم الحيوانات وما متعت به من أسلحة الكفاح ووسائط التكاثر ، وما ألهمته من الحيل والاساليب للذياد عن حياتها وحياة صغارها ؛ وما أحيطت به من الوبر لاتقاء أفاعيل الجو عليها ثم قل لى ألا ترى فى ذلك كله آثاراً للقصد ودلائل للارادة والاختيار ؟

يقول الماديون كل ذلك أوجدته العوامل الوجودية والفواعل الطبيعية ، وكل ما تراه فيها من آثار الالهام كالحيل الحافظة لوجودها والاعضاء الواقية لها ، فانما هو من آثار الضرورة الطبيعية والحاجة الفطرية . فالحيوانات فى البلاد الحارة توجد بلا وبر او بوبر خفيف ولكن التى توجد فى البلاد الباردة تُحلى بوبر وتلهم امورا كثيرة لحفظ وجودها ؟ وليس ذلك لان خالقها قصد ذلك بها ولكن لان الضرورة تقضى ان تكون على تلك الحال والا تلاشت

نقول ليت شعرى ما هى تلك الضرورة التى تهب لكل محتاج حاجته وتلهم كل حى بما به حياته وبقاؤه ؟ أهى عاقلة مدركة ام عمياء بكماء صماء ؟ أهى كلمة فارغة ام الهة مدركة تقصد عمارية الكون وبقاءه ؟

ان كان كل هذا لا يدل على القصد ولا يشعر بارادة عاملة فى الكون بل هى مجرد الضرورة والحاجة فهل الضرورة هى التى أرادت بقاء الانواع فخلقت الذكر والانثى وجعلت فى كل جنس ميلا فطريا الى الآخر ، وخلقت أحدها حاملا للجراثيم المنتجة والآخر وعاء لها يحملها فى أحشائه ويغذوها بدمه حتى تستوفى حياتها الجنينية ثم أعدت لها أثداء تمدها بالغذاء الخالص حتى تشب وتترعرع ، وأودعت صدرى الابوين من الحنان والرحمة ما يضطرهما الى تربية صغارها واعدادها للحياة ؟

هل الضرورة هى التى ادركت ان دوام النوع لايكون الابايجاد انثى بجانب الذكر تشابهه فى التركيب الظاهرى وتخالفه فى التركيب الباطنى فأعدت لكل منهما الاعضاء اللازمة للتوليد ثم ادركت ان تقاربهما لايمكن ان يكون بمجرد عاطفة حفظ النوع ، بل لابد لذلك من ايجاد وسيلة تجعل اتصالهما امرا محتما عليهما ، فخلقت لكل منهما لذة فى ذلك الاتصال ليكون واقعا لامحالة مهما اعترضها من العوائق ، فأخذ كل منهما ينجذب الى الآخر طلباً لتلك اللذة وتوفية لتلك الحاجة ليتم التلقيح وان لم يريداه ولم يسعيا اليه ؟

اللهم ان آثار القصد فى هذا الامر من أظهر مايكون فان كانت الضرورة هى التى فعلت ذلك فهى ضرورة عاقلة مدبرة حكيمة مريدة لبقاء الانواع تستحق أن تعبد وأن يتأمل فى آثار رحمتها وسعة سلطانها . ويتعجب من شمول علمها واحاطة قدرتها

الضرورة .... ما احقر هذه الكلمة بجانب هذا الابداع العظيم وحيال هذه المشاهد الطبيعية التى لاتحد

الضرورة ... ما أضيق مدلول هذه الكلمة عن تفسير عجائب هذا الخلق ، وتعليل قيام هذا الوجود المحير لاقوى المدارك !

واذا كانت الضرورة اعجز من أن تعلل ظاهرة واحدة من هذه الظواهر التى لاتحصى فان القائلين بها يستحقون لرحمة لا الرد ، وشبهتهم تستحق السخرية لا الحل

(٢) الشبهة الثانية الماديون ينكرون الالهام فى الحيوانات

للماديين انكارات للمحسوسات تعتبر من المدهشات وتظهرهم بمظهر المستحق للسخرية . من ذلك انكارهم للالهام الحيوانى وعزوهم جميع الحيل التى تستخدمها الحيوانات لحفظ وجودها والبحث عن غذائها الى الضرورة العمياء هروبا من القول بالقصد ، فنريد فى هذا الفصل ان نأتى على امثلة من علم الحيوانات فى الالهام الحيوانى ليرى القارىء آثار القصد بادية فيه تشهد بالقصد الالهى والعناية الربانية

دع مايبتنيه النحل من الخلايا المسدسة الاشكال ، ومايقيمه كلب البحر من السدود على الانهار ، مما تقدر قيمته

بألوف الفرنكات، وما يأتيه النمل من المدهشات فى اقامة مساكنه، وماتفعله الطيور من العجائب فى حصانة البيض والرغاليل والقيام بحاجاتها من مأكل ودفء ثم تدريبها على الطيران الخ الخ مما لاتسمه المجلدات. دع كل هذا واتل ماأقصه عليك من المشاهدات التى اطلع عليها العلماء بمراقبة الحشرات. ولكنى قبل ذلك أريد أن أذكر لك مذهب الماديين فى الالهام الحيوانى:

يقول الماديون ان الالهام الحيوانى عادة موروثة فان النحل مثلا اهتدى بعد محاولات كثيرة الى أن حفظ حياته يرتبط ببناء خلاياه على نسق معين فأدمن عليه فصار عادة له فأورثها صغاره. ولكن أثبت غير الماديين من علماء الحيوانات ان هذا الزعم باطل فأخذوا حيوانات كالنحل وكلب البحر وهى صغيرة جداً وربوها حتى كبرت وهى لم تر ما يفعله آباؤها ثم تركوها فعملت نفس أعمالهم من بناء مساكن واقامة جسور بحيث لم يوجد أدنى فارق بين العملين فكيف تعلل هذه المشاهدة بغير الالهام الذى أودعه فيها الخالق؟

ان كان ذلك عادة موروثة فلم لم يرث الانسان عادة آبائه فى البناء والنحت وهم قد اعتادوها منذ ألوف مؤلفة من السنين وأنت ترى انك لو ربيت أحد أفراده بمعزل عن الناس لنشأ جاهلا لايكاد يميز بين الخير والشر؟ فاما أن يقول الماديون بأن الحيوان أرقى عقلا من الانسان وأما ان يقولوا بأن صنائع الحيوانات من الالهام الالهى

نرجع الى ذكر مشاهدات العلماء فى عجائب حياة الحيوانات المثبتة للالهام الالهى

منها ان الفراش متى وصل الى الطور الثالث من حياته يضع بيضه على هيئة دوائر على الاوراق الخضراء وهذا البيض لايفقس الا فى الفصل الثانى فيخرج على هيئة ديدان صغيرة فى الوقت الذى تكون فيه أمّاته (أمهاته) فى عداد الاموات أى انها لاتراه، فمن الذى علم الفراش ان صغاره متى خرجت احتاجت الى التغذى بجنى النباتات الخضراء؟ ومن الذى هداه الى وضع بيضه على تلك النباتات. هل هداه آباؤه. لا، انه لم يرهم فى حياته. فلم يبق الا الالهام الالهى

ومن تلك المشاهدات ان الحشرات

المسماة (بيكروفور) يموت بعد أن تبيض مباشرة أى انها لاترى لها ذرية أبداً (تأمل) وليس فرد من أفرادها رأى له أما أو ولداً . ولكن من العجيب ان هذه الحيوانات قبل أن تبيض تُعنى غاية العناية بجمع جثث حيوانية تضعها بجانب البيض لتصلح غذاء لصغارها متى خرجت . ففى أى كتاب قرأت هذه الحيوانات أن بيضها يحتوى على صغار وان تلك الصغار ستخرج وهى فى حاجة الى الغذاء وان ماتحتاجه تلك الصغار هو تلك الجثث الحيوانية ؟ ألا يدل هذا على الالهام الالهى من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد

ومن أعجب المشاهدات من هذا القبيل ان الحيوانات المسماة (يومبيل) من أكلة الحشائش ولكن صغارها تولد من أكلة الحيوانات فترى الامات تعمد الى وضع بيوتها على أجساد الحيوانات حتى اذا خرجت صغارها وجدت ماتغتذى به فمن الذى أدراها أن أولادها من أكالة الحيوانات .

ومن المدهشات فى هذا الباب الحيوانات المسماه (أوديتير) و(سفكس) فان صغارها متى ولدت احتاجت لأن تغتذى بأجساد حيوانات حية فترى أماتها متى باضت تعمد الى اصطياد حيوانات لاتقتلها ولكن تضربها حيث تمنعها الحركة وتركها بعضها على بعض على تلك الحالة من العجز فاذا خرج صغارها وجدت أمامها لغذائها حيوانات حية وان كانت لاتستطيع الحركة

ومن المحيرات للفكر من أمر الهام الحيوانات ماتكلم الاستاذ ميلن ادوارد عنه في جامعة (السربون) من فرنسا وهو الحيوان المسمى (اكيلوكوب) فقد قال إن هذه الحيوانات التى تراها طائرة فى الربيع تعيش منفردة وتموت بعد أن تبيض مباشرة ، فلم ير صغارها أماتها ولاتعيش حتى ترى أولادها التى تكون على حالة ديدان لاأجل لها ، ولا تستطيع حماية نفسها من أية عادية ولا الحصول على غذائها ، ومع ذلك فحياتها تقتضى أن تعيش مدة سنة من الزمان فى مسكن مقفل وهدوء تام والا هلكت

فترى الأم متى حان وقت بيضها تعمد الى قطعة من الخشب فتحفر فيها سردابا طويلا فاذا أعتمه على ماينبغى أخذت فى جلب ذخيرة تكفى صغارها

سنة وتلك الذخيرة هي طلع الازهار وبعض الاوراق السكرية فتحشوها في قاع السرداب ثم تضع بيضة وتأتي بنشارة الخشب فتكون منها عجينة تجعلها سقفاً على تلك البيضة ثم تأتي بذخيرة جديدة تضعها فوق ذلك السقف ثم تضع بيضة أخرى وهكذا فتبني بيتها مكونا من جملة أدوار ثم تترك الكل وتموت

قال العلامة ميلين ادوارد عقب هذه المشاهدة :

«يجب ان يدهش الانسان لما يرى حيال هذه المشاهدات الناطقة المتكررة رجالا يدعون لك ان كل هذه العجائب الكونية ليست الا نتائج الاتفاق (الصدفة) او بعبارة اخرى نتائج الخواص العامة للمادة واثر لتلك الطبيعة التي تكون مادة الخشب ومادة الاحجار ، وان إلهامات النمل مثل اسمى مدركات القوة المدركة الانسانية ليست الا نتيجة عمل القوى الطبيعية أو الكيماوية التي بها يتم تجمد الماء واحتراق الفحم وسقوط الاجسام . ان هذه الفروض الباطلة بل هذه الاضاليل العقلية التي يسترونها باسم العلم الحسي قد دحضها العلم الصحيح دحضا فان الطبيعي لا يستطيع أن يعتقدها أبداً . واذا أطل الانسان على وكر من أوكار بعض الحشرات الصعيفة يسمع بغاية الجلاء والوضوح صوت العناية الالهية ترشد مخلوقاتها الى أصول أعمالها اليومية» انتهى كلام العلامة ميلين إدوار

بقي علينا أن نبدي رأينا في أصل هذه الشبهة وهي الاعضاء الزائدة في الحيوانات ودحض استدلال الماديين من ذلك على نفي القصد

(٣) الشبهة التالتة شبهة الاعضاء الزائدة

لا بأس من اعادة تلك الشبهة منقولة من كتاب النشوء والارتقاء للدكتور (شبلي شميل) قال :

أما المانعه (يريد مجادلا له) الى الغاية والقصد فمنقوض بما في الحيوانات والنباتات من الاعضاء الاثرية ، التي لا فائدة لها وفيما يسمونه حكم الضروره. فمثال الاعضاء التي لا فائدة لها الاسنان القواطع في أجنة كثير من الحيوانات المجترة فهذه تكون في سمك عظم ما بين الفكين ولا تبرز أبداً ولذلك لا فائدة لها فما الغاية من وجودها والانسان في غنى

عن تحريك أذنيه فما الفائدة من العضلات المرتبطة بهما وربما اكتسب الانسان بالمراولة والتمرين القدرة على تحريكهما ؟ وأما فائدتهما فظاهرة فى بعض الحيوان . ومن هذا القبيل أيضا العيون الاثرية التى لا تبصر فى بعض الحيوان والتى تقطن الكهوف أو تقيم تحت الارض . وفى أكثر ذوات الفقار يوجد زوجان من الاطراف زوج امامى وزوج خلفى ويكون أحد هذين الزوجين ضامرا غالبا وفى النادر يكون الاثنان ضامرين كما فى الحيات على ان لبعض الافاعى (كالبرابيتون) زائدتان عظميتان فى القسم الخلفى لا فائدة لهما وانما هما اثران لطرفين كانا موجودين فى اجداده وأمثلة ذلك كثيرة جدا فى الحيوان والنبات كما لا يخفى على علماء هذين الفنين وفى هذا القدر كفاية لغرضنا . فلو كانت الغاية موجودة لما وجب أن يكون فى هذه الكائنات شىء لا فائدة له وربما كان مضرا أيضاً وكم حار علماء طبائع الحيوان والنبات بهذه الاعضاء الاثرية قبل دارون وذهبوا فيها مذاهب شتى حتى ظهر مذهب دارون فقطعت جهيزة قول كل خطيب لأن كل عضو لازم نما بالاستعمال فعرف ان الاعضاء الاثرية التى كانت اعضاء نامية فى اجداده كانت لازمة فيها وضمرت حيث لم يبق لها لزوم وفى البعض زالت بالكلية فلا دخل للغاية وانما الدخل للضرورة الخ »

هذا نص الشبهة التى ادت بالمادية الى نكران القصد من الكون واعتقاد انه نشأ نشوءاً ضروريا

ملاحظة تمهيدية

اما نحن فنلفت نظر القارىء اولا الى أمر جدير بالنظر وهو أن مذهب دارون الذى يتحكك فيه الماديون كثيرا ليس هو السبب فى ايجادهم فانهم موجودون منذ ألوف من السنين حين لم يكن علم الطبيعة الا أشبه بالاقاصيص الخرافية . ونزيد على هذا بأن دارون نفسه لم يكن ماديا ، وقد أثبتنا من قوله انه كان بعد التسليم بوجود قوة مدبرة ركناً أصلياً من أركان مذهبه . فقد قال ان الانواع ترجع الى أصل أو عدة أصول أوجدها الخالق

وقد ورد فى كتبه الخاصة ورسائله التى كان يناقش فيها خصومه أو مؤيديه ان مذهبه لا ينقض الدين بل يؤيده . فان ايجاد الخالق لأصل واحد أو لعدة أصول

تنتج منها كل هذه الانواع من طريق التطور والتحول أدعى لاثبات قدرة الخالق من مذهب الخلق المستقل

فدارون لم يؤده مذهبه الذى يتحكك فيه الماديون الى الالحاد بل أداه الى جعل وجود قوة عاقلة من المسلمات الضرورية لبناء مذهبه

ومثل دارون الاساتذة الانجليز الكبار هكسلى وهربرت سبنسر واللورد ايفبرى (جون لبوك) والفرد روسل ولاس وهم أكبر معضدى دارون فقد كانوا كلهم مؤمنين بالله ولهم فى وجوده كلام جليل فمذهب دارون ليس علة فى الحاد الملحدين بل هو بنص واضعه محتاج لان يكمل بالتسليم بوجود قوة عاقلة خلقت الخلية أو الخلايا الاولى

وهذا الاستاذ الكبير هايكل الالمانى الذى له الفضل الكبير فى نشر مذهب دارون فى المانيا كان من المؤمنين بالله على مذهب الصوفية المسلمين القائلين بوحدة الوجود

قال الاستاذ هايكل فى كتابه (أسرار الوجود) فى صحيفة ٣٣٠:

« مذهب وحدة الوجود مؤداه أن الله والعالم شىء واحد وذات واحدة ، فتتوحد فكرة وجود الله مع الطبيعة أو الهيولى . فالله وهو الذات المتصلة بالعالم هو بطبيعة ذاته يعمل فى الهيولى كقوة. هذا هو الرأى الوحيد الذى يمكن أن يوافق القانون الطبيعى الاعلى وهو ناموس الهيولى . فمذهب وحدة الوجود هو بالضرورة وجهة العلوم الطبيعية الحاضرة» انتهى

هذه الملاحظة يجب أن يضعها كل قارىء نصب عينيه ليضرب بها وجه كل متبجح بمذهب دارون وزاعم انه ينقض ايمان المؤمنين ، ويزعزع أركان الدين

(عود لموضوعنا الاصلى)

اعتاد الدينيون أن يعتبروا مذهب دارون هادماً للاديان . مقوضاً لاركان الايمان وقد علم خصومهم منهم هذه الجهة الضعيفة فأخذوا يزعجونهم فى كل مناسبة بذكر مذهب النشوء والارتقاء موهميهم بذلك أن هذ المذهب قضى على كل اعتقاد والحقيقة ان واضعه جعل التسليم بوجود قوة مدبرة أساساً لظهور جميع الموجودات

ولكن اذ كان عامة الدينيين يرون

فى مـذهب النشوء والارتقاء خطراً على عقائدهم فلا يجور أن يقـلدهم المسلمون فى ذلك فان دينهم دين العلم والنظر وقد نص لهم على وجوب تأويل النص الديني لينطبق على العقل . وقد قلنا فى غيرهذا المكان أنه اذا اتفق وثبت مذهب دراون ثبوتاً لاتردد فيه قابل المسلمون ثبوته بكل سكون وأولوا جميع النصوص الواردة فى الدلالة على الخلق المستقل . ولا يكونون خارجين على الاسلام ، بل عاملين بأكبر أصوله وقائمين على أوضح مناهجه

فان الخدم الجليلة التى أداها مذهب دارون للعلم لاتنكر فقد حل معاضل كانت غير قابلة للحل ثم أنت ترى أن أساسه التسليم بوجود قوة عاقلة أوجدت الخلايا الاولى فهو مـذهب جـدير بالاحترام والتأمل الدقيق

(كيف خلق الله الخلق)

نص القرآن الكريم على أن الله خلق الكون فى ستة أيام ثم عاد فقال : «وأن يوماً عندربك كألف سنة» . ثم قال: «فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة» . فدل ذلك على أن المراد باليوم هنا ليس هو المدة المقدرة بأربع وعشرين ساعة بل المراد باليوم دور من الادوار أو أمد من الآماد

ثم انه جاء فيه ان الله خلق الحيوانات من التراب ولم يجئنا فى الكتاب والسنة الصحيحة عن ذلك إلا تفاصيل قليلة وزاد عليها المؤلفون زيادات كثيرة تلقفوها من أهل الاديان السابقة لا يلزمنا منها شيء

فالحقيقة اننا لانعلم الاسلوب الذى برأ الله عليه الخلق . فمذهب الخلق المستقل وعليه جمهور الدينيين يقول بأن الله خلق كل نوع من الحيوانات والنباتات على حدته حاصلا على كل مايحتاج اليه في حياته

ولكن ظهر ببحث العلماء فى الكائنات الحية والبائدة ان لكثير منها أعضاء زائدة أثرية مثالها للعيون الاثرية غير المبصرة فى بعض الحيوانات التى تقطن الكهوف أو تقيم تحت الارض

ومن أمثلة ذلك أيضا وحود زوج من الاطراف ضامراً فى بعض الحيوانات العقـرية وقد وجد كلا الزوجـين من الاطراف ضامراً فى بعض الحيوانات كالحيات

فكل هذا يدل ببداهة العقل على أن الخالق الحكيم جرى فى إيجاد الكائنات

وتنويعها وابداع استحصاصها على سنة تدريجية واودع فى كل كائن قابلية لان يلائم البيئة التى يعيش فيها

فان اتفق وجود حيوان متمتع بعينين فى بيئة خالية من الضوء ضمرت عيناه وصارتا فيه أثريتين على تعاقب الاجيال . وان حدث وجود حيوان ذى اربعة اطراف فى بيئة لا يحتاج فيها الا الى طرفين اثنين ضمر فيه الطرفان اللذان لا يحتاج اليهما واورث هذا الضمور اولاده فصار فيها ذانك الطرفان اثريين

وبالعكس ان قضى على حيوان لاناب له ولامنسر ان يعيش بعد تكوينه فى بيئة يحتاج الى ذينك العضوين تكونا له بالتدريج حتى يصبح من ذوى الانياب والمناسر

ولكن أليس الاولى بنا أن نعد هذا التحويل التدريجى اثراً من آثار العناية الالهية بدل ان نعده من آثار الضرورة التى لاتعقل ولاتعى شيئا

يميل الماديون ان يعتبروا هذا التحول دالا على أن الخلق جار على سنة العماية المطلقة والضرورة المحضة. كأنهم يريدون ان يهلك كل حيوان او نبات يقضى عليه بأن يوجد فى بيئة غير بيئته الاولى ليسوغ لهم أن يقولوا ان فى الكون قوة عاقلة مدبرة ! وهذا من غرائب شؤن الماديين والا فكيف لا يعد امداد الحيوان بحاجته من الاعضاء التى لم تكن له من الرحمة الالهية ويُعد عكسه من دلائل الحكمة والغاية والقصد ؟

ان الذى حدى بالماديين الى هذا الزعم توهمهم ان هذا التحول الجزئى يدل على أن العالم كله خلق على هذه الوتيرة فوجدت الخلية البسيطة الأولى أولا ثم تحولت الى أرقى منها بتغيير البيئة وهكذا تم الخلق على ما هو عليه من الابداع والكمال

هب أن الخليقة تكونت على هذا الضرب من التدرج فماذا فيه من نفى القصد الالهى ؟

هل مما ينفى القصد الالهى أن توجد خلية بسيطة متمتعة بخاصية مقاومة المؤثرات وقابلية التدرج نحو الكمال حتى تصل الى ارقى أنواع النبات والحيوان ؟

أليس هذا أجدر أن يدل على قوة خالقة أوجدت هذه الخلية ومتعتها بكل قوة ووسيلة لحفظ حياتها حتى تصل

الى كمالها

ايهما أدل على دقة الصنع وغاية الابداع فى عمل عامل ، أعمله الشىء دفعة واحدة وتركه وشأنه يبيد ان لم تناسبه الظروف ، ام تكوينه على حال تمكنه من التدرج شيئا فشيئا وتحليته بالوسائل التى تمكنه من مكافحة التغيرات الطارئة فى كل حين »

خلق الله الارض على سنة تدريجية كما تدل عليه المباحث الجيولوجية ، وجعل بيئاتها وقواها دائمة التحول والتغير ، حتي ان سطح الارض الذى نعيش عليه كان قاعا للبحر فى عصر من العصور ، وما فيه الآن من مدن عامرة كان قبل عدة أجيال غابات كثيفة ، وما كان غابات كثيفة يؤوى ويقيت ملايين من الحيوانات اصبح الآن مناجم للفحم الحجرى . وقس على ذلك مالا يحصى من الانقلابات . فاذا كان الله خلق الارض على هذه السنة أفليس من الحكمة ان يخلق الله الكائنات ممتعة بخاصة مقاومة حتى لا تبيد وتتلاشى امام هذه التغيرات الذريعة ؟

فاذا لم يخلق الحيوان البصير على حالة تمكنه من أن يعيش فى الظلام فتصبح عيناه اثريتين ، وما لا ناب ولا منسر له ان يكون له ذانك العضوان اذا اقتضت الاحوال المعاشية ذلك وهلم جرا ، هل كان بقى ، ان لم يمتع الخالق الحيوانات والنباتات بهذه الخاصية من التحول التدريجى على الارض ، حى يعمرها الآن ؟

(بماذا يرضى الماديون)

يظهر لى انه لا يرضى الماديون الان يكون الخالق على شكل الملوك المستبدين يأمر بخلق الكائنات مستقلة فتكون ، ثم يبيدها لأقل عارض من تغيرات الجو فتبيد . ثم هم لا يريدونه الا منفصلا عن الكون فى عالم خاص به ، فلا يريدون إلها رحيما يحلى مخلوقاته من الوسائل بما تقاوم به الاعراض الارضية ، ولا إلها متصلا بالكون كروح له أو كقوة فيه كما يرمى اليه العلامة هكل واضرابه والصوفية

والحقيقة أنهم يريدون ان يكونوا ماديين ملحدين ولو رأوا الله بأعينهم . لأننا اثبتنا ان الماديين ماديون حتى فى العصر الذى كان فيه علم الطبيعة أشبه بأقاصيص العجائز ايام الملحدين الاولين انكزيماندر ولوسيب

فليلحد الماديون ما شاؤا أن يلحدوا

ولكن حذار من أن يدعوا ان مذهب داروين ينقض الايمان ، ويزعزع العقائد . ذلك المذهب الذى أساسه التسليم بقوة عاقلة خلقت الخلية أو الخلايا الأولية. وحذار من أن يزعموا ان العلوم الطبيعية أقامت الأدلة على نفى الخالق فهذه العلوم الطبيعية بين أيدينا وهؤلاء هم قادتها يصيحون بملء أشداقهم ان علم الطبيعة يدل على الخالق ويقوى الايمان به ، وقد نقلنا هنا أقوال أئمتهم وأقطابهم

الخلاصة ان الماديين لم ينالوا منالا الا من السطحيين الذين يظنون ان المدنية والعالمية تنحصران فى انكار كل شىء والاستهزاء بكل عقيدة. وقد ساعد الماديين تفاقم فتنة المدنية المادية التى صرفت الناس عن النظر والفكر فساغ لحماف العقول المجردين من العلم ان يرفعوا عقيرتهم بالأصول المادية التى تلقفوها من الافواه ولم يأخذوها من مواردها الصحيحة ، فانتشرت بذلك روح الالحاد لا لقوة فى أدلة الملحدين ولكن لضعف فى عقول وارادات من يقلدونهم

لقد صد تيار الالحاد فى اوربا صدة بانتشار المباحث الروحية ، سلبته كل قوة فعاد الى منبعه الأول من رؤس فلاسفة من مظلمى القلوب ، ولن يعود هذا التيار للاندفاع بعد سطوع أنوار تلك المباحث والله تعالى غالب على أمره لا معقب لحكمه. « كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ان الله قوى عزيز »

(كيف نشأت المباحث النفسية)

طفنا بالقارىء على كبريات الأصول المادية التى يستند عليها الماديون لبناء فلسفة الحادية أساسها تجريد الكون من كل قوة مدبرة حكيمة ، فلا موجود فى نظرهم غير المادة الصماء وقواها الذاتية ، فهى التى بحركاتها الدائمة ، وتطوراتها المستمرة قد أوجدت العوالم الكونية على ما هى عليه من كمال وجمال ولا تسير به الا الى الأمام . وليس الانسان وما متع به من القوى العقلية العالية ، الا مظهرا من مظاهر تلك المادة الميتة ايضا

كان يقول بهذه الأصول فى القدم رجال ممن وقفوا مع الحس فى دوائره الضيقة فى عهد كان فيه علم الطبيعة أشبه بخرافات العجائز ؛ فكانت تصادف تعاليمهم نفوراً من الفطرة الانسانية حتى تم للعلم الطبيعى اجتياز دور الخرافات الى دور

التحقيق فحاول أولئك الواقفون مع الحس أن يقيموا إلحادهم على دعائم علمية فقوّلوا ذلك العلم مالم يقله ولا يمكن أن يتطاول اليه من الحكم على بدايات الاشياء ونهاياتها ، والتحكم فى علل الموجودات ونواميسها ،فقرروا باسمه ان مبدأ الوجود كله المادة

من أين أتى لهم ذلك الحكم وليس لعلم الطبيعة أن يصل اليه لان موضوعه درس الاشياء الطبيعة من حيث صفاتها وعلاقاتها بعضها ببعض ،وشتان بين درس الصفات والعلاقات ،ومعرفة الكنه والذات. لاشك فى انهم افتاتوا عليه افتئاتا وقوّلوه مالا يستطيع أن يقوله ليوهموا الناس انهم يقررون أصولهم بالمعلومات المحسوسة وقد فضح العلماء تمويهاتهم ،وأتينا هنا على موجز من تلك التحقيقات بما لا يدع شكا لشاك

فلما رأى الماديون بأن زعمهم ان أصل الوجود المادة العمياء لا يسيغه عقل مع ما عليه الكون من الابداع والكمال ، فان المادة ميتة بطبيعتها ، جاهلة جامدة بفطرتها ، زادوا عليها صفة ملازمة فقالوا ان تلك المادة يجب أن تكون متمتعة بحركة ذاتية تسمح لها أن تتشكل وتتطور لتحدث الخلق على ماهو عليه من تنوع فى الصور ، وتخالف فى الطبائع

لاشك ان هذه الصفة التى زعموها للمادة لم يهدهم اليها العلم الطبيعى . لأن موضوعه كما قلنا هو درس صفات الاشياء وعلاقاتها دون حقائقها وذواتها. فمن أين للعلم الطبيعى ان يحكم بما لم تسمح به التجربة ، ولم يؤده اليه الدليل المحسوس؟ ألا ترى انه لاجل ان يحكم العلم بأن أصل الكون المادة وان تلك المادة متحلية بحركة ذاتية ، يجب ان تكون تلك المادة ممثلة أمامه قائمة بذاتها ومتمتعة بقواها على صورة محسوسة غير مستمدة من مصدر أرقى منها. وكيف يتأتى ذلك وهو يتطلب علما بما وراء المرئى المحسوس وليس هو من وظيفة العلم الطبيعى ؟

قنع الماديون بخيالهم هذا فملأوا الجو صياحا وجلبة . فكان يكاد لا يسمع المنصت لهم لا كلمتى مادة وحركة كأنه يكفى أن توجد أحجار وأيدى متحركة لاقامة قصر مشيد، وغاب عنهم ان الذى يقيم القصر هى القوة العاقلة ، التى لولاها لكانت تلك المواد الحجرية، والحركات

اليدوية غير مغنية شيأ

ولكن عز على الماديين أن يعترفوا بتلك القوة التى تحرك المادة بعقل وحكمة لئلا يكونوا متنتين لقوة خالقة مدبرة ، فتمادوا فى غيهم ، وأصروا على بغيهم ، وتحملوا فى سبيل اصرارهم هذا كل استهزاء وجه اليهم

(الانسان والماديون)

عز على الماديين ان يحرمو الكون كله من روح مدبر ، ويسمحوا للانسان به ، فأعلنوا أنه مادة محضة لاروح له ولا قوة مستقلة فيه ، وماعقله وتدبيره الانتيجةمن نتائج القوة المادية ، وقيامه على تركيب منتظم ، حتى قال قائلهم ان المخ يفرز الفكر كما يفرز الكبد الصفراء

أشاع الماديون هذه الآراء فتلقفها خفاف الاحلام بكل تحمس لالشيء غير الظهور بمظهر المخالفة للجماعة . فان العقول الخفيفة يلذها جدا ان تخالف لتعرف

ذاعت هذه الاصول بين العامة فكان لها أسوأ أثر على بناء المجتمع الانسانى . فانحطت الآداب ، وسفلت الاخلاق ، وانتشرت الاباحة ، ورذلت الاصول حتى صار الغرض الذى يرمى اليه الانسان العصرى اللذة دون سواها ، ولايخفى أن دون هذه اللذة هتك أعراض ، وسفك دماء ، وكذب ونفاق ورياء وخداع وغش وتزوير الخ من الصفات الذميمة والكيفيات الخبيثة

ان قال قائل ايها الناس ان لكم أرواحا تطالبكم بالاعتدال ، وتسوقكم الى باحات الكمال ، لتنعموا من لذة الحياة الصحيحة فى هذه الدار ، وفى دار بعدها ، فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر : أو عزت اليهم الفلسفة المادية بأن يقولوا : أين تلك الارواح ، أرأيتموها ، أسمعتم مناجاتها ، أين تلك الدار ، أنتهيتم اليها ، وجستم خلال ديارها ؟ ثم ينغضون رؤسهم ، ويهزون أكتافهم ، ويمرون لينهمكوا فيما هم فيه

لم يشأ الخالق الحكيم الذى خلق هذا العالم وأراد له الكمال ان يترك زهرته وهى النوع الانسانى يهلك تحت آصار هذه التعاليم المفسدة لاخلاقه ، المحيلة لحال فطرته ، الماحقة للذات حياته ، فأرسل اليه آية من آياته ، وفتح له كوة الى عالم بيناته ظهرت بمظهر المباحث الروحية فرأى منها

(بالحس) مالم يكن يتخيله من مدهشات الامور ، وعجائب الشؤن ، فرجع أعتى الماديين صاغرين ، معترفين بأنهم كانوا فى ضلال مبين . وتمت فى العالم حركة لم يرو التاريخ مثلها ، فآمن بوجود الروح والخلود بسببها من العلماء والاذكياء مالا يقل عن ثلاثين مليونا ايمانا بنوه على البراهين الحسية والادلة التجريبية . وآمن بسببهم فى مشارق الارض ومغاربها من لايحصى لهم عدد. وقوض الله دولة الالحاد والملحدين تقويضا لاقيام لها بعده ، اللهم الا رجالا لم يقرأوا فى هذه الانقلابات كتابا ، ولم يجربوا فى مواضيعها تجربة ، جمدوا على ماتلقفوه فى صباهم من الاصول المادية ؛ وكرروه حتى خيل لهم انها حقائق راهنة. أولئك لايخشى من تأثيرهم الاعلى أمثالهم ، ممن لايسمعون القول ولايتبعون أحسنه.

(ماهو غرض الفلسفة الروحانية ؟)

لاغرض للفلسفة الروحانية الا أن تثبت أن للانسان روحا مدبرة وأن تلك الروح خالدة فى عالم بعد هذا العالم وان للاخلاق الفاضلة ، والمزايا الجليلة ، تأثيراً على حالة النفس فى الحياة المقبلة

قال الاستاذ متزجر المدرس بجامعة جنيف فى كتابه (الاسبرتزم العلمى)

«مذهب استحضار الارواح يثبت وجود الروح حتى يكاد يجعلك تلمسها بأصابعك . وقد أصبحت مسألة خلود الجزء المعنوى من الانسان مما لايمكن الجدل فيها لبداهتها . كما انه قد انسدت تلك المهواة السحيقة القرار التى كانت تفصل الاحياء عمن كان يقال عنهم ميتون

«هذه حقائق جديدة فى الواقع ونفس الامر ولكن ما أجل فوائدها ، وأعظم عوائدها . فان هيئاتنا الاجتماعية (تأمل) فى هبوط مستمر ، ولقد أصبح الناس يتساءلون بقلوب يملأها الاسف والاسى عما ستؤل اليه حالة مدنيتنا المتنازعة من كل جانب ، التى افترسها مذهب الماديين المجتاح للفضائل . فانه بقتله فيها عواطف الجرى وراء الكمال ، وبمحوه أنوار مستقبلها يدفع الانسان لغشيان كل مايطوف بفكره من الملاذ الجسدانية بدون مبالاة بوسائل الحصول عليها

«بعد هذا كله ألا يكون اقامة الادلة العلمية على ضلال الذين يجحدون وجود الروح ، وبيان اننا لامحالة مجزيون على

جميع أفعالنا وأفكارنا، هو أنجع العلاجات لهذا الجنون الكثير الاشكال ؟

« هذا هو تأثير مذهب استحضار الارواح وسيكون تأثيره دائما كذلك فيما نرى » انتهى

ثم تكلم العلامة السويسرى على ماسيكون له من التأثير على الفلسفة والدين لتأسس مبادئه على المشاهدات المحسوسة التى لا تدع للشك مجالا فى النفس فقال مشيراً الى الدين والفلسفة

«انهما سيكونان بواسطته اقرب الى الفهم، وسيكتسبان به حياة جديدة، وصبغة علمية، وستستردنصاعتهما وتعاليمهما السلطان الكبير الذى كان لهما على ارواح الناس ، وسيستطيعان مكافحة الالحاد الذى وقعنا فيه بوسائل أنجع وأسلحة أمضى .

« هذا مايعلل سر زيادة التفاته لانظار الباحثين رغما عن العداوة الكامنة أو الظاهرة التى يصادفها من بعض المراكز ، فأصبح العلماء (تأمل) يهتمون به لانه يفتح مجالا عظيما للبحث والتنقيب عن المساتير ، والروحيون ذوو الصبغ المختلفة من الفلاسفة ابتدأوا يفهمون بأنهم يجدون منه وحده سنداً ركينا للحقيقة وعمادا لايتزعزع يعتمدون عليه فى تأملاتهم على مسائل الروح وبقائها بعد الموت وعلى أحوال الحياة فى ذلك العالم » انتهى

(ما هو أسلوب الروحيين)
فى مباحثهم ؟

يتبجح الماديون فى تضليلاتهم للعقول بأنهم يستندون فى تعليلاتهم على المحسوسات والمشاهدات وكانوا يعيبون على المتكلمين فى الروح بأنهم يعتمدون على الخيالات والظنون فلما ظهرت آية استحضار الارواح معتمدة على الحس بطلت حجتهم ودحضت أدلتهم

قال الكاتب المشهور (جبريل دولان) فى كتابه المسمى (الظاهرة الروحية) فى مقدمة طبعته الخامسة صحفة (٢٨٣) ما يأتى :

« كان الماديون قبل قليل من الزمن يستطيعون أن يطرحوا براهين الفلاسفة المليين قائلين لهم انها ليست على أسلوب يوصل الى حقيقة ، ولكن باتباع اسلوب الروحيين أصبح لايخشى من الماديين العود الى مثل هذا الرفض . فنحن لا نقول للناس يجب ان تعتقدوا ما أفيض علينا بالتسليم وبلا دليل ، ولا نحرم كذلك

البحث على احد من العالمين . بل بالعكس نقول لهم هلموا اقرأوا وجربوا وابحثوا كلما يؤكد لكم صحة الحوادث التى ظهرت للناس عموما ، وكونوا بحاثين مدققين ولا تسلموا بصدق مشاهدة الا اذا استطعتم ان تكرروها بأنفسكم كثيراً فى شروط مختلفة ، وبالاختصار نقول لكم تقدموا والحذر ملء أفئدتكم فى سبيل الوقوف على هذه المجاهيل لأن الذى يجشم نفسه بناء أصول جديدة يكون معرضاً للخطأ والضلال . ومتى درست حادثة من تلك الحوادث تراها تحدثك بذاتها عن كنه طبيعتها ومقدار خطورتها . أليست هذه الطريقة هى أسلوب الفلسفة العلمية عينها ؟ وبماذا يستطيع ان يلاحظ أشد الماديين شكيمة على امثال العلماء (روبير هار) والاستاذ (ماس) والمستر (اكسون) ؟

« أننا انما نقارع أعداءنا بنفس أسلحتهم لارغامهم على الهزيمة فبنفس اسلوبهم نعلن على رؤوس الاشهاد خلود الروح بعد الموت

« كل النظريات المادية التى تزعم أن الانسان آلة مادية ساذجة مجردة عن الروح ، وكل العلماء الذين اتخذوا العلم المادى سلاحا لاثبات مادية الانسان وعدم روحانيته قد كذبوا أشد التكذيب وبان ضلالهم بواسطة المشاهدات الحسية الروحية »

من أراد زيادة بيان فليقرأ ما كتبناه فى كلمتى (الله) و (روح)

المد والجزر هما ظاهرتان بحريتان يظهر فيهما البحر تارة ممتداً على الشواطىء اكثر مما كان عليه فيغمرها ويعلوها كأنه ازداد فى مادته وطوراً يرى منحسراً عن تلك الشواطىء مارلا فيجلو عن السواحل كأنه ينصب الى مكان آخر

هاتان الظاهرتان تحدثان فى اليوم مرتين بين احداهما والاخرى اثنتى عشرة ساعة وخمس وعشرون دقيقة

(أسبابهما) المد نتيجة جذب القمر لكتلة الماء أثناء دورانه حول الارض . وللشمس تأثير فى ذلك أيضا ولكنه اقل من تأثير القمر لانها تبعد عن الارض اكثر مما يبعد القمر عنها أربع مئة مرة . وبما أن الماء سائل فينجذب للقمر على مقتضى ناموس الجذب العام فيتكوم عندما يسامت هذا التابع فى جهة من جهاته ويحدث الجزر فى الاراضى المجاورة لها . فاذا أزال هذا

التأثير عنها بطل هذا التكوم فينبسط الماء كما كان يحدث للمياه مد اى امتداد فى الشواطئ التى يتاخمها

ولكن هذا التأثير من القمر على كتلة المياه لايحدث فجأة عند ما يسامت هذا التيار جهة من حهاب البحر بل يتأخر بضع ساعات عن ساعة تلك المسامتة . وبما ان القمر يتأخر فى بزوعه يوميا نحو خمسين دقيقة فيتأخر الجزر بقدر تلك المدة غير أن المد الشمسى لا يتغير من يوم الى يوم فيلتقى المدان ويفترقان بالاستمرار . فعند ما يلتقيان يكون معظم ارتفاع المد مكونا من مجموع المدين القمرى والشمسى ومما يجب التنبه له هو ان المد فى لجة البحر لا يكون بتقدم الماء ذاته بل بتقدم الموج

(أسباب تغيرات المد) ان الشمس والقمر يفعلان معاً فى الماء وقت تولد القمر حيث يحدث المد العظيم ويسمى المد الاقترانى . ثم عند التربيع ينقص فعل الشمس ارتفاع الماء فيسمى حينذاك مد التربيع . وعند ما يكون القمر فى الاوج تزداد جاذبيته فيزداد المد ارتفاعا والجزر انخفاضا عما كان عليه فى وقت آخر وكذلك يكون الحال من جهة الشمس

ومما يؤثر فى ارتفاع المد ميل الشمس والقمر يكون المد الاعتدالى العظيم عند وقوع القمر على خط الاستواء أو قريبا منه وقت الاعتدال وبالعكس يكون المد قليل الارتفاع عند المدارين . ويعسر علينا تعليل المد المحلى بسبب قوة الريح وجهتها وهيئة الشطوط وعمق البحر

(ارتفاع المد فى الجهات المختلفة)

لا يكاد يشعر بالمد فى وسط البحر اذ لا يبلغ علوه فى بعض الاوقات اكثر من قدم . ولكن المد على الشواطئ يكون ظاهراً جدا والفرق بين الارتفاع والانخفاض عند التربيع فى مدينة نيويورك يكون أكثر من ثلاثة اقدام ويكون عند الاقتران والاستقبال اكثر من خمسة اقدام . ويتضاعف هذا القدر فى مدينة بوستون

وأما الرؤس الداخلة الى البحر فيقل فيها المد كما عند رأس فلوريدا حيث يكون معدل المد قدما ونصف قدم فقط . ويكون الحال على العكس فى الخلجان العميقة اذ يتعاظم المد ففى خليج فوندى يرتفع الماء فيكون كسور عظيم من المياه ويبلغ ارتفاعه نحو ٦٠ قدما فيهلك فى تقدمه كثيراً من البشر والبهائم ويصعد المد فى مجارى

الانهر فيغير هيآتها تغييراً ذريعا . فترى مثلا ان نهر أفون عند برستول وهو لا يبلغ في هيئته اكثر من ساقية صغيرة يصير بالمد نهرا عظيما يصلح لمسير اكبر السفن

﴿ مدن ﴾ بالمكان يمدُن مُدُونا أقام به . و (مدّن المدائن) مصرها وبناها . و (تمدّن) تخلق بأخلاق أهل المدن

﴿ المدينة ﴾ قال ياقوت . علم على عدة مواضع منها مدينة أصبهان القديمة المعروفة بجى التي عرفت بعدها بشهرستان على ضفة نهر زندروذ بينها وبين مدينة اصبهان الحالية اليهودية نحو ميل وقد خربت . ومدينة السلام وهي بغداد ومدينة يثرب . وهي مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي مقدار نصف مكة في حرة سبخة بها نخل كثير وزروعهم تسقى من مياه الآبار والسواقي وعليها سور دائر ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في وسطها وقبر النبي صلى الله عليه وسلم في زاويته الشرقية وهو بيت مرتفع ليس بينه وبين سقف المسجد الا فرجة فيها قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقبر أبي بكر وعمر ولا باب له ومصلى النبي صلى الله عليه وسلم خارج سور المدينة في غربيها وقال ابن حوقل والمنبر الذي كان يخطب عليه النبي صلى الله عليه وسلم قد غشي بمنبر آخر . والروضة أمام المنبر بينه وبين القبر والمصلى الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فيه الاعياد في غربي المدينة على نحو ميلين الى ما يلي القبلة وهو مجموع بيوت الانصار شبه القرية . وأحد جبل في شمال المدينة وهو اقرب الجبال اليها . انتهى

نقول اشتهرت هذه المدينة بهجرة النبي صلى الله عليه وسلم اليها وبنصر أهلها له ولدعوته فكانت مشرق النور الاسلامي امتد منها الى جميع بقاع الارض . وكان يسكن المدينة قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم اليها قبيلتان هما الاوس والخزرج وطوائف من اليهود فلما حصلت الهجرة قصدها من المسلمين الاولين جم غفير وهم من مواطن متفرقة فعمرت بهم وصارت عاصمة الملك الاسلامي في حياة رسول الله وحياة خلفائه الاربعة الى الحسن بن علي عليه السلام فلما تنازل لمعاوية عن الخلافة انتقل مركز الخلافة الى دمشق

تعرف المدينة بأنها بلدة طيبة الهواء

وتعرف فى سكانها أريحية ومروءة . وهى واقعة على بعد ٢٤٠ كيلو متراً من مكة ويسكنها نحو ٦٠ الف نسمة

وانا فى وصف مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانستطيع أن نعمد على أحسن مما كتبه حضرة الالمعى محمد لبيب بك البتنونى فانه ذكر عنها فى رحلته ماشاهده بنفسه وحققه من المصادر الموثوق بها فننقل للقراء كل ماكتبه عنها فان فيه علما جما جزاه الله خيرا قال :

« المدينة المنورة ، أو مدينة الرسول ، واسمها طيبة . وكانت تسمى قبل الهجرة يثرب ترتفع عن سطح البحر بنحو ٩١٦ متراً وهى واقعة على طول ٣٩ درجة و ٥٥ دقيقة شرقا ، وعلى عرض ٢٤ درجة و ١٥ دقيقة من شمال خط الاستواء ، (أعنى على عرض خط دراو التى توجد فيما بين اسنا واسوان) ودرجة حرارتها فى الصيف تصعد الى ٢٨ درجة سنتيفراد وتنزل فى الشتاء الى عشر درجات فوق الصفر نهارا ، والى خمسة تحت الصفر ليلا . وكثيرا مانرى فيها الماء متجمداً فى آنيته عند الصباح فى زمن الشتاء

« واذا صح ماذهب اليه بعضهم من أن كلمة يثرب محرفة عن الكلمة المصرية (اتريبس) كان لنا أن نفكر فى أن الذين بنوها انما هم العمالقة بعد خروجهم من مصر ، ولنا فى يهوديتهم مايؤيد قول من ذهب الى أن موسى فى طريقه الى فلسطين ، أرسل فرقة من قومه لتكتشف له تلك الجهة ، فساروا اليها ، وبلغهم موته فبنوا مدينة اتريبس وأقاموا فيها ، وعليه فعمران المدينة يبتدىء من سنة الف وستمائة قبل المسيح أو الفين ومائتين واثنين وعشرين قبل الهجرة . وعلى ذلك يمكننى ان أقول أن لفظ طيبة ان كان مستعملا اسما لها من قبل الاسلام فلا بد أن يكون مصريا أيضا

« والمدينة مركز لواء وكانت الى عهد قريب ملحقة بولاية الحجاز وجعلت الآن متصرفية قائمة بنفسها (كما بلغنى) وفيها عاملان كبيران يقومان بادارة شؤنها وهما شيخ الحرم والمحافظ وهذا الاخير فى يده السلطة العسكرية التى هى الآن أهم السلطات فى بلاد الدولة العلية ، ويتبع المدينة قضاء الوجه ، وقضاء ينبع ، والكور ، وتيماء ، ودومة الجندل ، والفرع ، وذو الرمة ووادى القرى ، وقرى عرينة ، والسيالة ،

والرهط وكحل ومدين وفدك وخيبر وفى المدينة وكيل لشريف مكة ينظر فى قضايا العربان اسمه الشريف شحات

« والمدينة مبنية فى وسط واد شاسع يمتد الى الجنوب وأغلب مبانيها من الحجر المجلوب اليها من المحاجر القريبة منها وفيها نحو ١٣ الف بيت، وشكل الابنية فيها هو بعينه مارأيناه بمكة وجدة لولا أن منازلها أصغر وشوارعها أضيق وخصوصا ما كان منها حول الحرم الشريف وكان يجب أن يكون حوله ميدان متسع يساعد على تنقية جو المدينة من جهة وعلى سهولة الوصول الى الحرم من الجهة الاخرى وأحسن شارع فى المدينة غرب الحرم ويسمونه بحارة الساحة وهو أطول حاراتها وفيها أحسن مبانيها وبها مكان المحافظة فى قلعة على السور الداخلى . ومما ينبغى ذكره انى رأيت بهذه الحارة منزلا للسيد هاشم مشغولا بأعمال الأوية مما استوقفنى أمامه باهتا لجمال صنعته ودقتها وهى من صناعة جاوة وبكل أسف أقول ان هذه الصناعة البديعة قد انقطعت عن المدينة بالمرة . وفى هذه الحارة زقاق يدخل منه الى مقام سيدنا عبد الله والد الرسول صلى الله عليه وسلم . وكان قد أتى الى المدينة قبل الاسلام لعمل فمات بها ، ودفن عند أخواله من بنى النجار فى بيت رجل منهم يقال له النابغة . وهذه الحارة تسمى الاغواء أو زقاق الطوال، ومنها منازل آل سعد

« وأغلب حارات المدينة يسمونها لضيقها أزقة . منها فى شمال الحرم زقاق البقر ، وزقاق الخياطين، وزقاق الحبس، وزقاق عنقيبى. وزقاق السماهيدى ، وزقاق البدور ، وزقاق الاغاوات ، وفى جنوبيه زقاق ياهو ، وزقاق الكبريت ، وزقاق القماشين . وزقاق حيدر ، وزقاق الحجامين وزقاق مالك بن أنس الخ

« وعلى كل حال فحارات المدينة نظيفة وضيقها يساعد كثيرا على تلطيف الحرارة فيها زمن الصيف كما هو الشأن فى أغلب بلاد الشرق. وسوق المدينة يبتدىء من الباب المصرى الى الحرم الشريف فى شارع ضيق طوله ٥٠٠ متر تقريبا يقطعه على المارة تقابل جملين فيه مع بعضها . والحركة فيه تكاد تنحصر فى مدة الحج. والموسم الرجبى وهو موسم الزيارة الرسمية فى بلاد العرب، وتجارة المدينة مدارها على

وارداتها الخارجية، لاسيما واردات جاوة والهند والشام، وعلى الخصوص فى الاقمشة القطنية والصوفيـة والحريرية والسبح والليف الابيض والحناء والبسط والسجاجيد والحنابل (الأكلمة) العجمية والهنـدية والمغربية والاناضولية ، وانما أثمانها أغلى منها فى مكة بل وفى مصر ، وانما ابتياع الحجاج لها على سبيل البركة وسهولة الصرف فى هذه الجهات وتجارة البلح فيها هى أكبر التجارات وأوسعها لان ضواحيها فيها كثير من البساتين وفيها نخيل كثيرة تنتج نحو سبعين صنفا من التمر وأحسنها البلح العنبرى ، ثم الجبلى ، ثم السكرى وهو أكثرها حـلاوة ، ثم بلح السبـح ويكثر نخله من جهة الخيف بين المدينـة والحمراء وكيفية تجهيزه هى أن ينظم فى خيط ثم يلقى به فى الماء المغلى زمنا ما ثم يجفف فى الشمس ولقد اشترينا منه شيئا من دكاكين أقيمت خارج البـاب المصرى بالمناخة وكان البائع يروج تجارته بأحاديث يسردها وينسبها الى النبى صلى الله عليه وسلم فى مدح بعض أنواع البلح المتقدمة. فعجبت أن القوم لا يستحون من الكذب على الرسول حتى وهم بين يديه الشريفتين وقلت ياهـذا انا نشترى منك بلحا لا أحاديث وأرأيته ان مصيبة المسـلمين أساسها الجرأة فى التقول على رسول الله ! فاعتذر الرجل بحالته بقوله انه أخذ هـذا عن غيره من الباعة السابقين أو بعض المتمشيخين ويبيعون البلح بالكيلة ووزنها ٦٠٠ درهم وأما كيلة الارز فوزنها ٣٠٠ درهم والسمن يبيعونه بالرطل وهو ١١ أو ١٢ أوقية والرطل ٢٠٠ درهم والاردب ١٢٠ أوقة

«وفى المدينة كتبخانات كثيرة أهمها كتبخانة شيخ الاسلام عارف حكمت وهى قريبة من باب جبريل الى جهة القبلة وهذه الكتبخانة آية فى نظافة مكانها وحسن تنسيقها وترتيب كتبها وأرضها مفروشة بالسجاد العجمى الفاخر . وفى وسط حوشها نافورة من الرخام فيها حنفيات للوضوء وفيها كتب ثمينة جداً لا يقل عددها عن ٥٤٩٤ كتاب ولقد رأينا بها شيئا من غرائب الصناعة النادرة فى بابها وهو كتاب اشعار فارسية مكتوب بالخط الابيض الجميل لملا شاهى ، وبينما نحن نعجب من جودة الخط واتقان الصنـاعة ونظافتها وحسن تنسيق حروفها على صورها

ودقتها لفت نظرنا حضرة مدير الكتبخانة الى أن حروف الكتابة انما هى ملصوقة على الورق فتأملناها فوجدناها شيئا يبهت الطرف لرؤيته ، ويعجز اللسان عن نعته . خصوصا عندما اختبرنا أنهم كانوا يكتبون هذه الكتابة ، ثم يفصلونها عن ورقتها بظفرهم ثم يلصقونها على ورقة أخرى

« وفى باب السلام كتبخانة السلطان محمود ومقدار الكتب التى فيها ٤٥٦٩ كتابا وهى وان كانت أصغر من كتبخانة عارف وأقل منها نظاما الا أنها جميلة ومرتبة وفيها كتبخانة السلطان عبد الحميد الاول بها ١٦٥٩ كتابا ، وفيها أيضا كتبخانة بشير أغا ، فى زقاق الخياطين بها ٢٠٦٣ كتابا وقد بلغنى أن هناك كتبخانة أخرى منها واحدة فى رباط عثمان حافلة بنفائس كتب مذهب مالك ، ويقدر مجموع هذه الكتب بثلاثين ألف كتاب من الكتب النادرة المثال . ولو جمعت كل هذه الكتب فى دار واحدة وعمل لها نظام مخصوص لكان ذلك أنفع والفائدة منه أكبر

«وفى المدينة جريدة اسمها (المدينة المنصورة) تصدر باللغة التركية والعربية على مطبعة البالوزة كلما كان هناك داع لصدورها ، ومديرها حضرة الفاضل الشيخ محمد مأمون. وكانت تصدر مدة وجود الجناب العالى بها شارحة حركاته اليومية . وناشرة كل ما كان يقدم لذاته السنية من المدائح نظما ونثرا ومن ضمن ما رأيت فيها قصيدة لحضرة مديرها تهنئة للجناب العالى بقدومه قال فى مطلعها :

البدر فى أفق العلياء قد طلعا
وكوكب السعد فى اسعاده سطعا

«وليس فى المدينة من المدارس ما يستحق الذكر . الا أن فيها ١٧ مكتبا لتعليم مبادىء العلوم البسيطة ، والذى يدرس بالحرم شىء بسيط من الفقه والتفسير

« وفى المدينة حمامان تركيان أحدهما داخل المدينة ، وهو من عمل السلطان سليمان القانونى والثانى بالمناخة. وفيها ٨ تكايا أهمها التكية المصرية والباقى يسمونها رباطات لها مرتبات قليلة لاتفى بحاجة من يسكن فيها من الفقراء والمعوزين

وللمدينة المنورة حرم مثل حرم مكة يبلغ قطر دائرته نحو اثنين كيلو متر ولا

يجوز لاحد الصيد فيه اجلالا له وتعظيما

« وفى المدينة وضواحيها مزارات كثيرة أشهرها مسجد قباء ومسجد سيدنا حمزة والبقيع . أما مسجد قباء فبعيد عن المدينة بمسافة خمسة كيلو مترات وهو أول مسجد بنى فى الاسلام . بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجنوب الغربى للمدينة عند دخوله اليها فى هجرته وقد جدد بناءه السلطان عبد الحميد لاول وتوسط صحنه قبة أقيمت على مبرك ناقته صلى الله عليه وسلم حين قدومه اليها فى هجرته من مكة . وأما مسجد سيدنا حمزة فانه يوجد فى شمال المدينة فى وادى أحد وهذا الوادى مشهور بالوقعة التى حصلت بين المسلمين والمشركين فى ١٥ شوال سنة ٣ للهجرة وأبلى فيها المسلمون بلاء حسنا واستشهد فيها سيدنا حمزة عم النبى صلى الله عليه وسلم وكسرت فيها رباعية النبى اليمنى وشج وجهه وكلمت شفته السفلى ودخلت حلقتان من مغفره في وجنته . وقد ورد عن عائشة رضى الله عنها ان أبا عبيدة بن الجراح نزع احدى الحلقتين من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقطت ثنيته . ثم نزع الاخرى فنزعت ثنيته الثانية . فكان ساقط الثنيتين . وهناك قبة يقال لها قبة السن الشريف وقد كان أهل المدينة نقلوا بعد انتهاء هذه الوقعة بعض قتلاهم لدفنهم فيها ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم منعهم قائلا: « ادفنوهم حيث صرعوا » وعليه فقد دفن حمزة فى مصرعه الذى عليه الى الآن قبة يقال لها قبة المصرع شرق مسجده الحالى الذى نقلت جثته اليه فيما بعد لما عبث السيل بقبره الاول . ومن حوله قبور الشهداء الذين قتلوا فى هذه الوقعة وعددهم نيف وسبعون وفى نهاية الوادى الى الشمال جبل أحد . وهو جبل صخرى من الجرنيت . وهو وان كان من السلسلة الجبلية التى تخترق بلاد العرب الا أنه يكاد يكون منفصلا عنها وطوله من الشرق الى الغرب نحو ستة كيلو مترات

« والبقيع له عند المسلمين مكانة عظيمة ويقال له بقيع الغرقد لانه يكثر فيه هذا النوع من الشجر وبه دفن نحو عشرة آلاف من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين وكثير من آل بيت النبوة صلوات الله عليهم ومنهم سيدنا على زين العابدين بن سيدنا الحسين وولده محمد الباقر

وولده جعفر الصادق ، والاخيران فى قبة سيدنا العباس ، وكان بالبقيع قباب كثيرة هدمها الوهابيون

«ومن مزارات المدينة المباركة مسجد الراية ، ومسجد الفتح ، ومسجد القبلتين ، ومسجد السقيا ، ومسجد الغمامة (بالمناخة) ومسجد على (فى طريق قباء) ومسجد المائدة (أمام البقيع من جهة الشرق) ومسجد الاحزاب (وراء جبل سلع الذى هو على يسار الخارج من الباب الشامى) ، ثم مسجد عروة

« وأهل المدينة يشربون من آبار كثيرة منها : بئر الاعوام وبئر أنس بن مالك وبئر رومة التى اشتراها عثمان بن عفان لشرب المسلمين منها فى صدر الاسلام وفيها بئر القويم ، وبئر العباسة ، وبئر صفية ، وبئر البويرة ، وبئر فاطمة ، وبئر عروة وكان أهل المدينة فى السابق يهدون من ماء البئرين الاخريين للملوك وكبار المسلمين . وفى قباء بئر يسمونها بئر الخاتم وهى بئر أريس التى وقع فيها خاتم النبى صلى الله عليه وسلم من عثمان بن عفان وهو خايفة وكانوا لذلك الوقت يختمون به على مكاتباتهم وكان نقشه (محمد رسول الله)

«وماء المدينة الذى عليه مدار سقياها من العين الزرقاء التى توجد غربى مسجد قباء وماؤها عذب لذيذ وسميت بالزرقاء نسبة الى مروان بن الحكم التى أجراها بأمر معاوية رضى الله عنه وقت أن كان عاملا على المدينة (وكان يسمى الازرق لزرقة عينيه) وهى موضع عناية كل الملوك والسلاطين الى هذا الزمان ويعد ماء هذه العين مجرى مأخوذ من عين فى قباء ايضا يسمونها عين النبى . وماؤها يسير الى المدينة فى قناة مبنية بناء متينا وقد تفرع من هذا المجرى فروع كثيرة فى جهات المدينة وبنى لها خزانات تنزل عن سطح الارض بنحو عشرة أمتار يملأ منها السقاؤن الماء ويوزعونه على مساكن المدينة وقد ينزل الناس بواسطة سلالم من حجر الى هذا المجرى فيملأون جرارهم من حنفيات مثبتة فيه وبهذا ترى ان مياه هذه العين نظيفة وبعيدة عن التلوث وهو السبب الوحيد فى عدم تعرض المدينة غالبا الى الاوبئة التى تحصل فى الجهات الاخرى من بلاد العرب التى لم يعتن بالماء فيها مثل مكه ومنى وجدة وينبع

«وهذه العين كان يقوم بتعميرها أمراء المسلمين وقد تخربت فى أوائل الحكم العثمانى ومكث أهل مدين زمنا طويلا وهم فى ضيق شديد حتى عمرها السلطان سليمان سنة (٩٣٢) ثم جرفها السيل سنة (٩٩٠) فأمر بتعميرها السلطان مرادخان واشترى بئر الغربالى وألحقها بها .وفى سنة ١١١١ أمر السلطان مصطفى العثمانى فاشتريت بئر العقد وألحقت بها أيضا ومازالت حتى بناها السلطان سليم سنة ١٢١٢ . ولما حاصر الوهابيون المدينة خربوها فأصلحها محمد على باشا ثم جددها السلطان عبد الحميد بما صارت معه عظيمه الفائدة كبيرة المنفعة جزاهم الله خيرا

« وفى ضواحى المدينة عدا العين الزرقاء عين كهف غربى جبل سلع وعين الخيف وتجرى من عوالى المدينة وعين الوادى بجوار قبر حمزة . ثم عين السلطان وهى مالحة وتجرى من قباء الى المدينة فتطهر بالوعاتها ومجاريها ثم تسير الى بساتين المدينة من خارجها

« ويوجد فى المدينه من الجهة الشمالية حدائق كثيرة بالقرب من السور منها حديقة الداودية وحديقة الزكى والسبيل وبصاعة وبضيعة والطرناوية والفيروزية والربتية والدرويشية وبئر حاء والتوانية والجودية والكاتبية والسمانية .وفى داخل السور الحدائق الرومية وفى الجهة الشرقية بساتين وكروم كثيرة من النخيل.وفى جهة قباء وذى الحليفة والعوالى شىء كثير من المزارع والبساتين والاخيرة مشهورة بثمرها ويزرع فيها كثير من الخضروات مثل الكرنب والقنبيط (القرنبيط) والكرات أبو شوشة والحرشوف والبامية والملوخية والباذنجان والقوطة والقرع واللوبياء والفاصولياء والرجلة والاسفاناخ والخبيزة والكرفس والمقدونس ومن الفاكهة البطيخ والقاوون والخوخ والرمان والعنب والموز والتمر والليمون والبرتقال والليم (وهو نوع من الاترج كبير الحجم)

«وحول المدينة وديان كثيرة وينزل فيها كثير من مجارى السيول التى تسير بها الى بساتينها وخصوصا فى الجهات المنخفضة منها . وقد ترتفع مناسيب هذه السيول فى بعض السنين فتضر بالمدينة وضواحيها ضرراً بليغا . وفى خلافة سيدنا عثمان فاض وادى مهروز فيضانا كاد يقوض اركان المدينة فأمر ببناء سدين عند بئر عمورى

وحول ذلك السيل الى وادى بطحان . وفى سنة ١٥٠ نزلت السيول بكثرة على المدينة فأزعجت أهلها وأغرقت صدقاتها وكان ذلك فى خلافة أبى جعفر المنصور فأمر فبنيت السدود فى أعالى المدينة فتحولت السيول الى جهات أخرى . وفى سنة ٧٣٤ فاض وادى القناة فأغرق الجهة الشمالية من المدينة الى جبل أحد وانقطع الناس بسببه عن زيارة سيدنا حمزة شهورا. وفى سنة ١٣٢٨ نزل السيل الى المدينة وتكونت مياهه عند جبل أحد وبلغ عمقها نحو نصف متر

« أهل المدينة يبلغ عددهم ستين الفا منهم كثير من المجاورين الاجانب وأكثرهم من الهنود والاتراك والشوام والمغاربة والمصريين . ومن أشهر عائلات المدينة عائلة أسعد وهم سادات ، وعائلة برى وهم مغاربة ، وعائلة السمهودى وهم مصريون . ولكبار أهل المدينة مرتبات من الدولة ولكثير منهم مرتبات من الحضرة الخديوية وأغلبهم يعيش من وراء خدمة الحرم وخصوصا فى الموسم ومنهم كثير من المرشدين الى محال الزيارة ويسمونهم مزورين . وهؤلاء يؤدون فى المدينة وظيفة المطوفين فى مكة . ومنهم من يعيش من التجارة البسيطة ، والمصريون يتجرون فى الحبوب كالقمح والعدس ويأتون بها من طريق القصير

« وأهل المدينة يعبرون عن الجهات بالشام للشمال ، والبحرى للمغرب (لانه الى جهة البحر) والشرق للشرق والقبلى للجنوب (لانه جهة القبلة) ، ومنهم أخذ المصريون هذه التسمية واستعملوها فى غير محلها فى اطلاق القبلى على الجنوب لان القبلى عندهم انما هو الشرق الجنوبى كما لا يخفى

« ومن عادات أهل المدينة الرياضة والتنزه فى البساتين خارج المدينة فيخرجون اليها فى يوم الثلاثاء والجمعة بعد صلاة العصر جماعات جماعات ويعودون فى المساء وقد يخرجون الى هذه الرياضة من أول اليوم ومعهم غذاؤهم فيمضون نهارهم فى أحد البساتين التى بضواحى المدينة فى سرور وحبور ويسمون هذه الفسحة مقيالا

« ومن عاداتهم القديمة ان كل واحد منهم يقدم كل سنة فى ليلة السابع والعشرين من ذى القعدة مقداراً من الحنطة على سبيل الهدية الى الحجرة الشريفة . وبعد ان

لنفسها وينظفها جيداً يضعها فى كيس جديد من القماش اللطيف الابيض حتى اذا وصل الى الباب الذى فى المقابلة الشريفة استغاث برسول الله ثم وضع الكيس بكل أدب داخل الحجرة الشريفة. وهذه الاكياس يأخذها خدمة الحجرة المطهرة ويهدون منها الى عظماء المسلمين على سبيل البركة

« ومن عاداتهم استقبال الزوار خارج المدينة من غير سابقة معرفة بهم كل واحد منهم يدعو الى ضيافته ما استطاع من ضيوف رسول الله فيأتى بهم الى منزله ويمهد الفراش ويجهز الطعام اللازم لهم ، ويقضى مدة إقامتهم فى المدينة وهو فى خدمتهم بصدق واخلاص غير ملتفت الى أجر يصيبه منهم وان فعلوا فليس على كل حال الا أقل مما يجب بالنسبة لهم ، ومن أكل عاداتهم أن ربة المنزل مهما بلغ من شأنها هى التى تشتغل بداخليتها وتقوم بطهى الطعام بنفسها ولا تباشر ذلك الا وهى على وضوء تام

«ومن عاداتهم فى مواليدهم أن الطفل اذا مضى عليه أربعين يوما غسلوه ونظفوه وألبسوه ملابس جميلة بيضاء وبعد أن يعطروه يأخذه أهله وهم فى أحسن زينة لهم الى الحجرة الشريفة فيأخذه الخدمة ويضعونه فيها ويغطونه بستارتها ثم يدعون له بخير وبعده يسلم الولد الى أمه فتأخذه فرحة هاشة باشة

« ومن عاداتهم أنهم لا ينوحون اذا مات لهم ميت ولا يبكون ، بل يأخذونه ويدخلون من باب الرحمة حتى يصلوا به الى الحجرة الشريفة فيصلون عليه ويخرجون به من باب جبريل الى البقيع فيدفنونه مكبرين مصلين على الرسول، وهنالك يقف صاحب الميت على باب الجبانة فيعزيه الناس . وهى عادة قديمة من يوم وفاة سيدنا الحسن بن على رضى الله عنه فانه بعد دفنه وقف أخوه سيدنا الحسين رضى الله عنه على باب البقيع واستقبل تعازى المعزين

« ومن عاداتهم أنهم يخرجون يوم الخميس نساء ورجالا بعد صلاة العصر الى البقيع ويلقون على القبور شيأ من الرياحين وهى سنة عن النبى صلى الله عليه وسلم

«ومن عاداتهم فى شهر رمضان انهم يتوجهون الى الحرم قبل المغرب بنحو ساعة ويجلسون حول الحجرة الشريفة ويمضون

بقية نهارهم فى قراءة القرآن الشريف والذكر والصلاة على الرسول فاذا ضرب مدفع الافطار يكون حضر لكل واحد منهم صينية فيها افطار خفيف كالفطير والجبن والزيتون والبلح والحلوى وما أشبه ذلك فيفطر كل منهم مع من يدعوه الى طعامه من الغرباء ، ثم يعطى بقية أكله الى من هناك من الفقراء ، ويقضون فى هذه الفترة نحو ربع ساعة ، وبعدها تقام الصلاة فيصلون المغرب ثم يعودون الى منازلهم مع من يصادفهم من الضيوف ، فيتعشون ثم يعودون الى المسجد لصلاة العشاء ، وبعدها تبتدىء صلاة التراويح فينقسم المصلون الى خمسين او ستين جماعة لكل منهم امام مخصوص يضعون فى مقابلته شمعدانين بهيئات مختلفة يدل كل واحد على ما اذا كان الامام يطول فى صلاته أو يتوسط او يقصر فيصلى كل انسان وراء من يريده ، وبعد ختام التراويح يجرى احتفال الشمع . ذلك انهم فى رمضان يخرجون كل ما فى خزائن الحجرة الشريفة من الشمعدانات الذهبية والفضية فيستعملونها امام هذه الائمة كاينا ، وبعد الصلاة يعيدونها الى الحجرة الشريفة باحتفال كبير . ويتشرف بحمل هذه الشمعدانات من يحضر من الامراء والاعيان بدعوة خصوصية ترسل اليهم من شيخ الفراشة النبوية . وصلاة الصبح فيها شىء من ذلك

« أما صلاة العيد فيصليها فى المسجد النبوى امامان بجماعتين واحد شافعى والثانى حنفى وبعد الصلاة يتشرف الجمع بزيارة السيد الرسول ثم يعودون الى منازلهم ويقضون أيام العيد فى تزاور وسرور وحبور

« وكانت المدينة فى القرون الثلاثة الاولى للهجرة فى غاية الرقى الادبى والمادى . وكانت بساتينها تملأ الفضاء المحيط بها وعلى الخصوص من الشمال الشرقى والجنوب وكان للقوم بها رياض زاهرة وقصور فاخرة فى وادى العقيق الذى كان يفور ماؤه ، ويبهر رواؤه ، وتزهو ارجاؤه ، ويكثر زهره ، ويفوح عطره ، ويجنى ثمره ، وكان أغلبها لازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أماكنه المشهورة الرغابة واضم والغابة وحصير والخليقة والجثجاثة وكلها كانت لعبد الله بن الزبير وبنيه ، ثم حمراء الاسد وكان بها قصور لغير واحد

من القرشيين ، وخاخ وكانت للعلويين وفيها يقول الاحوص :

لها منزل بروضة خاخ
ومصيف بالقصر قصر قباء

« ومن أشهر أماكنها ثنية الشريد والفراس والمعرس والبيداء وكان في حميمها منازل الاشراف من قريش وخصوصا على سفح جبل عير على يمين المقبل من مكه وكان في الجهة الاخرى مكان اسمه الجماء وتجاهها في صيق حرة الوبر على أربعة أميال من المدينة الى صُفيرة أرض عروة ابن الزبير وبها قصره المشهور بقصر العتيق وبئره المشهورة باسمه والتى فيها يقول الشاعر :

كفنونى ان مت فى درع أروى
واستقوا لى من بئر عروة ماء

« وكان يوجد أسفل هذا القصر تجاه الجماء مكان يقال له العروصة وبه كان قصر سعيد بن العاص الذى يقول فيه أبو قطيفة :

القصر ذو النخل فالجماء بينهما
أشهى الى القلب من جماء جيرون

« ويقال ان آثار هذا القصر موجودة الى الآن وكان سعيد عاملا لمعاوية على المدينة وكان هذا القصر فى أيامه آية من آيات القرن الاول الهجرى وأعجوبة من أعاجيبه حتى فضله الشاعر عن أبواب جيرون (دمشق) التى كانت فى ذلك العهد عاصمة الخلافة ومكان فخامتها وأبهتها ، وهى الى اليوم آية من آيات الله فى جمالها وبهائها لان القادم عليها من الجنوب يخترق الغوطة وما أدراك ماهية ، جنة زاهية ، واذا قدمها من الغرب يخترق المرج وهو نزهة الزائرين ، وبهجة للناظرين

«ومن القصور التى كانت مشهورة بوادى العتيق قصر عاصم ، وقصر محمد ابن عيسى ، وقصر يزيد بن عبد الملك ابن المغيرة ، وقصر جعفر بن سليمان ، وقصر أبى هاشم ، وقصر عنبسة بن عمرو ابن عثمان بن عفان ، وقصر عنبسة بن سعيد بن العاص . وقصر عبد الله بن أبى بكر بن عثمان بن عفان ، وقصر خارجة ، وقصر عبد الله بن عامر ، وقصر مروان ابن الحكم وآثار هذه القصور يوجد منها الى الآن شىء كثير يدل على عظمة وادى العتيق وفخامته وفى ذلك يقول الشاعر :

ألا أيها الرعب المحثون هل لكم
بأهل عتيق والمنازل من علم
فقالوا نعم تلك الطلول كعهدها
تلوح وما يغنى سؤالك عن علم

« ويظهر ان أول من شيد البناء فى المدينة هو عثمان بن عفان فقد شيد داره فيها بالحجارة والكلس وجعل أبوابها من الساج والعرعر ، وكان له بوادى القرى وحنين من الضياع ماقدروه بعد موته بثلثة الف دينار . وفى أيامه اقتنى أصحابه بالمدينة الضياع الواسعة والدور الفسيحة وابتنى سعد بن أبى وقاص داره بالعقيق فرفع بناءها ووسع فناءها وجعل فى أعلاها شرفات . وابتنى المقداد داره بالجرف على أميال من المدينة وجعلها مجصصة الظاهر والباطن

« وفخامة العمارة بالمدينة لم تبتدىء بها الا بعد الخلفاء الراشدين ، لان الخلافة لما آل أمرها للامويين اخذوا يهيلون العطايا على قريش وعلى سادات الانصار والمهاجرين بالمدينة حتى يستميلوهم اليهم أو على الاقل يشغلوهم بأنفسهم عنهم . فكثرت ثروتهم وغزرت مادتهم وأخذوا يقلدون بنى أمية فى سعة العيش ورفه الحياة فى المأكل والملبس والمسكن فشيدوا العمارات الفخمة وحفروا الآبار فى تلكم الصحراء وغرسوا فيها البساتين والرياض وصيروا اليها الجثاوات (جمع جثاء وهو مجرى الماء الغزير) وصيروا المدينة روضة زاهرة ، وجنة باهرة ، ومازالوا فى رفاهة هذا العيش حتى اذا ضعفت الخلافة فى مبدأ القرن الرابع الهجرى انقطعت اعطياتهم فتغير حالهم ، وانقشعت سحابة رفههم ، وسبحان من له الدوام

« وضعفت المدينة بضعف الخلافة العربية فصارت عرضة لهجمات الاعراب، وغزوات البدو ، فقام عضد الدولة أبو شجاع وزير الطائع لله وبنى سورا حول المدينة سنة (٣٨٠) وبقى هذا السور حتى تداعت أركانه فى منتصف القرن الخامس فبناه الامير جمال الدين وزير صاحب الموصل وصاحب رباط الاعجام بالمدينة وزاد فيه نور الدين بن زنكى سنة (٥٥٨) أثناء عمارته للحجرة الشريفة . ثم بناه الملك الصالح بن قلاون سنة (٧٥٥) ثم السلطان قايتباى سنة (٨٨١) ثم السلطان سليم العثمانى سنة (٩٣٩) وعمره محمد على باشا والى مصر بعد حرب الوهابية ، وهو

الذى فتح فيه الباب المصرى . وجدده السلطان عبد العزيز سنة ١٢٨٥ وجعل ارتفاعه نحو ٢٥ مترا وبنى فيه ٤٠ برجا تشرف على ضواحي المدينة للدفاع عنها وهذا السور باق للآن وهو فى طريق باب العنبرية وعلى محيطه المزاغل والابراج المشحونة بالمدافع والذخائر الحربية لصد هجمات الأعراب الذين كثيرا ماكانوا ولا يزالون يعتدون على حرم رسول الله

«وأما سورها الخارجي فليس بذى أهمية تذكر وهو مهدم فى كثير من جهاته وفيما بين السورين يعنى فيما بين الباب المصرى وباب العنبرية واد كبير متوسط عرضه ٤٠٠ مترا يقال له المناخة وسميت بذلك لان أغلب الحجاج ينيخون جمالهم فيها ويقيمون بها مدة الزيارة ، وفيها مقام ركب المحمل المصرى مدة وجوده بالمدينة وحول المناخة من جهتها الخارجية أبنية كثيرة أحسنها ماكان على الشارع العمومى وهو شارع محطة السكه الحديدية ويسمى الآن بالشارع الرشادى وفيه التكية المصرية ولها مرتبات من مصر وتعمل بها الشوربة يوميا للفقراء على النظام الذى تقدم فى تكية مكة ، وفيه قشلاق للعساكر الشاهانية وكلاهما من بناء المرحوم ابراهيم باشا جد العائلة الخديوية

«وللمدينة ثمانية أبواب وهى الباب المجيدى والباب الشامى وباب الكوفة وباب العنبرية وباب توبة وباب العوالى وباب الجمعة وتقفل أبواب المدينة فى وجه الزائرين من الحجاج اذا تحقق أنهم ملوثون بالوباء ولكنهم يفتحون لهم طريقا من الباب المجيدى الى باب الحرم فيزورون ويسافرون بعد يوم أو يومين على الاكثر بقوافلهم التى يجب ان تكون مخيمة خارج البلد . وبذلك ترى أهل المدينة على الدوام بعيدين عن الاوبئة بالمرة ولكنهم فى هذه الحالة لايفتحون للحجاج الا بابا واحدا من الحرم ، فيتراكمون بعضهم على بعض ويزدحمون فى الطريق الموصل الى هذا الباب حتى اذا وصلوا اليه أخذوا يتدافعون للدخول الى المسجد وهناك يجدون مثين ممن فى داخله متدافعين للخروج منه فتلتحم القوتان ولا يزالون حتى يظهر فريق منهم على الآخر فيهجمون عليهم ويطأونهم بأقدامهم ويموت من جراء ذلك خلق كثير كما حصل فى سنة ١٣٢٦ وعليه فيجدر بمشيخة الحرم فى مثل هذه الاحوال ان

تجعل بابا من الحرم للداخلين وآخر للخارجين وبذلك يتوفر عليها وعلى الناس مثل هذه المشقة

«ومناخ المدينة صحى جدا وربما كان ذلك من الاسباب التى ساعدت على رقة أهلها ولنافة أمزجتهم التى اذا أضفت اليها ماهم عليه غالبا من الصلاح والورع والادب وحسن المعاشرة حكمت لهم بأنهم أحسن أهل بلاد العرب على الاطلاق فى مكارم الاخلاق وليس ذلك بعجيب فمجاورتهم للسيد الرسول أكسبتهم كثيراً من أخلاقه الكاملة. على أن من يفكر فى أن الرسول عليه الصلاة والسلام انما اختص أهل المدينة بالهجرة الى بلدتهم يحكم حكما قطعيا بأن مكارم الاخلاق فيهم من زمن بعيد وقد زادها الاسلام جمالا على جمالها وكمالا على كمالها وحسبك أن السيد الرسول بعد أن أدى مأموريته من اظهار الدعوة ونشر راية الدين الاسلامى وتقوية دعائمه بحال لا يدخل معها الوهن الى أى جانب من جوانبه أظهر فى حجة الوداع أنه لا يريد الموت الابين ظهرانى الانصار الذين نرى اليوم من خلفهم على سنتهم رضى الله عنهم أجمعين» انتهى ما نقلناه عن كتاب الرحلة الحجازية للفاضل محمد لبيب بك البتنونى

﴿الحرم المدنى﴾ لانرى بدآ من نقل هذا الفصل ايضا عن كتاب الرحلة الحجازية لحضرة الفاضل محمد لبيب بك البتنونى لانه شاهد الحرم المدنى بنفسه ووصفه على أسلوب يجعل مطالعه كمن شاركه فى الرؤية قال حضرته :

«الحرم المدنى وهو مسجد النبى صلى الله عليه وسلم واقع فى وسط المدينة بميل الى الشرق وهو لطيف الشكل جميل المنظر على هيئة مستطيل متوسط طوله من الشمال الى الجنوب مئة وستة عشر مترا وربع ، وعرضه من الشرق الى الغرب من جهة القبلة ستة وثمانون مترا وخمسة وثلاثون سنتيمترا ومن جهة الباب الشامى ستة وستون مترا وينقسم فى وضعه الى قسمين المسجد والصحن . والمسجد يبتدىء من قبلة عثمان أعنى من الحائط القبلى الى الصحن من جهة وفى طول مابين باب الرحمة وبين باب النساء من جهة أخرى وهذا القسم جميعه مغطى بقباب ترتكز على أقواس قامت على عمد من الصوان

المكسو بطبقة من المرمر الموشى بماء الذهب والقسم الثانى وهو الصحن ويسمونه الحصوة شكله مستطيل الى الباب الشامى ويحيط به من جهاته الثلاث اروقة فيها ثلاثة أعمدة تحمل أقواسا رفعت عليها قباب تناطح السحاب .

« وعدد جميع أعمدة الحرم الشريف بما فيها الملتصقة بحوائطه يبلغ ثلاث مئة وسبعة وعشرين عمودا منها ٢٢ داخل المقصورة الشريفة . وفى مدخل الباب الشامي المدرسة المجيدية وفيها كتابان لتعليم القرآن على الطريقة القديمة فى ريف مصر غير أن القرآن لا يحفظ فيها عن ظهر قلب بأجمعه . ويوجد فى الدور الثانى كتاب يقال أنه يدرس فيه غير القرآن المجيد شىء من الحساب ولهذا المدخل باب للحرم من الداخل يسمونه باب التوسل والى جانبه فى جهة الغرب محل للاغوات المخصصين لخدمة الحرم الشريف وفيه ميضاتهم وأمكنتهم راحتهم والى جواره مخزن الزيت المخصص لتنوير الحرم ثم باب المدرسة (على ما أظن) وهذه الابواب الثلاثة فى الرواق الشمالى . وفى وسط الصحن بميل الى الشرق حظيرة صغيرة سورت بداربزين من الحديد وفيها بعض نخل صغير تثبت حول نخلة عالية يقال أنها أثر نخلة كانت فى هذا المكان للسيدة فاطمة رضى الله عنها . وقبلى هذه الحظيرة بئر ماؤها لذيذ اسمها بئر النبى وبعضهم يسميها زمزم المدينة ومن وراء هذه الحظيرة أقيمت شبكة من خشب الشيش على طول الرواق الشرقى عملت فى عمارة السلطان عبد المجيد اشارة الى أنه مخصص للنساء ففيه صلاتهن واقامتهن فى الحرم . وفى جنوب هذا الرواق دكة للاغوات المخصصين لخدمة الحرم الشريف وهى مصطبة سطحها نحو ١٢ مترا طولا فى مترٍ عرضا وترفع عن الارض بمسافة نحو ٤٠ سنتى مترا وكانت فى عهده صلى الله عليه وسلم مكانا لأهل الصفة وهم قوم من العفاة والمتقاعدين كان يصرف اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ما كان يقوم بحياتهم من غذاء وكساء وكان منهم أبو هريرة وأبو ذر الغفارى رضى الله عنهما وتجاه هذه الدكة من الجنوب دكة أخرى أصغر منها متصلة بالمقصورة الشريفة من جهة الشمال وكان يتهجد فى مكانها النبى صلى الله عليه وسلم ويفصل بين الدكتين

طريق الى باب جبريل شرقا . وعلى يمين الداخل منه دكة صغيرة يجلس عليها شيخ الحرم والى جوارها مخزن بالمقصورة الشريفة التى توجد في الجهة القبلية الشريفة من الحرم

« والروضة الشريفة فى غرب المقصورة الشريفة . وهى مسافة ما بين القبر الشريف ومنبر الرسول صلوات الله وسلامه عليه لقوله « ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة » وهي تبلغ ٢٢ مترا طولا فى نحو ١٥ عرضا ويفصل الروضة عن زيادتى عمر وعثمان التين فى حنوبها درابزين من النحاس الأصفر ارتفاعه نحو متر

« والروضة على الدوام غاصة الناس لشرف مكانتها وفيها مما يلى هذا الدرابزين ربعات قرآنية كثيرة وعدد كبير من المصاحف المختلفة الحجم منها ما هو بحرف الطبع ومنها ما هو بخط اليد الجميل والى جانبها نسخ كبيرة من دلائل الخيرات وكل ذلك موقوف عليها للقارئين من الزوار . وفى غرب الروضة الشريفة قبلته صلى الله عليه وسلم وهى آية من آيات الله فى كمال بهجتها وجمال صنعتها وهى على استقامة المقصورة الشريفة من جهة القبلة وضعها عليه الصلاة والسلام يوم الثلاثاء الموافق نصف شعبان من السنة الثانية للهجرة عند ما أمره الله تعالى بالصلاة الى الكعبة المكرمة والى غرب القبلة المنبر الشريف وهو من الرخام المنقوش بالليقة الذهبية الفاخرة وعلى غاية من الجمال ودقة الصناعة ارسل هدية من السلطان مراد الثالث الى الحرم سنة (٩٩٧) للهجرة فوضع فى مكان المنبر الذى كان به لقايتباى وهو نفس المكان الذى كان به منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم

« ومما ينبغى الاشارة اليه اننا صلينا الجمعة فى المسجد النبوى على صاحبه افضل الصلاة والتحية وكان الزحام شديداً وبعد أن زار الخطيب المقصورة الشريفة واستأذن الخطبة من الحضرة النبوية على حسب عاداتهم حضر لابسا قاووقا يسمونه كوداپان تحف به الاغاوات من كل جانب ثم صعد المنبر ومال الى جهة اليمين أعنى الى المقام الاشرف الاقدس النبوى وبعد أن سلم بغاية الادب حمد الله وجعل خطبته كلها مبنية على سرد كثير من الاحاديث الشريفة فى موضوع الحج والزيارة

وضرورة توحيد القلوب وتقوية الوصلة والرابطه بين أفراد المسلمين وكان يستند فى نصائحه على أحاديث نبوية . فكان يقول مثلا ورد عن فلان عن فلان عن نبيكم هذا ويشير بيده الى الحجرة الشريفة ثم يسرد الحديث ، فكان لخطبته تأثير على القلوب لايمكن تكييفه ولا توصيفه

« ويوجد بالحرم النبوى للخدمة فيه نحو الف نفس منهم ٤٦ خطيبا يتولى الواحد منهم خطبة الجمعة مرة واحدة فى السنة طبقا لترتيب مخصوص لا يتعدونه ولهم وكلاء كثيرون يتناوبون الخطبة عند غياب الخطيب و ٣٨ اماما و ٦٢ مساعد أمام يتناوبون الامامة فى الصلاة و ٥٠ مؤذنا و ٢٨ مساعد مؤذن و ٥١ كناسا و ١١ بوابا و ٢٦ صائغا وحاجبا وخياطا وخلافهم و ١٠ سقائين و ٤ ملائين و ٧٥٠٠ لغسل وتنظيف وتعبئة قناديل الحرم . أما الذين يقومون بحراسة الحجرة الشريفة والخدمة فيها فهم الاغاوات وأول من رتبهم للخدمة نور الدين الشهيد وكانوا اثنى عشر واشترط أن يكونوا من حملة القرآن الكريم وخفظته وجعل عليهم شيخا منهم وزادهم يوسف صلاح الدين الايوبى اثنى عشر آخرين ومن ثم اخذت الملوك والسلاطين تزيد فى عددهم الى الآن وقد وصل عددهم فى بعض الازمان الى أكثر من مئة شخص ولهم أوقاف مخصوصة ومرتبات تأتيهم سنويا من الآستانة وغيرها ولهم دور بالمدينة يسكنون بها وأغلب خدمة الحرم الشريف من غير مرتبات ويعيشون من خيرات ذوى البر والاحسان والقاعدة فى خدمة الحرم الشريف انه من يموت منهم توزع وظيفته ومرتبه على اولاده جميعا فاذا مات الخطيب مثلا وكان مرتبه مئة قرش تعين بنوه فى مركزه ووزع مرتبه عليهم وتولى العمل مكانه أكبرهم وهكذا باقى الخدمة ولذلك ترى مرتبات الكل غير كافية لمعاشهم

« والحرم مفروش بأنواع السجاد العجمى الثمين وفيه شىء كثير من الابسطة المصنوعة بفوريقة هركة الشهيره وخصوصا فى الروضة الشريفة وبالجملة فهو آية من آيات الله فى نظافته ولطافته وحسن بهائه ورونقه حتى ان الذى يدخله لايود ان يبارحه مطلقا

وله خمسة أبواب باب السلام وباب الرحمة فى الغرب والباب المجيدى فى الشمال

وباب النساء وباب جبريل (وباب البقيع) في الشرق وتقفل هذه الابواب كلها بعد صلاة العشاء الى قبل الفجر وهي سنة من عهد عمر رضي الله عنه ويوجد بجوار باب الرحمة وباب السلام من الخارج حنفيات للوضوء من عمل السلطان عبد الحميد كما توجد امكنة للحاجة على بعد منها

(أصل الحرم المدني وعمارته والزيادة فيه) الحرم الشريف يحتوي الآن على مسجده صلى الله عليه وسلم وعلى بيت عائشة التي دخل عليها فيه في الشهر السابع للهجرة وعلى حجرات زوجاته رضي الله عنهن مع الزيادة التي زيدت فيه وكان يحيط بمسجده الشريف في مدته صلى الله عليه وسلم مساكن زوجاته وأصحابه رضي الله عنهم. فكانت مساكن ازواجه في الجهة الجنوبية وفي بعض الشرقية من الحرم وكان يفصل بينه وبينها طريق عرضه خمسة اذرع

«وكانت دار أبي أيوب الانصاري ودار عثمان بن عفان رضي الله عنهما جهة الشرق ولا تزالان موجودتين الى الآن وان كانت صورتهما قد اختلفت عما كانت عليه في صدر الاسلام . وفي زاوية دار لعثمان المقابلة للحرم الشريف حجرة فيها شباك عليه لوحة من الخارج مكتوب فيها (مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه) ويسكن شيخ الحرم عادة في هذه الدار

« وكانت منازل آل عمر رضي الله عنهم الى جنوب المسجد الشريف ويوجد الى الآن بستان ملاصق للحرم في اتجاه الحجرة الشريفة من جهة القبلة جعله حرما له ، وبه باب في خارجه مكتوب عليه (ديار آل عمر) . وكان بجوارها من الغرب دار العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دار مروان بن الحكم وكانت على يمين الداخل من باب السلام وكان في غرب المسجد دار ابي بكر رضي الله عنه والى جوارها شمالا مما يلي باب الرحمة دار عبد الرحمن بن عوف وهذه الدور كانت كلها فتحات على المسجد فراى صلى الله عليه وسلم أن يسدها فقال (لا يبقين في المسجد خوخة الا خوخة أبي بكر) فسدت جميعها الا خوخته رضي الله عنه. ولا يزال في جدار المسجد شمال باب السلام باب صغير (لحزن امام المقصورة الشريفة) بمثل هذه الخوخة وموضوع عليه لوحة

كبيرة مكتوب فيها الحديث المذكور غاية فى الجمال

« واول من جدد فى عمارة المسجد النبوى عمر رضى الله عنه فبنى حوائطه وغير بعض أساطينه ووسع فيه قليلا أما عثمان فقد زاد فيه الى قبالته الجنوبية وبناه بالجص والحجارة . وفى سنة ثمان وثمانين أرسل الوليد بن عبد الملك لعامله على المدينة عمر بن عبد العزيز فزاد فى المسجد شرقا وغربا وجنوبا وأدخل فيه حجرات أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وبنى له أربع مآذن وفرش أرضه بالرخام ووشى حوائطه بالفسيساء (الموازييك) وكسا سقفه بالذهب وجعل اساطينه من المرمر . ثم زاد فيه المهدى العباسى سنة مئة وستين وقام بعمارته احسن قيام ثم عمره الخليفة المستعصم ثم الطاهر بيبرس وفى سنة ثمان وسبعين وست مئة اقام الناصر قلاوون قبة الحجرة الشريفة ولم يكن لها قبة قبل ذلك . ثم عمره الاشرف برسباى سنة احدى وثلاثين وثمان مئة . ثم الظاهر برقوق سنة ثلاث وخمسين وثمان مئة وفى سنة ست وثمانين وثمان مئة انقضت صاعقة على المسجد فأحرقته جميعه بحال مريعة لم ير الراؤون مثلها ولم يمكن اهل المدينة ان يقوموا فى وجه النار التى لم تكن تبقى على شىء فى طريقها الا انها لم تمس الحجرة الشريفه بشىء بالمرة وبمجرد ما بلغ هذا الخبر السلطان قايتباى ملك مصر امر فى الحال بأن ينقل الى المدينة جميع عماله الذين كانوا يشتغلون فى الحرم المكى ومازالوا يشتغلون بهمة فائقة فى الحرم المدنى حتى اتموه على احسن هندام على هذا القوام الحالى وبنوا الحجرة الشريفة على الفخامة والجمال اللذين نراهما عليها الى الآن . واقاموا على القبة الشريفة قبة اخرى اعلى منها . وبنوا فى الجهة الغربية من الحرم على شمال الداخل من باب السلام مدرسة عظيمة ووقف عليها قايتباى الاوقاف الكثيرة وتسمى مدرسة قايتباى الى الآن وقد رأيت له بابا كان أرسل من مصر أثناء هذه العمارة ووضع علي باب السلام ولما وسع هذا المدخل فى عمارة السلطان عبد المجيد نقلوه الى الباب المجيدى وهو من الخشب الثمين المغطى بالقطع النحاسية المنقوشة أو المكتوبة . بل هو من أفخر مايرى الناظرون من الصناعة المصرية القديمة التى قبرت من عصر بعيد وفى سنه ٩٨٠ عمره السلطان

سليم الثانى وبنى فيه بين المنبر الشريف ومدرسة قايتباى قبلة جميلة وشاها بالفسيفساء المنقوشة بماء الذهب وكتب اسمه على ظهرها بالخط الثلث الجميل يشاهده السالك من باب السلام الى الحجرة الشريفة .
وفى سنة ١٢٢٣ بنى السلطان محمود القبة الشريفة ثم أمر بترميمها ودهانها باللون الاخضر فى سنة ١٢٥٥ ومن ثم سميت بالقبة الخضراء وفى سنة ١٢٧٠ أمر السلطان عبد المجيد خان رحمه الله بعمارته والزيادة فيه الى الشمال فكان ذلك وتمت عمارته على ما هى عليه الآن ووشاه بالنقوش والزخارف التى تفوق حد الوصف وكتب على جداره مبتدئا من باب السلام الى الشرق سورة الفتح بالخط الثلث المجوف فى الخط الذى تحتها سورة أخرى بخط أرفع منه ولكنه اكثر تعليقا ومن تحته سطر آخر اصغر من الذى فوقه فيه أسماء النبى صلى الله عليه وسلم وقصيدة البردة مكتوبة فى محيط قباب المسجد وفى الروايا التى ترتكز عليها هذه القباب أسماء الله ورسوله وآله وبعض صحابته. وكل ذلك مكتوب بخط غاية فى جماله وحسن تنسيقه وكمال وضعه وحسبك أنه أثر ذلك الخطاط الشهير المرحوم عبد الله بك زهدى الذى أوفده السلطان عبد المجيد الى المدينة لهذه الغاية ومكث فيها بضعا وعشر سنين يعمل فى بيت رسول الله بما آتاه الله من الاحكام فى صناعته ونبوغ فى مهنته. وقد ورد فى مرآة الحرمين ان هذه العمارة صرف عليها نحو مليون ليرة عثمانية وليس هناك أثر يذكر لمن بعده من الملوك سوى ما أدخل اليه من أسلاك النور الكهربائى فى زمن السلطان عبد الحميد وابتدأت الانارة به فى الحرم الشريف رسميا فى يوم الاحتفال بافتتاح السكة الحديدية الحجازية بالمدينة المنورة فى ٢٥ شعبان سنة ١٣٢٦

« والمقصورة الشريفة من نحاس أصفر غاية فى حسن الصناعة عملت فى مدة العمارة التى قام بها قايتباى فى سنة ٨٨٨ ولها باب على الروضة الشريفة يسمى باب الرحمة او باب الوفود والى جانبه من جهة الجنوب شباك يفتح عليها يسميه الحجاج شباك التوبة وهو الذى يذكرونه فى قسمهم فيقولون « وحياة النبى الذى وضعت يدى على شباكه » ولها أيضا منفذ الى جهة القبلة فى المواجهة الشريفة ويفتح عند الامور الهامة للدخا

والاستغاثة

«ويتصل بهـذه المقصورة من جهة الشمال مقصورة السيدة فاطمة وهى على استقامتها من الغرب وتدخل عنها بمسافة متر ونصف من الشرق

« وطول المقصورة النبوية الشريفة من ضلعها الجنوبى والشمالى ١٦ مترا ومن الشرق والغربى ١٥ مـترا وفى زواياهـا الاربع أعمـدة مزوية عظيمـة بنيت من الحجر الصـلد على ارتفاع السقف وعليها ترتكز قواعد القبة الشريفة . اما مقصورة السيدة فاطمة الزهراء فطولها من الجنوب ١٤ متـرا ونصف ومن الشمال ١٤ مترا ونصف ومن الشرق والغرب نحو سبعة امتار ونصف وهى تتصـل بالمقصورة الكبرى من الداخل ببابين احـدهما الى الشرق والآخر الى الغرب قد أقيم فيما بينهما ضريح على المكان الذى دفنت فيه السيـدة فاطمة على قول الكثيرين . وفى داخل المقصورة الكبرى الحجرة الشريفة وهو المكان الذى توفى به رسول الله صلى الله عليـه وسلم فى اليوم الثانى عشر من ربيع الاول سنـة ١١ للهجرة ودفن فيـه عليه الصلاة والسلام فى اليوم الثانى لقوله صلى الله عليه وسلم « ماقبض نبى الادفن حيث قبض» ورأسه عليه الصلاة والسلام الى الغرب . ولما توفى أبو بكر فى ٢٢ جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة للهجرة دفن الى جانبه من جهة الشمال ورأسـه الى قدمى الرسول عليه الصلاة والسلام . ولما طعن عمر رضى الله عنه استأذن من عائشة أن يدفن مع صاحبه فأذنت له فلما مات يوم الاربعاء ٢٧ ذى الحجة سنة ٢٣ للهجرة دفن الى جوارهما ورأسه محاذيا لمنكبي أبى بكـر رضى الله عنهما . وقـد أقيمت على هـذه القبور الثلاثة مقصورة من البناء على شـكل ذى خمسة اضـلاع ارتفاعه اكثر من ستة امتار . واول من بنى بنى هذه المقصورة عمر بن عبد العزيز فى عمارته للمسجد ونزل أساسها الى غور بعيد وجعلها على الشـكل المزور المتقدم حتى لاتكون مثل الكعبة فى تربيعها خوفا من ان يتخذها الناس قبلة لهم . وكانت الحجرة الشريفة تسع قبرا رابعا ويزعمون انه مكان قبر عيسى عليه السلام بعد نزوله من السماء فى آخر الزمان ؟؟؟ وقد قيل فيه لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة لو أتيت المـدينة وأقمت بها فان مت دفنت مع رسول الله

صلى الله عليه وسلم وصاحبيه رضى الله عنهما فقال والله لأن يعذبنى الله عز وجل بكل عذاب الا النار أحب الى من أن يعلم انى أرى نفسى لذلك اهلا ! فانظر الى درجة أدب الرجل وتنسكه مع ما كان فيه من سعة الملك الذى حاق على أطراف المعمورة بأجمعها رضى الله عنه

«وفى سنة ٥٥٧ بلغ نور الدين زنكى ان الصليبيين الذين كان مشتغلا بمحاربتهم كانوا يعملون لسرقة الجثة الشريفة فأمر باحاطة الحجرة الشريفة ببناء آخر نزل بأساسه الى منابع الماء ثم صب الرصاص على دائره حتى صار بحيث لا يمكن ان تتناوله يد الزمان . وقد وضع على هذا البناء ستر من الحرير الاخضر مكتوب فيه «لا اله الا الله محمد رسول الله» يحيط بها أحجبة مكتوب فيها قوله تعالى : «ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين» وفيما بين ذلك دوائر مكتوب فيها أسماء النبى صلى الله عليه وسلم . ويحيط بهذا الستر (على ارتفاع مترين ونصف تقريبا) حزام من الحرير الاحمر عرضه نحو ثلاثين سنتيمترا مكتوب فيه بقصب الذهب اسم السلطان الذى أمر بعمل الستر الشريف . وهذه الكسوة ترسل من الدولة العلية عند تولية كل ملك من ملوكها . والكسوة الحالية وصلت الى الحجرة الشريفة بعد اعلان الدستور . وأول من كسا الحجرة الشريفة الخيزران أم هرون الرشيد عند ماقدمت فى حجها لزيارة النبى عليه الصلاة والسلام وصارت من بعدها سنة الملوك والسلاطين . وبين بناء المقصورة والشبكة النحاسية الخارجة طرقة متوسطة سعتها نحو ثلاثة امتار من جهاتها الشرقية والغربية والقبلية . وفى زاوية هذه الطرقة من الجنوب كرسى موضوع عليه مصحف شريف كبير أهداه الى الحجرة الشريفة الحجاج بن يوسف الثقفى ويقولون انه من المصاحف الستة التى كتبها عثمان بن عفان

« وسماء هذه الطرقة مملوءة بثريات من الذهب والفضة وخصوصا فى الجهة الجنوبية فيما يقابل الوجه الشريف فان فيها من المشاكى الذهبية منها احدى وثلاثون مشكاة مرصعة بالماس والزمرد والياقوت ومعلقة بسلاسل النضار ومجموع مصابيح الحجرة الشريفة مئة مصباح وستة

« وفى مقابلة الوجه الشريف على جدار المقصورة حجر من الماس البرلانتى فى حجم بيضة الحمام الصغيرة يحيط به أطار من الذهب المرصع ويقدرون ثمنه فى ذاته بثمان مئة الف جنيه . أما فى شرف نسبته الى الحجرة الشريفة فقيمته اكبر من ان تقدر بثمن ويسمونه بالكوكب الدرى لشدة تألقه وعظم سنائه وبهائه . وهو مثبت فى لوحة من الذهب ورصع محيطه بثنتين وسبع وعشرين قطعة كبيرة من الجواهر الثمينة وهـذا الكوكب اهداه للحجرة الشريفة السلطان احمد خان الاول ابن السلطان محمد خان من سلاطين آل عثمان فى مبادىء القرن الحادى عشر الهجرى . وقد علق تحته كف من الذهب المرصع بالجوهر وفى وسطه حجر من الماس أصغر من الكوكب الدرى أهداه اليها السلطان مراد الربع بن السلطان احمد الاول فى سنة (١٠٤٧) للهجرة وهناك لوح كبير من الذهب منقوش فيه بخط جميل جدا بحجارة الماس البرلانتى « لا اله الا الله محمد رسول الله » أهدته اليها صاحبة السمو والعصمة عادلة سلطان بنت السلطان محمود سنة (١٢٩١) هجرية

« وفى هـذه الحجرة الشريفة غير هذا كثير من الجواهر الفاخرة التى لاتقدر بثمن منها قطعة كبيرة على مثال الكردان مكتوب فيه بالماس اسم فاطمة الزهراء وهى موضوعة على مقصورتها الداخلية فى الجانب الشرقى والى جانبها عقد من اللؤلؤ الكبير الحجم لا يماثله شىء فى عظمه وجوهره وعقود أخرى من المرجان النادر المثال ويوجد فيها شمعدانات من الذهب الخالص المرصع بالجواهر الكريمة منها اثنان كبيران طول الواحد منهما نحو مترين أهداهما السلطان عبدالمجيد خان فى سنة (١٢٧٤) وشمعدانان آخران أهداهما السلطان محمود والى جانب هذه الشمعدانات مكانس من اللؤلؤ ومراوح مرصعة بالاحجار الكريمة وعصاقى ومباخر مرصعة وهـذا عدا ما يوجد فى خزائن الحجرة الشريفة من المصاحف المجوهرة والتحف الفاخرة وكثير من الاحجار الكريمة والجواهر الثمينة التى لم تكن مشغولة وغير ذلك من الاساور والاقراط وخلافها وبالجملة فقد قدر ثمن ما بالحجرة الشريفة من الذخائر بسبعة ملايين من الجنيهات

« ولقد كانت الملوك والكبراء والعظماء

يهدون لها فى كل الازمان كثيراً من الجواهر الفاخرة والذخائر الثمينة وكثيرا ماكانت تتطاول اليها يد الاشرار من ولاة المدينة مثل حجاز بن وهبه الذى نهب فى سنة (٨١١) من ذخائر الحرم المدنى ماقدره السمهود بعشرين قنطارا من الذهب . وتبعه فى ذلك الشريف حسن بن زبير المنصورى سنة (٩٠١) هجرية فأخذ منه شيأ كثيرا . وفى مبدأ القرن الثالث عشر الهجرى كانت الحجرة الشريفة عامرة بما لايحصى من الذخائر الثمينة فنهبها الوهابى سنة (١٢٢١) وباع بعضها الى الشريف غالب بخمسين الف ريال وبعد تتميم الصلح بين ابن سعود وطوسون باشا اشترى منه هذا الأخير بعض مانهبه أبوه من آثارها الذهبية بمبلغ الفى جنيه مصرى وردها للحجرة الشريفة وكذلك رد اليها محمد على ماأعطاه اليه الوهابى من ذخائرها واهداها هو بشمعدان كبير من الذهب الخالص وشمعدانين من الفضة مكتوب عليها « العبد المذنب محمد على والى مصر سنة ١٢٢٨ » وأهداها عباس باشا الاول شمعدانات من الفضة وثريتين (نجفتين) من الفضة واحدة ذات ٣٦ شمعة معلقة فى المحراب العثمانى والاخرى ذات ثلاثين شمعة معلقة تجاه الوجه الشريف وثريات وشمعدانات أخرى من البلور. والسعيد باشا وبعض كريمات العائلة الخديوية بالحرم الشريف هدايا أخرى وآخر ماقدم للحجرة الشريفة فى هذا العهد دواليب ثمينة جدا قدمتها اليها دولة والدة الجناب الخديوى السابق لتحفظ فيها هذه الآثار الكريمة جزاها الله خيرا

« وخدمة الحجرة الشريفة يغسلونها فى السنة ثلاث مرات واحدة فى ٩ ربيع الاول والثانية فى أول رجب . والثالثة فى عشر من ذى القعدة ويكون لذلك احتفال كبير . وماء غسيلها يفرقونه فى قوارير على أكابر المسلمين للتبرك به »

المديني هو أبو موسى محمد بن أبى بكر عمر بن أبى عيسى أحمد بن عمر ابن محمد بن عيسى الاصبهانى المدينى الحافظ المشهور

كان امام عصره فى الحفظ والمعرفة وله فى الحديث وعلومه تآليف ممتعة قيمة. صنف كتاب المغيث فى مجلد كمل به كتاب الغريبين للهروى واستدرك عليه. وهو كتاب نافع وكتاب الزيادات فى

جزء لطيف جعله ذيلا لكتاب شيخه أبى الفضل محمد بن طاهر المقدسى الذى سماه الانساب وذكر ما أهمله وما قصر فيه ورحل الى اصبهان فى طلب الحديث ثم رجع اليها وأقام بها وكانت ولادته فى ذى القعدة سنة (٥٠١) وتوفى ليلة الاربعاء تاسع جمادى الاولى سنة (٥٨١)

والمدينى نسبة الى مدينة اصبهان. وقد ذكر الحافظ ابو سعد السمعانى فى كتاب الانساب هذه النسبة الى عدة مدن أولهن مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم والثانية مرو والثالثة نيسابور والرابعة أصبهان والخامسة مدينة المبارك بقزوين والسادسة بخارى والسابعة سمرقند والثامنة نسف وذكر أن النسبة الى هذه المدن كلها المدينى. وقال اكثر ما ينسب الى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم المدنى

﴿المدنية﴾ كلمة مشتقة من مدّن المدائن أى مصرها وبناها. ونحتوا منها فعل (تمدن) وجعلوا امعناها تخلق بأخلاق أهل المدن وخرج من حالة البداوة ودخل فى حالة الحضارة

وللمدنية اليوم معنى أوسع مما عرفناها فى عرف العلماء الاجتماعيين تعنى الحالة الراقية التى توجد عليها الامم تحت تأثير العلوم العالية والفنون الجيلة والصنائع المناسبة لهذه الحالة. فاكتسبت كلمة المدنية بذلك مدلولا أعم من مدلولها اللغوى واعتبرت غاية تتدرج الامم فى الوصول الى أوجها الاعلى تحت تأثير العلوم والفنون والصنائع

قال الفلاسفة (الانسان مدنى بطبعه) أى أنه مفطور على التمدن اى الارتقاء وهذا هو الحق فان من يتأمل فى أحوال الانسان أيام قذف به من عالم الغيب الى هذا العالم لا يملك الا جسمه، ويا ليته كان حرا فى ملكه اياه، فان جوائح الطبيعة، وعاديات الوحوش كانت تنازعه حق الحياة وتصليه حربا عوانا. ولكن الفطرة التى أودعها الله صميم جوهر هذا الكائن المكرم أمكنته فى مدى الوف من السنين من التغلب على كل ماوقف امامه من عقبات الطبيعة. بل كانت تلك العقبات مما يهيجه الى استمداد نور فطرته، واستثارة قوى روحه، فما زال يعالج الاحوال وتعالجه حتى ارتقى من حال الى حال وكان فى حال ينتهى اليها أطمح نظرا الى تخطيها مما كان عليه حتى أصبح يتخيل

لنفسه من المراقى العالية ما قد يعد من المستحيلات

هذا الترقى المطرد من الانسان سيهجم به لامحاله على حالة من الكمال لم يحلم بها السابقون المتقدمون ولا نعنى بذلك الكمال زيادة وسائل متاعه بالماديات فقط ولكنا نعنى به كمال أخلاقه وتمام ملكاته وبروز الانسانية فيه بأجمل صورها أيضا . ولئن بدا من المتمدنين اليوم ماقد يبعد بهم عن هذه المكانة الرفيعة فستجبرهم المثلات على الرجعى الى طريق الاعتدال وستوجههم الى وجهة الخير بقوة الفطرة الاصلية المغروزة فى جبلة كل انسان

ظهر أول بصيص من نور المدنية بالهند ومصر قبل نحو ستة آلاف سنة فوجدناهم مصروا الامصار ورقوا المبانى وأقاموا الهيا كل وقننوا القوانين ، ثم تبعتهم أمم كالآشوريين والبابليين والميديين والفرس فجروا على شاكلتهم . ويروى الصينيون أن مدنيتهم بلغت من العمر أربعين الف سنة وهو قول قد لا يخلو من المبالغة

كانت هذه الامم طليعة كل مدنيـة حدثت بعد هذا التاريخ فما زالت الامم تستقيم وتعوج ، وتقوم وتقع حتى جاء دور اليونان فرفعوا للمدنية صروحا فخمة لم تزل آثارها باقية الى الآن . وليس فى الامم أمة ليست مدينة لهم بذلك

ثم حدث أن هبت أعاصير من الحروب والغارات اجتاحت تلك المعالم الفخمة وقوضت دعائم تلك المدنية وكادت تسحق صروحها وتذروها فى الهواء لولا أن أرسل الله خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم بالدين الحق فنفخ روح الحيا فى الامة العربية وأعدها لأن تتحمل أعباء خلافة الله فى الارض فهبت تجمع تراث العالم الانسانى وتحفظه فألمت بكتب اليونانيين والفارسيين والهنديين فترجمتها وتنورت بما فيها وأعادت دولة المدنيـة أحسن مما كانت عليـه حتى قال فيهم العلامة دروى ناظر معارف فرنسا سابقا فى تاريخه «أنهم أمـة اختصها الله سبحانه وتعالى بنشر المدنية أينما حلوا »

ولم يزل العرب أصحاب هذه الدولة (أنظر عرب) حتى أراد الله أن يصرفها عنهم الى غيرهم ، وتلك الايام نداولها بين الناس ، فأخذها الاوربيون عنهم فى الاندلس فقاموا بها هذا القيام الذى نراه الآن وهو أرقى شكل وصل اليه العالم

من جميع الوجهات الا الوجهة الروحانية فقد كانت هـذه المدنيـة مادية باحتة ، صبغتها الالحاد فى الدين ، والنكوب عن طريق المؤمنين . وكادت تكون بعلومها المادية قاضية على معالم الروح حتى قبض الله رجالا من أقطـاب العلم حموها شر هذا الجمود الذى كان كافيا لان يصيبها بقارعة فتصبح فى عداد المدنيات البائدة فبحثوا فى أسرار الروح واكتشفوا بمجهوداتهم المتكررة كوة أطلت بهم على عالم ماوراء المادة وما هنالك من الكائنات المجردة فأخذوا يحاولون تكميل هذا الصرح المدنى الفخم من وجهته الروحانية التى كانت تنقصه ولا يزالون يجاهدون فى هذا السبيل ليتم للمدنية العصرية كمالها فتصبح أجمع المدنيات لمطالب الانسـانية الصحيحة . ولكننا نرى أن فى طبيعة هذه المدنية نقصا جوهريا يعسر تكميله بدون احداث انقلابات ذريعة فى الميول والوجهات ولو دام هذا النقص فيها منعها الوصول الى كمالها حتما وسنلم بهذا النقص فى كلامنا على عيوب هذه المدنية

هذا اجمال عن حالة المدنية على وجه عام فلو أردنا إتباعه بتفصيل اضطرتنـا الحال الى درس أحوال كل أمة من الامم القديمة وتتبع آثارها فى وضع أسس المدنية وهو بحث طويل قمنـا به متفرقا فى تاريخ كل أمة من هذه الامم عند الكلام عليها فى هذا القاموس فعلى الباحث مراجعته كل فى موطنه ، ولـكننا لانرى بدآ من ايراد تفصيل عن سير المدنيـة العصرية وهى فى حالتها الحالية ليعرف كل انسان فى أى طريق هو مدفوع والى أى غاية هو مسوق لـكيلا يكون مندفعا فى تيار هذا العالم على غير علم فنقول :

يعرف عصرنا هـذا بعصر العلم فان همم الامم قد انصرفت الى تتبعه فى كل مظانه فأنشأت له الـكليات والجامعات ، وكونت له النوادى والجمعيات تحققا منها أنه هو السبيل الوحيد الى كل كمال صورى أو معنوى ولم يأت على الناس زمان كان للعلم فيه مثل هذه القيمة ولااله من الافراد مثل هذا الاكبار

ولو أردنا أن نذكر تاريخ كل عـلم على حدته ونسرد أدوار ترقيه لاضطررنا الى سفر كبير ولـكننا نكتفى هنا بتوجيه نظر القارى الى ما كتبناه فى هذا الكتاب تحت كلمة (علم) فان فيه بلاغا للمتوسمين

وحسبنا ان نقول هنا أن اعظم الاكتشافات العصرية اليوم قائمة على الكهربائية والمغناطيسية فقد اكتشف التلغراف والتلفون السلكيان فتم بهما من سرعة التواصل مالا كان يحلم به آباؤنا الاولون وبنى على هذه السرعة تقدم كل فرع من فروع التعامل على نسبة خاصة ثم تلا ذلك اكتشاف التلغراف والتلفون اللاسلكيين فكان فيهما كمال هذين العاملين العظيمين وناهيك بهما فى تسهيل الاعمال وتسيير الاحوال

وقد تم علم الفلك برأى (لابلاس) فانه أماط اللثام عن تركيب الارض والشمس والسيارات باكتشافه السديم

ونسى للعلماء بواسطة المراصد التى اتخذوها على قمم الجبال أن يجمعوا كثيراً من حقائق الاحداث الجوية ولايخفى ما فى ذلك من الفوائد التى تعود على الناس والاعمال

ونشأ علم الكيمياء فى أواخر القرن الثامن عشر باجتهاد شيل السويدى وبريستلى الانجليزى ولافوازييه الفرنسى فخطت الكيمياء بعدهم خطوات واسعة حتى توصل الباحثون اليوم الى تركيب بعض الاجسام الآلية تركيبا يحاكى المركبات الطبيعية منها

وقد صار علم الحيوانات علما مستقلا بمباحث (كوفييه) الفرنسى فقد رتب صنوف الحيوانات وذكر طبائع كل منها

وكمل علم النباتات أيضا بواسطة علمى التشريح والفيزيولوجيا النباتيين اللذين مكنا الباحثين من الاطلاع على أعضاء النباتات ووظائفها الصحيحة

أما علماء طبقات الارض والاحافير أى الجيولوجيا والباليونتولوجيا فقد وضع أساسهما (كوفييه) أيضا وأمن من جاء بعده فى البحث فيهما فظهرت لهم أسرار كثيرة زادوا بها علمى الحيوانات والنباتات

وقد وضع الفيزيولوجيا العامة (كلود برنار) الفرنسى اذ ظهرت له بوادرها في أثناء اختباراته في الحيوانات الحية

وظهر للباحثين الآن فى الحيوانات الميكروسكوبية حقائق جمة فوضعوا علم تركيب الحيوان والنبات وهو المسمى بالهستولوجيا *(histologie)*

فلما ظهر دارون اندمج هذان العلمان فى مذهبه فكمل وكلاهما به أيضا وقد جمع هذا المذهب كل المعلومات التى كانت مبعثرة فى علوم الحيوانات والنباتات

والفيزيولوجيا والباليونتولوجيا والبيولوجيا وأثر بأسلوبه على جميع العلوم حتى العلوم الادبية والسياسية فكان تأثيره عظيماجدا وماضره الا قوم اتخذوه حجة للمذهب المادى والالحادى رغما عن ان صاحبه قد رأى وجوب التسليم بقوة عاقلة تسلطت على خلق الكائنات وان اكبر انصاره سبنسر وهكسلى ولورد ايفبرى (جون لبوك) وهيكل وغيرهم كانوا من المؤمنين بالله (انظر دارون وماديين)

أما العلوم الادبية فقد تقدمت فى عصرنا هذا تقدما عظيماجدا . فدرس الباحثون النواميس الادبية درساً أصولياً فألموا بالبحث فى مظاهر العقل الانسانى كاللغات والكتب والشرائع والعادات . بدأ هذا العمل فى فرنسا ثم اتصل بألمانيا فبرزت فيه على سواها وصار له فيها أئمة لايشق لهم غبار بحثوا فى أديان الهند والفرس ولغاتهم وقابلوا بينها وبين لغات اليونان واللاتين وأديانهم فنتج من ابحاثهم علم اللغات وهو المسمى بالفيلولوجيا *Philologie* وعلم الاساطير المسمى بالميتولوجيا *Mythologie* فلحظوا من ذلك أن اللغات لاتنشأ اتفاقا ولكن على مقتضى ناموس مقرر. ولماقوبل بين لغات الشعوب الصينية ولغات الامم المتوحشة التى وصل اليها المرسلون الدينيون وضع العالم (همبولدت) علما عاما للغات يسمى لنجستيك *Linguistique* وهو يمتاز عن الفيلولوجيا بأن هذا يعنى بدراسة المؤلفات وأماذاك فيعنى بدراسة ذات اللغات

اما علم التاريخ فقدحدث فيه انقلاب عظيم فبعد أن كان عبارة عن أقاقيص وحكايات لا ضابط يضبطها ولا قانون يسرى عليها أخذ العلماء فى ترتيب حوادثه ودراستها من وجهة فلسفية لوجدان النواميس التى تعمل فى الانقلابات الاجتماعية فتدخل الامم فى أدوارها المختلفة وتقيمها على سنن متعاقبة للوصول بها الى أحوال معينة. فاكتشفوا من مزاولة هذا العلم عدداً عظيما من النواميس الاجتماعية الصحيحة التى لا تفترق عن النواميس الطبيعية الافى كون هذه تعمل على المواد الجامدة وتلك على المجتمعات الحية العاقلة . بحثوا فى كيفية وضع الشرائع والنظامات عند الامم وكيف تكونت الحقوق وعرفت العدالة والمساواة والحرية الخ واكتشفوا من مقابلة المعلومات بعضها ببعض النواميس

السائدة عليها

ثم ان للفلسفة فى عصرنا هذا مذهبين اثنين المذهب الالمانى والمذهب الانجليزى . فالاول يميل لفلسفة مابعد الطبيعة أى الميتافيزيكا فترى فلاسفتهم ميالين لوجدان السر المثبت لوحدة الوجود وان اختلفت مظاهر كائناته ، وتعددت ظواهرها

وتجد لكل من الفلاسفة الالمان الكبار مثل كانت وفيخت وشيلنغ وهيكل وشوبينوير مذهبا خاصا غير مقتبس من غيره وقد أثرت كتاباتهم أعظم تأثير فى اتجاه الآراء فى أهل العصر الحاضر

اما المذهب الانجليزى فمنطقى بسيكولوجى أن يعتمد على المنطق وعلم النفس فيبحث فى القضايا التى تمر فى أذهان الناس ويسعى فى ترتيبها الى أنواع وقلما يلتفتون الى مابعد الطبيعة ولكنهم يؤثرون البحث فى السياسة والآداب باذلين جهدهم لادماجها فى العلوم وذلك بملاحظة النواميس العامة المتسلطة على الاعمال الانسانية

وليس الفلاسفة فى الامم الاخرى الا تبعا لاحدى الطائفتين المذكورتين

اما المذهب الفلسفى الوحيد الذى وضعه الفرنسيون فهو المذهب الوضعى *Positivisme* وضعه (اغوست كومت) ومؤداه عدم الاعتماد فى تقرير الحقائق على العقل وحده ، فانه كثيرا مايضل فى الحكم ولكن على العقل والحس معا

وهنالك فلسفة يسمونها انتخابية زعيمها كوزان وهى مأخوذة عن المذهب الاسكوتلاندى . ومثلها الفلسفة الانتقادية وهى مقتبسة من مذهب (كانت). والمذهب الاختيارى على الطريقة الانجليزية

هذا موجز ماحدث فى المعارف الادبية العقلية وهو يشير الى مبلغ الرقى الباهر الذى وصلنا اليه من هذه الوجهة ولا يتبين للقارىء مقدار ذلك الرقى الا بمقابلته بما كان للاقدمين من المعارف فى هذا المجال

(الصناعة والزراعة والتجارة) من أظهر مظاهر المدنية العصرية ما أخذته الصناعة والزراعة والتجارة من الاتساع الذى لم يكن يحلم به الاقدمون فى أحسن أيام عمرانهم ومدنيتهم . فان العلم العصرى لم يقتصر على المجال النظرى بل امتدت سلطته على المواصلات والاعمال البدوية

فكان من ذلك ترق لا يمكن تحديده بحد وان أعظم ماطبقته العلوم على العمل من مكتشفاتها القوة البخارية المحركة فاستخدمت لثلاثة أعمال كبيرة وهى الآلات البخارية للمعامل الصناعية والسفن والطرق الحديدية

اخترع (وت) آلة البخار من لدن القرن الثامن عشر فما زال المخترعون يتداولونها بالتكميل حتى بلغت كمالها المشاهد اليوم فأصبحت تحرك آلات المعامل من جميع الانواع

أما الذى اكتشف قوة البخار فهما (بابان) والمركيز (دوجوفروا) الا أن اكتشافهما لم يستخدم فى الآلات البخارية إلافى القرن التاسع عشر حين أنزل (فولتون) الامريكى أول سفينة بخارية فى نهر هودسون سنة ١٨٠٨ . وكانت هذه البواخر تسير فى أول عهدها بالدواليب ثم بدلت هذه الدواليب سنة ١٨٤٠ بالآلة الدافعة . فاضطر المسافرون لهجر السفن الشراعية والتعويل فى أسفارهم على هذه البواخر . واضطر التجار طلبا للسرعة أن يحملوها بضائعهم أيضا فقضت على السفن الشراعية في البلاد المتمدنة

ثم ظهرت الطرق الحديدية لما اخترعت المركبة البخارية وأخذوا يسيرونها فوق القضب الحديدية . وكانت المركبات فى المناجم مركبة على قضب حديدية تجرها الخيول فأبدل (ستيفنسون) الخيول بالآلة البخارية فكان ذلك منشأ قطارات السكة الحديدية. استخدمت سنة (١٨٢١) لنقل الفحم فلم تأت سنة (١٨٣١) حتى استخدمت لنقل الناس

والعلم لم يطبق الكهرباء على العمل الا منذ نصف قرن ومع هذا فاستخدمها المخترعون فى عمل التلغراف والتليفون السلكيين واللاسلكيين وفي تلبيس المعادن بالذهب والفضة وغيرهما

اخترع التلغراف الكهربائى دفعة واحدة فى ألمانيا وفرنسا وانجلترة بين سنة ١٨٣٣ وبين سنة ١٨٣٤ وكانوا يستعملون له ابرة تنقش الحروف على صفيحة ثم استعملوا آلة (مورس) التى تطبع نقطا وخطوطا على لفائف من الورق ثم انتهى بهم الامر الى ايجاد آلة تطبع الحروف . ولم ينتشر استعمال التلغراف الا بعد سنة (١٨٥٠)

أما التلغراف البحرى فكون من

سلك حديدى يكتنفه غلاف من الجوتابركا مُـد أولا بين كاليه ودوفر سنة (١٨٥٦) ثم مُـد فى المحيط الاتلانتيكى سنة (١٨٥٧) فاخترق الاوقيانوس ووصل بين أوروبا وأمريكا . الاان التجارب الاولى لم تأت بنتيجة حسنة وظلوا الى سنة (١٨٦٥) حتى انتظم أمر المراسلات بعد أن اخترعوا آلة جديدة لاستقبال الرسائل

ثم جاء (مركونى) فى أواخر القرن التاسع عشر واخترع التلغراف اللاسلكى فكان غاية الغايات فى هـذا الباب فان الرجلان يستطيعان وان كان أحـدهما فى أقصى المشرق والآخر فى أقصى المغرب أن يتخاطبا فى نحو لمح البصر وقد شوهد ان الكلمة على تلغرف مركونى تطوف الكرة الارضية فى سبع ثانية

أما التلفون فحديث العهـد ولم ينته تحسينه بعد وقد انتشر استعماله حتى كاد يعم البيوت كلها فى المدن الاوروبية وغيرها والمخترعون يجدون الآن فى اختراع آلة تغنى عن الاسلاك وقـد نجحوا فى ايصـال الاصوات الى ألوف الاميال ولن تمضى سنين معدودة حتى يتم تعميم تلك الآلات فتزول هذه الاسلاك ويكتفى الناس بالآلات فيخاطب الرجل من يحب بلا داع الى تنبيه العامل فى محل الشركة لايصال سلكه بسلك من يريد مخاطبته

(التقـدم الزراعى) تم للزراعة من التقدم مالا يخطر ببال وذلك بواسطـة علمى الميكانيكا والكيمياء فابتكرت الاولى من الآلات ماجعل الاعمال الزراعية من الصناعات الهينة بعد أن كانت من أشق الامور وخففت عن عاتق المواشى اعباء كانت ثقيـلة عليهم فانصرف الزراع الى النظر فى تحسين حالتها وترقية أجناسها. وارتقت طبقة الزراع فأنشأت جمعيات تبحث فى تكميـل طرق استثمار الارض والبلوغ بلغتها الى غاية ليس وراءها مرمى

وكان لتقـدم التجـارة أيضا أثر فى ترقية الزراعة : وما تقـدمت التجارة الا بسبب اتقان وسائل النقل: فتمكن الفلاحون من اصدار محصولاتهم الى اقصى المعمور بعد أن كان كثير من محصولاتهم الزائدة عن حاجتهم يتلف من عدم امـكان تصريفها فى الاسواق البعيدة . وكان من نتيجة هذا الرواج امتداد مساحة الاراضى الزراعية وتنويع غلاتها. خذ مثالا لذلك من اوروبا نفسها فقد كانت فى سنة (١٨٥٠)

لا يزرع فيها الا ١٥٠ مليون هيكتار من الارض فصارت سنة (١٨٨٤) مئتى مليون هيكتار ومن أمريكا ايضا فقد كانت سنة (١٨٥٠) لا تزرع الا ٢٢ مليون هكتار فصارت سنة (١٨٩٤) تزرع ٦٤ مليونا من الهكتارات

وقس على ذلك زيادة عدد الحيوانات فان استراليا ورأس الرجاء ولابلاتا لم يكن يصدر منها سنة (١٨٦٤) الا ٤٥٠٠٠٠ بالة من الصوف فزاد هذا المقدار حتى أصبح سنة (١٨٨٥) نحو ١٧٠٠٠٠٠ وكانت غلة القطن سنة (١٨٧٠) ٢٤٠٠٠٠٠ رطلا فصارت فى سنة (١٨٨٤) ٤٠٠٠٠٠٠ وهلم جرا فتقدمت الزراعة فى خلال هذه الثلاثين السنة تقدماً لم تنله فى مدى ثمانية عشر قرنا

(تقدم الصناعة) استفادت الصناعة كثيراً من استخدامها علمى الكيمياء والميكانيكا وحدثت فى القرن التاسع عشر صناعات جديدة ويكاد الانسان لا يجد صناعة لم تتجدد أدواتها منذ مئة سنة الى الآن. فاتسعت المعامل القديمة ونشأت معامل جديدة حتى فى البلاد التى كانت زراعية محضة كالروسيا والمجر والولايات المتحدة. ونحن ادلالا على تقدم الصناعة نأتى على تفصيل وجيز مع شىء من المقارنة فنقول

من الصناعات القديمة استخراج الفحم الحجرى وقد كان ما يستخرج منه سنة ١٨١٠ تسعة ملايين طن فصار المستخرج منه سنة ١٨٦٠ مئة وأربعين مليونا ولكنه بلغ سنة ١٨٨٠ ثلاث مئة وأربعة واربعين مليونا من الاطنان

وكانت معامل الحديد تستعمل الحطب وقوداً فاستعاضوا عنه بالفحم الحجرى ثم أنشأوا الافران العالية والمطارق الضخمة فصاروا يستطيعون العمل بقطع الحديد الجسيمة وكان مقدار المصنوع من الحديد سنة ١٩٥٠ أربعة ملايين طن فصار سنة ١٨٨٢ عشرين مليون طن واستعاضوا عن البندقية ذات الصوانة بذات المكبس ومن هنا توصلوا الى صنع البنادق السريعة الاطلاق. واخترعوا كذلك طريقة لحشو المدافع والقرابينات والريفولفرات من مؤخرها

وتجددت آلات التبييض باكتشاف الكلور وتجددت المطابع باختراع المكابس البخارية والطبع على صفائح نحاسية

وتجددت الوراقة باستعمال الآلات وارتقى النقش باختراعات جمة كالليتوغرافيا وهو طبع الصور ، والحفر على الفولاذ والزنك والكروموليتوغرافيا اى طبع الصور الملونة

أما الاختراعات الحديثة فأشهرها بعد البخار والكهربائية : الثقاب الكيماوى والسكر المستخرج من الشمندور والغاز والترول والكاوتشوك والجوتابركا والتصوير الشمسى وحفره والتمويه بالكهربائية والالوان المعدنية

وقد صار عدد كبير من الناس فى المدن العظيمة الآن لاقوام لحياتهم الا بالعمل فى الصناعات فقد قدر عدد العملة فى المعامل والمناجم الاوربية بنحو ٢٠ مليونا من النفوس يصنعون ماقيمته تسعون مليارا من الفرنكات . والعمل فى الصوف والقطن يستغرق وحده نحوا من ثلاثة ملايين ونصف من العملة وهم يصنعون ما قيمته نحو ربع هذه المصنوعات . وفى فرنسا من العملة نحو مليونين

(تقدم التجارة) طرأ فى عالم التجارة حادثان عظيمان غيرا احالها أحدهما وسائل النقل وثانيهما وسائط التراسل . فقامت البواخر فى البحر مقام السفن الشراعية وأخذت سرعتها تزداد وتحسنت حالة الموانى وملئت السواحل بالمنارات ورسمت الخرائط البحرية مبينة بالدقة ما فى البحار من الاعمال والتيارات . وصارت عدة البواخر التى تجتاز البحار مئات تسير فى طرق مطروقة ومعروفة . وكان السفر من انجلترة الى أمريكا يستغرق شهرا فأصبح اليوم يتم فى عشرة أيام وعملت بواخر تتمه فى سبعة . ويقول الخبراء بأن السفينة البخارية تحمل من الاطنان أكثر مما تحمله السفينة الشراعية التى تساويها فى السعة

وقد كان الناس لا يسافرون براً الا على المركبات وكانت البضائع تنقل على العربات . ولما أنشئت بين باريز وليون شركة المركبات المسماة مساجرى وأخذت تقطع تلك المسافة فى ثلاثة أيام مع لياليها حسبها الناس تقدما عظيما وظل الحال على هذا الى سنة ١٨٥٠ حيث امتدت الخطوط الحديدية بين المدن الكبرى .وقد زادت طولا حتى بلغت سنة (١٨٨٣) ٤٤٠٠٠٠ كيلو متر منها فى اوربا ١٨٣ الف وفى امريكا ٢٢٠ الف

وقد أحكم تنظيم طرق التراسل بعد أن كان البريد بطيئا كثير النفقة فبدأت انجلترة بجعل أجرة البريد خفيفة وواحدة وأن تكون قيمة كل طابع مكتوبة عليها ثم قلدتها سائر الامم. وجاء انتظام التواصل بالخطوط الحديدية والطرق البحرية فجعل أمر التراسل على أتم مايكون من النظام وقد بلغ مقدار ماينقله اتحاد البريد ٤٨٠٠ مليون رسالة و ٩٠٠ مليون بطاقة (كارت بوستال) و ٣٧٠٠ مليون جريدة وأعطت ادارة البريد ١٢٠ مليون حوالة تبلغ قيمتها ٦٥٠٠ مليون فرنك

أما التلغراف الكهربائى فلم ينتظم الا سنة ١٨٥٠ ولذلك كان الممتد من أسلاكه سنة ١٨١٣ مليون ومئتى الف كيلو متر منها خمس مئة الف فى أوربا وأربع مئة وثلاثون الفا فى امريكا ومئة وخمس وثلاثون الفا تحت البحر

بهذه الوسائل الانتقالية والتراسلية زادت التجارة زيادة عظيمة فزادت تجارة اوربا والولايات المتحدة الامريكية فى المدة التى بين سنة ١٨٣٠ و ١٨٨٠ نحو مئة الى ثمان مئة وبعد ان كانت قيمتها تقدر بتسع مليارات من الفرنكات ارتفعت الى سبعين مليارا فانجلترة كانت قيمة تجارتها الفين ومئتى مليون فصارت خمسة عشر مليارا. أما فرنسا فكانت تجارتها اذ ذاك ١٥٠٠ مليون فصارت تجارتها الآن ٩٢٠٠ مليون

وقد أحصى المشتغلون بالاحصاء تجارة أوربا فى سنة ١٨٨٣ فوجدوها تبلغ ٦٢ الف مليون فرنك . والزيادة مطردة فانها في مدى عشرين سنة زادت ضعفين أو أكثر

(ازدياد الثروة) ان تقدم الصناعة والتجارة أفضيا الى زيادة عدد الثروة العامة والخاصة وأدى ذلك الى زيادة عدد الناس زيادة لم تعرف فى التاريخ فقد زاد عدد أهل أوربا من سنة ١٨٠٠ الى ١٨٨٢ من مئه وسبعة وثمانين مليونا الى ثلاث مئه وثلاثين مليونا وزاد عدد أهل الولايات المتحدة من خمسة ملايين الى خمسين مليونا على أن سرعه النمو كانت على معظمها فى الشعوب الانجلوسا كسونيه لان عددهم زاد ثلاثة أضعاف فى مدى ثمانين سنة

وازدادت الثروة زيادة لم تكن معروفة من قبل فان ايراد أهل أوربا

يزيد عن نفقاتهم ولذلك فهم يدخرون سنويا جزءا من أرباحهم يصير مصدرا جديدا لربح جديد فقد بلغ مايدخر سنويا في السنة نحو ١٦٠٠ مليون فرنك في انجلترة و١٩٠٠ مليون في فرنسا والف مليون في المانيا و٤١٠٠ مليون في الولايات المتحدة بأمريكا فيكون جملة المدخر في السنة ١٢ مليارا. وفي سنة ١٨١٠ لم يكن في خزانات التوفير الا ٣١٥٠ مليونا أما في سنة ١٨٧٨ فقد بلغ ٨٥٠٠ مليون

وقد زادت نفقات الحكومة على نسبة زيادة الثروة العامة فقد كانت جميع حكومات أوربا لاتنفق أكثر من ستة مليارات فرنك قبل سنة ١٨٢٠ فصارت تنفق لهذا العهد ١٩ مليارا . أما نفقات انجلترة فكانت ١٢٥٠ مليونا فصارت ٢٨٠٠ مليون. وكانت نفقات فرنسا ٧٠٠ مليون فأصبحت ٢٨٠٠ مليون . ولكن هذه الدول تضطر بزيادتها للنفقات أن تزيد في الضرائب لان وارداتها صارت منحصرة فيها فالاموال المقررة على الاملاك لاتقوم بأعباء هذه الزيادة فجعلت الحكومات تأخذها من الرسوم الجركية ومن الاموال الغير المقررة على الخمور والتبغ فزادت واردات هذه المكوس بتكاثر السكان وأصبحت أكثر الضرائب ايرادا

وفي القرن الثامن عشر لم تكن الدول تقترض مالا ولكن لما زادت الثروة العامة في مدى القرن التاسع عشر تسهلت سبل الاقتراض فاقترضت الحكومات الاموال الطائلة وبدأت في ذلك انجلترا لتقوى على حرب نابليون الاول فاستدانت حتى بلغ مجموع ديونها سنة ١٧١٥ نحو ٩٢٠ مليونا من الجنيهات أى ٢٣ ملياراً من الفرنكات. وكان الناس يظنون أذ ذاك ان مثل هذا الدين الفادح سيؤدى الى افلاس ماليتها ولكنها بحسن أساليبها الاقتصادية تمكنت من أداء ربح هذا الدين واستهلكت منه قسما وقد بلغت جملة مادفعت للدائنين من ذلك الحين حوالى ٨٣ مليارا وصار الدين الباقى عليها ١٩ مليارا

وقد سلكت جميع الحكومات هذا السبيل فأصبح اقتراضها وسيلة للحصول على الاموال الضرورية لها وهذه القروض تعقد بين الحكومات والدائنين بحيث يؤدون المال فلا يأخذون منه الا ربحه وتضطر الحكومات لوفائها بالربح الى زيادة الضرائب والرسوم

وقد زادت ديون الحكومات من سنة ١٨٢٠ الى سنة ١٨٨٠ زيادة فاحشة فقد كان ديون المانيا ٥٥٠ مليونا فصارت ٥٤٠٠ مليون غير ٨٠٠٠ مليون ديون خاصة على حكومات المانيا المستقلة وزادت ديون الروسيا من ١٢٠٠ مليون الى ١٤٥٠٠ مليون وديون النمسا من ٢٤٠٠ مليون الى ١٠٥٠٠ مليون وديون ايطاليا من ٨٢٠ مليون الى ١٠٠٠٠ مليون

اما ديون فرانسا فكانت ٤٠٠٠ مليون فصارت اليوم (أى قبل الحرب العامة) ٢٢ الف مليون ومعظم هذه الاموال أنفقت على الحروب

وقد قدر المحصون الديون التى استدعتها حرب القريم بأربعة آلاف وثمانمئة مليون فرنك . وتحملت الولايات المتحدة فى حربها الاهلية عبأ ثقيلا من الدين قيمته ١٢٢٠٠ مليون . وأنفقت فرنسا فى حربها مع المانيا ٩ آلاف مليون فرنك وجاءت مسئلة تسلح أوروبا ضغثا على ابالة فزادت فى ديونها ٤٠ الف مليون فرنك . مع ان انشاء الطرق الحديدية والتلغرافات لم يزد تلك الديون الا ١٤ الف مليون فرنك فقط

هذه كانت ديون الدول قبل الحرب العامة أما فيما بعدها فقد بلغت هذه الارقام الى حدود لا يكاد يتصورها العقل فتبدلت الجنيهات فى هذه المليارات بالفرنكات وكل هذا يثبت مبلغ رسوخ قدم هذه الامم فى الثروة وقدرتها على سد حاجاتها مهما بلغت من عظم الشأن

(السكة والقراطيس المالية) مناجم الذهب فى استراليا وكالفورنيا أخرجت من الذهب أكثر مما تعامل به الناس منذ ابتداء العالم الى الآن فقد استخرج منها من سنة ١٨٥٠ الى ١٨٦٠ فى كل سنة مالا يقل عن ...... ٢ كيلوغرام ذهبا وهى تعادل ٧٠٠ مليون من الفرنكات فصارت كمية الذهب المنتشر فى العالم بين سنة ١٨٠٠ و ١٨٨٥ ثلاثة أضعاف مقداره الاول . ويقدرون الموجود منه اليوم فى العالم كله بنحو ٤٥ مليارا . وكان المستخرج من مناجم الفضة أقل مما هو عليه اليوم . فكان يستخرج حوالى سنة ١٨٥٠ سنويا نحو ...... ٩ كيلو غرام فأصبح فى سنة ١٨٧٠ نحو .... ٢ كيلوغرام وصار فى سنة ١٨٨٤ نحو ٢٨

الا أن زيادة الذهب والفضة وأن

كانت عظيمة الا أنهما لا يزالان غير كافيين لحاجات التجارة لان زيادتها هي كانت أعظم من زيادتهما عشرة أضعاف فأصبح النقدان الذهب والفضة لا يفيان بالحاجة التجارية فوضعت القراطيس المالية في القرن التاسع عشر لوفاء هذه الحاجة

على أنه قبل ذلك كانت هنالك بنوك عديدة تصدر أوراقا مالية وقد سبق استعمالها في الصين مثل القرن الثامن للميلاد أي قبل أوروبا بنحو الف سنة وكان بنك الدولة في فرنسا يصدر هذه الاوراق منذ سنة ١٧١٩ الا أن الناس كانوا لا يثقون بها كل الثقة

ففي أواخر القرن الثامن عشر ضمنت الدول بنوكا معينة لتتوفر لها الثقة . ولا يخفى أن للبنك أن يصدر من الاوراق قدراً معيناً يكون أزاءه مال مدخر . وهذا المال المدخر يجب ان يكون نحو ثلث القراطيس التي يصدرها ويبقى للبنك حق استثمار الباقي باداتنه للموثوق بهم من الناس . وهذا المال المقرض يعطى مقابل سندات . ولكن المال الذي يقرضه البنك لا يكلفه شيئا لانه في مقابل قراطيسه ولذلك يكون ربحه من أقراضه مضمونا له . على أنه اذا حدث حادث وأهرع الناس الى البنوك لاخذ ما لهم من النقد فيها تعجز البنوك عن أدائها كلها فتضطر الحكومة الى مساعدتها باعلانها أن قيم الاوراق اجبارية فيضطر الناس لقبول قراطيس البنوك بدل النقد

لكل البلاد المتمدنة اليوم بنوك دولية غنية يثق الناس بأوراقها ويقبلونها كما يقبلون الذهب وأما في البلاد التي تقل ثقة الناس فيها بحكومتها فان قيم الاوراق تنحط الى مادون قيمتها ففي النمسا تنخفض قيمتها أحيانا الى عشرين في المئة وينخفض في غيرها الى اكثر من ذلك . ويبلغ قيم الاوراق المتداولة الآن (قبل الحرب) نحو ٢٣ مليارا من الفرنكات . ولكن رأينا أنها قد بلغت بعد اعلان الحرب العامة أضعاف هذا القدر

(الثقة المالية) لم يكن في الامكان بلوغ التجارة والصناعة هذا المبلغ العظيم من النجاح مالم تكن قد تأسست الثقة المالية وزادت زيادة تناسبها على أن الدين قديم الوجود منذ أواخر القرون الوسطى ولكنه زاد في القرن التاسع عشر زيادة عظيمة بواسطة البنوك والشركات

فالبنوك تصدر قراطيسها والناس يتداولونها كما يتداولون الفضة والذهب وبذلك أصبح النقد فى المعاملة مضاعف المقدار وصار فى استطاعة أرباب الاعمال أن يستخدموا رأس المال مضاعفا وبهذه الوسيلة تتضاعف أعمالهم

وقد تأسست منذ القرن السادس عشر بورصات يجتمع فيها التجار للتعامل فى البضائع التى تباع بالجملة وقد ترقت هذه النوادى التجارية واتسعت أعمالها وصارت مصدراً لحركة تعاملية كبيرة جدا

ثم ان الاموال الآن لاتبقى محصورة فى البلاد التى جمعت منها لان المتمدنين الاغنياء كالانجليز والفرنسيين جمعوا من الاموال الطائلة مالا يمكنهم استخدامه فى بلادهم فهم يرسلون أموالهم ومهندسيهم الى البلاد الجديدة التى يعوزها المال كامريكا والروسيا وتركيا لينشئوا فيها الاعمال الجليلة كالطرق الحديدية وحفر المناجم ومعامل الغاز ويقدرون أموال الانجليز سنويا من أموالهم المستعملة فى الخارج بمليار ونصف من الفرنكات وقد يحدث ان تجمع أموال كثيرة من بلاد شتى للقيام بالمشروعات العامة مثل حفر ترعتى السويس وبناما

ثم أن على الاتجار بين الامم الآن رأيين متناقضين

(أولهما) حرية الاتجار وقد نجم من أصل قرره الاقتصاديون القدماء وهو أن ترك الحرية للمتسابقين فى مضمار التجارة أفضل ذريعة للحصول على الثروة العامة. وبناء على هذا الاصل يخول لسكان كل بلد الحركة الكاملة لمبادلة بضائعهم بمحصولات البلدان الاخرى بغير أن يؤدوا رسوما عند ادخال بضائعهم أو انهم يؤدون عليها رسوما قليلة لاتثقل عليهم

(ثانيهما) مبدأ الحماية وهو يشبه المبدأ القديم فى موازنة التجارة لاعتباره أن من مصلحة الامة حماية صناعتها من مراحمة الامم الاخرى . ولذلك يطلب اتباع هذا الرأى أن تضرب الرسوم الفادحة على المنسوجات المصنوعة فى البلاد الاجنبية حين دخولها الى بلادهم فيضطر أصحابها الى زيادة أثمانها فتروج المصنوعات الوطنية

أما أشياع حرية الاتجار فيرفضون الرسوم الحركية التى تضرب على البضائع الاجنبية عند تجاوزها التخوم ومنهم من

لا يرضى بها من نوع الضرائب . أما أنصار الحماية فعلى العكس من ذلك يحسبونها واجبة لحماية صناعات بلادهم

وكانت حرية الأتجار هى الاصل الجارى عليه العمل فى القرن الثامن عشر ولكنها اهملت خلال حروب الامبراطورية فان الحصار البرى الذى كان اتخذه نابليون كان حظرا لاسابقة له ولكن بعد رجوع الملكية الى فرنسا جروا على طريقة وسطى بين المنع والحماية

وقد حظرت انجلترة فى سنة ١٨١٥ دخول القمح الاجنبى الى بلادها . ومنعت فرنسا دخول الاصناف الانجليزية كنسوجات الكتان والقطن والسجلات والمدى . ولكن الانجليز رجعوا فأباحوا دخول القمح الاجنبى

ومن هنا عاد أصحاب حرية التجارة الى سعيهم لالغاء المنع ولتخفيض رسوم الحماية ففى انجلترة أحرزوا الفوز فى سنة ١٨٢٤

(المعاهدات التجارية) ظلت حماية التجارة مبدأ تعتمده الدول الاوربية فى تأييد حقوقها المتبادله فلا تسمح احداها بدخول البضائع الاجنبية الى بلادها ما لم تؤد رسوما جمركية وعلى كل حكومة أن تحرر جدولا بالرسوم المفروضة على كل نوع من أنواع البضائع ويقال لهذا الجدول تعريفة فيستحيل بعد ذلك الناؤها أو أن يخفض شىء منها الا باتفاق خاص . ولذلك اذا أرادت الدول تخفيض التعريفة على شىء من حاصلاتها اضطرت أن تعاقد الدول الاخرى بعقود تتبادل بها المنافع وتسمى هذه العقود المعاهدات التجارية

والقاعدة المرعية فى عقد مثل هذه المعاهدات هى التعامل بالمثل أو تبادل التخفيض فالدولة الواحدة تخفض من الرسوم الموضوعة على بضائع الدولة الاخرى عند دخولها بلادها بشرط أن تخفض تلك من رسومها على بضائع الاخرى وهذا ما يسمونه فى انجلترة بتجارة الولاء . ويفرق هذا النوع عن حرية الاتجار بأن حرية الاتجار تفتح أسواقها لقبول كل البضائع الاجنبية على اختلاف أجناسها من غير اشتراط على الدول التى تعاملها بمثل ذلك

(المعارض العامة) ان التقدم العظيم فى الصناعة والتجارة دفع بالحكومات الى اقامة المعارض العامة لتجتمع فيها كل مخترعات العالم برمته ومحصولاته فيكون

معروضا ومدروسة معا . وأول معرض كان فى لوندرة سنة ١٨٥٠ فبلغ عدد العارضين فيه ١٧٠٠٠ ومن ثم تتابعت المعارض العامة كالمعرض الباريزى فى سنة ١٨٥٥ وكان عدد العارضين فيه ٢٤٠٠٠ عارض . ومعرض لندرة سنة ١٨٦٢ وكان عدد العارضين فيه ٢٧٠٠٠ . ثم أقيم معرض آخر فى باريز سنة ١٨٦٧ وكان فيه ٥٢ الف عارض ومعرض فينا سنة ١٨٧٣ ومعرض فيلادلفيا من الولايات المتحدة سنة ١٨٧٦ والمعرض الباريزى الثالث سنة ١٨٧٨ ومعارض مالبورن وامستردام وانفرس وبروكسل والباريزى الرابع سنة ١٨٨٩ ومعرض شيكاغو والمعرض الباريزى الخامس سنة ١٩٠٠ الخ

كل معرض من هذه المعارض كان التالى فيه اكبر من المتقدم فان معرض باريز سنة ١٨٥٥ كان عدد العارضين فيه ٢٤ الف وزاره ٤٥٩٤٠٠٠ زائر

واما معرض باريز سنة ١٨٦٧ فقد شغل أرضا سعتها نحو عشرين هيكتارا وبلغ عدد العارضين فيه ٥٢٢٠٠ أما زائروه فقد بلغوا ٩٣٢٩٠٠٠

وأما معرض سنة ١٨٧٨ فكانت سعته ٢٩ هيكتارا وعدد العارضين فيه ٥٢٣٠٠ والذين زاروه نحو ١٦ مليون نسمه

وأما معرض سنة ١٨٨٩ فقد أمه اكثر من ٢٨ مليون زائر

(الغاء الاسترقاق) لم يبق من أثر لاسترقاق الفلاحين فى اوروبا وقد ألغيت السخرة

(تحرير المرأة) قد أدت الآراء التشريعية الى انقلاب عظيم أفضى الى تحسين حال النساء فى المدنية الاوربية الحديثة. فلم يكن للنساء تدبير أمور ثروتهن الخاصة ولا اختيار محال سكناهن . وانما كان للزوج حق تدبير أموال زوجته وفى وسعه ارغامها على اللحاق به الى حيث أراد

فنشأ حزب يطلب باسم الانسانية والعدل تحرير النساء واختلف القائمون بهذه الحركة. ففريق كان يطلب المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة فى كل الحقوق المدنية والسياسة وأن تنال حق الانتخاب وأن تنتخب فتمثل جزأ من الناس وفريق كان يطلب مساواة الرجل بالمرأة فى حقوق المجتمع والاقتصاد بحيث تستطيع النساء أن يسعين

للارتزاق كالرجال وان يدخلن المدارس مثلهم وان يتعاطين كل الاعمال السياسية واقتصر فريق ثالث على طلب المساواة المدينة لهن بحيث يكون للمرأة حق التصرف بمالها وحريتها الذاتية كما يتمتع الرجل بذلك

الفريق الاخير كثيرون فى كل البلاد المتمدنة ولكن الفريق الاول اى الذين يطلبون لهن الحقوق السياسية فلاوجود له الا فى البلاد الانجليزية ولقد كانت ولاية يومنج فى الجبال الصخرية من الولايات المتحدة فى بعض ادوارها البلاد الوحيدة التى تتمتع النساء فيها بالحقوق السياسية . على أن مجالس النواب فى الممالك الاربع الغربية ارادت ان تمنح النساء حق الانتخاب الا انها وجدت انه يتعذر ادخال مثل هذا التغيير على الدستور من غير استشارة المنتخبين فلما سئلوا رأيهم ابوا الموافقة على المطالب فأصبح وليس للمرأة حق الانتخاب الا فى زيلاندة الجديدة وفى ولايتين من الولايات المتحدة الامريكية وهما يومنج وواشنطون

واما فى انجلترة فقد صرح مجلس النواب ان حق الانتخاب منوط بالمتملكين ولذلك لايمكن ان تسلبه النساء لانهن مالكات ايضاء وقد قررت انجلترة تنفيذ هذا الاصل

(التعليم العام) ظلت الحكومات الاوروبية زمانا طويلا تحسب التعليم ايضا خاصا بالآباء لذلك لم يكن فيها الا مدارس خاصة أقامها رجال الدين الا ان بعض الحكومات الالمانية فى القرن الثامن عشر صرحت بأن الآباء ملزمون بتعليم أبنائهم التعليم الابتدائى ولكنها اقتصرت على تقرير وجوب انشائهم المدارس على نفقتهم

لما كانت سنة ١٧٨٩ وضعت حكومة الكونفانسيون الفرنسية أصلا مؤداه أن من واجب الحكومة القيام على تعليم الاطفال فأسست مدارس ابتدائية ولم يتسن لها انشاء مدارس أولية ولكن لما جاء نابليون أعاد المدارس لادارة الاهالى فكان التعليم الابتدائى مهملا فى كل البلدان حتى جاء القرن التاسع عشر وكان الرأى الشائع يومئذ بين رجال السياسة ان لا وجب لتعليم عامة الشعب لانهم كانوا يحسبون أن التعليم يدفعهم الى احتقار الاعمال اليدوية ويبث فيهم روح الثورة

ثم تغيرت الآراء وجرت الامم على جعل التعليم الابتدائى اجباريا وذلك منذ سنة ١٨٨٢ فانتشرت المدارس الاولية انتشارا عظيما فبلغ عددها فى فرنسا سنة (١٨٨٠) ... ١٣٠ مدرسة فيها خمسة ملايين تلميذ وفى المانيا ... ٥٧ مدرسة فيها مايقرب من سبعة ملايين تلميذ وفى بلاد المجر ... ٣٣ مدرسة فيها نحو أربعة ملايين تلميذ وفى ايطاليا ... ٤٨ مدرسة فيها اكثر من مليونى تلميذ .وفى البلجيك ٥٧٢٩ مدرسة فيها ... ٦٨٧ تلميذ وفى سويسرة ... ٤ فيها ... ٤٥٤ تلميذ وفى انجلترة نحو ... ٢ مدرسة فيها ... ٤٣٦ تلميذ

(المسائل الاشتراكية) حدث فى القرن التاسع عشر انقلاب عظيم فى نظام الاعمال . وقد كانت قوانين الصناعة لاتجيز لرب المعمل استخدام أكثر من ثلاثة أو أربعة من العملة كان يقال لهم الرفقاء وهم يشتغلون فى المصنع معلميهم كما هو شأن صناع المدن الصغيرة وبعد انتهاء سنين يصير هؤلاء الرفقاء رؤساء كمعلميهم.أما فى أيامنا هذه فنشأت المعامل الكبرى التى قد يجتمع فى أحدها عشرات الالوف وحاجة هذه المعامل للوقود قضت بحفر المناجم لاستخراج الفحم الحجرى فاشتغل فيها ألوف من الناس . واجابة لمطالب الاقتصاديين منحت الحرية المطلقة للصناعة وأجيز لأصحاب المعامل والمناجم أن يستخدموا المئات من العملة فى مقابل أجور يتقاضونها منهم

من هذا الحين بدأ الانفصال بين أصحاب رأس المال وبين العمال لان الاولين صاروا يذهبون بثمرة أتعاب الاخيرين ولم يكن لهؤلاء الاوظيفة واحدة وهى الانقياد والخضوع والدأب فى العمل على مقتضى ارادة المديرين لهم

فاقتضى هذا الحال نبوغ أفراد من المفكرين جعلوا يقولون ويخطبون بأن نظام توزيع الثروة غير عادل وانه يعوزه اصلاح عظيم . وان فى بقائه على حالته تلك ضررا عظيما بالسواد الاعظم من الناس وهم الفقراء والمعوزون

وقد اختلف الاشتراكيون فى كثير من أصولهم ولكنهم اتفقوا على وجوب ابدال نظام الملكية بنظام أصلح منه غير انهم اختلفوا فى ذلك النظام الجديد الذى يريدون وضعه وأشد الخلاف كان بين

الاشتراكيين الفرنسيين والالمان

فالاشتراكيون الفرنسيون من أول بابوف حاولوا فى بدء حكومة الديريكتوار أن يحدثوا تغييراً يبطل معه حق التملك ويجعل الأملاك مشتركة بين الناس الا ان أشياع هذا الرأى كانوا يومئذ قليلى العدد جدا فتمكنت الحكومة من قمعهم وتشتيت شملهم ولكن نظريتهم بقيت مذهبا علميا كان من زعمائه سان سيمون وفوربيه

ثم ان أشياع هذا المذهب فى فرنسا أخذوا يعتمدون على العواطف والمبادىء فى ابطال حق التملك وطلبوا اقامة مجتمع انسانى جديد وجعل سان سيمون قاعدة مبدئه : « لكل انسان على قدر كفايته ولكل كفايته على قدر عمله » وكان يرى وجوب اقامة مجتمع حكومته وحدها تكون صاحبة الملك فتوزع ريعه على كل واحد بالنسبة لعمله

أما فوربيه فجعل شعار مبدأه : « لكل انسان على قدر حاجته » وتخيل امكان قيام مجتمع يؤسس على اتفاق اختيارى يعقد بين أناس يتحدون على العمل بالاشتراك ويكون دافعهم لذلك العمل حبه والرغبة فيه وان يجتمع الناس وينقسموا جماعات كل جماعة منهم تتألف من الفين وثمان مئة شخص تسكن قصرا كبيرا يكون فيه مكان لادخار المآكل ومكان لتناول الطعام واجراء مشتركة بين الجميع ويؤخذ اختيارا من كل انسان من أولئك الجماعة حصة العلماء والصناع .

من الاشتراكيين من تقلدوا مناصب سامية فى حكومة فرنسا ولا سيا بعد ثورة سنة ١٨٤٨ وكانوا يذهبون الى أن المجتمع الانسانى ملزم بايجاد عمل لكل من يطلبه . لذلك قررت الحكومة المؤقتة حقوق العمل وعملا برأى لويز بلان أنشأت معامل وطنية ولكن لما لم يكن لدى الحكومة عمل مفيد تشغل العملة به جعلت تستخدمهم فى جمع الاتربة ولما أقفلت هذه المصانع الوطنية كان مبلغ ماكلفت الحكومة من النفقه زهاء أربعة عشر مليونا من الفرنكات فهذا الاختبار الناقص أضعف فى فرنسا شأن الاشتراكيين وصار الاوساط والاغنياء والفلاحون يوجسون شرا من الاشتراكية لانها تقضى بتقسيم مايملكون

أما الاشتراكية الالمانيه فقد نشأت فى فرنسا سنة ١٨٨٣ على طريق جديد وضعها لاسال وكارل ماركس وهما

اسرائيليان ألمانيان وكان كلاهما تلميذين للاشتراكيين الفرنسيين وكانا من رجال العلم فأسسا مذهبهما على المقررات العلمية لا على العواطف والآراء. ولكى يجعلا اصلاحهما للاشتراكية مقبولا لم يؤسساه على الانسانية والعدل بل على مبادىء الاقتصاد السياسى والاحصاءات وكل منهما عزز مذهبه بمبدأ على يقبله الاقتصاديون أنفسهم

فاتخذ ماركس قاعدة قبلها كبار الاقتصاديين حتى آدم سميث وريكاردو وهى « أن الثروة ثمرة العمل وحده وان قيمة الشىء قائمة بالعمل الذى بذل لاحداثه فرأس المال اذن لاقيمة له فى ذاته فلا قيمة لشىء الا بعمل العامل فيه، وبما أن العامل هو الفاعل وحده فى احداث قيمة المصنوع حق له التمتع بثمرة عمله من غير أن يشاركه فيه رب المال فالواجب اذن يقضى ان يقتسم العملة فيما بينهم أرباح الصناعة لا أن يعطوا على عملهم أجرا »

هذا مبدأ ماركس أما لاسال فجعل مدار بحثه ما سماه بقانون الاجور الجائر الذى عول عليه قدماء علماء الاقتصاد وبسطه توركو وهو « أن العامل الساذج لايملك من الدنيا الا يديه ومقدار ما يبيع من عملها لتحصيل خبزه فهو يبيع ذلك العمل بثمن جل أو قل. وهذا الثمن على حالتيه هاتين هو نتيجة الاتفاق الذى يعقده الصانع مع الشخص الذى يؤديه ثمن عمله وهذا الشخص يسعى أن يؤدى من الثمن أقل مايمكن، وبما أنه مخير فى انتقاء العملة من بين عمال عديدين فانه لا يختار الا من يأخذ منه أقل من سواه، فيضطر العملة أن يخفضوا من أثمان عملهم تناظرا فيما بينهم فيغبن العامل فى كل ضرب من ضروب الصناعات الى أن يكتفى من الاجور بما يكفيه للقيام بأوده

وقد قال لاسال : « ان فى كل مجتمع منظم على هذا النسق يضطر الصانع أن يستمر على هذا النمط من أجر عمله ومهما زاد العمل وتحسن فلا يحصل منه الا على مايقيه من الموت جوعاً ولا يفيد شغله الا أرباب المال الذين يستخدمونه فى عملهم وما شأن العملة اليوم الا خدمة أرباب المال مع أن الواجب أن يعكس الامر فتصير الأموال لخدمة العملة فيجنى هؤلاء حينئذ ثمرة اتعابهم »

هذا هو رأى لاسال وقد طالب الحكومة أن تنظم العمل تنظيما يمكن العملة من الحصول على المال

ولم يقف كل من ماركس ولاسال عند حد الكتابة بل تأتى لهما خلال بضع سنين أن يجعلا لها فى ألمانيا حزبا قويا فنشأ سنة ١٨٦٦ حزب الاشتراكيين الديموقراطيين واشتد ساعده حتى بلغ عدد نوابه فى الرشستاغ فى سنة ١٨٩٣ اربعين نائبا وتهيأ لهم عقد الاجتماعات ونشر الجرائد فتوجست الحكومة منه خيفة فسنت لكبح جماحه قانونا سنة ١٩٠٠ الا أن الاشتراكيين الالمان لا يطلبون قلب نظام المجتمع ولا ابطال حق التملك والارث ولا الحرية الذاتية وانما يطلبون من الحكومة تبديل نظام التملك ووسائل العمل (يعنى بها المعامل والمناجم والطرق الحديدية والاملاك الكبيرة) بحيث لا ينفرد الافراد ولا الشركات بامتلاكها بل تكون ملكا مشاعا للامة كلها ويناط بالحكومة ايجارها لجماعات من العملة ومن ذلك المبدأ اشتق اسم فرع من الاشتراكيين المسمين *Collectiviste*

(الفوضويون) مما أنتجته المدنية الاوربية من جراء اطلاق الافكار فيها مذهب يسمى بالفوضوية ومؤداه وجوب ترك الناس على حالتهم الاجتماعية الفطرية فلا داعية لوجود حكومات ولا كنائس ولا شرائع دينية ولا نظامات سياسية ولا قضائية ولا مالية ولا تنفيذية ولا تعليمية ولا اقتصادية ولا اجتماعية غير أنهم لم يبدوا رأيا فى اعاضة ما يريدون ملاشاته ويقولون: «ان كل كلام يقال عن المستقبل يعد جريمة لان ذلك الكلام يحول دون الملاشاة المطلقة ويقف عثرة فى سبيل تقدم الانقلاب الجديد»

الفوضويون يوجدون فى كل البلاد الاوربية وبعضهم يقيم فى المدائن الكبرى من الولايات المتحدة، على أن هذا الحزب لم يبد عملا يذكر إلا فى البلاد الروسية حيث هو هناك يقوم على شكل حزب سياسى يقاوم الحكم المطلق

(الحالة الحاضرة للعالم) يقدر سكان الكرة الارضية بنحو ١٨٠٠ مليونا منهم فى أوروبا ٤٥٠ مليونا وفى آسيا ٩٠٠ مليون وفى أفريقا ٢٥٠ مليون وفى أمريكا ٢٠٠ مليون وعلى الارض عدد كبير من الاجناس المختلفة الا أن معظمها تقهر

فضعف أمرها ووهن بما تسرب اليها من البربرية والهمجية حتى أصبحت تتلاشى ومنها ما غلبت عليه الاجناس الاشد قوة فامتزج بها كما هو الحال فى هنود أمريكا فلم يبق من البشر الا ثلاثة أجناس كبرى هى الجنس الابيض الساكن فى نصف آسيا وأوروبا وامريكا واستراليا وشواطىء افريقا، والجنس الاصفر الساكن فى آسيا الشرقية ويمتد الى أرخبيل ماليزيا، والجنس الاسود والزنوج سكان افريقا والاقاليم الحارة من امريكا، على أنهم نقلوا من مواطنهم الافريقية الى امريكا فى حال الرق وقضوا فيه أيامهم الماضية

على هذا النسق يتمشى تعدد الاديان وهى وان كانت الى الآن كثيرة الا أن معظمها لا يدين به الا فئة قليلة من الناس فى بعض القبائل المتبربرة فتراها آخذة فى التلاشى سائرة الى الانقراض أسرع من سير الجنسيات بسبب وجود أديان أحسن منها نظاما تنازعها البقاء والسيادة

اما الاديان التى تتوزع العالم كله فهى اربعة البرهمية واليهودية والنصرانية والاسلامية فالنصرانية سائدة فى اوربا وامريكا وعدد أتباعها ٤٣٥ مليون. والاسلام سائد فى غرب آسيا وفى افريقا وعدد أتباعه ٤٧٠ مليونا والبوذية سائدة فى غرب آسيا والآخذون بها يبلغ عددهم ٥٠٠ مليون والبراهمة في الهند عددهم ١٥٠ مليونا . ويبلغ عدد اليهود نحو عشرة ملايين منتشرون فى العالم وما بقى من سكان الارض وهم عشرات من الملايين فوتنيون مختلفو النحل يدخلون فى الاديان المتقدمة أفواجا

كل البلاد المتمدنة يتصل بعضها ببعض بالطرق الحديدية والسفن البخارية التى تقوم بها سبع وسبعون شركة وبالاسلاك التلغرافية وهى تمتد الى نحو ١٢٠٠٠٠٠ كيلو متر وبالاسلاك البحرية وهى تمتد الى ١٥٠٠٠٠ كيلو متر وباتحاد البريد الشامل لجميع أنحاء الكرة الارضية وجميعها تتبادل الحاصلات والاموال فتراها لذلك كله فى اتصال مستمر فلا يمر يوم حتى تنشر أخبار العالم بأجمعه محمولة بالتلغراف

تكاد تكون طرق المعيشة واحدة فى كل العالم المتمدن فتجدها فى جميع المدائن الكبرى تتشابه من حيث انتظام

شوارعها وسعة ساحاتها ورصفها بالبلاط ووجود طرق للمشاة وأخرى للمركبات

من خصائص البلاد المتمدنة انتقال الافكار والآراء فيها بسرعة عظيمة حتى أفضى الحال الى توحد مناهج العلم والكتابة فيها جميعا فترى الامم يأخذ بعضها عن بعض مناهج العلم والسياسة والادب فأصبحت هذه الشؤن كلها مشتركة بينها الا اللغات فان لكل امة لغة خاصة بها

فاذا قابلنا حالتنا الحاضرة بحالات الناس فى العصر القديم نجد بونا بعيدا بين الحالتين فان الخيرات المادية التى تحصل عليها لم تكن تتهيأ لأسلافنا الا بقوة الانسان والحيوان الداجن أما نحن فقد استبدلنا قوة الآلات بذلك كله فى العمل اليدوى وتكفلت المعامل بكل حاجات الحياة حتى تحولت الزراعة ذاتها الى صناعة فأصبح التمدن صناعيا . فأوجب اتقان الصناعة زيادة الثروة زيادة عظيمة جدا حتى اجتمع منها فى مدى نصف قرن أموال طائلة لا تحصى . فكثر الترف وانتشر الى كل مراتب المجتمع حتى الدنيا منها

وولدت المخترعات الجديدة من رغد الحياة وخفض العيش ما لا كان يحلم به سادات القرون الماضية، مثل سرعة الانتقال وجودة الطرق وانتظام الفنادق وحمامات البحر والتنزه بالسفر وقراءة الجرائد والمجلات والاستفادة من مشاهدة الآثار والمتاع بالشوارع الموصوفة المنارة بالاضواء الساطعة

وقد تم الاتصال بين الامم حتى صارت كل أمة تخطو خطوة جديدة فى سبيل الترقى تقتبسها كل الامم عنها وتستفيد منها فصار التمدن عاما بين الجميع يتمتعون بنعمه على السواء

والعلوم الحديثة اليوم تعول على المشاهدات لا على الآراء فاندفعت العقول لاستطلاع مساتير الوجود بالنظر ورغبت فى الوقوف على عللها، وهذا اكبر مميز لحياتنا العقلية الحديثة. ونتج من الرغبة فى البحث عن الحقائق مبدأ وصف الاشياء المحققة الرياليسم *Réalisme* وأنتجت الرغبة فى التقدم غير المتناهى المبدأ التصورى وهو المسمى ايديالسم *Idéalisme* فالفنون الحديثة هى من باب الرياليسم وأصحابها قلما يرغبون فى استكمال الشكل وانما ينصرفون الى الدقة فى صغائر التفصيلات ويكثرون منها . وعلى العكس من ذلك

ترى الحاجة فينا شديدة للمبدأ التصورى أى الايديااليسم

وكانت الهيئة الاجتماعية القديمة قائمة على التقاليد ولم يكن هم ذويها الا الاحتفاظ بها وأما فى أيامنا هذه فيسعون الى تحسين الشؤن بصوغها على النظريات التصورية.

وكانت القوة والعادات تدير شؤن المجتمع القديم وأما اليوم فهو قائم على المبادىء

لم يبق من كل الشؤون القديمة الا الأسرة وحق التملك وما عدا ذلك فقد تبدلت حالته وصارت الهيئة الأجتماعية الحديثة لاتعترف لانسان بحق على الآخر فلا سلطة للسيد على رقيقه ولا لرب المصنع على عملته ولا الكبير على من دونه ولا تعترف الا بسلطة أب الاسرة على زوجته وأولاده وبذلك تلاشت العادات والشرائع التى كانت تقيد حياة الافراد وصار فى استطاعة كل انسان أن يتولى أمر نفسه بذاته ومنحت للجميع حرية الضمير والدين والكلام والذهاب والاياب واختيار الوطن وتدبير المنزل والتجارة والصناعة

وكانت الشرائع القديمة ارسطوقراطية تقسم الناس الى مراتب غير متساوية وتوجب على كل واحد البقاء فى مرتبته وأما الهيئة الاجتماعية اليوم فهى ديموقراطية تعد الناس كلهم سواء أمام القانون ولم تبق محافظة الاعلى عدم المساواة الناتجة عن الثروة وبذلك نشأت المساواة العامة

وكانت الامة فى تلك الازمان تتألف من نفر من الممتازين سواء كانوا من الوطنيين او الاشراف . وقد قال ارسطو : « ان بلدا حسن النظام لا يصح أن يجعل صناعه من الوطنيين» لان الصنعة اليدوية كانت مهينة فى نظرهم . فكان الصناع لا يجوز لهم تولى مناصب الحكومة ولكن الهيئة الاجتماعية الحديثة تقبل كل الاهلين حتى العملة فجعلت بذلك للصناعة حقا وصارت تحترم الصناع والتجار احترامها لاصحاب الاملاك

وكانت الهيئة الاجتماعية القديمة قائمة على مبدأ الاغتصاب وأما الحكومة الحديثة فذات ادارة قانونية تعرف كل شىء وتحفظ الامن فى كل مكان ، وللشرطة والقضاة قوة كافية لحماية الافراد من اعتداء الاشقياء، وعمال الحكومة على جانب من الامانة ، والمراقبة عليهم تكفى لمنع كل تعد يحدث منهم على الافراد (اعتمدنا فى ايراد الاحصاءات المتقدمة فى هذه المقالة

على كتاب تاريخ التمدن العصرى تأليف المسيو شارل سنيوبوس الاستاذ بكلية باريز)

(عيوب المدنية العصرية) مهما كان مظهر هذه المدنية العصرية خالبا للعقل، متسلطا على النفس الا ان فيها عيوبا جوهرية قد تنقلب الى امراض عضوية تكفى لالحاقها بالمدنيات البائدة، وقد تزول بتأثير عوامليا المكملة فتخلص من شرورها وتبقى ماشاء الله ان تبقى

تلك العيوب عديدة ولكن يجمعها أصل واحد وهو افراطها فى الميل الى الاطلاق حتى تكاد تصل بميلها هذا الى كسر كل قيد يتقيد به الانسان حتى الضرورى لحياته الاجتماعية

نشأت هذه المدنية تحت تأثير ضغط شديد سواء من المسيطرين على الدين أو من المتسلطين على الحكومة فاكتسبت لذلك السبب عاطفة كسر القيود فهى بحكم هذه العاطفة لاتزال مندفعة فى هذا السبيل حتى حيال ماهو ضرورى لقيام بناء المجتمع

هذه العاطفة منها تظهر بمظاهر شتى على حسب الشؤن التى تلابسها فهى حيال الدين مائلة الى الالحاد، وامام الاخلاق مندفعة الى الاباحة، وازاء التقاليد والعادات مسوقة الى الاطلاق. وهذا الاندفاع منها وان كان أفادها كل الفائدة فى أثناء عراكها مع القوى التى كانت ضاغطة على البشر الا انها لاتفيدها وقد آلت اليها الدولة، بل قد تحمل مالايجوز حله وتكسر مايجب حفظه، وينتهى الامر الى الفوضى التى ليس لها دواء الا ارتكاس الاحوال الى شر مما كانت عليه

كان المسيطرون على الدين فى زمن من الازمان يرون المدنية الجديدة خطرا على الناس فقاموا بمماكستها واضطرت المدنية بحكم الدفاع عن نفسها الى المقاومة وكسر كل مايقوم أمامها من أمور الدين

فلما دالت لها الدولة لم تقف أمام الدين (بمعناه المطلق) وقفة المتئد لتنظر فى أمره نظرة متثبت، بل أمعنت فى مماكسته والاجهاز عليه وعدت كل من يميل اليه او يتكلم عنه من بقايا أهل العصور الغابرة، فانتشر الالحاد فى اوروبا فى القرن الثامن عشر والنصف الاول من القرن التاسع عشر انتشارا شنيعا حتى ظن الاكثرون أن لاقيام للدين بعد ذلك

ولا يخفى مافى هـذا من الخطأ العظيم من جهة ، ومن الضرر الجلـل الذى يصيب الهيئـة الاجتماعية من جراء ضياع اكبر ماتتوق النفس اليه من الركون لعقيـدة تخفف عنها ويلات الحياة ، وتسليها عما يصيبها من مزعجات هذا العالم وتوازله من جهة أخرى

ثم كان القائمون على الحكومات آخذين بخناق المجتمعات لا يقيد سلطانهم قيد، ولا يزع غلواءهم وازع، ولقيت المدنية منهم فى أثناء نشوءها أشد ما يلقى ناشىء من قائم عليه ، فنشأت متشبعة بكراهة كل تسلط فتقمصت روحا من الاطلاق مفرطة فقررت الحرية الشخصية ولم تستثن من تلك الحرية الا ما يعود بالضرر على الغير ، وضيقت من دائرة ذلك القيد حتى لم تعد من الضرر بالغير امورا كثيرة لا يقف ضررها عند حد فاعلها كتعاطى المسكرات وتبرج النساء واقامة المراقص والملاعب وغـير ذلك مما نحتاج فى تعقبـه الى التطويل

ولكيلا لا نتهم بتحيز نرى ان ننقل فى هذا الصدد بعض ما يقوله فلاسفة هذه المدنية نفسها ومنه يتضح مواقع الضعف فى بنائها ثم لنا بعد ذلك ان نبحث فى هل هذه العيوب قابلة للزوال بعوامل هذه المدنية نفسها أم يوشك أن تستحيـل الى أدواء تقضى عليها كما قضت على المدنيات التى تقدمتها

قال العـلامة الاجتماعى الفرنسى (فيرنس جيافرت) فى كتابه (الغمة العصرية) *La tristesse Contemporaine* فى مناسبة ابطال العلم للدين :

« ان العلم قد غلا فى الاستفادة من سرعة تصديق العامة اكثر مما غلا رؤساء الدين ، فقد أثبت لهم عدم صحة الرموز الدينية القديمة وعدهم ما عاضتهم عنها بأصول ثابتة أبدية لدين حسى جـديد ، فلم يف بوعده لهم . ولما آب للانسانية رشدها ، وقد فقـدت شعرياتها السابقة ، وجـدت نفسها حيال فراغ اوسع مما كانت فيه من قبل. وفى الواقع ماذا يفيد الانسان علمه ببعض الحوادث الطبيعية بجانب ذلك الالحاد المتجدد المؤلم الذى يجرنا اليه ضميرنا الفاقد لحرارة الحياة ؟

«انهم ينصحون كل انسان بأن يكون لنفسه دينـه الخاص ، ولم يفطنوا الى ان هذه النصيحة المزدوجة تحتوى على تناقض

بين اذ أن المذهب الحسى لم يترك للانسان مجالا فى غير المسائل المادية المحضة

« ان الحقد والعداوة يزدادان يوما فيوما فى نفوس أهل البأساء المحكوم عليهم بالفاقة الى الابد ، وان جنون البذخ والكبر ينمو على قدر ذلك لدى أهل اليسار والترف، وهذا الالحاد الآخذ فى النمو يسوق جماعاتنا بعاطفة المساواة الى حالة ثورية دائمة . وأصبحت ترى الملوك العظام يتعاقبون على عروش الملك بسرعة لم تكن تشاهد فى وزراء الازمنة الماضية ، والحكم المطلق بدل ان يتشبح فى بعض الافراد أضحى منتشراً بين الملايين. فكل ديموقراطى يتمنى ان يبلغ الرتب العلية . وترى الشعب لما أحس انه خلص من أسر الواجبات الروحية التى تفرضها الكنيسة وازدرى بذلك الدستور السياسى الذى تراه يتغير بسرعة جنونية، أعطى لعاطفة الاثرة فيه كل الحرية وصار يعتبر ان ماله من حق المساعدة فى ادارة شؤون حكومته وسيلة لنيل مآربه الحيوانية بأسرع ما يمكن. ولقد رجونا أن نداوى مصائب النوع الإنسانى بالكنوز المادية التى ألقيت بين أيدينا من منذ قرن من الزمان ، كما تكاتف العلماء والمهندسون والصناع والميكانيكيون على زيادة متاع الحياة الدنيا زيادة عظيمة، ولكن لم يكن من نتيجة كل تلك المكتشفات الانشر حمى حب المال فى الطبقات السحيقة جدا

« فأى قانون أخلاق يكفى لكبح جماح أهوائنا وادخالها الى مجاريها الطبيعية المعتدلة ؟ لقد ذهب عنا الكمال المعنوى ولم يبق فينا الاخوف مبهم من شىء غير مدرك لان العقيدة بالله لا تمكن روالهامن النفس ، فترى الذين لا احساس لهم يستفيدون من وراء ما وقعنا فيه من الظلمات، وترى العقول المستنيرة بالعلم ، المحرومة من الدين تمنذرهم فى ارتكابهم الجرائم وبهذا فقد أصبحت الشهوات غير واقفة عند حد

« ان تحت هذا الهدوء الذى اقتضاه الخوف العام لأحقاد تحتد ر اختمارا بأشد مما كانت عليه فى أى زمن من الازمان فان جرائم الفوضويين وافلاس الماليين وانتحار الاسر بأجمعها والوساوس الخرافية الآخذة فى الانتشار بين الناس والجنون الذى لا ينتطر الاسنوح الفرص وأصحاب الاثرة البائسين ، كل هذا الفساد الخلقى الشديد

الوطأة البعيد القرار الذى عم أجناسنا ناشىء من عدم وجود قاعدة دينية تصلح لاحداث الوحدة والاخاء بين احتياجنا الدائم للعمل وبين عاطفتنا للحب

« لذلك نرى ظلمات من الحزن والكمد آخذة فى الاسوداد كل يوم ملقية أطنابها على عالمنا ، ويزعم الانسان فى غروره ان حرية الاثرة ستحصل له كل ما يتمناه من سرور وانشراح حتى صرنا وكل يوم لنا مطلب جديد وكل طائفة تسعى لنيل امتيازات جديدة وكل فرد يدعى لنفسه حقوقا ليس لها حد تنتهى اليه وبذلك فقد أصبح الانسان بين هذا العذاب المنصب عليه من الكبر والتمرد معترفا بأنه أمام الحياة أضعف مما كان عليه فى أى زمن الازمان » انتهى

وقد قال العلامة (كاميل فلامريون) ونظن انه غير مجهول لدى القارئين : « لا يجوز لنا أن نخجل من الاعتراف بما وقعنا فيه من الانحطاط لأننا رضينا به وأصبحت عقولنا المتشبعة بالاثرة لاهم لها الا أغراضها الذاتية. أليس حظنا اليوم من الحياة قد استحال لجمع الثروة بلا مبالاة بوجوه جمعها ، والحصول على المجد بطريق السلب لا الكسب ، والجمود وعدم الاهتمام بالدستور والواجبات ؟ » « وأن من التناقص البين المؤلم أن نرى أن الرقى الباهر الذى حصل فى العلوم مما لا مثيل له فى التاريخ ، وأن هذه الفتوحات المتوالية التى تمت للانسان فى الطبيعة بينما رفعت عقولنا الى المدركات العالية أهبطت انسانيتنا الى أخس الدركات . ومن المحزن أن نحس بأنه بينما نشعر بنماء قوتنا يوما بعد يوم ، تنطفىء حرارة قلوبنا وتتصوح زهرة حياتنا القلبية بتأثير غلبة المطامع المادية والشهوات الجسدية علينا » انتهى

هذا بعض ما يقوله كبار فلاسفة أوروبا فى مدنيتها العصرية ونستطيع ان نملأ منه مجلدات فهل تدل هذه الاقوال على ان المدنية الاوروبية محكوم عليها بالانحلال وأن أدواءها الحالية ستستحيل بمرور الزمان الى عاهات يعسر شفاؤها فتؤديها الى التلاشى والزوال ، أم هى تدل فى جملتها على ان فى هذه المدينة من عوامل المقاومه ما يمكنها من التغلب على هذه الاعراض السيئة ، بحجة ان قيام رجال منها بإبداء النصح على الاسلوب الذى تقدم أفصح شاهد على ما فى هذه المدنية من تلك

العوامل ؟

ان الجواب على هذا السؤال من وجهين :

(أولهما) ان كل مدنية لا تتلاشى الا بقيام مدنية تنازعها البقاء وتكون أصلح منهما لقيادة العواطف والميول. ولا نرى فيما بين ايدينا من حالات الامم حالة مدنية تصلح لمنازعة المدنية الاوروبية الوجود ، فهى سائدة اليوم سيادة مطلقة وقد خلا لها الجو من كل مزاحم فهى من هذه الوجهة آمنة على وجودها أمنا يسمح لها بالتطور والانقلاب غير خاشية من العوامل المحللة التى تكثر فى أدوار الانتقال

(وثانيهما) أن قيام هذا الجم الغفير من المفكرين بوظيفة التنبيه والنصح فضلا عن دلالته على قوة أصولها سيؤثر على مزاجها تأثيرا نافعا يرجح ان يميل بها الى الطريقة المثلى بعواملها الذاتية فترقى وتتكمل بدون أن تصاب فى أصولها بما يؤثر على كيانها الصميم ، ولاشك أن هذا يكون فى مصلحة النوع البشرى فان زوال مدنية وقيام مدنية اخرى مقامها لا يتم الا باضطرابات تمخض النوع الانسانى مخضا يكون شديد الوطأة فانه يتعطل معه الترقى العام قرونا عديدة

نعم ان كل الدلائل التى بين أيدينا تدل على أن عوامل هذه المدنية كافية لاصلاحها على ما يطبق على الحاجات الانسانية ولتكميل نواقصها سواء أكانت مادية ام روحية

فاذا كان الفلاسفة والمصلحون يتشاءمون من الحالة الالحادية التى تأدى اليها الناس بغلو العلم الطبيعى وخيلاء القائمين عليه فاننا نشاهد بأعيننا اليوم قيام ألوف مؤلفة من العلماء يبحثون فى القوى الروحية وخصائصها جريا وراء اثباتها من طريق الحس وقد بلغوا من جمع الادلة على هذه الحقيقة مبلغا لم يكن يحلم به الفلاسفة الاعتقاديون فى أى عهد من عهودهم وعلى ثبوت روح الانسان وخلودها يقوم بناء الدين المطلق بكل ما يقتضيه من أصول ومبادىء

فاذا كان العلم المادى أسقط الانسان الى حضيض الحيوان من الوجهة المادية واستدعى ذلك فسادا كبيرا فى الاخلاق والميول والوجهات والمرامى فان العلم الروحى التجريبى سيكمل هذا النقص ويرفع الانسان من الوجهة المعنوية الى مرتبته

الحقيقية وستستلزم اصلاحا عظيما فى اخلاقه وميوله ووجهاته ومراميه

أن مبلغ الحركة القائمة فى أوروبا لاثبات الروح لاتزال مجهولة عند الشرقيين ولكنها فى الواقع حركة لم يسمع بمثلها فى عهد من عهود التاريخ . ناهيك بقيام المئين من العلماء من كل أمة وفى كل مدينة لتحقيق هذا البحث الجليل وتمحيصه واستخدام مئات من المجلات لنشر مباحثهم فى ارجاء المعمور . وقد قدر عدد المفكرين الذين يعتقدون صحة هذه المباحث بثلاثين مليونا وقد درسنا أمر هذه الحركة فى كلمة روح فليرجع اليها من شاء ولا مشاحة فى أن من وراء هذه الحركة العلمية تأسيس الدين المطلق على صفائه ونقائه تأسيسا لم يكن فى عصر من العصور . وكفى الانسانية أن يقوم دينها على أصول العلم والحس وتقوم أخلاقها وآدابها على سنن الفلسفة العملية التى لايعتريها الشك ولا يتطرق اليها الريب

فالذى نراه ان المدنية الاوربية ستصل بعواملها الذاتية الى درجة الكمال المرجو للانسان . ومن فائدة النوع البشرى التألب على المحافظة عليها وحمايتها من الانحلال وكل مانوده من الشرقيين المقيمين منهم على القديم والآخذين منهم بالجديد أن لا يغلو كل فى الطريق الذى يجدّ فيه وأن يدركوا الواقع على ماهو عليه ان ارادوا بمجتمعهم وبأنفسهم الخير الذى يرمون اليه

فالاولون يحقرون من شأن هذه المدنية ويحكمون عليها بالزوال وينتظرون بها الدوائر ويؤملون ان تقوم على انقاضها مدنية تعيد لهم عصرا من عصور التاريخ . وهى امنية لايمكن أن تتحقق لانه لايمكن أن تخلف مدنية مدنية اخرى الا اذا كانتا موجودتين معا وتنازعتا العالم فى ميدان واحد ، لا أن تكون احداهما قائمة زاهرة والاخرى فى بطون الكتب أوفى غيابات المخيلات

وليعلمن أن هذه المدنية بما فيها من عوامل التكمل التى قدمناها لاتزال فيها علل البقاء والاستمرار ، فأولى لهم وبهم أن يسعوا فى تكميلها مع الساعين ، ولا تحملنهم العصبية القومية على عدها أجنبية عنهم فانها محصول جهود لاتحصى ، لآبائهم منها حظ وفير ، بل لايزال لهم فيها آثار مطبوعة بطابعهم ، فان العلوم التى قام على أصولها صرحها الفخم تنتهى فى حلقة من

سلسلة نسبها الى المسلمين فى ابان دولتهم وقد اعترف بهذه الحقيقة التاريخية جمهور المؤرخين. أفلا يكون من الجهل العظيم أن يتنازل المسلمون عن تعيين قسطهم من هذه المدنية وطلب حقهم من السعى فى تكميلها مع الساعين؟ انهم لو وقفوا غير هذا الموقف وعدوا أنفسهم أجانب عنها كانوا مضيعين لحقوق أسلافهم ، وهادين على تراث آبائهم ، ثم لايجدون لهم بعد ذلك مايرتكزون عليه فى اقامة المدنية التى يتخيلونها فتبقى أمانيهم وهمية وتنتهى كما تنتهى الخيالات التى لاترتكز على شىء.

وأما الآخرون أى الجارون وراء الجديد فعليهم أن يتئدوا فى أخذ مايأخذون وأن يتحروا مصلحة مجتمعهم فيما يقلدون. فان زعمهم ان كل مافى هذه المدنية خير محض يجب أخذه بلاتمحيص ، غرور عظيم لايقول به أحد من أهل هذه المدنية نفسها. واذا كان لأهلها العذر فى الخلط بين مضارها ومنافعها فليس لمقلديهم منا العذر فى ذلك وهم بعيدون عن التورط فيها ولهم ان يتخيروا مايأخذون ، ويفكروا فيما ينتحلون

نعم انخينا قوماً يجرون وراء التقليد بدون نظر فيريدون أن ينتحلوا كل مايرون أمامهم من شؤون هذه المدنية سواء أكان ذلك من شؤون الحياة الشخصية أم أمور الحياة الاجتماعية ، وتجدهم يسرعون الى حل كل مبرم وابرام كل محلول من أشياء مجتمعهم ليضاهئوا به مايرونه بين أيديهم من شؤون المتمدنين بدون نظر الى اى مآل يؤولون ولا الى أى غاية هم منتهون ، وهو خطأ عظيم فان اضاعة الفرصة فى التخير بين الضار والنافع مع سنوحها ليس من شأن العقلاء المتثبتين فضلا عن أن وراءها شرا عليهم وعلى مجتمعهم قد لايقف عند حد . فليربأوا بأنفسهم عن أن يكونوا عوامل انحلال فى مجتمعاتهم ، وجهات ضعف فى بناء شعوبهم ، وليختطوا لانفسهم سبيلا وسطا ينتفعون من سلوكه وينفعون ، ويستفيدون ويفيدون ذلك أولى بالمتبصرين وأجدر بالصالحين

(المدنية الاسلامية) لابد لنا قبل ختم هذا الباب أن نأتى على فذلكة من تاريخ المدنية الاسلامية ليعرف الشرقيون مبلغ ماوصل اليه آباؤهم منها من جهة ، وليتحققوا ماقلناه من ان لآبائنا أيادى بيضاء على المدنية العصرية لايجوز

لنا ان نتخلى عن تعيين حقوقنا منهم

قال العلامة درابر الاستاذ بجامعة نيويورك الامريكية فى كتابه (المنازعة بين العلم والدين) فى النسخة الفرنسية ما ترجمته :

«بعد وفاة محمد ترجمت الى اللغة العربية أقوم المؤلفات اليونانية. وترجمت القصائد اليونانية الشهيرة (كالالياذة) و(الاوديسه) الى اللغة السريانية ليطلع عليها العلماء دون العامة لما رأوه فيها من الاقاصيص الخرافية عن آلهة اليونانيين مما يخشى منه على عقائدهم ولما ولى الخلافة أبو جعفر المنصور (من سنة ٧٥٣ الى ٧٥٧) نقل عاصمة الملك الى بغداد وجعلها عاصمة فخمة. فلم يأل جهدا فى بذل الوسع فى درس العلوم الفلكية وتأسيس مدارس الطب والشريعة. ولما جلس حفيده هرون الرشيد على عرش الملك سنة (٧٨٦) اتبع أثر جده فى هذه الفتوحات العلمية وأمر باضافة مدرسة الى كل مسجد فى جميع ارجاء ملكه. ولكن عصر العلم الزاهر فى القارة الاسيوية لم يشرق الا فى خلافة المأمون الذى تولى الخلافة من سنة (٨١٣ الى ٨٣٢) فانه جعل بغداد العاصمة العلمية العظمى وجمع اليها كتبا لا تحصى، وقرب اليه العلماء ، وبالغ فى الحفاوة بهم

« هذا المركز الذى اكتسبه العرب وهذا الذرق السليم فى العلم استمر لديهم حتى بعد أن انقسمت المملكة الى ثلاثة أقسام حتى ان العباسيين فى آسيا والفاطميين فى مصر والامويين فى اسبانيا لم يكونوا متناظرين متنايرين على الحكومة فقط بل كانوا كذلك على الآداب والعلوم ايضا » .

« ذاق العرب فى الفنون الادبية كل ما من شأنه ان يحد القريحة ويصقل الذهن وقد افتخروا فيما بعد بأنهم أنجبوا من الشعراء بقدر ما انجبت الامم كلها مجتمعة. أما في العلوم فقد كان تفوقهم فيها ناشئا من الأسلوب الذى توخوه فى المباحث وهو أسلوب أخذوه عن فلاسفة اليونان الأوروبيين فانهم قد تحققوا أن الأسلوب العقلى النظرى لا يؤدى الى التقدم، وأن الأمل فى وجدان الحقيقة يجب أن يكون معقودا بمشاهدة الحوادث ذاتها ومن هنا كان شعارهم فى أبحاثهم الأسلوب التجريبى والدستور العملى الحسى. وكانوا يعتبرون الهندسة والعلوم

والرياضة أدوات ومعدات لعلم المنطق . وقد يلاحظ المطالع لكتبهم العديدة على الميكانيكا والادروستاتيك (علم موازنة السوائل وضغطها على جدران أوعيتها) ونظريات الضوء والابصار بأنهم قد اهتدوا الى حلول مسائلهم من طريق التجربة والنظر بواسطة الآلات . هذا هو الذى قاد العرب لأن يكونوا أول الواضعين لعلم الكيمياء والمكتشفين لجملة آلات للتقطير والتصعيد والاسالة (اسالة الجوامد) والتصفية الخ وهذا بعينه ايضا هو الذى جعلهم يستعملون فى أبحاثهم الفلكية الآلات المدرجة والسطوح المملسة والاسطرلابات (هى آلات لقياس أبعاد الكواكب) وهو ايضا الذى بعثهم لاستخدام الميزان فى العلوم الكيماوية ، وقد كانوا على ثقة تامة من نظريتهم : وهو أيضا الذى أرشدهم لعمل الجداول عن الاوزان النوعية للاجسام . والازياج الفلكية (هى جداول تعرف منها حركات الكواكب) مثل التى كانت فى بغداد وقرطبة وسمرقند ، وهو أيضا الذى أوجب لهم هذا الترقى الباهر فى الهندسة وحساب المثلثات ، وهو ايضا الذى هو بهم لاكتشاف علم الجبر ، ودعاهم لاستعمال الارقام الهندية . هذا هو ثمرة تفضيلهم لاسلوب أرسطو الاستدلالى على مقالات افلاطون الاستنتاجية

« ولقد دأبوا على جمع الكتب بصفة منتظمة لاجل ان يتوصلوا الى تكوين المكتبات التى تكلمت عنها وقد قيل أن المأمون نقل الى بغداد مئة حمل بعير من الكتب وقد كان أحد شروط معاهدة الصلح بينه وبين الامبراطور ميشيل الثالث أن يعطيه هذا احدى مكتبات القسطنطينية التي كان فيها بين الذخائر الثمينة الاخرى كتاب بطليموس على الرياضة السماوية فأمر المأمون بترجمته للعربية وسماه المجسطى وقد حصلت عناية بأمر هذه المكتبات حتى أن مكتبة القاهرة كان بها نحو من مئة الف كتاب معتنى بكتابتها وتجليدها غاية الاعتناء . وكان يوجد من بين هذه الكتب ستة آلاف وخمسمائة مجلد فى الطب والعلوم الفلكية فقط . وكان من نظام هذه المكتبة أنها تعير كتبها للطلبة الساكنين فى القاهرة . وكان بتلك المكتبة كرتان أرضيتان احداهما من الفضة والاخرى من البرنز قيل أن

الاولى صنعها بطليموس الفلكي نفسه وانها استدعت ثلاثة آلاف كورون (نقود يونانية) من الذهب وقد اشتملت مكتبة خلفاء الاندلس فيما بعد على ستمائة الف مجلد وكان جدول أسمائها وحده محويا فى اربعة واربعين جزءا . وغير هذا فقد كان بالاندلس سبعون مكتبة عامة وكثير من المكتبات الخاصة . ومما يحكى ان احد الدكاترة العرب رفض دعوة سلطان بخارى له محتجا بأن كتبه لايمكن نقلها الا على أربعمائة بعير

« لقد كان يوجد فى كل مكتبة محل خاص للنسخ والترجمة . وقد كان لبعض الخاصة مثل ذلك . فان هونيان الطبيب النسطورى كان له محل من هذا القبيل ببغداد (سنة ٨٠٥) ترجم فيه كتبا لارسطو وافلاطون وهيبوكرات وجالينوس الخ . أما المؤلفات الحديثة فقد كان من عادة أساتذة هذه الجامعة أن يؤلفوا كتبا فى الفروع العلمية التى تطلب منهم . وكان لكل خليفة مؤرخ خاص يكتب تاريخه . ومن ينظر الى تلك الاقاصيص والحكايات التى هى مثل الف ليلة وليلة يعرف مقدار التصور الشعرى الذى كان لدى العرب ولم يقف بحث العرب عند حد فقد كتبوا فى كل فن وفي كل علم كالتاريخ والشريعة والسياسة والفلسفة وتراجم الرحال وتراجم الخيول والابل وكل هذه المؤلفات كانت تنتشر بدون رقابة ولاحجر ، ومايعلم من المراقبة على الكتب اللاهوتية فقد حدث فيما بعد هذا التاريخ . وقد كانت كتب العرب الزاخرة بالمعلومات التى تصلح لان تتخذ مادة في المعلومات كثيرة جدا فى الجغرافية والاحصاءات والطب والتاريخ وقواميس اللغة ؛ وكان لديهم دائرة معارف علمية ألفها محمد أبو عبد الله . وكان للعرب ذوق دقيق فى صنع الورق النظيف الناصع البياض ، وفى اعطاء الحبر الالوان المختلفة وفي زخرفة وجوه الكتب بتشبيك تلك الالوان المختلفة من الحبر والابداع فى تنميقها وتذهيبها على صفات شتى

« كان الملك الاسلامى العربى مملوءا بالمدارس والكليات ، وكانت بلاد المغول والتتار ومراكش والاندلس حاصلة على عدد عديد منها ، وكان فى طرف من أطراف هذه المملكة الواسعة التى فاقت المملكة الرومانية كثيرا مرصد فى سمرقند

لرصد الكواكب وكان يقابله فى الطرف الآخر مرصد جيرالد فى الاندلس ، وقال جيبون عند ذكر الحماية والرعاية التى بذلها المسلمون للعلوم مايأتى :

« كان أمراء المسلمين فى الاقاليم يناظرون الملوك فى حماية العلم والعلماء وكان من نتيجة تنشيطهم هذا للعلماء ان انتشر الذوق العلمى فى المسافة الشاسعة التى بين سمرقند وبخارى الى فاس وقرطبة ويروى عن وزير لاحد السلاطين انه تبرع بمائتى الف دينار لتأسيس كلية علمية فى بغداد ووقف عليها خمسة عشر الف دينار سنويا وكان عدد الطلبة فيها ستة آلاف لافرق بين غنى وفقير . فكان ابن السيد العظيم وابن الصانع الفقير على السواء وكانوا يكفون التلامذة الفقراء مؤونة دفع أجرة التعليم ويعطون الاساتذة مرتباتهم بكرم وسماحة وكانت المؤلفات الجديدة الادبية تنسخ وتجمع سدالحاجة أهل العلم وشهوة الاغنياء فى جمع الكتب » انتهى كلام العلامة جيبون . ثم قال درابر :

« وكانت قيادة المدارس مودعة لذوى المدارك الواسعة فكانت اما بيد النسطوريين او اليهود لان المسلمين لم يكونوا يتحرون عن جنسية العالم وديانته وما كانوا يزنون قدره الا من أعماله ولقد فاه الخليفة الكبير المأمون بفكره على حقيقة العلماء فقال : ان صفوة خليفة الله ، وأفضل عباده وأنفعهم ، هم الذين يقفون حياتهم على تربية مواهبهم الطبيعية وان الذين يعلمون العلم والحكمة للناس هم مصابيح العالم ، ولولاهم لارتكس الخلق فى عماية الجهالة وغياهب البربرية »

ثم قال درابر :

« وقد اتبعت المدارس الطبية عامة مثال مدرسة الطب فى القاهرة فى اختبار الطلبة قبل اخراجهم نهائيا بحيث لا يستطيع أحدهم أن يشتغل بمهنة التطبيب الا بهذا الشرط »

« وأول مدرسة أنشئت من هذا القبيل فى اوروبا هى المدرسة التى أسسها العرب فى (سالرن) من ايطاليا ، وأول مرصد أقيم فيها هو ما أقامه المسلمون فى أشبيلية باسبانيا

« ولو أردنا أن نستقصى كل نتائج هذه الحركة العلمية العظمى لخرجنا عن حد هذا الكتاب ، فانهم قد رقوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جدا ؛ وأوجدوا علوما

أخرى لم تكن معروفة من قبلهم »

ثم تكلم المؤلف على براعتهم فى العلوم الرياضية وعلى التسهيلات التى أدخلوها عليها وعلى تفوقهم فى حساب المثلثات والعلوم الفلكية وما ألفوه فيها من الكتب وما سطروه من الجداول والتقاويم

ثم قال — :

« العلماء الفلكيون من العرب اهتموا أيضا بتحسين آلات الارصاد وتهذيبها، وبحساب الازمنة بالساعات المختلفة الاشكال والساعات المائية والسطوح المدرجة الشمسية . وهم أول من استعمل البندول (الرقاص) لهذا الغرض

« أما فى عالم العلوم التجريبية فقد اكتشفوا الكيمياء وبعضا من محللاتها الشهيرة مثل حمض الكبريتيك وحمض النتريك والكحول (الاسبرتو). استخدم العرب علم الكيمياء فى الطب لأنهم أول من نشر علم تحضير العلاجات والاقرباذينات واستخراج الجواهر المعدنية . اما فى علم الميكانيكا فانهم عرفوا وحددوا قوانين سقوط الاجسام وكانوا عارفين تمام المعرفة بعلم الحركة . اما فى الايدروستاتيك وهو علم موازنة السوائل وتقدير الضغط الواقع منها على أوانيها فقد كانوا أول من عمل الجداول المبينة لانواع الاوزان النوعية وكتبوا ابحاثا على الاجسام السابحة والغائصة تحت الماء . أما فى نظريات الضوء والابصار فقد غيروا الفرض اليونانى الذى مقتضاه أن الابصار يحصل بوصول شعاع يمتد من البصر الى الجسم المرئي وقالوا بعكس ذلك أى أن الابصار يحصل بوصول الشعاع من المرئى الى العين وكانوا يعرفون نظريات انعكاسات الاشعة وانكساراتها وقد اكتشف الحسن الشكل المنحنى الذى يأخذه الشعاع فى سيره فى الجو وأثبت بذلك اننا نرى القمر والشمس قبل أن يظهرا حقيقة من الافق وكذلك فى الغروب نراهما قليلا بعد أن يغيبا

« ان نتائج هذه الحركة العلمية تظهر جليا بالتقدم الباهر الذى نالته الصنائع فى عصرهم . فقد استفادت منها فنون الزراعة فى أساليب الرى والتسميد وتربية الحيوانات وسن النظامات الزراعية الحكيمة وادخال زراعة الارز والسكر والبن ، وقد انتشرت المعامل والصنائع لكل نوع من أنواع المنسوجات كالصوف والحرير والقطن ، وكانوا يذيبون المعادن

وكانوا يجرون في عملها على ما حسنوه وهذبوه من صنعها وسبكها

« وكان العرب من عشاق الموسيقى والشعر وقد وهبوهما وقتا كبيرا وحبوهما مكانة من أفئدتهم وهم الذين علموا الاوروبيين لعب الشطرنج وبثوا فيهم ذوق مطالعة الاقاصيص . وكان للعرب لذات روحية حتى في المجالات الزاهرة للادبيات الفلسفية ، فكان لديهم مؤلفات عالية جدا في تقلب الاحوال الانسانية وعلى نتائج عدم التدين ، وعلى زوال النعم ، وعلى أصل العالم وبقائه وآخرته ، وانا ندهش أحيانا حينما نرى في مؤلفاتهم من الآراء العلمية ما كنا نظنه من نتائج العلم في هذا العصر . من ذلك ان مذهب النشوء والتحول للكائنات العضوية الذى يعتبر مذهبا حديثا كان يدرس في مدارسهم وقد كانوا وصلوا الى أبعد مما وصلنا اليه وذلك بتطبيقه على المواد الجامدة والمعدنية أيضا . فان النظرية التى ابتنى عليها علم الكيمياء (كيمياء استخراج الذهب) هي زعمهم ان المعادن تكونت تكونا تدريجيا . قال الخازنى : واذا سمع الجهال قول العلماء بأن الذهب تكون بالتدريج على طريق الترقى يفهمون من هذا بأنه استحال اولا الى معادن أخرى بمعنى انه كان في مبدأه رصاصا ثم صار خارصينا ثم برنزا ثم صار فضة ثم استحال الى ذهب . ولم يعلموا ان الفلاسفة يقولون عن الذهب كما يقولون عن الانسان أى انه ما صار انسانا الا من طريق الترقي التدريجي وهذا لا يستلزم أن يكون قد استحال الى استحالات نهائية كأن كان أولا ثورا ثم صار حمارا ثم صار قردا ثم انتهى أخيرا بأن صار انسانا » انتهى ما نقلناه عن درابر

وجاء في (كتاب تمدن العرب) للدكتور الشهير (جوستاف لوبون) قال الدكتور المومى اليه ما نصه :

« العرب مع ولوعهم بالابحاث النظرية لم يهملوا تطبيقها على الصنائع فقد أكسبت علومهم الصنائع جودة عالية جدا ، وانا وان كنا لم نزل نجهل أكثر الطرائق التى سلكوها في ذلك الا اننا نعرف نتائجها وآثارها . فنعرف مثلا انهم احتفروا المناجم واستخرجوا منها الكبريت والنحاس والزئبق والحديد والذهب ، وانهم قد برعوا جدا في صناعة

الصباغة ، وانهم مهروا فى سقى الفولاذ مهارة بعيدة المدى حتى ان صفاح طليطلة أصدق البراهين على ذلك ، ونعرف أيضا انه كان لمنسوجاتهم وأسلحتهم ومدبوغاتهم من الجلود ولورقهم شهرة عامة، وانهم فى كثير من فنون الصنائع برعوا براعة لم يلحق لهم شأو فيها للآن (تأمل)

«ومن بين المكتشفات المعزوة للعرب أشياء ذات شأن كبير كالبارود مثلا وهذه المكتشفات لا يجمل بنا ان نسردها سرداً بل علينا ان نبيها شيئا من التفصيل ... الى ان قال: «مما مر يتجلى للقارىء ان ديوان المكتشفات العربية فى العلوم الطبيعية لا يقل فى الخطورة والقدر عما لهم منها فى العلوم الرياضية والفلكية . ومانسرده عليك هنا يبرهن لك عن تلك الخطورة وذلك انه كانت لهم معلومات عالية في الطبيعة النظرية وخصوصا فى نظريات الضوء والابصار ، وقد حفظ عنهم اختراعهم لأجهزة ميكانيكية من أدق ما يعرف من نوعها ، واكتشافهم للجواهر التى تعدمن أعظم أركان علم الكيمياء مثل الكحول وحمض النيتريك وحمض الكبريتيك وقد سجلت لهم أكبر الاعمال الاساسية مثل التقطير مثلا ، وأثر عنهم استخدام الكيمياء لفن الصيدلة »

هذا بعض ما كتبه علماء أوروبا عن اشتغال آبائنا بالعلوم الكونية والفلسفية التى لها الفضل الاول على مدنية اوروبا

أما عن أخلاق المسلمين وآدابهم فى تلك المدنية فقد قال عنهم درابر صحيفة ١٠١ :

« كان خلفاء الاندلس مغمورين فى الترف الذى تسمح به الحياة الشرقية . فكان لهم قصور شاهقة وحدائق غناء ، ودور مملوءة بالجمال والبهجة ، ولم تكن اوروبا العصرية بأعلى ذوقا ولا أرق مدنية ولا ألطف رونقا من عواصم الاندلس فى عهد العرب . فقد كانت شوارعهم مضاءة بالانوار ومبلطة أجمل تبليط والبيوت مفروشة بالبسط وكانت تدفأ شتاء بالمواقد، وتهوى صيفا بالنسمات العطرة بواسطة أسرار الهواء من تحت الارض من خلال أوعية مملوءة زهرا»

مدى ماداه أمهله . و (تمادى فى غيه) لج ودام عليه . و (المَدَى) الغاية . و (المُدْية) السكين جمعها مُدىً

المذِر الفاسد الخبيث وهى

(مذِرة)

﴿مذَع﴾ يَذَع مَذعا حدث ببعض الخبر وكتم بعضه و(المَذّاع) الكذاب

﴿مدغشقر﴾ هى جزيرة كبيرة من جزائر الاقيانوس الهندى يفصلها عن الساحل الشرقى لافريقا قناة موزامبيق. وهى قناة يبلغ عرضها ٣٠٠ كيلومتر فى اضيق جهاتها ويقدر عمقها من ٢٠٠٠ الى ٣٠٠٠ متر

مساحتها ٥٠٢٠٢٤ كيلو مترا مربعا يسكنها ٢٢٤٤٨٧٢ نسمة منهم ٢٢٤٢٤٤٣ من الوطنيين و ٤٨٨ من الاسيويين والافريقيين و ١٩٤١ من الاوروبين منهم ١١٩٣ فرنسيون

أهل مدغشقر مختلفو الاصول فان منهم .... ٨٥ من الهوفاسيين ذوى اللون الصافى والشعر السبط الناعم وهم من أصل اسيوى جاؤا الى مدغشقر فاتحين فى القرن السابع عشر ونزلوا فى وسط الجزيرة. ومن أهلها البتزيلسيون وهم يسكنون جنوب المضبات العالية والبتزيميسارا كيون وهم يسكنون الساحل الشرقى للجزيرة. ومنهم الساكالافيون وهم رعاة دأبهم النهب والغارة ومأواهم الساحل الغربى من الجزيرة. ومنهم الانتـ كارانيون فى الساحل الشمالى والانتيموريون والانتانوريون على الساحل الجنوبى والجنوبى الشرقى

جميع هذه الطوائف ماعدا الهوفاسيين يظهر انهم من أصل هندى ميلانيزى. ولغتهم جميعا هى اللغة المالاغاشية التى هى لغة جميع الذين من أصل ماليزى بولينيزى مع اختلاف وجود النطق ببعض الحروف وفى لغة الطوائف الساكنة فى الشمال وفى الشمال الغربى ألفاظ عربية

جو مدغشقر حار غالبا ولكنه جميل على الهضاب ومضر جدا على الشواطىء ومعادنها كثيرة ولكن لم يستخرج منها سوى الحديد. من تلك المعادن النحاس والرصاص والقصدير والزئبق والذهب

أما حيواناتها فشتى وبها أنواع غريبة خاصة بها مثل الماكى وهو قرد له فم كفم الثعلب. والآلاى آى وهو قرد قراض

ونباتاتها كثيرة وبها غابات عظيمة وأرضها فى غاية الخصوبة غير انها فى حاجة الى نظام الرى، من أجود زراعاتها قصب السكر وفيها شجرة غريبة اسمها شجرة الماء وهى شبيهة بشجر الموز تحت

كل غصن من غصونها ورقة على شكل اناء يمتلىء من مياه الامطا فيستقى منها المسافرون

أما الصناعةوالتجارة فى هذه الجزيرة فغير متقدمتين والفرنسيون آخذون فى توسيع نطاق تجارتها

امتلكتها فرنسا سنة ١٨٩٥ بعد أن دخلت فى حمايتها سنة ١٨٨٥

دياناتها الغالبة الوثنيةولكن المسيحية تنتشر فيها بمجهودات المبشرين

عاصمتها تناناريف وهى واقعة فى وسط الجزيرة وسكانها ١٠٠ الف نسمة وأشهر مدنها تمتاقا وهى ميناء تجارية على شاطئها الشرقى يبلع عدد سكانها ١٥ الفا

بلغت واردات مدغشقر سنة١٩١٣ من المنسوحات والقطن والمعادن المصنوعة والاشربة الروحية والرز ...... ٣٣١ فرنك وبلغت صادراتها من الذهب والكاوتشوك والماشية والاخشاب وغيرها ..... ١٦٥ فرنك

ينقص مدغشقر الطرق الداخلية وليس بها غير الانهار وهى لاتسمح بالتجوال داخل الجزيرة فان فيها قطوعا وشلالات تقطع الطريق على المسافر عليها وقد تأسست شركات لحمل المسافرين من بلد الى بلد ولكن ذلك لايفى بالحاجة فى جزيرة مترامية الاطراف مثل مدغشقر

(اكتشاف مدغشقر) أول من اكتشف هذه الجزيرة هم البرتغاليون سنة ١٥٠٦ . وفى سنة ١٨٤٤ أسس الفرنسيون بسواحلها مصارف تجارية فاستولت انجلترة على هذه المصارف سنة ١٨١١ فانتزعها منها الملك (رادامإ) ملك الهوفاس وكان ملكا مقداما قد ضم تحت امرته كل القبائل النازلة بالجزيرة وفتح بلاده لنور التمدن فكان من وراء ذلك دخول البلاد فى حوزة الاوروبيين فانه لم تأت سنة ١٨٨٥ حتى دخلت مدغشقر تحت الحمايه الفرنسية ثم لما ثارت مدغشقر سنة ١٨٩٥ على الفرنسيين تقرر بعد الثورة أن تتبع البلاد لفرنسا وتضم الى أملاكها

﴿ مَرُؤَ ﴾ الرجل يمرُؤُ مروءة صار ذا مروءة . و (أمرأه الطعامُ) طاب له . و(مرّأه) قال له هنيئا مريئا . و(استمرأ الطعام) استطيبه .و(المرْء)الانسان جمعه رجال من غير لفظه . و(المُروءة) النخوة و(المَرِيء) مجرى الطعام فوق المعدة وتحت البلعوم . وطعام مرىء أى حميد

العاقبة

﴿المرابطون﴾ انظر المشمون مادة ثم

﴿المرىء﴾ هو أحد أجزاء القناة الهضمية التى تبتدىء من الفم وتنتهى بالشرج المرىء هذا عبارة عن قناة طولية تمتد من البلعوم الى المعدة من حذاء الفقرة الخامسة العنقية الى الفقرة الحادية عشرة الظهرية وهو موضوع فى الحجاب المنصف الخلفى أمام العمود الفقرى وينطبق فى الحالة الطبيعية أى فى حالة الراحة . شكله أسطوانى مسطح وسيره ليس مستقيما فى جميع طوله بل يكون أولا على الخط المتوسط ثم يصير الى الوحشية قليلا أعنى انه يعمل قوساً خفيفاً الى اليسار ومتى وصل الى الفتحة العليا من الصدر يصير الى اليمين وقبل مروره الى الحجاب الحاجز يصير الى اليسار

وهو يجاور من الامام القصبة الهوائية والعصب الراجع الحنجرى السفلى والجسم الدرقى والشريان الدرقى السفلى ومن الخلف العمود الفقرى ومن الجانبين السباتى الاصلى والودجى الباطن وأمافى الصدر فيكون موضوعا فى الحجاب المنصف الخلوى ويجاور من الامام القصبة والشعبة اليسرى وقوس الأورطى ومن الخلف العمود الفقرى من اليمين الرئة اليمنى ومن اليسار الرئة اليسرى المنفصلتين عنه بالبليورا

هذا العضو يتركب من ثلاثة أغشية موضوع بعضها فوق بعض وهى من الباطن الى الظاهر الغشاء المخاطى ثم الخلوى ثم الأوعية والاعصاب

فالغشاء المخاطى ابيض اللون شاحبا مكون لثنيات طولية مربية مرزوزات صغيرة ناشئة عن الغدد العنقودية البسيطة الموجودة فى سمكه وبشرة هذا الغشاء ذات خلايا مسطحة

وأما الغشاء الخلوى فهو صفيحة خلوية ليفية يستمر طرفها العلوى مع الصفاق الليفى البلعومى وطرفها السفلى مع الغشاء الخلوى للمعدة وعلى هذا الغشاء تندغم الطبقة العضلية

وأما الطبقة العضلية فمكونة من ألياف عضلية ارادية فى جزئها العلوى وغير ارادية فى جزئها السفلى طولية سطحية وتنشأ من غشاء مرن مرتبط فى الجهة الخلفية لفص الغضروف الحلقى والحلقية موضوعة أسفل

السابقة ومكونة لحلقات محيطة بالمرىء

أما شرايينه فتأتى من المريئية العليا والمتوسط السفلى وأوردته تصب فى الوريد الكبير الفرد وأوعيته الليمفاوية تصب فى العقد المجاورة وأعصابه تأتى من الرئوى المعدى والعظيم السمباتوى

﴿المرأة﴾ أوجدت شؤننا الاجتماعية اليوم المسألة المعروفة فى كل أمة متمدنة بمسألة المرأة فقد كثر الكلام فى تعليمها وتربيتها واستطرد بعض الباحثين فى احوالها الى إثارة مسألة احتجابها اوسفورها وكثر الكلام بين الحزبين العظيمين حزب السفور وحزب الحجاب واعتبر المرحوم قاسم بك أمين زعيما للحزب الأول فان كتابيه تحرير المراة والمرأة الجديدة قد بلغا الغاية من استجماع الحجج على مضار الحجاب وفوائد السفور. وقد خضنا نحن غمار هذه المعركة القلمية ورددنا على كتاب قاسم بك أمين الاول وهو تحرير المرأة فى جريدة المؤيد عقب ظهوره ثم رددنا على كتابه الأخير المرأة الجديدة بكتاب وضعناه فى ذلك سميناه المرأة المسلمة فاعتبر أجمع كتاب لحجج القائلين بضرورة حجاب المرأة وقد ترجم الى عدة لغات وطبع منه عدة ألوف . ونحن فى هذه الدائرة لامناص لنا من اعطاء فذلكة هذه المباحث للقارىء فان المسألة هامة تحتاج لعناية من المشتغلين بالعلم فى هذه البلاد فنقول :

﴿ ما هى المرأة ؟ ﴾

المرأة كائن شريف أعدته القدرة الالهية لتكثير النوع الانسانى فوظيفتها من هذه الجهة سامية جداً ولا يستطيع أن يجاريها الرجل فيها بوجه من الوجوه. وقد متعها الله تعالى لحسن أداء هذه الوظيفة بكل ماتحتاج اليه من الاعضاء وناسب بين تركيبها وتلك الوظيفة بحيث ترى أن كل شىء فيها يدل على أن القدرة الالهية قصرتها عليها ولذلك ترى بين جسمها وجسم الرجل من الاختلاف والتباين ما ينطق بالبداهة انهما لم يخلقا لأن يتسابقا فى مجال واحد البتة

جاء فى دائرة معارف القرن التاسع عشر تحت لفظة المرأة ما يأتى: « لاتختلف المرأة عن الرجل باختلاف شكل أعضاء التناسل فى كليهما فقط . نعم لاشك فى أن تلك الأعضاء هى أكبر الاختلافات التى بينهما ولكن كل الاعضاء الأخرى حتى

التي تظهر انها أكثر تشابها فيمابينها ترينا تغايراً خاصا » ثم أخذت تقارن بين كل الاعضاء مقارنة علمية مبنية على الامتحان التشريحي الدقيق ثم قالت : « ان تركيبها الجثماني يقرب من تركيب الطفل ولذلك تراها مثله ذات حساسية حادة جداً وتتأثر بغاية السهولة بالاحساسات المختلفة كالفرح والألم والخوف وبما أن هذه المؤثرات تؤثر على تصورها بدون ان تكون مصحوبة بتعقل فلذلك تراها لاتستمر لديها الا قليلا ومن هنا صارت المرأة معرضة لعدم الثبات »

وجاء في هذا المجلد نفسه : « يعلم الناس اجمع ان المرأة قد وهبتها الطبيعة حبا حادا لكل شيء لامع ولكل ما يزينها ويزيد في جمالها وهذا الحب في ذاته يظهر أنه شرعي محض لأن كل شيء فيها يجعلها محتاجة للتزين وليس ذلك فقط بالنسبة لتركيبها الطبيعي ولكن بالنسبة لوظيفتها الاجتماعية ايضا وهي الوظيفة التي لايمكن ان تؤديها إلا بالجاذبة التي توحيها الى النفوس وهي تعرف أن قوتها تتعلق بهذه الجاذبة. ولذلك فان كل شيء ينفع للزينة يؤثر عندها تأثيراً شديداً لا تقاومه إلا بصعوبة ويوقظ لديها كل ميولها حتى ان أعقلهن وأطهرهن لاتستثنى من هذه القاعدة »

وقال الفيلسوف الاشتراكي الشهير (برودون) في كتابه (ابتكار النظام) مايأتي: « ان وجدان المرأة اضعف من وجداننا بقدر ضعف عقلها عن عقلنا ولأخلاقها طبيعة أخرى غير طبيعة أخلاقنا فالشيء الذي تحكم عليه بالقبح أو الحسن لا يكون هو عينه ما يحكم عليه الرجل كذلك بحيث ان المرأة بالنسبة الينا يمكن ان تعتبر غير مؤدبة. لاحظها جيدا تر انها امامفرطة أومفرطة في جنب العدالة فان عدم المساواة خاصية نفسها ولا ترى عندها الميل لتوازن الحقوق والواجبات وهو الميل الذي يؤلم الرجل ويسوقه ان لم يتحصل عليه الى الدخول مع امثاله في نزاع شديد. فالشيء الذي تحبه اكثر من كل شيء وتعبده هو الامتيازات والخصوصيات اماالعدالة التي تسوى بين صنوف البشر فهي بالنسبة للمرأة عبء ثقيل لاتحتمله»

هذا ما يقوله العلم الاوروبي عن الفرق بين المرأة والرجل من الوجهة العلمية ونحن وان كنا لانشارك (برودون) فيما

الصقه بالمرأة من الصفات إلا اننا نقول آن مايصمه بها هو نتيجة القاء حبلها على غاربها تمرح فى ميادين اللهو والترف . وما أضر بالمرأة أكثر مما أضربها أولئك الكتاب الخياليون الذين تملى عليهم الاهواء اراء لاتتفق مع الحقائق العلمية فيضعون المرأة والرجل فى مستوى واحد من كل الوجوه مع أن الرجل والمرأة خلقا ليتكاملا لاليتنازعا . قال العلامة الكبير (اجوست كومت) مؤسس الفلسفة الحسية وعلم العمران فى كتابه المسمى (النظام السياسى على حسب الفلسفة الحسية) : «كل أدوار لانتقالات الاجتماعيـة قد ولدت كما فى زماننا هـذا ضلالات خياليـة على حالة النساء الاجتماعية . ولكن القانون الطبيعى الذى يخصص الجنس المحب (النسـاء) للحياة المنزلية لم يتغير أبداً تغيراً خطراً . فان هـذا القانون صحيح ومحقق لدرجة انه ساد من تلقاء نفسـه حتى مع بقـاء السفسطات المضادة له بدون دحض . ثم قال : «ومهما كان حرماننا اليوم من أسس اجتماعية حقيقية (الرجـل يقول الحق) أكثر مما كنا فى وقت الانتقال من الحالة الوثنية الى الحالة التوحيدية فان العقـل الانسانى فى مقابل ذلك والاحساسات القلبيـة صارت أكثر كمالاً وشعوراً فان النساء فى ذلك الزمان كن فى هبوط لا يسمـح لهن أن يدحضن كما يجب عليهن ولو بسكوتهن الضلالات الدكتورية التى جاء بها الذين يزعمون الدفاع عنهن . أولئك الذين كانوا يحاربون فى الواقـع ونفس الامر العقل نفسه ولكن بالنسبة للنساء الحاليات فان الحرية السعيـدة عنـد غربياتهن (١) تسمح لهن باظهار كراهتهن النهائية التى تكفى عند عدم وجود الردود العلمية لمنع انتشار هذا الهذر العقلى الذى أوحته القـلوب الفاسدة ، فان احساس المرأة اليوم هو الذى يحتوى وحده على المصائب العملية التى يجب أن تكون هى التى ولدت هذه الميول الفوضوية . فان البطالة تزيد هذا الخطر خطراً عند طبقاتنا العالية التى فيها يؤثر الغنى تأثيراً سيئاً للغاية على حالة النساء الخلقية» انتهى

(١) يريد (اجوست) الحرية المعقولة بعد ذلك الاستعباد الهائل لا تلك الحرية المطلقة وسيمر بك من أقوال هذا الفيلسوف ان المرأة لايمكنهـا التخلص من سيطرة الرجل

فليحذر اخواننا الشرقيون من تصديق بعض قصصى أوروبا فانهم انما يكتبون أمثال هذه الخيالات المفسدة لتروج لدى النساء ليكتسبوا ميلهن وأولئك المسكينات لا يعلمن ان نصائح اولئك الكتاب تهلكهن اهلاكا وتجعلهن أشد عبودية كما سيمر بك ان شاء الله من اقوال علماء تلك المدنية

﴿ ماهى وظيفة المرأة الطبيعية ؟ ﴾

للمرأة فى الحياة الانسانية وظيفة سامية للغاية وهى حفظ النوع البشرى واستدامته مما لا يتأتى للرجل أن يشاركها فيها لأنها تتعلق بشكل التركيب الجسمى الامر الذى لا يمكن الحصول عليه بالتصنع ولا التقليد . هذه الوظيفة الخاصة بالمرأة لها جملة أدوار تتعاقب عليها ولكل دور منها لوازم لا تزايلها يجب الالمام بها لندرك قيمة هذه الوظيفة وخطورتها . فهى تستلزم الحمل والوضع والارضاع والتربية ومن يتأمل فى هذا الوجود البديع تأملا بسيطا يتجلى له ان لكل كائن فيه وظيفة يتوقف كماله الشخصى والنوعى على حسن أدائها . وقد يحصل أن كائنا من الكائنات يخرج عن حدود وظيفته ولكن يبعد عن الكمال بقدر بعده عنها ويؤثر على مجموع نوعه على نسبة ذلك . وحينئذ يجب أن يعتبر ذلك التحول منه عن وظيفته الخاصة فسادا يستدعى الملافاة بالطرق الحكيمة

هذه هى وظيفة المرأة وهذا هو كمالها فيجب علينا أن نعمل كل ما يمكننا لتتقرب المرأة من كمالها وتدخل الى حدود وظيفتها وأن نعتبر كل ما يبعدنا عن هذه الوظيفة داء اجتماعيا يجب التألب على ملاشاته وبذل الجهد فى حصره فى محله وأن نصرح على رؤوس الاشهاد بأن كل امرأة مهما قيل انها مكتشفة لنجم او بحاثة فى الميكروبات او معلمة لعلم التشريح او غير ذلك ناقصة وعاصية للطبيعة وخارجة عن حدود وظيفتها وان نكرّه النساء فى احتذاء مثالها لا أن نضرب بها الامثال وتتخذها نموذجا للكمال

﴿ هل المرأة تساوى الرجل ﴾
﴿ جسميا وعقليا ﴾

نحن لما كنا نعلم أن سعى المرأة فى الغرب وراء نيل استقلالها المطلق من سلطة الرجل هو سبب كل ذلك الافراط الذى سندرس بعض آثاره المحزنة فى هذا الكتاب وان هذه النزعة ربما انتقلت الى

الشرق بطريق العدوى تحت تأثير التعاليم المضرة رأينا أن نقيم الحجة في هذا الفصل على أن ذلك الاستقلال المزعوم ضرب من ضروب المستحيلات الطبيعية وان الساعي في تحقيقه كالساعي في تغيير اوضاع نواميس الكون ، وهو مسعى يساوره الاخفاق من كل جانب فنقول :

اثبت علم التشريح ان الرجل أقوى من المرأة جسما من سائر الجهات وبدرجة محسوسة جداً حتى ذهب بعضهم الى أن المرأة الحالية ليست بانثى الرجل الحالي بل هي انثى كائن آخر يشبهها في تركيبها وضعفها وان ذلك الكائن قد انقرض بمزاحمة الانسان له في الحياة فتغلب على انثاه التي من نسلها المرأة الحالية (انظر دائرة المعارف الكبرى تحت عنوان امرأة)

هذا الفرض وان كان تطرفا من بعض العلماء الا انه يدلنا على عظم الفرق بين هذين الكائنين كما نبينه تفصيلا وهذا الضعف لا نتخذه نحن دليلا على حقارة قدر المرأة ولكن عنوانا على حكمة « ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى » فانه جلت قدرته كما قضى على المرأة بأداء وظيفة خاصة لم يهبها الا ما يلائمها من الاستعداد والقوى كما يقوى جل جلاله « انا كل شيء خلقناه بقدر » وكما يقول علماء الطبيعة : « ان الطبيعة غير مسرفة »

أما ذلك الفرق بين الرجل والمرأة فهو : أثبت العلم بالتجربة ان متوسط طول المرأة أقل من متوسط طول الرجل باثني عشر سنتيمتراً هذا الفرق يشاهد عند المتوحشين كما هو عند المتمدنين وعند الاطفال من كلا النوعين أيضا . وأما من جهة ثقل الجسم فان متوسطه عند الرجل سبعة وأربعون كيلوغراماً وأما عند المرأة فلا يزيد عن اثنين وأربعين ونصف . وأما من جهة المجموع العضلي فانه عند المرأة أقل كمالا منه عند الرجل بكثير . قال الدكتور (دوفاريني) في دائرة المعارف الكبرى عند ذكره هذا المجموع « أنه أقل حجما وأضعف منه عند الرجل بقدر الثلث وحركاته اقل سرعة وأقل ضبطاً ». أما القلب وهو مركز القوة الحيوية فانه عند المرأة أصغر وأخف بمقدار ٦٠ غراماً في المتوسط . واما الجهاز التنفسي فانه لدى الرجل أقوى منه لدى المرأة فقد ثبت أن الرجل يحرق في الساعة ١١ جراماً تقريبا من الكربون وأما المرأة فلا تحرق منه الا ٦ وكسراً ولذلك فحرارة

المرأة أقل من حرارة الرجل

أما الحواس الخمس فقد اثبت الاستاذان (نيكولس وبيليه) انها اضعف عند المرأة منها عند الرجل فهي لا تستطيع ان تدرك رائحة عطر الليمون على بعد مخصوص الا اذا كانت ضعف المقدار الذي يدركه الرجل فيه . وشوهد بالامتحان ان المرأة لا تدرك رائحة حمض الدروسيك المخفف الا على نسبة واحد على عشرين الف أما الرجل فيدركها على نسبة واحد على مئة الف . أما حاسة الذوق والسمع فان الرجل ادق من المرأة فيها بكثير ويكفيك دليلا على ذلك ان أهل الخبرة في تمييز الطعوم ونقد الاصوات وتوفيق نغمات البيانو كلهم من الرجال كما جاء في دائرة المعارف الكبرى

أما حاسة اللمس فقد شوهد ان الرجل ادق من المرأة فيها وقد برهن الاستاذان (لومبروزو وسيرجى) وغيرهما بأن المرأة تحتمل الألم اكثر من الرجل مما يدل على قلة احساسها به

قال (لومبروزو) : « وهذا من حسن حظ النوع الانساني فان المرأة معرضة لكثير من الآلام كالحمل والوضع وغيرها ولو كانت حساسة كالرجل لما استطاعت تحمل ذلك كله» ثم يرى تمام كله ان المرأة بضعفها أكثر تعرضا لنصب الحياة من الرجل واشد استعدادا لانواع الامراض منه مما يدل دلالة صريحة على ان حياتها يجب ان تكون بيتية محضة لا خارجية . قال العلامة (تروسيه) في دائرة معارفه : «انه بالنسبة لضعف المرأة وتنوع عوامل العصبي نرى مزاجها اكثر تهيجا من مزاج الرجل وتركيبها أقل مقاومة من تركيبه فان تأديتها لوظائفها من الحمل والامومة والارضاع يسبب لديها احوالا مرضية قليلة أو كثيرة الخطر» انتهى

نقول هنا يمكن ان يقول قائل ان ذلك الضعف التشريحي الذى اثبته العلم نتيجة ضغط الرجل على حريتها واجبارها على ملازمة ما يفسد صحتها . نقول : هب ان ذلك صحيح فما سبب رخامة صوتها ؟ على ان من الثابت علميا ان سكان البلاد الحارة من المتوحشين يكلفون نساءهم بأعمال الحراثة والزراعة وغيرهما من أول الخليقة الى الآن ومع ذلك فان تلك الفروق تشاهد بعينها بين رجالهم ونسائهم . قال الاستاذ (دوفاريني) في دائرة المعارف

الكبيرة : «ان هذا الفرق يشاهد عند البتاجونيين (بعض متوحشى امريكا) كما يشاهد عند سكان باريز» وعليه فلا سبيل للجدل فى هذه القضية

أما من جهة فضل الرجل على المرأة فى مركز الادراك فمما لامشاحة فيه حيث أثبتتها (البسيكولوجيا) (أى علم النفس بالتجربة) فقد شوهد انه يوجد فارق جسيم بين مخى الرجل والمرأة مادة وشكلا اثبت العلم ان مخ الرجل يزيد عن مخ المرأة بمقدار مائة غرام فى المتوسط ولا يعترض علينا بأن هذا الفرق منشاه الاختلاف بين حجمى الجسمين لانه شوهد ان نسبة مخ الرجل الى جسمه هى كنسبة واحد الى أربعين أما نسبة مخ المرأة الى جسمها فكنسبة واحد الى أربعة وأربعين وفرق بين النسبتين وغير هذا فان مخ المرأة أقل ثنيات وتلافيفه أقل نظاما وهذه المشاهدة يعدها العلماء من أكبر مميزات الجنسين وكذلك يوجد اختلاف بين المخين فى الجوهر السنجابى الذى هو المادة المدركة من المخ فهو عند النساء أقل منه عند الرجال بدرجة محسوسة جدا ولكن في مقابلة ذلك نجد مراكز الاحساس والتهيج عند المرأة أحسن تركيبا منها عند الرجل قال الاستاذ (دوفاريني) فى دائرة المعارف الكبرى :

« وهذا مطابق لمميزات الجنسين من الجهة النفسية فان الرجل أكثر ذكاء وادراكا وأما المرأة فأكثر انفعالا وتهيجا »

لاشك ان كل هذه الاختلافات المخية تدلنا بأوضح برهان على أن مركز الادراك فى الرجل أرقى منه فى المرأة فيكون هو أفضل منها ادراكا . ولا يقولن من يعترض علينا بأن ذلك نتيجة حرمان المرأة من التهذيب طوال تلك القرون الخالية وأنه بمرور الزمن قد ينمو مخها حتى يساوى مخ الرجل لان تلك الفروق تشاهد بعينها فى الشعوب العريقة فى الوحشة التى لاحظ لكلا الجنسين فيها من التعلم فلو كان السبب الذى يرقى مخ الرجل عن مخ المرأة هو التعلم فلماذا تشاهد تلك الفروق عينها عندهما وهما على حالة السذاجة الطبيعية الاولى التى لا يفضل أحدهما الآخر فى مزية عقلية ما؟ ولكن ليهدأ أنصار المدنية المادية عندنا فقد أثبت القوم انهم كلما ازدادوا تمدنا ازداد الاختلاف بين الرجل والمرأة فقد جاء فى دائرة المعارف الكبرى ما نصه :

« الاختلاف الطبيعى يزداد وضوحا

بازدياد التمدن بحيث أصبح الفرق بين الابيض والبيضاء أكبر بكثير من الفرق بين الاسود والسوداء » . لايستغربن القارىء من تزايد هذا الفارق بين الرجل والمرأة في ذلك الشكل من المدنية فان لسان النواميس الطبيعة تصيح بالذكر والانثى في تلك البلاد : أن احذرا التمرد على قوانين الحكمة الالهية وعصيان قواعدها غير القابلة للتبدل معها موهما على نفسيكما وعلى الناس فقد عصاها قبلكما أمم بأسرها فذهبت في تيار الفناء ولم تغن قوتها عنها فتيلا . هذه النواميس الطبيعية لاتنذر بلسان وشفتين ولكن تنذر باحداثها وأحوالها فان تزايد الفرق بين المرأة والرجل علامة عملية على ان المرأة ليست في الدائرة التي رسمها الله تعالى لان تشغلها فلتتنبه المرأة من رقدتها وليتنبه محبو الرقى الانساني فيدخلوا المرأة الى حدودها الطبيعية بالطرق الحكيمة. ولتحذر المرأة المسلمة من السقوط في هذه الهاوية المريعة فان طلبها للاستقلال الموهوم سيجرها لاسمح الله الى زيادة الفرق بينها وبين الرجل وهو بمثابة تسجيل الشقاء الابدى عليها بدل الحرية ولتعلم أن تزايد هذا الفارق في اخواتها في العالم المتمدن لم يحره اليهن الا تشبثهن بمباراة الرجل في حياته الخارجية وهو مجال سبقها ولم يزل يسبقها الرجل في كل شأن فيه مع ماكن عليه من الفارق الاصلى المعلوم فما بالك لو تزايد هذا الفارق الى أكثر من ذلك وقد حسب الاقتصاديون ما يترتب على الفارق الطبيعي الاصلى بين الرجل والمرأة من الامتيازات للاول دون الثانية بقواعد رياضية حيث أثبت الفيلسوف (برودون) في كتابه (ابتكار النظام) ان نسبة مجموع قوى الرجل الى قوى المرأة تساوى ثلاثة لى اثنين ثم قال بالحرف الواحد :

« وبما ان كل اجتماع مكون من اتحاد هذه الثلاثة العناصر وهي : العمل والعلم والعدالة فيكون القدر الحقيقي للرجل والمرأة هو كنسبة ٣ في ٣ في ٣ الى ٢ في ٢ في ٢ أي كنسبة ٢٧ الى ٨ وبهذه الشروط لا يمكن أن توازى قوى المرأة قوى الرجل فخضوعها له أمر لامناص منه . فهى امام الطبيعة والعدالة لاتوازى ثلثه فيكون التحرير الذى يطلبه بعضهم باسمهن هو تسجيل الشقاء عليهن تسجيلا

شرعيا ان لم أقل تسجيل العبودية». هذا قول اقتصادى خبر الاحوال فى بلاده وعلم موضع القوة والضعف منها فلا يليق ان نضرب بقوله عرض الحائط . ولكنه لم يبخس المرأة حقها من جهة أخرى حيث قال : «ولما كانت موهبة المرأة معنوية محضة فقيمتها لا تقدر من هذه الوجهة وتسبق الرجل فيها لا محالة ولكن على شرط ان يكون هو سائقها . وهى لأجل أن تحفظ لنفسها هذه الهبة التى لا تثمن والتى هى ليست خاصة ثابتة فيها بل هى صفة أو شكل او حالة يلزمها أن تخضع لقانون السيطرة الزوجية . فان المساواة يجعلها اياها مكروهة قبيحة تكون حالة لعقدة الزوجية ومميتة للحب ومهلكة للنوع البشرى» انتهى

نعم لم تخلق المرأة لتستعبد فيجب عليها ان تجاهد لنيل حريتها المعتدلة . ولكن بأى سلاح ؟ بسلاح وهبه الله لها وليس من جنس سلاحنا وليس فى مكنتنا أن تقابلها بمثله ؛ ولكنها واأسفاه غافلة عنه ولا تفكر فيه . وليس ذلك السلاح الا معرفتها خطورة وظيفتها وسمو مقام الهبة التى منحتها والعمل على حسن التصرف بها . هذا السلاح يجعلها موضوع التجلة والاحترام ومحل الاجلال والاعظام لأنها تعتبر عندئذ مليكة لازمة الاحساسات وسلطانة على منازع الطباع

هذا هو سلاح المرأة الذى لو علمته لسعت اليه سعيا حثيثا ولرمت بقول كل من يريد أن يلفتها عنه عرض الحائط ولاتهمته بأنه يحسد مستقبلها فيريد أن يوجهها الى مايزيدها أسراً ويجعل عيشها مراً . هل ترضى المرأة عند ما تعرف كنه مستقبلها هذا أن ترفع الحجاب؟ لا، لأنها سترى بالتحليلات الاجتماعية ان ذلك يسوقها الى ما يزيدها استعبادا وهو أمر يعطلها بل يصدها عن بلوغ شأوها المنتظر. ثم هل تميل لأن تجارى الرجال فى الاشغال؟ لا ، لأن كل ذلك يسلخها كما ستراه مثبتا بالتجارب اليومية عن عرش ملكها (أسرتها) سلخا فلا تتوصل الى مركزها المستقبل الذى فيه سعادتها وحريتها

اذن ماذا تعمل ؟ تتعلم كيف تكون أما وتدرس قوانين وظائفها وتدأب على مطالعة أسرار التربية وعجائبها التى بها يصير الجبان شجاعا والبخيل كريما وتترك التبرج والتباهى بتعلم اللغات الاجنبية

ولا تسرف فى الزخارف فان الانهماك على كل ذلك يبعدها عن كمالها الذى فيه سر مجدها ويجرها تدريجاً الى ما فيه عبوديتها ورقها . ولا يغرها ما تراه من انطلاق النساء فى غير قومها بغير حجاب ولا تستنتج من ذلك انهن أقرب منها الى ذلك المستقبل السامى . كلا فقد جرهن ذلك الانطلاق الى طريق غير طريق سعادتهن وقد أخذ قومهن فى التشكى من حالتهن كما نقلنا عن اعاظمهم كل ذلك تفصيلا

هل تأتى حرية المرأة (على الصفة التى يريدونها لها ؟)

نحن بعد ان اثبتنا علميا ان المرأة لا تستطيع ان تلحق شأو الرجل فى بسطة الجسم والادراك أبداً مهما ناظرته فيهما لا لأن الخالق قضى عليها بالانحطاط ولكن لأن وظيفتها التى خلقت لتؤديها فى هذا العالم لا تقتضى أكثر مما متعت به من القوى ولأنه تعالى لم يعلق سلاحها فى هذا المعترك على قوة عضلها بل على تلك الموهبة السامية التى تكلمنا عنها فى فصلنا المتقدم . فهى مناط سعادتها وسلم مجدها وقد برهنا فى الفصل المتقدم ان نمو تلك الخاصية المعنوية فيها يتعلق بخضوعها للرجل . . وبناء على هذا وجب عليها لمحض مصلحتها أن تكون تحت حمايته مباشرة وهى ان لم تخضع له عن طيب خاطر فخضوعها له سيكون اضطراريا لأنها لا تستطيع مزاحمته فى أى شأن من شؤون الحياة الخارجية فان الغلبة فى ذلك المعترك الهائل تقتضى قبل كل شىء قوة العضل وتحمل الجسم لمتاعب المحاولات وأوصاب التأثيرات المختلفة وأكبر دليل على ذلك تحملها لنير الرجل من أول نشأتها الى اليوم ومهما حاولت الفلسفة الخيالية بحسن أساليبها كسر شوكة الناموس الطبيعى الذى مقتضاه ان القوى يغلب الضعيف ويأسره فلن يكن نصيبها الا الفشل

قال أستاذ الاساتذة الحسيين وواضع علم الاجتماع العلامة (اجوست كومت) فى كتابه (النظام السياسى على مقتضى الفلسفة الحسية) ما يأتى : « نحن بغير أن نكلف أنفسنا مناقشة تلك المستحيلات الخيالية (يعنى: تحرير المرأة) المؤخرة للرقى يلزمنا أن نحس — لنقدر قدر النظام الحقيقى بأنه لو نال النساء يوماً من الايام هذه المساواة المادية التى يتطلبها لهن الذين يزعمون الدفاع عنهن بغير رضائهن

فان ضمانهن الاجتماعي يفسد على قدر ماتفسد حالتهن الادبية لانهن فى تلك الحالة سيكن خاضعات فى أغلب الصنائع لمزاحمة يومية قوية بحيث لايمكنهن القيام بها كما انه فى الوقت نفسه تتكدر المنابع الاصلية للمحبة المتبادلة» انتهى

على أى دعامه يستندهؤلاءالاساتذة فى تحقيق نظرياتهم هذه ؟ على العلم الصحيح والقوانين الحيويةالمعروفةلاعلى الاهواء وماتزينه النفوس من حب التغيير والتحوير فى مراتب الكائنات وقد مضت أمم سنحدث لك منها اذكراً طافت بعقولها مثل هذهالاغراض فجرت على كيانها أفظع الحوادث الاجتماعية وذهبت فى خبر كان ، وقدعدهذا الحادث علماء الاجتماع البشرى تجربة لايغترون بعدها بزخارف الفلسفة الخيالية . جاء فى دائرة معارف القرن التاسع عشر ماتعريبه :

«ان الحركة التى تألفت فى أيامنا هذه لمصلحة النساء لن تكون نتيجتها حتما الا تحقيق صدق هذه التجربة العامة تحقيقا نهائيا . ان نوعنا الانسانى بجملته عاش زمانا مديداً فى كل جهة فى حالة اجتماعية أدنى بكثير من الحالة التى يرثون النساء من أجلها اليوم فأمكن الجمعية البشريةأن تتلخص من وطأتها شيئا فشيئا من منذ القرون الوسطى لدى الشعوب المرتقية لان ذلك الفساد الاجتماعى الذى هو حالة عرضية اقتضاها الزمن السالف لم تكن متعلقة بامتياز الحاكمين على المحكومين فى شىء عضوى (يعنى كما هي الحالة بين النساء والرجال فان الخلاف بينهم عضوى) أما خضوع النساء فبالعكس لن يكون بالضرورة له نهاية ينتهى اليها بل سيتوافق شيئا فشيئا مع الكمال الادبى العام لانه يستند مباشرة على الهبوط الطبيعي للمرأة الذى لايمكن ملافاته وهذا الهبوط الطبيعى مؤسس ومحقق بواسطة المقارنات البيولوجية (الحيوية) وبالمشاهدات الاجتماعية اليومية. فان البيولوجيا تبرهن لنا تشريحيا وفسيولوجياً بأن فى السلسلة الحيوانية وبالاخص فى الانسان تجد الانثى مركبة على حالة طفلية أصلية تجعلها أحط فطريا من التركيب العضوى القابل له »

ولما كتبت مدام (هيركور) الشهيرة بالمدافعة عن حقوق النساء الى الفيلسوف الاشتراكى المشهور (برودون) تسأله رأيه فى مسألة النساء أجابها بأنه لايعتبر المساعى

المبذولة من النساء فى تحرير المرأة كما يقول بالحرف الواحد فى كتابه (ابتكا النظام «إلا شغفا يدل على علة أصابت جنسهن وهى علة تبرهن على عدم استعدادهن تقدير قدر أنفسهن وسياسة امورهن بذاتهن» ثم اخذ يبرهن لها على مستنداته العلمية فقال بالحرف الواحد : «ان الفرق الجنسى بين الرجل والمرأة يفصلهما فصلا شبيها (ولا اقول مساويا) بالفرق بين الانواع والاجناس من الحيوانات وبهذا الفرق لايمكن للمرأة والرجل ان يكونا شريكين ولكنى لااقول انهما لا يستطيعان ان يكونا غير ذلك . وبناء عليه فالمرأة لاتستطيع ان تكون وطنية الا بالنسبة لكون زوجها وطنيا كما يقال السيدة الرئيسة لزوجة رئيس الجمهورية . ولكن كل هذا الكلام لايشير الى أنه ليس للمرأة دور تلعبه فى الوجود وبالاختصار انى مستعد لان أثبت بالمشاهدات والبراهين ان المرأة التى هى أقل من الرجل قوة أحط منه فى العوالم الصناعية والفلسفية والخلقية وان حالة المرأة فى الهيئة الاجتماعية اذا جرت على النسق الذى تريدينه كما هو حالة الرجل فيكون أمرها انتهى فانها تصير مستعبدة مملوكة» انتهى

نقول باللاسف ألمثل هذه الاحكام العلمية الصارمة تنتهى مرحمة الساعين فى تحرير النساء ؟ فان كل مساعيهم وحججهم الوهمية تذهب أمام الطبيعة والعلم هباء منثوراً ولاتكون نتيجتها الاتحرش علماء الكون ضد أولئك الناس وجعل المرأة ألعوبة فى الافواه . هذا يقول انها فى حالة طفلية ، وذلك يقول انها غير مؤدبة ، وآخر يقول غير ذلك مما تتألم له معشر المسلمين — الذين يأمر نادينا بحسن معاملتهن — كل التألم فما أضر تلك المدافعات الوهمية بهذا الجنس الرقيق ؟ وما كان أغناهن عنها ؟

يقول حضرة مؤلف المرأة الجديدة: «أما عدد النساء المشتغلات بتحرير العقود الرسمية والنساء القسيسات والمهندسات ومديرات الجرائد والمستخدمات فى دور الارصاد والبوسطة والتلغراف فلا يكاد يحصى ويشغل النساء اغلب الوظائف فى ادارة المعارف فقد بلغ عددهن خمسة وتسعين فى المائة فى المدارس الابتدائية» ولم يردف حضرته هذه الجملة ولأمثالها الا بما يشعر بالاستحسان ولكن الفيلسوف الاقتصادى

جول سيمون يقول فى مجلة المجلات (مجلد ١٧) : «النساء قد صرن الآن نساجات وطباعات الخ الخ وقد استخدمتهن الحكومة فى معاملها وبهذا فقد اكتسبن بضعة دريهمات ولكنهن فى مقابل ذلك قد قوضن دعائم أسرهن تقويضا ، نعم ان الرجل صار يستفيد من كسب امرأته ولكن بازاء ذلك قد قل مكسبه لمزاحمتها له فى عمله . ثم قال: وهناك نساء أرقى من هؤلاء يشتغلن بمسك الدفاتر وفى محلات التجارات ويستخدمن فى الحكومة فى وظيفة التعليم وبينهن عدد عديد فى التلغرافات والبوسطة والسكك الحديدية وبنك فرنسا والكريدى ليونيه ولكن هذه الوظائف قد سلختهن من أسرهن سلخا». هذا قول صاحب الدار وصاحب الدار بلاشك أدرى بما فيها فلا يليق بنا أن نلقى بكلامه عرض الحائط ونتمسك بخلافه

يقول حضرة مؤلف (المرأة الجديدة) « هذا هو مجمل تاريخ المرأة نلخصه فى كلمتين . عاشت المرأة حرة فى العصور الاولى حيث كانت الانسانية لم تزل فى مهدها ثم بعد تشكيل العائلة وقعت فى الاستعباد الحقيقى ثم لما قامت الانسانية على طريق المدنية تغيرت صورة هذا الرق واعترف للمرأة بشىء من الحق ولكن خضعت لاستبداد الرجل الذى قضى عليها بأن لاتتمتع بالحقوق التى اعترف لها بها ثم لما بلغت الانسانية مبلغها من المدنية نالت المرأة حريتها التامة وتساوى المرأة والرجل فى جميع الحقوق أو على الاقل فى معظمها ، أربعة أحوال تقابلها أربعة أدوار من تاريخ التمدن فى العالم »

أتى المؤلف بهذا التفصيل ولم يقل لنا كيف كانت حالتها فى ذلك الاستقلال ولا كيف رضيت بالاستعباد بعد تلك الحرية عند دخولها الى الاسرة ؟ ولا كيف انقلبت تلك الحالة دفعة واحدة ! والباحث اذا كلف نفسه الوقوف على تلك المقتضيات كلها لرأى ان لكل من تلك الادوار أحوالا تلازمها ولا تنفك عنها ، بمعنى انه ان أرادت المرأة أن تعود الى اى دور من تلك الادوار وجب أن تخضع لاحكامها ولوازمها لامحالة . وبما أن حضرة المؤلف يرى ان المرأة المتمدنة آخذة فى الرجوع الى ذلك الاستقلال الاولى فمن الضرورى أن تتكبد ماكان يلازمه. فلننظر الآن ماذا كانت حالتها

فيه . قالت دائرة معارف القرن التاسع عشر بعد ايرادها تلك الادوار الاربعة مانصه بالحرف الواحد : « من هذا يتضح أنه ، بد عصر كانت فيه قوانين الاسرة غير معروفة وفيه كانت المرأة حرة من كل قيد ومستقلة تمام الاستقلال (تأمل جيداً) ومع ذلك فانها كانت محتقرة مهانة للدرجة القصوى . فلما تكونت الاسرة تغير حال المرأة كل التغير لانها بمجرد دخولها الاسرة تنازلت عن استقلالها ولكنها اكتسبت في مقابل ذلك مركزاً معنويا لم يكن لها من قبل » انتهى

من هذه المشاهدات الاجتماعية نعلم أن المرأة في دور الاستقلال كانت محتقرة مهانة للدرجة القصوى . وبناء عليه فان أرادت المرأة أن تكون كذلك باسترداد استقلالها ثانية فاتفعل

ربما يقول قائل : ان هذه الحركة العصرية الدافعة لهن الى الاستقلال ليست مصحوبة بهدم الاسرة كما كان الحال سابقا وبذلك فلن تكون مهانة . نقول صدق من يقول أن التاريخ يعيد نفسه فان إبطال الزواج قد تحدث به النساء في كل بلد متمدن وألفن فيه الكتب الضخمة قالت مجلة المجلات (مجلد ١٨) مايأتي : « أن الزواج الذي كان آباؤنا يعتبرونه ضروريا يظهر انه قد صدم صدمة شديدة في كل جهة فان الرقي العقلي الذي نالته المرأة وامتداد حقوقها يوما بعد يوم وغرامها الشديد بمساواة الرجل في حقوقه وافراطاته كل ذلك يهدد مدر كاتنا التي ورثناها على الزواج » ثم قالت : « ان رفض الناس للزواج ومحبتهم للطلاق ، وهما الامران اللذان ينتشران يوماً فيوماً ، في أمريكا وفي كل الممالك الاوربية ، ثم ان كل هذه الاعتصابات النسوية تشعر بمرض يجب أن يتنبه اليه المشترعون » انتهى

هذا هو القول الفصل الذي ينتج من التحليلات الاجتماعية ونحن لا نستبعد أن شقاً من نساء البشر يتوصلن الى نيل ذلك الاستقلال المطلق ولكنهن سيوقعن أنفسهن في أشد أنواع الاسر وأخس أشكال الاستكانة والذلة . أما نحن معشر المسلمين الذين لاضالة لنا الا الحكمة نأخذها حيث وجدناها فلا يجدر بنا أن نلقي بأنفسنا الى شأن من الشئون قبل تدقيق النظر في مجموع الحركة الانسانية لتتجلى لنا وجوه المنافع باسمة زاهية ووجوه المضار عابسة

باكية فنأخذ الاول ونرد الثانية وقد حثنا ربنا على درس الامم التى سلفت والبحث عن مناشيء سقوطها لنتحاشاها ولا نقع مثلهم فيها وها نحن قمنا بشيء من ذلك ورأينا الاستقلال المطلق للنساء سبب شقائهن وشقاء الرجال معهن فيلزمنا أن نقلع عن الخوض فيه وأن نبحث عن الخطة المثلى لتحسين حال النساء بحيث لا تخرج عن حدود الحكمة الالهية ولا الفطرة الانسانية فى شيء

هل للنساء أن يشاركن الرجال فى الاعمال ؟

ان من أقبح مظاهر أسر المرأة فى الافراد والامم ترك حبلها على غاربها وقذفها بذلك الجسم اللين والعواطف الرقيقة والفؤاد المملوء رحمة والمهجة المتشبعة بالشفقة تزاحم الرجال فى معترك الحياة كتفا لكتف لسد رمقها قاضية طول نهارها وجزءاً من ليلها بين لهيب المعامل ودخانها أو على قارعة الطرق بين هيجاء تلك الحركة المفزعة. ولو تسنى لك يوما من الايام أن تزور أكبر معامل اوروبا وامريكا مما جمع الى فخامة المبنى وضخامته سعة لا يكاد يحيط بها البصر رأيت فى داخلها أمراً عجيبا. رأيت جماعة من ذلك الجنس الرقيق مكلفات بأشق الاعمال وأقسى المحاولات اليدوية واقفات أو ذاهبات آيبات يعانين أوصاب الحياة ومرارة العيش تقرأ على وجوههن التى ضوحتها الارهاقات هذه الجملة التى لا تذهب من مخيلتك أبداً « هذا منتهى اسر الرجل للمرأة » ولو كلفت نفسك فسألتهن عن مقدار ما تأخذه الواحدة يوميا فى ذلك الجحيم المتأجج لاجابك مئات منهن بل الوف ان أجر الواحدة على هذا الهم الناصب والكد الواصب لا يتجاوز الفرنك فى اليوم اى اقل من اربعة قروش وهو مبلغ لا يكدن ينلن العيش به الا تبلغا ولو القيت بعد ذلك نظرة على أولئك الدكتورات والمهندسات لما وجدت النسبة الا كالمئة للخمسة فى أهم البلاد مدنية وعلما . ومحررو المرأة عندنا بدل أن يعدوا هذا مرضا اجتماعيا كما يعده علماء العصر الحاضر ويضعوا كل همتهم فى حياطة بلادنا منه مثل ما يفعل حكماء اوروبا وامريكا كما سنريك اقوالهم تراهم يودون أن يفتحوا علينا ذلك الباب الهائل لظنهم اننا سائرون خلف اوروبا قدما بقدم .

ولكنهم لو كانوا دققوا قليلا في حوافظ حياتنا الاجتماعية الاسلامية لكانوا علموا بأننا بما اكسبتنا الروح الاسلامية نكاد نكون بمعزل عن تلك الامراض العمرانية المخيفة يقول حضرة مؤلف (المرأة الجديدة): «لهذا يمكننا أن نؤكد أن عدد النساء المحترفات لابد أن يزداد في كل سنة عن الاخرى لاننا سائرون في الطريق الذى سارت فيه اوروبا قبلنا». نقول اننا نخالف حضرته في هذه النقطة كل المخالفة فاننا لسنا في طريق أوروبا من كل وجه ولم يظهر منا مايشير الى ذلك مطلقا وان أقل نظرة على هيئتنا وهيئتهم الاجتماعيتين ترينا لأول وهلة ان الفرق بعيد بين أصولنا الحيوية وأصولهم وعواملنا العمرانية وعواملهم. نحن أمة احكمت روابطنا أصول تقليدية ورسخ في اذهاننا اننا لم نهبط عن عرش عزنا الا لترك تلك الاصول الموصلة لسعادة الحياتين. وتلك أمم ربطت آحادها روابط الجنسية أو الوطنية ورسخ في أذهانها انها لم ترتق الا بترك التقاليد القديمة. هذه النظرة البسيطة على أصولنا الاجتماعية العامة تكفي لان تقنعنا بأننا لن نستطيع ان نحذو حذو أوروبا في شؤونها كلها الا اذا حلت عندنا محل الرابطة التقليدية رابطة من جنس آخر ومحي من أذهاننا أن رقينا لأوج السعادة لايتأتى الا بترك تلك التقاليد. وهل يمكن حدوث هذا التحول الذريع مادام العلم التجريبي يرينا كل يوم ان تقاليدنا أكسير شفائنا ومرهم سائر جراحنا وهو الامر الذي أدركه مثلنا كثير من مشاهير علماء الغرب

الخلاصة انه مادامت رابطتنا الاجتماعية هي من غير جنس روابط سائر شعوب العالم فلايتأتى لنا مطلقا أن نحذو حذو أي شعب من الشعوب فيما يصادم طبيعة تركيبنا ولايوافق تعاليم مدنيتنا العزيزة في نفوسنا. ومع كل هذا فان الطريق الذي يسير فيه الغرب بالنسبة للنساء مملوء بالمخاطر مشوب بالعواثير المخيفة بشهادة أكبر عمرانييهم فانهم يعتبرون اشتغال النساء بأشغال الرجال مرضا اجتماعيا تجب ملافاته فكيف يسوغ لنا اليوم ان نتسامح في أمراضهم لنة حلها لانفسنا ثم نكلف انفسنا تحمل أعراضها وآلامها؟ اذا كان لابد لنا من أن نحذو حذوهم في شيء فلماذا لانقلدهم فيما يجب تقليدهم فيه؟ نحن لايسوغ لنا أن نأخذ شيأ من أشياء تلك المدنية

الا بعد تحليله تحليلا دقيقا جداً ويجب علينا حينما نقف أمام مرائيها الفتانة أن نمسح أعيننا بمنديل الحكمة لنقدر على تمييز الحسن من القبيح فيها وان لم نجد من أنفسنا الشجاعة على ذلك فيجب علينا بالأقل أن نسأل علماءهم عنها . ونحن جالسون هذه الساعة فى مكتبنا وبين أيدينا أقاويل كثيرة لها علاقة بموضوعنا هذا فلننتخب منها ما له مناسبة بمسألة النساء ليعلم المسلمون اننا ان لم نداوعللنا بأيدينا فعبثا نحاول ازالتها بأيدى سوانا من الامم

كتب الاستاذ فى علم الانسان (جيوم فريرو) فى المجلد الاول من مجلة المجلات لسنة ١٨٩٦ ما يأتى: «ان العلامات المنذرة بقرب حلول الازمة النهائية لهذا الشكل من المدنية الذى نعيش فيه كثيرة جداً (تأمل) بحيث لا يمر يوم حتى يقف الباحث على انذارات جديدة فيه فلنعط نحن أيضا أنفسنا وظيفة الطبيب ولنجتهد فى مساعدة ما شخصه الاطباء من هذا المرض الاجتماعى فى زماننا هذا بدرس الشكل الجديد من الرهبنة التى مع عدم استنادها على دين تهددنا بأنها ستصل الى الحد الذى وصلت اليه الرهبنة الدينية فى زمن من ازمنة القرون الوسطى . يعلم الرجال والنساء بالتجربة وفى كل بلد أن العقبات التى تحول دون الزواج تزداد يوما بعد يوم وأن هنالك أسبابا لا عداد لها اقتصادية على الخصوص تقف فى طريقه حتى أن كثيرا من الناس لما يئسوا من امكان تذليلها صبروا على العزوبة بكل وسعهم. ومن السهل علينا أن نقول اذن أن عدداً عديدا من أشخاص من كلا الجنسين يجب أن يحدثوا آثاراً هائلة على كيان الهيئة الاجتماعية كلها وذلك بمعيشتهم بلا زواج أعنى فى شروط حيوية صناعية . ويلزم ان الآثار التى تنتج من النساء العوازب تكون أكبر من آثار الرجال العزبين . فان عزوبة الرجل تكسبه فى الواقع ونفس الامر صفات نفسية خاصة بها ولكنها لا تقلب كيان شخصيته تماما لأنها لا تستلزم عنده العفة مطلقا ويمكنها أن تجبره على المعيشة بين بنات الهوى أو ترغمه على الفسق وعلى هذا فالعزوبة لا تقتل فيه تلك الوظيفة الفسيولوجية دفعة واحدة وأما المرأة فبخلاف ذلك فان الشروط الاجتماعية الحالية تستدعى عفتها فى عزوبتها والعفاف يقتضى حذف

وظيفة الامومة وهى الوظيفة التى خلقت المرأة لأجلها جسما وروحا . لاشك اذن ان فى هذه الحالة يجب أن تفسد شخصيتها فساداً ذريعا ولا شك أيضا فى ان عدداً كبيرا من هذه النسوة يحدثن آثاراً هائلة على الهيئة الاجتماعية » انتهى

هذا القول من ذلك الاجتماعى الطائر الصيت — وبين أيدينا عشرات من أمثاله يرينا جليا أن فى شكل المدنية الغربية علامات منذرة بقرب حدوث أزمة نهائية على تركيبها وخصوصاً من جهة النساء . فاذا كان لا بد لنا من تقليدها فى شأن من الشؤون فلا أقل من أن نجتهد فى نقده بعقل وحكمة قبل أن تزل بنا القدم ولا ينفع الندم . وان كان لا قدرة لنا على نقد المسائل الاجتماعية الكبرى التى لها ارتباط بمستقبل الامم فمن السهل ان نسترشد بعلماء تلك المدنية ونستفيد من تجاربهم اليومية . وان تاق القارىء الى معرفة شىء من أقاويلهم فى هذا الباب فاليه قول أستاذ الفلسفة العملية وواضع علم الاجتماع الفيلسوف (اجوست كومت) نترجمه من كتابه (النظام السياسى على حسب أصول الفلسفة الجنسية) . قال بعد ماذكر مسألة اشتغال النساء باشغال الرجال وما ينجم عن ذلك من الخلل الاجتماعى:

« ولكن بدل هذه الاحلام الهادمة المفسدة يمكن أن قاعدة طبيعية تضمن حياة المرأة تماما . وذلك يكون بتعيين وتحديد الواجبات المادية على الجنس العامل (الرجال) نحو الجنس المحب (النساء) والفلسفة الحسية يمكنها وحدها بالنسبة لامتيازها بروح الحقيقة أن تسن هذه القاعدة الطبيعية بطريقة تجعلها سائدة محترمة وليست الفلسفة الجديدة (الحسية) هى التى ابتكرت هذا الميل العام بل أنها قدرته حق قدره فقط بعد تدقيق التأمل فى مجموع الحركة الانسانية

« يجب على الرجل أن يقتدى المرأة هذا هو القانون الطبيعى لنوعنا الانسانى وهو قانون يلائم الحياة الأصلية المنزلية للجنس المحب (النساء) وهذه القاعدة التى تريك أخشن أشكال الاجتماع تتحسن وتتكمل على قدر رقى النوع الانسانى فن كل الترقيات المادية التى تتطلبها الحالة الحالية للنساء تستحيل الى لزوم تطبيق هذا الناموس الاساسى بالدقة ويجب ان تحدث نتائجه رد فعل على كل

العلاقات الاجتماعيــة وبالاخص بالنسبة لأجر العملة. هذا القانون الذى يلائم الميل الفطرى يرتبط بوظيفة النساء الشريفــة باعتبارهن عاملا حيا للآلة المولدة للحركة. وهذا الاجبار (اجبار الرجل على تغذية المرأة) يشبه ذلك الاجبار الذى يقضى على الطبقة العاملة من الناس بأن تغــذى الطبقة المفكرة منهم لتستطيع هــذه أن تتفرغ باستعداد تام لأداء وظيفتها الاصلية. غير أن واجبات الجنس العامل من الجهة المادية نحو الجنس المحب هى أقدس من تلك تبعا لكون الوظيفة النسوية تقتضى الحياة المنزلية . ولكن بالنسبة للمفكرين فان هــذا الاجبار يكون تضامنيا فقط بخلافه بالنسبة للنساء فانه ذاتى » . هذا ما يقوله أستاذ أساتذة الاجتماع ومؤسس الفلسفة الحسية التى هى آخر ماوصل اليه النوع الانسانى من وسائل الحكم على حقيقة الاشياء من طريق الحس ، فانظر كيف تراه يحكم باسم الفطرة والطبيعة والاقتصاد بانه لا يباح للنساء مشاركة الرجال فى الاعمال ؟ فهل بعد هذا يجدر بنا معاشر أصحاب الدين الفطرى أن نعصى أحكام الفطرة حتى ولو أتت الينا من الغرب نفسه ؟

يقول معترض: وماذا نعمل اذا كان حال الوجود يقضى بأن يوجد عــدد من النساء لا عائل لهن . أنتركهن يمتن جوعا ولا يزاحمن الرجال فى الاعمــال ؟ نقول اذا علمت ان اشتغالهن خارج بيوتهن خلل اجتماعى خطير فالواجب وحب الجامعة يقضيان علينا أن لا نسعى فى زيادة انتشاره بتسهيل سبيله بل توجب علينا الانسانية أن نعمد الى مداواته بكل وسعنا وبجهد استطاعتنا ونقــلد الرجال الغيورين على مستقبل النوع الانسانى فى اوروبا وأمريكا بالاشارة على الحــكومات بسن القوانين الكافلة لراحة هذا الجنس الرقيق . فلننظر الآن الى مدنية الديانة الاسلامية لنرى هل فيها ما يضمن حياة هذا الجنس من مخالب الجوع والفاقة ؟ نعم انها ضمنت ذلك بقولها انه لو مات زوج المرأة ولم يكن لها عائل من أقاربها كافة وجب على بيت المال أن يقوم بنفقاتها فى كل ما تحتاج اليه. هذا ماتقوله المدنية الاسلامية وهذا ما آب اليه اصحاب الفلسفة العملية الحسية بعد الاعتبار بمجموع الحركة الانســانية العامة وبعد أن دخل قومهم فى الف دور

ودور من أدوار الارتباكات الزمنية فقد قال شيخها ومؤسسها الفيلسوف (اجوست كونت) فى كتابه (النظام السياسى) : « وفى حالة عدم وجود زوج ولا أقارب يجب على الهيئة الاجتماعية ان تضمن حياة كل امرأة اما فى مقابل عدم استقلالها الذى لايمكنها ان تتجنبه واما على الخصوص بالنسبة الى وظيفتها الأدبية الضرورية. واليك فى هذا الموضوع المعنى الحقيقى للرقى الانسانى : يجب أن تكون الحياة النسوية منزلية على قدر الامكان ويجب تخليصها من كل عمل خارجى ليمكنها على ما يرام ان تحقق وظيفتها الحيويه . » انتهى

هذا ما آب اليه أصحاب فلسفة القرن العشرين وقد رأيت أنه مطابق لاصول المدنية الاسلامية فبأى حجة بعد هذا ننصح بتقليد أصحاب المدنية الجديدة فى أمراضهم وكيف يكون حالنا اذا قلدناهم فيها فنشبت فينا ونحن فى هذه الحالة من الضعف المساعد لسطوة المرض ثم وجدناهم بعد ذلك سنوا قانونا جديدا يريح المرأة من تلك المحن العملية ومن أسرها للعمل الخارجى؟ أنرجع وقتها فننصح الناس بابطال ما كنا أشرنا به ؟ ولماذا كل هذا التكلف العجيب بعد ما رأينا بأعيننا ان مدنيتنا الاسلامية هى الغاية التى يقرب منها البشر يوما بعد يوم ؟

ما الذى حدا بعلماء اوروبا الى الرجوع الى كراهة عمل النساء الخارجى رغما عما يعتقده بعض المشرقيين من أن مزاحمة المرأة للرجل فى الاعمال شكل جميل من أشكال المدنية وخطوة كبيرة من خطوات التقدم البشرى ؟ الذى أرجعهم رغم أنفهم الى ذلك ما رأوه بأعينهم من سوء النتيجة عليها . رأوها أسيرة مسكينة تزاحم الرجل كتفا لكتف ولاتنال بجانبه الا الفضلات التى يعرض عنها وهى فى كل مجال من مجالات العمل عرضة للتغلب عليها وعلى ما بيدها. قال الفيلسوف (فوريه) وهو أشد أنصار حرية المرأة ما يأتى : « ما هى حالة المرأة اليوم؟ انها لا تعيش الا فى الحرمان حتى فى عالم الصناعة الذى ألم الرجل بجميع أنحائه لغاية الاشتغالات الدقيقة بالخياطة وشغل الريش اما المرأة فيراها الناس مكبة على أشق الاعمال فى الخلاء . فما هى اذن مصادر الحياة بالنسبة للنساء المحرومات من المال؟

المنزل ام جمالهن اذا كان لهن جمال ؟ نعم ان حيلتهن الوحيدة هى الفسق العلنى أو السرى ليس الا وهى الحيلة التى تنازعهن الفلسفة فيها للآن . هذا هو الحظ التعس الذى ألجأتهن اليه هذه المدنية . وهذا الاستعباد الزوجى الذى لم يفكرن للآن فى مهاجمته . هل يمكن ان ترى ظلا من العدالة فى حظ النساء هذا ؟ . » انتهى

فأين تذهب المرأة المسكينة بين هذه المزاحمات القاسية ؟ اذا كانوا يقولون ان الانسان يرتقى كل عصر فى العواطف النفسية والمرحمة القلبية كما يرتقى فى السعادة المادية فلماذا لا تنفطر القلوب حسرة وتذوب الاضلاع كمداً ورأفة على ماوصل اليه حال هذا الجنس الرقيق فى القرن العشرين ؟ أى انسان لديه مسكة من الرحمة يقبل ان تمتلخ المرأة من وظيفتها الطبيعية التى خلقت لها جسما وروحا ويلقى بها بين سعير هذه الحرب المعاشية الدموية ؟ أين تذهب المرأة بين هذه المزاحمات القاسية التى لم تقف عند الماديات فقط بل تمدتها الى المعنويات أيضا . قال الفيلسوف الاقتصادى الشهير (برودون) فى كتابه (ابتكار النظام) مايأتى : « النوع الانسانى ليس مديناً للمرأة بأى فكرة خلقية ولا سياسية ولا فلسفية . فانه مشى فى طريق العلم بدون مساعدتها واستخرج منه المدهشات والعجائب . النوع الانسانى ليس مدينا للنساء بأى اكتشاف صناعى ولا بأقل حركة فالرجل وحده هو الذى يخترع ويكمل ويعمل وينتج ويغذى المرأة . ثم قال : وان الدور الذى لعبته المرأة فى الآداب هو مثل الدور الذى لعبته فى (الفابريكا) فانها لم تنفع فى هذه الا حيث لا يلزم استعمال القريحة مثلها فى ذلك كمثل الخطاف والبكرة » انتهى

نقول لا نظن ان برودون يريد تحقير المرأة ولكنه يريد أن يقول انها لم تخلق لان تكون صانعة ولا عاملة وإنما خلقت لان تكون أما ومربية

ثم انى أرجو من يهمهم تحسين حال المرأة المسلمة أن ينصتوا الى حكمة بالغة فاه بها فيلسوف يعرف الناس جميعاً فضله من أعز أبناء هذه المدنية المادية وأكبر قطب من مؤسسيها وهو (جول سيمون) فقد كتب فى مجلة المجلات فصلا على كتاب ألفه العلامة الفرنسى (لوجوفيه) قال : « يجب ان تبقى المرأة مرأة . هذه

كلمة المسيو لوجوفيه . نعم يجب ان تبقى المرأة مرأة فانها بهذه الصفة تستطيع أن تجد سعادتها وان تهبها لسواها . فلنصلح حال النساء ولكن لانغيرها . ولنحذر من قلبهن رجالا لانهن بذلك يفقدون خيراً كثيراً ونفقد نحن كل شيء . فان الطبيعة قد اتقنت كل ماصنعته فلندرسها ولنسع فى تحسينها ولنخش كل ما يبعد عن قوانينها وامثلتها » . وقال: « يقول بعض الفلاسفة أن الحياة محفوفة بالمكاره ولكنهم ربما قالوا ذلك لانهم لم يذوقوا طعم الحب طول عمرهم . اما انا فأقول : ان الحياة طيبة هنيئة ولكن بشرط ان يعلم كل من الرجل والمرأة المحل الذى جعله الله تعالى لكل منهما » . لماذا يقول هذا الاستاذ الاقتصادى الذى له اكبر الآثار فى المجتمع الانسانى امثال هذه النصائح ؟ لانه رأى بعينى رأسه ان خروج المرأة من خدرها واشتغالها بغير وظيفتها سلخها من اسرتها وقوض دعائم بيتها كما نقلنا عنه ذلك بالحرف الواحد فى فصل متقدم وسترى من اقوال كثير من اخوانه العلماء انهم يرون رأيه ويتبرمون مثل تبرمه وزيادة عما تحدثه مشاركة النساء للرجال فى العمل من التأثير الاقتصادى والبيتى السيء فان له أثرا آخر عليهن عجيب فى ذاته قال الاستاذ (جيوم فريرو) البحاث الشهير فى أحوال الانسان وتطوراته (انظر مجلة المجلات مجلد سنة ١٨٩٥): انه يوجد فى اوروبا كثير من النساء اللواتى يتعاطى أشغال الرجال ويلتحقن بذلك الى ترك الزواج بالمرة واولاء يصح تسميتهن بالجنس الثالث اى انهن لسن رجالا ولا بنساء لمنافاتهن للاولين طبيعة وتركيبا وللاخريات وظائف واعمالا . وقد درس هذا الاستاذ أحوالهن درساً مدققا فوجد أنهن بعيشتهن فى تلك الحياة المصطنعة وانتزاعهن أنفسهن من وظائفهن الطبيعية التى خلقن لها جسما وروحا قد تغيرت احساساتهن عن احساسات بنات جنسهن وصرن فى حالة تشبه المالنخوليا اذ كأن الفطرة البشرية تقيم عليهن الحجة بلسانها الفعلى على اعمالهن حقوقها . ثم قال بالحرف الواحد : « وقد ابتدأ علماء العمران يشعرون بوخامة عاقبة هذا الامر المنافى للسنن الطبيعية فان هاته النسوة بمزاحمتهن للرجال صار بعضهن عالة على المجتمع لايجدن مايشتغلن به ولو تمادى الحال على هذا المنوال لنشأ منه خلل

اجتماعى عظيم الشأن » هل بعد هذا كله ننصح للنساء بأن يلقين بأنفسهن فى هيجهاء الحياة الخارجية

يقول المؤلف : « ولكن ما الحيلة اذا كان نظام الوجود يقضى بأن كثيراً من النساء يعشن فى الوحدة والانفراد ويسعين ويعملن لكسب قوتهن وقوت أولادهن وبعض اقاربهن من القواعد العاجزين عن الكسب»

نقول : الحيلة هى أن نتأثر من سوء حال أولئك النساء ونبرهن على انهن بفقرهن وتعاسة حظهن قد أرغمن هربا من الموت على عصيان سنن الطبيعة ونعطى هذا الشكل المحزن من الحياة الانسانية حظه من التأثر والتحسر ثم نبحث على ما يخفف ذلك الويل الوبيل بالطرق الحكيمة لاأن نعمل على نشره بدعوى انه مظهر من مظاهر التمدن

أنا أناشد الله كل ذى احساس شريف ان يفكر معي قليلا فى حالة امرأة مسترجله اجبرها الحال السيء والحظ المنكود على المعيشة بلا زوج وان تعمل طول نهارها تحت حرارة الشمس وفوق رمضاء الهجير فتكسب قليلا من العيش لدفع أنياب الهلاك عن نفسها ، قلت أناشده الله أن يفكر معى قليلا فى هذه الحالة المحزنة ثم ليخبرنى بما يحس من رحمة فى قلبه على ذلك الجنس الرقيق تدفعه الى ابتكار أى وسيلة — ووسائل الحياة الطيبة غير محصورة — تمنع سريان هذا الامر الخادش لوجه مدنية القرن العشرين ؟ أي قلب لايتفتت اذا سمع الفيلسوف « فوربيه » وهو أعظم أنصار حرية النساء ينادى فى وسط بلاد تلك المدنيه المادية صائحا فى وجه قومه: « ماهى حالة النساء اليوم ؟ انهن لايعشن الا فى الحرمان حتى فى عالم الصناعة الذى ألم الرجل بجميع انحائه لغاية الاشتغالات الدقيقة بالخياطة وصنع الريش اما المرأة فيراها الناس منكبة على أشق الاعمال فى الخلاء . ماهى اذن مصادر الحياة بالنسبة للنساء المحرومات من المال ؟ ألمغزل أم جمالهن ان كان لهن جمال ؟ نعم ان حيلتهن الوحيدة هى الفسق العلني او السرى ليس الا وهى الحيلة التى تنازعهن الفلسفة اياها للآن . هذا هو الحظ التعس الذى ألجأتهن اليه هذه المدنية وهذا الاستعباد الزوجى الذى لم يفكرن للآن فى مهاجمته » انتهى

(هل تحتجب المرأة عن الرجال ؟)

درسنا في فصولنا المتقدمة ماهيـة المرأة وكمالها وبينا بالادلة التجريبية ان ذلك الكمال لايتأتى لها الا بعـدم تدخلها في اعمال الرجال وبحثنا بالدقة المضار التي تنجم يومياً من اختلاط الجنسين احدهما بالآخر ونريد في هذا الفصل ان نبرهن على ان الحجاب هو الضامن الوحيد لاستقلال المرأة والكافل الفرد لحريتها ورد سيطرة الرجال عنها فنقول :

لايجوز لنا باعتبار اننا باحثون في موضوع اجتماعي مثل هـذا ان نغتر بأي مظهر من مظاهر هذه المدنية المادية الموقتة ونتخذه قاعدة للحكم في شيء قبل تحليله الى عناصره البسيطة تحليلا دقيقا . نريد بهذا ان نقول انه لا يجوز ان نعتمد على ماتراه من الحرية المموهة التي يتمتع بها نساء هذه المـدنية فنحسب أن مظاهرها الفتانة صبغا ثابتـة تزيد بهجـة ولاتزول بمرورالزمن . هـذه خطيئة اجتماعية تكفي وحـدها ان تقود الباحث رغم انفه الى مدركات سطحية لامعنى لها في ذاتها ولا تتفق مع حقيقة الواقع . وان وافقته في زمن من الازمان فلن توافقه في مستقبل ليس بالبعيد لعدم انطباقها على الفطرة البشرية فان غيرة الرجل وان دفنها رماد اللهو حينا من الاحيان وسترها بعض أشكال المدنيات مـدة من الزمان فانها لاتموت أبداً بل يأتي عليها يوم تتقد فيـه اتقاداً وتبعث اهلها لأخشن مايتصور من مظاهر أسر النساء والتشديد عليهن

كلامي هـذا وان ظهر خيالياً شعريا لمن لم يلق نظرة عامة على مجموع احوال الانسانية والانسان الا أنه بالنسبة للبعض الآخر حقائق ساطعة ليست مقبولة للعقل فقط بل اراها التاريخ امثلتها في كل امة فلنورد هنا مثالا مما حصل في دولة الرومان وهي الدولة التي تولدت منها كل الدول الاوروبية المتمدنة فنقول :

نشأت دولة الرومان في رومية في القرن الثامن قبل الميلاد صغيرة فقيرة ثم شبت قرناً بعد قرن حتى بلغت مبلغاً عظيما من المدنيـة وكان النساء فيهـا متحجبات ملازمات لبيوتهن . قالت دائرة معارف القرن التاسع عشر : « كان النساء عند الرومانيين محبات للعمل مثل محبة الرجال له وكن يشتغلن في بيوتهن . اما الازواج والآباء فكانوا يقتحمون غمرات الحروب

وكان أهم أعمال النساء بعد تدبير المنزل الغزل وشغل الصوف » ثم قالت: «وكن مغاليات في الحجاب لدرجة ان القابلة (الداية) كانت لا تخرج من دارها الا مخفورة وجهها ملثم باعتناء زائد وعليها رداء طويل يلامس الكعبين وفوق ذلك عباءة لا تسمح برؤية شكل قوامها » اه

في ذلك الحين حين احتجاب النساء برع الرومانيون في كل شيء نحتوا التماثيل العظيمة وشيدوا الهياكل الفخمة وفتحوا البلاد وملكوا العباد واستبدوا بصولجان الملك والعظمة دون سواهم من الامم. ولكن دعاهم بعد ذلك داعي اللهو والترف الى اخراج النساء من خدورهن ليحضرن معهم مجالس الانس والطرب فخرجن كخروج الفؤاد من بين الاضالع فتمكن ذلك العنصر المهاجم (الرجل) لمحض حظ نفسه من اتلاف أخلاقهن وتدنيس طهارتهن وهتك حيائهن حتى صرن يحضرن التياترات ويغنين في المنتديات وساد سلطانهن حتى صار لهن الصوت الاول في تعيين رجال السياسة وخلعهم فلم تلبث دولة الرومان على هذه الحالة حتى جاءها الخراب من حيث تدري ولا تدري حتى ان القارىء للتاريخ ليدهش حينما يرى ان ذلك الصرح الروماني الباذخ قد هدمته المرأة حجرا بعد حجر بيديها الرقيقتين لا سوء نية منها ولا لأنها مفطورة على الافساد بل لافتتان الرجال بها وتناظرهم عليها. هذه حقيقة اجتماعية لا مجال للجدال فيها

قال العلامة (لويز برول) في مجلة المجلات (مجلد ١١) تحت عنوان الفساد السياسي ما يأتي: «ان فساد الاسس السياسية وجد في كل زمان ، ومن الغريب المدهش (تأمل) ان عوامله في الزمن الغابر هي ذات عوامله في الزمن الحضر بمعنى ان المرأة كانت العامل الاقوى في هدم الاخلاق الفاضلة » كان الاجدر بهذا الكاتب الاجتماعي ان لا يلصق تهمة الافساد بالمرأة لأن الرجل هو الذي أفسدها وجعلها احبولة للافساد لمحض ميوله الدنيئة. ثم أخذ ذلك الكاتب يقارن بين العلامات المنذرة اليوم وبين ما كان في عهد جمهورية الرومان حتى قال: « لقد كان الرجال السياسيون في آخر عهد الجمهورية الرومانية يعيشون في صحبة النساء ذوات الطباع الخفيفة اللاتي كان عددهن بالغا حد الكثرة فصار الحال اليوم (تأمل) كما كان في ذلك العهد ترى النساء اندفعن

فى تيار الحب البالغ حد الجنون وراء البذخ والذات » ا هـ

ماذا حصل فى أمة الرومان المشهورة بحب المجد والعظمة فأنساها سابق تاريخها حتى تهدمت صروح عزها أمام أعينها بدون أن تجد من نفسها الغيرة عليها؟ وكيف يتصور ان امة الرومان التى كانت فى أيام عظمتها مغالية فى حجب النساء تسمح لهن بعد ذلك أن يتسلطن على رجال السياسة ويعزلنهم وقتما أرادوا ؟ ما هـذا الانتقال العجيب من حالة الى أخرى ؟ ألا يوجد بينهما تدرج طبيعى ؟ نعم ان ذلك الفساد النسوى نما على حسب القاعدة الطبيعية : بدأ صغيراً حقيراً ثم استطار شره حتى صار داء عضالا فتك بالجسم دفعة واحدة . قالت دائرة معارف القرن التاسع عشر : « ولكن لم يسد هذا الحب الجنونى للترف بالنسبة للنساء الا فى عهد الامبراطورية . اما فى الايام الاولى للجمهورية فقد كانت المرأة ملازمة بيتها تغزل فيه الصوف . ولكن البذخ تسرب الى رومية شيئا فشيئا حتى قام (كاتون) ينذر بالخطر المحدق الذى سيلتهم كل شىء ، — (مثل كاتون مثل المدافعين عن الحجاب اليوم فان التاريخ يعيد نفسه) وبعد ذلك بقليل لم يقف البذخ والترف عند حد » اهـ

ثم أخذت دائرة المعارف تسرد أنواع الالبسة وأصناف الزينات النسوية مما لا فائدة من ترجمته هنا

فلننظر الآن ماذا قال (كاتون) لقومه وكيف أنذرهم بخطر خلع الحجاب وكيف صدقت أقواله ؟ كل هذه حقائق تاريخية حصلت لسوانا فالواجب علينا معرفتها جيداً لنستطيع تجنبها أو بالأقل لنعمل مانعمله ونحن عارفون أننا فى سبيل الدمار !

روت دائرة معارف القرن التاسع عشر انه لما حصلت لدى الرومانيين ثورة يقصد بها نسخ القانون الذى كان يحدد بذخ النساء وتبرجهن قام (كاتون) وهو ذلك الرومانى المشهور بالفلسفة والحكمة بين جمهور الرومانيين فى القرن الثانى قبل الميلاد وقال: « أتتوهمون معشر الرومانيين انه يسهل عليكم احتمال النساء والرضاء بهن اذا مكنتموهن من فصم الروابط التى تقيد استقلالهن وتخضعهن لازواجهن؟ ألم يصعب علينا حتى مع وجود هذه القيود الجاؤهن الى أداء واجباتهن ؟ أما ترون أنهن

سيصرن مساويات لنا وسيوقعننا تحت نيرهن ؟ اى حجة معقولة يمكنهن بسطها لتبرئة اجتماعهن الثورى ؟ لقد أجابتنى واحدة منهن قائلة : انما نريد أن نكون متلألئات فى الذهب والاقمشة القرمزية وان نمشى فى طرق المدينة فى أيام الاعياد وسائر الايام الاخرى ونركب فى المركبات الفخمة لاجل ان نظهر انتصارنا على ذلك القانون المنسوخ (الذى يجبرهن على عدم الابتذال) وان نتمتع بحرية انتخابكم (ماأشبه اليوم بالامس) ونريد أيضا أن لاتضعوا حداً لنفقاتنا وبذخنا

« فيا أيها الرومان لقد سمعتمونى كثيراً ماأشكو من اسراف الرجال والنساء والعامة والمشترعين أنفسهم أيضا . ولقد سمعتمونى كثيراً ماأقول إن الجمهورية مصابة بدائين متناقضين الشح والبذخ وهما الداءان اللذان قلبا الممالك العظيمة رأسا على عقب» ثم أردفت دائرة المعارف هذه الخطبة بقولها : «ان (كاتون) لم ينجح فى دفاعه عن ذلك القانون ولكن تحققت انذاراته كاملة . » ثم قالت بالحرف الواحد: « وفى هيئاتنا الاجتماعية الحاضرة التى فيها النساء يتمتعن بحرية مفرطة (تأمل جيداً) نرى دناءة ذوقهن وميلهن الشديد الذى يحملهن دائما على الاشتغال بجمالهن وبكل مايزيد حسنهن ورواءهن كل ذلك أكثر خطراً وهولا مما كانت عليه الحالة فى رومية » انتهى

دعنا الآن من هذا وهلم ننظر ماذا حصل بعد فساد الملك الرومانى وتغلغل الخلل فيه ؟ هل استمرت النساء متلألئات فى الذهب والاقمشة القرمزية رائحات غاديات فى الطرقات وراكبات المركبات الفخمة كما كان شأنهن فى أيام عز المملكة الرومانية؟ لا، ولكن رأينا الناس أسرفوا فى هضم حقوقهن والحط من مقامهن حتى حرموا عليهن أكل اللحم والضحك والكلام وغلوا فى ذلك حتى وضعوا فى أفواههن أقفالا متينة يسمونها (موزلبير) لافرق فى ذلك بين عال ووضيع أو عالم وجهول ثم سرى أمرها الى أكثر من ذلك حتى اجتمع فى رومية ذاتها مجمع فى القرن السابع عشر مكون من فطاحل الرجال وطرحت فيه هذه المسئلة ؟ هل للمرأة روح ؟

وانى لو أردت أن أشرح للقراء كيفية تحقيق الجرائم على النساء والآلات المختلفة

والاساليب الشيطانية للتعذيب لما وجدت من نفسى الجلد على وصف هذه المظالم المزعجة . ثم لو كلفت أحد النقاشين رسم الهيئات بذاتها تمثل النساء فى حالة صب القطران على أجسامهن أو ربط أرجلهن فى أربعة خيول وتركها وشأنها تركض الى كل جهة لتمزقهن تمزيقا أو ربط جماعة منهن فى سارية وتحتهن نار هادئة مدة أيام عديدة ليمتن على تلك الحالة بتساقط لحومهن وشحومهن أو . أو . مما يذهب بالقلب حسرة ، قلت لو كلفت أحد النقاشين فرسم لى ذلك من مجلة المجلات (مجلد ١٥) لرأى القراء منظراً لا يذهب عن فكرهم أبداً ؟ منظراً يريهم الى أى حالة وصل أسر الرجل المتمدن لهذه المرأة المسكينة !

الناظر لهذه الانتقالات يدهش ويأخذه العجب ويسائل نفسه قائلا : كان النساء بالامس يمرحن فرحات بما أوتينه من الحرية والسلطة على الرجال فكيف صرن اليوم موضوع أقسى المظالم ومحل البهيمية البشرية البالغة حد الكفر والجحود ؟ ماهذا التحول العجيب ؟ ما هذا التبدل الذريع ؟ ما الذى هدم تلك الحرية الاولى ووسم وجه المرأة بميسم الاسر والعبودية لهذه الدرجة الوحشية ؟

كل هذه أسئلة يلقيها الناظر فى التاريخ على نفسه ولا يستطيع ادراكها الا اذا ذهب فنقب فى أصول علمى النفس والاجتماع وهو بحث طويل الذيول نقول لك زبدته فى كلمتين

لما استملك الرومانيين ونالوا بسطوة العظمة والتفوق على الامم ولم يبق لهم فى الارض مناظر تداخلهم حب الترف والرفاهية وهما لا يأتيان الا باختلاط الجنسين معا وساعدهم على ذلك ما كانت علقته أذهانهم من تعاليم ملحدة اليونانيين ومقلديهم من الرومانيين أيضا فشرعوا فى كشف الحجاب عن نسائهم وترقوا فى ذلك شيئا فشيئا حتى صرن المسيطرات فى الامور السياسية وحصل فى هذا الاختلاط من الدنايا والمقاذر ما أكره أن يكتبه قلمى هذا فماتت همتهم وخارت عزائمهم وتسفلت نفوسهم فوقعوا فى التناظر والتسافك فازداد الفساد فيهم نشوبا وحدثت أثناء ذلك احداث غيرت اتجاهات الافكار بالمرة وأشربت النفوس أن النساء سبب ذلك الفساد كله فأخذ الحقد

عليهن يتزايد شيئاً فشيئاً والتضييق يشتد يوماً فيوماً حتى وصل الامر الى ماوصفت لك من حالة القرون الوسطى لغاية القرن السابع عشر ومقدمة التاسع عشر وأرى الرجال اليوم فى الغرب يريدون أن يعيدوا ذلك الدور بعينه بما يخترعونه كل يوم من أسباب فتنة النساء والافتتان بهن وما يبتكرونه من ضروب الوسائل لمهاجمة عفتهن وطهارتهن وايقاعهن فى مثل ما وقع فيه اخواتهن الاقدمون ادرك ذلك عقلاؤهم وفلاسفتهم عموماً وصار من الوضوح بحيث يكتب فى دوائر المعارف كما مر بك وسيمر بك أكثر من ذلك . فاذا كانت المرأة المسكينة العوبة فى يد الرجل لهذه الدرجة يحبسها مادام متديناً ثم لما يداخله حب اللهو والترف يخرجها ليلعب بضعفها ثم لما يفتنها ويتلف آدابها بما يخترعه لها من أنواع البذخ والزينة يراها حملا ثقيلا عليه فيرجعها الى حبسها بأشد مما كان . قلنا اذا كان حال المرأة كذلك فى يد الرجل فاحتجاب المسلمة خير كفيل لها من الوقوع فى مثل هذه الحالة فقد حاطها الاسلام بقوانين حكيمة رسخت فى أعماق القلوب لا يستطيع المسلمون هدمها إلا اذا غيروا دينهم وبدلوه كله. آلا ترى انه قد مضى على المرأة المسلمة نحو من ثلاثة عشر قرناً وهى محفوظة من كل الانقلابات التى طرأت على غيرها من نساء العالم كما مر بك طرف منه ؟ فأى نعمة أكبر من نعمة الحجاب اذا كان هو المانع للمرأة من أن تكون العوبة فى يد الرجل وعرضة لأهوائه يصرفها كيف يشاء ؟ قل لى أى مانع حمى النساء المسلمات من مثل تلك القسوة التى اصابت اخواتهن فى الغرب قروناً مستطيلة غير هذا الحجاب ؟

يقول حضرة مؤلف (المرأة الجديدة) ان فى أوروبا احزاباً تطلب مطالب مجحفة « ومع ذلك لم يخطر على بال احد منهم ان يطلب حجاب النساء بل نرى الامر بالعكس فان المتطرفين من أرباب المذاهب يطلبون التوسع فى حرية المرأة والزيادة فى حقوقها الى أن تصير مساوية للرجل فهم على شططهم متفقون فى ذلك مع أرباب المشارب المعتدلة فما هو سر هذا الاتفاق وما سببه ؟ » اما نحن فنقول ان مؤسس فلسفة العصر الحاضر (اجوست كومت) وجميع الحسيين من فلاسفة الوقت وهم كبار رجاله المعول عليهم فى الحكم على

حقائق الاشياء يرون ان المرأة لم تنل فقط قسطا أكبر مما يلزم من هذه الحرية المموهة بل يرون أيضا انها خرجت عن حدودها الطبيعية وقد مر بك من أقوالهم في الفصول السابقة مايثبت ذلك . وقد ورد في دائرة معارف القرن التاسع عشر شكوى مؤلمة من هذا القبيل - ولدينا عشرات من نوعها من أقوال أكبر عقلاء العصر . قالت الدائرة عقب ذكرها الخراب الذي طرأ على رومية بسبب الافتتان بالنساء :

« وفي هيئاتنا الاجتماعية الحاضرة التي فيها النساء يتمتعن بحرية مفرطة (وصاحب الدار أدرى) فان دناءة ذوقها وميلها الشديد الذي يحملها دائما على الاشتغال بجمالها وبكل مايزيد حسنها ورواءها كل ذلك أكثر خطراً وهولا مما كانت عليه الحالة في رومية » هذه العبارة ربما يسمعها الشرقي فيدهش لانها بخلاف ما نظن وله العذر في ذلك فانه طالما حسن ظنه بكل شكل من أشكال هذه المدنية وتوهم انها تعلو عن مدارك الشرقيين وتسمو عن متناولهم وأن ليس لهم حق الانتقاد عليها بوجه ما . ثم قالت دائرة المعارف بعد أن وصفت من الاحوال ماوصفت : « نعم انا لسنا أول من لاحظ هذا الاثر السيء الذي يحدثه حب النساء للزينة يوما فيوما على اخلاقنا (تأمل) فان اشهر كتابنا لم يهملوا الاشتغال بهذا الموضوع الكبير وكثير من أقاصيصنا التي قوبلت بالاستحسان العام قد وصفت بطريقة مؤثرة الخراب الذي يجره على الاسر الشغف الجنوني بالتزين والتبرج . فكيف النجاة من هذا الداء الذي يقرض مدنيتنا الحالية ويهددها بسقوط سريع جداً وان شئت فقل بانحطاط لا دواء له » انتهى

فاذا كانت أوروبا مع قوتها ومنعتها ووسائلها تنادي بلسان دوائر معارفها وأشهر كتابها بالويل والثبور من تبرج النساء بحيث رأت ان حالتهن تهددها بسقوط سريع جدا فما بالك لو كان الشرق مصابا بهذا الداء نفسه مع ضعفه اليوم ؟ يراني القراء لا أختار الحجاب للنساء طلبا لمقتهن ولا أريد أن اطلبه لهذا الغرض لانه هضم لحقوق ذلك الجنس الرقيق صاحب العواطف الفاضلة فان الغريزة الأدبية لدى النساء أمتن منها لدى الرجال يقينا وأعراضهن اطهر من اعراضهم في الجملة وانما اختاره لانه الحصن الحصين الذي يأمن

فيه النساء غائلة الرجال وشرتهم فانهم اعتماداً على ان ليس في تركيبهم مايفضحهم لوخرقوا سياج العفة يوماً أوكل يوم تراهم يتكالبون بنهمة افراطية على اغراء النساء بكل حيلة وبكل وسيلة . لانه ثبت باستقراء حوادث العالم ان الرجل هو المغوى للمرأة على خدش وجه الادب حتى ان جريدة المقطم التى قبحت الحجاب من وجهة اجتماعيـة فى ٨ فبراير سنة ١٩٠١ تشهد بهذه الحقيقة الجليلة فقد قالت: «وتاريخ كل هيئة اجتماعية يشهد ان الرجل هو المهاجم لفضيلة العفة والمرأة هى المـدافعة عنها » انتهى . اذن أليس من العدل أن نبحث عن وسيلة نمنع بهاشرة هذا الرجل الغشوم القاسى عن هذه المرأة الرقيقة الجانب ؟ هل من العدل أن نعرضها لمخالب هـذا الرجل الظلوم وحيله ثم نكلفها بتبعة خرقها لسياج العفة ؟ كيف يصح لنا أن نؤاخذ المرأة على عدم العفة اذا وقعت فى أشراك الرجل وهو الكائن الذى لاتنجو من بين يدى حيله الشيطانية الاسود فى آجامها ولا الثعابين فى أوكارها ولا العقبـان فى شواهقها ؟

ماذا يريد الناس من المرأة؟ أيريدون أن تكون ملكا فى عصيان شهواتها أو جماداً فى عدم التأثر باهوائها ؟ ألا يعد هذا من أشد ضروب القسوة ؟ ألا يعتبر من أكبر أنواع الاسر ؟ يقولون ولم لاتشير بحجب الرجال ، أليس حجبك النساء عنواناً على هضمك حقوقهن ؟ أقول أما وقد ثبت انه لامناص من عزل الرجال عن النساء — انظر فصولنا السابقة واللاحقة ــ وان وظيفة المرأة بيتية محضة وان اشتغالها خارج بيتها خلل اجتماعى خطـير بخلاف الرجل فان شؤون حياته تقتضى المحاولات الخارجية لزمنا أتباع أخف الضررين ليس الا . والى فلو قام أحد أصحاب الافكار وابتكر شيئاً يكلفـه الرجال لقطع هجومهم عن المرأة فان المسلمين أول الخاضعين لذلك التكليف فى سبيـل صيانة هـذا الجنس الرقيق . تقول جريدة المقطم : «لانه فى الهيئة الاجتماعية لايثبت للحجاب فضـل فى حفظ العفاف والشاهد على ذلك أنه ليس بين الكتاب كاتب يدعى أن بنات المدن المتحجبات أعف وأطهر من بنات الريف اللاتى لايتحجبن وان عرض الفلاحة والبدوية غير مصون كعرض المحجبة . » نقول لاينكر أحد ذلك ولكن

لا يحسن أن يغيب عن فكرنا ان الفلاحة والبدوية المكشوفتين هما فى أحط أدوار تنازع البقاء والحرب الماشية وقد أثبتت البسيكولوجيا (علم النفس) ان الانسان وهو فى تلك الحالة لايكاد يفكر الا فيما يحفظ شخصه من العطب . وبناء على هذا فمثل هاته النسوة ليس لديهن وقت تثور عليهن فيه عوامل اللهو وترغمهن على الخضوع لمؤثرات أهوائهن فتراهن يشتغلن مع أزواجهن او آبائهن طول النهار حتى اذا جاء الليل طالبتهن أجسامهن بالراحة من جهادهن الهائل . ولذلك نرى الفلاحة أو البدوية بمجرد نيلها ما يغنيها من المال تجعل همها الاول وضع الحجاب على وجهها والتستر عن أعين الرجال . أما قول المقطم : « ولما كان الرجل وهو العنصر المهاجم لفضيلة العفاف عند انحلال ربط الآداب والمرأة هى المدافعة عنها كما قدمنا فالعقل يقتضى تقوية قواها العقلية مع قواها الادبية وتوسيع ادراكها واختبارها حتى تعرف كيف تحفظ منزلتها من الفضيلة والكمال » فنجيب عنه بقولنا : ان هذا النوع من التربية يستحيل ان يعطى لكل امرأة بل لن ينال الا بنات المثرين فقط لانه يستدعى سنوات عديدة فى المدارس تستلزم ثقل البنت ذهبا وبذلك يبقى اكثر من تسعة اعشار البنات عاريات من مثل ذلك التهذيب الفلسفى أى معرضات للانقياد لحيل العنصر المهاجم أى الرجل. وبناء عليه فلا يصح أن يبنى على هذا قاعدة اجتماعية عمومية . ومع ذلك فان هذا الحجاب المعنوى الذى يشير اليه أنصار السفور أشد على المرأة من ذلك الحجاب الرقيق بما لا يقدر . فانظر كيف بلغ اجحاف الرجال بالنساء ! يعترفون بأنها المهجوم عليها من العنصر القوى ومع ذلك يريدون أن لا تستتر عنه بمانع مادى يستوقفه عند حده . بل يريدون ذلك الحجاب أدبيا محضا اى من النوع الذى يحجب الفلاسفة عن محبة الدنيا الفانية ويحول بينهم وبين هوى نفوسهم ، أعنى يريدون أن تكون المرأة ملكا لا يطاوع همة من همات بشريته ولو كانت مهجوماً عليها من كل جانب ؟

لماذا لا يهبون المرأة حجابها المادى لتكتفى هى والرجل مؤونة هذا الجهاد الهائل ، لماذا لا يوفرون على المرأة وقتها الذى يلزم أن تصارع فيه هذا الرجل

الظالم فى ميدان هذه الحياة الكدرة ؟ يقول قائل لقد غلوت غلواً كبيراً وأفرطت فى دفاعك افراطا شديداً واتيت بما يؤخذ منه ان ليس للرجال شغل شاغل ولا هم متواصل الا التحايل على النساء واغرائهن مع أن التربية تعمل العجائب فى نفس الانسان والمدنية تكسوه من شرف النفس وعلو الهمة الحلل الحسان الخ الخ

تقول هذه الفاظ نسمعها ولا نرى مدلولاتها فى أى بقعة من بقاع الارض . ولو صح ان التربية والتهذيب تقوم مقام الحدود المادية فى كبح افراطات الانسان وتعدياية لصحت نظريات المذاهب المتطرفة بأسرها فانهم يقولون أيضا أن ذلك القانون القائم والقانونين الذين يقدسونه ويحترمونه وتلك السلطة التى تهيمن على احوال البشر ليست الا موانع تمنع رقيهم فى مدارج الكمال الصورى والمعنوى. ولكن لو خلى الانسان لتأثير مواهبه الفطرية لنمت فيه العواطف الفاضلة من ذاتها بتأثير الفواعل الطبيعية المنتشرة في الكون وماتت فيه كل تلك الاهواء الخارجة عن حدود الاعتدال بتأثير تلك الفواعل الطبيعية أيضا. ويقولون أن هذه القوانين التى ترعمون انها تقيم دعائم العدل فى البلاد وتسوى بين آحاد العباد وتردع الظالمين عن الظلم والاجحاف وتكبح جماح المعتدين عن تخطى حدود الانصاف والانتصاف لاأثر لها الا زيادة عدد المجرمين ونشر القسوة والخشونة بين العالمين . قلنا لو صح ان التربية تقوم مقام الحدود المادية فى تعديل خلق الانسان لصحت كل نظرية تستند عليها فى تحقيق نفسها

أما أنا فأقول أرنى امة من الامم منعت التربية فيها هذا الرجل القاسى عن الانقياد لميوله البهيمية ووقفت دون مقارفته لمطالبه الحيوانيه؟ هذا هو التاريخ بين أيدينا وهذه الامم والنحل أمام أعيننا وكلها أدلة ناطقة شاهدة بأن التربية لم تمنع الرجل يوما واحدا من غشيان القبائح واتيان المنكرات ولم ملين فؤاده الحديدى لايثار الفضيلات على الرذيلات. ولو كنا ممن يتسلى بالخيالات لعلقنا على التربية وحدها أكثر مما يعلق غيرنا ولكننا نحب أن لا نتخطى دائرة التجارب الحيوية قيد شبر مادمنا نحب ان نقول مايسمع وننشد ما يمكن الحصول عليه

هل الحجاب مانع كمال المرأة ؟

عهدنا الانسان فى كل دور من ادوار حياته ان احب شيئا لم يصعب عليه اقامة الف دليل على حسنه وجماله ، واذا كره شيئا لم يعز عليه ان يطبق الدنيا ادلة على قبحه وفساده ، ولولا ان حال الوجود شاهد عادل لاصبحت الحقائق ابعد شيء عن الانسان فى هذا العالم « وكان الانسان أكثر شيء جدلا »

يقول حضرة مؤلف (المرأة الجديدة) : « اما الحجاب فضرره انه يحرم المرأة من حريتها الفطرية ويمنعها من استكمال تربيتها ويعوقها عن كسب معاشها عند الضرورة ويحرم الزوجين من لذة الحياة العقلية والادبية ولا يتأتى معه وجود امهات قادرات على تربية اولادهن وبه تكون الامة كانسان اصيب بالشلل فى احد شقيه » . اما انا أقول : اما الحجاب (استنادا الى براهيى الحسية السابقة) ففوائده انه يمتع المرأة بحريتها الحقيقية ، وقد علمت ماهى تلك الحرية ، ويمكنها من استكمال تربية نفسها تربية اموية . ويعوقها عن مشاركة الرجال فى اعمالهم وهو الامر الذى نحر عظم هذه المدنية البادية بشهادة علمائها فى القارتين الاوربية والامريكية ، ويجبر اهلها وحكومتها على ضمان معاشها بالطرق القانونية ، ويمتع الزوجين بلذة الحياة الزوجية ، ويتأتى معه وجود امهات قادرات على تربية اولادهن تربية اسلامية ، وبه تكون الامة كانسان صحيح البنية له اعضاء ظاهرية واخرى باطنية

ونحن ايضا كان يمكننا ان نقول كما يقول المؤلف : « اى مصلحة للرجل أعظم من ان يعيش وبجانبه رفيقة تلازمه فى الليل والنهار فى الاقامة السفر فى الصحة والمرض فى السراء والضراء رفيقة ذات عقل وأدب عارفة بحاجات الحياة كلها تهتم بكل شيء يمس بمصلحة زوجها ومستقبل اولادها تدبر ثروته وتحافظ على صحته وتدافع عن شرفه وتروج اعماله وتذكره بواجباته وتنبهه الى حقوقه وتعرف انها باجتهادها تجد فى منفعتها كما تجد فى منفعة زوجها واولادها

« وهل يسعد رجل لا يكون بجانبه امرأة بها احياته وتشخص الكمال بصداقتها امام عينيه فيعجب بها ويتمنى رضاها ويتوسل اليها بافاضل الاعمال ويدنو منها بفضائل الصفات ومكارم الاخلاق صديقة

تزين بيته وتبهج قلبه وتملأ أوقاته وتذيب همومه ؟ »» قلنا كان يمكننا نحن أيضا أن نقول مثل هذا الكلام لانه أحسن ما يأخذ بالفؤاد ولكننا فى مقام عمل وتحقيق لا فى مقام تمن وتأميل، فانه لا يوجد فى المسكونة رجل الا وفى مخيلته مثل هذه الامانى وزيادة ولكنه لا يرى لها أدنى تحقق فى الخارج لان مقاليد الوجود ليست بيد الانسان ولو نال كل متمن امنيته لما وجدت على ظهر الارض رجل يشكو من شيء ملطلقا . ولو كان اصلاح الأحوال الشخصية يتأتى بمثل هذه الوسائل لكان الامر أسهل مايكون على الكاتب فقد كنا نستطيع أن نقول مثلا : أي مصلحة للرجل أعظم من أن يعيش فى وسط حديقة غناء فيها قصر يناطح السماء وبين يديه من الخدم والاتباع ما ينتظرون أول اشارة تصدر منه لترويح نفسه وتفريج غمه وأن يكون واحداً من أصحاب الهمم العالية والافكار السامية فيؤدى لجامعته وملته أشرف الخدم التى تخلد لصاحبها فى بطون التواريخ اسما يضرب به المثل ويتخذ مثالا للحث على العمل وأن يكون له أولاد يربيهم على مبادئه الشريفة تربية ترشحهم لمثل ماهو فيه من طيب الحياة وعلو المقام وان يهبه الله حب الاعتدال فى جميع أموره فيعيش معيشة الاتقياء في وسط ذلك النعيم العظيم فيحتمى هو وأولاده وأهل بيته شر الامراض والاسقام ليعيش عيش السعداء ويموت موت الشهداء ؟

لاشك ان كل انسان تقع لديه هذه الامانى موقع الاستحسان التام ويود لو أطلت فى شرح أمثال هذه العبارات لموافقتها لميله تمام الموافقة ولكن قل لى بعيشك كم من الناس فى هذا العالم بلغوا الى هذه الدرجة من السعادة وكم منهم يصح ان نقول عنه انه كاد يحصلها ؟

انقسم الفلاسفة بعد كثرة التدبر الى قسمين عظيمين قسم يدعى أن ليس فى هذا العالم راحة على وجه الاطلاق وان الحياة كلها أكدار وأوصاب وآلام وأتعاب فزهدوا فيها زهد اليائسين . وقسم رأى غير ذلك فقالوا ان فى الحياة حسنات وسيئات وان السعيد من عرف كيف يستفيد من حسناتها على قدر الامكان وكيف يتوارى عن سيئاتها جهد المستطاع فهو طول حياته بين هذين التيارين المتعاكسين يتوارى من هذا ويأخذ جرعة

من ذلك حتى ينتهي وجوده من هذا العالم ويصعد الى عوالم أخرى تنتظره فيها نتائج جهاده الحيوى الطويل من هناء مقيم أو شقاء طويل

ونحن بالطبع لا نميل الى الشق الاول لما فى تعاليمهم من المنافاة للبد ئه المحسوسة وأما الشق الثانى فهو الجدير بالنظر والروية ، الخليق بأن يتخذ هاديا فى هذه الحياة الارضية. ولكن ما أشد تكاليفه على هذه الانسان الضعيف الذى قد تلتبس عليه أوجة السعادة والشقاوة فيتجنب الاولى ويسعى للثانية فيقع فيما كان يهرب منه ويتهالك فى البعد عنه !

لا خير فى هذا الوجود الا وهو ممزوج بشر فمن استطاع أن ينقى ذلك الخير من كل مافيه من الشر عاش حقيقة عيشة السعداء ونال مقاوم أصحاب الصفاء ، ولكن كيف يتأتى ذلك وهو ليس مستقلا بنفسه ولا قائما بذاته فى جميع شؤون حياته ؟ يلوح له الخير فى عمل فتبدو له من مشاركيه فى الوجود موانع وعقبات لو خطى واحداً منها قام أمامه غيره حتى ينتهى وجوده قبل أن تلوح له بارقة الامل من مطلوبه . ألا ترى معي ان كثيراً من الناس يرون الخير كل الخير فى شيء فيلجأون رغم أنوفهم الى تجنبه ليس لانهم غير قادرين عليه ولكن لما يقوم أمامهم من الموانع الوجودية والعقبات الاجتماعية .

هذه الشئون كلها قد تملأ قلب الانسان امتعاضا وكدراً وتذهب به مذاهب من الفكر شديدة الاثر على تركيبه ولكنه لو رجع الى نفسه رجوع الثابت الجأش والقى بطرفه الى قبلة من بيده مقاليد السموات والارض واستنزل من جانبه روح الطمأنينة على نفسه آب وكله اعتقاد بأنه تعالى قد أتقن كل ماصنع وأحسن فيما أبدع وقضى أن يكون الخير والشر من لوازم هذا العالم الارضى لا محالة لحكمة بالغة ومقصد عظيم «ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون» فمن استطاع أن يستدل بين هذه الزوابع المتماكسة نال خير الابد ومن مال ذات اليمين أو ذات الشمال وتمنى مالا ينال كان حسابه عند ربه

ليس يحب الانسان فقط أن تكون له زوجة صالحة أو أن تمشى بجانبه بغير حجاب بل يتمنى أن تكون حالته أصلح من ذلك : يتمنى أن لا يمسه الشر ولا يقرب منه الموت ، يتمنى أن يعدم الفقر

ونزول الامراض، يتمنى ان لا يرى مايكره في بني وطنه وبني نوعه . ولكن هيهات لا بد من شر ولا بد من موت ولا بد من فقر ولا بد من مكروه ، ولا بد للانسان من أن يقيد من اطلاقه ويحرم من لذاته لكي ينجو من كثير من الويلات التي لا تندفع بغير ذلك

أنا لا أنكر أن في الحجاب شرا ولكني أعتقد أنه مانع من شر أكبر فهو بهذا الاعتبار يعتبر خيرا كما انى لا انكر ان تسلح الامم بعضها ضد بعض شر ولكني لا انكر انه دافع لشر أكبر فهو لذلك الاعتبار يعتبر خيراً أيضاً . فالواجب علينا معشر الناس ان لا نتابع ميول أنفسنا في كل شيء فان أكثر ما نطلبه لا نناله وفي بعض ما نناله اشياء ما كنا نحب حدوثها ولو تجلت لنا قبل تمنيها في مظاهرها لكنا بعدنا عنها بعد المشرقين

انى رأيت كثيرا من الذين يتكلمون عن المرأة يتخيلون امرأة كاملة في وسط رجال كاملين وفي وجود لا نقص فيه فيهبونها من الاوصاف والنعوت الجميلة ما يجعلها النموذج الخيالي المبرأ من شوب النقائص على وجه الاطلاق . كأن تكون كاملة في جمالها وطبائعها قرة عين زوجها وأهلها مربية عارفة بواجبات وظيفتها تؤدي أعمالها البيتية على أتم نسق وأقوم منوال ثم تهب جزءاً ثمينا من وقتها في تحسين حال الامة من جهة الخارج بمشاركتها للعلماء في ابحاثهم وللفلاسفة في أخلاقياتهم وللرحالات في مكتشفاتهم ، وفي الجملة تكون كل شيء سواء أكان في الداخل أم الخارج . نعم حبذا لو كان الامر كذلك ولكن لقوانين الحياة سيراً غير ما نظنه ولشؤون الوجود أدوارا قد لا تخطر لأعقلنا على بال . ولذلك نرى كثيراً من كتابات الكتاب تسقط الى الحضيض ولا يكون لها أثر يذكر في الخارج . أما نحن فنرى ان من الواجب علينا عند الكلام على الاحوال الاجتماعية أن نلم أولا بماهية الوجود الذي نحن فيه وبمقدار النقص والكمال في سائر أحواله ، وبعلاقة كليهما بأحوال الانسان وأطواره ، ليكون حكمنا سليما من الخطأ ونصائحنا مجردة عن الخيالات التي لا تتحقق . فاذا تكلمنا عن المرأة مثلا فيلزمنا قبل كل شيء أن نشبع أفكارنا بأنا نتكلم عن المرأة (الآدمية) الموجودة بين شعب كل افراده (آدميون)

لهم نزوات ونزفات واهواء ونقائص واننا في عالم ارضي غير مبرأ من الشرور والمصائب لاشك اننا قبل التكلم على المرأة لو شبعنا افكارنا بما ذكرنا هدأت سورة تحمسنا وملكنا افكارنا وتصوراتنا وكتبنا مالا يجافي سنة الوجود ولا يعارض طبيعته وكان لكلامنا من التأثير وحسن الاثر ما يحملنا نحمد مغبة التعب في التحرير وابداء النصيحة

يقولون : للحجاب ثلاث مضار مهمة لها على المرأة آثار رديئة جدا . اولها : انه يضعف صحتها ويعرضها للامراض وضعف الاعصاب ومتى ضعفت الاعصاب اختل التوازن في القوى الابية وبنوا على ذلك ان المرأة المحجبة يجب أن تكون أسيرة شهواتها لأن سلامة الاعصاب أهم اعوان الانسان على ضبط نفسه وضعفها أكبر الاسباب التي تجعل الانسان ألعوبة في يد شهواته

ثانيها ان الحجاب مانع للخاطب من رؤية وجه مخطوبته وهو السبب الكبير في كثرة الطلاق وعدم الوفاق

ثالثها : انه يمنع المرأة عن التهذيب والتعلم ويصدها عن متابعة ميولها في تنمية قواها العقلية والادبية في بيوت التعليم

فلنرد على هذه الشبه فنقول : النساء المحجبات لسن بمريضات ولا ضعيفات الاعصاب بل هن في المجموع اقوى من النساء المكشوفات بكثير وهذه القضية يستطيع كل شرقي ان يحكم عليها بمجرد النظر . وقد مضى على المسلمات أكثر من ثلاثة عشر قرنا وهن محجوبات مصونات فلو كان الحجاب يحدث فيهن ضعفا من اى نوع كان لوجب ان يتوارثه النساء والرجال جيلا فجيلا حتى يكون المسلم والمسلمة اليوم مثالي الضعف وخور القوة . لأن القواعد (الفزيولوجية) تقتضي ذلك ولكننا نرى العكس . نرى أبناء النساء المحجبات أقوى جسما من رجال النساء المكشوفات . ومع ذلك فان الاحصاء الصحي لايدلنا على زيادة الوفيات في النساء ولو كان الحجاب مضراً بالصحة لأصبحت الوفيات منهن أكثر من وفيات الرجال طبعاً وهذا خلاف المشاهد . اما قولهم ان النساء المحجوبات اسيرات لشهواتهن فذلك مما لا ينطبق على علم (البسيكولوجيا) العملية . فانه لا يغيب عن اى انسان ان الميل الى الشهوات

لا يحصل فى الانسان بشدة إلا بوجوده بين مثاراته ولا يغلب العقل الا اذا وجد سهولة للوصول الى مطلوبه . فأى المرأتين اذن أشد تعرضا لمثارات الشهوة؟ المحجبة أم المكشوفة؟ المتعالية عن الاختلاط بالرجال بغيرة دينية وراثية شديدة أم المختلطة بهم؟ أليست الثانية؟ اللهم ان علم البسيكولوجيا اكبر شهيد عندنا بهذا الحقيقة . هذا من جهة

ومن جهة اخرى، فان لسهولة وصول الانسان الى مشتهياته تأثيراً كبيراً على نفسه من حيث انه يضعف فيه الانفة من غشيانها ويميت فيه عامل الاشمئزاز منها . اليك مثالا لذلك : هب ان شابين فى درجة واحدة من السن والتهذيب تعلما فى مدرسة واحدة وتحت سماء واحدة . أحدهما بعيد عن أسرته لا يرى بينه وبين التمتع بميوله غير ما لديه من التهذيب وخشيته من غوائل الفضيحة . واما الآخر فمحاط بأسرته ومهيمن عليه فى سائر تصرفاته، دونه حجب وبينه وبين شهواته عقبات ان أزال حجابا بدا له غيره وان تخطى عقبة قام دونه سواها، فأى هذين الشابين يكون ميله الى الشهوات أشد وكلفه بلذاته اكثر ؟ أليس الاول بالبداهة وبدون تردد؟ هل تردعه صحته الجسمية و انتظام مجموعه العصبي ؟ ألا تكون تلك الصحة عونا له فى تلك الحالة على غشيان الشهوة واتيانها بكل وسيلة كما هو مشاهد محسوس ؟ ان لم يكن الامر كذلك لزم ان يكون كل صحيح الجسم صحيح الفؤاد وهو خلاف الواقع فان كل أصحاب الخلاعة والفسق والفجور هم من الاقوياء الاشداء غالبا . ربما يقال ان هؤلاء لا تهذيب لديهم، فلو كانوا جمعوا الى صحة الجسم صحة التهذيب العقلى لقام تهذيبهم حاجزاً منيعا أمام كل شين خلقي : نقول ان المشاهد بالعين ان كثيراً من أصحاب الخلاعة واللهو هم من المهذبين المتنورين ومن بينهم عدد عديد من الذين تلقوا أسس الآداب فى أوربا ومع ذلك فهم أشد غشيانا للشهوات من سواهم. أما تلك التربية التى ترد جماح الانسان عن كل ما يخدش وجه الانسانية فلا توجد الا عند أفراد يعبر عنهم بالفلاسفة والحكماء ولا يخفاك انها لا تحصل الا بكثرة الدرس واشباع القلب بحقائق الاشياء. وأما السواد الاعظم من الامم فلن يكون لهم نصيب من هذا

التهذيب العالى مطلقا حتى ولا فى المستقبل البعيد . أقول هذا وأمامى الحوادث تشهد لى ، ولكل قارىء بصر وبصيرة يستطيع بهما أن يعزز الحق بشهادته

اذا تقرر هذا فالمرأة المصونة أقل ميلا للشهوات وأقل تفكراً فيها من سواها يقينا ولا سبيل للجدل فى هذه القضية

أما من جهة ضعف الاعصاب وقلة توازن القوى العقلية بسببه فانى أراه لدى نساء الغرب أكثر منه لدى نساء الشرق فان ذلك الضعف العصبى لا يأتى فقط من التحجب والتصون فان أسبابه أكثر من أن تعد، منها الهموم والغموم والافراطات والفقر والفاقة والحب والهيام وغير ذلك . ومن يتصفح أى مجموعة طبية يجد أن ذلك الداء فى نساء الغرب اصبح أمراً عاديا . ومع ذلك فان لضعف الاعصاب فى الامة علامات كثيرة جدا أهمها كثرة الانتحار فقد اثبت (لومبروزو) وغيره من البحاثين فى الجرائم ان الانسان لا يرتكب جريمة القتل او الانتحار وهو صحيح القوى العقلية أبداً . وبما ان صحة القوى العقلية تابعة لصحة الاعصاب فيكون كثرةُ الانتحار علامة ترشدنا الى اى العالمين نساؤه اضعف اعصابا

اثبتت مجلة المجلات (مجلد ١١) من الاحصاءات الرسمية فى ايطاليا أنه حصل فيها من سنة ١٨٨٩ الى سنة ١٨٩٣ اى فى مدة خمس سنين (٥٦٩) انتحاراً من النساء . وحصل فى فرنسا فى تلك المدة عينها (٥٨٦٩) انتحارا من النساء . اذا علمت هذا فأرنى الانتحار الذى يحصل ببلادنا الشرقية عموما والمصرية خصوصا والى اى سبب نسبت هذا الانتحار مثل الحب او الفقر او غيره فانه دليل حسى على الجنس النسائى وضعف الاعصاب لا محالة اذن فنساء الشرق اقوى اعصابا من نساء الغرب وقدر منهن على التغلب على أنفسهن وقهرها

واذا كان ميل الانسان للشهوات وعظم قدرته على كبح نفسه تابعا مباشرة لضعف الاعصاب فيكون الشرقيون كافة اقوى اعصابا من اكثر المتمدنين فان هؤلاء الاخيرين مع ما لديهم من التهذيب المنتشر فى سائر طبقاتهم لم يستطيعوا ان يقلعوا عن عادة السكر مع ما فيها من القبح وما تجره عليهم من الويلات الشديدة كل يوم بل كل ساعة على النفس والعقل والمال .

وقس عليها سائر الشهوات النفسية الاخرى التى هى لديهم أكثر تشبثاً بالنفوس منها لدى غيرهم

أما قولهم انه مانع من رؤية المخطوبة وبناؤهم كثرة الطلاق وشكاوى النساء على هذا السبب فنرده بقولنا ان الشكاية من كثرة الطلاق وظلم الرجال للنساء ليس خاصاً بالمسلمين بل هو فى بلاد المدنية أكثر منه لدينا فنوجه أنظار القارىء الى مايلى فان فيه الكفاية من هذا الموضوع

أما قولهم انه يمنع المرأة من التهذب والتعلم فليس بصحيح لان البنت تستطيع أن تمكث فى المدارس من السنة السابعة من عمرها الى السنة الثانية عشرة ولا يخفى ان هذه الخمس السنوات كافية لابلاغ عقلها الى درجة طيبة جداً من التهذيب وليس يعزب على همم الغيورين من الامة أن يوجدوا مدارس عالية تكون كل معلماتها من النساء فيتأتى للبنات أن يحضرنها بدون نقاب فى الداخل حتى اذا خرجن منها وضعن على أوجههن الحجاب حتى يصلن الى بيوتهن . واذا اعتلوا بعدم وجود معلمات لهذه الطبقة العالية فذلك يكون من باب التعلل الذى لا يقبل فان الهمم تعمل كل شىء لو كان هناك ميل فى النفس . ومع ذلك فمن العبث أن نسعى لعمل كل شىء فى وقت واحد . كل عمل لا يبدو الاصغيراً ثم ينمو شيئاً فشيئاً حتى يبلغ الكمال التام

اذا تقرر هذا كله فنقول ان الحجاب ليس بمفسد للصحة ولا بمضعف للاعصاب ولا بمثير للاهواء بل هو حاجز مادى دون كثير من المفاسد والمشاين لو أضيف اليه حاجز أدبى يقويه ويساعده على فعله تلاشت من بين البشر كثير من الويلات التى أصبحت جراحا دامية فى جسم تلك المدنية المادية

هل امرأة المدنية المادية هى المرأة الكاملة؟

ان أقل نظرة فيما قدمناه يكفى للدلالة على ان أصحاب تلك المدنية يعترفون هناك بأن المرأة الكاملة لم توجد لديهم للآن وان الاحوال الاجتماعية التى هم متورطون فيها فضلا عن كونها لم توصل المرأة الى كمالها المنتظر قد ذهبت بها عن وظيفتها مذهباً ينافى ماتستدعيه نواميس الخليقة ومطالب الحياة الطيبة . ونحن لو كنا

ممن يفتتنون بالظواهر المموهة لكننا أول القائلين بلزوم احتذاء المرأة المسلمة حذو تلك المرأة ، ولكنا قبل ان نخط حرفا واحدا فى كتابة موضوعنا هذا مزقنا كل ستار يحول بيننا وبين حقيقة الواقع ونظرنا للمسألة بعين العلم والطبيعة فرأينا ان للمرأة فى الحياة الانسانية شأناً غير شأنها الذى هي فيه الآن . ثم نظرنا فيما كتبه مؤسسو تلك المدنية بأيديهم فوجدناهم يعترفون معنا علناً بهذه الحقيقة الجليلة وانهم يسعون بجميع قواهم فى درء كل تلك العلل تدريجاً وعلى حسب مايقتضيه ذلك الشكل من التمدن الموقت . ونظن ان ماقدمناه من أقوالهم السديدة يكفى لان يوافقنا كل قارىء بأن حقيقة المسألة هى غير مايراه بعينيه من الظواهر أو يسمعه بأذنيه من المدائح . ولو ذهب بنا الانتصار لرأينا الى حد أن نكذب أصحاب الدار أنفسهم وهم ادرى بأحوالها من سواهم نكون ولاشك قد ارتكبنا أعظم شطط يستدعى نتائج شديدة الالم

على ان المسألة فى ذاتها بسيطة ولا تحتاج الى جهاد نفسى للوصول الى لبابها فان التدبر البسيط فى أحوال الكائنات ومراتبها يرينا عياناً ان الله جل شأنه قد وهب كل كائن من الاعضاء والقابلية مايحتاج اليه فى أمر معاشه ووظيفته الخاصة التى يرتبط بها كماله وانه قد يستطيع ذلك الكائن أن يخرج عن دائرته الخاصة حينا من الاحيان فتستحسنه العين برهة من الزمان لالكونه مستأهلا لذلك ولكن لحبة النفس رؤية الجديد من الاشياء ولكنها لما تعتاد رؤيته قليلا وتقف على عصيانه لاحكام تركيبه تمجه وترى سائر عيوبه مجسمة . مثال ذلك : انا اذا سمعنا انه قد نبغت فينا امرأة سياسية نجد فى أنفسنا من البشر والسرور مايحملنا على تحبيذ تلك السياسية الجديدة واعتبارها مثالا كاملا فى عالم النساء ونظل نترنح عجباً كلما رأينا خطبة من خطبها فى الجرائد ولكن لو نبغ بعدها سياسية وسياسيات وطبيعية وطبيعيات وفلكية وفلكيات ومهندسة ومهندسات واشعرتنا الطبيعة بلسان احداثها ان هنا أمراً استحدثته علينا من جراء هذا البدع الجديد يتغير فى الحال فكرنا ونصبح ناقمين على تلك المسترجلات غير راضين عنهن بوجه من الوجوه ! ولكن ماذا يغنى تأسفنا فى ذلك الوقت؟

لن يفيدنا شيئاً لان مقتضيات الاحوال تكون حينئذ قد أدخلتنا الى شكل جديد من أشكال الاجتماع ونجد أنفسنا فى ملتقى تيارين خطيرين : ان حجرنا على النساء ماهن فيه نكون قد زدنا الشر شراً لان حالنا الاجتماعية كما قلنا تكون غير ما نتوهمه الآن وان تركناهن فى تيارهن استشرى الكلم واستعصى الداء وعرضنا أنفسنا الى عين الامراض التى يشكو منها علماء تلك الامم كما نقلناه عنهم فى هذا الفصل

هذا يصح أن يؤخذ مثالا لشأننا وشأن الاوروبيين وذلك اننا بمجرد سماعنا ان هنالك مهندسات ودكتورات يأخذنا العجب ويداخلنا الفرح فينسيانا ما يجب ان نتذكره فنعمل على احداث مثله حالا غير حاسبين للمستقبل حسابا طاعنين على كل من يقاوم تلك الحركة ناسبين اليه التعصب والخضوع لسلطة الوهم والوراثة. ان قلنا لهم ياقومنا ان أولئك الغربيين الذين تستشهدون بأحوالهم قد شبعوا من تلك الدكتورات والمهندسات وسئموا هذه الالقاب بالمرة وبدالهم مالم يكونوا يحتسبون من التمرد على أحكام الكون وانهم قاموا يكتبون وينذرون ويصيحون (وهاهى كتاباتهم وانذاراتهم) بوجوب تغيير تلك الحالة تغييراً ذريعاً . ان قلنا لهم ذلك قالوا : ذلك وهم باطل وضرب من ضروب المغالطة فى المناظرة ويذهب بهم الاعجاب بما سمعوه عن نجاح النساء فى ضروب المعيشة الى تكذيب كل قائل كائناً من كان

ولكن ما العمل هذه سنة طبيعية وان شئت فقل فتنة اجتماعية تؤثر من الشعوب القوية على الشعوب الضعيفة تأثير السحر وأكثر . حتى ان كثيراً من صفات الشرقيين أصبحت تقليدية محضة لو سألتهم عنها لما وجدوا جوابا . أشيع مثال وأبسطه يمكنك أن تراه فى كل لحظة سلام طائفة من الناس بعضهم لبعض بلغة أجنبيه لايدرون منها حرفا واحداً ولا يحسنون النطق بها لو تكلفوه . هذا شأن العامة فى كل أمة متأخرة ولكن الخاصة يجب أن يترفعوا عن هذا الحضيض وان يكونوا اعلام هدى يؤوب اليهم التائه وأراكين تقي يعتصم اليهم الهارب من وجه الفتن

تذرع حضرة مؤلف (المرأة الجديدة) بسوء حالة النساء فى الشرق بكثرة الطلاق الى الحملة على عادة الحجاب وتشهيرها

بالاسواء والنصح بلزوم رفعه بحجة أنه علة جل هذه العلل ومثيرها . ولكننا نقول خلاف ذلك . نقول أن الحجاب وحده هو الذى حمي هاته النسوة من الوقوع فى شر مما هن فيه ولولاه لكان شأنهن أحط بكثير مما هو عليه . ونقول بما أن الحجاب حمى المرأة وهى جاهلة حقيرة من شر كثير من أمراض اجتماعية مهلكة سيكون هو نفسه اكبر ضامن لها للتربع فى دست وظيفتها الطبيعية وأحجى هاد لنيلها كمالها متى تعلمت ولو تعلما وسطاً

لماذا كل هذه الحيرة ؟ أليس الوجود وحوادثه شهوداً عدولا ؟ لو كان كشف الوجه هو الكفيل الوحيد لعدم وقوع النساء فى العلل التى تنسب الى الحجاب لعدمت تلك العلل من الغرب اولكانت فيه قليلة لاتذكر مع ان الامر على خلاف ذلك فان المطلع على احوال العالم يرى أن تلك العلل التى يشكو منها محررو النساء هى بعينها موجودة فى تلك المدنية المادية

أما من جهة الفقر المدقع وسوء الحال الذى يقع فيه النساء فهو فى بلاد تلك المدنية أشد منه فى بلادنا بشهادة حضرة مؤلف (المرأة الجديدة) نفسه فانه قال ان التعداد الاخير يثبت ان فى القطر المصرى يوجد ٦٣٧٣١ امرأة محترفة واما فى فرنسا فيوجد زيادة عن خمسة ملايين امرأة مضطرة للعمل ولو عملنا النسبة بينهما لرأينا ان فى كل ١٠٠ امرأة فرنساوية يوجد ١٤ امرأة محترفة وأما فى كل ١٠٠ امرأة مصرية فلا يوجد الا نصف امرأة وهذا دليل محسوس على ان أنياب الفاقة فى احسن بلاد المدنية أشد قسوة على المرأة منها فى بلادنا المصرية . واما قوله عقب هذا ان هؤلاء النساء مضطرات الى العمل بدون ان يكون فى اعمالهن ضرر يلحق بأسرهن فما يعارض البداهة والحس وشهادة الاجتماعيين انفسهم ونحن فى الخلاف على مثل هذه المسئلة يجب علينا ان نسأل اصحاب الدار انفسهم من ذوى الدراية بعلم الاقتصاد وقد مر بك قول الفيلسوف الاقتصادى جول سيمون الذى له الاكبر لمآثر العلمية فى القرن التاسع عشر فانه صاح بملء فيه فى وسط اوروبا بأن المعامل قد سلخت المرأة من أسرتها سلخاً وقوضت دعائم الحياة المنزلية تقويضاً . وليس جول سيمون وحده هو الذى ادرك هذه الحقيقة فن سائر الاجتماعيين

يقولون قوله بدون استثناء ونحن لزيادة الاقناع نأتى هنا على ترجمة نبذة للعلامة الانجليزى (ساموبل سمايلس) كتبها فى كتابه المسمى (الاخلاق) قال حضرته(١):

« ان النظام الذى يقضى بتشغيل المرأة فى الفابريكا مهما نشأ عنه من الثروة للبلاد فان نتيجته كانت هادمة لبناء الحياة المنزلية لأنه هاجم هيكل المنزل وقوض اركان الاسرة ومرق الروابط الاجتماعية . فانه بسلبه الزوجة من زوجها والاولاد من اقاربهم صار بنوع خاص لا نتيجة له الا تسفيل اخلاق المرأة اذ وظيفة المرأة الحقيقة هى القيام بالواجبات المنزلية مثل ترتيب مسكنها و تربية اولادها والاقتصاد فى وسائل معيشتها مع القيام بالاحتياجات البيتية ولكن المعامل تسلخها من كل هذه الواجبات بحيث أصبحت المنازل غير منازل وأضحت الاولاد تشب على عدم التربية وتلقى فى زوايا الاهمال وطفئت المحبة الزوجية وخرجت المرأة عن كونها الزوجة الظريفة والقرينة المحبة للرجل وصارت زميلتـه فى العمل والمشاق وباتت معرضة للتأثيرات التى تمحو غالبا التواضع الفكرى والاخلاقى الذى عليه مدار حفظ الفضيلة ».

من هنا يتضح ان الفقر المدقع وسوء الحال بين نساء المغرب أشد منه عند نساء المشرق بما لا يقدر، ويتضح أيضا ان أولئك النسوة بعملهن خارج بيوتهن قد صرن الى حالة يرثى لها ويستعاذ منها وليس لنا أن نكذب اصحاب الدار فى هذا الشأن ولو كان رفع الحجاب سبب سعادة المرأة أو بالاقل مخففا لآلامها لما كان أمر تلك النسوة كما وصفناه هنا مطلقا

أما من جهة كثرة الطلاق فانه أصبح فى أكثر البلاد مدنية وثروة شديد الخطر لدرجة قلق لها اجتماعيوهم اشد القلق ولم يستطيعوا وقفها عند حد . واليك احصاء دقيقا بقلم الكاتب الاميريكى الشهير (لوسن) كتبها فى مجلة المجلات الفرنسية (مجلد ٢٥) بناء على طلبها . جاء منه :

« ثبت ان المحاكم فى مملكة (مساشوزيت) سجلت في سنة ١٨٩٤ من اوراق الطلاق (١٦٢٢) ورقة بعد

---

(١) (ساموبل سمايلس) هذا يعد من اراكين النهضة المدنية الانجليزية وواحداً من كبار محبى رقي النوع الانسانى وقد كتب كتبا كثيرة فى مواضيع عمرانية مهمة ترجم أغلبها الى اللغة الفرنسية

ان كان في سنة قبلها (٧٧٠) بمعنى انه آخذ في الزيادة بسرعة : وكان يوجد في هذه المملكة في سنة ١٨٨٧ بين كل (١٠٥) أشخاص زواج واحد فصار في سنة ١٨٩٤ بين كل (١٢٢) شخصا زواج واحد أعني قل الزواج أيضاً

« اما في مملكة (اوهيو) من الممالك المتحدة أيضا فانا نجد الارقام المكررة بعينها فقد سجلت المحاكم في سنة ١٨٦٥ اي قبل ٣٥ سنة (٢٢١٩٠) زواجا حصل فيها (٨٣٧) طلاقا يعني انه يخص كل ٢٦ شخصا تقريبا طلاق واحد واما في سنة ١٨٩٤ فسجلت المحاكم (٣٥٨٥٨) زواجا وبلغ الطلاق (٢٧٥٣) اي انه في كل (١٢) زواجا ونصف يحصل طلاق واحد

« وشوهد ان عدد الطلاق فيها في مدة عشر سنين بلغ زيادة عن معدله بمقدار (١١٠٠٠) ونقص الزواج عن معدله بمقدار (٨٤٨٨٩) . قال الكاتب عقب هذا الاحصاء ما نصه : «ان مملكة (اوهيو) كانت لا تنقص (٥٢٠٦٩) اسرة ان لم تكن الحياة الاميريكية قد اتبعت تيار المرأة الجديدة »

وفي (كاليفورنيا) احدى الممالك المتحدة الاميريكية حصل في الفي زواج في سنة ١٨٩٧ (٦٤١) طلاقا اي في كل ثلاث عقود طلاق واحد

واليك احصاء رسميا للطلاق في كثير من ولايات الممالك المتحدة بناء على مانقله (لوسن) في مجلة المجلات المومأ اليها :

في مملكة (الكونيكوت) يحصل طلاق واحد في كل عشر عقود

في مملكة (الماشوزيت) يحصل طلاق واحد في كل ٢١ عقد

في مملكة (روسلان) يحصل طلاق واحد في كل ١٣ عقداً

في مملكة (شيكاغو) يحصل طلاق واحد في كل ٨ عقود

وثبت بالاحصاء ان محكمة شيكاغو تسجل كل سنة (٣٥٠) طلاقا مع ان الاهالي لا يزيدون عن (١٣٠٠٠٠). قال (لوسن) عقب ذلك كله :

« فالطلاق ينتشر اذن للدرجة القصوى والمدهش ان (٨٠) في المئة من طلبات الطلاق آتية من قبل النساء مما يثبت أن ليس للرجل الا دور ضعيف في حل عروة الزواج وذلك لان الطلاق يخجله جداً

ولذلك تراه اذا تعب من امرأته يبحث عن سواها ولا يسعى فى انفصاله من الاولى الا اذا طالبته الثانية بالزواج »

وقد وصف هـذا الـكاتب سهولة الطلاق هناك فقال :«وكثير من الازواج لا يعرفون ان نساءهم طلقنهم الا بعـد أن يتزوجن ثانية »

أما سبب الطـلاق فهو فى الغالب هجر الرجال للنساء وتركهن بدون نفقة قال المسيو (لوسن) المتقدم ذكره فى المجلة نفسها :«عند افتتاح المحكمة العليا فى السنة الماضية (اى سنة ١٨٩٧) فى (وستون) ملئت المحكمة ثلاثة أيام متوالية بالناس رجالا ونساء وكلهم يطلب الطلاق فأمضى فى الاسبوع الاول (٧٥) طلاقا وكان السبب على العموم فى طلبه هو هجر الازواج نساءهم» انتهى

هذا الاحصاء وهذه الشكاوى المرة تثبت ان العلة التى يشكو منها حضرة مؤلف (المرأة الجديدة) موجودة فى أعظم البلاد مدنية ورقيا ولو كان سببها الحجـاب لما وجدت هناك بهذه الدرجة المخيفة المهددة. نقول المخيفة المهددة لانه ليس من شأننا أن ننكر ذلك بعد ما شهد بها أصحاب الدار أنفسهم فقد جاء فى مجلة المجلات تحت الاحصاء المتقدم هذه الجملة : « فالخرقة الاجتماعية تحترق اذن ولكن ليس من طرفيها فقط بل قد سعوا فى اشعالها من وسطها ايضا ولا شك عندنا ان المرأة الجديدة هى التى تسعى فى هدم الاسرة » انتهى

النظر فى ما قدمناه يقنعنا لا محالة بأننا لا ينقصنا الا شىء من التهذيب فقط لازالة كل ما يشتكى منه مع دوام الحجـاب لانه الضامن الوحيد لاستقلال المرأة والكافل الفرد لعدم اخراج الرجل لها عن حدودها الطبيعية التى بها سعادتها وبدونها شقاؤها وهلكتها كما اثبتنا ذلك عمرانيا .فبالتربية حتى البسيطة يزول جهل الامهات ويصرن أهلا لاحسان شأن أسرهن وجديرات باعجاب بعولتهن

بهذه التربية تتلاشى كل الارتباكات البيتية أو تقل جداً وتصبح الاسرة مهبط السعادة والهناء ومتنسم الرغد وطيب الحياة ودليلنـا المحسوس على ذلك ندره تلك الارتباكات فى الطبقات الوسطى المتعلمة من هـذه الامة بينما نرى تلك الارتباكات الزوجية فى بلاد المدنية المادية آخذة فى الانتشار يوما بعد يوم بشهاده

الاحصاء السابق وغيره مما اضربنا عنه هنا لعدم التطويل. ولامشاحة فى أن أولئك المطلقين والمطلقات فى بلاد الغرب هم أرقى علما فى الجملة من طبقاتنا التى يندر فيها الطلاق جداً . فاذا كان سبب كثرة الطلاق عندنا جهل النساء وسوء حالتهن فلماذا يحصل الطلاق بين أولئك النسوة الغربيات المتعلمات بتلك الدرجة المهددة بالتلاشى؟ هذه النظرة وحدها تكفى للدلالة على أن لكثرة الطلاق والارتباكات المنزلية أسبابا أخرى غير الجهل وماينتجه الحجاب من المضار

ثم لو كان ترك الرجال لازواجهم بدون نفقة سببه عندنا امتهان الرجل للمرأة واعتباره اياها من سقط المتاع كان يجب ان يزول هذا الداء بزوال سببه عند أصحاب المدنية المادية فانهم وخصوصا عامتهم يدعون أنهم يحترمون النساء غاية الاحترام ويعطونهن أكبر قسط من الاجلال والاعظام . ولكن الاحصاءات تدلنا كما قدمنا أن السبب على العموم فى طلبات الطلاق هو هجر الازواج لنسائهم بدون نفقة فلأى علة تنسب هذا الأثر السيء ؟ ألامتهانهم النساء وهم كما يدعون يحترمونهن ويضحون أنفسهم من أجلهن؟ أم لقلة تهذيبهم وهم كما نعلم ليس فيهم عشرة فى المئة يجهلون الكتابة والقراءة ؟ اذن وجب أن يكون لهذا المعلول علة غير ذلك

يقولون ان الحجاب مانع قوى من اختيار الرجل للمرأة التى تلائمه، وحائل دون معرفته بأخلاقها وآدابها ويبنون على ذلك كثرة الطلاق عندنا. نقول:

(أولا) ان الطلاق عند طبقاتنا العليا والوسطى المتنورة يكاد يكون عادما ولو كان سببه عدم اختبار الرجل لطباع المرأة قبل زواجه بها لوجود الحجاب لكان يجب أن يكون الطلاق فى هاتين الطبقتين مساويا لمثله فى الطبقة السفلى والمشاهد عكس ذلك

(ثانيا) لو كان اختبار الرجل لطباع المرأة قبل الزواج هو الكافل لعدم الطلاق فهؤلاء أصحاب المدنية الغربية لاحجاب لديهم وحاصلوا على تلك النعمة فلماذا يكثر الطلاق فيهم ويزداد لدرجة أثبتت لعقلائهم ان الخطر محدق بهم من جراء ذلك؟

(ثالثا) اذا كان الزواج الذى يبعث اليه الحب هو الضامن الفرد لبقاء عقد

الزوجية ولا يتأتى حصول هذا الحب الى بنبذ الحجاب فهؤلاء أصحاب المدنية الغربية متمتعون بهذه النعمة ويندر فيهم من يتزوج بدون أن يحب فلماذا يكثر فيهم الطلاق لهذه الدرجة ؟

كل هذه النقط البارزة يجب أن يضعها الباحث المدقق نصب عينيه ليعلم ماهية العلة وكنه سببها ولايجوز له أن يقنع بهذا بل يلزمه أن يدرس سائر المقتضيات الاجتماعيـة التى تقتضى تلك الاحوال وأضـدادها مع مقارنتها بعضا ببعض وتحليلها تحليلا علميا دقيقا ليصل الى العلة الرئيسية المرض المفروض . أما نحن فنقول ان كل هذه الاعراض عندنا سببها عدم تهذب المرأة والرجل معاً ونرى أن قليلا منه يكفى لتحسين حالتنا الاجتماعيـة تحسيناً نحسـدنا عليه كل الأمم ودليـلى المحسوس على ذلك قلة وجود هذه الاعراض عنـد الطبقات المتهذبة ولو ازددنا تهذبا لأتى علينا حين لايمر بفكر اجتماعينا مثل هذه الارتباكات المشوشة فنحن اذن لانعتبر كل هذه الاحوال الا من قبيـل الاعراض السطحية السريعة الزوال التى لاتحوجنا الى سحق جامعتنا وبنائها من جـديد ونعتبر الحجاب حافظا ربانيا حمانا من تأصل هذه الاعراض واستحالتها الى أمراض عضوية فى جسمنا الاجتماعى

أما سبب تلك الاعراض فى المدنية الغربية فأمراض عضوية ذات شأن خطير جداً يعوز اصلاحها انقلابات شديدة هائلة كما يقر بذلك كل عالم بما هنالك . كتب العـلامة (ايزوليه) أستاذ الفلسفة فى مدرسة (كوندرسيه) الباريزية فى مقدمة كتاب (الابطال وديانة الابطال) للعلامة الفيلسوف (كارليل) الانجليزى يقول : «ان الازمة الحاضرة شديدة الخطر جداً ومع ذلك فان هذه الحال ليست أول شفق عم ارجاء اوروبا » ثم استطرد الى شرح ما انتاب اوروبا من الانقلابات الكثيرة التى كـانت دائما محفوفة بالاضرابات الاجتماعية الشديدة ثم استشهد على لزوم حدوث تلك الانقلابات وما يصحبها من الاضطرابات بقول (كارليل) وهو :

«يجب ان يزول كل تافه وكاذب ويحل محـله الصدق أيا كان نوعه وبأى وسيلة كانت سواء كان بسيادة المخاوف او بمثل شدة الثورة الفرنسوية أو بأى شىء آخر فانه يجب أن نعود الى الحقيقة . وهذه الحقيقة

كما قلت لاتأتى الا لابسة ثوبا من نار جهنم لانه لايمكن الحصول عليها الا بهذه الوسيلة

اذا تقرر هذا فمن العجيب ان يوجد منا من لا يعلق على هذه الانذارات أهمية ما ويريدون أن نقلد اصحاب هذه المدنية فى كل شىء وخصوصا فى مسألة النساء مع أنها اعظم مايشغل بال علمائهم ونصحائهم حتى انهم ليصيحون فى أعظم جرائدهم قائلين : «ان خرقتنا الاجتماعية ليست مشتعلة من طرفيها فقط بل من وسطها أيضاً » كما نقلناه عن مجلة المجلات ويكتبون فى أعظم دوائر معارفهم أمثال هذه العبارة : «فكيف الخلاص من هذه الحالة التى تهددنا بسقوط سريع ان لم نقل بهبوط لادواء له » كما نقلناه عن دائرة معارف القرن التاسع عشر

فليعلم المسلمون أن وراء هذه الصيحات أموراً كبيرة وطامات عظيمة فليقنعوا بتهذيب بناتهم ولايخرجوهن عن دائرة الفطرة مهما غير المالوف فى مراتب الكائنات وبدلوا ، وليقفوا وقفة المتفرج من فعل نواميس الحكمة الالهية على المفرطين والمفرطين ، فان الله جل شأنه بمنحتنا هذه الشريعة السمحة الملائمة لنظام الخليقة سيستشهدنا يوم القيامة على العالمين حيث قال عز شأنه : «وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً »

أى أساليب التعاليم أصلح لحال النساء ؟

نحن بعد أن حللنا مسألة المرأة هذا التحليل العلمى الذى رأيته فى هذا الكتاب ونظرنا اليها من كل أوجهها بمنظار العلم الصحيح وعلمنا من ذلك كله ماهية تلك الحالة جيداً وتحققنا ان مالدينا من تلك الاعراض البسيطة لا يعوزه الا التهذيب المؤسس على قواعد حكيمة ، وجب علينا أن نبحث عن أحكم أسلوب يؤدى به للمرأة هذا الواجب التهذيبى ونحن لو رأينا ذلك الاسلوب الصحيح عند أية أمة من الامم مهما كانت منافية لنا ديناً ودنيا فلا نتأخر عن تقليدها فيه بدون تعصب طاعة لترجمان الحكمة الالهية صلى الله عليه وسلم : « خذ الحكمة ولا يضرك من أى وعاء خرجت » ولكن من جهة أخرى لا يجدر بنا بناء على هذا التصريح ان نتهافت على أخذ شىء قبل سبرغوره

بمسبار العقل والحكمة عملا بقوله صلى الله عليه وسلم : « المؤمن كيس فطن حذر » فان وجدنا ضالتنا عند أية أمة من الامم أخذناها على الرأس والعين ونكون قدقمنا بواجب ديني عظيم فان « الحكمة ضالة المؤمن يأخذها أنى وجدها » وان لم نجدها وجب علينا أن نعمل قرائحنا ومواهبنا في ابتكار ذلك الاسلوب المنطبق على الفضيلة والفطرة وأن نستنزل على أرواحنا روح الرحمة الالهية لتهدينا الى أحسن السبل وأقومها واني لا أرى ان انتقاد أساليب التعليم لدى الامم يستدعي منا كبير تعب فان عقلاء القوم أنفسهم يقرون علنا بأن طرائقهم في تهذيب النساء جرت عليهم ويلات كثيرة وانها محتاجة الى تحوير وتبديل عظيمين للغاية . فيكون تقليدهم فيها والحالة هذه ضربا من ضروب عدم التبصر الذي لا يغتفر ، بل أمر لا يقبله العقل أبداً فان عصيان نصائح المجربين ليس معناها إلا الاستسلام الى أشد المصائب والاستخذاء لاسنة المحن والنوائب

ونحن لأجل ان نثبت ان طرائق التعليم هناك غير وافية بالغرض ولا مطبقة على أحكام الخلقة النسوية سنتنقى أكثر أمم الارض تمدنا وأعلاهن كعباً في العمران ثم نسأل اعلم علمائها في هذا الشأن ممن لا يختلف اثنان في غيرتهم على أممهم وفي غزارة مادتهم بين أقرانهم

قال الفيلسوف الاجتماعي الشهير (جول سيمون) الذي لا يجهل احد مكانته عند الامة الفرنسية خصوصا وسائر الامم عموما . قال في مجلة المجلات (مجلد ١٨) : « كان الناس في سنة ١٨٤٨ يشكون من عدم الاعتناء بتهذيب النساء وتربيتهن ولكنهم بالعكس يشكون اليوم من ان ذلك التهذيب قد بلغ حد الافراط . نعم لا نشك في أننا خرجنا من تفريط الى افراط هائل »

ثم استطرد بعد ذلك لبيان فساد نتائج ذلك الاسلوب من التعليم الذي يجعل المرأة رجلا وصاح بأعلى صوته قائلا : « يجب أن المراة تبقى مرأة » ثم سرد بعد ذلك ما طرأ على الاسر من الفساد كما نقلنا عنه ذلك في فصولنا المتقدمة . هذا فيما يختص بتهذيب بنات الامة الفرنسية أما الامة الانجليزية فنستشهد على عدم بلوغ أسلوبها في تعليم البنات الكمال المطلوب بما كتبه العلامة الشهير (ساموبل سمايلس)

ذلك الرجل صاحب المؤلفات الجمة التى ترجم اكثرها الى اللغة الفرنسية وغيرها قال فى كتابه (الاخلاق) ما يأتى : « ان اعظم ما كانت تمدح به المرأة الشريفة ربة الاسرة عند الرومانيين القدماء هو انها كانت ملازمة بيتها تغزل فيه. وقد قيل فى عصرنا ان غاية ما يلزم ان تعلمه المرأة من الكيمياء هو ان تعرف حفظ القدر فى حالة الغليان ومن علم الجغرافيا معرفة الغرف المختلفة فى بيتها . على ان (بايرون) الذى كانت ميوله نحو النساء غير سديدة اعترف بأنه يود ان لا يوجد فى مكتبتها غير التوراة وكتاب الطباخة . الا ان هذا الرأى بالنسبة لأخلاق المرأة وتهذيبها يعتبر حرجا ضيقا للغاية وغير معقول . هذا من جهة . اما من جهة أخرى فان الرأى المضاد له وهو الشائع الآن جداً يعتبر جنونيا ولا ينطبق على نظام الطبيعة فانه يقضى بتهذيب المرأة لتكون بقدر الامكان مساوية للرجل بلا فرق بينهما الا فى الجنس اى مساوية له فى الحقوق والاصوات السياسية ومزاحمة له فى جميع معارك الحياة الوحشية وحب الذات التنافس فى نيل مركز أو قوة أو مال » انتهى

بقى علينا الامة الامريكية فاليك بالنسبة لعدم صلاحية أسلوبها هى أيضاً شهادة الباحث المدقق (المستر لوسن) الامريكى الذى كلفته مجلة المجلات الفرنسية بكتابة فصل يشرح فيه حالة النساء فى الامة الامريكية فلبى دعوتها وكتب لها مقالة طويلة نشرتها فى (المجلد ٢٥) فدونك ما جاء فيها بالنسبة لتهذيب النساء قال بعد أن أطال فى شرح حالة المدارس « ولكن هذه المدارس يظهر أنها أنشئت لأجل الشابات اللاتى يردن الشغل بمعلوماتهن ولأجل ان يكن دكتورات وأستاذات ولذلك تجد التهذيب فيها ضعيفاً (يعنى التهذيب الخاص بالمرأة) ولكن الدراسة قوية . فتراهم يعلمونهن بالتدقيق علوم الكيمياء والطبيعة والرياضة ومع كل هذا فالشابة التى تنال قصب السبق فى العلوم والتى تتضلع فى جميع مواد البروغرام تكون جاهلة الدرجة القصوى بأبسط النظامات المنزلية » انتهى

هذه أقوال اصحاب الدار فبأى حجة نكذبهم ونصدق غيرهم ؟ وعلى هذا فنحن لا نستطيع ان نظل على رأينا الاول من نصيحة المسلمين باتباع اى اسلوب من

هـذه الاساليب الغربية فى التهذيب الا اذا ضربنا بكل هذه الاقوال عرض الحائط واتهمنا كل طاعن على تلك الاساليب ولو كان من صميم القوم بالجهل الشائن أو سوء النية . اذا راق فى أعيننا ذلك فهلم نقلد من شئنا وتتشبه بمن اردنا، وأما إن حمانا حب الحق من ذلك فيلزمنا أن تعتبر بحالهم وندرأ عن أنفسنا ماجره عليهم تسرعهم فى شؤونهم لكى لانقول مثل مايقول جول سيمون : « كنا نشكو من التفريط فى التعليم فصرنا نشكو من الافراط فيه »

مُرّاكش هى مملكة افريقية يحدها شمالا البحر المتوسط وشرقا بلاد الجزائر وغربا المحيط الاتلانتيق وجنوبا الصحراء الكبرى مساحتها بين ٤٤٠٠٠٠ و ٤٥٦٠٠٠ كيلو متر مربع ويقدر عدد أهلها من ٥٥٠٠٠٠٠ الى ١٠٠٠٠٠٠٠ والسبب فى هذا الخلاف عدم وجود احصاء رسمى لتلك البلاد

أهلها قسمان عرب وبربر فالاولون يسكنون الهضاب والسهول وأما الآخرون فيسكنون الجبال وفيها يهود يسكنون المدن

عاصمتها مراكش وهى مبنية على سهل خصب . وفيها مدينة أخرى تعتبر عاصمة ثانية وهى فاس

أما موانئها فهى طنجة والعرايش ورباط الفتح والدار البيضاء ومزغان وموغادور واسبانيا تملك على شواطئها التى على البحر المتوسط ثغرى سبتة ومليلة

تعتبر مراكش من الوجهة التوبوغرافية امتداداً لبلاد الجزائر وتونس ويمر منها جميعاً جبال الاطلس ويبلغ أعظم ارتفاع له فى مراكش ٤٥٠٠ متر وهى جبال تحاذى البحر المتوسط

مراكش مملكة زراعية وتجارية فقد بلغت صادراتها فى سنة ١٩٠٠ ٤٢٧٧٦٨٧٥ فرنكا من الجلد والشمع واللوز والفول وزيت الزيتون والصوف والصمغ والبيض . وبلغت وارداتها من القطن والسكر والشاى ٤٠٨٦٦٨٠٠ فرنك

صنائع مراكش قليلة قاصرة على الغزل والنسج وصنع الطرابيش والاحرمة الصوفية ودبغ الجلود وعمل الاسلحة القديمة وهى محرومة من السكك الحديدية وجميع الوسائل الحديثة المرقية للصناعة فهى

الآن احط مما كانت عليه ايام دولتها الاولى منذ عدة قرون

المراكشيون ذوو ذكاء وجرأة واقدام ولكنهم على الحالة القديمة لا تجمعهم جامعة غير العاطفة الدينية وهي قاصرة على حدود معينة من حالتهم الاجتماعية لا تنهض بهم لمجاراة الامم في مجالات الحياة العلمية والعملية

نعم ان في مراكش بقية من العلوم العربية القديمة ولكنها قاصرة على العلوم الدينية فلم يظهر لها أثر في حالتهم المدنية رغماً عن ان بلادهم تصلح لايجاد ارقى المدنيات فانها جيدة التربة لا تعوزها المعادن ولا المواد الاولية فهي تنبت الحبوب والارز والبلح والصنوبر والفستق وقصب السكر . وفيها كثير من الاشجار كالبلوط والفلين وما لا يحصى من صنوف الزروع والمعادن حتى قيل انها تسع عشرة اضعاف ما عليها من السكان الآن

كان المؤرخون العرب يقسمون المغرب الى ثلاثة اقسام متميزة وهي . المغرب الادنى وكانت قاعدته عندهم القيروان وسمي ادنى لأنه اقرب الى بلاد العرب ، والمغرب الاوسط وقاعدته تلمسان وجزائر بنى مزغنان او مزغنة ، ومملكة المغرب الاقصى وسمي اقصى لأنه أبعد الممالك عن بلاد العرب . أما الآن فالجغرافيون يقسمون بلاد المغرب الى اربع ممالك طرابلس الغرب وقاعدتها طرابلس وتونس وعاصمتها تونس والجزائر وقصبتها الجزائر ومراكش ودار ملكها مراكش وفاس

وكان العرب يطلقون على سكان بلاد المغرب لفظ بربر . قال ابن خلدون ان اسمهم مأخوذ من رطانتهم لغتهم وان افريقش بن قيس بن صيفي من ملوك التبابعة لما غزا المغرب وافريقية وقتل الملك جرجيس وبنى المدن والامصار باسمه كما زعموا سميت افريقية ولما سمع رطانة أهلها تعجب من ذلك وقال ما اكثر بربرتكم فسموا بالبربر . وقيل غير ذلك

اما موطن هؤلاء البربر فقال ابن خلدون انها المغرب القديمة قال وقد ملأوا البسائط والجبال من تلوله وأريافه وضواحيه وأمصاره يتخذون البيوت من الحجارة والطين ومن الخوص والشجر ومن الشعر والوبر ويظعن أهل العز منهم والغلبة لانتجاع المراعي فيما قرب من

الرحلة ولا يجاوز فيها الريف الى الصحراء والقفار الملس ومكاسبهم الشياه والبقر والخيل فى الغالب للركوب والنتاج وربما كانت الابل من مكاسب أهل النجعة منهم شأن العرب . ومعاش المستضعفين بالفلح ودواجن السائمة ، ومعاش المعتزين من أهل الانتجاع والاظعان من نتاج الابل وظلال الرماح وقطع السابلة وأكثر أثاثهم من الصوف يشتملون الصماء بالاكسية المعلمة ويفرغون عليها البرانس الكحل ورؤسهم فى الغالب حاسرة وربما يتعاهدونها بالحلق ولغتهم من الرطانة الاعجمية متميزة بنوعها

وقال غير ابن خلدون ان هذا الاسم لم يكن خاصا بهم بل كانوا يعرفون باسم مازيغ ومعناه حر أو سيد

وقال ابن خلدون أما شعوب هذا الجيل وبطونهم فان علماء النسب متفقون على انهم يجمعهم جذمان عظيمان وهما برنس ومازغيس ويلقب مازغيس بالابتر فلذلك يقال لشعوبه البتر ويقال لشعوب برنس البرانس وهما معا ابنابر ، وشعوب البرانس يجمعها سبعة أجذام وهى ازداجة ومصمودة وأوربة وعجيسة وكتامة وصنهاجة وأدريغة : وزاد بعضهم لمطة وهكسورة وكزولة وقد تناسل من هذه الاجذام بطون كثيرة

وقسمهم ابن رشيق الى خمس قبائل وهى غمارة وهوارة وزناتة وصنهاجة ومصمودة

وهذه القبائل تنقسم الى اكثر من ست مئة بطن وفخذ

أما مرجع أنساب هذه الأمة فقد اختلف فيه المؤرخون فقال بعضهم انهم من العرب . وقال البعض الآخر ان البربر أخلاف من كنعان والعماليق وانهم من بقية قوم جالوت دخلوا المغرب فحلوا فى جبالها وقاتلوا أهلها ثم صالحوهم على الشيء يأخذونه منهم من أهل البلاد

وقيل لما قتل طالوت وكانت منازلهم فى فلسطين تفرقوا فى البلاد ونقلهم افريقش من سواحل الشام وأسكنهم افريقية وسماهم بربرا

وقيل غير ذلك مما يطول بسطه .

والمرجح انهم من فلسطين كما قال مؤرخو اليونان والعرب واليهود ، أو هم جالية هاجرت من آسيا من طريق افريقا الى المغرب

وقد أنكر ابن خلدون كل هذه الاقوال وقال انهم من ولد كنعان بن حام ابن نوح عليه السلام وان اسم أبيهم مازيغ وكان البربر قبل الاسلام دينهم المجوسية شأن الأعاجم كلها بالمشرق والمغرب الا فى بعض الاحيان فانهم كانوا يدينون بدين من تغلب عليهم من الامم . فقد غزاهم ملوك اليمن مراراً فدانوا بدينهم . ولما غزاهم افريقش اختطوا مدناً عظيمة أخربها المسلمون عند الفتح . وكان للبربر فى الضواحى وراء الامصار حاميات قوية وملوك ورؤساء وأقيال وكان أمراؤها لا ينالون بذل ولا ينالهم الروم والفرنج وربما كان بعض هؤلاء البربر تدينوا بدين اليهودية عند تعاظم ملك بنى اسرائيل فلما ظهر ادريس الاكبر بالمغرب محا جميع ما كان بجهته من الأديان الاخرى. وقد نال عمال بنى أمية من هؤلاء القبائل اتعاب عظيمة فطالما خرجوا على الخلفاء وأبادوا الجيوش وأخربوا المدائن وانتشرت بينهم بدع ونحل فمالوا اليها ودانوا بها

ولما ظهرت دولة العبيدية سنة (٢٩٦) هـ بظهور أبى عبد الله الشيعى كان ذلك آخر عهد العرب بالدولة فى تلك الجهات فانتقل الملك للبربر يتداولونه جيلاً بعد جيل تابعين تارة الخلافة الاموية بالاندلس وتارة الخلافة العباسية ببغداد الى أن استقلوا بالدعوة لانفسهم كما سيمر بك

ذكر ياقوت الحموى البربر فقال هم أجفى خلق الله واكثرهم طيشاً واسرعهم الى الفتنة واطوعهم لداعية الضلالة واصغاهم لنمق الجهالة . ولم تخل احيالهم من الفتن وسفك الدماء قط ولهم أحوال عجيبة واصطلاحات غريبة فكم من ادعى النبوة فقبلوا وكم زاعم فيهم انه المهدى الموعود به فأجابوا دعوته ولمذهبه انتحلوا ، وكم من ادعى فيهم مذهب الخوارج فالى مذهبه بعد الاسلام انتقلوا ثم سفكوا الدماء المحرمة واستباحوا المنكرات ونهبوا الاموال وغير ذلك من القبائح

هذا قول ياقوت وفيه من الغلو والتحامل مافيه فلا يوجد فى العالم أمة بأسرها تجردت من جميع الفضائل وانتحلت كل الرذائل . وقد نسى ياقوت ان فى البربر الحماسة والقوة والنجدة والشجاعة التى لاتقف عند حد . وما ماذكره من سرعة انتقالهم من مذهب الى مذهب وانتحالهم لمقالة كل داع يظهر فيهم الى بدعة فذلك

يدل على حياة شعورهم وعدم جمودهم فهم أفضل من أمم تجمد على ما لديها ولا تبغى عنه حولا مهما ظهرت لها من الدلائل على فساده فلو كان تولى البربر دعاة بررة ومصلحون من أولى البصائر لانتقلوا الى الدرجات العلى من المدنيـة والآداب العاليـة ولـكنهم كانوا يرزقون فى الغالب دعاة من ذوى الاطماع فيقودونهم الى المنكرات وفى نظرنا لو كان صادف هؤلاء البربر حكومة تنظم شؤونهم وتدبر أمورهم وتنشىء وسائل العمران فى بلادهم لارتقوا بموجب حبهم للتغيير الى مقاوم الرفعة الاجتماعية فى سنين معدودة

(تاريخ مراكش) عرف الفنيقيون بلاد المغرب الاقصى قبل المسيح بنحو ١٥٠٠ سنة وكان يحكمها اذ ذاك ملوك من أهلها

ثم استولى القرطاجيون عليها فكان لهم فى ثغورها أساطيل وفى عدة من مدنها حاميات وجنود

ولما اتسعت أملاك الدولة الرومانية وورثت قرطاجة على بلادها دخلت فى حوزتها مراكش أيضا سنة (٤١) ميلادية فى عهد الامبراطور قلوديوس فسموها موريتانيا

ولما انقسمت الدولة الرومانية فى القرن الرابع الى قسمين حدث فى مراكش عدة ثورات غرضها التخلص من سيطرة الرومان

وفى سنة (٤٢٩) كان واليها من قبل الدولة الرومانية يدعى بونيفاس فوشى ابن خصم له من رجال الدولة يدعى ابسيوس الى الملكة ابلاكيديا النائبة عن ابنها الصغير فالنتنيانوس الثانى فأرسلت هذه الملكة تدعو بونيفاس اليها فأرسل اليـه خصمه سراً من يعلمه بأن الملكة عزمت على الايقاع به ويغريه على التخلص منها بشق عصا الطاعة فأعلن بونيفاس العصيان واستعان بقبائل الفنداليين المتوحشين باسبانيا على الرومانيين فلبى ملكهم جنزريك هـذه الدعوة فرحا بما سيق اليه من المغانم فنزل من جبل طارق بأربعين الف مقاتل وضم اليه كل من يكره الرومانيين

فلما رأت الملكة ابلاكيديا ما جر اليه تهورها أرسلت تعفو عن بونيفاس فاجتهد هذا فى اصلاح ما حدث فأرسل الى جنزريك يأمره بالعود وأخذ يتهدده ويتوعده فاحتقر القائد الفندالى هذه التهـديدات

وانساح فى البلاد بجيوشه فتحصن بونيفاس فى احدى المدن المنيعة وتمكن من صد هذه القبائل نحو ١٤ شهراً وفى هذه الاثناء أرسلت الدولة الرومانية اسطولا وجنوداً لمساعدة بونيفاس فلم يغن ذلك شيئا في صد الفنداليين عن غرضهم فترك بونيفاس افريقية سنة (٤٣١) م واستولى الفنداليون على هذا الاقليم كله

ثم أغار جنزيريك على المدن التى كانت تابعة للرومانيين بافريقيـة فلم يبق لتلك الدولة شيئاً بهذه القارة واتخذ الفنداليون السفن فى البحر المتوسط واحتلوا أعظم جزائره . وحرض جنزيريك الوزيغوط على محاربة الرومانيين فى المغرب والاستروغوط على محاربة الرومانيين فى المشرق ثم تقدم جنزيريك بنفسـه علي رأس جيشه واستولى على رومية واستباحها خمسة عشر يوما وأسر من أهلها نحو ستين الفا منهم زوجة الامبراطور فالنتنيانوس وبنتاها وبقى جنزيريك أكثر من عشرين سنـة قاهراً لتلك البلاد ترتعد منه مملكتا الشرق والغرب الرومانيتين

وفى سنـة (٤٧٧) مات جنزيريك فاضطربت البلاد المغربية فانتهز الرومانيون هـذه الفرصة وأرسلوا قائدهم بليزير الى افريقية الغربية فأعادها الى حكم قياصرة القسطنطينية سنة (٥٤٤) وما زالت بلاد افريقية تابعة لدولة الرومان الشرقية حتى ظهر الاسلام وانتزعها منهم

(الدول الاسلامية التى قامت بمراكش) لما فتح عمرو بن العاص مصر تقدم بجيوشـه سنة (٢١) هـ وافتتح برقة وصالحه أهلها على الجزية ثم تقـدم الى طرابلس واستولى عليها بعد أن حاصرها وافتتح صبرة ثم استأذن عمر أمير المؤمنين فى التقدم الى افريقية فمنعه فعاد الى مصر

ولما تولى عثمان بن عفان ولى عبدالله ابن أبى سرح على مصر فسار الى افريقية (أى بلاد المغـرب) سنة (٢٦) هجرية لغزوها بأمر أمير المؤمنين فسار عبد الله بجيش يبلغ عدده ١٠٠٠٠ مقاتل فصالحه أهل افريقية على مال يؤدونه ولم يجرأ على التوغل فيها

ثم عاد عبد الله بن أبى سرح فاستأذن عثمان فى العود الى فتح أفريقيـة فأذن له وجهز له جيشاً فيه جمـاعة من الصحابة وسـاروا مع عبد الله بن سعد سنة (٢٦) هـ ولقيهم عقبـة بن نافع بمن معـه فى برقة

فساروا جميعاً الى طرابلس فأوقعوا بجيش للرومانيين فيها ثم تجاوزوها الى افريقية وبثوا سراياهم فى كل ناحية وكان على تلك البلاد حاكم من قبل الرومانيين يدعى جرجير يملك ما بين طرابلس وطنجة تحت ولاية هرقل ويحمل اليه الخراج فلما بلغه الخبر جمع ١٢٠٠٠٠ من الجنود ولقيهم قريباً من سبيطلة دار ملكهم فدعوه الى الاسلام أو الجزية فاختقر دعوتهم فقاتلوه وهزموه بعد أن قتل من جنوده عدد كبير منهم جرجير نفسه . ثم حاصر ابن أبى سرح سبيطلة ففتحها وبعد وقائع كثيرة صالحه أهل افريقية على الفى الف وخمس مئة الف دينار

ثم رغب الفرنج والبربر فى السلم وطلبوا الصلح وشرطوا لابن أبى سرح ثلاث مئة قنطار من الذهب على أن يرحل عنهم بالعرب الذين معه تفاديا من دوام غاراتهم ففعل

ولما بلغ هرقل امبراطور الرومان أن أهل افريقية صالحوا المسلمين بذلك القدر الجسيم من المال غضب وبعث بطريقا يأخذ منهم مثل ذلك فامتنعوا فحاربهم وهزمهم وطرد الملك الذى ولوه عليهم بعد جرجير

ثم لما تولى معاوية بن أبى سفيان ولى المغرب معاوية بن خديج السكونى وأرسل معه جيشاً وذلك سنة (٤٥) هـ فقاتل الرومان وقهرهم رغماً عن توالى المدد عليهم . وتقدم معاوية بن خديج ففتح سوسة وغيرها ثم وجه جيشا فى البحر الى صقلية فى مئتى مركب فأثخنوا فيها . ثم فتح بنزرت وظهر الاسلام فى البربر ثم عاد الى مصر بعد أن خلد آثاراً حسنة . ثم عزله معاوية بن أبى سفيان عن المغرب وقصره على مصر وولى المغرب عقبة بن نافع الفهرى سنة (٥٠) هـ استقلالا وبعث معه عشرة آلاف فارس فدخل عقبة افريقية وانضم اليه من أسلم من البربر فوضع السيف فى أهلها لانهم كانوا اذا جاء عسكر المسلمين أسلموا فاذا تولوا عنهم ارتدوا

ثم رأى عقبة أن يتخذ لها عاصمة فبنى القيروان وخلفه على المغرب ومصر مسلمة بن مخلد الانصارى فاستعمل على افريقية مولاه أبا المهاجر دينار سنة (٥٥) فقدم القيروان ولم يشأ أن ينزل بها لشىء كان بينه وبين عقبة وحاربه أحد كبراء

البربر واسمه كسيلة الاوربى فظفر مسلمة بخصمه فأظهر الاسلام فاستبقاه فكان مسلمة اول امير مسلم وطئت خيله المغرب الاوسط

ولما توفى معاوية بن أبى سفيان وتولى ابنه يزيد بعث عقبة بن نافع واليا على المغرب سنة (٦٢) ﻫ مرة ثانيـة فلما قدم القيروان استخلف زهير بن قيس البلوى على القيروان وخرج فى جيش كبير ففتح بلاد الجريد فتحاً ثانياً وصالح أهل فزان وسار الى الداب وتاهرت فشتت جموع البربر والفرنج ثم تقدم الى المغرب الاقصى فأثخن فى اهله الى أن وصل الى البحر المحيط فكان عقبة أول أمير وصلت خيله الى المغرب الاقصى واذعن له امير غمارة المسمي يليان ودله على عورات البربر وبلاد المصامدة والسوس فتوجه عقبة نحوهم وكانوا على دين المجوسية فنزل على مدينة وليلى وهى من أكبر مدن المغرب اذ ذاك فافتتحها ثم توجه الى بلاد السوس وهزم البربر واتبعهم الى صحراء لمتونة ثم عطف عقبة على ساحل البحر المحيط فانتهى الى بلاد اسفى وادخل قوائم فرسه فى البحر ووقف ساعة ثم قال لاصحابه ارفعوا أيديكم ففعلوا فقالوا اللهم انى لم أخرج بطراً ولا أشراً وانك تعلم انما نطلب السبب الذى طلبه عبدك ذو القرنين وهو أن تعبد ولا يشرك بك شىء ، اللهم اننا مدافعون عن دين الاسلام فكن لنا ولا تكن علينا ياذا الجلال والاكرام . ثم انصرف راجعا

وكان كسيلة الاوربى فى جيش عقبة وكان يستهين به مخلفا وصية ابى المهاجر فلما رجع من غزوته هذه صرف العساكر الى القيروان أفواجا وبقى فى قليل من جنوده فطمع فيه أعداؤه وراسلوا كسيلة واتبعوا عقبة وأصحابه حتى اذا أدركوهم ترجل جماعة عقبة وكسروا أجفان سيوفهم ومازالوا يقاتلون حتى قتلوا عن آخرهم أنفة من التسليم للعدو وكانوا نحو ثلاث مئة من الصحابة والتابعين ولا تزال مقابرهم الى الآن بتلك الجهات تزار . وبعد الوقعة زحف كسيلة على القيروان وبها جمهور العرب وأمراء الاسلام فقام زهير بن قيس البلوى فيهم خطيبا محرضا اياهم على القتال فخالفه حنش بن عبد الله الصنعانى لانه رأى ان لا طاقة للمسلمين على مدافعة البربر وأن النجاة أولى له فنادى فى الناس بالرحيل

فاتبعوه الا قليلا منهم وبقى زهير فى أهل بيته ثم اضطر الى الخروج وسار الى برقة فأقام بها مطلا على المغرب ومنتظراً المدد من الخلفاء

أما كسيلة فاجتمع عليه جميع أهل المغرب من الفرنج والبربر فعظم أمره واستولى على القيروان سنة (٦٤) وفر منها بقية العرب فلحقوا بزهير ولم يقم بها الا الموقرون بالعيارفا منهم كسيلة واستمر حاكما على البربر خمس سنين ووافق ذلك موت يزيد وفتنة الضحاك بن قيس وحروب آل الزبير واضطراب أمر الخلافة حتى استقل عبد الملك بن مروان بالملك وقلم أظفار الفتن فالتفت الى المغرب فبعث الى زهير وكان لا يزال ببرقة منذ هلك عقبة فأرسل اليه مدداً وولاه حرب البربر وحضه على الطلب بدم عقبة فزحف زهير بجيشه فلقيه كسيلة بجميع البربر بمكان يقال له ممس بجوار القيروان فانهزم بعد قتال عنيف وقتل من البربر من لا يحصى لهم عدد واتبعهم العرب الى وادى ملوية وفى هذه الواقعة ذل البربر وفنيت منهم أكثر الرحال واضمحل أمر الفرنج وخافوا من العرب أشد الخوف فالتجأوا الى الحصون وقلل الجبال وهاجر جمهورهم الى المغرب الاقصى وملكوا مدينة وليلى ولم يكن لهم بعد هذه الوقعة ذكر الى أن قدم عليهم ادريس بن عبد الله فقاموا بدعوته

وفى أثناء رجوع زهير عن المغرب وجد أسطولا للرومان يقاتل برقة وبأيديهم أسراء من المسلمين فاستغاثوا بزهير وهو فى قليل من جنوده فقاتل الرومان حتى قتل وقتل جمهور ممن معه ونجا الباقون الى دمشق فاضطربت أحوال المغرب وعادت اليها الفتن وتعددت ملوك البربر وكان من بينهم ملكة يقال لها داهية كانت تدعى الكهانة وعلم الغيب فبعث عبد الملك ابن مروان الى عامله على مصر حسان بن النعمان الغسانى يأمره بجهاد البربر فزحف فى أربعين الف مقاتل ودخل القيروان ثم خرج يريد قرطاجة وكانت أعظم مدن المغرب فافتتحها وكانت منيعة وبها عدد كبير من الرومان فقتل أكثر من بها وفر الناجون الى السفن وأمر بتخريبها

ثم تقدم وتقابل مع الفرنج والبربر عند بنزرت فهزمهم ثم قصد الملكة داهية وزحفت هى اليه فالتقيا أمام جبل أوراس حيث مسكنها فانهزم المسلمون وقتل

منهم خلق كثير ولم تزل الكاهنة والبربر في تعقب حسان حتى أخرجوهم من عمل قابس ولحق حسان بعمل طرابلس فصادفه هناك كتاب عبد الملك يأمره بالمقام حيث يصله كتابه فأقام ببرقة وبنى بها قصوره المعروفة وأخذت الملكة داهية في اخراج العرب من بلاد المغرب وأمرت بتخريب الحصون والمزارع والمراعي والمدن لقطع أطماع العرب وكانت شيئا يفوق الحصر فخربت ديار المغرب وذهب جمالها فشق ذلك على البربر واستأمنوا على حسان فلما وصل اليه المدد أعاد الكرة على الملكة داهية سنة (٧٤) فأوقع بها وبجموعها وقتلها واقتحم جبلها عنوة واستأمن اليه من سلم من القتل ثم أسلموا فانصرف حسان الى القيروان وقد ثبت ملكه واستقام أمره فدون الدواوين وكتب الخراج على عجم أفريقية ومن أقام معهم على النصرانية من البربر وفي هذه الاثناء أوعز اليه عبد الملك بأن يتخذ داراً لصناعة السفن واستمر حسان والياً على المغرب الى أن عزله عبد الله بن مروان صاحب مصر وكان أمر المغرب اذ ذاك اليه فاستخلف على المغرب رجل من خاصته ورجع الى المغرب بما جمعه من نفائس الذخائر وروائع السبي

لما رجع حسان عن المغرب كثرت فيه الفتن فكتب الخليفة اذ ذاك وهو الوليد ابن عبد الملك الى عمه عبد الله بن مروان صاحب مصر أن يبعث بموسى بن نصير الى افريقية فبعثه عبد الله فقدم القيروان وبها صالح خليفة حسان فعزله ورأى ان البربر قد طمعوا في البلاد فوجه البعوث الى النواحي وبعث ابنه عبد الله في البحر الى جزيرة ميورقة فغنم وسبى ثم خرج موسى غازيا وتتبع البربر وتوغل في جهات المغرب حتى انتهى الى السوس الادنى ثم تقدم الى سبتة فصانعه صاحبها يليان وأذعن لاعطاء الجزية وكان نصرانيا فأقره عليها واسترهن ابنه وأبناء قومه على الطاعة ثم غزا طنجة وافتتح درعة وصحراء تافيلالت سنة (٨٨) هـ وولى على طنجة طارق ابن زياد الليثي وأنزل معه ٢٧٠٠٠ من العرب و ١٢٠٠٠٠ من البربر ثم حدث بعد ذلك فتح الاندلس

اما البربر فلم يستتب أمرهم ويثبتوا على الاسلام حتى عبر موسى بن نصير البحر الى الاندلس وأجاز معه كثيراً من

رجالات البربر برسم الجهاد فاستقروا هناك واستقر الاسلام بالمغرب وأذعن البربر لحكمه وتناسوا الارتداد

ولما رجع موسى بن نصير الى المشرق ونكبه الخليفة سليمان بن عبد الملك وعزل ابنه عبد الله عن المغرب ولى مكانه محمد بن يزيد وأمره باستئصال آل موسى بن نصير وانضاب معين ثروتهم ففعل وكان ذلك سنة (٩٧) هـ

كان محمد بن يزيد هذا عادلا حسن الحكومة قاتل المخالفين بثغور المغرب ولم يزل والياً عليها حتى مات فى ولايته وبعدها صارت بلاد الاندلس تابعة فى الحكم لعامل افريقية

فلما تولى عمر بن عبد العزيز ولى على المغرب عبد الله بن أبى المهاجر فقدم القيروان سنة (١٠٠) هـ وكان من خيرة الولاة أسلم على يده جميع البربر وبث فيهم من علمهم الدين

ولما تولى الخلافة يزيد بن عبد الملك ولى على المغرب يزيد بن أبى مسلم مولى الحجاج الثقفى المشهور فأساء السيرة ووجه عنبسة بن اسحم الكلبى والياً من قبله على الاندلس . ثم ثار أهل المغرب على أبى مسلم فقتلوه وولوا عليهم محمد بن يزيد ثانية وكان يغزو صقلية (سيسيليا) وكتبوا الى الخليفة يعلمونه بما فعله يزيد الثقفى ومافعلوه به فأقرهم على ذلك

ثم ولى عليهم بشر بن صفوان الكلبى وكان والياً على مصر سنة (١٠٣) فمهد أمر المغرب واستصفى بقايا آل موسى ابن نصير ثم وفد على يزيد بن عبد الملك فوجده قد مات وبويع لهشام بن عبد الملك فرده هشام الى عمله

ثم غزا بشر بن صفوان صقلية سنة (١٠٩) ولما مات ولى الخليفة على المغرب عبيدة بن عبد الرحمن السلمى سنة (١١٠) وكان له النظر فى المغرب والاندلس معا

ثم عزل عبيدة وولى بدله عبيد الله بن الحبحاب وكان رئيسا جليلا وخطيبا مفوها وكان قبل ذلك واليا على مصر فوصل القيروان سنة (١١٤) واستعمل على طنجة والمغرب الاقصى عمر بن عبيد الله المرادى وعلى السوس وما وراءه ابنه اسماعيل . وهو الذى بنى جامع الزيتونة بتونس وقيل هو الذى أتمه أما أول من خطه فكان حسان بن النعمان واتخذ داراً لصناعة السفن

بتونس أيضاً وله غزوات فى بلاد السودان وجزيرة صقلية فافتتح سرقوسة وكان واليه على طنجة قد أساء السيرة فى برابرة المغرب الاقصى وكثر عبثه فى أحوال البربر فشقوا عصا الطاعة وجرأهم على ذلك مسير الجنود الى صقلية وكانت بدع الخوارج يومئذ قد سرت فى البربر وتلقتها رؤوسهم عن عرب العراق الذين هاجروا الى المغرب فكان هذا من أكبر البواعث فى انتقاض البربر على العرب وكان رئيس الخوارج بتلك الجهات يدعى ميسرة المضغرى المعروف بالخفير فجمع الجموع وزحف على عمر بن عبيد الله بطنجة فقاتله وقتله سنة (١٢٢) وولى عليها من قبله عبد الاعلى بن حريج الافريقى ثم قتله عامل السوس اسماعيل ابن عبيد الله . وكان ميسرة المذكور لما استولى على طنجة قد بايعه البربر بالخلافة ففشت بدعة الخوارج فى جميع قبائل البربر ولم يتمكن ابن الحبحاب من ابطال أمر ميسرة ولكنه لما أساء السيرة فى البربر قتلوه وولوا عليهم بدله خالد بن حبيب الزناتى فقوى شأنه فأرسل عليه عامل المغرب جيوشاً فانهزمت فتم بذلك انتقاض جميع البربر على ابن الحبحاب فعزله الخليفة هشام بن عبد الملك وولى مكانه كلثوم ابن عياض القشيرى ووجه معه جيشا كثيفا فقاتل الخارجين فى وادى سبو من اعمال طنجة فقتل كلثوم وكثير من قواده وتشتت جيشه فى مصر والقيروان والاندلس

فوجه هشام بن عبد الملك حنظلة ابن صفوان الكلبى واليا على المغرب سنة (١١٤) فزحف اليه الخوارج تحت قيادة عكاشة وعبد الواحد فهزمهم حنظلة وقتل رؤساءهم ثم تعقب البربر فى كل مكان فاستقامت له الامور فبقى المغرب على ولائه حتى تطرق الخلل الى الخلافة الاموية بما حدث فى بنى أمية من فتنة الوليد وما كان من أمر الشيعة والخوارج مع مروان الحمار فظهر صالح من طريقة البرغواطى الذى ادعى النبوة وكان من أهل العلم والخير . فأمر أتباعه بصيام شهر رجب وافطار رمضان وفرض عليهم عشر صلوات خمساً بالليل وخمساً بالنهار وقرر الاضحية على كل فرد فى الحادى والعشرين من المحرم وشرع لهم فى الوضوء غسل السرة والخاصرتين وأمرهم أن لا يغتسلوا من جنابة الا من حرام وأمرهم أيضاً أن يقتصروا من الصلاة بالايماء دون السجود

ولكنه قرر لهم أن يسجدوا فى آخر كل ركعة خمس سجدات ويقولون عندتناول الطعام والشراب باسمك كسراى وزعم أن تفسيره باسم الله . وأمرهم أن يخرجوا العشر من الثمار وأباح لهم أن يتزوج الرجل من النساء ماشاء، ولا يتزوج من بنات عمه وأباح لهم الطلاق والمراجعة ولو ألف مرة فى اليوم فلا تحرم المرأة على أحدهم بشىء من ذلك . وأمرهم بقتل السارق حيث وجد وزعم انه لا يطهره من ذنبه الا السيف وقرر ان الدية تكون من البقر وحرم عليهم رأس كل حيوان وكره أكل الدجاج وجعل قدوتهم فى الاوقات الديكة وقرر أن من ذبح ديكا فعليه عتق رقبة وأمرهم أن يلحسوا بصاق ولاتهم تبركا فكان يبصق فى أكفهم فيلحسونه ويحملونه الى مرضاهم فيستشفون به . ووضع لهم قرآنا يقرأونه فى صلواتهم ومساجدهم زاعما انه أوحى اليه وكان قرآنه ثمانين سورة منها سورة الجمل وسورة الديك وسورة الحجل وسورة الجراد وسورة ابليس وسورة غرائب الدنيا، وفيها على ما يزعمون العلم كله . وسمى نفسه بصالح المؤمنين وزعم انه المذكور بهذا الاسم فى القرآن الكريم , وزعم انه المهدى الاكبر الذى يخرج فى آخر الزمان وأن عيسى يكون صاحبه ويصلى خلفه وأن اسمه بالعربية صالح وبالسريانية مالك وبالفارسية عالم وبالعبرانية روبيل وبالبربرية واربا ومعناه الذى ليس بعده نبى . ثم خرج الى المشرق بعد أن ملك سبعاً وأربعين سنة ووعدهم بأنه سيرجع اليهم فى دولة السابع منهم وأوصى بنيه بالتمسك بدينه فتوارثوا هذه الديانة بعده الى أن جاءت دولة المرابطين فمحوا أثر هذه البدع

وكان ظهور صالح بن ظريف سنة (١١٢) فى خلافة هشام واستمرت الى سنة (٤٦٢) أى الى ظهور دولة المرابطين أو الملثمين كما قدمنا

نرجع الى ذكر تاريخ المغرب الاقصى فنقول :

ان عبد الرحمن بن حبيب من آل عقبة بن نافع استولى على المغرب قهراً وهرب حنظلة الى المشرق وكان عبد الرحمن أول متغلب على بلاد المغرب

ولما ولى مروان الحمار الخلافة بعث اليه يقره وكان أمر البربر يومئذ قد تفاقم فانتقضوا من جميع البقاع وتواثبوا من

الاطراف بكل مكان فزحف اليهم عبد الرحمن وفل جموعهم واستأصل الثوار وانقطع أمر الخوارج من أفريقية سنة (١٣٥) ثم أغزى جيشاً فى البحر جزيرة صقلية وآخر سردينيا فأثخنوا فى أمم الفرنج حتى اذعنوا لدفع الجزية .وهو الذى أراد قتل عبد الرحمن الداخل الاموى لما تلاشت الخلافة الاموية فلم ينل غرضه اذ هرب منه .ومازال أمر عبد الرحمن رائجا بالمغرب حتى انتظم أمر الدولة العباسية وبويع المنصور وكتب الى عبد الرحمن بالطاعة والبيعة فأجاب ودعا له ثم خلع طاعته فتآمر عليه الجنود وقتلوه سنة (١٣٧)

فتغلب بعده اخوه اليساس الى سنة (١٣٨) وتولى بعده حبيب بن عبد الرحمن وفى هذه السنة خرجت الاندلس عن طاعة المغرب واستقل بها عبد الرحمن المرانى ثم قتل حبيب عبد الرحمن سنة (١٤٠) وبموته انقرض آل عقبة من المغرب

فاستولى من بعده على المغرب عبد الملك بن ابى الجعد وتعقب العرب بالقتل واستطال البربر على أهل القيروان وقتلوا من بها من العرب واستحلوا جميع المحرمات وتشتت أهل القيروان فى الجهات فأخذت الحمية عبد الاعلى بن السمح المعافرى وكان اباضيا وهو من رجالات العرب وشايعه بربر طرابلس وزحف بهم على طرابلس ففتحها وملك القيروان سنة (١٤١) فعظم شأنه وتسامع به العرب فأتوا لنجدته وكاتب الخليفة المنصور بما حصل يستحثه على ارسال الجنود وفى خلال ذلك ظهرت دولة بنى مدرار (١) ووفد جماعة على الخلفية

(١) دولة بنى مدرار تأسست من سنة (١٤٠ الى ٣٦٦) وذلك أنه لما حدث هذا الاضطراب بالمغرب اجتمع الصفرية من مكناسة فنقضوا طاعة العرب وولوا عليهم عيسى بن يزيد الاسود واختطوا مدينة سجلماسة ودخل سائر أهل مكناسة فى دينهم. ثم إن هؤلاء الخارجين نقموا على عيسى وقتلوه وولوا عليهم أبا القاسم المكناسى سنة (١٥٥) وكان يخطب للمنصور ثم للمهدى ولما مات سنة (١٦٧) ولوا ابنه الياس ثم قام من بعده عدة أمراء حتى وصل الامر الى اليسع بن المنتصر سنة (١٧٠) وفى أيامه قدم عبد الله المهدى أول خلفاء العبيديين وابنه أبو القاسم بن المشرق فدخلا سجلماسة متنكرين وكان

المنصور واستصرخوه على الخوارج وشكوا اليه تهافتهم على كرسى الامارة بالقيروان فوجه المنصور محمد بن الاشعث بنفسه الى المغرب فى أربعين الفا وتلاقى مع ابى الخطار قريبا من طرابلس فأوقع به ابن

الخليفة المعتضد العباسى قد أوعز الى اليسع بالقبض عليهما فأودعها السجن الى ان جاء الداعى لهما ابو عبد الله الشيعى فاقتحم سجلماسة وأخرجهما من السجن وقتل اليسع سنة (٢٩٦) . ومن اشهر أمرائهم الشاكر بالله رفض الخارجية ونادى بالدعوة العباسية واخذ بمذهب أهل السنة وكان غاية فى العدل . بقى حتى زحف جوهر الكاتب قائد المعز العبيدى على المغرب الاقصى سنة (٣٤٧) فتغلب على سجلماسة وفر الشاكر ثم قبض عليه . ثم لما انتقض المغرب على الشيعة ودنت زناته لطاعة الحكم المستنصر صاحب الاندلس خرج بسجلماسة شخص من ولد الشاكر بالله وتلقب بالمنتصر بالله ثم قتل سنة (٣٥٢) ومازال الامراء من بنى مدرار يتولون عمل سجلماسة الى ان انقرضت دولتهم سنة (٣٦٦) وآخرهم أبو محمد المعتز

الاشعث وقتله وضبط المغرب وخافه البربر ثم ثار عليه الجنود فقفل الى المشرق سنة (١٤٨) . وفى ولايته قامت بمدينة تاهرت دولة ابن رستم واستقلت عن نظر ولاة المغرب وكان يسلم على أمرائها بالخلافة ثم انقرضت على يد العبيديين فى أواخر المئة الثالثة

لما رجع ابن الاشعث الى المشرق وعلم المنصور ذلك أرسل الى الاغلب بن سالم التميمى بعهده على المغرب سنة (١٤٨) وهو جد الاغالبة ملوك افريقية وكان من ذوى الشجاعة والرأى ومن أصحاب ابى مسلم الخراسانى الذى قام بالدعوة للعباسيين كان واليا على طنجة من بلاد المغرب ولاه عليها ابن الاشعث فانتقل الى القيروان واستقام أمره ومازال يقاتل الخوارج حتى قتل سنة (١٥٠)

فوجه المنصور عمرو بن حفص أخا المهلب بن ابى صفرة واستقام له الامر فى أول ولايته ثم ثار البربر عليه بأفريقية وعمت الثورة أطرافها وحوصر عمرو بن حفص بالقيروان . ولما بلغه ان المنصور وجه لاستنقاذه ابن عمه يزيد بن حاتم أنف من ذلك وقال لاخير فى الحياة بعد

ان يقال يزيد اخرجه عن الحصار انما هى رقدة ثم أبعث الى الحساب .وخرج فقاتل حتى قتل سنة (١٥٤)

ثم قدم يزيد بن حاتم بن المهلب فى ستين الفا ولما بلغه خبر عمرو بن حفص عزم على الاستبسال والتقى مع البربر بنواحى طرابلس فهزمهم وقتل رؤساءهم سنة (١٥٥) ودخل القيروان فهدها ورتب أمورها وأفرد لكل صناعة مكانا وجدد بناء جامعها وضبط الامور أحسن ضبط وضعف أمر الخوارج واستمر يزيد بن حاتم حاكما على المغرب الى أن توفى سنة (١٧٠) فى خلافة هرون الرشيد

فولى الرشيد أخاه روح بن حاتم فقدم القيروان سنة (١٧١) فوجد البلاد هادئة فبقى واليا الى أن مات سنة (١٧٤)

ثم تولى المغرب من بعده حبيب بن نصير المهلبى ثم الفضل بن روح بن حاتم وقتل سنة (١٧٨) وبه انقرضت دولة آل المهلب من المغرب

ثم ولى هرون الرشيد هرثمة بن عيسى فلما رأى من بالمغرب من كثرة الثوار استعفى الرشيد فأعفاه

ثم ولى الرشيد على افريقية محمد بن مقاتل العكى فاضطربت عليه وطلب أهل افريقية من ابراهيم بن الاغلب وكان من عمال محمد بن مقاتل أن يكتب الى الرشيد فى الولاية عليهم فكتب الى الرشيد فى ذلك على أن يترك المئة الف دينار التى كانت تحمل من مصر الى افريقية اعانة للولاة بها وعلى أن يحمل هو من افريقية الى الخليفة أربعين الفا وبلغ الرشيد كفايته فكتب له بالعهد على افريقية سنة (١٧٤)

فى هذه الاثناء انقسم المغرب الى ثلاث ممالك فكان بنو الاغلب بافريقية والقيروان. وبنو خزر المغراويون بالمغرب الاوسط وتلمسان ، وبنو ادريس بالمغرب الأقصى

(دولة الادارسة بالمغرب الاقصى)

تأسست هذه الدولة من سنة (١٦٩ الى ٣١٣)

لما كانت سنة (١٦٩) فى خلافة موسى الهادى العباسى خرج بالمدينة الحسين ابن على بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن على بن ابى طالب وكان معه جماعة من أهل بيته ومنهم ادريس ويحيى وسليمان بنو عبد الله بن الحسن

المثنى وهم اخوة محمد النفس الزكية فعظم أمر الحسين المذكور بالمدينة وجرى بينه وبين عامل الهادى على المدينة قتال فانهزم عمر المذكور وبايع الناس الحسين على كتاب الله وسنة نبيه للمرتضى من آل محمد وكانوا يكتبون بذلك عن الامام المستور الى ان يقدر على اظهار أمره وأقام الحسين وأصحابه بالمدينة يتجهزون أياما ثم خرجوا الى مكة فى ذى القعدة من السنة المذكورة فانتهى الحسين الى مكة وانضم اليه جماعة من عبيدها وكان قد حج تلك السنة جماعة من وجوه بنى العباس وشيعتهم فانضم اليهم من حج من مواليهم وشيعتهم واقتتلوا مع الحسين المذكور يوم التروية فانهزم الحسين وأصحابه وقتل فاحتزوا رأسه وأحضروها أمام بنى العباس ثم جمعت رؤوس أصحابه فكانت مئة ونيفا واختلط المنهزمون بالحاج فذهبوا فى كل وجه وحمل رأس الحسين ومعه سائر الرؤوس الى الهادى فأنكر عليهم حمل رأس الحسين ولم يعطهم جوائزهم غضبا عليهم

أما يحيى اخو محمد النفس الزكية فانه فر من الوقعة المذكورة الى بلاد الديلم من جهة المشرق ودعا الناس الى بيعته فبايعوه واشتدت شوكته ولما خافه هرون الرشيد أمنه وحلف له فحضر الى بغداد فأكرمه ومنحه أموالا كثيرة ثم غدر به وحبسه حتى مات فى السجن

أما ادريس اخوه فانه لما فر من الوقعة لحق بأرض مصر فحمله واضح مولى صالح بن المنصور عامل البريد يومئذ الى بلاد المغرب وكان واضح هذا يتشيع لآل البيت فنزل ادريس بالمغرب الاقصى بمدينة وليلى فأجاره اسحق بن محمد بن عبد الحميد أمير البربر وأكرمه وأجمع البربر على القيام بدعوته وخلع الطاعة العباسية وانتهى الخبر الى الرشيد فقبض على واضح وقتله وصلبه

لما بلغ الناس ادريس خطب خطبة وقال بعد أن حمد الله وطلب الصلاة منه على رسوله : لا تمدن الاعناق لغيرنا فان الذى تجدون عندنا من الحق لا تجدونه عند سوانا »

ثم وفدت عليه قبائل زناتة وغيرها من كافة البربر فبايعوه وأطاعوه واتخذ جيشا من وجوه البربر وخرج غازيا الى تامسنا ثم زحف الى بلاد تدلا ففتح معاقلها وحصونها وكان أكثر هذه البلاد

يدينون بدين اليهودية والنصرانية والمسلمون بها قليل فأسلم جميعهم على يده سنة (١٧٢) هـ ثم غزا فى هذه السنة من كان قد تحصن منهم فى المعاقل والجبال حتى دخلوا فى الاسلام طوعا وكرها . ثم خرج فى السنة التالية لغزو تلمسان ومن بها من قبائل البربر فبايعه صاحبها محمد بن خزر فأمنه صاحبها وبنى مسجد تلمسان ثم عاد الى مدينة وليلى

فلما اشتد أمر ادريس خاف الرشيد عاقبة ذلك فأراد أن يقتله اغتيالا فأرسل اليه أحد موالى أبيه واسمه سليمان ويعرف بالشماخ ووعده بالمناصب الرفيعة ان هو نجح فى قتله وأعطاه مالا وطرفا ليستعين بها على أمره وأصحبه بكتاب الى واليه على افريقية ابراهيم بن الاغلب وقيل بل الى روح ابن حاتم عاملها . فقدم الشماخ على ادريس مظهرا الميل اليه فعظمت منزلته عنده وكان الشماخ اديبا بليغا عارفا بصناعة الجدل فكان اذا جلس ادريس الى رؤساء البربر تكلم الشماخ فذكر فضل اهل البيت واحتج على وجوب طاعتهم . فكان ذلك يعجب ادريس فاستولى الشماخ على لبه حتى صار من ملازميه لا يأكل الا معه وكان راشد مولى ادريس قلما ينفرد عنه لأنه كان يخاف عليه وكان الشماخ يترصد الغرة من راشد ويترقب الفرصة من ادريس الى أن غاب راشد ذات يوم فدخل الشماخ على ادريس فجلس معه كعادته وكان ادريس يشتكى وجع الأسنان فأعطاه سما فى سواك يستاك به وقيل سمه بطريقة أخرى ولما علم الشماخ ان السم تمكن منه خرج مسرعا فارا الى الشرق ومات ادريس سنة (١٧٧) ويقال ان راشدا لحق بالشماخ وطعنه فقطع يمناه وشج رأسه فرؤى الشماخ بعد ذلك مقطوع اليد فى بغداد

لما توفى ادريس اتفق وجوه البربر على القاء مقاليد الامور لراشد مولاه لفضله ودينه حتى تلد جارية بربرية كانت حاملا من ادريس فقام راشد بأمر البربر حتى ولدت الجارية غلاما فكان أشبه بأبيه فأخرجه راشد ليراه البربر فلما نظروا اليه قالوا هذا ادريس بعينه فسماه راشد ادريس وبايعه البربر وكفله راشد مولى أبيه وقام بأمره أحسن قيام فأقرأه القرآن وعلمه الحديث والسنة والفقه والعربية ورواه الشعر وأمثال العرب وحكمها وأطلعه على سير الملوك وعرفه أيام الناس

ودربه على ركوب الخيل والرمى بالسهام فلم تمض عليه احدى عشرة سنة حتى ترشح للامر فبايعه البربر بجامع وليلى سنة (١٨٨) وكان ابراهيم بن الاغلب عامل الرشيد على افريقية قد دس الى بعض البربر الاموال واستمالهم حتى قتلوا راشداً مولاه وقام بكفالة ادريس من بعده أبو خالد يزيد بن الياس العبدى ولم يزل على ذلك الى أن بايعوا لادريس . فأظهر ادريس من وفور العقل والنباهة والفصاحة ماأذهل العقول . فوفدت عليه الوفود فى افريقية والاندلس فجعل له منهم بطانة وأدنى منزلتهم وكان ابراهيم ابن الاغلب دائبا على دس الدسائس لاسقاط ادريس فلم يفلح

لما كثرت وفود العرب على ادريس وضاقت بهم مدينة وليلى أراد أن يبنى لنفسه مدينة فركب يوما فى حاشيته وتخير بقعة واختط مدينة فاس سنة (١٩٢) وجعلها بلدين لكل بلد منهما سور يحيط به وانهر فاصلة بينهما ولما تم بناؤها اتخذها دار ملكه وصار يغزو منها قبائل البربر العاصية . وما زال امره مستقيما الى أن أدركته دعوة الخوارج وأبطل دعوة العباسيين

فقام بالامر بعده ابنه (محمد بن ادريس) من سنة ٢١٣ الى ٢٢١ فقسم المغرب بين اخوته باشارة جدته فاختص القاسم منها بطنجة وسبتة وقصر مصمودة وقلعة حجر النسر وتطوان وما انضم لذلك من القبائل والبلاد واختص عمر بقبائل صنهاجة وغمارة وغيرها واختص داود ببلاد هوارة وتازة وقبائل مكناسة وغيرها واختص يحيى بأصيله والعرائش وبلاد ورغة وغيرها واختص عيسى بسلا وتامسنا وما انضم اليها من القبائل واختص حمزة بمدينة وليلة وأعمالها واختص احمد بمدينة مكناسة وما وليها واختص عبدالله باغمات وجبال المصامدة والسوس الاقصى وبقيت تلمسان لولد عمه سليمان بن عبدالله واستمرت بأيديهم الى أن تلاشى أمرهم بها بدخول العبيديين

أقام محمد بن ادريس بدار ملكه فاس وأقام اخوته ولاة على بلاد المغرب فضبطوا أعمالها وأمنوا سبلها ثم حدثت بينهم فتن فتحاربوا وفى النهاية صفا الامر لمحمد الى أن مات سنة (٢٢١)

فقام بالامر من بعده ابنه على بن

محمد من سنة (٢٢١ الى ٢٣٤) وكان صغيراً فقام بكفالته رجال الحاشية من العرب والبربر فأحسنوا كفالته ولما كبر سار سيرة أبيه وجده فى العدل فكان الناس فى زمانه في أمن ودعة

تولى بعده يحيى بن محمد بن ادريس من سنة (٢٣٤ الى ٢٥٠) فامتد سلطانه وعمرت فى عهده فاس وقصدها الناس من البلاد البعيدة وفى زمنه بنى مسجد القرويين المشهور

ثم حكم بعده يحيى بن يحيى من سنة (٢٥٠ الى سنة ٢٩٢) فأساء السيرة وكثر عبثه بالحرم فثار الناس عليه وأخرجوه من قصره واضطر الى الاختفاء فمات من ليلته أسفاً على ماصنع بنفسه . وكتبت زوجته الى أبيها على بن عمر بن ادريس صاحب الريف والسواحل تعلمه الخبر وتستدعيه واستدعاه أيضاً أهل الدولة من العرب والبربر والموالى فجمع حشمه وجيشه وجاء الى فاس فاستولى عليها وانقطع الملك من عقب محمد بن ادريس وصار بعد هذا يكون تارة فى عقب عمر بن ادريس وتارة فى عقب القاسم بن ادريس

لما دخل على بن عمر المدينة بايعه الناس وخطب له فى جميع أرجاء المغرب الى أن ثار عليه عبد الرازق الفهرى من الخوارج الصفرية وحدثت بينهما حرب شديدة كان الظفر فى آخرها لعبد الرزاق ففر على ودخل عبد الرزاق فاس وملك عدوة الاندلس وخطب له بها . وامتنع عنه أهل عدوة القرويين وبعثوا الى يحيى ابن القاسم فوصل اليهم فبايعوه وولوه فأخذ يقاتل عبد الرازق حتى أخرجه من عدوة الاندلس . ومازالت ليحيى بن القاسم حروب مع الصفرية حتى اغتاله الربيع بن سليمان سنة (٢٩٢)

فتولى الامر من بعده يحيى الثالث ابن ادريس فامتد ملكه على جميع عمال المغرب وخطب له على سائر منابره وكان يحيى هذا واسطة عقد البيت الادريسى أغزرهم فضلا وأوفرهم عقلا ، وأكثرهم عدلا ، وأوسعهم ملكا ، وكان فقيها حافظا للحديث فصيحا شجاعا ورعا لم يبلغ أحد من الادارسة مبلغه فى الدولة والسلطان الى أن ظهر أمر العبيديين بأفريقية وارادا تملك بلاد المغرب الاقصى فأرسل قائده مصالة بن حبوس فزحف عليه سنة (٣٠٥) وانتهى الى فاس فبرز اليه يحيى بن ادريس

فى جيش من العرب والبربر فانهزم يحيى وعاد الى فاس . فتقدم مصالة الى فاس وحاصرها الى ان صالحه يحيى على مال يؤديه اليه وعلى البيعة لعبيد الله المهدى مولاه . فقبل الشرط يحيى وأبقى عليه مصالة فى سكنى فاس وعقد له على عملها خاصة وعقد لابن عمه موسى بن أبى العافية المكناسى على ملسوى ذلك من بلاد المغرب وبذلك دخل المغرب الاقصى فى يد العبيديين واندمجت دولة الادارسة فى دولتهم سنة (٣٠٧) ه

ثم حدث ان غضب مصالة على يحيى فقبض عليه وقيده بالحديد وصادر أمواله ونفاه الى اصيلا فساءت حالته وافتقر ومات بالمهدية سنة (٣٣٢)

ثم خرج من الادارسة شخص يقال له الحسن بن محمد يعرف بالحجام وطرد عامل العبيديين على المغرب واستولى على فاس فاجتمع الناس على بيعته ودخل فى طاعته اكثر قبائل البربر وكانت دولتهم اخذت فى الانحلال ودولة عبيدالله المهدى فى الاقبال فملك الحسن المذكور عامين ولم يتم له مطلب وانقرضت دولتهم فى جميع المغرب الاقصى وحمل اغلب الادارسة الى المهدى المذكور الا من اختفى بالجبال منهم وذلك (٣١٣)

وفى سنة (٣٤٠) سار ادريس من ولد محمد بن القاسم فأعاد الامامة لهذا البيت ثم تغلب على بر العدوة عبد الملك ابن المنصور بن أبى عامر الاندلسى وخطب فى تلك البلاد لبنى أمية بالاندلس فاضطربت دولة بر العدوة فتغلب على فاس ثم رجع عبد الملك الى الاندلس بنو أبى العافية الزناتيون حتى سنة (٣١٣)

ثم ظهر يوسف بن تاشفين فاستولى على تلك البلاد واستأصل درية ابن أبى العافية بعد أن بقيت فيها (١٤٠) سنة وكانوا متمسكين بدعوة الشيعة

كان للادارسة ببلاد الريف دولة صغيرة لبثت مستقلة عند بنى ادريس فلما انقرضت دولتهم بفاس على يد موسى بن ابى العافية انحاز من بقى منهم الى بنى عمهم وعشيرتهم ببلاد الريف وتحصنوا بقلعة يقال لها حجر النسر وبقوا هنالك الى أن تلاشت دولتهم سنة (٣٦٣)

فكانت مدة دولة الادارسة مئتى سنة وثلاث سنين ونحو شهرين وكان يتبعهم من السوس الاقصى الى مدينة

وهران وكانت عاصمتهم مدينة فاس وكان ينازعهم الملك دولتان دولةالعبيدين بافريقية ودولة بنى أمية بالأندلس وكانوا هم يزاحمون الخلفاء فى الخلافة فكان يمد بهم عنها قلة أموالهم وضعف وسائلهم

(دولة العبيديين بالمغرب الاقصى)

من سنة (٣٠٥ الى ٤٢٧)

تسمى دولة العبيديين أيضا بالدولة المهدية والفاطمية والعلوية وقد ذكرنا تاريخهم فى حرف العين فى كلمة عبيديين

اما استيلاؤهم على المغرب الأقصى فهو أنه لما بايع الشيعة عبيدالله المهدى أول خلفاء العبيديين رمى الى تملك المغرب الاقصى فأغراه قائده مصالة بن حبوس فزحف مصالة الى المغرب الاقصى سنة (٣٠٥) ولما انتهى الى فاس خرج لحربه يحيى بن ادريس كما قدمنا فدارت الدائرة عليه فاضطر الى مصالحة مصالة على جزية سنوية يؤديها للعبيديين وأن يبايع لعبيدالله المهدى

ثم ولى العبيديون على المغرب موسى ابن أبى العافية فكان هو وأولاده من بعده عمالا للعبيديين

ولما بايع أهل المغرب لمروان بالاندلس أرسل القاسم بن عبد الله المهدى المتولى بعد ابيه قائده منصور الخصى سنة (٣٤٣) فافتتح فاس وكتب أهلها بيعتهم الى أبى القاسم وخطبوا له على منابرهم وكتبوا اسمه فى سكتهم. ثم عاد منصورا الى القيروان

ولما بايع ابو القيس احمد بن القاسم الادريسى المتقدم ذكره لعبد الرحمن الناصر الاموى بالاندلس وخطب له على المنابر أرسل المعز لدين الله العبيدى قائده جوهر بن عبدالله الرومى المعروف بالكاتب فى جيش كثيف وأمره أن يطأ بلاد المغرب ويذللها ويستنزل من بها من الثوار سنة (٣٤٧)

فلما اتصل خبر جوهر بخليفة الناصر على بلاد العدوة يعلى بن محمد اليفرلى صاحب طنجة حشد قبائل زناته وخرج لملاقاة جوهر فالتحمت الحرب بين الفريقين ثم كانت الدائرة على خليفة الناصر المذكور وقتل يعلى وأرسل رأسه الى القيروان. ثم تقدم جوهر وافتتح سجلماسة عنوة وبعدها تقدم نحو فاس سنة (٣٤٩) فافتتحها عنوة وقتل من اهلها خلقا كثيرا وهدم أسوارها. ثم سار جوهر فى بلاد المغرب يقتل أولياء

المروانيين ويسبي حريمهم ويفتح البلاد والمعاقل فخافه البربر وكانوا يفرون أمامه ومازال سائراً حتى انتهى الى البحر المحيط وصاد من سمكه وجعله فى قلال الماء وأرسله الى مولاه المعز. ثم قفل راجعا بعد أن دوخ المغاربة وأثخن فيهم وقطع دعوة المروانيين وردها الى العبيديين فخطب لهم على جميع منابر الغرب

ولما نكث بعض عمال العبيديين دعوتهم وتمسك بدعوة المروانيين بالاندلس مداراة لهم لقربهم منهم ارسل المعز لدين الله بلكين بن ديزى الصنهاجى فقاتل زناتة لانهم أول من جاهر بدعوة الامويين وملك المغرب بأسره وأخذ بيعة أهله للعبيديين

فأرسل الحكم المستنصر الخليفة الاموى بالاندلس قائده غالبا وقال له عند وداعه:

« ياغالب سر مسير من لا أذن له فى الرجوع الا حيا منصورا اوميتامعذورا ولاتشح بالمال وابسط يدك به يتبعك الناس »

فقدم غالب بلاد المغرب فافتتحها كلها وفرق فيها العمال ورد الدعوة الى الامويين سنة(٣٦٤)

وفى سنة (٣٦٩) زحف بلكين بن زيزى الصنهاجى عامل العبيديين على افريقية الى المغرب الاقصى وافتتح مدينة فاس. فاستخرج بعض الامراء المنصور ابن أبى عامر فخرج بجنوده الى الجزيرة الخضراء وأتت اليه ملوك زناتة فلما رأى بلكين الصنهاجى ذلك رجع وعاث ببلاد تامسسنا من جهات المغرب وقطع منها ومن غيرها دعوة بنى أمية وبعد موته رجعت الدولة لهم وعفا عنهم المنصور بن أبى عامر وبقيت فى عقبهم الى ان ظهرت دولة الملثمين

(دولة الملثمين فى المغرب الاقصى)

ويقال لها دولة المرابطين أيضا وهم من صنهاجة حكمت من سنة(٤٦٢ الى ٥٤٢) وقد استوفينا الكلام عنها فى كلمة ملثمين) مادة لثم

(دولة الموحدين بالمغرب الاقصى)

من سنة (٥٤٢ الى ٦٦٨)

المصامدة من اكبر قبائل البربر وكانوا يسكنون فى صدر الاسلام بجبال دون بمراكش وكانوا ذوى عدد وصولة وشدة فى الدين يخلفون فى ذلك اخوانهم

برغواطه . وكان منهم قبل الاسلام ملوك لهم مع لمتونة ملوك المغرب حروب حتى كان اجتماعهم على المهدى وقيامهم بدعوته . وكانت لهم دولة عظيمة من لمتونة بالعدوتين ومن صنهاجة بأفريقية

أصل المهدى من هرغة من بطون المصامدة ويسمى أبوه عبد الله تومرت وزعم كثير من المؤرخين انه من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وكان أهله ذوى صلاح ونسك

ولد عبدالله تومرت أبو المهدى سنة (٤٨٥) هـ وشب المهدى قارئا محبا للعلم فارتحل لطلبه الى الشرق ومر بالاندلس ودخل قرطبة وهى يومئذ دار العلم ثم لحق بالاسكندرية وحج ودخل العراق ولقى به جماعة من فحول العلماء فحصل منهم علما جما

ثم لقى أبا حامد حجة الاسلام الغزالى فكاشفه بما فى نفسه من اقامة دولة فى بلاده تقيم الحق وتبطل الباطل فشدد عزيمته وقوى همته . ولما حج أقام بمكة مدة مديدة وحصل فيها علوما غزيرة فى الشريعة والحديث والاصول وكان ورعا ناسكا متقشفا كثير الاطراق مقبلا على العبادة شجاعا فصيحا فى لسانى العرب والبربر

ثم خرج من مكة الى مصر ومنها الى الاسكندرية وركب البحر قاصداً بلاده فلما انتهى الى المهدية وكانت يومئذ ليحيى بن باديس فعلا هنالك ذكره وقصده الناس. ثم انتقل الى بجاية فصادف ببعض قراها عبد المؤمن صاحب دعوته ووجد بها سواه ممن التف حوله . ثم توجه بمن معه الى مراكش وبها يومئذ أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين فشرع محمد المهدى بن تومرت بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى حسنت ظنون الناس فيه. فبلغ أمير المسلمين عنه انه يقول هو وأصحابه بوجوب تغير الدولة فأراد القبض عليه ففر الى بلده اغمات ومن هنالك ذهب هو وطائفته الى جبل تينملل فأكرمهم أهله من المصامدة وأجابوا دعوته وتبعوا أمره على القيام بالدين والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وبايعوه على أنه المهدى المنتظر فعلا صيته وقصده الناس من كل فج وسمى أتباعه بالموحدين وكان ابن تومرت يذكرهم بأيام الله ويذكر لهم شرائع الاسلام وماغير فيها وماحدث

من الظلم والفساد وأنه لاتجب طاعة دولة من هذه الدول . فأرسل عليهم على بن تاشفين جيشا فهزموه فأعاد عليهم الكرة بجيش ضخم سنة (٥١٩) فحاصرهم وضيق عليهم وكاد المصامدة يتخذلون عنه فأعمل الحيل الغريبة حتى مالوا اليه واستماتوا فى صحبته . ثم نازل جيش على ابن تاشفين سنة (٥٢٤) فأوقع به وسار لحصار مراكش وفى تلك الاثناء مرض ومات وكان قد أوصى بالامر بعده للقائم بدعوته عبد المؤمن ابن على وزيره

بويع لعبد المؤمن فتلقب بأمير المؤمنين وصارت له جيوش جرارة فوقعت بينه وبين المرابطين أى الملثمين أصحاب الدولة حروب قتل فيها من الطرفين أكثر من مئة الف رجل وانتهت بأن ملك فاس ومراكش وغيرهما وثغور سبتة وسلا وطنجة ودخل فى زمرته رجال الموحدين

وفى سنة (٥٤٠) نزع على ابن عيسى قائد أساطيل الملثمين طاعتهم وانحاز الى الموحدين فقوى أمر الاخيرين بذلك وأخذوا فى الاكثار من الاساطيل

ثم أن عبد المؤمن جهز جيشا فى السنة المذكورة تحت قيادة يوسف بن مخلوف لفتح الاندلس من يد عمال المرابطين أى الملثمين وأخذ يواليه بالامداد حتى استولى عليها كلها سنة (٥٤٥)

ثم تقدم بنفسه الى أفريقية وأرسل اسطولين تحت قيادة يحيى من عبد العزيز لفتح الجزائر وتونس والمهدية ثم استولى على كثير من ثغور الاندلس وبلاده التى كانت وقعت فى يد الاسبانيين وانتصر انتصاراً عظيما على الملك الفونس ملك طليطلة

وبينما كان عبد المؤمن يستعد لغزو الفرنج وافته منيته سنة (٥٥٨) وكان فصيحا عالما بالاصول والجدل والحديث مشاركا فى كثير من العلوم ذا حزم وسياسة واقدام لم يقصد قط بلدا الافتحه . ومن آثاره بناء مدينة جبل طارق سنة (٥٥٥)

قام بالامر من بعده أكبر أولاد محمد بن عبد المؤمن بعهد منه ولكن لم يستقم له أمر لانه لم يكن أهلا للحكم اذ كان مدمناً على الخمر مختل الرأى كثير الطيش جبانا فخلعه الناس بعد أربعين يوما

فتولى بعده يوسف بن عبد المؤمن

فبايعه الناس وأول شيء فعله تسريح الجيوش التي كان حشدها أبوه لغزو بلاد الفرنج فلما استقام له الامر أمر بحشد الجيوش وقصد بلاد الفرنج فأنقذ عدة مدائن كان يحاصرها الاسبانيون وفتح غيرها ثم تاقت نفسه للغزو والعبور الى بلاد الاندلس فعبر اليها في مئة الف من العرب والموحدين سنة (٥٦١) وتسلم جميع بلاد شرق الاندلس من أولاد محمد بن مردنيش

ثم خرج قاصد الغزو فأثخن في بلاد العدو ورجع الى اشبيلية وبنى بها مسجداً عظيما وصنع على وادي اشبيلية جسراً من القوارب وحصن سورها وجلب اليها ماء غزيراً

ثم فتح مدينة قفصة من أفريقية سنة (٥٧٦) ولما بلغه خبر منازلة الفرنج لمدينة قرطبة عبر بجيوشه من سبتة وتقدم نحو الشمال يريد حصار شنترين وبينما هو على حصارها وقد فارقته جيوشه ليلا بخطأ من قواده خرج عليه المحصورون وقاتلوه ومن بقي معه فقاتلهم حتى جرح جرحا مات منه وهو عائد الى بلاده سنة (٥٨٠) وكان شجاعا عارفا بأساليب الحرب رقيق الطباع عالما حافظا مطلعا على أيام العرب وأخبارهم ميالا الى الفلسفة وكان له دار كتب جمع اليها أنفس الآثار. وكان ممن صحبه من العلماء الوزير وأبو بكر محمد ابن الطفيل الفيلسوف المشهور وابن رشد المعروف بالحفيد وغيرهما من فحول الرجال وكانت مدة حكمه ٢٢ سنة

تولى بعده ابنه أبو يوسف يعقوب فأغار في عهده صاحب جزائر ميورقة ومنورقة ويابسة بأسطوله على بجاية سنة (٥٨١) فافتتحها ثم استولى على الجزائر ثم على مليانة فأرسل اليه يعقوب بن يوسف الجيوش ففر المغير الى الصحراء ثم عاد الى الاغارة على أفريقية وساعده على ذلك قره قوش الغزي من موالي السلطان صلاح الدين بن أيوب وكان قد تغلب على طرابلس وما والاها ولما بلغ ذلك يعقوب وكان تلقب بالمنصور نهض بنفسه وتلاقى مع جيوش المغيرين الذين كان يساعدهم قره قوش فهزمهما ثم سار يعقوب بنفسه الى مدينة قابس وكانت لقره قوش فافتتحها واسترد غيرها من المدن سنة (٥٨٤)

ثم عبر الى الاندلس سنة (٥٨٠) وشن الغارة على أشبونة وبالغ في نكاية

العدو ثم انصرف الى برالعدوة بسبي كبير وقبل اغارته على اشبونة وصل اليها أسطول مؤلف من ٦٩ سفينة عليها عشرة آلاف من جنود المانيا وجهات نهر الرين السفلى وبلاد اللورين وكانوا آتين من زيارة بيت المقدس فأنزل الاسطول هذه الجيوش بجهات سان جاك بقصد زيارة كنيستها فانتشر الخبر بأن هؤلاء القوم أتوا لسرقة رأس القديس ونهب الاموال المدخرة بكنيسة تلك المدينة فحملوا السلاح جميعاً وأتوا لصدهم حتى اضطروهم للنزول الى سفنهم ثانية . وفى هذا الوقت ايضا اقبل اسطول للانجليز والفلامان الى مدينة اشبونة فتعاهد مع ملكها على محاربة المسلمين ويقال أيضاً ان الاسطول الالمانى انضم الى هذا الاسطول وبذلك صار ملك البرتغال معضداً بسفن عديدة فأرسل جيشا الى مدينة بيجة ويابورة وهما ببلاد البرتغال كان العرب استولوا عليهما فلما بلغ المنصور ذلك أرسل اليهم جيشاً تحت قيادة والى قرطبة فاسترد منهم جميع ما استولوا عليه وأخذ عدداً عظيما من الاسرى ومقداراً عظيما من الغنائم سنة (٥٨٧) ﻫ

وكان الفرنج فى الحرب الصليبية قد ملكوا سواحل الشام فى آخر الدولة العبيدية فلما استولى السلطان صلاح الدين على مصر والشام وأخذ فى منازلة الافرنج وقوى عليهم فأتت الامداد الى تلك السواحل من اوروبا لرد صلاح الدين فبعث الى المنصور سنة (٥٨٥) يطلب اعانته بالاساطيل لمنازلة عكا وصور وطرابلس والشام

فلما رأى المنصور ان صلاح الدين لم يخاطبه بلقب أمير المؤمنين رد رسوله ولم يجبه الى ماطلب . ونهض ملك البرتغال ووسع حدوده من جهات الجنوب واستولى على عدة حصون فى تخوم مملكة الموحدين واستعد فردينان ملك ليون للاغارة على جهات وادى يانة واستولى على بعض المدن وكان يرسل بالجيوش لمحمد بن سعد ابن مردنيش الذى جرده المنصور من سلطانه ليشجعه على منازلة الموحدين فكتب المنصور الى قواده بالاندلس يأمرهم برد غارات الاعداء فقاوموهم أعظم مقاومة واستردوا منهم جميع ما أخذوه وعادوا بسبي عظيم

ثم عاد الفرنج فعاثوا فى بلاد الاندلس عيثا شنيعا فعبر المنصور بجيوشه الى الاندلس

سنة (٥٩١) وجمع الفونس التاسع ملك قشتالة (كاستيل) جيوشه وأقبل لمنازلته فجرى بينهما قتال عنيف بمكان يقال له الارك فانهزم الفونس وقتل من جيوشه عدد كبير واستولى المنصور على جميع ذخائره وسلاحه

ثم تلاقى الموحدون والفرنج سنة (٥٩٢) قرب طليطلة فانهزم الفرنج أيضاً وغنم منهم الموحدون ما معهم من الاسلحة والذخائر . ثم تقدم الموحدون وفتحوا عدة حصون بجهات طليطلة مثل قلعة رباح ووادى الحجارة ومجريط (مدريد) وجبل سليمان

ثم بلغ المنصور ان صاحب جزائر ميورقة ومنورقة دخل افريقية ثانية فهادن ملوك الفرنج وكاد ان يفتتح فى هذه الحرب طليطلة لولا خروج والدة الملك الفونس وبناته وامرأته باكيات بين يديه راجيات ابقاء البلد عليهن فرق لهن وترك لهن المدينة

ثم تمكن من قهر صاحب ميورقة ومنورقة وطرده من افريقية

شيد المنصور بالاندلس كثيراً من المساجد والمستشفيات والمدارس والحصون والقناطر والآبار وقلاعاً عدة

كان المنصور هذا يعتبر أعظم ملوك الموحدين وكانت أيامه أيام أمن ورخاء وجلال . فلما كانت سنة (٥٩٥) جمع أعيان دولته وعهد بالملك لابنه محمد الناصر لدين الله وتنازل هو عن الحكم وانقطع لنفسه

لما ولى محمد الناصر أخذ فى اصلاح مدينة فاس وتحصينها وكان أمر ابن غانية صاحب ميورقة ومنورقة قد اشتد فاستولى على طرابلس والمهدية وبلاد الجريد وتونس سنة (٥٩٩) وخطب باسم الخليفة العباسى فلما اتصل هذا الخبر بالناصر خرج لحربه فبعث أسطوله فى البحر وسار هو براً فاستعد ابن غانية لملاقاته ولكنه انهزم أخيراً وفتح الناصر المهدية بعد حصار طويل سنة (٦٠٢) ثم أرسل بأسطوله الى جزيرة ميورقة وكان امتنع فتحها على والده فافتتحها واستمرت فى يد عماله حتى أخذها الفرنج سنة (٦٢٧)

فى هذه الاثناء كان الفونس ملك قشتالة قد دخل اقليم الاندلس بجيش جرار وأخذ فى التخريب والسلب والاسر ثم رجع الى بلاده حاملا غنائم لا تحصى ثم اتفق مع ملكى نافار وأراغون ليمحو عن

نفسه العار الذي لحقه بهزيمة الارك فأغاروا على الاندلس وتقدموا حتى وصلوا الى أبواب مرسيه ثم رجعوا الى طليطلة بالغنائم

فلما نمي هذا الخبر الى الناصر عبر بجيوشه الى الاندلس وكان فى نحو ٦٠٠ الف مقاتل فارتجت له جميع بلاد الفرنج المتاخمة للاندلس وكتب اليه الكثيرون من ملوك تلك البلاد يسألونه السلام وذلك سنة (٦٠٨)

فزحف اليه ملك قشتالة واراغون ونافار ومن انضم اليهم من ملوك أوروبا بدعوة البابا انوسان الثالث فالتقى الجيشان بحصن العقبان فنصبت للناصر قبته الحمراء المعدة للقتال على رأس ربوه وجلس أمامها وفرسه قائم بازائه ودارت العبيد بالقبة من كل ناحية ومعهم السلاح التام ووقفت الساقات والبنود أمام الطبول مع الوزير ابن جامع وأقبلت جموع الفرنج كأنها الجراد المنتشر فالتقى الفريقان فانهزم المسلمون شر هزيمة واتبعهم الفرنج يقتلون ويأسرون ويغتنمون حتى أقبل الليل

قال مؤرخو العرب وسبب هذه الهزيمة راجع الي وزير الناصر المسمى ابن جامع فانه أظهر الاسلام نفاقا وتمكن من فؤاد الناصر فأقصى بمشورته وجوه العرب والبربر الذين كانوا يحيطون به فتمكن بذلك من تضليله فحدثت هذه النكبة سنة (٦٠٩)

لما أراد الناصر الانصراف الي مراكش أخذ البيعة لابنه المنتصر ودخل هو قصره وانغمس فى ملاذه فتألب عليه وزراؤه وسموه سنة (٦٠٩)

ولكن ابن الخطيب المؤرخ خالف هذا القول فقال ان الناصر صرف همه بعد تلك الواقعة الى الاخذ بالثار فنزل الى الاندلس واحتل رباط الفتح من سلا ولكن أجله لم يمهله فمات سنة (٦١٠)

قام بالامر بعده ابنه يعقوب يوسف فولى أقاربه وأعمامه العمالات وكان جميعهم يطمع فى الملك واستولى الفونس ملك الاسبانيين على الحصون التى أخذها منه المسلمون وهزم حامية الاندلس وكان يعقوب يشتغل عن مهام الملك بملاذه وفى مدته ظهر بنو مرين فى فاس ولم يستطيع منع تقدمهم . وفى عهده انهزم المسلمون هزيمة أخرى منكرة فى الاندلس فضعف أمرهم هنالك جداً وكانت تلك الوقعة سنة (٦١٤)

وفى عهده أيضاً استبد الحفصيون بملك أفريقية ومات يعقوب مقتولا طعنته بقرة

فى بستانه وأماته وكان مولعا بتربية الحيوانات وذلك سنة (٦٢٠)

بعد وفاته اجتمع الموحدون على تولية عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن وكان شيخا ثم خلعوه وقتلوه بعد شهرين

فتولى بعده أبو محمد عبد الله العادل ابن المنصور ثم انحرف عنه الموحدون فبايعوا أخاه أبا العلاء ادريس بن يعقوب صاحب الاندلس سنة (٦٢٤) ثم نقضوا بيعته وبايعوا يحيى بن الناصر فعم الفساد البلاد وعظم أمر بنى مرين الذين سيأتى ذكرهم

وكان من أشهر الثوار فى زمنه محمد بن ابى الطواحين وكان ينتحل صناعة الكيمياء ثم ادعى النبوة وكثر تابعوه ولكنه قتل بعد افتضاح أمره

أما بلاد الاندلس فثارت على الموحدين تحت قيادة رجل من أولاد بنى هود بعض ملوكها وخطب للخليفة المستنصر العباسى ثم دانت الاندلس جميعها لابن هود المذكور سنة (٦٢٩) ثم ظهر له منازع يقال له ابن الاحمر وأخذا يتجاذبان الملك فانتهز الملك الفونس هذه الفرصة وامتلك عدة مدائن من تلك البلاد ثم استقر الامر لابن الاحمر فى الملك واورثه بنيه

لما علم أبو العلاء المأمون ان الموحدين نقضوا بيعته وبايعوا ابن أخيه يحيى كتب الى الملك الفونس يستنصره على قومه فأجاب طلبه بشرط أن يعطى عشرة حصون يختارها هو وان تبنى لجيشه كنيسة ليصلى فيها متى دخل مراكش وان من اسلم منهم لايقبل اسلامه بل يرد الى قومه فقبل أبو العلاء هذه الشروط ونزل الفرنج الى مراكش وكانت قبل ذلك أمنع من عقاب الجو فحدثت حروب بينه وبين زعماء الموحدين الناقمين عليه فهزمهم وقتل قادتهم ولكن الملك لم يصف له فثارت عليه البلاد من كل جهة فمات كمداً سنة (٦٢٩)

بويع لابنه عبد الوحد ولقب بالرشيد سنة (٦٣٠) وذلك بمساعي أمه وكانت من دهاة النساء ثم اقتتل جيش الرشيد مع جيش يحيى فانهزم الاخير ومازال الرشيد يتعقب يحيى حتى قتله فبايعه أكثر من كان معه ولكن كانت الاحوال مضطربة لاتستقر على حال

وفى زمنه استولى فرنج جنوة على سبتة ولم يستطع أحد ردهم فاضطر أهلها

أن يصالحوهم ليجلوا عنها

وفى عهده كسرت جيوش بنى مرين جيوشه واشتد أمرهم . ثم مات الرشيد غريقا فى صهريج بستانه سنة (٦٤٠)

لما مات الرشيد بايع الموحدون أخاه أبا الحسن على السعيد فبايعت كثير من المدن أبا زكريا الحفصى صاحب افريقية فجمع أبو سعيد جيوشه وسار بهم لاخضاع المدن التى بايعت أبا زكريا فأذعنت له ولكنه قتل بينما كان يستطلع أخبار العدو سنة (٦٤٦)

فبويع لعبد الله ابنه الا أنه قتل فى الطريق فبويع لعمه المرتضى عامل مدينة رباط فاستقام له الامر وقاتل بنى مرين فهزمهم واستخلص منهم عدة مدائن الا أنه هزم أمام فاس فعاد الى مراكش وأقام بها معرضا عن بنى مرين طول حياته وفى عهده ظهر ثائر يدعى أبو دبوس استولى على مراكش وغيرها سنة (٥٦٥) ففر المرتضى يلتجأ الى أحد عماله فلم يجره بل قبض عليه وأسلمه الى الثائر المذكور فقتله وكان المرتضى منصفا زاهدا

فبايع الناس أبا دبوس وتلقب بالواثق بالله والمعتمد على الله ثم تقابل أبو دبوس المذكور مع أمير بنى مرين فانهزم وقتل سنة (٦٦٨)

فبايع الموحدون اسحق بن ابراهيم أخا المرتضى بعد أن هربوا الى جبال تينملل فبقى هناك الى سنة (٦٧٤) ثم قبض عليه وجىء به الى سلطان بني مرين يعقوب بن عبد الحق فقتله هو وأقاربه جميعا فانقرضت بهم دولة الموحدين بعد أن دامت (١٢٦) سنة

كانت هذه الدولة من أعظم الدول التى سادت بلاد المغرب وأكبرها بطشا وقد كانت لها أساطيل تمخر فى البحر وتقاتل أعداءها وكانت حدودها تمتد الى الصحراء الكبرى جنوبا والى بحر الظلمات غربا والى الرمال الفاصلة لها عن مصر شرقا والى بحر الروم ومضيق جبل طارق شمالا وكانوا يمتلكون مع هذا بلاد الاندلس يتبعها مدائن أشبيلية وقرطبة وغرناطة ومالقة والمرية بحيث كانت جميع شواطىء النهر الاسبانى المسمى بالوادى الكبير تابعة لهم وكانوا يملكون جميع القسم الجنوبى من بلاد البرتغال أيضا

(دولة بنى مرين) من سنة (٦١٤ الى ٨٩٠)

بنو مرين من جيل زناتة كانوا أحياء يظعنون من فجيج الى سجلماسة الى ملوية وقد يبلغون بلاد الزاب . دعاهم يعقوب المنصور ملك المرابطين لغزو فرنج الاندلس فأجابوه وأصيب رئيسهم محيو بن أبى بكر بجروح أودت به سنة (٥٩٢)

ولما كانت وقعة العقاب سنة (٦٠٩) وهزم الناصر وحدث الوباء الذى أهلك الناس الا قليلا ومات الناصر أيضا بايع الموحدون ابنه يوسف المنتصر وهو يومئذ غلام فاشتغل بملاهيه فضعفت دولة الموحدين ضعفا لا يرجى شفاؤه وكان بنو مرين يومئذ يختلفون بين قفار المغرب وصحاريه لا تنالهم الدولة بتكليف مشتغلين بالصيد والغارات على أطراف البلاد . فلما كانت سنة (٦١٠) أقبلوا على المسير فلما اطلوا على المغرب وجدوه قد تبدلت حالته وبادت جنوده فاغتنموا هذه الفرصة فانتشروا فى نواحى المغرب وبسطوا أيديهم فيه بالسلب والنهب فلجأت الرعية منهم الى الحصون والمعاقل وكان رئيسهم اذ ذاك يدعى عبد الحق بن محيو فجأر الناس بالشكوى الى الخليفة القائم بمراكش وهو الناصر بن المنتصر فجهز جيشا كثيفا وأمر عماله باستئصالهم فانهزم جنود الخليفة وزحف عبد الحق على بعض المدن فافتتحها وفرق الغنائم على جنوده ولم يأخذ شيئا منها فكان ذلك من أكبر الاسباب فى اجتماع القلوب عليه فأجمع الموحدون على التألب عليه فأرسلوا له جيوشا كثيفة فحدثت بين الفريقين حروب دموية قتل فيها عبد الحق وابنه ادريس سنة (٦١٤) فلما رأى بنو مرين ذلك غضبوا وأقسموا بالله لا يدفنون أميريهما حتى يثأروا لهما ثم استأنفوا القتال ببسالة تفوق الوصف فانتصروا على أعدائهم وغنموا ما كان معهم وشردوهم فى كل وجه

ثم بايع بنو مرين أبا سعيد عثمان بن عبد الحق فسار على رأس جيشه يفتح المدن والحصون حتى مات قتيلا سنة (٦٣٨)

فقام بالامر بعده ابو معروف محمد ابن عبد الحق فسار سيرة أبيه وأخويه فاجتمع عليه الموحدون فدحروه وقتل فى الحرب سنة (٦٤٢)

فتولى بعده ابو بكر بن عبد الحق وهو الذى رفع شأن بنى مرين وجعل مملكتهم لا تنال وهو أول من جند الجنود

منهم بالطبول ونشر البنود

كان هذا الامير فى مبدأ أمره يدعو لابى زكريا بن أبى حفص صاحب افريقية وباسمه افتتح مكناسة سنة (٦٤٣) فجمع السعيد صاحب مراكش عظماء الموحدين وبسط لهم الحالة وشكا لهم من أن أمرهم صار لايتعدى مراكش وما وليها بعد أن كان لهم جميع المغرب الاقصى وافريقيـة والاندلس فاستقر رايهم على محاربة بنى مرين وجمعوا لذلك ما استطاعوا من الجند فلما رأى أبو بكر انه لا طاقة له بلقاء هذه الجيوش تحصن فى قلعته . وأما السعيد فانه تقدم الى مكناسة وفاس واستولى عليهما وتقدم فحصر ابا بكر فى قلعته فطلب اليه الامان فأمنه

ولما مات السعيد أثناء محاصرته لتلمسان انتهز الامير ابو بكر هذه الفرصة فى كسر الموحدين واتخـذ من يومئـذ المركب الملكى وسار الى مكناسة فدخلها سنة (٦٤٦) ثم بايعه أهل فاس على شرط الذب عنهم وسلوك طريق العـدل فيهم وبعد أن افتتح غيرها من المدن رجع الى فاس فأقام بها واستقامت له الاحـوال فصلحت أمور الناس ومازال ابو بكر يفتح المدن ويقهر القبـائل حتى طار ذكره فى الآفاق وأجمع المرتضى خليفـة الموحدين على النهوض بنفسه لبنى مرين سنة (٦٥٣) فلما التقى الجمعان انهزم المرتضى فرجع الى مراكش مقهوراً

توفى أبو بكر سنة (٦٥٦) فخلفه أبو حفص عمر الا أن كبراء بنى مرين مالوا الى مبايعة عمه يعقوب بن عبدالحق وبعد جدال عنيف اكتفى يعقوب بن عبدالحق بقسم من البلاد فخلع الامر لعمر ثم رجع عمه فتغلب عليه وأقطعـه مدينة مكناسة سنة (٦٥٧) فاستبد يعقوب بالامر ونفذت كلمته وخصوصا بعـد مقتل الامير عمر وأخذ فى فتح أمصار المغرب واستـنقذ مدينة سلا من أيدى الاسبانيين وكانوا استولوا عليها سنة (٦٥٨) . ولما انتهى السلطان يعقوب من أمر الثوار عليه صمم على منازلة الموحدين فى دار ملكهم فقصد مراكش سنة (٦٦٠) هـ فحدثت حرب بين الفريقين ثم انهزم الموحـدون هزيمة منكرة وتم الامر لبنى مرين بفتح مراكش بمساعدة ابى دبوس ابن عم المرتضى خليفة الموحدين وقائد حربه . ولما فر المرتضى من مراكش نزل على صهره ابن عطوش

فقتله. ثم ان ابادبوس نقض العهد الذى كان بينه وبين السلطان يعقوب واستبد بحكم مراكش فقصده يعقوب بجيشه وانتصر عليه وقتل ابو دبوس فى ساحة القتال سنة (٦٦٨) ثم غزا أولاده وقراده البلدان ففتحوها فمحيت من ذلك الوقت دولة الموحدين

ولما رسخت قدم يعقوب بالمغرب قطع دعوة الحفصيين أصحاب تونس وافريقية بعد ان كان يدعو اليهاهو واخوته وكان بنو ابى حفص يفرحون لذلك ويهادون بنى مرين ويمدونهم بالمال والسلاح

ولما أراد السلطان يعقوب فتح سجلماسة نهض اليها سنة (٦٧٢) وحاصرها وافتتحها بعد سنة وكمل فتح بلاد المغرب كلها ولم يبق فيهامدينة تعتزى لغير بنى مرين

فى أثناء هذه الفتن كان الاسبانيون ينازلون مسلمى الاندلس حتى أخذوا منهم غالب حصونهم واستولوا على مدينتى قرطبة وأشبيلية قاعدتى الاندلس والتجأ صاحب الاندلس ابن الاحمر الى شاطىء البحر واتخذ مدينة غرناطة قاعدة لهو ابتنى بها حصن الحمراء فلماضاقت عليه المذاهب أرسل يستنجد بالسلطان يعقوب فأنجده بجيش وأسطول سنة (٦٧٣) وجعل القيادة لابنه فهزم العدو وتوغلت الجيوش فى بلاده وعاد بغنائم لاتحصى

فكبر هذا الامر على الفونس ملك قشتالة فجمع جيوشه للاخذ بالثار ولما رأى السلطان يعقوب عزمه هذا عول على لقائه بنفسه فخرج اليه فى جيش عرمرم وهزمه وغنم منه مغانم شتى سنة (٦٧٤)

وفى سنة (٦٧٥) عاود السلطان يعقوب الكرة على الفونس فنزل على اشبيلية وانتسف أرباضها وافتتح عدة حصون ثم غزا قرطبة سنة (٦٧٦) فلم ير الفونس بدا من الصلح فأرسل اليه رسلا لمفاوضته فيه فأحالهم السلطان على ابن الاحمر صاحب الاندلس فأقسموا له الاقسام بأنهم يريدون صلحا مؤبداً لا ينقصه غدر فقبل منهم ذلك فترك السلطان يعقوب الاندلس وترك لابن الاحمر جميع الغنائم ورجل الى بلاده مؤيداً منتصراً

ثم حدثت فتن بين السلطان يعقوب وابن الاحمر أدت بالاخير الى الاتحاد مع الفرنج على السلطان فأعد كل من

الخصمين أساطيله وجيوشه فلما التقى الاسطولان تحطم أسطول الفرنج وكان ابن الاحمر قد أثار على السلطان جميع الناقين عليه فى بلاد المغرب لوقف حركاته فأعاقه ذلك قليلا وفى سنة (٦٨١) قدم على السلطان كتاب من ملك قشتالة مع وفد من بطارقته مستصرخا به على ابنه الخارج عليه فانتهز السلطان يعقوب هذه الفرصة ونزل بجيوشه الى اسبانيا فدحر الابن الخارج على أبيه وقصد جيان وطلطيلة ومجريط (أى مدريد) فخرب حصونها ودك أسوارها وانتسف مزارعها واتفق ان تقرر الصلح بين ابن الاحمر وبين السلطان ففرح المسلمون بزوال ماكان بينهما

ثم عزم السلطان سنة (٦٨٣) على الجواز الى الاندلس للجهاد وهى المرة الرابعة فافتتح حصونا كثيرة ثم عاد الى بلاده بغنائم شتى فلما رأى ملك الاسبانيين ماحل ببلاده وقومه من النهب والقتل أوفد وزراءه الى السلطان يعقوب يطلب منه السلم والمهادنة فقبل السلطان منه ذلك على شرط مسالمة جميع المسلمين من قومه وغير قومه والوقوف عند مرضاته فى سلوكه مع جيرانه من الملوك فلا يعاديهم ولا يصافيهم الا بارادته وزفع الضريبة عن تجار المسلمين وعدم الدخول بينهم فى فتنة فقبل ملك الفرنج جميع هذه الشروط

ثم طلب شانجة ملك الاسبانيين مقابلة السلطان يعقوب فأذن له وأكرم وفادته وقبل هديته وسأله السلطان أن يرسل اليه بالكتب العلمية التى كانت فى بلاد الاسلام التى استولى عليها الاسبانيون فأرسل اليه ثلاثة عشر جملا . ولما كان السلطان بأرض الجزيرة الخضراء أدركته الوفاة سنة (٦٨٥)

كان هذا السلطان من كبار سلاطين المغرب فان له غير هذه الفتوحات أعمالا خيرية فقد بنى بيمارستانات للمجانين والمجذومين والعمى والفقراء وأجرى على جميعها المرتبات وبنى مدارس لطلبة العلم ووقف عليها أموالا طائلة

تولى بعده ابنه الناصر فعقد مع ابن الاحمر صاحب الاندلس صلحاً جديداً تنازل له فيه عن الثغور الاندلسية ماعدا الجزيرة الخضراء ورونده وطريف

ووفدت عليه وفود شانجة ملك الاسبانيين مجددين عهد الصلح

ولكن تألب عليه بنو ادريس وبقايا الموحدين فأبادوهم قتلاو تشريداً. وفي سنة (٦٩٠) بلغه ان شانجة نقض عهده وأغار على التخوم فأوعز الى قائده بالاندلس أن يدخل أرض الاسبانيين ويحاصر مدنهم ويخربها ثم أراد السلطان يوسف الالتحاق به فخرج أسطول الاسبانيين فدمر أسطول المغاربة فعاد السلطان آمراً ببناء عمارة جديدة فلما تمت ولقيها أسطول الاسبانيين اندحر ولم يجسر على معاكستها فاجتاز السلطان عليها البحر الى الاندلس وزحف على مدن الاسبانيين فأغار على اشبيلية وشريش وغيرها ولما أقبل الشتاء عاد الى طريف لانها أحسن ملجأ للاساطيل فانتهز ملك الاسبانيين هذه الفرصة وحاصره براً وبحراً وقطع عنه المدد من بلاده ولكنه كان متصلا بابن الاحمر تصل اليه من قبله الاقوات والرجال والسلاح. ولما ضجر ابن الاحمر من هذا الامر صالح شانجه سنة (٦٩١) وشرط عليه شروطا فلم يوف بها فندم على ما فعل ورجع الى التمسك بود سلطان المغرب المحصور ولم ينل ملك الاسبانيين من السلطان منالا

توفي هذا السلطان سنة (٧٠٦) بطعنة خصي اسمه سعادة. هذا السلطان هو أول من اكسب ملك بني مرين رونق الحضارة وعزة الملك. وفي عهده اخترع العرب البارود واستعملوه في حروبهم

قام بالامر بعده أبو ثابت عامر بن عبد الله فكثر الثائرون على عهده وتوفي سنة (٧٠٨) هـ

تولى بعده أبو الربيع سليمان فعم الناس الامن وتنافس الكبراء في العمران وتوفي سنة (٧١٠)

خلفه أبو سعيد عثمان وكان عادلا حكيما فأمن الناس وأنشأ الاساطيل. وكان له ابن اسمه ابو علي خرج عليه واضطره للاكتفاء بتازا وجهاتها ثم ادبل له من ابنه فعاد اليه ملكه فأقطع ابنه الثائر سجلماسة

ولما كانت سنة (٧١٨) أغار ملك قشتالة على مدينة غرناطة عازماً على استئصال من بقي فيها من المسلمين وكان جيشه يبلغ مئة وخمسة وثلاثين الفا فبعث الأندلسيون يستنجدون السلطان فلم ينجدهم الا أن عثمان أبي العلاء شيخ غزاة الأندلس من بني مرين أنجدهم فلقي ذلك الجيش العرمرم فشتت شمله وخلص أهل غرناطة من ضيقهم ووقعت في يدهم غنائم

لاتحصى وأسرى منهم امرأة الملك وأولاده وتحدث الركبان بهذه النصرة العظيمة فى جميع بلاد المسلمين

توفى السلطان أبو سعيد سنة (٧٣١) فقام بالامر بعده المنصور بالله أبو الحسن على وكان أفخم بنى مرين دولة واكبرهم ملكا وأكثرهم أبهة وآثاراً بالمغربين والاندلس

حدث فى اول عهده قتال بينه وبين أخيه أبى على الذى كان ثار على أبيه فأقطعه سجلماسة فانتهى القتال بقتل أبى على المذكور بعد أن استقل بسجلماسة أكثر من تسع عشرة سنة

كان الاسبانيون استولوا على جبل طارق سنة (٧٠٩) فزاحموا بذلك ثغور المسلمين وضيقوا عليهم المذاهب فرأى ملك الاندلس محمد بن اسماعيل من بنى الاحمر أن يفد على سلطان المغرب بنفسه فوفد عليه فأكرمه السطان وأنفذ معه الجيوش والاساطيل فأجلوا الاسبانيين عن جبل طارق وردوه لعرب الاندلس وكان ذلك سنة (٧٣٣) هـ

ثم أوعز السلطان لابنه أبى مالك امير ثغور الاندلس بالدخول فى دار الحرب سنة (٧٤٠) فصدع بالامر وتوغل فى الغزو وعاد بسبى وغنائم وفى أثناء عودته دهمه جيش للاسبانيين فقتل كثيراً من جنوده وقتله واحتوى على كل ما كان اغتنمه

فلما بلغ هذا الامر والده أمر جيشه بعبور البحر الى الاندلس واعداد الاساطيل واستعد ملوك اسبانيا لملاقاته وأرسلوا أساطيلهم لمنع مرور جيشه فلما التقى الاسطولان حدثت موقعة بحرية استظهر فيها أسطول السلطان وأسر أسطول الاسبانيين ففرح أهل الاندلس بهذا الانتصار وتسابقوا الى مساعدة المغاربة وحدثوا أنفسهم باسترداد ما خرج من أيديهم من البلاد وكانت هذه الوقعة من أشهر الوقائع البحرية فى ذلك العهد وكان من نتائجها امتداد سلطة بنى مرين فى البحر امتدادها فى البر

ثم نزل السلطان بجنوده وحاصر ثغر طريف وكان بيد الاسبانيين وساعده ملك الاندلس من بنى الاحمر وما زالا يحاصرانها حتى فنيت أزوادهما واختلت أحوالهما وكانا فى أثناء الحصار يرسلان السرايا للاغارة والتخريب فى بلاد العدو حتى وصل بعضها الى شريش وشذونة

وكادت تفتح الارك

فأرسل ملك قشتالة اسطولا جديداً بمساعدة أهل جنوة من ايطاليا ليقطع مواصلات بنى مرين من جهة البحر فأصيب هذا الاسطول بهزيمة عظيمة

فلما علم بلاء المغاربة أجمع ملوك اسبانيا أمرهم على الاستبسال فى قتالهم فزحفوا بجموعهم على العرب فاختل عسكر بنى مرين حتى وصل جنود الاسبانيين الى سرادق السلطان وأسروا نساءه ثم قتلوهن ومثلوا بهن وأحرقوا معسكره وأسروا من بنى مرين وغيرهم عدداً عظيما وكان ذلك سنة (٧٤١) وولى السلطان أبو الحسن منهزما الي الجزيرة الخضراء

ثم أن ملك الاسبانيين عاد بعد قليل فاستولى على قلعة بنى سعيد ثغر غرناطة وكان السلطان أبو سعيد الغرناطى يريد معاودة الكرة فحشد لذلك أساطيله فتلاقت مع أساطيل الاسبانيين فدارت الدائرة على الاولى بمساعدة أساطيل ملوك ايطاليا . ثم جاء الاسبانيون فحاصروا الجزيرة الخضراء فطلب اليهم السلطان الصلح وتسليمهم البلد على أن يجيزوهم الى بلادهم فقبل ملك الاسبانيين ذلك سنة (٧٤٣) ه

ثم حدث بين سلطان مراكش وبين أولاد أبى بكر الحفصى فتن أدت الى استيلائه على تونس واعمالها سنة (٧٤٨) فدخل المغرب بأسره فى حوزة بنى مرين

ثم خرج عليه ابنه فأبقاه فى تونس واستولى هو على جميع المغرب ثم بدت من الحفصيين حركة ثورة ضده فحسن له بعض أتباعه الهجرة فجمع ستمئةسفينة وشحن بها كل من عنده من اتباع وجنود فهبت عليهم ريح عاتية أغرقت هذه السفن بمن فيها ولم ينج غيره وبعض من خاصته على ألواح خشبية فعاد الى مراكش فى حالة سيئة وكان عليها ابنه أبو عنان فحاول ان يستعيد ملكه ففشل ومات طريدا سنة (٧٥٢) ه

اما ابو عنان فقد خرج عليه أخوه أبو الفضل ببلاد السوس باغراء ملك اسبانيا فقبض عليه أبو عنان وقتله ثم مات ابو عنان مخنوقا بيد وزيره سنة (٧٥٩)

فخلفه ابنه السعيد بالله ابو بكر فخلع بعد تسعة أشهر وتولى بعده المستعين بالله ابى سالم سنة (٧٦٠) ه وهو ابن السلطان أبى الحسن فثار عليه الجنود

باغراء بعض الوزراء لتقديم بعضهم على البعض الآخر فقبضوا عليه وقتلوه سنة (٧٦٢) واحضروا رأسه الى الوزير عمر بن عبد الله

ثم بايع الناس السلطان ابا عمر تاشفين فاستبد الوزير عمر بن عبد الله بالملك فظهر الاختلال فى امر بنى مرين فخلع الوزير ابا عمر تاشفين وولى ابا زيان محمد بن أبى عبد الرحمن يعقوب بن السلطان ابى الحسن سنة (٧٦٣) وكان ملتجأ الى ملك الاسبانيين خوفا على نفسه فلما طلبه المغاربة لتوليته الملك أسلمه اليهم بشروط قاسية قبلها بنو مرين صاغرين فلم يرق هذا السلطان فى عين الوزير عمر بن عبد الله فقتله وولى عبد العزيز ابن الحسن وكان فى أحد القصور محبوساً فيه بأمر الوزير المذكور فجرى الوزير معه على عادته من الاستبداد بالامر فعزم السلطان على الفتك به فأمر خصيانه بقتله فضربوه بالسيوف ثم تتبع السلطان حاشيته واعوانه بالقتل والحبس حتى استتب له الامر

فبدا له ان يسترد الجزيرة الخضراء بالاندلس من يد الاسبانيين فأشار على صاحب الاندلس بالزحف عليها ووعده بموافاته بالمدد ففعل فاضطر الاسبانيون لتسليمها اليهم سنة (٧٧٠) هـ ولم تزل تلك المدينة بيد ملوك غرناطة حتى هدموها لكيلا يتغلب عليها الاسبانيون سنة (٧٨٠)

هذا السلطان أعاد لبنى مرين شبابهم وأنعش دولتهم وهو الذى ألف العلامة ابن خلدون تاريخه باسمه

تولى بعده السلطان السعيد بالله ابو زيان محمد سنة (٧٧٤) وكان صبيا فاستبد عليه ابوبكر وزير ابيه واستقل بالامر دونه واغرى عليه ملك غرناطه من خلعه وخلع السعيد بالله ايضا سنة (٧٧٦)

فقام بالأمر بعده المستنصر بالله ابو العباس احمد ويقال له ذو الدولتين لأنه ولى الملك مرتين وكان وزيره محمد بن عثمان متغلبا عليه . وفى زمنه استحكمت عرى المودة بين بنى مرين وبنى الاحمر ملوك غرناطة حتى كان للآخرين تحكم فى امور المغرب كأن المغرب صار جزءاً من بلاد غرناطة وذلك بما كان تحت يد بنى الاحمر من ابناء ملوك المغرب المرشحين للأمر فكان سلاطين المغرب يصانعون بنى الاحمر لذلك

ثم حدثت عداوة بين سلطان المغرب وصاحب الاندلس أدت الى خلع السلطان وارساله مقيداً الى خصمه فبقى عنده محبوسا

فخلفه المتوكل على الله أبو فارس موسى فاستبد عليه وزيره مسعود بن ماساى ودس اليه السم وقتله لما علم انه ينوى الفتك به . فقام بالامر بعده المنتصر بالله أبو زيان محمد فخلع بعد أيام فتولى بعده الواثق بالله ابو زيان محمد بن ابى الفضل وكان قبل ولايته عند ابن الاحمر بالاندلس فاستبد عليه وزيره مسعود واراد استرداد مدينة سبتة من يد صاحب الاندلس فغضب ابن الاحمر غضبا شديداً وأرسل الى المغرب السلطان أبا العباس المخلوع فلما وصل الى مراكش اسرع الناس اليه وخلعوا الواثق بشرط ان يبقي ابن مسعود وزيراً للسلطان فقبل ذلك وابعد الواثق الى الاندلس سنة (٧٧٩) فلما استتب له الامر قبض على الوزير ابن مسعود وحاشيته فأهلكهم تعذيبا والتفت لتنظيم البلاد . وكان شاعراً توفى سنة (٧٩٦)

فخلفه المستنصر بالله أبو فارس وكان شاعراً رقيق القلب لايميل لسفك الدماء توفى سنة (٧٩٩) هـ

فقام بالامر بعده السلطان المستنصر بالله أبو عامر عبد الله وكانت الامور فى مدته بيد وزرائه كما كان الحال على هذا المنوال منذ زمان طويل توفى سنة (٨٠٠) هـ

فتولى بعده ابو سعيد عثمان وكانت سنه ست عشرة سنة فسلم أموره للوزراء وأكب هو على شهواته . وفى مدته استولى البرتغاليون على سبتة واستمروا بها مدة مئتى سنة وهم ان يستولى على جبل طارق بطلب أهله فوقعت بينه وبين صاحب الاندلس حرب انكسر فيها واسر اخوه رئيس الجيش وانما طلب أهل جبل طارق ذلك لاعتقادهم بأن ملوك المغرب أقوى من ملوك الاندلس وان فيهم الكفاية لحمايتهم من غارات الاسبانيين

وأراد صاحب الاندلس الانتقام من ابى سعيد فجهز اخاه عبد الله (اخا السلطان) وأمده بجنود ومال وأرسله الى المغرب للتشغيب فنهض ابو سعيد لمحاربته فدارت الدائرة عليه وقبض عليه فحبسه أخوه الى ان مات سنة (٨٢٣) فاستقامت الاحوال لعبد الله ثم تآمر بعض الثائرين

عليه وقتلوه سنة (٨٢٤)ﻫ فتنازع على الملك اثنان من اخوته وكثر الثائرون ووصل الضعف بنى مرين الى أشد درجاته ثم انتخبوا عبد الحق بن سعيد سلطانا عليهم وهو أطول سلاطين بنى مرين مدة وأعظمهم شقاء ومحنة وكانت أموره كلها موكولة الى الوزراء فى أول عهده

كان البرتغاليون سنة (٨٤١) يريدون فتح طنجة فاستعصت عليهم وأسر قائدهم وقتلت جنودهم

ثم بدا للسلطان عبد الحق أن يتخلص من سلطة وزرائه فأوقع ببنى وطاس وكانوا حجاب الدولة ووزراءها وهم مبدأ كل شر وجرثومته . وأخذ فى حكم البلاد بنفسه مستقلا فكادت تصفو له الاحوال الا انه أغضب الناس لتقريبه اليهود اليه فثار عليه رجال الدولة وخلعوه وولوا عليهم اباعبد الله الحفيد فأوقع الناس فى مدته باليهود وقتلوا منهم عددا عظيما وكان السلطان عبد الحق فى هذه الاثناء غائبا عن دار ملكه فلما عاد وأراد تسكين الثائرة قبض عليه جنوده وضربوا عنقه سنة (٨٦٩) وبه انقرضت دولة بنى مرين بعد أن حكمت مئتين وتسعا وتسعين سنة

أما أما عبد الله الحفيد الذى ولاه الثائرون فلم يكن من بني مرين بل كان نقيباً للاشراف وهو من الادارسة وكان أهل المغرب يعظمون هذا البيت ويجلونه حتى ان بنى مرين كانوا يعتبرون أنفسهم متغلبين على الملك مع وجودهم فبقى هذا الشريف سلطانا وابنه وزيراً له الى سنة (٨٧٥) حتى خلعه ابو الحجاج يوسف الوطاسى سنة (٨٧٥)ﻫ

فى آخر عهد دولة بنى مرين كان البرتغاليون قد استولوا على أكثر ثغور مراكش فاستولوا على سبتة سنة (٨١٨) بعد محاصرتها ست سنين وعلى قصر المجاز أوقصر مصمودة سنة (٨٦٢) وعلى طنجة سنة (٨٦٩) وعلى أصيلا سنة (٨٧٦) وعلى مدينة آنفى وبعض جهات السوس فى السنة المذكورة وغير ذلك بحيث لم يبق من ثغور مراكش بيد أهلها الا القليل

(دولة بنى وطاس) من سنة (٨٧٦ الي ٩٦١)

بنو وطاس فرقة من بنى مرين غير انهم ليسوا من بنى عبد الحق . ولما دخل بنو مرين المغرب واقتسموا أعماله كان لبنى وطاس الريف . وكان بنو الوزير منهم

يسعون الى الرياسة ويرومون الخروج على بنى عبد الحق وتكرر ذلك منهم ثم راضوا انفسهم على الطاعة فاستعملهم بنو عبد الحق عمالا فى الولايات واستظهروا بهم على امور دولتهم

قال ابن خلدون ان بنى الوزير هؤلاء يرون ان نسبهم دخل فى بنى مرين وانهم من اعقاب يوسف بن تاشفين اللمتونى لحقوا بالبدو ونزلوا على بنى وطاس ووشجت فيه عروقهم حتى لبسوا اجلدتهم ولم يزل السر متربصا بين اعينهم لذلك والرياسة شامخة بأنوفهم

اول من ولى السلطنة من بنى وطاس هو السلطان ابو عبد الله محمد الشيخ سنة (٨٧٦) بعد قهره الحفيد. فلما رأى زوال دولة بنى مرين واضطراب امورها جمع جنداً عظيما واستولى على فاس ولما تمت له البيعة التفت لتدويخ البلاد وفى زمنه استولى فرديناند ملك اراغون وروحته ازابلا ملكة قشتالة على مدينة غرناطة سنة (٨٩٧) هـ ومحيت دولة المسلمين من الاندلس وتفرق المسلمون ايدى سبا فذهب غالبهم الى بلاد المغرب الاقصى والى تونس وطرابلس ومصر وغيرها وقدم سلطان غرناطة ابو عبد الله بن الاحمر فاستوطن فاس تحت رعاية السلطان محمد الشيخ بعد ان تقدم اليه بقصيدة من انشاء وزيره ابى عبد الله محمد العربى يقول فى مطلعها :

مولى الملوك ملوك العرب والعجم رعيا لما مثله يرعى من النعم

بك استجرنا ونعم الجار أنت لمن دار الزمان عليه دور منتقم

وهى طويلة وصحبها برسالة غاية فى البلاغة فأقام ابن الاحمر بمدينة فاس بأهله واولاده وحاشيته معززاً مكرما الى ان ادركته الوفاة سنة (٩٤٠) هـ

فى زمن هذا السلطان استولى البرتغال على ساحل البريجة بين ازميرو تيط وشيدوا بها مدينة محصنة ولم يكتف البرتغال بذلك بل استولوا على سواحل السوس فاحتلوا مدينة اغادير. توفى السلطان محمد الشيخ سنة (٩١٠)

فبويع ابنه محمد الملقب بالبرتغالى وفى عصره استولي البرتغاليون على أكثر الثغور المراكشية وضايقوا المغاربة اشد المضايقة فاشتغل السلطان بحربهم عن النظر فى امور الرعية فكان ذلك تمهيداً

لانقلاب هذه الدولة وظهور دولة الاشراف السعديين سنة (٩١٥)

واستولى البرتغاليون على ثغر ازمور ثم ثغر المعمور سنة (٩٢١) لان السلطان استرد هذا الاخير

فى عهد هذا السلطان استفحل أمر الاشراف السعديين بجهات السوس وطرد سلطانهم أبو العباس الاعرج البرتغال من تلك الجهات ودخل فى طاعة أهل مراكش فانتقل اليها سنة (٩٣٠) بعد أن انتزعها من يد بنى وطاس وكانت وفاة هذا السلطان الوطاسى سنة (٩٣١) فقام بالامر من بعده أخوه أبو حسون فقبض عليه أحد أقاربه وخلعه فى تلك السنة

فقام بالملك بعده السلطان أبو العباس أحمد سنة (٩٣٢) فحدثت بينه وبين السعديين وقائع انتهى أمرها بالصلح سنة (٩٤٠) وقسمت البلاد بين الفريقين ثم انتشب القتال بينهما ودام أياما فانهزم الوطاسيون سنة (٩٤٣)

ثم حدث قتال آخر انتصر فيه السعديون أيضا سنة (٩٥٢) فاستولى سلطانهم محمد الشيخ السعدى على مكناسة سنة (٩٥٥) ثم افتتح فاسا بعد وفاة أبى العباس الوطاسى سنة (٩٦٠) فاستقل الشيخ السعدى بأمر المغرب

ثم خلفه ابو حسون الوطاسى مرة ثانية وكان قد فر الى الجزائر واستنجد بالعثمانيين الذين كانوا استولوا على المغرب الاوسط وانتزعوه من يد بنى زيان فأنجدوه بجيش تحت قيادة صالح باشا فاستولى على فاس بعد حروب عنيفة سنة (٩٦١) ثم جمع أبو حسون اموالا جزيلة واعطاها للعثمانيين وصرفهم وتخلف منهم نفر يسير

أما السلطان محمد الشيخ السعدى ففر الى مراكش واستنفر العرب لقتال ابى حسون فلما التقى الجمعان انهزم أبو حسون واستولى السعدى على فاس سنة (٩٦١) وقتل ابو حسون وبه انقرضت دولة الوطاسيين أو الدوله المرينية الثانية من المغرب

وكانت البرتغال تمنى نفسها بالاستيلاء على مراكش لذلك كانت من أكبر العوامل فى وقوع الفتن بين الحفصيين فى افريقية وبين بنى مرين والوطاسيين فى مراكش وكان من وراء هذا الاضطراب ضعف ملوك غرناطة بالاندلس حتى تم الامر بتغلب الاسبانيين عليهم هناك ثم

طمحوا الى الاستيلاء على مراكش أيضا فأخذوا بجاية سنة (٩١٠) ووهران سنة (٩١٤) وأخذوا غيرها وضعف بنو زيان عن مقاومتهم ثم أرادوا التغلب على مدينة الجزائر فصدهم عنها خير الدين باشا باربروس وأخوه أوروج كما تراه فى تاريخ الجزائر

(دولة الاشراف السعديين) من سنة (٩١٥ الى ١٠٦٩)

كان أصلهم من ينبع النخل من أرض الحجاز ينتسبون الى محمد النفس الزكية بن الحسن السبط بن علي رضى الله عنهم وكان السبب فى قدومهم الى المغرب ان أهل درعة كانت لا تصلح ثمارهم فقيل لهم لو أسكنتم بين ظهرانيكم أحد الاشراف لصلحت زراعتكم كما صلحت ثمار أهل سجلماسة بسبب شريف أقاموه لديهم فأتى أهل درعة بالمولى زيدان بن أحمد وسموا بالسعديين تفاؤلا بهم

أول ملوكهم القائم بأمر الله أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن كان أول أمره بالسوس وقت أن أحاطت به البرتغال فانقاد الناس اليه لعدم وجود أمير تجتمع عليه كلمة المسلمين هناك فلما بايعه الناس انتدبهم لمكافحة البرتغال من مقاموا معه سنة (٩١٧) فتغلب عليهم وطردهم من البلدان التى كانوا قد احتلوها فقويت شوكته وزادت محبة الناس فيه ثم توفى سنة (٩٢٣)

فقام بالامر بعده ابنه السلطان أبو العباس أحمد فبايعه الناس فجمع الجنود وشن الغارات على البرتغاليين المحتلين لثغور السوس فتمكن من اجلائهم عنها ولما طار صيته ودخلت جميع البلاد السوسية فى حكمه كاتبه أمراء مراكش يرومون الدخول فى طاعته فسار اليهم ودخل مراكش سنة (٩٣٠) فأتى اليه الملك أبو عبد الله الوطاسى الملقب بالبرتغالى

وكان لابى العباس أخ يدعى بأبى عبد الله محمد الشيخ وكان الوفاق سائداً بينهما حتى تدخل بينهما الوشاة فحدثت بينهما فتن وغلب أبو عبد الله محمد الشيخ على أخيه ابى العباس فقبض عليه وعلى أولاده وأتباعه وسجنهم وذلك سنة (٩٤٦)

لما استقل السلطان أبو عبد الله محمد الشيخ ببلاد السوس وصرف همته الى جهاد العدو الذى كان لا يزال له بعض الجهات الساحلية والحصون البحرية فانتصر عليهم

وطردهم من تلك النواحي سنة (٩٤٨) هـ الموافقة لسنة (١٥٤٢)م ثم هاجم مراكش فافتتحها وخلص له ما كان بيد أخيه المخلوع سنة (٩٥١) هـ ثم طمحت نفسه للاستيلاء على بقية المغرب وأمصاره ودساكره وقطع دابر الوطاسيين فما زال يفتحها بلداً بلداً حتى استولى على مكناسة سنة (٩٥٥) هـ ولما دخل بها قبض على جميع الوساطيين وأرسلهم مكبلين بالحديد الى مراكش الا أبا حسون فانه فر الى الجزائر والتجأ الى العثمانيين فأعانوه كما مر ثم تاقت نفسه لفتح تلمسان وكان قد استولى عليها حسن باشا ابن خير الدين باشا باربارس ففتحها الا أنها لم تدم فى يده فان العثمانيين كروا عليها واستنقذوها منه سنة (٩٥٧) فعاد الى فاس

ولما استولى أبو حسون بمساعدة العثمانيين على فاس كما مر وفر منها أبو عبد الله الشيخ ثم عاد اليها ثانية صفا له أمر المغرب ودانت له أقطاره سنة (٩٦٠)

وكان هذا السلطان يحقد على العثمانيين لاستيلائهم على المغرب الاوسط ويطيل لسانه بسب السلطان سليمان القانونى فأضمر له هؤلاء الشر وقاتلوه فى مملكته وقتلوه سنة (٩٦٤)

كان هذا السلطان بغطا ماضى العزيمة عالى الكعب فى العلم حتى عد من الائمة فى زمنه وكثيراً ما كان ينشد :

الناس كالناس والايام واحدة
والدهر كالدهر والدنيا لمن غلبا

ولما بلغ اهل مراكش قتله بادروا فقتلوا ابا العباس الاعرج المخلوع وأولاده جميعاً مخافة أن يبايعه الناس

تولى بعده ولده السلطان ابو محمد عبد الله الغالب بالله سنة (٩٦٤) هـ فبايعه أهل فاس ثم أهل مراكش فأخذ يصلح أمور الناس وفى السنة الاولى من سنى حكمه أغار عليه حسن باشا بن خير الدين باشا الا انه رجع مهروما ولكنه كان يرسل بأسطوله الى حجر باديس وطنجة فيديم الاغارة عليها فاتفق السلطان أبو محمد مع الاسبانيين على العثمانيين وتنازل لهم فى مقابل ذلك عن مدينة حجر بادس

فى مدة هذا السلطان قصد البرتغال الاستيلاء على بعض سواحل مملكة المغرب الاقصى فطهرت زوبعة عظيمة ألقت بأسطولهم على الشاطىء فتحطم فاستولى المغاربة على ما كان فيه من الاموال والذخائر وكان فيه ١٥٠٠ مدفع فركبوها فى معاقلهم

سنة (٩٨٠)

توفى هذا السلطان سنة (٩٨١) فقام بالامر من بعده أبو عبد الله محمد المتوكل على الله سنة (٩٨١) فلما كانت سنة (٩٨٣) قدم عليه عمه عبد الملك بن الشيخ بجيش من الترك فبدد ملكه وفر المتوكل واستولى عبد الملك الملقب بالمعتصم على فاس ومراكش وغيرهما ثم عاد المتوكل فاستولى عليها بمساعدة البرتغاليين وكان وعدهم بجميع سواحل المغرب

ثم تقدم المتوكل بجيش فيه ١٢٥٠٠٠ مقاتل ومعه حليفه ملك البرتغال لقتال عبد الملك فلما صادفوه حدث بين الفريقين قتال عنيف انتهى بانتصار جيش عبد الملك وكان قد مات فى خيمته وقتل ملك البرتغال غريقا فى نهر وقتل المتوكل أيضا فصفا الملك لعبد الملك وكان يتريا بزى الاتراك ويقلدهم فى كثير من شؤونه

ثم قام بالامر بعده الشريف ابو العباس احمد المنصور بالله سنة (٩٨٦) هـ فأظهر انه نسى ماللعثمانيين عليه من الحقوق لانهم كانوا السبب فى اجلاسه على ذلك العرش فحدث نفور بينه وبين السلطان مراد بن السلطان سليم فأمر السلطان قائد الاساطيل أن يتجهز للذهاب الى بلاد المغرب الاقصى فاتصل الخبر بالمنصور من السفير الانجليزى فهاله هذا الامر وأرسل الى الآستانة رسلا يعتذرون للسلطان وحملهم هدايا فاخرة اليه فعفا السلطان مراد عنه وأرسل اليه رسلا يلومونه على مافرط منه فى جنب سلطان العثمانيين وكان ذلك سنة (٩٨٩)

اتسع ملك السلطان المنصور هذا حتى استولى على تومبكتو وكاغو وغيرها من بلاد السودان وهادنه ملوك التكرور كملك بورنو وغيره

كان هذا السلطان من أجل ملوك الغرب بنى المبانى العظيمة منها القصر المشهور المسمى بالبديع صرف عليه مالا طائلا فرشه بالرخام والفسيفساء والطنافس والحرير وكانت وفاته سنة (١٠١٢) هـ بالوباء الذى كان انتشر فى تلك السنين

تولى بعده ابنه السلطان الشريف أبو المعالى زيدان وبايعته البلاد الا مراكش فانها بايعت أخاه أبا فارس فلما علم زيدان بذلك جهز جيشاً لقتال أخيه وأعطى قيادته لأخيه المدعو الشيخ ولكن انحرف الناس عن زيدان الى أخويه أبى فارس

والشيخ وتسللت عنه الجنود اليهما فلم يسع زيدان الا الفرار الى فاس متحصنا بها فانحرف عنه أهلها أيضاً ففر الى تلمسان تاركا البلاد لأخويه سنة (١٠١٢) فصفت البلاد للشيخ ثم لما ظهرت منه النوايا السيئة والسيرة المعوجة كرهه الناس . وأرسل جيشا لمحاربة أخيه أبي فارس تحت قيادة ابنه عبد الله فانهزم أبو فارس ودخل جيش الشيخ مراكش فاستباحها ونهبها واشتغل باللذات وشرب الخمر متجاهراً بالمعاصي فلم يسع أهل مراكش الا مكاتبة زيدان فحضر اليهم فقابلوه بالترحاب وتحزبوا معه وقتلوا حاكمهم الذي ولاه عليهم الشيخ وخرج عبدالله ابنه فاراً من أهل فاس بعد أن قتلوا من رجاله مقتلة عظيمة سنة (١٠١٠) ه

فلما رأى الشيخ ذلك جهز ابنه عبدالله بجيش عظيم لاسترداد مراكش فأرسل اليه زيدان قائده المدعو مصطفى باشا بجيش عظيم فانهزم ثم تقدم عبدالله الى مراكش فبرز اليه أهلها فى جيش جرار ولكنهم انهزموا ودخل عبدالله مراكش . ففر زيدان الى الجبال فأفحش عبدالله فى تقتيل خصومه والتضييق على الاهالى فهرب جانب كبير منهم الى الجبال واتفقوا فيما بينهم على تولية محمد بن عبد المؤمن بن السلطان الشريف محمد الشيخ فخرج عبد الله لقتالهم فانهزم وتشتت أصحابه حتى وصلوا الى فاس فى حالة سيئة

أما محمد بن عبد المؤمن فانه لما دخل مراكش صفح عن الذين تخلفوا عن جيش عبد الله بن الشيخ فكان ذلك سبباً فى توغر الصدور عليه فكاتب أهل مراكش الشريف زيدان فأتاهم وفر ابن عبد المؤمن فصفح هو أيضا عن الفئة المتخلفة عن عبد الله بن الشيخ

فأرسل الشيخ ابنه لفتح مراكش مرة ثالثة فانهزم ووقع معسكره فى يد السلطان زيدان وانضم اليه جيش عبدالله فاستفحل أمره فخاف الشيخ عاقبة هذه الهزيمة ففر الى العرائش فتبعه ابنه اليها ومنها ركب البحر الى فيليب الثانى ملك الاسبانيين مستصرخا به على السلطان زيدان سنة (١٠١٧)

ولما استقر زيدان بفاس بلغه قيام ثورة بمراكش فزحف اليها مسرعا واستخلف على فاس قائده مصطفى باشا فلما علم عبد الله بن الشيخ ذلك زحف

على فاس فبرز اليه مصطفى باشا فانهزم وقتل فدخل عبد الله بن الشيخ فاسا مع عمه أبي فارس سنة (١٠١٨) فأقبل زيدان مسرعا ففر عبدالله واستتب الامر لزيدان

ثم وقعت الحرب بين زيدان وعبدالله فانهزم الاول ورجع الى فاس وصرف همته الى ضبط البلاد في داخلها وتوارث بنوه السلطة من بعده وبقي عبد الله بن الشيخ بفاس الى أن مات وقام بالامر بعده بتلك المدينة ثوارها

فقدم قولنا ان الشيخ فر الى ملك الاسبانيين مستنجداً به فلم ينجده الا في مقابل تنازله عن العرائش وابقاء أولاده رهناً عنده فقبل الشيخ ذلك وأقبل بجنود الاسبانيين فأخلى لهم ثغر العرائش فهاج الناس لذلك وملجوا وأفتى العلماء بوجوب الاجتماع عليه لذمه فاحتال على الناس بحيلة وذلك انه ادعى ان الاسبانيين أسروه وأولاده ولم يفكوا أسرهم الا بعد أن شرط لهم ثغر العرائش ثم استفتى العلماء هل يجوز لامير المؤمنين أن يفعل ذلك. فأفتوا بالجواز لاسيما وهو بضعة من رسول الله ولكنه لفساد سيرته وتجاهره بالعصيان كرهه الناس واجتمعوا عليه وقتلوه سنة (١٠٢٢)

وكان زيدان مشتغلا بمحاربة اخوته ومازال على ذلك حتى توفي سنة (١٠٣٧)

فقام بالامر بعده ابنه عبد الملك فخرج عليه أخواه الوليد وأحمد فحاربهما حتى هزمهما وفر أحمد فدخل فاسا وتسلط عليها ثم قتل سنة (١٠٥١) وأما عبد الملك فقد كان فاسقا متهتكا قتل وهو سكران سنة (١٠٤٠) هـ

فتولى بعده أخوه الوليد بن زيدان فلم يجاوز سلطانه مراكش واعمالها كما كان عليه الحال أيام أبيه وأخيه واقتسم أولاد زيدان المغرب فكان حاله كحال الاندلس أيام طوائفه فتلاعب الاسبان والبرتغاليون بسياسته فضاعت الفتوحات السودانية واستقل جزء عظيم من بلاد السوس وتوزعه عدد من الخوارج كأبي حسون السلالي وغيره. ثم كن بعض الجنود للسلطان فقتلوه سنة (١٠٤٤) فأجمع أرباب القوه على تولية أخيه محمد الشيخ فأخرجوه من سجنه فسار في الناس سيرة العادلين وتوفي سنة (١٠٦٤)

فتولى بعده ابنه أبو العباس أحمد

فلم يستقر لهم امر لأن أخواله قويت شوكتهم فى ايامه ورامو الاستبداد بالملك فحاصروه فى مراكش ثم قبضوا عليه وقتلوه وأقبلوا الى مراكش سنة (١٠٦٦) فولوا عليهم أميرهم عبد الكريم بن أبى بكر الشيبانى وبقتل السلطان أبى العباس احمد انقرضت دولة السعديين من آل زيدان وكانت مدة ولايتها مئة وخمسين سنة وقام بمراكش دولة صغيرة تعرف بدولة الشبانات وأولها الرئيس عبد الكريم بويع له سنة (١٠٦٩) فسار سيرة حسنة حتى مات سنة (١٠٧٩) ثم خلفه ابنه ابو بكر بن عبد الكريم وبقى فى مراكش الى ان قدم المولى الرشيد وقبض عليه وعلى عشيرته فقتلهم ثم تتبع الشبانات حتى أفنام

(دولة الاشراف السجلماسيين)

يتصل نسب سلاطين هذه الدولة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال العلماء ماولى المغرب بعد الادارسة أصبح نسباً من هذه الاسرة أصلهم من ينبع النخل بأرض الحجاز وكان أول من دخل منهم المغرب المولى حسن بن قاسم فى أواخر المئة السابعة فى أول عهد الدولة المرينية وقيل ان سبب مجيئه الى سجلماسة هو اعلاء قدر الدولة المرينية لأنها لماأتت رفعت قدر الاشراف واحترمتهم ولم يكن بسجلماسة أحد من آل البيت النبوى . وكان حسن المذكور عالماً ملما بكثير من العلوم صالحا زاهداً بقى بين أهل سجلماسة يعظلهم ويهديهم حتى مات وكان له ولد يدعى محمداً فقام مقامه فى الوعظ والارشاد ومازال محترماً بين أهل سجلماسة هو وأولاده من بعده الى أن نبغ منهم المولى أبو الحسن على الشريف الذى دعاه اهل غرناطة لما ضايقهم الاعداء يلتمسون منه ان يكون شيخا للغزاة وتنازلوا له ولمن يحضر معه عن أموال جزيلة برسم الجهاد

ومن اولاده السيد على المثنى وهو جد الاشراف الحاليين الحاكين بمراكش وكان له ولد يدعى الشريف محمداً وهو أول من تولى الرياسة منهم . ولما تفاقم أمر المغرب فى أواخر دولة الاشراف السعديين وكثر به الثوار استصرخ الشريف محمد بأبى حسون السملالى صاحب بلاد السوس اذ ذاك فأسرع فى تلبية طلبه على رأس جيش عظيم سنة (١٠٤٣) ثم دخل الوشاة والساعون بين ابى حسون وبين الشريف حتى حدثت

بينهما وحشة فكتب أبو حسون لعامله على سجلماسة أن يقبض على الشريف ويرسله اليه مكبلا بالحديد فلما وصل اليه اعتقله حتى أفتكه ولده محمد بمال جزيل سنة (١٠٤٧) ه وأقام بسجلماسة الى أن توفى سنة (١٠٦٩)

بينما كان الشريف فى حبسه كان ابنه محمد يسعى فى تأليف القلوب عليه وجمع جيشاً ليرد به خصومه فتم له ذلك بسبب ماكان عليه عمال أبى حسون من سوء السيرة ثم أوقع بعمال أبى حسون وطردهم بعد قتال شديد ولما اشتد ساعده بايعه حزبه سنة (١٠٥٠) فى حياة أبيه ووافق على بيعته أهل الحل والعقد بسلجماسة فاجتهد المولى محمد فى مكافحة أبى حسون فانتصر الاول وانهزم الثانى الى بلاد السوس . واستولى محمد على درعة وأعمالها فاتسعت مملكته . ثم وقعت الحرب بينه وبين صاحب فاس ومكناسة الرئيس عبد الله محمد الحاج الدلائى فهزم أولا محمد الشريف وتصالحا ثم تحاربا فانهزم صاحب فاس، واستولى محمد بن الشريف عليها سنة (١٠٦٠) ثم اضطر لتركها واستولى عليها محمد الحاج ثانية وجعل عليها محمداً أميراً . أما الشريف محمد فترك فاسا ووجه مطامعه الى جهات تلمسان فأخضع قسما من بنى بزناسن وهزم جيشاً تركيا كان قد خرج لرده من تلمسان سنة (١٠٦٠) وأخذ يشن الغارات على المغرب الاوسط حتى كاد يزعزع سلطنة العثمانيين هناك فاضطر عثمان باشا والى الجزائر أن يجهز له جيشاً ليرده فلما بلغ الشريف الخبر ولى راجعاً الى بلاده

ثم خرج عليه أخوه المولى الرشيد ابن الشريف بعد وفاة أبيه وحاربه فمات المولى محمد فى القتال برصاصة وصلت اليه سنة (١٠٧٥)

فقام بالامر بعده المولى الرشيد ففتح تازا وسجلماسة بعد أن حاصرها تسعة أشهر وكانت تحت سلطة ابن أخيه المولى محمد الصغير . وفى سنة (١٠٧٦) استولى على مدينة فاس بعد أن قتل من أهلها عدداً عظيما ثم مال على الثوار والخوارج فأفناهم أو شردهم ثم خرج قاصداً مراكش فاستولى عليها وقتل أميرها أبا بكر عبد الكريم الشيبانى . وكان على السوس بنو حسون فسار اليهم سنة (١٠٧٨) وافتتح بلادهم ثم توفى سنة (١٠٨٢)

جمح به فرسه فى بستان فأصابه فرع شجرة فهشم رأسه يوم عيد الاضحى

وفى عهده أى سنة (١٠٧٩) تنازل البرتغاليون عن سبتة . والرشيد هذا أول من ضرب فلوس النحاس مستديرة وكانت مربعة

تولى بعده أخوه المظفر بالله أبو النصر الشريف اسماعيل وكان سنه ستا وعشرين سنة فخرج عليه ابن أخيه المولى أبو العباس احمد والتف عليه طوائف من بلاد السوس ودخل فى طاعته أهل مراكش فخرج اليهم وقاتلهم وهزمهم ودخل مراكش عنوة سنة (١٠٨٣) فعفا عن أهلها . ثم عصى عليه أهل فاس وقتلوا قائده وأعلنوا دعوة أبى العباس احمد ثم التقى بأبى العباس أحمد وظفر به وقتله سنة (١٠٨٤) ثم حاصر فاسا فأذعن أهلها له فعفا عنهم

وكانت مدينة مكناسة الزيتون قد بناها البربر قبل الاسلام ولما جاء الموحدون فتحوها ثم أخربوها ثم بنوا ابدلها مكناسة الجديدة المسماة تاكرارت فاعتنى بها بنو مرين من بعدهم فشيدوا بها المساجد والمدارس وكانت على عهدهم كرسى الوزارة كما كانت فاس كرسى الامارة فاتخذها المولى اسماعيل القائم بهذه الدولة عاصمة له وبنى بها قصوره وجعل لها سورا حصيناً وفرض العمل على القبائل مناوبة وفرض الصناع وأهل الحرف على الحواضر واتخذ له جيشا من السودان وجعله فرقا وطوائف مرتبة يختلف بترتيبه ماعهده أهل المغرب وبذلك استغنى عن الانتصار بالقبائل ثم ان المولى اسماعيل قصد المغرب الأوسط بجيش عظيم ولما علم والى الجزائر بذلك أرسل جيشا من الترك لصده فلما رأى العرب عظم جيش الترك وجودة أسلحته ومدافعه تسللوا من حول المولى اسماعيل ولم يبق معه الا الجيش الذى أتى معه من مكناسة فلما رأى ذلك إرتد بلا قتال سنة (١٠٨٩)

ثم خرج عليه اخوته الثلاثة فأوقع بهم ثم أخذ فى محاربة الاسبانيين لاخراجهم من البلدان التى كانوا استولوا عليها بالمغرب فأرسل قائده على بن عبد الله فافتتح المعمورة المسماة بالمهدية عنوة سنة (١٠٩٢) ثم التفت الى مدينة طنجة وكان أخذها الانجليز من البرتغال فحاصرها وشدد عليها الخناق فتركها الانجليز سنة (١٠٩٥) بعد أن اخربوها وهدموا

أسوارها . وفتح أيضا مدينة العرائش وكانت بيد الاسبانيين سنة (١١٠٠ هـ) ووقعت حاميتها بيد المراكشيين قبل أن لويز الرابع عشر ساعد المراكشيين على فتحها بارساله أسطولا منع عنها المدد من جهة البحر

ثم توجه لمحاصرة أصيلا وكانت بيد الاسبانيين فملكها سنة (١١٠٢) ثم سار الى سبتة فلم يتيسر فتحها

ثم بدا له أن يقسم الملك على أولاده حتى لا يتنازعوا بعد موته ثم توفى سنة (١١٣٩) بعد أن لبث فى الملك سبعا وخمسين سنة حتى كان جهلة الأعراب يعتقدون أنه خالد لا يموت . وكان بعض أولاده يعبر عنه بالحى الدائم

فى سنة (١١٩٢) أراد الملك لويز الرابع عشر إحكام الوصلة بينه وبين المولى اسماعيل وأحب المولى اسماعيل أيضاً الارتباط مع لويز لمساعدته على العثمانيين بالجزائر والاسبانيين المستولين على بعض ثغوره فحصلت مخابرة بين الطرفين وأرسل السلطان اسماعيل من بلاده وفداً لملك فرنسا معه كتاب بتفويض حق المخابرة فى أمر المعاهدة لرئيس ذلك الوفد كما أن له الحق فى التصديق على الاتفاق وأوصى السلطان أيضا رئيس ذلك الوفد فى أن يفاتح ملك فرنسا فى أمر اقترانه باحدى أميرات الاسرة المالكة فى فرنسا وهى الاميرة دوكونتى تأييداً لروابط المحبة بين المملكتين الا أن هذا الوفد لم يصادف نجاحا فضعف ما كان لفرنسا من النفوذ فى مراكش

كان هذا السلطان واسع الملك فقد بلغ ملكه جنوبا الى تخوم السودان وانتهت الى ما وراء نيل السودان وهو نهر النيجر وشرقا الى بسكرة من بلاد الجريد من نواحى تلمسان وكان شغفا بالعمارة حتى ان له آثاراً باقية الى الآن

قال صاحب الاستقصاء : أما مبانيه بقلعة مكناسة وقصوره ومساجده ومدارسه وبساتينه فشىء فوق المعهود بحيث تعجز عنه الدول القديمة والحديثة من الفرس واليونان والروم والعرب والترك فلا يلحق ضخامة مصانعه ما شيده الاكاسرة بالمدائن ولا الفراعنة بمصر ولا ملوك الروم برومة والقسطنطينية ولا اليونان بانطاكية والاسكندرية ولا ملوك الاسلام ودولهم العظام كبنى أمية بدمشق وبنى العباس ببغداد والعبيديين بافريقية ومصر

والمرابطين والموحدين وبني مرين والسعديين بالمغرب . انتهى كلامه

نقول في هذا الكلام غلو عظيم لا يصح ان يصدر من مؤرخ على انه يدل في الجملة على ماكان لهذا السلطان من المباني العظيمة

قام بالامر بعده ابنه السلطان المولى أبو العباس احمد المعروف بالذهبي فافتتح أعماله بقتل عمال أبيه وأركان دولته وكان ذلك باشارة قادة جيش العبيد العظام الذي ألفه والده اذ استبدوا بالامر . وقد خرج عليه الثوار فاشتغل عنهم بلذ اته وترك الناس وشأنهم فانحطت هيبة الملك وتفكك نظامه ولا سيما مع ما أصيب به من قتل أساطينه الذين كانوا قوامه وكان ذلك ما يوده العبيد فانهم شغلوا مناصب الدولة وامتدت أيديهم بالنهب والسلب وكثرت الشكايات منهم الى السلطان . ثم اتفق أهل فاس مع أولئك العبيد على خلع هذا السلطان وتولية أخيه المولى عبد الملك ثم خلعوه وسجنوه سنة (١١٤٠) ه لما علموا أنه هم بتطهير ديوانه من العبيد الا أنه لم يحكم التدبير في ذلك فعاجلوه بالخلع وبايعوا المولى أبا مروان عبد الملك فأساء السيرة فاختلطت عليه الأمور ونقم عليه العبيد أيضاً لحبس يده عنهم بالعطاء فأراد أن يوقع النفور بينهم وبين البربر ليأمن شر الطائفتين ففطن العبيد لذلك واحتاطوا لانفسهم وعزموا على خلعه ورد أبي العباس الى الملك فأرسل اليهم بالوعاظ والنصحاء فلم يزدادوا الانفوراً منه ثم نفذوا ماصمموا عليه وأعادوا أبا العباس الى الملك ثانية سنة (١١٤٠)

الا أن أهل فاس عزموا على تأييد المولى أبي مروان فأرسل اليهم أبو العباس يعظهم وينهاهم ويخوفهم عاقبة الفتنة فلم تصادف نذره هوى من نفوسهم وأغلقوا أبواب مدينتهم وتحصنوا بها فأرسل المولى العباس الجيوش لقتالهم فنصب المدافع والمهاريس فدك أسوارها وأخرب دورها واجتاح مزارعها فاضطر أهل المدينة للتسليم فقبض أبو العباس على أخيه ونفاه الى مكناسة ومرض السلطان فلما أحس بالموت أمر بخنق أخية سنة (١١٤١)

فقام بالامر بعده المولى عبد الله بن اسماعيل وكان بسجلماسة فأقبل مسرعا حتى قدم على فاس فاستقبله أهلها بالترحاب فلما استتب له الامر سعى الوشاة بينه وبين

أهل فاس فنع اعطياتهم وجاهر بعداوتهم فنادوا بخلعه فسار اليهم بجيش جرار وحاصرهم وامر جنوده بتخريب مزارعهم وطم انهارهم فانحبس عنهم الماء وأمر قادة مدافعه باطلاقها عليهم ليلا ونهاراً سنة (١١٤٣) فاضطروا لمصالحته

ثم نهض لقتال البربر الذين كانوا خرجوا عليه فأوقع بهم ثم عرج على اهل فاس فأوغل فيهم قتلا وهدم مدينة الرياض من حضرة مكناسة وكانت تحتوى على قصور شامخة وذلك أنه أمر جنوده بهدم تلك القصور على الناس وهم نيام فيها فلم يشعر والاوالبيوت تتداعى عليهم بالسقوط فنفر أهلها وتشتتوا فى الفلاة فلم تمض عشرة أيام حتى صارت مدينة الرياض قاعا صفصفا فنفر منه الناس فأمر جنوده بالاسراف فى القتل فلما رأى أن الامة قد امتلأ صدرها غيظا منه أمر بحشد الجيوش لمقاتلة القبائل العاصية وذلك لتمنع الناس من التألب عليه وولى على فاس عاملا وأمره بارهاق اهلها بالمظالم فهاجر أكثرهم الى مصر وتونس والشام وغيرها ولم يبق بفاس الاالضعفاء والنساء وكان ذلك سنة (١١٤٥)

وكان هذا السلطان قد أوغل فى قتل العبيد أيضاً حتى قيل أنه أباد منهم نحو عشرة آلاف نسمة فحقدوا عليه وعزموا على عزله وقتله فلما شعر بالخطر هرب الى بلاد السوس فأقام بها ثلاث سنين

فاجتمع العبيد وبايعوا المولى أباالحسن ابن اسماعيل المعروف بالاعرج وكان بسجلماسة سنة (١١٤٧) ثم بايعه أهل فاس ومكناسة ثم انتقض عليه أهل فاس ثم زال مابينهم

فنهض السلطان المخلوع يريد القبض على زمام السلطة ثانية وساعده على ذلك طائفة من الجنود ففر ابو الحسن الى بعض قبائل العرب وأقام لديهم عدة سنين معرضا عن الملك الى أن رجع الى مكناسة فاستوطنها باشارة أخيه السلطان المولى عبد الله

ثم قبض عليه العبيد وأرسلوه الى أخيه بدعوى أنه أفسد عليهم بلادهم فأرسله أخوه الى سجلماسة فأقام بها الى أن مات

لما فر السلطان المولى أبو الحسن من مكناسة واجتمعت كلمة الجنود على بيعة السلطان عبد الله لم يستقم امره بل

عاد الى سالف سيرته من تقتيل الأعيان والقادة فخلع أهل فاس ومكناسة طاعته سنة (١١٥٠) وبايعوا اخاه محمد بن عربية وكان مختفيا بفاس وبايعه العبيد أيضا ففر السلطان عبد الله الى بلاد البربر ثم قدمت الوفود من جميع الاقطار على المولى محمد فأكرمهم واحترمهم وفرق ماكان عنده من المال فلم يقنعهم ذلك فاضطر لخوفه منهم ان يطلق يده فى النهب والسلب واستخراج المدفون والأقوات من دور أهل مكناسة فكثر الهرج وعمت الفتنة وفر الناس وانقطعت السبل وامتنع الخراج فأخذ السلطان فى مصادرة الأغنياء من أهل فاس ومكناسة فعظمت المحنة وامتلأت الطريق باللصوص حتى صار أهل المدن لا يستطيعون الانتقال من بلد الى بلد وهلك من الناس عدد عظيم والسلطان غير مبال بذلك كله مرضاة للعبيد أهل الحل والعقد فى تلك المملكة ثم ثاروا عليه وقيدوه بالحديد واستقدموا اخاه المولى المستضىء بن اسماعيل من سجلماسة سنة (١١٥١)

أول عمل أتاه المستضىء تغريب اخيه مكبلا بالحديد الى سجلماسة ثم أخذ يفيض العطايا على العبيد وهم لا يرضون ففرض على الناس المغارم والتكاليف فلم يكفهم ذلك فأخذ يبيع الابواب النحاسية بقصوره ومداخرات أسلافه فلم يرضوا بذلك كله ثم شغبوا ففر منهم الى مراكش سنة (١١٥٢) وكان أهلها قد بايعوه

فبايع العبيد المولى عبد الله سنة (١١٥٣) فلم يرض ان يدخل مكناسة خشية من انتقاض أهلها فاستبد بها العبيد وأحدثوا بها من المظالم مالا يوصف ثم دخلها فقتل منها خلقا كثيراً واطلق يد العبيد فيهم فأذاقوهم أنواع العذاب . ثم شغب العبيد عليه ففر الى فاس ومنها الى بلاد البربر

فاستقدم العبيد المولى زين العابدين ابن اسماعيل وكان بطنجة فولوه سنة (١١٥٤) وبايعه الناس الا أهل فاس وكان من العدل بحيث لم يرد أن يغتصب أموال الناس فاضطر لانقاص رواتب العبيد فشغبوا عليه وكان المولى عبد الله مقيما بجبال البربر منتظراً الفرص فلما رأى ماحل بالمولى زين العابدين من انفضاض العبيد من حوله دخل فاسا سنة (١١٥٤) فضاق لذلك صدر زين العابدين وترك مكناسة الى حيث يأمن على نفسه وكان ذلك آخر

العهد به

فاتفق العبيد على اعادة المولى عبد الله وفرح به الناس الا انه لم يزايل جبال البربر ولم يدخل الى مكناسة دار الملك فغضب العبيد لذلك واستدعوا المستضىء من مراكش ليبايعوه فأقبل اليهم سنة (١١٥٥) أما المولى عبد الله فانه وفق بين البربر وأهل فاس وجمع منهم جيشا عظيما فحالفوه على الموت دونه فأقبل بهم ودخل مكناسة فلما رأى العبيد أن لا طاقة لهم على حرب هذا الجيش الضخم فروا ونجوا بأنفسهم

وفى السنة التالية استعان المولى المستضىء على المولى عبد الله بالباشا أبى العباس الريفى فأمده بجيوش لا تحصى واستنصر المولى عبد الله بقبائل البربر وأهل فاس ثم دارت رحى الحرب فانهزم المولى المستضىء وغنم منه جيش المولى عبد الله ما كان معه من المدافع والبارود والاموال وعد الناس هذا النصر فتحا عظيما

ثم ان المستضىء جمع جموعا أخرى بمساعدة وزيره الباشا أبا العباس الريفى وكان عالى الهمة مقداما ووقعت حرب عنيفة انهزم فيها المستضىء أيضا وغنم المولى عبد الله جميع ما كان معه وقتل الريفى فى هذه الوقعة

ثم قصد المولى عبد الله طنجة لفتحها فصادفه المستضىء فى الاثنين الثامن جنوده فوقعت الحرب ودارت الدائرة عليه أيضا سنة (١١٥٦) ثم أن أهل مراكش رفضوا بيعة المستضىء ومنعوه دخول مدينتهم ودانوا للمولى عبد الله سنة (١١٥٨) وما زالت البلاد تأبى امارة المستضىء الى أن استقر بطنجة راضيا من الغنيمة بالاياب

ثم دخل أهل مراكش بعد ذلك فى طاعة المولى عبد الله فلم يراع حق ما خوله الله من النعمة بل أخذ يأتى من الاعمال مالا يتفق مع العقل والعدل فكرهه الناس فزحف عليه البربر بجموعهم ففر الى مكناسة وجرت بينه وبين أهل فاس أمور وأمور ثم عادوا الى طاعته ثم تألب عليه العبيد وعزلوه وولوا ابنه محمداً سنة (١١٧٢) بمكناسة وبعثوا اليه ببيعتهم وهو بمراكش الا انه رد بيعتهم وعاتبهم على ما ارتكبوه ضد والده وتألفهم بالمال

أما المولى عبد الله فانه عاوده صوابه وأخذ فى استصلاح أمر الرعية وتأليفها على حبه ووزع على العبيد أموالا طائلة ولما

ورد المولى محمد بن عبد الله الى مكناسة وجد العبيد لا يزالون يخطبون باسمه فقال لهم انى بريء مما تفعلونه واظهرلهم كراهته لذلك فراجعوا والده ودخلوا فى طاعته وكانت هذه الرجعة السابعة لوالده فان العبيد خلعوه قبل هذه المرة ست مرات

توفى المولى عبد الله سنة (١١٧١)

ومن اعماله انه عقد معاهدة مع الفلمنك اذن لهم فيها فى تعيين قناصل لهم فى بعض مدن المغرب الاقصى

لما توفى المولى عبد الله وكان الناس معه فى شبه فوضى وجهوا وجوههم شطر ولده المولى محمد لما عرفوا من فضله ووفور عقله وحسن تدبيره فبايعوه ولم يتخلف عن بيعته احد من العرب ولا البربر فقصد مكناسة ثم دخل فاسا واصلح امورها ثم اخذ يتفقد الثغور لولوعه بالحروب البحرية فحصن ما يستدعى التحصين منها . ثم اشترى ادوات صنع السفن وارسل الى بلاد السويد فاشترى من هناك اخشابا وبارودا وبعث الى انجلترا من اشترى له منها سفنا ومدافع وكل ما يلزم للقرصنة ولما كان ثغرا المدوتين والعرائش لا يصلحان لايواء السفن الا نحو شهرين فى السنة امر ببناء ثغر الصويرة ليكون ثغراً يقى السفن طول السنة وأحاطه بالأسوار والمدافع وشحن حصونه بالمقاتلة . ثم أخذ يرسل سفنه لتغير على ثغور الفرنج فتأتيه بالغنائم بعد ان تخرب ما تخربه وتقتل من تقتله فاضطرت كثير من الامم الساحلية الى مهادنته

وكانت سفنه قد تعرضت عدة مرات لسفن الفرنسيين فغنمت منها وأسرت كثيراً فاغتاظ الفرنسيون من ذلك فأرسلوا أسطولهم فضرب ثغرسلا بقنابله وهدم كثيراً من دورها سنة (١١٨٠) ثم اضطروا للاقلاع عنها لان حصونها أجابتهم بالمثل وكبدتهم خسائر . فقصدوا ثغر العرائش فأطلقوا عليها المدافع وهدموا كثيراً من دورها ومسجدها سنة (١١٨٩) ثم اقتحموا المرسى بخمسة عشر زورقا فيها نحو ثلاثة آلاف مقاتل معهم ما يحتاجون اليه من الميرة والسلاح والذخيرة وصعدوا على مجرى الوادى الى مراكب السلطان التى كانت هناك فأحرقوا واحدة منها وكسروا اخرى بالمعاول فتكاثر عليهم جنود المغرب حتى ردوهم فهموا بالرجوع فوجدوا ان المغاربة قد سدوا فم المرسى

واقاموا لهم على صخرة هناك ومنعوهم الخروج وهبت ريح شديد فكانوا كلما تقدموا اليهم خرجوا اردتهم الريح واذا انحازوا الى أحد الشاطئين رمام الجنود والسكان بالرصاص حتى قتل معظمهم ثم سمحوا اليهم واخذوا منهم احد عشر ، ورفاوبها اربعة ثم عقدت شروط الصلح بين الفرنسيين والمغاربة سنة (١١٨٩) على يد الرئيس ابى الحسن على مارسيل الرباطى ارسله السلطان الى فرنسا لهذا الغرض ولقبض الفدية عن اسرى المراكش

وبدا لهذا السلطان ان يوجد بينه وبين ملك العثمانيين صلة فبعث الى السلطان مصطفى بالفقيهين السيد الطاهر السلاوى والسيد الطاهر الرباطى سفيرين فى سفينتين واصحبهما بهدايا فاخرة من خيول مطهمة واسياف مرصعة بالاحجار الكريمة فسر السلطان مصطفى من تودده واهداه بسفينة مشحونة بالاسلحة والذخائر الحربية وهو ماكان يقل وجوده ببلاد مراكش وارسل له السلطان التركى ايضا آلات الحرب القرصنة فسر السلطان المغربى بهذه الهدية جداً فأرسل يشكر السلطان صنيعه بواسطة الرئيس عبد الكريم التطوانى واصحبه بهدية اخرى فقبل السلطان هديته ورده بهدية اكبر من هديته الاولى وهى مركب ملآى بالمدافع والمهاريس النحاسية مع عددها وعدد مراكب قرصانية اخرى من سوارى وحطاطيف وقلوع وحبال وبراميل ومعها ثلاثون من مهرة المعلمين الذين لهم معرفة بصب المدافع والمهاريس والمقذوفات وصناعة السفن وبينهم معلم ماهر فى الرمى بالمهراس فلما وصلت هذه الهدية الى صاحب مراكش طار بها فرحا وأخذ فى احياء صناعة السفن بلاده وفرق هؤلاء المعلمين فى الثغور وتعلم منهم المراكشيون ونسجوا على منوالهم

وعقدت معه الدنيمارك عهدا تعهدت فيه ان تقدم للسلطان كل سنة خمسة وعشرين مدفعاً من المعدن وزن مقذوفاتها من ١٨ الى ٢٤ رطلا وان تدفع غير ذلك من ادوات السفن والريالات شيئاً كثيراً . وعقدت معه السويد أيضا معاهدة من هذا القبيل وكان ذلك من هاتين الدولتين ليسمح لسفنهما بالاتجار فى ثغور المغرب وكان ذلك سنة (١١٨١)

ثم ان هذا السلطان زوج ابنته لشريف مكة فأرسلها اليه مع ابنه وولى عهده

المولى على وشقيقته المولى عبدالسلام وكان مع ابنته من الحلى ماتقدر قيمته بمئة الف دينار فكان يوم دخولها يوماً مشهوداً حضره الحجاج جميعهم

وأرسل هدايا لامير طرابلس وأمير مصر والشام ولاهل الحرمين ومالا طائلا يوزع على أشرف الحجاز وجوائز عظيمة للعلماء والنقباء وغيرهم بمكة والمدينة

كان البرتغاليون قد استولوا على ثغر الجديدة فكان لايقر للسلطان محمد قرار لهفا عليه ثم هم بحصارها سنة (١١٨٢ الموافقة لسنة ١٧٦٨) فضربها بالمدافع فتخربت دورها وأسوارها ولقى البرتغاليون شدة عظيمة فكتبوا لحكومتهم فوردت اليهم اشارة بترك المدينة لاصحابها فشرط عليهم السلطان ان لايخرجوا الا بثيابهم فامتثلوا الامر الا انهم قبل خروجهم من المدينة صنعوا لغما وتبرع رجل منهم بنفسه فتخلف عن اخوانه حتى دخلها المراكشيون فأوقد اللغم فنسف منهم خمسة آلاف جندى وتهدم قسم من سور المدينة .

وكان الفضل فى فتح هذه المدينة لمعلم الرماية التركى المسمى الحاج سليمان وهو أحد الذين أرسلهم السلطان مصطفى لمراكش

وفى سنة (١١٨٥) شرع فى طرد الاسبانيين من مليلة فكتب اليه ملك الاسبانيين يعاتبه ويذكره بالمعاهدة التى بينهما فأجابه السلطان بأن تلك المعاهدة قاصرة على الشئون البحرية لا الشئون البرية التى منها اخراج الاجانب من ثغور المملكة . فأرسل اليه ملك الاسبان نص المعاهدة فاذا هى عامة براً وبحراً فأدرك ان سفيره الذى كان أوفده الى اسبانيا لامضاء هذه المعاهدة لم يكن على شىء من السياسة فانخدع ووقع عليها بدون تبصر فنقم عليه ووبخه واعتذر الى ملك الاسبان

ثم ان العبيد جريا على سنتهم نقموا على هذا السلطان وعزلوه وبايعوا ابنه يزيد فأرسل السلطان الى العبيد جيشا دحرهم وشتت شملهم وقبض على ابنه ثم عفا عنه وعن العبيد أيضا وكان ذلك سنة (١١٨٩)

ثم أن هذا السلطان أخذ يفكر فى أمر هؤلاء العبيد ويرمى الى تشتيت شملهم وفك جماعتهم ليأمن الناس شرهم فوزعهم على الثغور البحرية فطم بلاؤهم فبعد أن كان شرهم محصورا حيث جماعتهم صار

بذلك موزعا بين كثير من المدن فانهم عاثوا فى تلك الثغور الفساد فنهبوا أموال الناس وانتهكوا أعراضهم وأتوا كل مايتصور من المنكرات

فلما رأى السلطان ماحل بالثغور منهم عزم على تبديدهم فجمع أكثرهم فى مكان وجمع قبائل مراكش وامرهم ان يقتسموا أولئك العبيد فيأخذوا ماشاؤا منهم بنسائهم واولادهم فاقتسموهم وبذلك توزعت قوتهم ولم يعودوا الى سابق صولتهم

كان هذا السلطان يحب أن يوثق الروابط بينه وبين العثمانيين فأرسل وفدا الى الحجاز للحرمين وامر رجال هذا الوفد أن يمروا أولا بالقسطنطينية ليقدموا تحياته لسلطان الترك ثم يذهبوا مع أمين الصرة العثمانى الى المدينة فمكة . فسر السلطان عبد الحميد الأول من هذا الأمر وكتب اليه جواب كتابه وسافر الوفد مع أمين الصرة العثمانى الا ان ابن سلطان مراكش المدعو يزيد وهو ابنه الخارج عليه لحق ذلك الوفد بطائفة من رجاله واخذ منهم بعض ما كان معهم من الاموال فأحضر شريف مكة يزيد هذا وكان بمكة وامره برد الاموال فأحضر البعض وأنكر البعض الآخر فاضطره أبوه ان يتبرأ منه وبعث ببراءته هذه الى الآفاق فعلقت صورة منها بالكعبة وأخرى بالحجرة النبوية وثالثة ببيت القدس ورابعة بضريح الامام الحسين بمصر وكتب الى السلطان العثمانى بأن لايجيره اذا التجأ اليه وكان ذلك سنة (١١٩٩)

فى عهد هذا السلطان عقدت فرنسا معاهدة تجارية مع الحكومة المراكشية نالت منها خيرا عظيما واستقر سفيرها فى مراكش الكونت دوبونيون

ثم ان المولى يزيد بن السلطان عاد الى مراكش والتجأ الى ضريح الشيخ عبد السلام بن مشيش، وعند المراكشيين من التجأ الى ضريح ولى لايمس بسوء وان كان قاتلا . فأخذ يزيد يستعطف والده ويظهر الندم والتوبة وما زال الامر بينهما فى تردد حتى توفى السلطان محمد سنة (١٢٠٤)

كان هذا السلطان من أعظم سلاطين المغرب سطوة وأشدهم طلبا للابهة وبعد الصيت، وكان مع هذا عالما متضلعا من العلوم جمع كتبا نفيسة لاتحصى ورتبها

احسن ترتيب . وكان مع علمه شجاعا عالما بأساليب القتال يحضر الوقائع بنفسه وبنى كثيرا من الاضرحة والمساجد والمدارس والبيمرستانات وكان بينه وبين أكثر ملوك اوروبا مكاتبات . وهو أول من امر بأن يخطب للسلطان العثمانى على المنابر ولم يخلفه من اتبعه فى هذه السياسة

لما توفى هذا السلطان كان ابنه يزيد لا يزال لائذاً بمقام الاستاذ عبد السلام ابن مشيش فاحتمع رجال الدولة على مبايعته فدخل مكناسة ومما يؤثر عنه انه كان شديد الكلف باخراج الاسبانيين من سبتة رغما عن ان ملك الاسبانيين أرسل اليه رسولا يهنئه بالملك ومعه هدايا نفيسة فلم يعبأ بسفيره ولا بهداياه وقبض على من كان بثغوره من اسبانيين وكبلهم بالحديد واعتقلهم وحاصر سبتة . وحدث ان الاسبانيين أسروا سفينة من سفن المراكشيين عليها كثير من الرجال ففداهم بأسراه من الاسبانيين واستمر على حصار سبتة حتى ثار عليه أخوه هشام طالبا الملك فرفع الحصار عن سبتة وذهب لقتال أخيه فهزم جموعه ودخل مراكش ثم أصابته رصاصة فى الحرب مات منها سنة ١٢٠٦

فاتفق أهل الحل والعقد على مبايعة المولى سليمان لما كان عليه من العلم والفضل الا اهل رباط الفتح فانهم أبوا مبايعته فأرسل اليهم جيشا فانهزم فاضطر للقيام اليهم بنفسه فلما التقى الجمعان على نهر سبر انكسر جيش الثائرين أشنع كسرة وفر رئيسهم المولى مسلمة اخوه ثم عاد اليه بجيش آخر فهزمه المولى سليمان أيضا وما زال اخوه يفر من وجهه وهو يطلبه حتى نزل تلمسان وأقام بها ثم عاد الى سجلماسة فعفا عنه السلطان ثم لم يطب له المقام فما زال يتردد فى بلاد المشرق حتى مات

وأخذ السلطان فى اخضاع الجهات الثائرة عليه حتى استتب له الامر فيها الا ان مراكش ثارت عليه وبايعت للمولى حسين بن محمد فقصدها واستولى عليها سنة (١٢٠٩) ثم أخذ فى غزو البلاد الاخرى الخارجة عليه

ورأى هذا السلطان ان أعمال القرصنة لا تناسب الامم التى تود ترويج التجارة فى بلادها فأبطلها فمدحه الاوربيون على ذلك وارسل سفارة خاصة الى نابليون الاول فقابلها بالترحاب

ولما هاجت الفتنة بين عرب تلمسان

وواليها العثمانى بسبب سوء اعتقاده فى اصحاب الطرق سار اتباع الطائفة الدرماوية واجتمعوا الى شيخهم أبى محمد عبدالقادر الشريف ونزلوا بجهات الصحراء وأخذوا فى الاغارة على نواحى تلمسان بالجزائر فبعث والى الجزائر الى والى وهران الجنود وأمره بمقاتلة اولئك الثائرين فنهض اليهم فهزموه فكتب الباى المذكور الى المولى سليمان يطلب اليه أن يرسل اليهم شيخهم الاكبر أباعبدالله محمدالعربى ليعظهم ويردهم الى الطاعة فبعث السلطان بالشيخ المذكور فلم يفدهم نصحه بل أصروا على الثورة فاتهم الباى السلطان بأنه هو الذى أغراهم على المضى فى ماهم فيه . فلما رأى والى الجزائر ان الوسائل السياسية لم تجد نفعا أرسل الى أولئك الثائرين جيشا فأوقع بهم ففروا ثم أعادوا الكرة على تلمسان وكاتبوا المولى سليمان بالدخول فى طاعته والمبايعة له . أما حامية المدينة من الاتراك فتحصنوا بالقلعة

واما المولى سليمان فانه لم يقبل هذا الامر وارسل اليهم من يوفق بينهم وبين حكومتهم وكتب الى الباى بما أزال شكه وتم الصلح بين والى تلمسان ورعيته ومع هذا فلم يكمل للعثمانيين اخضاع تلمسان تماما بسبب القحط الذى كان عم تلك الأنحاء فجلا أهل تلمسان الى بلاد المغرب الاقصى ثم عادوا بعد أن زال القحط

اطمأنت بلاد مراكش تحت حكم هذا السلطان برهة عمت البلاد الخصب والنماء ثم حدثت حادثة جلل وهو انتشار الثورة بين البربر سنة (١٢٣٦) فأرسل اليهم السلطان عدة جيوش فكسروها فعمت الفوضى البلاد وصار الناس لاوازع لهم وتطاول البربر على التجارة فنهبوها وعلى الاعراض فانتهكوها وعلى الطرق فقطعوها وعمت الفتنة غالب الأمصار وارتكب البربر الجحود أفحش الاعمال وبقى المولى سليمان مقيما بمراكش والفتن فى فاس وسائر بلاد المغرب قد تطورت كل حد فخرج اهل فاس على المولى سليمان وبايعوا ابنه ابراهيم سنة (١٢٣٦) فمات بمدينة تطاوين بعد قليل فأخفى حزبه خبر موته ثم دعوا الى بيعة أخيه المولى السعيد بن يزيد واختلفوا عليه ودهمهم السلطان سليمان بجنوده ففروا الى فاس فلما تراكمت هذه الفتن على المولى سليمان سئم الحياة واراد أن يترك الناس لابن اخيه المولى عبد الرحمن بن هشام ثم هاجمته الهموم فمرض

فعهد بالامر للمولى عبد الرحمن المذكور آنفا وتوفى هو نفسه سنة (١٢٣٨)

قدم المولى سليمان بن أخيه المولى عبد الرحمن بن هشام على أولاده وجميع أولاد السلاطين لما رأى فيه من الأهلية والاستعداد للملك فاستبشر أهل المغرب بولايته حتى البربر وقدموا عليه مبايعين بعد أن كانوا قرروا قتل جميع من يتكلم العربية فى البلاد المغربية

ثم بدأ السلطان عبد الرحمن سنة (١٢٤٣) أن يعيد القرصنة التى كان أبطلها المولى سليمان فأمر بانشاء الاساطيل وضمها الى ما كان باقيا منها من آثار جده المولى محمد ثم أمرهم بالخروج فصادفوا اسفنا تجارية تابعة للنمسا فغنموها بحجة أنه ليس لدى ربانها ورقة جواز (باسبورت) حسب الشروط المقررة بينهم وبين دول أوروبا ووضعوا بعض تلك السفن بالعرائش وبعضها بطنجة . فلما بلغ هذا الخبر دولة النمسا جهزت ست سفن حربية سنة (١٢٤٥) وأرسلتها الى العرائش وأخذت فى ضربها بالقنابل طول النهار حتى خربت كثيراً من أسوارها ودورها ثم أنزلت نحو خمس مئة من الجنود الى البر فتمكنوا من أحراق عدة سفن خاصة بالسلطان فانقض الجنود عليهم وفتكوا بهم وقتلوا منهم عددا كبيرا وأسروا عدداً آخر وعاد الباقون الى سفنهم وكانت هذه الوقعة سببا فى أعراض المولى عبد الرحمن عن الغزو فى البحر لأنه رأى أنه يستحيل عليه مقاومة الأساطيل الاوروبية

ثم عقد المولى عبد الرحمن الصلح مع دولة النمسا وكان هذا الصلح بواسطة دولة الانكليز سنة (١٢٤٦) ه

ولما استولى الفرنسيون على الجزائر سنة (١٢٤٦) ه اجتمع أهل تلمسان واتفقوا على الدخول فى بيعة المولى عبد الرحمن وأقبلوا على عامله بمدينة وجدة وعرضوا عليه التوسط بينهم وبين المولى المذكور. ثم أرسلوا وفدا منهم الى مكناسة ليقابل السلطان . فاستفتى السلطان العلماء فى ذلك فأفتوه بعدم قبول بيعتهم لأن فى رقبتهم بيعة للخليفة العثمانى . ومع هذا فانهم لما ألحوا بالبيعة قبلها وولى عليهم ابن عمه المولى على بن سليمان وأصحبه بكتيبة من الجنود وأرسل له أخرى فيها رماة البنادق والمدفعية . ففرح به أهل تلمسان وقدمت عليه وفود القبائل للمبايعة فحصن تلمسان

وادخر بها مقادير كبيرة من البارود والمدافع . ومع هذا فقد مال أكثر العرب الذين هناك للدخول فى طاعة الفرنسيين عند ما استولوا على مدينة وهران فى تلك الاثناء . ووقع الخلاف بين قواد جيش السلطان فتحاسدوا . فلما رأى السلطان ذلك تحقق أن من المصلحة استرجاع تلك الجيوش . عادت تلك الجيوش فحدثت فى البلاد ثورة فاضطر السلطان لمحاصرة فاس واذلال عصاتها

فى تلك الاثناء اختار أهل الجزائر الفقيه المرابط محيى الدين عبد القادر المختارى ليكون أميرا عليهم ويقاتل بهم الفرنسيين الذين دخلوا بلادهم فامتنع لكبر سنه وولى عليهم ابنه الحاج عبد القادر فقام بما عهد اليه أحسن قيام وأنشأ لهم دولة مستقلة بقيت عدة سنين مهيبة الجانب أى الى سنة (١٢٥٩) فاضطر بعد ذلك الامير عبد القادر للسير على أسلوب حرب العصابات فصار ينتقل من بلد لبلد تارة بالصحراء وطوراً برياش وأخرى بوجدة والريف وغير ذلك وكان كثيرا ما يصحبه فى هذه الغارات بعض المراكشيين من جيش المولى عبد الرحمن . فاتهم الفرنسيون المولى عبد الرحمن بأنه يمد الامير عبد القادر بالسلاح والرجال فقلوا واستولوا على وجدة . وكانت الهيبة قد دبت فى نفوس المراكشيين لما أصاب اخوانهم الجزائريين فرأى السلطان أن يشجع جيرانه بمحاربة الفرنسيين فأرسل كتيبة من جيشه تبلغ الثلاثين الف فارس تحت قيادة ولده المولى محمد فسار حتى وصل الى وادى اسلى من أعمال وجدة فاقبل اليه الامير عبد القادر وأفضى اليه بما عنده من الخبرة بأحوال الجيش الفرنسى وما هو عليه من الاستعداد وبما يجب أن يتخذ لذلك من الحيطة والمحاولات فقابل المولى محمد هذا الكلام بالاستكبار والانفة . وقابل بعض القواد الامير عبد القادر ببليغ الكلام فتركهم عبد القادر وشأنهم وما هى الا أيام حتى زحف الفرنسيون لقاء هذا الجيش وما هى الا صدمة حتى سحقوه سحقا وأهلكوا معظمه وتشتت من بقى فى الصحارى واستولى الفرنسيون على أكثر ما كان معه من الادوات والاموال وما ذلك من جبن المراكشيين ولكن من سوء تدبير قادتهم وجهلهم المطبق بأساليب الحروب الحديثة واستكبارهم عن سماع

نصيحة الامير عبد القادر وكان ذلك سنة (١٢٦٠) الموافقة (١٨٤٤) ميلادية وفر ابن السلطان حتى لحق بمدينة تازا ريثما اجتمع اليه فلول جيشه . فلما اتصل خبر هذه الموقعة بالمولى عبد الرحمن اغتم لذلك جداً وكان برباط الفتح فسافر الى فاس وبلغه هناك هجوم الفرنسيين على طنجة والصويرة فاضطر السلطان لطلب الصلح فأعطيه على الشروط الآتية :

(١) ان الفرق العسكرية الكثيرة من الجيوش المراكشية النازلة على حدود الجزائر والتى فى نواحى وجدة تحل وتسرح جنودها فى الحال

(٢) وأن يعاقب الذين كانوا السبب فى الخصومات التى ارتكبها المراكشيون فى أرض الجزائر

(٣) وأن ينفى الامير عبد القادر من ارض مراكش أو يحجر عليه فيها وأن لا يعطيه السلطان بعد ذلك مدداً من رعيته ولا من أمواله وذخائره

هذه الهزيمة فتحت أبواب مراكش للاوربيين فأخذوا يتسابقون لاكتساب النفوذ فيها وكثر ترددهم عليها بالتجارات والمشروعات فكان فى هذا التزاحم على بسط النفوذ فائدة للمراكشين عظيمة فانها حفظت استقلالها مدة طويلة .ولولا ذلك لفقدته بعد تلك الموقعة مباشرة

أما الامير عبد القادر فانه اتهم سلطان مراكش بعدم مساعدته مع قدرته على المساعدة فأخذ يبث العيون والارصاد له ويبعث بالدعاة لاثارة الفتن عليه فلما شعر السلطان بذلك أرسل اليه جيشا جرارا تحت قيادة ولده المولى محمد فحاربه وهزمه وسحق من كان معه من المقاتلة فرأى الامير عبد القادر أن يسلم نفسه للفرنسيين الذين كانوا يعدونه بحسن المعاملة فترك رجاله وجنوده غنيمة لسلطان مراكش وانسل هو الى الفرنسيين فسلم نفسه اليهم

واتفق أن حدث قحط شديد فى مراكش سنة (١٢٦٨) حتى اضطر الناس لأكل الجيف فكانت أمم أوروبا تنتهز الفرصة فترسل بالحبوب الى مراكش طلبا للربح العظيم فحدث ان سفينتين فرنسيتين محملتين حبوبا ارتطمتا عند ساحل ثغر سلا وغرقتا فأكب الاهالى على التقاط ماكان فيها ثم حطموها وأخذوا أخشابهما لاستعماله

وقودا فى بيوتهم فشكا القنصل الفرنسى لحاكم سلا وطلب اليه التعويض . فرفع الحاكم الامر للمولى عبد الرحمن وشفعه برأيه فى ذلك وهو ان الاهالى برآء مما نسب اليهم. فما كان من القنصل الفرنسى الا رفع الامر الى حكومته فأرسلت اليه بأسطول فأخذ يصب بقذوفاته على سلا حتى هدم قلاعها ودورها وأحدث اتلافا عظيمة بها فأخذ السلطان بعد هذه الوقعة فى تحصينها على الطراز الحديث وجلب اليها مدافع ضخمة لتقوى على رد العاديات الطارئة

توفى هذا السلطان سنة (١٢٧٦) فقام بالامر بعده ابنه المولى محمد فبايعه الناس الا شيعة مالت الى المولى عبد الرحمن بن سليمان بجهة فاس ومكناسة ووافقه بعض البربر والجنود الا انه لم يتم أمره

فى أول حكم هذا السلطان انتشب القتال بين المراكشين والاسبانيين وكان السبب فى ذلك ان سبتة كانت للاسبانيين وكانت العادة قد جرت بين جنود التخوم الفاصلة بين الحدين أن يبنوا لانفسهم بيوتا من خشب ليقيموا فيها رأى جنود مراكش ذات يوم أن جنود اسبانيا يقيمون لهم بناء بالحجر على شكل قلعة على الحدود فنصحوهم من بنائها بالقول فلم يقتنعوا فهجموا عليهم وهدموا البناء وقتلوا منهم من قاوم فثارت ثائرة سفير اسبانيا فى طنجة وطلب معاقبة الجناة وسمى منهم ١٢ رجلا بالاسم وطلب قتلهم بعد استقدامهم الى طنجة فأخذ والى طنجة يهدىء من ثائرته ويحاول اقناعه فلم يقتنع فتوسل اليه بسفير انجلترة فلم يفد التوسل فأخبر السلطان الخبر فجمع السلطان وزراءه ومستشاريه وبسط لهم الأمر فعدوها اهانة لم يسبق لها مثيل وأجمعوا على وجوب الحرب ان اقتضت الحال. فرفض السلطان طلبات اسبانيا فكان هذا الرفض داعيا لقطع العلائق بين المملكتين. وكتب السلطان الثغور بالاستعداد والقبائل بجمع الجنود . وما هى الا أيام حتى برز فى جهة سبتة جيش من الاسبانيين مؤلف من ٢٠ الف مقاتل كامل العدد والآلات والذخائر فقابلهم المراكشون بشجاعتهم المعهودة ولكن ماذا تغنى الشجاعة أمام النظام والآلات الجهنمية فكانت تحصدهم مدافع الاسبانيين وبعد عدة وقائع انهزموا وتبعهم الاسبانيون الى مدينة تطاوين وكان

عددهم وهم بها ٧٠٠٠٠ مقاتل وكان ذلك سنة (١٢٧٦ هـ ١٨٥٨ م) فاستولوا على ما بها من الاموال ولم يجدوا بها الا مدفعا واحدا وقليلا من البارود فحولوا مسجد سيدى عبد الله البقال الى كنيسة وعاملوا الاهالى بالحسنى ثم ذهب أسطولهم الى اصيلا فهدم وأتلف كثيراً منها ثم اضطرت مراكش لطلب الصلح فاجتمع المندوبون فتشدد الاسبانيون فى مطالبهم وقدموا شروطا لم يرض بها السلطان فعاد القتال أشد مما كان وحدثت عدة وقائع انتصر المراكشيون فيها كلها ومع هذا تم الصلح على الشروط التى أرادها الاسبانيون الا قليلا وتم بينهم الاتفاق سنة (١٨٦٠) م أى (١٢٧٦) هـ

وكان أهم شروط الصلح أن تدفع مراكش لاسبانيا مئة مليون فرنك وتتنازل لها عن قطعة أرض جنوب سبتة وأن يكون لها فرضة بحرية على المحيط الاطلانطيقى وهى التى سموها سانت كروز وأن يكون لها الحق فى اقامة وكيل فى مراكش والتصريح لقسوسها بانشاء المدارس والاديرة وأن يكون لها نفس الامتيازات التى منحت لأعظم الدول الاوربية الاخرى

ثم خرج الاسبانيون من ثغر تطاوين بعد سنة من تاريخ ابرام الصلح بعد أن مكثوا فيه سنتين وثلاثة أشهر وخمسة عشر يوما

فكانت نتيجة هذه الحرب ازالة هيبة دولة المغرب الاقصى وامتداد المطامع الاستعمارية اليها وكثر فيها من المغاربة أنفسهم طلب حماية الدول الاوربية لهم من سوء تصرف حكومتهم معهم فنشأ من ذلك اختلال فى حكومتها مازالت تمترفيه الى أن احتلها الفرنسيون منذ عشرين سنة

ثم كانت نتيجة هذه الحرب ان ادرك قادة مراكش وجوب ادخال النظامات العسكرية الاوربية الى جنود المغرب فاتخذ السلطان له جيشاً على الطراز الجديد

وقد كان يهود المغرب الى ذلك الحين يعاملون أسوأ معاملة من جهلة الاهالى رغما عن وصاية الدين الاسلامى بالبر بأهل الكتاب والاحسان اليهم فانتهز اليهود فرصة تدخل الدول الاوربية فى شؤون المغرب فخاطبوا المالى المشهور روتشلد فى أن يتوسط لهم لدى الحكومة الانجليزية فى حمايتهم فقبلت الحكومة

المذكور السعي في تخفيف وبلائهم وأوفدت رسولا الى السلطان المراكشي ومعه هدايا نفيسة طالبة اليه انصاف اليهود فقبل السلطان هذا السعي وأصدر منشوراً الى جميع أقاليم المغرب هذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . نأمر من يقف على كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره وأطلع في سماء المعالي شمسه وبدره ، من سائر خدامنا وعمالنا . والقائمين بوظائف أعمالنا أن يعاملوا اليهود الذين بسائر ايالتنا بما أوجبه الله تعالى من نصب ميزان الحق والتسوية بينهم وبين غيرهم في الاحكام حتى لا يلحق أحدا منهم مثقال ذرة من الظلم ولا يضام ، ولا ينالهم مكروه ولا اهتضام . وأن لا يتعدوا هم ولا غيرهم على أحد منهم . لا في نفوسهم ولا في أموالهم وان لا يستعملوا أهل الحرف منهم الا عن طيب أنفسهم ، وعلى شرط توفيتهم بما يستحقونه على عملهم لان الظلم ظلمات يوم القيامة ونحن لا نوافق عليه لا في حقهم ولا في حق غيرهم ولا نرضاه لأن الناس كلهم عندنا في الحق سواء ومن ظلم أحداً او تعدى عليه فانا نعاقبه بحول الله وهذا الامر الذي قررناه وأوضحناه وبيناه كان مقرراً معروفاً محرراً لكن زدنا هذا المسطور تقريراً وتأييداً ، ووعيداً في حق من يريد وتشديداً ليزيد اليهود أمنا على أمنهم ومن يريد التعدي خوفا على خوفهم »

صدر به أمرنا المعتز بالله في ٢١ شعبان المبارك سنة (١٢٨٠)هـ

انتشر هذا المنشور في جميع الاقاليم فكان سبباً في تشجيع بعض الرعاع من اليهود على ارتكاب المظالم ثقة بأن الدول الاوروبية تحميهم فضج الناس من تطاولهم عليهم ، وتحكمهم بهم ونمى الخبر الى السلطان فاضطر لاصدار منشور آخر بين فيه المراد من ذلك الايصاء وهو ان يحسن الى محسنهم أما الذين يرتكبون المظالم منهم ويستفيدون من هذا الايصاء الظهور بمظهر الاعنات والشقاق فيجب أن يعاملوا بما يستحقونه من التأديب فكف الطائشون منهم ولكن السواد الاعظم منها التجأوا الى الاحتماء في الدول الغربية فكان هذا سببا عظيما لحدوث الارتباكات في الحكومة المراكشية

وكان السلطان قد آنس من سفير فرنسا جفاء في القول ومن عماله شدة

وصلاً فأرسل قائد جيشه محمد بن عبد الكريم وعامل سلا محمد بن سعيد الى الامبراطور نابليون الثالث ليخاطباه فى أمر نائبه وعماله بالمغرب ويرجوانه فى أن يرسل الى المغرب رجالاً من البيوتات الفاضلة ليحفظوا كرامة الحكومة ولا يكونوا سبباً فى احداث الشقاق بين الامتين فقابلهما الامبراطور بالاكرام فأقاموا نحو شهر بباريز ثم عادا سنة (١٨٨٢)

توفى السلطان عبد الرحمن سنة (١٢٩٠) وفى زمنه لاحت بوارق المدنية الاوروبية فى سماء المغرب الاقصى . ومن آثارها مصانع شيدها لعمل السكر وأخرى لعمل البارود ومنار على ساحل البحر بقرب طنجة

تولى الملك بعده ابنه المولى الحسن فأخذ يطوف فى أرجاء ملكه ليشرف على الرعية من قرب ولما انتهى الى مكناسة أقام بها زمنا طويلا لرد عادية القبائل التى امتنعت عن بيعته ثم شرع فى جمع الجنود وتنظيمها على الطراز الحديث واعتنى بذلك غاية الاعتناء حتى انه كان يكثر من استعراضها وترتيبها بنفسه وعنى أيضا بتشييد الحصون والمعاقل وجلب الاسلحة وأرسل عدة من شبان بلاده الى بعض مدارس فرنسا والمانيا للتدرب على الفنون العسكرية والعلوم الرياضية وأرسل رسلا الى فرنسا وانجلترة وايطاليا وبلجيكا لتمكين روابط الالفة بين مراكش وبين هذه الممالك وأصحب هؤلاء الرسل بالهدايا النفيسة لملوك هذه الدول ثم عاد هؤلاء الرسل سنة (١٢٩٣) ه

ولما رأى الحسن انهمار سيل التدخل الاستعمارى فى بلاده أشار عليه رجال دولته بضرورة أحكام روابط الالفة بينه وبين العثمانيين ليشدوا أزره عند الحاجة فأرسل وكيله السيد ابراهيم السنوسى الى سلطان العثمانيين فاتفق أن حدثت الحرب العثمانية الروسية فى تلك الاثناء فعاد الرسول الى بلاده

وحدث فى أوائل سنة (١٢٩٧) أن ثار المسلمون على اليهود فى بعض أنحاء مراكش لما وقع منهم من التعدى ولتظاهرهم بعدم احترام الحكومة فقبض بعضهم على يهودى وأحرقه حياً فاضطرب لذلك اليهود أشد اضطراب وانزعجوا منه أكبر انزعاج فأخذ كثيرون منهم فى الهجرة الى اسبانيا وغيرها وتحصلوا على حمايات

من تلك الدول وعادوا ثانية . ولكن دولة مراكش كانت لاتعبأ بهذه الحمايات الاجنبية ولاتمتد بها فوقع النزاع بينها وبين اسبانيا من جراء ذلك وكادت تقع الحرب بين الامتين ولم تحجم اسبانيا عنها مع ثقتها بالغلب الا لاعتقادها بأنها لا تستفيد من ورائها شيئا لشدة تناظر الدول على مراكش فاكتفت باقتراح عقد مؤتمر دولى فى مدريد فوافقتها على ذلك وعقد المؤتمر فساعدت فرنسا وانجلترة دولة مراكش أكبر مساعدة أما الاولى فبحجة أن مراكش مجاورة للجزائر فان هى أخشنت لها الجانب فلا بد من ثورة تهب فى الجزائر . أما حجة انجلترة فى ذلك فهى أن مراكش واقعة على مضيق جبل طارق وكل دولة يزداد نفوذها فى تلك السواحل تضر بسلامة مرورها الى البحر الابيض المتوسط فلم تحصل اسبانيا من عقد هذا المؤتمر على كبير شىء

سعى المولى الحسن فى ادخال كثير من النظامات الاوروبية الى مراكش ولكنها كانت لاتفيد كل الفائدة لنفور المراكشيين منها ولعدم ايمانهم بالبدع التى لم يعمل بها السلف الصالح

وفى سنة (١٢١٩) رأى المولى الحسن أن مطامع الاسبانيين أخذت تمتد الى بلاد السوس وأن سفنهم صارت تتردد الى تلك الانحاء حاملة الى رؤسائها الهدايا والطرف استهواء لقلوبهم وآنس ان القلوب أنست بهم هنالك فقرر الذهاب الى تلك الانحاء بنفسه لاظهار جلال الملك فيها ولتثبيت قلوب أهلها على ولاء الدولة فقصد تلك الانحاء فوجد أن بعض الانجليز قد شيد بجهة اساكا مرسى للسفن فهدمه وأمر ببناء ميناء فى تلك الجهة ورحل ما كان بها من تجار الانجليز فاحتجت الدولة الانجليزية على ذلك وطلبت تعويضاً فدفعه المولى الحسن وانتهت هذه المشكلة على هذا الوجه

وأصدر المولى الحسن أمراً بعدم ادخال التبغ الى بلاده بعد أن استفتى العلماء وأفتوه بعدم جواز تعاطيه

وبينما كان المولى الحسن سنة (١٣١٠) غازيا بالجنوب الشرقى من مملكته حدث خلاف بين قبيلة زناتة بالريف وبين الاسبانيين الذين بجهة مليلة وكان السبب فى ذلك ان الاسبانيين طلبوا من المولى الحسن أن يزيد فى مساحة الارض التى

لهم جهة مليلة فنمل حتى انتهى ماأخذوه الى قرب مسجد لولى شهير يعظمه أهل الريف وهو ولى الله واوياش فابتنوا لهم مخافر تطل على ذلك المسجد فدهام رجال زناتة فلم ينتهوا بل اغلظوا لهم الكلام وكان الاسبانيون بعد وقعة تطاوين لا يأبهون بالمراكشيين ولا يحترمون لهم كرامة بل كانوا يوجهون اليهم قوارص الكلام فى كل فرصة تسنح لهم فانتهز أهل زناتة هذه الفرصة للانتقام منهم فهجموا عليهم وهزموهم شرهزيمة فاحتج سفير اسبانيا لدى حكومة المغرب الاقصى وطلب التعويض فأعطاه المولى الحسن أربعة ملايين فرنك . فدلت هذه الحادثة على قلة مهارةساسة المغرب وفضحت الدول تهاونهم فى حقوقهم

فى سنة (١٣١١) هـ الموافقة لسنة (١٨٩٣) م أرادت دولة انجلترة الحصول على امتيازات بمراكش فأرسلت مأمورا من طرفها اسمه السر شارل ايوان سمث ومعه مطالب انجلترة ليقدمها لصاحب مراكش وكان هذا البيان يشمل ما يأتى :

(أولا) تخليص تعريفة تصدير القمح والشعير

(ثانيا) حرية تصدير حيوانات الركوب والنقل كالجمال والحمير والخيول والبغال الخ

(ثالثا) دخول السفن التجارية جميع مراسى مراكش وحرية نقل التجار لمحصولات هذه المملكة

(رابعا) انشاء المحاكم المختلطة

(خامسا) ابطال الاسترقاق

(سادسا) تحوير اتفاق مدريد المبرم فى سنة (١٨٨٠) وتعديل المادة (١١) منها المتعلقة بالتصريح للاجانب بشراء الاراضى الزراعية

(سابعا) انشاء وكالة قنصلية بمدينة فاس ورفع العلم البريطانى عليها

(ثامنا) اعطاء امتياز بانشاء خط تلغراف بين طنجة ومغادور يتصل بالمدائن الموجودة على ساحل البحر

(تاسعا) ان يخول لشركة انجليزية الحق فى انشاء بنك باسم الحكومة المراكشية

(عاشراً) انشاء فرق من البوليس بمدينة طنجة يرأسها الضابط الانجليزى المستر الن مكلين

(حادى عشر) اعطاء امتياز بمياه

طنجة

(ثانی عشر) انشاء سوق عامة ومذابح عامة بمدينة طنجة

(ثالث عشر) اعطاء الحق للانجليز بتشييد الحصون الحربية على هضبة جبل مارشانى

(رابع عشر) اعطاء امتياز قطع شجر الفلين بتطاوين والعرائش لاحد رعايا جلالة الملكة

(خامس عشر) التنازل للدولة الانجليزية عن عدة أراض تشيد فوقها بناء البريد الانجليزى ومكان السفارة هذه الدولة بطنجة

(سادس عشر) اعتراف السلطان بسيادة دولة الانجليز على رأس جوبى التابع لمراكش

طلب السر شارل ايوان سمث هذه المطالب من صاحب مراكش وأغلظ له فى القول حتى ذهب الى تهديده فلم يحمله ذلك كله على القبول وانتهز السفير الفرنسى هذه الفرصة (وكان لم يبرم بين انجلترة وفرنسا اتفاق سنة ١٩٠٤ باطلاق يد هذه الدولة الاخيرة فى مراكش) فأخذ يعرقل مساعى المبعوث الانجليزى فلم ينله

مراده

توفى المولى الحسن سنة (١٣١١) وكانت حكومته احدى وعشرين سنة وخمسة أشهر وكان ذا همة عالية وميل الى الاصلاح

خلفه ابنه المولى عبد العزيز فثارت عليه القبائل على عادة أهل المغرب عند تولى كل سلطان جديد وذلك من فساد النظام الادارى فى تلك المملكة . وكانت هذه الثورات المتوالية من اكبر اسباب تأخيرها عن مجاراة غيرها ولكن ما الحيلة وهى على النظام الاقدم من توزع الناس الى قبائل واكتفائهم من وسائل الحياة بما كان يكتفى به أجدادهم منذ ألوف من السنين مع أن أرضهم تنبت جميع النباتات وأنهارهم طافحة بالمياه العذبة مدة العام كله ولديهم من المعادن ما لا يحتاجون معه لأى بلد آخر

لما حدثت الثورات عند اقامة المولى عبد العزيز سلطانا على مراكش اضطرت الدول الى المحافظة على أرواح رعاياها فأرسلت فرنسا والمانيا وانجلترة وايطاليا واسبانيا والبرتغال سفنا حربية الى مياه طنجة . فلما رأى المولى عبد العزيز

ذلك وخشى من اتساع الخرق على الراقع اهتم بتلافى الامر سريعا وقبض على المحركين للثورة وبث جنوده فى الايالات العاصية حتى أذعنت القبائل الى الطاعة فعادت سفن الدول المذكورة الى بلادها واعترفت اوربا رسميا بسلطته

ثم قامت اسبانيا تطالب بالقسط الاول من الغرامة الحربية التى تعهد المولى الحسن بدفعها بسبب حوادث مدينة مليلة وحضر لذلك من اسبانيا مندوب يدعى الكونت دومناوينو فدفعت اليه مراكش مطلوبه ثم سعت فرنسا بعد ذلك فى نيل حق جديد وهو أن يكون لها بمدينة فاس وكيل سياسى فنالت مارمت اليه ولم يكن قبل ذلك لدولة من الدول وكيل سياسى بفاس بل كانت القناصل لا يصرح لها بالاقامة الا فى مدينة طنجة

لما تمتت قدم المولى عبد العزيز فى الملك سعى فى تحسين علاقاته بالدول الاوروبية وفى حشد جيش قوى للمملكة وتدريبه على النظامات الاوروبية وعهد الى فرنسا فى اعداد هذا الجيش وتنظيمه

أما القوة العسكرية فى هذه المملكة فكانت قبل ذلك مؤلفة كما يأتى :

(١) حرس منهم خيالة يقال لهم مخزنجية يبلغ عددهم ٤٠٠ فارس وهم ينالون مراكزهم بالوراثة

(٢) جيش من الرجالة يؤخذ من الاهالى يسمى بالعسكر يبلغ عدده ١٠٠٠٠ نسمة

(٣) فرقة من الخيالة غير المنظمة يبلغ عددها نحو ٢٠٠٠ فارس

(٤) جيش المتطوعة ويبلغ عشرة آلاف من الرجالة و ٨٠٠ من الخيالة

على هذا يكون جيش مراكش فى وقت السلم نحو ٣٠٤٠٠ جندى . وهذه الجنود كانت معفاة من جميع التكاليف للدولة وكانت الحكومة مكلفة باعطائهم المرتبات والاسلحة

أما أسلحة هذا الجيش فقد كانت لا تزال على الطراز القديم حتى بسط الفرنسيون على تلك المملكة الحماية فأصلحوا ذلك الجيش وجعلوه على النظام الاوروبى الفرنسى

أما قوة مراكش البحرية فقد انحطت كثيراً وكل ما كان عندها فى عهد المولى عبد العزيز طراد طور بيد من

الفولاذ طوله سبعين متراً وعرضه عشرة أمتار وحمولته الف ومثتاطن وقوته البخارية تعادل ٢٥٠٠ حصان بخاري وسرعته فى الساعة ١٨ عقدة وبه عشرة مدافع من عيار اثنى عشر سنتى متراً . ولها مركب آخر من ذوات الرفاس طوله ٣٧ متراً وعرضه ١١ مترا وحمولته ١١٦٤ طنا وقوة آلاته تعادل ١٤ حصانا وسرعة سيره نحو ١٠ عقد فى الساعة ويسمى احسانية

أما الاهالى فلاشتغالهم بالتجارة فى جميع اقطار العالم كان لهم سفن شراعية تجارية. وقد امتدح مؤرخو الفرنج نشاط أهل مراكش واستعدادهم الفطرى للسير فى البحار واقتحام شدائدها. وهى صفات ورثوها عن اسلافهم الذين كان لهم شهرة عظيمة فى اختراق البلاد

لم يكد يصفو الملك للمولى عبدالعزيز حتى قام أخوه المولى عبد الحفيظ ينازعه القتال ويثير عليه القبائل بحجة انه ينزع لمجاراة الاوروبيين فى عوائدهم وانه يركب السكليت ويلهو بآلات التصوير ويقضى اوقاته فى الرياضة وسماع الموسيقى وقد ادخل الى القصر الوصائف البارزيات وغير ذلك فلق معضدين من الناقين على عبد العزيز ومازال يجد وراء غرضه حتى أشارت فرنسا على المولى عبد العزيز بالتنحى عن السلطة طلبا لمصلحة البلاد فخضع لاشارتها واعتزل السلطة فتولاها أخوه فبويع له سلطانا وخرج المولى عبد العزيز سائحا فى البلاد فجاء الى مصر وسورية والحجاز ثم عاد الى المغرب وسكن طنجة

أما عبد الحفيظ فانه استبد بالامر وانتقم من القبائل المعادية له أعظم انتقام فتألبوا عليه واجتمعوا مع جميع الناقمين عليه وأضرموا نارآلثورة شعواء فلمارأى ان أمته قد أحدقت به من كل مكان وانه لاقبل له بعدافتهم نصحه بعض الناصحين بالالتجاء الحكومة الفرنسية ففعل، فأمدته بجيوشها وقاتلت دونه أعداءه حتى دانت له البلاد وبسطت فرنسا حمايتها على مراكش فحقد عليه المراكشيون ونقموا عليه تصرفه هذا فرأت فرنسا أنها لا تستطيع ارضاء الشعب الابخلع السلطان الذى يكرهه فخلعته وعينت المولى يوسف وهو الحاكم الآن تحت أشراف مندوب عال من قبل الحكومة الفرنسية

﴿ المرْبَد ﴾ — هو كل موضع حبست فيه الابل وبه سمى مربد البصرة وبه محلة من أشهر محالها وهى كانت مستقلة بينها وبين البصرة ثلاثة أميال كانت متصلة بها فخرب مابينهما . ويوجد خارج المربد فى البادية قبر أنس بن مالك والحسن البصرى وابن سيرين والمشهورين من علماء الاسلام البصريين

﴿ مرتك ذهبى ﴾ — هو أوكسيد الرصاص بلورات صغيرة مسحوقها يدخل فى تركيب مرهم للبواسير ومراهم اخرى

﴿ مرَج ﴾ الامرَ يمرُجه مَرْجا خلطه و (المارج) الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد . و (المَرَج) الابل ترعى بلا راع يقال (عير مَرَج)و(ابل مَرَج) للمفرد والجمع و(امر مَريج) مختلط أو ملتبس

﴿ المَرْجان ﴾ قيل هو صغار اللؤلؤ وقيل كبار الدر وصغاره وقيل الخرز الاحمر والمشهور انه عروق حمر كأصابع الكف تستخرج من قاع البحر . وأكثر البحار احتواء عليه البحر الابيض . ويستخرج منه الصيادون الايطاليون من سواحل الجزائر أكثر من ٣٠٠٠٠ كيلو غرام كل سنة

المرجان فى حقيقته هو مأوى يبنيه لنفسه الحيوان المسمى البوليبوس

للمرجان فى المتجر ثلاثة أنواع : المرجان الاحمر وهو المعروف والمرجان الابيض والمرجان الأسود

والعادة أن يكون المرجان الحى مرتبط بشبه قرص فى الصخور البحرية يغطيها أو يتعلق بها . ويقوم منه وحده أحيانا صخور واسعة فى محال يكون الماء فيها ساكناً غالباً وهو يكون على شكل شجيرات صغيرة قد تبلغ بعد عشر سنين من ١٨ الى ٢٠ قيراطا طولا وهو يأخذ فى النمو من قاعدته الى قمته وساقه تكون يابسة مستديرة أو فيها انضغاط قليل ولا تكون منصلية ويبلغ ثخنها نحو قيراط من قاعدتها وتنقسم بدون انتظام الى فروع ينتهى كل منها بجسم مستدير رخو وتلك الساق تكون مغطاة بغشاء لبى هو الجزء الحى تسكنه كثير من الحيوانات مرتبطة بعضها ببعض بجوهر مشترك بينها لكل منها ثمان أذرع مسننة . وهذا الغشاء المسمى بالقشرة اذا رفع كان الباقى محورا حجريا محززاً تحزيزاً دقيقا بالطول ويكون

خلويا سهل التفت من الظاهر مؤلفاً من طبقات متحدة المركز ترسب فيها على التوالى تلك الحيوانات وتكون أكثف كلما ذهبت الى الباطن . ومكسر ذلك المحور أملس قوقعى الشكل بل زجاجى وهو الذى يباع فى المتجر وتأتى به الصيادون من شواطئ البحر الاحمر والبحر المتوسط وهو يصاد أما بأيدى الغطاسين وأما بشباك خيطية خاصة لاتقلع الشجرة وانما تكسر أغصانها . ويصطاده أهل مرسيليا وقبرس وغيرها

ولقد كان الباحثون يعتبرونه نباتا بحريا والآن عدوه من المعادن وهو الجزء الحجرى لتلك الحيوانات المركبة

حلل العلامة (فوجيل) المرجان فوجده مكونا من كربونات الجير الملون بقليل من أوكسيد الحديد والمنضم بعضه الى بعض بالجلاتين

المرجان يستعمل فى الطب والزينة وكلما كان أشد حمرة كان اشد اعتباراً للزينة فأحسنه الرزين الاملس الأحمر الوهاج وأردأه الابيض وبينهما الاسود

قال العرب الادهان تصلحه والخل يفسده . قالوا واذا لبس بالشمع ونقش عليه ثم وضع فى الخل يوما انتقش وذكروا له عدة خواص فقالوا انه مفرح القلب ودافع لسم الافعى وهو معدود من الادوية المقوية والقابضة والمرققة والماصة وتلك الخاصة الاخيرة بالنظر لطبيعته الحجرية هى الاحسن ثبوتا فيستعمل مسحوقه الناعم المنخول المحلول غالبا الى حبوب أو اقراص تسمى المرجان المحضر علاجا للاسهال والدوسنطاريا والازرقة ولاسيما نفث الدم والازرقة الرحمية . وذكر بعضهم انه وجد فيه هذه الخاصة الاخيرة بقوة . وذكروا انه ينفع الصرع أيضا والسيلان الابيض

وقالوا انه حابس للدم منشف الرطوبات. وذكروا أنه يجفف تجفيفا قويا ويقبض ويصلح لمن به دوسنطاريا

وذكروا أن الاستياك بمسحوقه يقطع الحفر ويقوى اللثة . وأنه اذا قطر فى الاذن مسحوقة بدهن بلسان نفع من الطرش وهو مجفف وملحم للجروح العتيقة ولهم فيه استعمالات خرافية

لايستعمل المرجان الآن من الظاهر الا فى مركبات افيونية وسنونات فيلونها بلون جميل ويظهر أن تأثيره ميكانيكى

لادوائى ولا يستمل من الباطن الا كاس ولكنه لهذا الغرض الاخير يخلط بتحت كربونات المغنيسيا

(المرجئة) هى فرقة من الفرق الاسلامية. وفى اللغة الارجاء على معنيين أحدهما التأخير قال تعالى (أرجه وأخاه) أى أمهله وأخره . والثانى (اعطاء الرجاء)

أما اطلاق اسم المرجئة بالمعنى الاول على هذه الفرقة فصحيح لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والقصد

ويصح اطلاق هذا اللفظ عليهم بالمعنى الثانى فانهم كانوا يقولون لاتضر مع الايمان معصية ، كما لاتنفع مع الكفر طاعة

وقيل الارجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة الى القيام فلا يقضى عليه بحكم ما فى الدنيا من كونه من أهل الجنة أومن أهل النار فيكون المرجئة والوعيدية فرقتين متقابلتين

المرجئة أصناف أربعة مرجئة الخوارج ومرجئة القدرية ومرجئة الجبرية والمرجئة الخالصة

فمن المرجئة الخالصة اليونسية والعبيدية والغسانية والثوبانية والتومنية والصالحية

(فاليونسية) أصحاب يونس السمرى زعم أن الايمان هو المعرفة بالله تعالى والخضوع له وترك الاستكبار عليه والمحبة بالقلب فمن اجتمعت فيه هذه الخصال فهو مؤمن وما سوى المعرفة من الطاعة فليس من الايمان ولايضر تركها حقيقة الايمان ولايعذب على ذلك اذا كان الايمان خالصا واليقين صادقا . وزعم ان ابليس لعنه الله كان عارفا بالله وحده غير انه كفر باستكباره عليه: «أبى واستكبر وكان من الكافرين» . قال ومن تمكن فى قلبه الخضوع لله والمحبة له على خلوص ويقين لم يخالفه فى معصية وان صدرت منه معصية فلا يضر يقينه واخلاصه والمؤمن انما يدخل الجنة باخلاصه ومحبته لا بعمله وطاعته

(العبيدية) أصحاب عبيد المكتب حكى عنه أنه قال مادون الشرك مغفور لامحالة وأن العبد اذا مات على توحيده لم يضره ما اقترف من الآثام واجترح من السيئات . وحكى اليمان عن عبيد المكتب وأصحابه أنهم قالوا ان علم الله تعالى لم يزل شيأ غيره وان كلامه لم يزل

شيأ غيره وكذلك دين الله تعالى لم يزل غيره . وزعم أن الله تعالى عن قولهم على صورة انسان وحمل عليه قوله صلى الله عليه وسلم خلق آدام على صورة الرحمن

(الغسانية) أصحاب غسان الكوفى زعم أن الايمان هو المعرفة بالله تعالى ورسوله والاقرار بما أنزل الله به مما جاء به الرسول فى الجملة دون التفصيل والايمان يزيد ولا ينقص وزعم أن قائلا لو قال أعلم أن الله قد حرم أكل الخنزير ولا أدرى هل الخنزير الذى حرمه هذه الشاه أم غيرها كان مؤمنا. ولو قال أعلم ان الله قد فرض الحج الى الكعبة غير أنى لا أدرى اين الكعبة ولعلها بالهند كان مؤمنا ومقصوده ان أمثال هذه الاعتقادات أمور وراء الايمان لا انه شاك فى هذه الامور فان عاقلا لا يستجيز من عقله أن يشك فى ان الكعبة الى أيه جهة هى وان الفرق بين الخنزير والشاه ظاهر . ومن العجب ان غسانا كان يحكى عن أبى حنيفة رحمة الله مثل مذهبه ويعده من المرجئة ولعله كذب . ولعمرى كان يقال لابى حنيفة وأصحابه مرجئة السنة. وعده كثير من أصحاب المقالات من جملة المرجئة . ولعل السبب فيه انه لما كان يقول الايمان هو التصديق بالقلب وهو لا يزيد ولا ينقص ظنوا انه يؤخر العمل عن الايمان والرجل مع تحرجه فى العمل كيف يفتى بترك العمل ؟ وله سبب آخر وهو أنه كان يخالف القدرية والمعتزلة الذين ظهروا فى الصدر الاول والمعتزلة كانوا يلقبون كل من خالفهم فى القدر مرجئاً وكذلك الوعيدية من الخوارج فلا يبعد أن اللقب انما لزمه من فريقى المعتزلة والخوارج والله أعلم

(الثوبانية) أصحاب أبى ثوبان المرجئى الذين زعموا أن الايمان هو المعرفة والاقرار بالله تعالى وبرسله عليهم السلام وبكل مالا يجوز فى العقل أن يفعله وما جاز فى العقل تركه فليس من الايمان وأخر العمل كله عن الايمان ومن القائلين بمقالته أبو مروان غيلان ابن مروان الدمشقى وأبو شمر ويونس بن عمران والفضل الرقشى ومحمد بن شبيب والعتابى وصالح وأخيه وكان غيلان يقول بالقدر خيره وشره من العبد وفى الامامة أنها تصلح لغير قريش وكل من كان قائما بالكتاب والسنة كان مستحقا

لها وانها لا تثبت الا باجماع الامة فقد جمع غيلان خصالا ثلاثا القدر والارجاء والخروج. والجماعة التي عددناهم اتفقوا على أن الله تعالى لو عفا عن عاص في القيامة عفا عن كل مؤمن عاص هو في مثل حاله. وان أخرج من النار واحداً أخرج من هو في مثل حاله. ومن العجب أنهم لم يجزموا القول بأن المؤمنين من أهل التوحيد لا يخرجون لامحالة من النار

ويحكى عن مقاتل بن سليمان ان المعصية لا تضر صاحب التوحيد والايمان وانه لا يدخل النار مؤمن والصحيح من النقل عنه ان المؤمن العاصي يعذب يوم القيامة على الصراط وهو على متن جهنم يصيبه لفح النار ولهبها فيتألم بذلك على مقدار المعصية ثم يدخل الجنة ومثل ذلك بالحبة على المقلاة المؤججة بالنار

ونقل عن بشر بن غياث المريسي انه قال ان أدخل أصحاب الكبائر النار فانهم سيخرجون منها بعد أن يعذبوا بذنوبهم

وأما التخليد فيها فمحال وليس بعدل. وقيل ان أول من قال بالارجاء الحسن ابن محمد بن علي بن أبي طالب وكان يكتب فيها الكتب الى الامصار الا انه ما أخر العمل عن الايمان كما قالت المرجئة واليونسية والعبيدية لكنه حكم بأن صاحب الكبيرة لا يكفر اذ الطاعات وترك المعاصي ليست من أصل الايمان حتى يزول الايمان بزوالها

(التومنية) أصحاب أبي معاذ التومني الذي زعم ان الايمان هو ما عصم من الكفر وهو اسم لخصال اذا تركها التارك كفر وكذلك لو ترك خصلة واحدة منها كفر ولا يقال للخصلة الواحدة منها ايمان ولا بعض ايمان وكل معصية صغيرة أو كبيرة لم يجتمع عليها المسلمون بأنها كفر لا يقال لصاحبها فاسق ولكن يقال فسق وعصى. وقال تلك الخصال هي المعرفة والتصديق والمحبة والاخلاص والاقرار بما جاء به الرسول

قال ومن ترك الصلاة والصيام مستحلا كفر وان تركها على نية القضاء لم يكفر ومن قتل نبياً أو لطمه كفر لا من أجل القتل واللطم ولكن من أجل الاستخفاف والعداوة والبغض. والى هذا المذهب ميل ابن الراوندي وبشر المريسي قالا الايمان هو التصديق

بالقلب واللسان جميعا والكفر هو الجحود والانكار والسجود للشمس والقمر والصنم ليس بكفر فى نفسه ولكنه علامة الكفر

(الصالحية) أصحاب صالح بن عمرو الصالحى ومحمد بن شبيب وأبو شمر وغيلان ابن حرث ومحمد بن التيمى كلهم جمعوا بين القدر والارجاء ونحن وان شرطنا أن نورد مذاهب المرجئة الخالصة الا انه بدا لنا فى هؤلاء لانفرادهم عن المرجئة بأشياء . فأما الصالحى فقال الايمان هو المعرفة بالله عز وجل والمحبة والخضوع له بالقلب والاقرار به انه واحد ليس كمثله شىء ما لم يقم عليه حجة الانبياء عليهم السلام فاذا قامت الحجة فالاقرار بهم وتصديقهم من الايمان والمعرفة والاقرار بما جاؤا به من عند الله غير داخل فى الايمان الاصلى وليس كل خصلة من خصال الايمان ايمانا ولا بعض ايمان واذا اجتمعت كانت كلها ايمانا وشرط فى خصال الايمان معرفة العدل يريد به القدر خيره وشره من العبد من غير أن يضاف الى البارى تعالى منه شىء . وأما غيلان بن مروان من القدرية زعم أن الايمان هو المعرفة الثانية بالله والمحبة والخضوع والاقرار بما جاء به الرسول وما جاء من عند الله . والمعرفة الاولى فطرية وهو علمه بأن العالم صانعاً ولنفسه خالقا وهذه المعرفة لا تسمى ايمانا انما الايمان هو المعرفة الثانية المكتسبة

(تتمة) رجال المرجئة كما نقل هم الحسن ابن محمد بن على بن أبى طالب وسعيد بن جبير وطلق بن حبيب وعمرو بن مرة ومحارب بن دثار ومقاتل بن سليمان وذر وعمرو بن ذر وحماد بن أبى سليمان وأبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد بن الحسن وقديد بن جعفر وهؤلاء كلهم أئمة الحديث لم يكفروا أصحاب الكبائر بالكبيرة ولم يحكموا بتخليدهم فى النار خلافا للخوارج والقدرية (انظر الملل والنحل للشهرستانى)

﴿مرح﴾ الرجل يمرح مرحا اشتد فرحه ونشاطه وتبختر واختال فهو (مرِح) جمعه (مَرْحى)

﴿مَرْحبه﴾ قال له مَرْحبا

﴿المِرّيخ﴾ كوكب من مجموعتنا الشمسية (انظر فلك)

﴿مرِد﴾ الغلام يمرَد مرَداً بقى أمرد ثم التحى (ومرُد الرجلُ يمرُد مرودة) عتا وتجبر فهو مارد ومريد . و (مرّد البناء) ملسه . و (تمرّد) عصا

﴿ماردون﴾ قلعة جزيرة ابن عمرو وهي تعرب بالحروف فيقال هذه ماردون ورأيت ماردين الخ

﴿مرّ﴾ الرجل يمُرّ مَرّا ومُرورا اجاز وذهب. و (أمَرّه) جعله يمر و (مرّره) جعله مراً. و (استمر) دام. و (المرّارة) هنة شبه كيس لازقة بالكبد تتكون فيها مادة صفراء تعرف بالمِرة جمعها مَرائر. و (المُر) ضد الحلو. و (المُرّان) شجر الرماح. و (المَرّة) الفعلة الواحدة. و (المِرة) قوى الخلق وشدته. والعقل والقوة. واحد الاخلاط المسمى بالصفراء جمعها مِرَر. و (أمر مَرير) اى محكم

﴿المر﴾ هو راتينج مشهور من قديم الزمان بذكاء ريحه. وكان هذا الاسم موضوعا على نباتات ذات رائحة أو مستحضراتها ولذا حصل اشتباه فى حقيقة هذا الجوهر

المرجوهر كان معظما جداً عند القدماء فكان يحرق فى المعابد والهياكل للتبخير وكانوا يستعملونه لتصبير الجثث ويدخره ملوكهم وأمراؤهم فى خزائنهم. وكان للناس فيه عقائد خرافية حتى زعموا ان (مسيرا) بنت سنيراس ملك قبرص لما بغت وفحشت جدت الزهرة الآلهة فى طلبها ومسختها فى مدينة سابينا من ايطاليا شجرة يخرج منها الادونيس وهو نوع من الشقيق فمن تردد بكائها يحصل المر. ومن هنا يمكن الظن بأن المر المعروف فى زماننا ليس هو المر الذكى الرائحة الذى كان يعظمه القدماء ويمدحونه بشدة العطرية اذ الموجود الآن وان لم تجد رائحته كريهة الا انها ليست بعطرة وثمنه لايساوى ثمن الذهب كما كان يقول الاقدمون

وقد ذكر عن ديسقوريدس الطبيب اليونانى ثمانية أنواع وعد منه بلينياس سبعة أنواع وهذا يدل على ان المر كان يطلق على عدة جواهر. وكان يجلب المر للاقدمويين من سواحل الحبشة

وقد زعم هيردوت المؤرخ اليونانى الاقدم ويودور أن بلاد العرب فيها غابات كبيرة واسعة من الشجر المنتج للمر. وقال تيوفرست وبلينياس إن هذا النبات شوكى وورقه يشبه ورق الزيتون

ونقل ابن البيطار عن ديسقوريدس ان المر صمغ شجرة ببلاد العرب شبيهة بالشوكة المصرية تشرط فتخرج منها هذه الصمغة وتسيل على حصر قد بسطت لها

ومنها ما يؤخذ من ساق الشجر

وأما المتأخرون فقد اختلفوا اختلافا عظيما فى تعيين شجره حتى قال قائل منهم بأنه من الفصيلة الخيمية وشذ بعضهم شذوذا غريبا فزعم انه من المستخرجات الحيوانية . وبعضهم عزا شجره لبلاد الحبشة . ولكن الذى جمعه هو.ولد وهيرمبرج وهمبريخ الطبيعيون الرحالون أن المر من شجيرات تنبت ببلاد العرب قرب جيرون فقالوا ان تلك الشجيرات من الفصيلة التربنتينية قريبة من اللسان المرى تتكون منها غيضات صغيرة مخلوطة بنباتات من نوع الاكاسيا والفربيون والمورنجا وغيرها

يوجد المر فى المتجر على شكلين فتارة يكون محبباً ويقال له المر المحبب وهو قابل التفتت سهل الكسر لونه ضارب للحمرة وهو يسمى بالمر لاحمر خفيف شفاف النصف فيكون على شكل كرات متضلعة تختلف فى الحجم وتارة يكون على شكل مربعات صغيرة لها سطح أملس أو قطع مكسرة تشاهد فيها وريقات صغيرة يتكون منها فيها جرور أو أضلاع مبيضة على شكل الاظفار وذلك هو السبب فى تسميتها بالمر الظفرى ولرائحتها قوة من طبيعة خاصة ولكنها ليست كريهة ولاذكية وطعمه مر غير معث ، هو يذوب فى الفم بدون ان يبيض اللعاب

ويميز فى المر المحبب الذى هو الانقى ويسمى بالمر الصافى مر مشتك يكون قطعا غير نقية متصقة بعضها ببعض مخلوطة بأجسام غريبة كثيرة

(تحليل المر) لم يحلل من أنواع المر الا المر العربى لانه الأجود فوجد فى ١٠٩ غرام منه ٢٣ غراما من الراتينج و٧٧ من الصمغ . ووجد فيه بعضهم ٣٤ من راتينج مختلط بقليل من دهن طيار و ٦٦ من الصمغ . وكان الراتينج لونه أحمر ورائحته كرائحة المر وطعمه مر ، وكان الصمغ قاتما يظهر أنه يختلف عن الجواهر الصمغية لأحمر

ووجده برند مكونا من ٢٫٦ من دهن طيار أثيرى و ٢٢٫٢ من راتينج رخو و ٥٫٥ من تحت راتينج و ٩٫٢ من طرفا قنطاين و ٥٤٫٢ من صمغ و ١٫٣ من الحمض الجاوى والتفاحى وفوسفات وكبريتات الكلس وأملاح أخر كلسية . وفيه أجزاء

من جوهر حيوانى وآثار من جواهر غريبة

(استعمال المر فى العلاج) كان المر كثير الاستعمال فى الطب عند اليونانيين الاقدمين فكانوا يعتبرونه كأكثر الراتينجيات مسخناً ومحللاً ومضاداً للعفونة ومقويا للمعدة والقلب وغير ذلك ويستعملونه فى الامراض المزمنة ولاسيما أمراض الرئتين و لاحشاء البطنية كما هو أيضاً مدر الطمث ومضاد الهستريا فهو منبه قوى التأثير فاذا ازدرد بمقدار كبير من غرامين الى ٤ غرامات فانه يحدث حرارة فى المعدة وتوترا فى الدورة وزيادة فى الحرارة الباطنية ونحو ذلك وهذا يدل على انه لايجوز استعماله فى الامراض التى فيها افراط فى الحيوية والفاعلية المرضية فى الوظائف ولا فيما اذا كان هنالك امتلاء ولا للاشخاص الجافة أليافهم المتهيجة

ولكنه اذا استعمل بمقدار يسير فانه يسهل الهضم ويزيد فى الشهية والقوى المثلة واستعمله (سيدنام) لادرار الطمث فعلم أنه متى كان هنا لك ضعف أو استرخاء وهبوط فى الاعصاء أو فى الوظائف جاز اعطاؤه للتقوية واحداث التأثير . ويصير حينئذ مسهلا للنفث فى النزلة المزمنة ومقويا للمعدة فى ضعفها وللقناة المعوية فى آخر الدوسنطاريات وصالحا لشفاء الخلوروز وادرار الطمث

وقد تستعمل أحيانا من الظاهر صبغته الكحولية فى مرض تسوس العظام وتآكلها وغير ذلك من علل المجموع العظمى

وكذا يستعمل رضما فى غنغرينا الاجزاء الرخوة وفى الاحوال التى تكون فيها الغنغرينا نتيجة ضعف عام أو ضعف خاص فى المنسوج الذى هو محل لها

وأوصى بعض القدماء بمضغه فى الآفات الحفرية التى فى الفم . واستعملوا التبخير بالمر علاجا للنزلة المزمنة والسعال التشنجى والربو الرطب ولكن نجاح هذا غير أكيد

ويدخل المر فى الماء العام واكسير الخواص والترياق وغير ذلك وقد هجر الاوربيون ذلك كله الآن

أما أطباء العرب فكانوا يكثرون من استعماله وقالوا : انه مسخن مجفف وفيه من المرارة شىء ليس باليسير وبسبب تلك المرارة يقتل الديدان والأجنة ويخرجها وكذا فيه جلاء ولذا يخلط

. مر هم والاكحال صبوغة للقروح والآثار الغليظة في العين وتقع في الادوية التي تستعمل لمعالجة السعال العتيق والربو الذي لا يصحبه خشونة في قصبة الرئة ولاعتدال حلاوته أدخله بعض الناس في الادوية التي تشرب لخشونة قصبة الرئة بسبب أنه يلين ويجفف اسخانا وتجفيفا بينا ولا يجاوزون من فضل مرارته وحلاوته

وقال الرازى انه من ادوية الفتوق ويخلط بالقوابض فيوصلها وقالوا عن ديسقوريدس ان قوته المسخنة تلصق مايحتاج للالصاق بيده وقابضته وتلين فم الرحم المنضم وتفتحه . واذا استعمل مع الافسنتين أو مع الترمس أدر الطمث وأخرج الجنين بسرعة . وقد يشرب منه مقدار باقلاة للسعال المزمن وعسر التنفس الذى يحتاج فيه الى الانتصاب ووجع الجنب والصدر والاسهال وقرحة الامعاء

واذا شرب منه مقدار باقلاة (فولة) بفلفل قبل أخذ الحمى النافض سكنها

واذا وضع تحت اللسان وابتلع ما يسيل منه لين خشونة قصبة الرئة وصفى الصوت وقتل الدود وطيب النكهة ويخلط بالشب فيزيل نتن الابط

وقد ... ... ورت شد الاسنان ... واذا ... على قروح الرأس أدملها واذا خلط ... وخصد ... وملحا ... في الاذن المؤلمة التي يسيل منها القيح ... أنها الحار وجفف قيحها وهو ... نحو القوابض واذا خلط باللادن والخمر ودهن الآس أمسك الشعر المتساقط

وقال ابن الجزار ... سحق المر وعجن بماء الآس واحتملته المرأة المنتنة المحل أزال عنها ذلك

وقال الرازى في حاميته انه ينفع من اوجاع الكلى والمثانة ويذهب بنفخ المعدة و ... وجع الارحام والمفاصل ... ومن السموم البادرة شربا ويخرج الديدان ويذهب ورم الطحال ويحلل الاورام

وقال أيضا انه ينفع من لدغة العقارب.

وقال ابن سينا انه يمنع التعفن والنتن ويجفف القروح

وقال اذا نثر على جراحات الاعضاء اليابسة المزاج العصبية يدملها ألصقها .

واذا عجن بالسمن بعد خلطه بالكمون وطلى به قروح الرأس الرطبة أو اليابسة

أبرأها . واذا حل فى ماء طبخ فيه الكركم والشمار أو الفودنج النهرى وا كتحل به أحد البصر ونفع من ابتداء الماء وخشونة الاجفان

وان حل فى ماء حامض الاترج أزال السعفة طلاء . واذا حل فى الخل ودهن الورد وطلى به الجرب المتقرح والحكة سكنها وأزاله واذا أمسك فى الفم صفى الصوت وازال البحوحة . واذا خلط بدار صيني وسكر كان ذلك أبلغ . وينفع من السعال ويسهل الاخلاط اللزجة من الصدر . وشرابه يطرد رياح الجوف ويدر البول وينفع من قروح المثانة ومن السحج العتيق فى الامعاء ويحدر الطمث المتوقف عن سدد فى مجاريه اوغلظ دم

هذا ما كان يقوله اطباء العرب وأما المتأخرون فيقولون انه كثيراً ما يضم الجواهر المرة الحديدية ويستعمل احياناً غراغر فى القدحات الغنغرينية والحفر ونحو ذلك

(مقدار الاستعمال) يؤخذ من مسحوقه من ٥٠ سنتى غرام الى اربعة غرامات حبوبا . والسائل المرى يصنع بجزء من المر واربعة أجزاء من الماء المقطر المغلى ويستعمل من ذلك كل يوم من ملعقتين الى اربع ملاعق . والممزوج الحديدى المرى يصنع بأخذ ٦٠ من كل من المر والسكر و ٢٥ من تحت كربونات البوتاس و ٢٠ من كبريتات الحديد و ٢٤٠ من روح النعنع و ٣٤٨٠ من ماء الورد ويستعمل من ٢٢ الى ٦٠ غراما تكرر مرتين او ثلاث مرات فى اليوم

والمسحوق المرى المركب يؤخذ من ٦٠ من المر و ٣٠ من كل من الجاوشير والسكبينج والجندبادستر ومقدار كاف من كل من النعنع والسذاب والاستعمال من نصف غرام الى غرام واحد

والخلاصة المرية تصنع بأخذ غرام من المر واربعة غرامات من الماء الحار أو الكحول الذى فى ٢٢ درجة من مقياس الكثافة والمقدار من ٢٥ سنتى غرام الى اربعة غرامات حبوبا. والصبغة تصنع بجزء من المر وخمسة اجزاء من الكحول الذى فى درجة ٣١ من مقياس كرتييه ينقع ذلك مدة ١٥ يوما ويرشح ويستعمل بالاكثر فى التغيير على تسوس العظام

والماء المقطر يصنع بأربعة غرامات من مسحوق المر و ١٢ من الماء فيقسم

المر فى الماء المقطر ويقطر لستحرج من ناتجه اربعة عرامات وتستعمل علاجا لآفات الصدر

اما لأجل الاستعمال من الظاهر فلصبغته الكحولية رروقات وعلاث وغراعر وغير ذلك (انظر المادة الطبية)

﴿ مرزنجوش ﴾ هو الذى يسميه العامة المردقوش نبات سنوى شرقى قد استنبت بأوروبا اصله من افريقا ينبت فى البلاد التى على ساحل البحر الابيض المتوسط تستعمل أطرافه المزهرة وهو عطرى مقبول جداً وطعمه حار فيه مرار ويحتوى على دهن طيار استخرج منه ١٠ر٠ من الكافور وتتصاعد منه رائحة شديدة العطرية . مسحوقه ينبه الغشاء المخاطى فلذلك يستعمل سعوطا يسبب العطاس وهو يؤثر تأثيراً مسهيا فى الاعضاء فيزيد فى الحيوية ويوقظ الشهية ويعين على الهضم ويساعد على العرق وبالجملة يحتوى على الخواص العامة للفصيلة الشفوية أعنى كونه مقويا منبها مضاداً للتشنج وغير ذلك

وقد نسبوا للمرزنجوش تأثيرا واضحا على المخ والمجموع العصبى ولذا يأمرون به فى الاحوال المهددة بالسكتة وفى السكتة نفسها والشلل التابع لها والتلص والسدر والدوار والخدر ونحو ذلك

ويستعمل أيضا فى النزلة المخاطية المزمنة لتسهيل النفث وتلطيف الصدر باعطائه زيادة قوة للمنسوج الرئوى وكذا لايقاظ عمل الرحم وفى الخلوروز واحتباس الطمث ونحو ذلك

وهو لكونه من منبهات القوى الحيوية اعتبروه فى بعض البلاد من الافاويه حيث يضاف للبقول الدقيقة للسلطات ونحو ذلك ويدخل فى المسحوق المعطس والماء العام والماء الملكى وشراب البرنجاسف والبلسم الهادى وغير ذلك

ويحضر منه ماء مقطر وصبغة وغيرها

وقد أطنب أطباء العرب فى ذكر خواصه ونقلوا عن جالينوس أن قوته لطيفة وأنه يسخن ويجفف ، وعن ديسقوريدس ان طبيخه يوافق ابتداء الاستسقاء وعسر البول والمغص . واذا احتمل ادر الطمث . واذا تضمد به مع الخل وافق لدغة العقرب . وقد يعجن بقيروطى ويوضع على التواء العصب

والاورام البلغمية

وشم ورقه يفتح سدد المنخرين والرأس شما وسعوطا بمائه . وعصيره نافع من ابتداء الماء ويحد البصر واذا دق ورقه الطرى بملح أواليابس بعد التندية ثم وضع على الانتفاخ الريحى أو البلغمى الرقيق حلله . واذا درس عصا مع الكمون وأكل نفع من وجع الفؤاد البارد والخفقان المتولد عن خلط فى فم المعدة

واذا طبخ مع الرند والزبيب نفع من الماليخوليا السوداوية وحديث النفس

وهو يسخن المعدة والاحشاء ويحلل النفخ السدى ويدر البول ادراراً قويا ويجفف رطوبات المعدة والامعاء واذا مضغ بالملح وابتلع قطع سيلان اللعاب واذا درس مع لحم الزبيب ووضع على نتوء الخصيتين أزاله ان لم يكن التهابا فان كان كذلك رطب بالخل

وقال اسحق بن عمران أنه يفتح سدد الرأس ويذيب البلغم ويقطع الصداع البارد ويلائم الزكام وينفع من الاوجاع العارضة من البرد والرطوبة ومن الصداع والشقيقة المتولدة من المرة والسوداء والبلغم اذا غلى وصب ماؤه بعد أن يبرد قليلا على الرأس بعد الانكباب على بخاره

وقالوا ان طبيخه يحلل أوجاع الصدر والربو والسعال وضيق النفس والاستسقاء والطحال ودهنه يفتح الصمم ويذهب الكزاز والرعشة والفالج ودخانه يصلح هواء الوباء ويطرد الهوام

وقالوا ان شربته مطبوخا الى أوقية ومن سحيقه الى مثقالين

(المقدار وكيفية الاستعمال) يصنع منقوعه المائى بمقدار من ٥ غرامات الى ١٠ لاجل كيلو غرام من الماء وماؤه المقطر يصنع بجزء واحد منه و ٤ أجزاء من الماء ومقدار الاستعمال من ٦٠ غراما الى ١٠٠ غرام فى جرعة . ومسحوقه من غرام الى غرامين وهو نادر الاستعمال من الباطن . نعم انه كان موضوعا فى أعلى رتب المعطسات وأما استعماله من الظاهر فكغيره من جواهر الفصيلة . ويعمل غرام من دهنه مع ثلاثة غرامات من الشحم الحلو ويستعمل مسحوقه معطسا كما قدمنا

﴿ المَرْزُبان ﴾ هو أبو الحسن على ابن احمد بن المرزبان البغدادى الفقيه الشافعى . كان فقيهاً ورعا من جلة العلماء أخذ الفقه عن أبى الحسين بن القطان

وعنه أخذ الشيخ أبو حامد الاسفرايني المشهور وحكي عنه أنه قال : (ما أعلم أن لأحد علي مظلمة)

كان مدرساً ببغداد وله وجه في مذهب الشافعي . توفي سنة (٣٧٦)

والمرزبان بفتح فسكون فضم لفظ فارسي معناه صاحب الحد . مرز هو الحد، وبان صاحب ، وهو في الاصل لمن كان دون الملك

﴿المَرْزُباني﴾ هو ابو عبد الله محمد عمران بن موسى بن سعيد بن عبد الله الكاتب المرزباني الخراساني الاصل البغدادي المولد صاحب التصانيف المشهورة والجاميع الممتعة

كان راوية للادب صاحب أخبار وتآليفه كثيرة وكان ثقة في الحديث ومائلا الى التشيع في المذاهب حدث عن عبد الله بن محمد البغوي وأبي بكر بن داود السجستاني . وهو اول من جمع ديوان يزيد بن معاوية بن ابي سفيان الاموي واعتنى به وهو صغير الحجم لا يزيد عن ثلاث كراريس . وقد جمعه من بعده جماعة وزادوا فيه أشياء كثيرة ليست له وشعر يزيد مع قلته في نهاية الحسن منه

اذا رمت من ليلى على البعد نظرة
لتطفى جوى بين الحشا والاضالع

تقول نساء الحي تطمع أن ترى بها
محاسن ليلى مت بداء المطامع

وكيف ترى ليلى بعين ترى بها
سواها وما طهرتها بالمدامع

وتلتذ منها بالحديث وقد جرى
حديث سواها في خروق المسامع

أجلك يا ليلى عن العين انما
أراك بقلب خاشع لك خاضع

قال القاضي ابن خلكان الذي ننقل عنه هذه الترجمة : وكنت حفظت جميع ديوان يزيد لشدة غرامي به وذلك في سنة (٦٣٣) بمدينة دمشق وعرفت صحيحه من المنسوب اليه الذي ليس له وتتبعه حتى ظفرت بصاحب كل بيت ولولا خوف الاطالة بينت ذلك

ولد المرزباني سنة (٣٢٧) وقيل سنة (٢٩٦) وتوفي سنة (٣٨٤) وقيل سنة (٣٧١) والاول أصح . صلى عليه الفقيه أبو بكر الخوارزمي ودفن في داره بشارع عمرو الرومي ببغداد في الجانب الشرقي

روى المرزباني الحديث عن أبي القاسم البغدادي وأبي بكر بن دريد وأبي

بكر بن الانبارى وروى عنه ابوعبد الله الصيمرى وابو القاسم التنوخى وابو محمد الجوهرى وغيره

﴿مرس﴾ مارسه عالجه وعاناه . و(تمرّس بالشىء) احتك به. و(مارسه) و (المارستان) دار المرضى . و(المَرَس) الحبل جمعه أمراس

﴿المرسى﴾ هو عبد الكريم بن وهبون أبو محمد الملقب بالسمة المرسى

قال ابن بسام فى ترجمته :

« شمس الزمان وبدره ، وسر الاحسان وجهره ، ومستودع البيان ومستقره ، أحد من أفرغ من وقتنا فنون المقال ، فى قالب السحر الحلال ، وقيد شوارد الالباب ، بأرق من ملح العتاب، وأروق من غفلات الشباب ، اجتاز المرية فى بعض رحله المشرقية ، وملكها يومئذ ابو يحيى بن صمادح فاهتز لعبد الجليل واستدعاه ، وعرض له بحرمة وافرة فلم يعرج على ذلك وارتحل عن بلده وقال:

دنا العيد لو تدنو به كعبة المنى
وركن المعالى من ذؤابة يعرب
فيا أسف الشعر ترى جماره
ويا بعد ما بين النقا والمحصب

ومن العجيب ما اتفق ان عبد الجليل وأبا اسحاق بن خفاجة تصاحبا فى طريق مخوف فمرا بقلتين وعليهما رأسان كأنهما بشران يتناجيان فقال ابن خفاجة :

ألا رب رأس لا تحاور بينه
وبين أخيه والمزار قريب
أناف به صلد الصفا فهو منبر
وقام على أعلاه فهو خطيب

فقال عبد الجليل مكملا :

يقول حذار الاغترار فطالما
أناخ قتيل لى ومر سليب

قال فما أتم كلامه حتى لاح قتام ساطع ، كأن السيوف فيه برق لامع ، فما تجلى الا وعبد الجليل قتيل ، وابن خفاجة سليب. فكأنما كشف فيما قال ستر الغيب

ومن شعره فى اللينوفر وهو نوع من الزهر :

وبركة تزهو بلينوفر
نسيمه تشبه ريح الجنوب
حتى اذا الليل دنا وقته
ومالت الشمس لعين الغيب
أطبق جفنيه على الفه
وغاص فى الماء حذار الرقيب

ومن شعره أيضا :

زعموا الغزال حكاك قلت لهم نعم
في صده عن عاشقيه وهجره
قالوا الهلال شبيهه فأجبتهم
ان كان قيس الى قلامة ظفره
وكذا يقولون المدام كريقه
يا رب لا علموا مذاقة ثغره

وقال أيضا :

يعز على العلياء اني خامل
وان ابصرت مني خمود شهاب
وحيث ترى زند النجابة واريا
فثم ترى زند السعادة كابي

وقال في مغنية لاسة حليا :

اني لأسمع شدواً لا أحققه
وربما كذبت في سمعها الاذن
متى رأى أحد قبلي مطوقة
اذا تغنت بلحن حووب الغصن

ومن شعره أيضا :

بنفسي وان كنت لا نفس لي
فقد سلبتها لحاظ المقل
عذار وخد كما يحتوي
سواد القلوب بياض الامل

وأنشد المعتمد بن عباد يوماً قول المتنبي :

اذا ظفرت منك العيون بنظرة
أثاب بها معيي المطي ورازمه

فجعل المعتمد يردده استحسانا له فقال عبد الجليل :

لئن جاد شعر ابن الحسين فانما
تجيد العطايا واللهى تفتح اللهى
تنبأ عجبا بالقريض ولو درى
بانك تروي شعره لتألها

وجلس المعتمد يوما وبين يديه جارية تسقيه فلمع البرق فرتعت فقال :

روعها البرق وفي كفها
برق من القهوة لماع
عجبت منها وهي شمس الضحى
كيف من الانوار ترتاع

وأنشد الاول لعبد الجليل فاستجاده فقال :

ولن ترى أعجب من آنس
من مثل ما يمسك يرتاع

ومن شعر عبد الجليل قوله :

غزال يستطاب الموت فيه
ويعذب في محاسنه العذاب
يقبله اللثام هوى وشوقا
ويجني ورد خديه النقاب

وقال أيضا :

سقى فسقى الله الرمان من أحله
تكاسين من عليائه وعقاره
وحيا فحيا الله دهراً أتى به .
بأطيب من ريحانه وعذاره

وكان للمعتمد بن عباد خادم يسمى خليفة فأمره أن يأتى بنبيذ فأخذ وعاء يسمى القمصال وأتى اليهم فعثر ووقع القمصال فانكسر ومات خليفة فأخبر المعتمد بذلك فقال:

أنأمن والحياة لنا مخيفة
ونفرح والمنون لنا مطيفة

فقال ابن عمار:

وفى يوم وما أدراك يوم
مضى قمصالنا ومضى خليفة

وقال عبد الجليل :

هما فخارتا راح وروح
تكسرتا فاشقاف وحيفة

كان المرسى من أهل القرن الخامس

﴿ المرض ﴾ مقدمة - الحياة مظهرها جملة الافعال التى تصدر من البنية والصحة ظهورهذه الاعمال بترتيب وانتظام والمرض ظهورها على خلاف ذلك . أو هو المانع واحدة منها او أكثر . والعلم الذى يبحث عن الوسائل الحافظة للصحة يسمى بقانون الصحة، والعلم الذى يبحث فى كيفية اعادة الصحة لحالتها الطبيعية بعد زوالها يسمى بالباتولوجيا أى علم الامراض

فما هو المرض ؟ المرض هو تغير فى نسيج أوعضو أومجموع يوجب تشوشا فى عمله أو عدم اتمام وظيفة من الوظائف الجسدية . ومنشأ المرض إما خارج عن الجسم أو هو فى ذات الجسم ، فلذلك انقسمت الامراض الى بادئة وجسمية وتأثيرها اما موضعى أو عام، فانقسمت أيضا الى موضعية وعامة

ثم إن أكثر الاسباب بنبه الانسجة بتأثيره فيها أو يهيجها وحينئذ تسمى منبهة أو مهيجة . ومنها ما يؤثر عكس ذلك فيقلل الفعل الحيوى فى الانسجة وهذه تسمى مضعفة . ومنها ما يحرق الانسجة ويفسد تركيبها أو يرضها أو يمزقها أو يفصل بعضها عن بعض أو يزيل الارتباط الطبيعى الجامع لها وهذه تسمى اسبابا كيماوية أو ميكانيكية

جميع هذه الاسباب لا تؤثر بقوة واحدة فمنها مايجعل فى الاعضاء قابلية لاكتساب الامراض وهذه تسمى اسبابا

مهيئة . ومنها ماينسب عنه المرض سريعا وهذه تسمى اسبابا متممة اى موجبة . وبعض الاسباب المهيجة يكون ميكروبى ويصدر عنه داء أمراض واحدة وهذه تسمى أسباب نوعية كاسباب الجدرى و جدرى البقرى والزهرى والكوليرة والطاعون والحيات السمية

وأكبر أسباب المرض العوامل الضرورية لحفظ الحياة كالهواء والماء و الحرارة والضوء والاغذية والكهرباء هى ينبوع الامراض الغالبة وذلك اذا خرجت عن حدها الطبيعى بالزيادة أو النقصان واذا اشتد تأثر الاعضاء منها ضعفت الموازنة. وكلما قوى تأثير هذه الاسباب قوى حس الانسجة واشتد والعكس ينتج العكس

وقد تكون البنية على حال تقوى تأثير الاسباب المذكورة بل ربما كانت تلك الحال وحدها كافية فى احداث الامراض فلذا كان تأثير الاسباب مطلقا فى الاشخاص الضعاف أشد منه فى الاشخاص الاقوياء بسبب ضعف المقاومة فى أنسجتهم

والسن والذكورة والانوثة وتسلط احد الامزجة وشدة الاستعداد فى عضو يجعل فى الاشخاص شدة تأثر من بعض الاسباب. فسن الطفولة مهيء لامراض المخ وسن البلوغ لامراض الصدر وسن الكهولة لامراض المسالك الهضمية وسن الشيخوخة لامراض الكلى والمثانة

الانوثة مهيئة للامراض العصبية

والمزاج الدموى مهيء للالتهاب والانزفة

والمزاج اللمفاوى مهيء للخنزيرى

والمزاج العصبى مهيء للداءات التشنجية

وأما الهواء والماء والحر والبرد والضوء وغيرها منها وان كان لها تأثير فى جميع البدن الاان الذين اعتبروها من الاسباب العامة أخطأوا لان الذى يحدث فى الجسم عقب تأثيرها هى أمراض موضعية لأنها انما تنبه محلا واحداً من الجسم يختلف باختلاف الاشخاص لكون ذلك المحل قابلا للتهيج أكثر من غيره فتنتهى اليه جميع التأثرات . فان ظهر أثرها فى جميع الاعضاء فقوة تأثيرها انما هى فى بعضها من حيث ان وصولها اليه كان من غير واسطة. مثل ذلك :

افراط الحرارة او قلتها يؤثران خصوصا فى الجلد

والهواء يؤثر فى المسالك التنفسية

والكهرباء فى المجموع العصبى

اذن ليس هناك أسباب عامة

وبالجملة ان هذه المؤثرات العامة فى الجسم وان كان كثيراً ما تكون أسبابا مرضية فلدى ينسبب عنها أمراض موضعية كالتى تتسبب عن غيرها من المؤثرات والمهم به أكثر من غيره فى مبحث أسباب الامراض هو التغيرات التى تحصل فى البنية الاولى للانسجة الجسمية من هذه الاسباب وإذا نظر فى الاختلاف الكثير الواقع فى هذه الاسباب ظن انه يتولد عنها نتائج كثيرة مختلفة لكنه يعدل عن هذا الظن بالتأمل فى انها كلها لم يكن لها الا نتيجة واحدة وهى ترايد العمل العصوى للانسجة اى حدوث الزيادة فى الحس اى الالم وفى مقدار توارد السائلات . واذا قطع النظر عن مستثنيات قليلة ووضع سبب من الاسباب ليؤثر تأثيراً شديداً فى نسيج حتى تصدر عنه نتيجة واضحة شوهد أولا فى محل الملامسة أو فى بينه وبينها سمباتوية تزيد فى القوة المهيجة ثم يظهر الألم ثم تتوارد السوائل من كل جهة . والاسباب التى د: ا فعلها تسمى مهيجة

والاسباب المضعفة يصح انكارها ويقال انها سلبية لأنها عبارة عن سلب المنبهات اللازمة لحفظ الحياة بالامتناع عن الغذاء والهواء والضوء والحرارة أو سلب بعض المواد من الجسم بالفصد أو غيره . على انه يقال ان سلب المنبهات كثيراً ما يكون سببا مهيجا كقلة التغذية فانها دائما تنتهى بزيادتها لقابلية التهيج فى الغشاء الباطنى وتحدث فيه زيادة فى توارد السوائل

والاسباب الكيماوية والميكانيكية ان أثرت تأثيراً خفيفا كانت مهيجة فقط، وان أثرت تأثيراً ثقيلا اختلفت التغيرات التى تنشأ عنها فتكون حرقا أو تمزقا أو هتكا أو تمدداً أو رضا او غير ذلك

اما الاسباب الميكروبية فظاهرة وهو أن انتشار ذلك النوع من الميكروبات فى الجو يفضى به الى مهاجمة الاجساد البشرية فينمو فيها وتفعل سمومه على البنية التسممات التى يكون مظهرها الامراض العفنة المعروفة كالتيفوس

والتيفوبيد والزهرى والطاعون وغيرها

{ أعراض الامراض }

الاعراض هى النتائج المختلفة المصاحبة للامراض بحيث لا تفارقها ومعرفتها نافعة فى تحرير التشخيص

والعوارض تغيرات غير عادية تحدث بغتة فى مدة سير المرض وربما ظهرت فى ابتدائه او وسطه أو اثناء انحطاطه ولذلك تنقسم الى أولية وتابعية . فمثال الاولية فى الجروح الالم والنزيف والالتهاب وغيرها

ومثال التابعية فيها التقيح الردىء والغنغرينا والحمى وغيرها

الاعراض تتقوم من الظواهر غير المعتادة التى تدرك وتظهر فى أصل الانسجة والاعضاء وفى شكلها وارتباطها وأفعالها

وتنقسم الى موضعية وهى التى تظهر فى الموضع المشغول بالمرض وسمباتوية وهى التى تصدر من تشوش العضو المصاب وتظهر فى أنسجة غير التى تكون محلا للمرض وتصل اليها بواسطة المخ أو النخاع الشوكى أو العصب الحشوى الثلاثى ، والى عامة وهى التى تظهر مع الموضعية فى متسع عظيم من الجسم وتكون فى جملة دامات مختلفة

وتنقسم أيضا الى أولية وهى التى تظهر عند تأثير السبب الممرض أو بعد تأثيره بزمن كالجروح والجراحات التى تظهر وقت العدوى فى نحو الزهرى أو بعده بأيام قلائل . والى تابعة وهى التى تظهر بعد اكتساب المرض بزمن طويل كالبثور والاورام الصلبة فى الزهرى

الاعراض الموضعية هى الأهم فى كل مرض لأنها هى تعين على التشخيص ولأنها منبعثة من العضو المريض غير انه لا يسهل تمييزها عن الاعراض السمباتوية . مثال ذلك اذا كان لدى رجل التهاب فى الكلية ولديه ايديو سينكراسيا فى المعدة أى شدة تأثر فيها فان علامات التهاب الكلية تؤثر فى المعدة تهوعا وغثيانا فبذلك يخفى داء الكلية ويظن فى المعدة

ولهذه العلة نرى مرضا واحدا يصيب اشخاصا متعددين وتظهر عليهم علامات مختلفة وقد يكون بعضهم شديد التأثر و بعضهم قليله وبعضهم لا تظهر عليه علامات البتة

واما الاعراض العامة وهي التى تظهر فى آفاق كثيرة ولاتخص مرضا واحداً بعينه فعددها قليل ولا يعرف منها الا سرعة النبض وازدياد الحرارة والقشعريرة وتناقص القوة العضلية

(سير الامراض)

سيرها هو الانتظام الذى تكون عليه الداءات مرتبطا بعضها ببعض . ويقال له (دائم) اذا لم يكن فى العلامات انقطاع من الابتداء الى الانتهاء . و (منقطع) اذا ظهرت ثم زالت فى أزمنة منتظمة وغير منتظمة . و (متردد) اذا لم تزل بالكلية بل ترددت شدتها بين الزيادة والنقص زمنا فزمنا و (حاد) اذا تناقلت الاعراض أوزالت بسرعة و (مزمن) اذ ظهرت العلامات ببطء وطال الداء

الداءات الحادة هى التى تقطع ادوارها بسرعة ويظهر عنها كثير من السمباتويات أو الانعكاسات العصبية من الداء على أعضاء أخرى . والغالب أن تسبق هذه الداءات القشعريرة وأن تكون لها الادوار الثلاثة الازدياد والوقوف والانحطاط

والداءات المزمنة هى التى تبطىء فى ظهورها وقد تكون نتيجة للداءات الحادة . فان كانت أولية كان بطؤها وقلة اشتدادها وهما وصفاها المميزان حاصلين من ضعف تأثير الاسباب المتممة أو ضعف القوة المهيجة فى الشخص أو فى العضو أو منهما معا وحينئذ فكثيراً ما يخطىء فيها المشخصون لها

وبعض الداءات تظهر بعلامات متعاقبة صفتها واحدة وعلى انتظام واحد لا يعتريها تغير هام كالجدرى

ومما يختلف به سير الداءات السن والذكورة والأنوثة والامزجة والفصول والاقاليم

فداءات الطفولة أسرع سيراً من داءات الشيخوخة التى هى غاية فى البطء وداءات الامزجة الدموية والعصبية أسرع من داءات الامزجة الليمفاوية

ومما يؤثر فى سير الداءات كون الداء مختلطا لابسيط والبسيط هو الذى يتغير فيه نسيج واحد والمختلط هو الذى يتغير فيه جملة أنسجة فى آن واحد

ومدة الداءات تختلف جدا فمنها مالا يستمر أكثر من مدة ساعات ومنها

مايبقى ٢٤ ساعة ومنها مايستمر سنين

(معالجة الامراض)

أقوى ماتنبنى عليه معالجة الامراض معرفة محل الداء وطبيعته وكثيراً ماتحصل فيها تنوعات هامة من اعتبار أسبابها وسيرها ومدتها ونحو ذلك . ولاتعطى الوسائط الشفائية فى داء الا اذ عرفت طبيعته . وهناك قاعدتان يجب الالتفات اليهاوهما:

(أولهما) أول ماينبغى فعله فى كل علة ابعاد الاسباب المحدثة أو الممدة له

(ثانيهما) اراحة العضو المصاب .

فان مقاومة العلة بالوسائل العلاجية لايثمر مادام السبب الموجب لها موجودا فان حصل الشفاء رغما عن ذلك كان وقتيا ثم يحدث الانتكاس سريعا

وعلى ذلك فيجب ابعاد الشخص المصاب بداء متقطع مستمر عن المحل الرطبة وحمايته من الحر والبرد واليبوسة اذا كان سبب الداء واحداً منها . وتجنب الانفعالات النفسانية الشديدة فى الآفات الصادرة عنها واخراج الاجسام الغريبة أو معاونة الطبيعة على اخراجها ورد الاجزاء المنفصلة أو المنخلعة الى محوراتها الاصلية ونحو ذلك

وكثيراً مايدعى الطبيب بعد أن يبطل تأثير السبب فليكن اجتهاده حينئذ فى حمل المريض على الشروط الصحية النافعة ليحفظه من تأثير الجو ومن الحركات العصبية

والنقاهة هى الحالة التى ينتهى بها الداء ويأخذ العليل فى الصحة فينبغى للطبيب فى هذه الحالة أن يأمر المريض بالتغذى تدريجا مع مراعاة مايناسبه منها وستعيض ماانتقص من قواه وأن ينبه الاعضاء الضعيفة ويسكن ما قوى تنبهه ويسعى فى ترجيع الافرازات ودفع الفضلات التى ماتكون عليه فى حالة الصحة ويحمل المريض على أجود الاحوال المذكورة فى قانون الصحة

(طبيعة الداآت)

طبيعة الداآت تحصل من تغيرات الانسجة ولايقف على حقيقتها الا التشريح المرضى . ويحسن بنا أن ننبه هنا على التغيرات التى توجد فى الانسجة فنقول:

(١) الالتهاب وهو تميزها بالاحمرار والاحتقان والانتفاخ وزوال قوة الانحاد

وهذ أكثر التميرات وجوداً وهو السبب لمعظم بقية التميرات الآلية المشاهدة فى الانسجة

(٢) التيبس الاحمر والارداد والتولدات والعطر والوليبوس

(٣) الغاطات والبثور والتقيح والتأكل والتقرح والتثقب والغنغرينا

(٤) التجمدات والحبوب وظلمة الانسجة الشفافة والالتصاقات وانصباب المصل والاغشية الكاذبة

(٥) استحالة النسيج الى هيئة نسيج آخر كالغضروفية أو العظمية أو الليفية أو المخاطية أو المصلية

(٦) التيبس الابيض والاستحالة الهلامية والدرن والمدة الحبية الشكل والمادة السرطانية . وهذه التميرات كثيراً ما تعقب الالتهاب . وقد تكون أولية ويسمى حالتها بالالتهاب الدرنى وهي تسمية غير جيدة

(٧) ضيق القنوات الطبيعية أو تساعها وانسدادها بالكلية

(٨) القنوات العارضة والنواصير والانفساحات العارضة و لا كياس

(٩) تولد الغازات والرياح فى تجاويف الاعضاء

(١٠) الاجسام الحية التى تتولد فى باطن الاعضاء

(١١) الانصبابات الدموية وتجمعات هذا السائل ويسمى ذلك بالانزفة لكون الغالب انها تخرج الى الخارج

(١٢) التولدات الطباشيرية والحجرية والليفية والقرنية والجيرية ونوع تكون هذه التغيرات مجهول

(١٣) التغيرات فى الشكل والمجاورة كالجروح والقروح والتمدد والتمزق والكسر والخلع

(١٤) الاجسام الغريبة

(١٥) سوء التركيب أو آفات البنية

(١٦) التغيرات التى تقبلها السائلات الجسمية ويظن أن تغيرها تابع لتغير سابق فى الاعضاء المنوطة بتحضيرها (انتهى باختصار من كتاب الطب (لبروسيه وسانسون)

﴿ المذاهب المختلفة ﴾
(فى شفاء الامراض)

اختلف العلماء فى كيفية شفاء الداءات كما اختلفوا فى بيان أسبابها وقد

كتبنا في ذلك فصلا ممتعا في كلمة (طب) نعيده هنا اتماماً للفائدة وهو :

(مذهبا الطب العصري) للطب اليوم مذهبان أحدهما يرى أن الجسم يحتاج أحيانا الى العلاج بالمواد المختلفة مع استخدام التدابير الصحية . ويرى الآخر ان العلاج قد يفيد العضو المريض فيحوله من حال الى حال ولكنه في الوقت ذاته يوجب مرضا على عضو آخر قد يكون فيه هلاك الشخص

فالطب في نظر هؤلاء يجب أن يقتصر على استخدام قوى الطبيعة من هواء طلق وغذاء جيد صحي خال من اللحم والمهيجات وعمل جسدي معتدل واستحمام بالماء الفاتر أو البارد وغير ذلك من التدابير التي تعين الاعضاء المريضة على مكافحة المرض الذي حل بها

ان هؤلاء يقولون ان العلاج لا يشفي المصاب ولكن الذي يشفيه هو القوة الحيوية الموجودة في جسمه . تلك القوة تظهر للحس بفعلها على الجراح . ألم تر أنه لو أصابك جرح أخذ بعد حين في الاندمال من نفسه فلا يزال سائرا في طريقه حتى يصبح العضو المجروح كأن ليس به شيء وتعود اليه جميع وظائفه ولم يبق للجرح عين ولا أثر . هذا الأثر المحسوس للاندمال والشفاء التدريجي هو أثر القوة الحيوية التي خلقها الله لتحفظ لنا وجودنا الى حين . فان أصاب أحد الاعضاء مرض باهمالنا لقانون الصحة تولته القوة الحيوية بالعناية والعلاج كما تولت الجرح فلا يجوز أن يكون لنا اذ ذاك من عمل الا مساعدة عمل القوة الحيوية باتباع قوانين الصحة ومراعاة الحمية والعناية باستنشاق الهواء النقي وغير ذلك فتعمل القوة الحيوية عملها في ذلك العضو ولا يمر غير قليل حتى يشفى المريض

أما لو أعطى علاجا وهو في تلك الحالة ازدادت حالته سوءاً وتفاقم مرضه فان نجا منه فلا يكون ذلك الا ببذل مجهود كبير من قواه الحيوية تهيئه لمرض مزمن وقد جاءت شهادات كبار الاطباء في ضرر العلاجات تؤيد ذلك

قال الدكتور (غرانيشتاتن) وهو من أقطاب الطب بألمانيا وقد نقله عنه الاستاذ بلز في كتابه الطب الطبيعي

« الضعف في درجاته وأشكاله التي لا تحصى ليس هو على وجه عام الا نتيجة العلاج بالعقاقير سواء أكانت جيدة أم رديئة.

العلاجات ان استعملت كما ينبغى تغلبت على الداء الاصلى ولكنها تترك دائما فى الجسم بقايا تظهر آجلا أو عاجلا وتكون نتائجها غير قابلة للشفاء . وعليه فللناس الحق فى تسمية هذا النوع من الضعف بالضعف العلاجى

ثم قال : «من عهد ماجادت علينا الكيمياء بالمركبات المختلفة الزئبق والانتموان وقشر الكنكينا وحمض البروسيك والرصاص والزرنيخ والكبريت الخ ومن عهد السماح بتعاطيها بنوع من الجرأة المتناهية باعتبارها علاجات قوية التأثير ضد الآلام التى كانت مجهولة فى العصور السابقة ، من ذلك العهد انتشر الضعف بحالة يؤسف لها وانتقل من الآباء الى الابناء

«فالذى يلقى به التدرمرة واحدة تحت كلاكل هذا الداء يكون قد وقف حياته على التردد على الصيدلات»

وقال الدكتور (كيسر) كما نقله عنه الاستاذ بلز فى كتابه المتقدم ذكره :

« ان الحكمة القديمة القائلة بأن الدواء قد يكون شرا من الداء، والطبيب شرا من المرض هى صحيحة فى كثير من الاحوال

« ان عددا كبيرا من الادواء تشفى بقوى الطبيعة وحدها وأما فى الامراض كافة فالشىء الوحيد الذى يجب على الطبيب عمله ويستطيعه هو حصر وابعاد المؤثرات القاتلة عن المريض وابطال الحركة غير الطبيعية لبعض أجهزته وأعضائه. فان فعل أكثر من هذا ليرضى المريض المحب للدواء ويحقق نظريته الوسواسية وشهواته النفسية فقد أضره كل الضرر

« على هذه الطريقة كثيرا مايولد الاطباء الادواء الصناعية . ويمكن القول بأنه فى كثير من العلل التى يعالجها الاطباء عدد كبير من الأمراض المزمنة منها ماقد سببه الاطباء أنفسهم

« وفى الحالة الحاضرة للطب العملى يجب أن يجعل المريض بمعزل عن كل طبيب كما يعزل عن كل سم قتال

« هذا مايشهد به تاريخ الطب فان كل نظرية طبية خاصة استدعت عددا من الضحايا البشرية لم يتوصل الى الفتك بمثلها أشد الأدواء ولا أطول الحروب »

وقال الأستاذ (ستيفنس) أستاذ

الكلية الطبية ... ما يلي :

« كل تقدم ... قال عنقد دم في ... وزادت ثقتهم في قوى الطبيعة

ثم قال : « ... كل ... الحديثة التي ... المرضى لا يزالون ... لانهم قال ... عام

ثم قال : « ان ... تقدم الطب ناتج من ... الطب ... لا أن يد ... الطبيعة ... كانت من ... »

وقال الاستاذ الدكتور (سميث) كا ... عن الاستاذ ... :

« كل العلاجات التي تدخل في الدورة الدموية ... الطريقة التي ... بها السموم الحالة للادواء .

« والادوية لا شيء ... كان ولكن الذي يشفيهم هو الخاصة الطبيعة ليس الا

ثم قال : « ان الديجتال قد قتل ألوفا من الناس

« وحمض البروسك كان يستعمل بكثرة في اوروبا وامريكا ضد السل الرئوي وقد عالجوا به الوفا من المرضى ... يشف واحدا ... قبل ... انتهى

وقد ... الاستاذ ... عن أكثر من ... عالم من علماء الطب ... من هذه الاقوال التي نؤيدها المشاهدة فثبت من ذلك كله ان أثر العقاقير في شفاء ... أثر ... وحده ... اذ أصابه داء أن يحتمي عن الاكل (حمية) وأن ... بأمر الصحة مستخدما الوسائل التي ذكرها الاطباء ... من الاستشفاء بالماء والهواء ... من التعرض لاخطار العلاجات ...

لم يحص العالم الى اليوم من الطب من فائدة غير تخفيف لآلام ... وكلها سام قتال ولقد كثرت الاطباء والصيدلات ولا تزال الادواء والمرضى ... في الازدياد وقد طرأت علل ما كان يعرفها آباؤنا ولا نعرفها الا الآن ... التي لا تعرف ... لا علاجا فما أثر الطب بعد ذلك ؟

يظهر لنا أن علم الطب سيضمحل ويحل محله علم قانون الصحة وسيزول كل ما يعرى للعلاجات من التأثير والخواص لظهور أثر الطب فيها ولن يبقى الا علم الجراحة

فهو العلم النافع الذى لاشك فى نفعه

(أساليب العلماء فى معالجة امراض)

أعجز الاطباء معالجة أقل الادو . خطورة فلم يتوصل طبيب الى ازالة فقر الدم وضعف الاعصاب وغيرها مما يعترى الناس من جراء أعمالهم بمحض تأثير العلاج . فأكثر الناس يشكون الضعف وفقر الدم وقد صرفوا السنين فى تعاطى العلاجات المقوية بدون فائدة

هذا بالنسبة للضعف وفقر الدم أما بالنسبة لغيرها من علل القلب والرئتين والكبد والمعدة والمخ فحدث ولا حرج وان قلت ان واحداً ممن يصاب بهذه العلل لم ينل خيراً من العلاجات الطبية وانتهى أمره الى اليأس لما كنت بعيدا عن الواقع

هذا العقم الظاهر من العلاجات دفع كثيرا من فضلاء الاطباء الى تلمس وسائل جديدة لشفاء العلل فأطالوا البحث وصرفوا العمر فى التجارب فاهتدوا لنتائج ان لم تكن هى الواقع بعينه فقد أدت خدما جليلة نذكر من هؤلاء العلماء والاطباء هيج الانجليزى وكنتانى الايطالى وسوبرويسكى الفرنسى وقد احدث كل من هؤلاء حوادث من الشفاء عزت على الطب و لاطباء وطارت شهرتها الى أقاصى المعمورة

(أسلوب هيج فى العلاج) يقول الدكتور هيج ان أسباب العلل هى الحوامض السامة التى تنضاف الى الدم من سوء التغذية أكبرها خطراً حمض البوليك (أسيد أوريك) وحمض الاوكساليك والنطرون وصرح بأن لا سبب للنوراستانيا وهو داء ضعف الاعصاب الذى ينتشر اليوم انتشاراً مريعا بين جميع الطبقات الا حمض البوليك. وكذلك هو من الاسباب للاصابة بالنقطة والروماتيزم وألم الرأس والصداع والصرع والجنون وضعف القلب ووقوفه والربو والتهاب الشعب وسوء الهضم والبول السكرى وأدواء القلب

ليس هيج أول من عرف ضرر حمض البوليك ولكنه أول من حدد دائرة نفوذه الضار من الوجهة المرضية

قال هيج، وهذا القول أساس مذهبه ، أن السميات التى تتخلف من المواد الغذائية تنبث في تفرعات الاوعية الدموية وتسد الاوعية الشعرية فتقل قوة سريان الدم ويشتد ضغطه على القلب ويكون سببا لضعف عام للبنية ولاختلال جميع الاعضاء

فاذا أبطأت الدورة قلت تغذية الاعضاء ومتى اشتد الضغط على القلب يحدث له داء ثم تنتشر سموم الاغذية بتوالى توارده‍ا فى سائر الاعضاء فتمرضها أيضاً فيشكو صاحبها العوارض المختلفة ويعرض نفسه على الاطباء فيشخصه كل منهم على ما تسمح له به نظرياته فتارة ينصحونه بتعاطى المقويات وأخرى بأخذ المنومات ومرة يأمرونه بالسياحة وأخرى بالراحة وحيناً يحزقون جلده بابرة الحقن وهم فى ذلك كله بعيدون عن حقيقة الداء . فلو علموا أنه ناشىء عن سموم الاغذية وعنوا بمعرفة مقادير السموم منها وأشاروا بحمية صحيحة لشفى المصاب ولكنهم يعتمدون على العقاقير الطبية فتنضم الى كمية السموم وتريد فعلها

يقول هيج ان تراكم حمض البوليك فى أوعية الدم يسبب انحرافاً فى العقل واضطراباً فى الحياة وهى أخص علامات النوراستانيا فاذا سهل خروج حمض البوليك تغيرت حالة العقل حالا كأنها حادثة سحرية وتنقلب الحياة فى نظر صاحبها سارة حتى أن الانسان ليحدث نفسه باتيان الاعمال المستحيلة

وقال هيج أن جميع الادواء تزول بازالة حمض البوليك فحذفوا هذا الحمض تبدوا مائة سنة ولا يوجد هذا الحمض غير الغذاء

بالتحليل وجد ان هذا الحمض يوجد فى اللحم والفول والعدس والبازلة والفاصوليا واللوبيا الجافة والشاى والقهوة والكاكاو

ثم قال وعليه فيجب الاكتفاء بأكل النباتات وخصوصاً الاسباناخ والخبازى والكرنب والقرنبيط والفواكه واللبن والجبن والامتناع عن اللحم والفول والعدس والبازلة والفاصوليا واللوبيا الجافة

اذا سار المصاب بأى داء على هذه الحمية مدة تحللت السموم وتسربت من الكليتين والجلد وغيرها وطهر الجسم منها ورايلته جميع الاعراض المرضية

(أسلوب الدكتور كانتانى) قاعدة الدكتور كانتانى غير قاعدة هيج وان كانت النتيجة واحدة فانه قال بأن حمض البوليك هو سبب كل داء فى جسم الانسان ولكنه ليس هو العلة بل العلة قلة الاوكسيجين فى الجسم لتحويله الى بول ونزوله مع الفضلات

قال والذى يوجب نقص مقدار الاوكسيجين فى جسمنا انه يستهلك

باكثارنا من تناول الاغذية الايدراتيــة الكربونية (كالسكر والنشا) والدهنية . فان لم يتناول الانسان هذه الاغـذية بقى الاوكسيجين فى دمه فحول حمض البوليك الى بول فاتقى الجسم شره كما تكوّن

وعلى ذلك فالدواء الوحيـد لجميع العلل عند الدكتور كاتن فى هو اتباع حمية لا يأكل الانسان فيها الدهنيات ولا السكر والنشاء ويمتنع عن الخل والمخللات واللبن والجبن والامراق والعجينيات والرز والبطاطس والحلوى والتوابل ويكتفى بالبيض والنباتات الخضراء والفواكه مع الحركة فى الهواء الطلق

(أسلوب الدكتور سوبرويسكى)

يقول هذا الدكتور ان سبب جميع العلل فساد تركيب الدم وما فساده الا كونه حامضا غير محتو على قلويات فصلاحيته ان يكون قلويا حلواً وعدم صلاحيتـه ان يكون حامضا . والدليـل على ان سبب العلل هو خـلو الدم من القـلويات انك لا تجد فى الدم ولا فى البول أملاحا قلوية فى جميع الادواء الحية وهذا برهان على ان هذه الاملاح حرب لتلك الادواء فقد ثبت انها تقتل الميكروبات البدنية وتلاشى سمومها كما يقتلها السليمانى

فالافضل للمرضى أن يعطوا أغـذية كثيرة القلويات فان الداء يزول مهما كان نوعـه متى تسلح الدم بالقـلويات فالفواكه والليموناده تشفى أكثرمما تشفيه الخمور غاليـة الثمـن ولا يسقط مريض بضعف القلب اذا أعطى قلويات كافية . فاذا تكون سم فى الدم انفرز حالا بفعل تلك القلويات

ولما كانت الوظائف الحيوية تسرع فى الحميـات فتستهلك القـلويات فيجب اعطاء المريض اغـذية قلوية . أما المرق فلاحتوائه على البوتاس يضعف القلب . والفواكه اولى منه بالعناية

العلل المزمنـة تشفى باعطاء الدم قلويات ويذوب الرمل الصفراوى تحت تأثيره ويشفى البول السكرى والنقطة وعدم وجود القـلويات فى الدم يوجد الهرم الباكر

وقال الدكتور سوبرويسكى . كل تأكسد يبطىء التغذية والتصريف فلا يصل للاعصاب غذاء كاف فيبطل نشاطها فيعترى الانسان مالا يحتسب من أمراضها وكل الذين عاشوا كثيراً كانوا قنوعين

جداً . فبالافراط فى الأكل تبقى فضلات كثيرة وعلى قدرها يستهلك الجسم القلويات من الدم

لا يوجد للدم نقاء وزيادة قلويانه الا النباتات من الفواكه والاعشاب وأفضلها ما كانت قلوياته أكثر

العلل الكثيرة سببها واحد وهو اختلال أعضاء التصريف حتى لم تحتمل فلا علة وتلك الاعضاء المصرفة هى الرئتان والكليتان والجلد والامعاء . فان مرضت احداها وقع الجسم في المرض لامحالة . ان مرضت الرئتان بقى فى الدم كثير من حمض الكربون وهو سم . وان تعبت الكليتان بقيت اليولينا (الأورية) وحمض البوليك فى الدم وناهيك بهما من غولين للصحة . وان انسدت مسام الجلد تبقى فى الجلد السموم التى يجب ان تتصاعد منه بالتبخر الجلدى ، وان تعبت الامعاء بقيت الفضلات فى البدن . والذين يقعون مرضى كانوا مرضى من قبل بأحد هذه الاعضاء فأهملوها

ثم أخذ الدكتور سوبروبسكى يفصل فى قيمة الاغذية من الوجهة القوية فقال : النبات التى تحتوى على القلويات الشكوريا والراوند والاسفاناخ والكرنب والحماض والهندبا والخس والكرفس والجرجير والفجل

أما النباتات التى لها خاصة فى افراز حمض البوليك فهى الاسفاناخ والكرنب والقرنبيط وكرنب بروكسل والبصل الحمراء فل ويجب تجنب عدد من الخضر لان بها خواص تبقى أثر حمض الاوريك

هذه أساليب الدكتورة الثلاثة وكلها ترمى الى غرض واحد وهو العناية بأمر التغذية وعدم ادخال شىء الى المعدة بغير حساب

والغرض كل الغرض أن يعتدل الانسان فى غذائه وان يكون سائر معتمداً فى تقويم جسمه على العادات والفوائد الصحية ومن أصابه مرض أو عرض عليه أن يعتمد الى الطرق الطبيعية التى ضمناها فى هذا الكتاب أمام كل داء . ولا يجوز أن يعتمد على شىء منها حتى يتحقق من الداء الذى عنده ولا سبيل الى ذلك التحقق الا بعرض نفسه على الاطباء المشخصين مراراً والله ولى الهداية

(اتقاء الامراض المعدية) كثيراً ما تنتشر فى جو البلاد أو دواء طبيعتها

وبائية فيعدى المصاب بها الصحيح فينتشر فى البلد أو البلاد انتشاراً وبائيا وقد كان انتشار هذه الادواء يجتاح الملايين من الناس قبل اكتشاف سر عدواها اما الآن وقد اكتشفت الميكروبات فقد علم أنها تنتشر بواسطة تلك الجراثيم الحية الصغيرة وقد وضع العلماء لاتقائها النصائح المفيدة فجاءت بنتائج باهرة حتى صارت الآن الادواء الوبائية غير مخيفة اذا علم الانسان كيف يتقيها وقد نشر العلامة الدكتور محمد علوى باشا الطبيب المصرى المشهور مقالا نفيسا جامعا لوسائل التحوطات الصحية فى جريدة الاهرام الصادرة فى ١٠ سبتمبر سنة ١٩١٦ نثبته هنا ادلالا على فضل طبيبنا الكبير قال رحمه الله :

(العدوى)

يراد بالعدوى انتقال المرض من كائن حى الى آخر (انسانا كان أو حيوانا او نباتا) وهى وظيفة كائنات حية تسمى بالجراثيم المرضية

(الجراثيم التى تتولد منها)

الامراض المعدية

من المعلوم أن هذه الجراثيم عبارة عن حيوانات دقيقة لا ترى الا بنظارات معظمة تسمى بالمكرسكوبات وتسكن عادة فى الهواء وفى الارض وفى الماء خصوصا مياه البرك والمستنقعات وفتحات الجسم كالفم والانف والعين والاذن والشرج وفى اعضاء التناسل وعلى الاقدام والايدى وتحت الاظافر وعلى الخصوص فى المحلات المشعرة والمفروشات وتكثر فى المساكن التى حصلت فيها اصابات بالامراض المعدية الخ

فيجب على الانسان بوجه عام ان يعرف ان معظم الامراض المعدية كثيرة الانتشار والانتقال بعامل آخر غير عامل الهواء الجوى كالايدى واللابس والفوط والمناديل . والاشياء الاخرى الملوثة والحشرات (الذباب والناموس) والحيوانات التسلقية كالبق والبراغيث والقمل . وعلى الخصوص الافرازات المكروبية فهى خطرة للغاية مثل التقيحات فى الحمى الطفحية والنفث أى خروج الاغشية الكاذبة فى السل الرئوى والسعال الديكى والدفتريا والبراز فى الدوسنطاريا والكوليرا والاسهال فى الحمى التيفودية وافراز الرمد الصديدى والرمد الحبيبى والرمد الدفتيرى والرمد النزلى الخ وهذه

الافرازات هي التي يجب تطهيرها عند ظهورها بما يميت جراثيمها المرضية وذلك بحرقها او وضعها في محاليل مضادة للعفونة أو غاز يميت لها أو بغليها في الماء مدة نصف ساعة فأكثر وسيأتي الكلام عن ذلك فيما بعد

(العزل أو الفصل)

في المدن كما في المستشفيات يجب أن يكون المصابون بهذه الامراض المعدية منعزلين في مكان خاص بهم ويجب حملهم بقدر الامكان في عربات خاصة عند نقلهم من مساكنهم الى المستشفيات وأن يوضعوا في حجرة منفردة ومنعزلة عن بقية المرضى بعد ما تصرف لهم ملابس خاصة وبعد أن تؤخذ ملابسهم الى حيث تغسل وتطهر ببخار الكبريت وعند ذلك يمنع دخول اي انسان الى غرفهم الا المنوطة بهم خدمتهم

(مدة العزل والفصل)

مـدة العزل تبتـدىء من أول يوم اصيب المريض وفاجأه مرضه فيه وعليـه فتكون اربعين يوما للمصابين بالجدري والقرمزية والدفتريا والتيفوس والحمى التيفودية وستة عشر يوما للمصابين بالجدري بالحصبة وواحداً وعشرين يوما للمصابين بالسعال الديكي وأخيراً عشرة أيام للمصابين بالحمى النكفيـة بعد زوال الامراض المحلية

(المنوطون بخدمة المرضى)

يجب أن يرتدي المنوطون بخدمة المرضى ملابس تقيهم كالفوط الطويلة التي يجب أن تغلى بالماء المغلي والاحسن أن تطهر بالجهاز البخاري والمخصص لذلك وكالموجود بالصحة وكلما يترك المرض مريضه الدخول في المطبخ أو الى قاعة الأكل يجب أن يطهر يديه ويغسلها بالصابون ويدعكها بفرشة الاظافر ويغسلها بمحلول الليزول بنسبة (٦ في الالف) ويجب أن يترك ما يرتديه محل عمله وتوجد بمصلحة الصحة أجهزة خصوصية لتطهير الملابس ومحلات اقامة المرضى

(نظافة الغرف)

لا بد من منع الاتربة ولا يجوز الكنس مطلقا تجنباً لنقل الجراثيم الى الانسان بالاتربة الناتجة عنها بل تبل فوطة بالماء ويمسح بها الاشيـاء الموجودة بالغرفة وأدوات السرير والارضية وتطهر الحيطان من وقت لآخر بواسطة احد

المحاليل المصادة للعفونة أو ماء الجير أو أحد المحاليل الآتى ذكرها فيما بعد . كما انه لا يجوز وضع السجاجيد والابسطة والستائر فى غرفة المريض

(أدوات الفراش)

عند شفاء المريض تطهر أدوات الفراش ببخار الكبريت أو الجهاز البخارى السابق ذكره . كما ان عيدان السرير وصمولات السلك وخلافه تطهر بأحد المحاليل الآتى ذكرها

(المتماثلون من المرض)

عند شفاء المريض من المرض وقبل خروجه يأخذ ٣ حمامات بالماء الساخن والصابون و الوف ويدلك جسمه جميعه بالوف المصوبن فى الماء الساخن مروراً وخصوصاً الجلد المغطى بالشعر . وعند خروجه من الحمام يرتدى الملابس المطهرة المغلاة بالماء الساخن وملابسه التى خلعها ترسل للتبخير بالجهاز البخارى بمصلحة الصحة أو يكتفى بتطهيرها بواسطة بخار الكبريت كما سيأتى

(الاعتناء بنظافة المرضى)

يتأكد المنوطون بخدمة المرضى من نظافتهم مرتين فى اليوم بغسل الوجه والعين والفم والايدى والارجل بالماء الساخن والصابون وينظف فمهم أيضا بواسطة فرشة أو مسواك يغمر فى الماء الساخن المصوبن أو فى مخلوط من عصير الليمون والماء

(الاثاث)

يجب نظافة الاثاث نظافة تامة والاوانى الخاصة بالبصق تطهر بغمرها فى الماء المغلى المصوبن أو فى الماء المغلى المخلوط بأملاح الصودا ويجب أن تحتوى الاوانى الخاصة بقبول الافرازات على مطهر .
ويجب تنظيف أدوات المطبخ التى يستعملها المريض مثل الاوانى والشوك والملاعق بعد الاكل تطهر تطهيراً جيداً وتاماً بغليها طويلا فى الماء المغلى ثم تصوبن وتغسل جيداً هذا والملابس الملوثة تغلى بالماء طويلا

(استعداد الجسم للجراثيم المرضية)

كل ضعف يعترى كائناً حياً انساناً كان أو حيوانا أو نباتا بأى سبب كان يعرضه للاصابة بالامراض المعدية لان هذا الضعف يقلل مقاومته العضوية لها لان جراثيمها المرضية التى تدخل فيه تتكاثر وتتغلب فى الا كثر على العناصر

الحيوية والمكلفة بالحرص على حياة هذا الكائن

(الاحتياطات الصحية)
(التي يجب اتخذها للوقاية)
(من الامراض المعدية)

بما انه غير ممكن أن نشرح هنا فى نبذة مختصرة مثل هذه الامور الا بعض الاحتياطات التي تهم الجمهور معرفتها للوقاية من الامراض المعدية فليكن معلوما ان اساسها المحافظة على الصحة ولاسيما رياضة الجسم واستنشاق الهواء النقي المتجدد الطلق لان الهواء لحياة الكائن الحي هو بمثابة الماء والاعتناء بنظافة المأكل والمشرب . ولا يجوز أن ننسى ان الدين الحنيف أوصى بذلك وفرض على المسلم الوضوء الذي يقتضى بغسل الجهات التي تسكنها هذه الجراثيم المعدية كما ذكرناه أعلاه فى الخمسة الاوقات المفروضة للصلاة يوميا . ويعمل هذه الاحتياطات يتقوى الجسم وتتغلب مقاومته على الجراثيم المرضية

(الامراض العينية)

الوسائط التي يمكن الانسان الوقاية من العدوى من الامراض العينية الظاهرة مثل الرمد الصديدى والرمد الحبيبى والرمد المزلى هى :

أولا — دوام غسل أعضاء تناسل المرأة خصوصاً المهبل (القناة التي يمر منها الجنين حال ولادته) غسلا جيداً بواسطة محلول بجهر من واحد فوق برمنجنات البوتاسا وعن الدهن من الحامل حتى بذلك تمنع وتتقى جرثومة لرمد الصديدى التي توجد غالبا فى هذه القناة والتي بعد ذلك ربما تحدث لرمد الصديدى فى عين الجنين

ثانيا — تغسل عينا المريض بقطعة من القطن اللطيف المبتل فى محلول من ٤ من حمض البوريك ومئة غرام من الماء ثم توضع نقطة أو نقطتان فى كل عين من عينى المولود من محلول من نترات الفضة بمقدار ٢ فى المئة ويستمر على نظافة جميع جسم المولود يوميا وخصوصاً العين بواسطة الماء الفاتر الذى سبق اغلاؤه قبل الاستعمال وبعد الاغتسال يلف جسم الطفل حالا بملابسه بدون تعرضه للتيارات الهوائية ويلزم الاعتناء بنظافة ملابسه ومسكنه حتى يتجنب تولد الحيوانات التسلقية فيه كالبق والبراغيث والقمل ولايخفى ان النظافة من الايمان وان هذه الحيوانات واسطة لنقل

الامراض المعدية ويجب على الام أن تنظم أوقات الرضاعة لولدها بحسب احتياجه لها مدة النهار بحيث ان الرضاعة الاخيرة تكون مساء قبل نومه وبهذه الكيفية لا يضطر الطفل للسهر ليلا فتسقم عيناه وصحته وأن تغسل الام حلمة ثديها قبل الرضاعة وفم الطفل بعدها

ثالثا ـ يمنع الذباب بتاتا من أن يقع على الطفل وخصوصا على وجهه والا يمس عينيه أو فمه لأنه يكون العامل القوى لانتشار الامراض المعدية بنقل جراثيمها من شخص لآخر كالرمد الصديدى والحبيبى ذى الافراز (أى عماص العينين) وليكن معلوما ان الوساخة هى السبب الرئيسى فى جذب الذباب الى الجسم

رابعا ـ متى لوحظ تكوُّن افراز فى العينين (عماص) يلزم غسله فى الحال بقطعة من القطن أو من الخرق البيضاء النظيفة مبتلة فى محلول حمض البوريك بنسبة اربعين فى الالف كما سبق والماء المقطر ان لم يوجد فيكون الغسيل بالماء المرشح الذى أغلى ويكرر هذا الغسل كلما تولد الافراز ويقطر فى العين نقطتان أو ثلاث من قطرة مركبة من قمحة من سلفات الخارصين ومن خمسة وعشرون غراما من الماء المقطر صباحا ومساء الى أن ينقطع تولد العماص أو يوضع جزء من الشثم المركب من عشرة غرامات من أوكسيد الخارصين وغرام من بوليبورات الصودا والافيعرض على الحكيم وهنا نرجو الامهات أن يبطلن اعتقادهن المضر وهو ألا تغسل العين المريضة الا بعد مضى اسبوع فانه قد ينتج من ذلك فقد العين بالكلية

خامسا ـ للناموس أيضا تأثير مضر بالعين والجسم لأنه من عوامل نقل جراثيم الامراض المعفنة كما سبق ذكر ذلك فيلزم عمل كل ما يمكن أن يمنع وصوله الى جسم الانسان وما يمكن أن يميته كاستعمال البترول الوسخ برميه على كيمان السباخ المتخلفة من برازات الحيوانات وبوضعه فى المراحيض ومحال المياه الراكدة

سادسا ـ يلزم أن تكون المياه التى تستعمل للشرب والاستحمام مأخوذة من المياه الجارية المرشحة بالبرمنجات لأن المياه الراكدة كمياه البرك والمستنقعات تشتمل على الجراثيم المضرة بالجسم مثل جراثيم المرض المسمى « بلهارسيا » أو

البول المدمم والانكلستوم أوضعف الدم الخ لأن سبيل دخول هذه الجراثيم هي الجلد والجهاز المضمى وليعلم الجمهور أن هذين المرضين كثيري الانتشار بالقطر المصري حتى أن البلهارسيا كانت نسبة الاصابة بها عند التلاميذ حينما كنا مديرين لادارتها الصحية أربعين في المائة فلما اعتنى بنظافة وترشيح مياه الشرب نزلت الى عشرة في المائة وهو ما يثبت أن الاصابة بها آتية من استعمال المياه غير المرشحة وخصوصا مياه البرك شربا واستعمال غير المرشحة منها يسبب أيضا للجسم أمراضا أخرى كالدودة الوحيدة والثعابين والدوسنطاريا والحمى التيفودية والكوليرا ونضيف الى ما ذكرنا أن في زمن الاوبئة كوباء الكوليرا يلزم ليس فقط ترشيح مياه الشرب بل غليها وتركها تبرد قبل الاستعمال للشرب وننبه هنا أيضا بعدم الاستحمام في المغاطس والوضوء في الحيضان الا اذا كانت المياه فيها جارية ومتجددة أولا فأولا بحيث أن يستعمل منها الشخص ما لم يستعمله شخص آخر اذا أريد تجنب العدوى بالامراض المعدية

وترتب على ذلك استبدال الميضات بالحنفيات في كثير من المساجد

(الذباب والاتربة وتأثيرها)

(على العين)

تأثير الذباب والاتربة على العينين مضر جداً وقد عرضنا ذلك وحققناه في المؤتمرات الطبية من زمن طويل مبينين أنهما من الاسباب الرئيسية لانتشار الامراض المعدية الظاهرة بالقطر المصري فان الاحصاءات التي قدمناها سنة ١٩٠٢ مثلا للمؤتمر الطبي المصري الاول أظهرت ان نسبة الامراض العينية في البلاد المختلفة حتى مدينة المحروسة تكثر بكثرة الاتربة والذباب ولهذا وجدنا أن نسبتها في الفيوم وبني سويف وجرجا وأسوان وأسيوط وقنا والمنيا ولهذا يجب الاعتناء بالرش والكنس ثم غسل الوجه والعين مراراً في كل يوم وأن نضع الام غشاء خفيفاً يتخلله الهواء بسهولة على وجه الطفل ليمنع ملامسة الذباب ووصول الاتربة اليه . وأن يغسل هذا الغشاء يوميا بالماء المغلي

سابعا — يجب على الابوين أن يقدموا أطفالهم في الشهر الاول من الحياة الى عملية التختين تجنبا من الاصابة

بالجدرى الذى قد يضر العينين

ثامنا — يجب اخبار الصحة عن جميع الامراض المعدية العمومية التى يمكن ظهورها فى مساكنهم والتى سبق ذكرها كى تأخذ الاحتياطات الصحية اللازمة لها حتى تخف وطأتها ويمنع انتشارها محافظة على الصحة العمومية والعين مثلها

وها هو بيان بعض الوسائط المضادة للعفونة الممكن استعمالها لما يلزم له التطهير

أولا — الاغلاء فى الماء مدة نصف ساعة على الاقل

ثانيا - ماء الجير بنسبة عشرين منه الى مائة من الماء

ثالثا — محلول الكريزيل ٢ فى المائة

رابعا — محلول كبريتات النحاس ٢ منه فى مئة من الماء

خامسا — محلول كلورير الخارصين ٢ منه فى مائة من الماء

سادسا — غاز حمض الكبريتوز وكيفية استعماله هو أن يحرق الكبريت فى محل مغلق من جميع الجهات غلقا جيداً بسد جميع منافذ الشبابيك والابواب التى يمكن خروج الغاز منها وذلك بواسطة أشرطة من الورق مع الرسراس ثم يوضع بعد ذلك فى أرضية المحل اناء أو اناءان من الفخار عمقه أربعة سنتيمترات وعرضه نحو العشرين سنتيمتراً على النار ويكون محتويا على مائتين وخمسين غراما من الكبريت المكسر وكية هذا الكبريت تكون من عشرين غراما الى ثلاثين لكل متر مكعب من فراغ المحل المراد تطهيره ويحرق الكبريت بواسطة ورق أو قطع من الخشب أو بالاسبرتو ثم يلزم الخروج حالا بعد ذلك من المحل حتى لا يحصل استنشاق أبخرة حمض الكبريتوز الذى ينتج من حرق الكبريت لما فيها من الضرر بالصحة ثم لا يفتح المحل الا بعد مضى ٣٦ ساعة ولا يدخل فيه الا بعد ساعة من فتحه وفتح منافذه وهذه الطريقة تصلح لتطهير جميع الاشياء الملوثة من ملابس وفروشات وغيرها . بشرط أن تكون مفصولة بعضها عن بعض

الدكتور محمد علوى

المِرْط هو كساء من صوف أو غيره تلقيه المرأة على رأسها وتتلفع به جمعه مُرُوط

مرع المكان يمرُع مَراعة

وأمرع أخصب. و (المَريع) الخصيب جمعه أَمْرُع

مرعش قال ياقوت الحموى فى معجم البلدان هى مدينة بين الشام والروم أحدثها الرشيد لها سوران وفى وسطها حصن يسمى المروانى كان بناه مروان الحمار لها ربض يعرف بالهارونية

وقال ابن حوقل الحدث ومرعش مدينتان صغيرتان افتتحها الروم من قبل يومنا هذا (بدأ سفره ابن حوقل سنة ٣٣١) فأعادها سيف الدولة على بن عبد الله وعاد الروم فانتزعوها ثانية من المسلمين . وكان لها زروع وأشجار كثيرة وفواكه وكانتا ثغرين يرابط فيهما المسلمون . ويجاهدون ففسدت النيات وقبحت الاعمال وارتفعت البركات وفسدت المذاهب ولج الملوك فى الظلم والاستئثار بالاموال والعامة فى الاصرار على المعاصى والطغيان فهلك العباد وتلاشت البلاد وانقطع الجهاد وبذلك نطق الكتاب العزيز حيث يقول سبحانه عز من قائل «واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً »

تقول مدينة مرعش لاتزال باقية على بعد ١٤٠ كيلو متراً من الشمال الغربى من حلب وهى مركز متصرفية عثمانية ألحقتها تركيا بأملاكها سنة (٩٢١) ه مدة حكم السلطان سليم

مرّغ الدابة فى التراب قلبها فيه . و (تمرّغت الدابة) تقلبت فى التراب

المرغاب قال ياقوت الحموى هى من قرى هراة ثم من مالين والمرغاب نهر بمرو الشاهجان والمرغاب نهر بالبصرة

وقال ابن حوقل ولمرو نهر عظيم تتشعب عنه الانهار ومبدأه من وراء الباميان ويعرف بنهر مرغاب وتفسيره (مرآب) أى ماء مرو . ويجرى هذا النهر على مرو الروذ وعليه ضياعهم . وقد جعل لكل محلة وسكة من هذا النهر نهر صغير عليه ألواح خشب فيه ثقوب مقدرة لايقدر أحد يزيد فيها ولا ينقص ويأتى كل يوم من شربهم بمقدار ان زاد التيار حلت عليهم الزيادة وان نقص نقصوا بأجمعهم لا ايثاراً لقوم على قوم . ومتولى هذا الماء أمير مفردوهم من أجل من والى المعونة بمرو . وبلغنى انه يرتزق

على هذا الماء زيادة على عشرة آلاف رجل لكل واحد منهم على هذا الماء عمل

﴿ المرغيناني ﴾ هو أبو الحسن برهان الدين على المرغيناني مؤلف كتاب الهداية فى الفقه الحنفى توفى سنة (٥٩٣) ومرغينان مدينة فيما وراء النهر

﴿ مرق ﴾ السهم من الرمية يمرُق مروقا خرج منها و(أمرق القدرَ) أكثر المرق فيها .و(المرَق) الماء الذى يمرَق من اللحم ومثله المرَقة

﴿ المرقونية ﴾ هى طائفة من المجوس قد أتينا على مذهبهم فى كلمة (مجوس) وبينا وجه خلافهم مع غيرهم من سائر بنى مذهبهم

﴿ مرماخور ﴾ المرماخور شجيرة تنبت فى حوض البحر المتوسط وهو الذى سماه ديسقوريدوس (ماروت) وسماه جالينوس (أماراقوس) وقد يسمى حشيشة الهر لان هذا الحيوان يحب الرائحة التى تتصاعد منه ويضطرب منها اضطرابا غريبا كما يحصل منه ذلك فى حشيشة القط المسماة قطرية فلاجل حفظ ذلك النبات من القط حتى لا يتسلط عليه باللعب يجب تغطيته بشبكة من حديد

أنواع المرماخور كثيرة يوجد منها الآن ما يزيد عن ٨٠ بعضها خشبية جميلة وأغلبها يسكن بلاد البحر المتوسط ولاسيما اسبانيا وبلاد اليونان والمغرب . ومنها أنواع توجد بأمريكا واليابان .ونحن نخص بالذكر هنا المشهور فى الطب وهو المسمى طقريون مارون

الطقريون مارون ساقه كساق شجيرة صغيرة فروعها قائمة تقرب من الاسطوانية وفى أصناف منه تكون مربعة وهى مغبرة مبيضة ، طولها قدم بل أكثر وهى دقيقة خيطية أوراقها متقابلة صغيرة بيضية كاملة خضر زاهية من الاعلى وبيضاء من الاسفل . وأزهارها حمراء أرجوانية ابطية وحيدة فى الجزء العلوى من السوق وهى محمولة على حوامل قصيرة جداً . كأسها أنبوبى عريض قطنى ذو خمسة أقسام تقرب للتساوى وتويجها أنبوبية قائمة وحافته ثنائية الشفة والشفة العليا يقل وضوحها وهى مشقوقة شقا عميقا

هذه الشجيرة تنبت فى المحال العميقة وقد جعلها أطباء العرب صنفا من المر وانما يتميز هذا النبت باسم خاص به وهو

المرماخور والمر الجبلي وهو أشرف أنواع المر وأنعمها وقالوا انه يرتفع على الارض شبرا وزيادة وعروقه تطول بقدر طول الساق وورقه على الساق بين التدوير والاستطالة وبين الخضرة والغبرة وزهره يميل الى الغبرة والصفرة

هذا النبات له رائحة شديدة العطرية كافورية وطعمه مر حريف لذاع ناشىء من الدهن الطيار الكافورى الذى فيه كما فى غيره من النباتات الشفوية وفيه سوى الدهن الطيار قاعدة خلاصية ومادة تنيية وحمض عفصى ورلال وفوسفات الكلس وجلوتين وغير ذلك

(خواصه الدوائية) هذا النبات منبه بشدة وقد اشتهر عند الاقدمين بخواصه المطلقة والمفتحة للسدد ويعتبر المرماخور الآن بأنه من الادوية المنبهة المضادة للتشنج

ولاحتوائه على خاصة التنبيه استعمله الاطباء لتنبيه الاجهزة الآلية فوجدوه قوى الفعل يقوى حركات الحياة ووظائفها ويؤمل منه نفع اذا استعمل لاصلاح لين خفيف فى الجوهر النخاعى للمخ أو النخاعى الشوكى أو لازالة احتقان دموى فى المخ أو لتحريض امتصاص مصلى مرضى بقى فى الاغشية المخية أو الشوكية أو عمل تهيجى أو التهابى أو نحو ذلك . فالتنبه المتسبب عنه فى الجهاز المخى الشوكى هو الذى أنتج منافعه فى الآفات المخية والشوكية والضعف العضلى واهتزاز الاطراف والشلل ونحو ذلك . ولا حاجة للاطالة فى سبب التعريق والادرار البولى والطمثى الحاصلة غالبا من هذا النبات اذ من الواضح أن خاصة التنبيه هى التى ينسب لها التأثير على الجلد أو الكليتين أو الرحم وقد عرف جيداً كيف تحصل تلك الاستفراغات ويتضح بتلك الخاصة نفعه فى النزلة المزمنة والربو الرطب ونحو ذلك

وقد مدح كثير من الاطباء هذا النبات فى تقويته القلب والمعدة وتعريقه ومضادته التشنج وتقويته للهضم وتنبيهه لوظائف الحياة وهو يستعمل لتقوية المعدة وايقاظ الدورة ومنع العفونة ومضادة السكتة والشلل والآفات السباتية والهستريا والنزلة المزمنة والحفر واحتباس الطمث

وسبوا فى هذه الازمنة الاخيرة

خاصة غريبة وهى نفعه فى فقد الشم اذا استعمل على هيئة نشوق

وقد عزا أطباء العرب لهذا النبات منافع عديدة فقالوا انه ينفع فى الخفقان السوداوى ويفتح لسدد الرأس شما ونطولا بطبيخه ، ونافع أيضا من أوجاع الرحم واوجاع الحوامل الباطنة شربا منه أومن طبيخه او جلوسا ، ويشرب بشراب اذا كانت العلة باردة وهو أجود شىء لاوجاع البواسير . وهو يقوى المعدة والاحشاء الضعيفة ويخفف رطوبة المعدة ويقوى الامعاء واذا افترش ورقه الغض فى الحمام الحار ورقد عليه أصحاب الاوجاع والرياح الجائلة فى البدن أو فى الاعضاء الظاهرة أو الباطنة نفع نفعا بينا لا يعدله غيره . وبالجملة جميع أصناف المرملخور تنضج الاورام الصلبة والدماميل والجراحات وتصلح المعدة الضعيفة والكبد وتزيل الضعف العارض من سوء المزاج الناتج من كثرة الاكل وتذهب الرياح وكثرة شرب الماء البارد ، وتزيل الرطوبات والرياح وفساد المزاج

وذكر ابن البيطار ان بزره أشد انضاجا للجراحات من بزر الكتان

(مقدار الاستعمال) ذكر أطباء العرب ان الشربة من عصيره أوقية ومن بزره مثقالان . ولكن قال صاحب كتاب (ما لا يسع) مقدار ما يؤخذ منه الى درهمين من ورقه أو بزره أو زهره

وقال المتأخرون يؤخذ من مسحوقه من غرامين الى ثمانية غرامات تصنع حبوبا أو بلوعا . ويؤخذ من منقوعه من ١٥ غراما الى ٦٠ لاجل كيلو غرام من الماء . ومن مائه المقطر من ٥٠ الى ١٠٠ ويؤخذ من صبغته الاثيرية من ٢٠ الى ٣٠ سنتيغرام فى جرعة (انظر المادة الطبية)

مرَن الشىء يمرُن مُرونة لأن فى صلابة و (مرنت يده على العمل) صلبت . و (مرُن على الشىء) اعتاده و (مرّن الجلدَ ومرّنه) لينه . و (مرّن فلانا) عوده و (تمرّن على الشىء) تدرب عليه . و (المارن) طرف الانف و (المُرّان) شجر الرماح . و (المرِن) ذو المرونة

مرهم الجرحَ وضع عليه المرهم

المراهم هى مواد شحمية أو زيتية أو فازلين تمد على الجسم المريض

او تستعمل دهنا ودلكا

(تحضير المراهم) قد أهملوا فى هذه الايام استعمال المرهم البسيط وشحم الخنزير واستعاضوهما بالفازلين واللانولين

تحضير المراهم يقوم بمزج الفازلين بالمادة الدوائيــة المسحوقة سحقا تاما او المذوبة فى مادة سائلة موافقة . فيبدأ بالعمل بأن توضع المادة الدوائيــة المحضرة على نسق موافق فى هاون صينى ويضاف اليها الفازلين تدريجا ويحركان معا عركا جيداً . اما اذا اذيبت المادة الدوائية فقد لا تمتزج بالمرهم مزجا جيداً فتصلح باضافة نقط من الزيت الجيد أو من زيت اللوز الحلو

يجب ان تحفظ المراهم فى أمكنة باردة وتغطى أوعيتها بقطعة من الورق المقوى أو ورق القصدير

(المرهم البسيط) يحضر من الشمع والزيت كما يأتى :

شمع ابيض	٢ جزآن
زيت اللوز (اوسيرج)	٢ جزآن

تذاب هذه الاجزاء على حرارة خفيفة أو على حمام مائى وقد يركب المرهم البسيط كما يأتى :

شمع اصفر	٢ جزآ ن
زيت الزيتون	٥ أجزاء

تذاب كما تقدم

(المراهم الدوائية) هى كثيرة العدد وتتوقف خواصها على الدواء الداخل فى تركيبها فتكون محللة وقابضة ومسكنة ومضادة للفساد

﴿ المروخات ﴾ هى سوائل مركبة من ماء او خمر اوزيت أو كحول الخ مضافا اليها مادة دوائية تستعمل كالمراهم لدهن الجلد ودلكه لمقاصد مختلفة ، وخواصها تتوقف على خواص الادوية الداخلة فى تركيبها ومن أمثلتها :

المروخ النشادرى

زيت الزيتون	٦٠ غراما
روح النشادر	٨ غرامات

يمزجان بالتحريك وهذا المروخ يستعمل منبهاً لاعادة الحرارة المفقودة أو لاسترجاع قوة الاعضاء المشلولة اوعمرا أو منفطا

المروخ النشادرى المكوفر

زيت الزيتون	٦٠ غراما
كافور	٨ غرامات
روح النوشادر	٨ غرامات

وهو كثير الاستعمال يفيد مسكنا

ومنبها ومضادا للتشنج

مروخ النشادر التربنتيني

مروخ النشادر	٩٠ غراما
زيت التربنتينا	١٥ غراما

يستعمل ضد الروماتيزم المزمن وألم عرق النسا

مروخ الصابون مع الكحول

صابون ابيض يقطع صفائح	٣٠ غراما
كافور	١٠ غرامات
كحول	١٠٠ غرام

يستعمل هذا المروخ محللا بعد الرض وكثيراً مايضاف الى المكمدات

مروخ زيتي كلسي

زيت اللوز الحلو	١٠ غرامات
ماء الكلس	٩٠ غراما

تبل فيه قطعة قطن محضر وتترك في محلها حتى يشفى العضو المصاب وهو نافع كثيراً في معالجة الحروق

﴿ مَرْو ﴾ بلدة بخراسان النسبة اليها مروزي

﴿ مروان بن الحكم ﴾ هو الخليفة الرابع من خلفاء بني أمية انتخبه بنو أمية بعد اعتزال معاوية بن يزيد وكان من أعلم الناس بسياسة الممالك

قاتل شيعة عبد الله بن الزبير الذي كان قائما بالخلافة بمكة ضد بني أمية فهزمهم في الشام وفي مصر سنة (٦٤) فصار مروان خليفة بالشام ومصر وعبد الله بن الزبير خليفة بالحجاز والعراق واليمن

كان مروان من أدهى الناس وأشدهم طلبا للرئاسة اتخذه عثمان بن عفان كاتباً له وأمينا لاسراره فأسخط عليه الناس وذهب في التلاعب بأمور الخلافة كل مذهب وحمل عثمان على مشايعته حتى نقم عليهما المسلمون فتألبوا على الخليفة الثالث وكان من أمره ما كان مما هو مذكور في ترجمته

فلما آلت الدولة لعلي انضم مروان الى معاوية بن أبي سفيان بن حرب وكان من أقوى أنصاره فولاه على المدينة ثم لما دالت الدولة بالحجاز لعبد الله بن الزبير رجع الى الشام ومكث بها حتى مات معاوية وتولى يزيد وخلفه معاوية بن يزيد فلما اعتزل الخلافة لم يجد بنو أمية أدهى ولا أكفأ لولاية الامر من مروان بن الحكم فولوه الخلافة فسار فيها على مذهب الامويين من الحقد على شيعة علي وخضد شوكتهم وكان شيخا قد أسن ثم مات

مخنوقا . والسبب في خنقه انه كانت له زوجة ولما ولد يدعي خالداً من غيره فشتمه مروان وحط من قدره أمام الناس لامر حصل بينهما فشكا خالد لامه فقالت أنا أكفيكه فلما رقد عندها أمرت جواريها بالقاء الحشاد على فمه ثم غطته حتى مات وكان ذلك سنة (٦٦) (أنظر أمية)

﴿مروان بن أبي حفصة﴾ هو أبو السمط وقيل أبو الهندام مروان بن أبي حفصة سليمان بن يحيى بن أبي حفصة يزيد الشاعر المشهور

كان جده أبو حفصة مولى مروان ابن الحكم بن أبي العاص المتقدم فأعتقه يوم الدار لانه أبلى في الدفاع عنه يومئذ فجعل عتقه جزاءه

وقيل ان أبا حفصة كان يهوديا طبيباً فأسلم على يد عثمان بن عفان وقيل على يد مروان بن الحكم . وزعم أهل المدينة انه من موالي السموءل بن عاديا الشاعر اليهودي المشهور بالوفاء وان أبا حفصة سبي من اصطخر وهو غلام فاشتراه ووهبه مروان بن الحكم

أما ابنه مروان بن ابي حفصة فكان باليمامة ثم قدم بغداد ومدح المهدي وهرون الرشيد وكان يتقرب الى الرشيد بهجاء العلويين. وهو من الشعراء المجيدين والفحول المتقدمين ذكره أبو العباس عبد الله بن المعتز في كتاب طبقات الشعراء فقال في حقه: وأجود ماقاله مروان قصيدته الغراء اللامية وهي التي فضل بها على شعراء زمانه يمدح فيها معن بن زائدة الشيباني ويقال انه أخذ منه عليها مالا كثيراً لايقدر قدره ولم ينل أحد من الشعراء الماضين مانال مروان بشعره . فانه نال في دفعة واحدة ثلاث مئة ألف درهم من بعض الخلفاء بسبب بيت واحد . انتهى كلام ابن المعتز

والقصيدة اللامية طويلة تناهز الستين بيتا نذكر أبياتا منها في المديح وهي :

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم
أسود لهم في بطن خفان أشبل

تجنب (لا) في القول حتى كأنه
حرام عليه قول (لا) حين يسأل

تشابه يوماه علينا فاشكلا
فلا نحن ندري أي يوميه أفضل

أيوم نداه الغمر أم يوم بأسه
وما منهما الا أغر محجل

بهاليل فى الاسلام سادوا ولم يكن
كأولهم فى الجاهليـة أول
هم القوم ان قالوا أصابوا وان دعوا
احابوا وان أعطوا اطابوا وأجزلوا
وما يستطيع الفاعلون فعالهم
وان أحسنوا فى النائبات وأجملوا
ثلاث بأمثال الجبال حبام
واحلامهم منها لدى الوزن اثقل

لما قدم معن بن زائدة على المنصور من اليمن وكان واليا عليها قال له بعد كلام طويل : قد بلغ امير المؤمنين عنك شىء لولا مكانك عنده ورأيه فيك لغضب عليك . قال وماذاك ياأمير المؤمنين فوالله ماتعرضت لك منك

قال المنصور : اعطاؤك مروان بن ابى حفصة الف دينار لقوله فيك :

معن بن زائدة الذى زيدت به
شرفا الى شرف بنو شيبان
ان عـد ايام الفعال فانما
يوماه يوم ندى ويوم طعان

فقال والله ياأمير المؤمنين ما اعطيته مابلغك لهـذا الشعر وانما عطيته لقوله :

مازلت يوم الهاشمية معلنا
بالسيف دون خليفـة الرحمن
فمنعت حوزته وكنت وقاءه
من وقع كل مهنـد وسنان

فاستحيا المنصور وقال : انما أعطيته ما أعطيته لهذا القول ؟ قال نعم يا أمـير المؤمنين والله لولا مخافة الشنعة عندك لأمكنته من مفاتيح بيوت الاموال وأبحته اياها

فقال له المنصور لله درك من اعرابى ، ماأهون عليـك مايعز على الرجال وأهل الحزم

روى الفضل بن الربيع قال رأيت مروان بن أبى حفصة وقد دخـل على المهـدى بعـد وفاة معن بن زائدة فى جماعة من الشعراء فيهم سلم الخاسر وغيره فأنشده مـديحا فيه . فقال له ومن أنت ؟

قال شاعرك ياأمير المؤمنين وعبدك مروان بن أبى حفصة

فقال له المهدى ألست القائل :

أقمنا باليمامة بعد معن
مقاما لانريد به زوالا
وقلنا أين نرحل بعد معن
وقد ذهب النوال فلا نوالا
قـد ذهب النوال فيما زعمت فلم

جئت تطلب نوالنا ؟ لاشيء لك عندنا جروا برجله . فجروا برجله حتى اخرج

قال فلما كان من العام المقبل تلطف حتى دخل مع الشعراء ، وانما الشعراء يدخلون على الخلفاء فى كل عام مرة ، فمثل بين يديه وانشده بعد رابع او بعد خامس من الشعراء :

طرقتك زائرة فحى خيالها
بيضاء تخلط بالجمال دلالها
قادت فؤادك فاستقاد ومثلها
قاد القلوب الى الصبا فأمالها

قال فأنصت الناس لها حتى بلغ الى قوله :

هل تطمسون من السماء نجومها
بأكفكم او تسترون هلالها
أو تجحدون مقالة عن ربكم
جبريل بلغها النبى فقالها
شهدت من الانفال آخر آية
بتراثهم فأردتم ابطالها

قال رأيت المهدى قد زحف من صدر مصلاه حتى صار على البساط اعجابا بما سمع ثم قال كم هى :

قال مئة بيت فأمر له بمئة الف درهم . فكانت اول مئة الف درهم اعطيها شاعر فى ايام بنى العباس

قال ومضت الايام وولى هرون الرشيد الخلافة فدخل عليه مروان فرأيته واقفا مع الشعراء ثم أنشده قصيدة امتدحه بها . فقال له من انت ؟

قال شاعرك وعبدك يا أمير المؤمنين مروان ابن ابى حفصة

قال له ألست القائل فى معن بن زائدة وانشده البيتين اللذين انشدهما اياه المهدى . ثم قال خذوا بيده فأخرجوه لاشيء لك عندنا . فأخرج . فلما كان بعد ذلك بأيام تلطف حتى دخل فأنشده قصيدته التى يقول فيها :

لعمرك ما أنسى غداة المحصب
اشارة سلمى بالبنان المخضب
وقد صرح الحجاج الا أقلهم
مصادر شتى موكبا بعد موكب

قال فأعجبته فقال له كم قصيدتك من بيت ؟

فقال ستون أو سبعون فأمر له بعدد أبياتها الوفا . فكان ذلك حال مروان عندهم حتى مات . أى كانوا يعطونه عن كل بيت الف درهم

روى محمد اليزيدى عن اسحق

قال دخل مروان بن ابى حفصة على المهدى فى اول سنة قدم عليه . قال دخلت عليه فى قصره بالرصافة فأنشدته قولى فيه :

أمر وأحلا ما بلا الناس طعمه
عذاب أمير المؤمنين ونائله
فان طليق .لله ما أنت مطلق
وان قتيل الله من أنت قاتله
كأن امير المؤمنين محمداً
ابو جعفر فى كل امر يحاوله

قال فأعجب بها وأمر لى بمال عظيم فكانت تلك الصلة اول صلة سنية وصلت الى فى ايام بنى هاشم

نقول هذه الرواية تناقض رواية الفضل بن الربيع المتقدمة ولا ندرى اى الروايتين اصح. وهذه احدى نقائص علم الادب عند افان رواياته متناقضة وأكثرها موضوع

قال حسين بن الضحاك حدثنى مروان بن ابى حفصة قال: دخلت على المهدى فى قصر السلام فلما سلمت عليه وذلك بعقب سخطه على يعقوب بن داود (وزيره) فقلت ياامير المؤمنين ان يعقوب رجل رافضى وانه سمعنى اقول فى الوراثة :

انى يكون وليس ذاك بكائن
لبنى البنات وراثة الاعمام

فذلك الذى حمله على عداوتى يريد بنى البنات اولاد فاطمة الزهراء. اى انه لا حق لهم فى الخلافة بل الحق لبنى الاعمام وهم بنو العباس

قال مروان بن ابى حفصة ثم أنشدته:

كأن أمير المؤمنين محمداً
لرأفته بالناس للناس والد
على انه من خالف الحق منهم
سقته يد الموت الحتوف الرواصد

ثم أنشدته :

أحيا أمير المؤمنين محمد
سنن النبى حرامها وحلالها

قال فقال المهدى والله ما أعطيه الا من صلب مالى فاعذرنى وأمر لى بثلاثين الف درهم وكسانى جبة ومطرفا وفرض لى على اهل بيته ومواليه ثلاثين الفا اخرى

كان ابن الاعرابى اللغوى المشهور يختم به الشعراء وما دون لاحد بعده شعرا

حدث احمد بن موسى بن حمزة قال رأيت مروان بن ابى حفصة فى ايام محمد بن

زبيدة فى دار الخلافة وهو شيخ كبير فسألته عن جرير والفرزدق ايهما أشعر . فقال لى قد سئلت عنهما فى أيام المهدى وعن الاخطل قبل ذلك فقلت فيهم قولا عقدته فى شعر ايثبت . فسألته عنه فأنشدنى :

ذهب الفرزدق بالهجاء وانما
حلو القريض ومره لجرير
ولقد هجافأمض أخطل تغلب
وحوى النهى بيانه المشهور
كل الثلاثة قد أجاد فمدحه
وهجاؤه قد سار كل مسير
ولقد جريت فقت غير مهلل
بحراء لا قرف ولا مبهور
نى لآنف ان أخبر مدحة
ابداً لغير خليفة ووزير
ما ضرنى حسد اللئام ولم يزل
ذو الفضل يحسده ذووالتقصير

قال فلم يرد أن يقدم على نفسه غيره وكتبت الابيات عن فيه

حدث الصبى قال لما قدم معن بن زائدة من اليمن دخل عليه مروان بن أبى حفصة والمجلس غاص بأهله فأخذ بعضادتى الباب وانشد يقول :

وماأحجم الاعداء عنك تقية
عليك ولكن لم يروا فيك مطمعا
لهراحتان الجود والحتف فيهما
ابى الله الا أن تضر وتنفعا

قال فقال له معن احتكم. قال عشرة آلاف درهم . فقال معن ربحنا عليك تسعين ألفا . قال مروان أقلنى . قال معن لا قال الله من يقيلك

قوله ربحنا عليك تسعين ألف درهم يشير الى أنه كان يرى أن يعطيه مئة الف درهم فلما حكم لنفسه بعشرة آلاف فقط كان معن كأنه ربح تسعين الفا

حدث أبو العباس العدوى قال لما ولى معن بن زائدة اليمن كان يحيى بن منصور الذهلى قد تنسك وترك الشعر . فلما بلغته افضال معن وفد اليه ومدحه فقال مروان ابن أبى حفصة :

لاتعدموا راحتى معن فانهما
بالجود فتنتا يحيى بن منصور
لما رأى راحتى معن ترفضا
بنائل من عطاء غير منزور
القى المسوح التى قدكان يلبسها
وظل للشعر ذا رصف وتحبير

روى ابن الأبهم الحنفى مر قال

مروان بن أبى حفصة برجل من تيم اللات ابن ثعلبة يعرف بالجوى فقال له مروان ، عمو ا انك تقول الشعر . فقال له الجوى ان شئت عرفتك ذلك ، فقال له مروان ما أنت والشعر ما أرى ذلك من طريقتك ولا مذهبك ولا تقوله

فقال الجوى اجلس واسمع . فجلس. فقال الجوى يهجوه :

ثوى اللؤم فى العجلان يوما وليلة
وفى دار مروان ثوى آخر الدهر

غدا اللؤم يبغى مغرما لرحاله
فنقب فى بر البلاد وفى البحر

فلما أتى مروان خيم عنده
وقال رضينا بالمقام الى الحشر

وليست لمروان على العرس غيرة
ولكن مروان يغار على القدر

فقال مروان ماشدتك الله الا كففت فأنت أشعر الناس . فحلف الجوى بالطلاق ثلاثا انه لا يكف حتى يصير اليه بنفر من رؤساء أهل اليمامة ثم يقول بحضرتهم (فاق فى بيضة) فجلبهم اليه مروان وفعل ذلك بحضرتهم ، وكان فيهم جدى يحيى ابن الايهم فانصرفوا وهم يضحكون من فعله

قيل لما مات المهدى وفدت العرب على موسى ابنه يهنئونه بالخلافة ويعزونه على المهدى فدخل مروان بن أبى حفصة فأخذ بعضادتى الباب ثم قال :

لقد أصبحت تختال فى كل بلدة
بقبر أمير المؤمنين المقابر

ولو لم تسكن بابنه فى مكانه
لما برحت تبكى عليه المنابر

قال فخرج الناس بالبيتين

وقيل مرض عمرو بن مسعدة أحد القادة فى الدولة العباسية فدخل عليه مروان ابن أبى حفصة وقد أبل من مرضه فأنشأ يقول :

صح الجسم ياعمرو
لك التمحيص والاجر

ولله علينا الحمـ
ـد والمنة والشكر

فقد كان شكا شوقا
اليك النهى والامر

قال فنحا نحوه مسلم بن الوليد الشاعر فقال :

قالوا أبو الفضل محموم فقلت لهم
نفسى الفداء له من كل محذور

ياليت علته بي غير ان له
أجر العليل واني غير مأجور
روى أبو مرة التغلبي قال مررت بجعفر بن عفان الطائي يوماً وهو على باب منزله فسلمت عليه فقال لي مرحباً يا أخا تغلب اجلس فجلست . فقال لي أما تعجب من ابن أبي حفصة لعنه الله حيث يقول:
أنى يكون وليس ذاك بكائن
لبني البنات وراثة الاعمام
فقلت بلى والله اني لأتعجب منه وأكثر اللعن له فهل قلت في ذلك شيئا ؟ قال نعم قلت :
لم لا يكون وان ذاك لكائن
لبني البنات وراثة الاعمام
للبنت نصف كامل من ماله
والعم متروك بغير سهام
ما للطليق وللتراث وانما
صلى الطليق مخافة الصمصام
حدث صالح بن عطية الاضجم قال لما قال مروان :
أنى يكون وليس ذاك بكائن
لبني البنات وراثة الاعمام
لزمته وعاهدت الله أن أغتاله فأقتله أي وقت أمكنني ذلك وما زلت ألاطفه وابره وأكتب أشعاره حتى خصصت به فأنس بي جداً وعرفت ذلك بنو حفصة جميعاً فأنسوا بي ولم أزل أطلب له غرة حتى مرض في حمى أصابته فلم أزل أظهر له الجزع عليه والأرمه والاطفه حتى خلا لي البيت يوماً فوثبت عليه فأخذته بحلقه فما فارقته حتى مات فخرجت وتركته فخرج اليه أهله بعد ساعة فوجدوه ميتا وارتفعت الضجة فحضرت وتباكيت وأظهرت الجزع عليه حتى دفن وما فطن بما فعلت أحد ولا اتهمني به

ولد مروان بن ابي حفصة سنة (١٠٥) وتوفي سنة (١٨١) وقيل سنة (١٨٢)

مروان الاصغر هو حفيد المتقدم وكان من فحول الشعراء.

روى احمد بن سليمان الكلبي قال حدثني أبو السمط مروان الاصغر قال دخلت على المتوكل فمدحته ومدحت ولاة العهود الثلاثة وأنشدته هذا :
سقى الله نجداً والسلام على نجد
ويا حبذا نجداً على النأي والبعد
نظرت الى نجد وبغداد دونها
لعلي أرى نجداً وهيهات من نجد

ونجد بها قوم هوام زيارتى
ولاشىء أحلى من زيارتهم عندى

قال فلما فرغت منها أمر لى بثلاثة وعشرين الف درهم وخمسين ثوبا وثلاثة من الظهر فرس وبغلة وحمار ولم أبرح حتى قلت قصيدتى التى أشكره فيها وأقول:

تخير رب الناس للناس جعفرا
وملكه امر العباد تخيرا

فلما صرت الى هذا البيت:

فأمسك ندى كفيك عنى ولا تزد
فقد كدت أن أطغى وأن أتجبرا

قال لى والله لا أمسك حتى أعرقك بجودى. توفى سنة (١٨١)

﴿المروزى﴾ هو أبو اسحق ابراهيم ابن احمد بن اسحق المروزى الفقيه الشافعى امام عصره فى الفتوى والتدريس اخذ الفقه عن ابى العباس بن سريج وبرع فيه وانتهت اليه الرياسة بالعراق بعد ابن سريج

صنف كتبا كثيرة وشرح مختصر المزنى وأقام ببغداد دهراً طويلا يدرس ويفتى. وأنجب من أصحابه خلق كثير واليه ينسب درب المروزى ببغداد الذى فى قطيعة الربيع ثم ارتحل الى مصر فى أواخر عمره فأدركه أجله بها فتوفى سنة (٣٤٠) ودفن بالقرب من قبر الامام الشافعى

﴿المروزى﴾ هو أبو بكر عبد الله ابن احمد كان وحيد زمانه فى الفقه والحفظ والزهد وله من الآثار فى مذهب الشافعى ما ليس لغيره من أبناء عصره واشتغل عليه أئمة كثيرون. وكان شغله بالعلم وهو كبير السن بعد ما أفنى شبيبته فى صنع الاقفال ولذلك قيل له القفال. ولما شرع فى الفقه كان عمره ثلاثين سنة

توفى سنة (٤١٧) هـ

﴿المروزى﴾ هو أبو زيد محمد بن احمد بن عبد الله بن محمد المروزى القاشانى الفقيه الشافعى

كان من الأئمة الاجلاء حسن المنظر مشهوراً بالزهد وحافظا للمذهب وله فيه وجوه غريبة أخذ الفقه عن اسحق المروزى وأخذ عنه ابو بكر القفال المروزى ودخل بغداد وحدث بها وسمع منه الحافظ أبو الحسن الدارقطنى ومحمد بن احمد بن القاسم المحاملى. ثم خرج الى مكة فجاور فيها سبع سنين وحدث هناك بصحيح البخارى عن محمد بن يوسف الفربرى

قال الخطيب : وأبو زيد المروزي أجل من يروى هذا الكتاب

وقال أبو بكر البزار عادلت الفقيه أبا زيد من نيسابور الى مكة فما أعلم ان الملائكة كتبت عليه . يعنى (خطيئة)

وقال احمد بن محمد الحائى الفقيه سمعت أبا زيد المروزي يقول رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وأنا بمكة وكأنه يقول لجبريل عليه السلام يا روح الله اصحبه الى وطنه

كان المروزي في أول أمره فقيرا لا يقدر على شيء فكان يصبر الشتاء بلا جبة مع شدة البرد في تلك البلاد فاذا قيل له في ذلك يقول بي علة تمنعني من لبس المحشو (يعنى بها الفقر)

وكان لا يشتهى ان يطلع احداً على باطن حاله ثم أقبلت عليه الدنيا في آخر عمره وقد أسن وتساقطت اسنانه فكان لا يتمكن من المضغ فكان يقول مخاطبا للنعمة لا بارك الله فيك أقبلت حين لا ناب ولا نشاب

توفى المروزي سنة (٣٧١)

﴿ مرى ﴾ ماراه مماراة جادله و (تمارى) شك

﴿ المريسية ﴾ هم من الفرق الاسلامية من مرجئة بغداد أتباع بشر المريسي وكان في الفقه على رأى أبي يوسف القاضي غير انه لما أظهر قوله بخلق القرآن هجره أبو يوسف وضلله الصفاتية في ذلك

ولما وافق الصفاتية في القول بأن الله خالق أكساب العباد وفي ان الاستطاعة مع الفعل اكفرته المعتزلة في ذلك فصار مهجور الصفاتية والمعتزلة معاً

وكان يقول في الايمان انه هو التصديق في القلب واللسان جميعا كما قال ابن الراوندي في الكفر هو الجحد والانكار

وزعموا ان السجود للصنم ليس بكفر ولكنه دلالة على الكفر

فهؤلاء الفرق الخمس هم المرجئة الخارجة عن الجبر والقدر

وأما المرجئة القدرية كأبي شمر وابن شبيب وغيلان وصالح قبة فقد اختلفوا في الايمان فقال ابن مبشر الايمان هو المعرفة والاقرار بالله تعالى

وتحريم الميتة والدم ولحم الخنزير ووطء المحارم ونحو ذلك وما عرف بالعقل من عدل الايمان وتوحيده ونفى التشبيه عنه وأراد بالعقل قوله بالقدر وأراد بالتوحيد نفيه عن الله تعالى صفاته الاولية . قال كل ذلك ايمان والشاك فيه كافر والشاك فى الشاك ايضا كافر ثم كذلك ابداً وزعم أن هذه المعرفة لا تكون ايمانا الا مع الاقرار

وكان ابو شمر من بدعته هذه لا يقول لمن فسق من موافقيه فى القدر أنه فاسق مطلقا. ولكنه كان يقول أنه فاسق فى كذا

وهذه الفرقة عند أهل السنة والجماعة اكفر أصناف المرجئة لانها جمعت بين ضلالتى القدر والارجاء . والعدل الذى اشار اليه أبو شمر شرك على الحقيقة لانه اراد به اثبات خالقين كبيرين غير الله تعالى

وتوحيده الذى أشار اليه تعطيل لانه اراد نفى علم الله تعالى وقدرته ورؤيته وسائر صفاته الازلية . وقوله فى مخالفيه انهم كفرة وان الشاك فى كفرهم كافر مقابل بقول اهل السنة فيه أنه كافر وان الشاك فى كفره كافر

* * *

وكان غيلان القدرى يجمع بين القَدَر والارجاء ويزعم ان الايمان هو المعرفة الثانية بالله تعالى والمحبة والخضوع الاقرار بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وبما جاء من الله تعالى

وزعم أن المعرفة الاولى اضطرار وليست بايمان

وحكى زرقان فى مقالاته عن غيلان أن الايمان هو الاقرار باللسان وان المعرفة بالله تعالى ضرورية فعل الله تعالى وليست من الايمان

وزعم غيلان ان الايمان لا يزيد ولا ينقص ولا يتفاضل الناس فيه

وزعم محمد بن شبيب ان الايمان هو الاقرار بالله والمعرفة برسله وبجميع ما جاء من عند الله تعالى مما نص عليه المسلمون من الصلاة والزكاة والصيام والحج وكل ما لم يختلفوا فيه

وقال ان الايمان يتبعض ويتفاضل الناس فيه والخصلة الواحدة من الايمان قد تكون بعض الايمان وتاركها يكفر بترك

بعض الايمان ولا يكون مؤمنا باصابة كله

وزعم الصالحى ان الايمان هو المعرفة بالله تعالى فقط والكفر هو الجهل به فقط

ومن جحد الرسل لايكون مؤمنا لامن اجل ان ذلك محال لكن لان الرسول قال « من لايؤمن بى فليس مؤمنا بالله تعالى » وزعم ان الصلاة والزكاة والصيام والحج طاعات وليست بعبادة لله تعالى وان لا عبادة له الا الايمان به وهو معرفته

والايمان عنده خصلة واحدة لاتزيد ولاتنقص . وكذلك الكفر خصلة واحدة . فهذه أقوال المرجئة فى الايمان الذى لاجل تأخيرهم الاعمال عن الايمان سموا مرجئة (انظر كتاب الفرق بين الفرق)

﴿مريم﴾ هى أم عيسى عليه السلام اسم أمها حنة زوج عمران وكانت حنة لاتلد واشتهت الولد فدعت الله أن يهبها ذرية ونذرت ان رزقها الله ولداً جعلته من سدنة بيت المقدس . فحملت حنة ومات زوجها عمران وهى حامل فولدت بنتا وسمتها مريم ومعناها العابدة ثم حملتها وأتت بها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار وقالت دونكم هذه المنذورة فتنافسوا فيها لانها بنت عمران وكان من أئمتهم . فقال زكريا أنا أحق بها لأن خالتها زوجتى فأخذها زكريا وضمها الى ايساع خالتها فلما كبرت مريم أفرد لها زكريا غرفة وأرسل الله الملك جبريل فنفخ فى مريم فحبلت بعيسى وولدته فى بيت لحم وهى قرية قريبة من القدس سنة (٣٠٤) لغلبة الاسكندر ولما جاءت مريم بعيسى تحمله قال لها قومها لقد جئت شيئا فريا . وتناولوا الحجارة ليرجموها كما كانوا يرجمون الزناة فتكلم عيسى وهو فى المهد معلقا فى منكبيها فقال انى عبدالله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أينما كنت

فلما سمعوا كلام ابنها تركوها . ثم أن مريم أخذت عيسى وسارت به الى مصر وسار بها ابن عمها يوسف بن يعقوب ابن ماثان النجار وكان يوسف المذكور نجاراً حكيما ويزعم بعضهم ان يوسف المذكور كان قد تزوج بمريم ولكنه لم يقربها وهو أول من أنكر حملها ثم علم وتحقق

براءتها وسار معها الى مصر واقاما هناك اثنتى عشرة سنة ثم عادا الى الشام ونزلا الناصرة وبها سميت النصارى فلما بلغ عيسى الثلاثين من عمره اوحى الله اليه وارسله الى بنى اسرائيل

هذا ما ورد فى كتبنا . ومما ورد عنها فى كتب النصرانية أكبر فريم تعتبر هنالك أم الله ويعبرون عنها بالعذراء ويخصونها بعبادة

العلم ازاء هذه الروايات لا يستطيع أن يقول شيئا فهو لا يستطيع أن يفهم حدوث حمل بغير تلقيح ولا يمكنه أن يدرك مسألة نفخ الملك وافضاء ذلك الى تكوّن جنين بشرى فى الرحم وتاريخ النوع الانسانى كله لم يدون حالة حدث فيها حمل على هذه الصورة الا مايروى عن اديان كثيرة بالهند وفارس وغيرهما من حدوث حمل لبعض العذارى على هذا النحو الخارق للعادة ووجود رجال من هذا الحمل عدوا آلهة أو ابناء لله

فالهنود يقولون ان الاله كرشنا أحد الاقانيم فى الثالوث الهندى ولد من العذراء النقية الطاهرة (ديفاكى) بدون أن يمسها بشر ويدعونها بوالدة الاله

وقد جاء فى الكتاب الهندى المدعو (بهما كافات بورون) أن الاله كرشنا قال :

« سأتجسد فى متوبيت يادو وأخرج من رحم (ديفاكى) أولد وأموت وقد حان الوقت لاظهار قوتى وتخليص الارض من حملها »

ويقول البوذيون ان الاله بوذا ولد من العذراء (بهامايا) فنزل الى الارض من العلاء وتجسد فى رحمها وظهر للناس بشراً لكى ينقذ الناس من الهلاك

ويعتقد أهل سيام باله ولد من عذراء يدعونه الاله المخلص واسمه بلغتهم (كودم) أمه فتاة عذراء جميلة أتاها وحي من الله فهجرت الناس وذهبت الى الغابات وانتظرت هنالك الحمل بالله على ما أشار به عليها الوحى فبينما كانت تصلى ذات يوم حملت من أشعة الشمس التى وقعت عليها . وعند ما أحست بالحمل ذهبت الى شاطىء بحيرة وهنالك وضعت غلاما سماويا ولما شب صار منبع الحكمة والخوارق

وكان المصريون القدماء يقولون قبل نحو خمسة آلاف سنة ان (هورس) الاله المخلص ولد من العذراء (ايزيس)

ويدعونه الابن ويصورونه أما على يدى أمه أو فى حضنها . وقد ترجم العلامة شمبوليون عن اللغة المصرية القديمة المنحوتة على الاحجار قولهم :

« انت الاله المنتقم وابن الاله انت الذى أعلن عنك اوزيريس انك المولود من الالهة (ايزيس) »

ويوجد على جدار هيكل فى تيبان صورة تمثل الاله (توت) ومكتوب بجانب العذراء الملكة (موتمس) ستلد ابنا إلهيا يكون هو الملك (امونوتوف)

ويقول الفرس ان (زوروواستر) صاحب شريعتهم حملت به أمه بدون أن يمسها بشر ويدعون انه ابن الله

وكان يزعم اليونانيون ان الاله (بلاتو) ابن الله ولد فى اثينا سنة (٤٢٩) قبل المسيح من عذراء طاهرة نقية لم يمسها انسان

ويزعمون ان فيثاغورس حملت به أمه وهى عذراء من طيف ظهر لها وهذا الطيف هو روح القدس

ويقولون ان الاله اسكولاب ولد من أم بشرية عذراء

وكان أهل المكسيك يعبدون إلها ولد من عذراء طاهرة لم يطمثها أحد

هذا بعض ماورد عن تاريخ الاديان

وقد وردت فى القرآن الكريم نصوص يعطى ظاهرها ان عيسى ولد من ام عذراء لم يمسها بشر قال تعالى :

« واذكر فى الكتاب مريم اذا انتبذت من أهلها مكانا شرقيا . فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا . قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا . قال انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا . قالت انى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا . قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا . فحملته فانتبذت به مكانا قصيا . فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا . وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا . فكلى واشربى وقرى عينا فاما ترين من البشر أحدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا . فأتت به قومها تحمله قالوا يامريم لقد

جئت شيئا فريا . ياأخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا . فأشارت اليه ، قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا . قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا . وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حياً . وبراً بوالدتى ولم يجعلنى جباراً شقياً . والسلام علىّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً . ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون . ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون»

هذه هى الآيات التى وردت بأن عيسى ولد من عذراء ولكن المؤول يستطيع أن يحتج بقوله تعالى : «فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشراً سويا» ويقول ان هذا الحمل لم يأت على غير السنة الطبيعية . ألاتراه يقول «فتمثل لها بشراً سويا» فان تمثله بشراً لم يكن عبثا بل لاحداث التلقيح على الوجه الطبيعى فان كان مراد القرآن انه ولد لاعلى الاسلوب الطبيعى لكان قال كما قالت الكتب التى تقدمته أن روح القدس جاءها فى شكل حمامة أو نور أو غير ذلك . فنصه على ان روح الله أتاها فى شكل إنسان لا يصح أن يكون عاريا عن الحكمة ولا يصح أن يعتقد المسلمون بعده بأن مريم حملت بعيسى وهى عذراء فيساووا بهذه العقيدة أتباع الديانات السابقة

ثم يقول المؤول : انظر الى قوله تعالى «قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا » اى أنها لم تشك فى انه انسان حتى انها استعاذت بالله منه . فأجابها بقوله « انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا » فانظر الى نسبة الهبة الى نفسه مما يدل على أنه العامل المباشر فيها على النحو المعروف فى التزاوج بين البشر. وان لم يكن الامر كذلك فما معنى قوله «لأهب لك غلاما زكيا » هل يهبه بقوله (وهبت) أم بوضعه الجرثومة فى الرحم بطريقة غير المعروفة بين الناس . واذا كان ذلك الروح جاء ليهبها غلاما زكيا بنص القرآن فلماذا يستنكر أن يهبه لها على الاسلوب المعروف بين البشر ولا يستنكر أن يهبه لها بأسلوب آخر ؟ وما دامت وظيفة ذلك المرسل أن يكون واسطة فى ايصال ذلك الغلام اليها فلأية حكمة يكون ذلك الايصال على شكل غير

الشكل الذي جرت به عادة الله بين الناس ؟ اذا كان النص قد ورد بأن الله وهب مريم عيسى بدون وساطة كان يسوغ لنا ان نقول ان قدرته اقتضت ذلك ولا يسأل عما يفعل ، ولكن النص ورد بأنه خلق عيسى بالواسطة وفي هذا دليل على أنه لم يرد أن يخرق السنة الطبيعية في عباده . وأما الزعم بأنه لطف تلك الواسطة فبدل أن يحمله على الاسلوب الذي يحصل بين الرجل والمرأة جعله على شكل نفخ أو غيره فذلك مما لا تنهض به حجة وليس له من حكمة

فلا تنهض به حجة لانه نص على انه بعث روحه على شكل بشر و نص على أنه أرسله ليهب لها غلاما ، والبشر لا يستطيع هبة الغلمان الا على الوجه الذي تستطيعه طبيعته . فالانسان لا يهب غلاما بنفخ ولا مايشابهه من الاعمال ، فلو كان الله يريد أن يهبها ذلك الغلام على شكل غير طبيعي لما كانت هنالك من ضرورة لارسال روحه في شكل بشر ، بل لم تكن هنالك ضرورة لارساله رأسا فكان يهبها هو ذلك الغلام بدون وساطة

يقول المؤول وليس لتلطيف واسطة التلقيح من حكمة لان التلقيح على الشكل البشرى ليس بالامر الذي يجب أن يتنزه عنه الكاملون فقد أتاه النبيون والمرسلون وأمتن به الله على عباده فتلطيفه بالنسبة لمريم وهى ليست أفضل من المرسلين وجعله على شكل نفخ او غيره ليس فيه أدنى حكمة والله تتنزه أعماله عن ذلك

فان قال قائل ان قوله تعالى: «قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر» يدل على أن هبة ذلك الغلام كانت بغير مس على أسلوب خارق العادة

يجيب المؤول بأنها قالت ذلك عقب قوله «لأهب لك غلاما زكيا» اى قبل ان تعلم أن الهبة ستكون على الشكل التى جرت به العادة

فان قال قائل ان قوله تعالى: «قال كذلك قال ربك هو علىّ هين ولنجعله آية للناس» يدل على أن الهبة كانت على الاسلوب الخارق للعادة حتى ساغ له ان يعبر عنها بقوله «هو علىّ هين» والشيء لا يكون آية للناس الا اذا كان خارقا للعادة

يجيب المؤول نعم ان الله قال: «هو

على هين » وانه يريد أن يجعل عيسى آية للناس لانه ارسل روحا فظهرت فى شكل بشر ووهبت لمريم غلاما زكيا وليست هذه سنته العامة فى خلقه فصح ان يسميها آية من آياته

فان قال قائل: قد نص الله على أن هذه الهبة كانت بواسطة النفخ لا بواسطة طبيعية وان قوله تعالى: «ومريم ابنة عمران التى احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين» يدل على أنه نفخ فيها من روحه بلا واسطة

يجيب المؤول كيف تقولون بلا واسطة وهو تعالى يقول « فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشراً سويا» كلمته وكلمها ؟

أما نسبة الله النفخ لنفسه فهو من باب ذكر السبب الاول للتكوين كما قال تعالى عن آدم «ونفخت فيه من روحى» فهو الفاعل فى الحقيقة وغيره المنفعل

فان قال قائل اذا حملت مريم من الرسول على الشكل الطبيعى ألا يكون ذلك من باب المسافحة

يجيب المؤول ان هذا من أغرب الاعتراضات فاذا كان الخالق هو نفسه قد أمر رسوله بأن يهب مريم غلاما زكيا فهل وراء هذا مرمى فى تقديس اقتران ؟

ثم يقول المؤول لو سلم الناس بهذا التأويل زالت أكبر الشبه التى يتذرع الماديون بها فى ابطال القرآن وستطيع معه ان نقف وخصومنا فى مستوى واحد من البحث فلا يستطيعون ان يتهمونا بالتعلق بأذيال الخيالات

فان قيل له وهل وراء قولك أن روح الله تجسدت فصارت رجلا يهب غلاما خيال يتخذه الماديون حجة فى دحض مذهبك ؟

يقول المؤول أن مسألة تجسد الارواح قد صارت فى هذا العصر من الامور التى يمكن تحقيقها بالحس فان اعترض علينا المادى بذلك أتيناه بمئات من أقوال العلماء الذين جربوا هذه التجارب وشاهدوا هذه المشاهدات فان أصر أحلناه على التجربة فان ابى كان من الجامدين، وأشهد على ضعفه الناس اجمعين

واذا اثبتنا ان الارواح تتجسد سهل اثبات انها تلقح . أما ادعاؤنا حدوث جنين فى بطن عذراء على غير السنة المعروفة بين البشر ففيه تعرض لشبه

الملحدين وتهيؤ لطعن الطاعنين ، مع امكان التأويل

هذاما يستطيع ان يقوله مؤول متكلف ولا نستطيع أن نتعرض نحن للكلام فى هذا الموضوع لان فى التأويل تكلفا ، فنوكل الامر له تعالى يكشف لنا فيه الحق ان شاء ، فاما أخذنا بالنص على ظاهره ، وإما ذهبنا فى تأويله مذهبا يكون هو الحق اليقين ، واتقوا الله ويعلمكم الله

﴿المريمية﴾ نبات يسمى بالفرنسية سوجيه (*Souge*) من الفصيلة الشفوية ساقه خشبية مربعة متفرعة تحمل أوراقا كبيرة غالبا وتتشكل باشكال كثيرة فتكون كاملة أو مسننة أو سفينية أو كثيرة التشقق أو كأن سطحها ذو فقاقيع ورائحتها قوية اذا هرست . وأزهارها كبيرة عالية مزينة بأوراق زهرية مصاحبة لها ولونها غالبا قوى جداً تبعاً لأنواعها الكثيرة فقد عرف منها نحو ٢٥٠ نوعا ووضع لكثير منها أسماء مختلفة وهى متوزعة فى معظم أجزاء الكرة الارضية ومنها ماله شهرة عظيمة فى الكتب الطبية القديمة

حلل هذا النبات المحللون فوجدوا فيه دهنا طياراً أخضر اللون يوجد فيه ١٢٥ ر٠ من الكافور وقليل من حمض عفصى وحمض خلاصى

(خواصه) يصح أن يجعل هذا النبات نموذجا للنباتات الشفوية وفعله ناشىء من اجتماع جميع القواعد الدوائية أى الدهن الطيار والكافور والقاعدة المرة . وتحتوى المريمية زيادة عن ذلك على قاعدة قابضة ناشئة من مقدار كبير من الحمض العفصى الموجود فى النباتات ويصح أن يجعل هذا النبات فى الخواص تاليا للرماخور أى الطقريون مارون الذى سبق ذكره فى هذا الحرف

وقد اشتهر هذا النبات لدى الاقدمين بخواصه شهرة فائقة حتى قيل انه يطيل العمر ويحفظ من جميع الامراض والاعراض وبالجملة فجعلوه دواء لكل داء

وقد علم العلماء المحدثون انه ينبه ويحرض الشهية ويسهل الهضم ويقوى الجسم ويشرح الصدر ويزيد فى النبض وفى الفعل التنفسى للجلد هذا اذا كان القلب والجلد سليمين واما اذا كان بهما مرض فيؤدى الى نتائج معكوسة فيصفها

الاطباء فى ضعف المعدة وبطء الهضم وعسره وعسره وفقد الشهية ولكنه لا يستعمل اذا كان فى القناة الهضمية تهيج

ويستعمل ايضا فى أواخر النزلات والسعال الرطب اذا كان فى الغشاء المخاطى احتقان دموى ويستعمل أيضا لتسهيل النفث أى البصق ولتحريض الطمث اذا كان سبب احتباسه من الرحم لا من غيره

وأوصوا باستعماله فى الدوار والسبات والضعف والخدر واهتزاز الاطراف والشلل وعوارض السكتة والاعراض المهددة له . وأكدوا فضله فى بعض الامراض المزمنة المصاحبة لارتشاح خلوى وورم عام

وتستعمل المريمية استعمالا موضعيا من الظاهر بسبب قوتها فى تحليل جميع الاحتقانات المزمنة فتساعد على اذابتها وتحليلها وزوالها وذلك يكون بالاكثر فى الأورام الخنازيرية والخراجات الباردة وكذا فى التيبسات المفصلية المصاحبة أو غير المصاحبة للانتفاخ فتستعمل على شكل حمامات موضعية وعلى شكل أكياس توضع على الجلد

وأهل اليونان يستعملون المريمية لتتبيل الاطعمة ويفضلها الصينيون على الشاى فيعطون صندوقين منه فى سبيل الحصول على صندوق من المريمية

ويظن ان المريمية هى النبات الذى كان يطلق عليه العرب كلمة جعدة فقالوا انها مفتحة لجميع سدد الاعضاء الباطنية ومدرة للبول والطمث ومادامت طرية كانت مدملة للضربات الكبار وخصوصا النوع الاكبر من أنواعها . واذا جففت كانت مبرئة للقروح الرديئة

وقالوا اذا شربت بالخل نفعت من ورم الطحال واذا تضمد به الصق الجراحات

قال الرازى هى جيدة للحميات المزمنة نافعة من لدغ العقارب

وقال حبيش هى جيدة لاخراج الحيات من البطن ومبرئة للحميات الطويلة التى سببها المرة السوداء أو البلغم

وقال الاسرائيلى طبيخها يخرج حب القرع من البطن

وقال غيره انها تذكى الذهن وتنفع من النسيان واليرقان الاسود وتقع فى الترياق الكبير لشدة مقاومتها السموم وهى تنقى الارحام وتجففها وتعين على

الحل

(المقدار وكيفية الاستعمال) يصنع منقوعها بأخذ مقدار منها من ١٥ غراما الى ٣٠ لاجل كيلو غرام من الماء فينقع فيه ويحلى المنقوع بشراب حمضي أو لعابي أو غير ذلك ويستعمل كوبا كوبا. وماؤه المقطر يستعمل بمقدار من ٢٠ غراما الى ١٠٠ غرام في جرعة

ودهنها الطيار يستعمل من ١٠ الى ١٢ سنتيغراما

ويستعمل من الطاهر مطبوخها المصنوع من ١٥ غراما الى ٣٠ في كيلو غرام من الماء. ويستعمل ذلك غسلات وزروقات وكادات وحمامات. ويلزم غسل أوراقها قبل استعمالها لازالة ما يكون عليها من الغبار

﴿مزج﴾ الشراب بالماء يمزجه مزجا ومزاجا خلطه به و(مازجه) خالطه و (امتزج به) اختلط و (المزاج) ما يمزج به كالماء في الشراب

﴿المزاج﴾ هو ما أسس عليه البدن من الطبائع وهي الاختلافات التي توجد بين افراد الناس ناشئة عن استيلاء مجموع من المجاميع أو جهاز من الاجهزة وعلته على غيره في البنية

فان استولت مثلا أعضاء الدورة على غيرها ونشأ عن استيلائها كثرة الدم سمي المزاج دمويا . وان استولت الاعصاب سمي عصبيا . وان استولت الصفراء سمي صفراويا، وان استولت اللمفا سمي لمفاويا

(١) المزاج الدموي . تكون القوة الطبيعية في الرجل الدموي في أجلى مظاهرها فيكون شكله ثابتا متينا وتركيبه عضليا ناميا ، ومكباه واسعين ورأسه صغيراً ووجهه مستديرا وأديمه صقيلا ولونه زاهرا وطبعه حسناً يبوح بسره ولا يستطيع كتمانه ، ويميل للاعجاب بنفسه ، ويحب الاطعمة الحسنة والسرف والآراء الجديدة وحضور الاحتفالات ويكون متملقا حسن المحاضرة متسرعا كثير الحركة الا انه يكون في الحب قليل الثبات. فهو اذا مل من مقام يتركه بلا تردد ولذلك يوصف بقلة الوفاء والطيش ونكران الجميل

ولا يكون غيورا في حبه للدرجة القصوى يحقد على من يذمه أو يحط من قدره ولكن لا يطول امد حقده لانه ينتقم سريعا وينسى الاهانة التي لحقته

ولذلك يوصف بحسن المعاشرة والتودد ويميل لان يكون له اخوان كثيرون

اما صاحبات المزاج الدموى فى النساء فيكن ممتلئات الجسم كثيرات التبرج كريمات الاخلاق لينات الطباع

(٢) المزاج العصبي. يكون صاحب المزاج العصبي نامى المجموع العصبي الدماغى شديد الحمية والشعور ، ويعرف بنحافة وجهه وكمود لونه وبريق عينيه ، وسواد شعره ورقة جسمه وكثرة عروقه وظهورها وغلبة الهم عليه . وهو يكون كثير الغذاء مفرط الحس متغلبة عليه الهواجس وكثيراً ما يصاب بالافكار السوداء فيصبح مكتئبا مضطربا وأحيانا قاسيا واذ ذاك تكون حياته مرة وعيشه نكداً . فاذا لم يتول نفسه بتحسين حالتها ، وتلطيف حسها بقوة الارادة ، وتعود الصبر وقلة المبالاة سقط فى الداء السوداوى ففقد لذة الحياة وأمله فيها وقضى عمره متألما . وبرما يرى فى وجوده عبئا ثقيلا عليه يجب أن يتخلص منه

هذا المزاج هو مزاج الفلاسفة والمفكرين والشعراء والمخترعين ولا يعيبه الا ما قد يصاحبه من فرط الشعور الذى قد يخرج به عن الحالة العادية فيحرمه لذة العيش . فالواجب على صاحب هذا المزاج أن يعلم هذا النقص فى نفسه فيدأب على أخذها بما يخفف عنه ويلاته بقوة الارادة والتغلب على انفعالاته النفسية والتشدد فى ذلك حتى يعتدل شعوره ولا يميل الى الافراط الذى يورده الموارد

(٣) المزاج الصفراوى . يعرف صاحب هذا المزاج بصفرة لونه وسمرته وبأشكال تراكيبه الجافة النادرة الوضوح وكذلك بهيئته الثابتة وسيره المحدود . وتكون حركاته ثقيلة وقوية وملامحه كمدة ومكفهرة ونظراته حادة وبراقة . يغلب فى تركيبه الدم الأسود على الدم الاحمر وتكثر فيه الصفراء ويظن أنها تكون سبب أهوائه الشديدة وكتمانه للغيظ . ومن أخلاقه الشموخ والعجرفة وقلة الصبر . يتظاهر بالعظمة وعلو الشأن ويكون ممتلئا بالمطامع ويسعى جهده لاكتساب الثناء وانتشار الصيت . وهو يتميز عن سواه بالذكاء والجرأة وثبات الجأش واصراره على متابعة آرائه

فاذا تكلم كان كلامه موجزاً وكتابته سلسة ولذاعة ويكون غضوبا

شرسا حاد الاهواء وفيه استعداد للكبر والنيرة والحقد والانتقام والقسوة

وقد شوهد ان الصفراويين كما يكونون أكثر قبولا للفضائل يكونون أشد تـهلا لارتكاب الجرائم . ويروى ان كبار القتلة أمثال اشيل واجاكس وانيبال وماريوس وسيلا من عظماء قادة الامم القديمة كانوا من أصحاب هذا المزاج ولذلك كانوا بعيدين عن الشفقة لانتبهم عوامل المرحمة وينسب الى هذا المزاج كبار المتعصبين للديانة والسياسة

وبالجملة فان الاهواء والرغبات تكون فى أصحاب هذا المزاج شديدة وثابتة . فالرجل الصفراوى يقيم على حبه ووفائه بقدر ما يثبت فى حقدة وبغضائه

والنساء الصفراويات يكن سمراوات اللون سوداوات الاعين حادات البصر . لهن ميل للعظمة والفخفخة . يفنين فى حبهن لمن يحببنه ولكنهن يحقدن عليه أشد الحقد ؛ واذا بدا منه عدم الاكتراث بهن فلا يحجمن اذ ذاك عن الانتقام منه وكثيراً ما يغالين فى ذلك الانتقام ويخرجن به عن دائرة الانسانية

(٤) المزاج اللمفاوى . هذا المزاج هو مزاج الاطفال وأكثر النساء خصوصا الساكنات فى الاقاليم الشمالية ، يكون جسم صاحبه رخواً ولحمه مسترخياً . ويكون لونه أبيض غير مشرب بحمرة ويكون قوامه غليظا وثقيلا كثير السمن أشقر الشعر . ويكون سيره بطيئا وتدل حركاته على التوانى والبلادة . فيأكل ويتكلم ببطء ويتحرك على مهل وهو لا يكون نزوعا الى الكبر ولا الادعاء ويكثر فى اللمفاويين الشح والامساك

ومن أخلاقه انه يتألم بصبر ويحتمل المصائب والنكبات بثبات مدهش وتجده عادم الخيالات عادم الاهواء لا يدهله شىء ولا يستفزه امر . يكاد يستوى عنده الجميل والقبيح . وتراه بازاء ما يحرك غيره ويطيشه ويذهب به فى التأثر كل مذهب ثابت الجأش بارداً كأنه قطعة من صخر

والنساء اللمفاويات لطيفات الطبع ولكنهن فاترات بليدات لا يحقدن ولا ينضبن ويصبرن على الآلام والمكاره ويجزن أدوار حياتهن بثبات وسكينة . فهن حليمات صابرات لا يؤذين أحداً ومنهن تكون الزوجات العفيفات والامهات الصالحات

وقد قال بعضهم بوجود مزاج خامس يقال له العضلي يمتاز صاحبه بنمو عضلاته فتراه يميل الى الصراع والفروسية ويشبه صاحب المزاج الدموي في حميته وشدة بطشه

هذه هي الامزجة الرئيسية ويندر أن يستولى واحد منها على شخص فالمشاهد أن الانسان يكون موزعا بين مزاجين او ثلاثة فيكون عصبيا دمويا او عصبيا لنفاويا أو غير ذلك وفي ذلك تلطيف لحدة الامزجة فان بعضها يعدل بعضا فلا تستولى على الشخص صفات الواحد منها استيلاء مطلقا

ولما كان قانون الوراثة مما لا شبهة فيه فيجب على الآباء أن يختاروا لبناتهم أزواجا ذوى أمزجة تخالف أمزجتهن فلو كانت الفتاة عصبية وتزوجت برجل عصبي خرج منهما نسل مفرط العصبية والافراط في هذا المزاج شديد الخطر على صاحبه . وكذلك يكون الحال لو كان كلاهما دمويين أو لنفاويين فانه يولد منهما أولاد شديدو الدموية واللنفاوية وفي ذلك ضرر عظيم على صحتهم وحظهم من الحياة فمراعاة الامزجة بين الزوجين ضرورية وقل من يلتفت لها الآن ولذلك يولد كثير من الاطفال لا يصلحون للبقاء. وان بقوا عاشوا مرضى لا ينتفع بهم المجتمع في شيء ولا ينتفعون هم بأنفسهم . ولابد من مجيء زمان تعد فيه هذه القاعدة الحيوية من أمهات الاصول الواجب مراعاتها في الزواج لأن الكلام كثر فيه الآن واتجهت اليها أنظار علماء الاجتماع

﴿مزح﴾ الرجل يمزح مزحا هزل ضد جد . و (المزاح) الهزل

﴿المزدارية﴾ من الفرق الاسلامية أصحاب عيسى بن صبيح المكنى بأبي موسى الملقب بالمزدار وقد تلمذ لبشر ابن المعتمر وأخذ العلم عنه وتزهد ويسمى راهب المعتزلة وانما انفرد عن أصحابه بمسائل

(الاولى) قوله في القدر ان الله تعالى يقدر على أن يكذب ويظلم ولو كذب وظلم كان إلها كاذبا ظالما

(الثانية) قوله في التولد مثل قول أستاذه وزاد عليه بأن جوز وقوع فعل واحد من فاعلين على سبيل التولد

(الثالثة) قوله في القرآن ان الناس قادرون على مثل القرآن فصاحة ونظما

وبلاغة . وهو الذي بالغ في القول بخلق القرآن وكفر من قال بقدمه فانه قدأثبت قديمين . وكفر أيضا من لابس السلطان وزعم انه لا يرث ولا يورث وكفر من قال ان اعمال العباد مخلوقة لله تعالى ومن قال انه يرى بالابصار وغلا في التكفير حتى قال : هم كافرون في قولهم (لا إله الا الله)

وقد سأله ابراهيم بن السندي مرة عن أهل الارض جميعا فكفرهم فأقبل عليه ابراهيم وقال الجنة التي عرضها السموات والارض لايدخلها الا أنت وثلاثة وافقوك؟ فخزي ولم يجد جوابا

وقد تلمذ له الجعفران وابو زفر ومحمد ابن سويد

وصحب أبا جعفر محمد بن عبد الله الاسكافي وعيسى بن الهيثم وجعفر بن حرب الأشج

وحكى الكعبي عن الجعفرين انهما قالا ان الله تعالى خلق القرآن في اللوح المحفوظ فلا يجوز ان ينتقل ويستحيل ان يكون الشيء الواحد في مكانين في حالة واحدة ، وما نقرأه فهو حكاية عن المكتوب الاول في اللوح المحفوظ وذلك فعلنا وخلقنا

قال وهو الذي اختاره من الاقوال المتنافية في القرآن

وقال في تحسين العقل وتقبيحه ان العقل يوجب معرفة الله تعالى بجميع أحكامه وصفاته قبل ورود الشرع وعليه أن يعلم انه ان قصر ولم يعرفه ولم يشكره عاقبه عقوبة دائمة فأثبت التخليد واجبا بالعقل

﴿ مزدك ﴾ هو صاحب الديانة المزدكية في بلاد الفرس ظهر في أيام قباد والد أنوشروان ودعا قباد الى مذهبه فأجابه ولكن أنوشروان لم يتبعه بل طلبه وقتله

أماديانته فقد بسطناها في كلمة (مجوس) تحت عنوان (المزدكية)

﴿ مزَّ ﴾ يَمُزُّه مَزًّا مصه و(مَزَّ الطعم يَمَزُّ) كان مُزًّا. والاسم (المَزَازة) و(المُزوزة) وتمزَّز الشراب) تمصصه. و (المُزَّة) الخمر اللذيذة

﴿ مزَع ﴾ القطن يمزّعه مزعا ومزّعه تمزيعا نفشه بأصابعه كأنه يقطعه ثم الفه وجوده

﴿ مزق ﴾ الثوب يمزقه ومزّقه

شقه و(تمزّق) تشقق

مزن أُلمزْن السحاب أو أبيضه أو ذو الماء منه و (أُلمزْنة) القطعة من المزن . و (مازن) ابو قبيلة مشهورة (انظر عرب)

أُلمزَنى هو ابوابراهيم اسماعيل ابن يحيى بن اسماعيل بن عمرو بن اسحق المزنى صاحب الامام الشافعى

هو من اهل مصر كان زاهداً عالما مجتهداغواصا على المعانى الدقيقة وهو امام الشافعيين وأعرفهم بطرقه وفتاويه وما ينقله عنه . صنف كتباً كثيرة فى مذهب الشافعى منها الجامع الكبير والجامع الصغير ومختصر المختصر والمنثور والمسائل المعتبرة والترغيب فى العلم و كتاب الوثائق وغير ذلك

قال الشافعى فى حقه : المزنى ناصر مذهبى . وكان اذا فرغ من مسألة وأودعها مختصرة قام الى المحراب وصلى ركعتين شكراً لله تعالى

وقال أبو العباس احمد بن سريج يخرج مختصر المزنى من الدنيا عذراء لم يفتض وهو أصل الكتب المصنفة فى مذهب الشافعى على مثاله رتبوا ولكلامه فسروا وشرحوا

ولما ولى القاضى بكار بن قتيبة القضا بمصر وجاءها من بغداد وكان حنفى المذهب توقع الاجتماع بالمزنى مدة فلم يتفق له فاجتمعا يوما فى صلاة جنازة فقال القاضى بكار لاحد أصحابه سل المزنى شيأ حتى أسمع كلامه فقال له ذلك الشخص ياابا ابراهيم قد جاء فى الاحاديث تحريم النبيذ وجاء تحليله أيضاً فلم قدمتم التحريم على التحليل ؟

فقال المزنى لم يذهب أحد من العلماء الى أن النبيذ كان حراما فى الجاهلية ثم حلل ووقع الاتفاق على أنه كان حلالا فهذا يعضد صحة الاحاديث بالتحريم . فاستحسن القاضى بكار ذلك منه . وهذا من الادلة القاطعة

كان المزنى فى غاية الورع وبلغ من احتياطه انه كان يشرب فى جميع فصول السنة فى كوز نحاس فقيل له فى ذلك فقال قد بلغنى أنهم يستعملون السرجين فى الكيزان والنار لاتطهرها

وقيل أنه كان اذا فاتته الصلاة فى جماعة صلى منفرداً خمساً وعشرين استدراكا لفضيلة الجماعة مستنداً فى ذلك

الى قوله صلى الله عليه وسلم صلاة الجماعة أفضل من صلاة أحدكم وحده بخمس وعشرين درجة

وكان من الزهد على طريقة صعبة شديدة ولم يكن أحد من أصحاب الشافعى يحدث نفسه بالتقدم عليه . وهو الذى تولى غسل الامام الشافعى وقيل كان معه حينئذ الربيع صاحب الشافعى

عاش تسعا وثمانين سنة وتوفى سنة (٢٦٤) بمصر ودفن بالقرب من الامام الشافعى

﴿مسح﴾ فى الارض يمسح مسوحا ذهب فيها و (مسحه بالدهن) أمريده عليه به . و(مسح الارض) قاسها والاسم المساحة . و(تمسح به) تبرك . و (المساح) لذى يمسح الارض و (المسحة) أثر خفيف يبقى على ظاهر الجسم من اصابة اليد المبتلة. يقال (عليه مسحة من الفضيلة) أى أثر منها

﴿المسيح﴾ هو عيسى عليه السلام (انظر عيسى)

﴿المسيحية﴾ انظر نصرانية

﴿مسخه﴾ يمسخه مسخا حول صورته الى صورة أقبح منها

﴿المسيخية﴾ طائفة من المجوس وقد اتينا على تفصيل معتقداتهم فى كلمة مجوس

﴿المسيخ الدجال﴾ صحة اسمه المسيح الدجال بالحاء المهملة لا بالخاء. ولكن الناس اطبقوا الآن على تسميته بالمسيخ فجاريناهم فى وصعه فى هذه المادة حتى لا يظن انا أهملناه

قيل انه رجل يظهر فى آخر الزمان يعمل الاعاجيب فيفتن الناس بخوارقه عن دينهم ويدعوهم الى عبادته فيظل فى الارض حتى ينزل عيسى عليه السلام فيقتله . ونحن نعرض على القارىء جملة هذه الاحاديث ونبدى رأينا فيها

روى عن حذيفة بن أسيد الغفارى انه قال طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذكرون ؟ قالوا نذكر الساعة . قال انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد

الناس الى محشرهم

ويروى نار تخرج من قعر عدن تسوق الناس الى المحشر

وفى رواية فى الماشرة وريح تبق الناس فى البحر

وقال عليه الصلاة والسلام بادروا بالاعمال ستا الدخان والدجال ودابة الارض وطلوع الشمس من مغربها وأمر العامة وخويصة أحدكم

وعن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أولى الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيتهما ما كانت قبل صاحبتها فالاخرى على أثرها قريبا

ومن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث اذا خرجن لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيراً طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض

وقال عليه الصلاة والسلام لاتقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون وذلك حين لاينفع نفساً ايمانها ثم قرأ الآية

وعن أبى ذر انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غربت الشمس أتدرى أين تذهب هذه ؟ قلت الله ورسوله أعلم . قال فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها يقول لها ارجعى من حيث جئت فتطلع من مغربها وذلك قوله تعالى : والشمس تجرى لمستقر لها . قال مستقرها تحت العرش

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين خلق آدم الى قيام الساعة أمر أكبر من الدجال

وعن ابن عمر انه قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال انى لأنذركموه وما من نبى الا أنذره قومه . لقد أنذره نوح قومه ولكن أقول لكم فيه قولا لم يقله نبى لقومه ، تعلمون انه أعور وان الله ليس بأعور

وقال عليه السلام ان الله لايخفى عليكم ان الله ليس بأعور وان المسيح الدجال اعور العين اليمنى كأن عينه عنبة

طافية

وعن أنس أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من نبي الا أنذر أمته الاعور الكذاب ، الا أنه أعور ومكتوب بين عينيه ك . ا . ف . ر

وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا أحدثكم حديثا عن الدجال ما حدث به نبي قومه انه اعور وانه يجيء معه بمثل الجنة والنار فالتي يقول انها الجنة هي النار ، واني أنذركم كما أنذر به نوح قومه

وعن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم: قال انه ان الدجال يخرج وان معه ماء ونارا فأما الذي يراه الناس ماء فنار تحرق ، وأما الذي يراه الناس نارا فماء بارد عذب فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يراه الناس نارا فانه ماء عذب طيب طيب ، وان الدجال ممسوح العين عليه ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه كافر يقرأه كل مؤمن كاتب وغير كاتب

وعن حذيفة انه قد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الدجال أعور العين اليسرى جفال الشعر معه جنة ونار فناره جنة وجنته نار

وعن النواس بن سمعان قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال فقال: ان يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وان يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم ، أنه شاب قطط عينه طافية كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف

وفي رواية اخرى فليقرأ عليه بفواتح سورة الكهف فانها جوازكم من فتنته ، انه خارج من خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا ، ياعباد الله فاثبتوا . قلنا يارسول الله وما لبثه في الارض ؟ قال اربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم . قلنا يارسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أيكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا ، اقدروا له قدره . قلنا يارسول الله وما اسراعه في الارض ؟ قال كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به فيأمر السماء فتمطر والارض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرى ، وأسبغه ضروعا ، وأمده خواصر . ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف

عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم . ويمر بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل . ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض . ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك : فبينما هو كذلك اذ بعث الله المسيح عيسى بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين اذا طأطأ رأسه قطر ، واذا رفعه تحدر منه مثل جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه الا مات ، ونفسه تنتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ثم يأتي عيسى بن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هو كذلك اذ أوحى الله الى عيسى انى قد اخرجت عبادا لي لا يدان لاحد بقتالهم فحوز عبادي الى الطور ، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فتمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقول لقد كان بهذه مرة ماء ، ثم يسيرون حتى ينتهوا الى جبل الخمر وهو جبل بيت المقدس فيقولون لقد قتلنا من في الارض هلم فلنقتل من في السماء فيرمون بنشابهم الى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دما ويحصر نبي الله وأصحابه حتى يكون رأس الثور لاحدهم خيراً من مئة دينار لاحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه الى الارض فلا يجدون في الارض موضع شبر الا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه الى الله فيرسل الله عليهم طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ويروى تطرحهم بالمهبل ويستوقد المسلمون من قسيهم ونشابهم وجعابهم سبع سنين

ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للارض أنبتي ثمرتك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة . ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل حتى ان اللقحة من الابل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس . بينما هم كذلك اذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم

فيقبض روح كل مؤمن وكل مسلم وتبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة

عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه سلم : يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل من المؤمنين فتلقاه المسالح مسالح الدجال فيقولون له أين تعمد فيقول اعمد الى هذا الذي خرج . قال فيقولون له أوما تؤمن بربنا فيقول ماربنا خفاء ، فيقولون اقتلوه ، فيقول بعضكم لبعض أليس قد نهاكم ربكم ان تقتلوا أحداً دونه فينطلقون الى الدجال فاذا رآه المؤمن قال يا أيها الناس هذا الدجال الذي ذكر رسول الله عليه السلام قال فيأمر الدجال به فيشج . فيقول خذوه وشجوه ، فيوسع بطنه وظهره ضربا قال فيقول أما تؤمن بي ؟ قال فيقول أنت المسيح الكذاب قال فيؤمر به فيوشر بالميشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه . قال ثم يمشي الدجال بين القطعتين . ثم يقول له قم فيستوي قائما ثم يقول يا أيها الناس انه لا يفعل هذا بعدي بأحد من الناس . قال فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل ما بين رقبته الى ترقوته نحاسا فلا يستطيع اليه سبيلا . قال فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به فيحسب الناس انما قذفه الى النار وانما ألقي في الجنة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين

وعن أم شريك انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليفرن الناس من الدجال حتى يلحقوا بالجبال . قالت أم شريك قلت يا رسول الله فأين العرب يومئذ ؟ قال هم قليل

وعن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفا عليهم الطيالسة

وروى انه عليه الصلاة والسلام قال يأتي الدجال وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة فينزل بعض السباخ التي تلي المدينة فيخرج اليه رجل وهو خير الناس او من خيار الناس فيقول أشهد انك الدجال الذي حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه ، فيقول أرأيتم ان قتلت هذا ثم أحييته هل تشكون في الامر ؟ فيقولون له لا . فيقتله ثم يحييه . فيقول والله ما كنت فيك أشد بصيرة مني اليوم ، فيريد الدجال ان يقتله فلا يسلط عليه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وطعن بمخصرته فى المنبر ، هذه طيبة هذه طيبة ، هذه طيبة ، يعنى المدينة ، ألا هل كنت حدثتكم ذلك ؟ فقال الناس نعم . فقال ألا انه فى بحر الشام أو بحر اليمن لا بل من المشرق هو . وأومأ بيده الى المشرق

وعن عبدالله بن عمران ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

رأيتنى الليلة عند الكعبة فرأيت رجلا آدم كأحلى ماأنت راء من أدم الرجال، لة كأحسن ماأنت راء من اللمم، قد رجلها فهى تقطر ماء ، متكئا على عواتق رجلين يطوف بالبيت . فسألت من هذا ؟ فقالوا هذا المسيح بن مريم . قال ثم اذا انا برجل جعد قطط أعور العين اليمنى كأن عينه طاقية ، كأشبه من رأيت من الناس بابن قطن واضعا يده على منكبى رجلين يطوف بالبيت فسألت من هذا ؟ فقالوا هذ المسيخ الدجال

وفى رواية قال فى الدجال احمر جسيم جعد الرأس أعور عينه اليمنى، أقرب الناس به شبها ابن قطن

قال البغوى فى كتاب مصابيح السنة فى مقدمة هذه الاحاديث انها من الاحاديث المعتبرة الصحيحة. ثم أخذ يسرد الادحايث الحسنة التى وردت فى هذا الباب فقال:

عن فاطمة بنت قيس فى حديث تميم الدارى قال فاذا أنا بامرأة تجر شعرها قال ماأنت ؟ قالت أنا الجساسة ، اذهب الى ذلك القصر . فأتيته فاذا رجل يجر شعره مسلسل فى الاغلال ينزل فيما بين السماء والارض . فقلت من أنت ؟ قال أنا الدجال

عن عبادة بن الصامت عن رسول الله صلى الله علية وسلم قال انى حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لاتعقلوا ان المسيح الدجال رجل قصير أفحج جعد أعور مطموس العين ليست بناتئة ولا حجراء ، فان البس عليكم فاعلموا ان ربكم ليس بأعور

وعن عبيد بن الجراح انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه لم يكن نبى بعد نوح الا قد أنذر الدجال قومه فانى أنذركموه فوصفه لنا ، فقال لعله سيدركه بعض من رآنى أو

سمع كلامى . فقالوا يارسول الله فكيف قلوبنا يومئذ ؟ قال مثلها . يعنى اليوم او اخير

وعن عمر بن حريث عن ابى بكر الصديق قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدجال يخرج من ارض بالمشرق يقال لها خراسان تتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة

وعن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع بالدجال فلينأ عنه فوالله ان الرجل ليأتيه وهو يحسب انه مؤمن فيتبعه مما يبعث فيه من الشبهات

وعن اسماء بنت يزيد بن السكن قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمكث الدجال فى الارض اربعين سنة السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كاصطرام السعفة فى النار

وعن ابى سعيد الخدرى قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الدجال من امتى سبعون الفا عليهم السيجان

وعن اسماء بنت يزيد انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتى فذكر الدجال فقال ان بين يديه ثلاث سنين سنة تمسك السماء فيها ثلث قطرها والارض ثلث نباتها ، والثانية تمسك فيها السماء ثلثى قطرها والارض ثلثى نباتها ، والثالثة تمسك السماء قطرها كله والارض نباتها كله فلا يبقى ذات ظلف ولا ذات ضرس من البهائم الاهلكت . وان من أشد فتنته أن يأتى الاعرابى فيقول أرأيت ان أحييت لك ابلك ألست تعلم انى ربك ؟ فيقول بلى . فيمثل له نحو ابله كأحسن مايكون ضروعا وأعظمه أسنمة . قال ويأتى الرجل قد مات أخوه فيقول أرأيت ان احييت لك ابلك واخاك ألست تعلم انى ربك . فيقول بلى . فيمثل له الشياطين نحو ابيه ونحو اخيه . قالت ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم رجع والقوم فى اهتمام وغم مما حدثهم . قالت فأخذ بلجفتى الباب فقال مهيم اسماء . قلت يارسول الله لقد خلعت افئدتنا بذكر الدجال . قال ان يخرج وانا حى فأنا حجيجه والا فان ربى خليفتى على كل مؤمن . فقلت يارسول الله والله انا لنعجن عجيننا فما نخبزه حتى نجوع فكيف بالمؤمنين يومئذ ؟ قال يجزئهم مايجزى اهل السموات من التسبيح والتقديس

(رأينا فى هذا الكلام) ان الذى

يلقى بصره على هـذه الاحاديث يدرك لاول وهلة أنها من الـكلام الملفق الذى يضعه الوضاعون وينسبونه للنبى صلى الله عليه وسلم لمقاصد شتى ، إما لافسادعقائد الناس ، او لتصغير شأن النبى صلى الله عليه وسلم فى نظر اهل النقد . فان هذا الكلام لو نسب الى احد الناس حط من شأنه فما بالك لو نسب لخاتم النبيين وامام المرسلين؟

ان لنا فى توهين هذا الـكلام عدة وجوه لاتقبل المناقشة :

(اولها) انه اشبه بالاساطير الباطلة فان رجلا يمشى على رجلين يطوف البلاد يدعو الناس لعبادته ويكون معه جنة ونار يلقى فيهما من يشاء ، كل هذا من الامور التى لا يسيغها العقل والنبى اجل من ان يأتى بشىء تنقضه بداهة النظر ، والا فما هى جنته وما هى ناره التى تتبعانه حيث سار ؟ هل هما مرئيان ام خياليان ؟ ان كانا مرئيين فهل جنته قصور منيفة وحدائق غناء على مايفهمه الناس من مدلول هذه اللفظة ؟ ان كانت كذلك فكيف تسير معه هـذه القصور والحدائق الى حيث توجه ؟ وهل ناره تنور عظيم متأجج بالناس والحجارة على مايفهمه الناس من معنى هذه الـكلمة ؟ وهل مثل هذا الامر مما يصح ان يسيغه عقل بشرى ناط الله به تمييز الممكن من المستحيل ، وجعله الفارق بين الحق والباطل ؟

وان قيل بأن جنته وناره خياليان فهل كان يقتل متبعه ليرسـل بروحه الى الجنة او يعده بها وعداً بعد مماته ؟ الذى ورد انه يلقى بمتبعه فى جنته فيجدها ناراً تتأجج ويلقى بعاصيه فى ناره فيجدها جنة وارفة الظلال، وانهما تسيران معه حيث سار وهذا ممتنع عقلا كما رأيت

(ثانيا) كيف يعقل ان رجـلا اعور مكتوب على جبهته كافر يقرأها الـكاتب والامى على السواء يقوم بـين النـاس فيدعوهم لعبادته فتروج له دعوة او تسمع له كلمة ؟ اى انسان بلغ به الانحطاط العقلي الى درجة يعتقد بألوهية رجل مشوه الخلقة مكتوب فى وجهه كافر بالاحرف العريضة؟

واى جيل من اجيال الناس تروج فيهم مثل هـذه الدعوة؟ ان العرب كانوا يشكون فى المرسلين ويستكبرون ان يتبعوا رجلا يمشى على رجلين ويودون لو ارسل الله اليهم ملائكة من السماء كما نص عليه

القرآن ، وغيرهم من الامم حتى فى أقدم أزمنة التاريخ كانوا يظهرون الاسفة من اتباع امثالهم فى البشرية ويودون لو أن الرسول كان من عالم آخر كما نص عليه القرآن أيضا . فمن هى تلك الامم التى كتب لها ان تفتتن برجل أعور مكتوب على وجهه كافر فتعتقد فيه الالوهية ؟

(ثالثها) لماذا لم يذكر القرآن عن هذا المسيخ الدجال شيئاً مع خطورة أمره وعظم فتنته كما تدل عليه تلك الاحاديث الموضوعة ؟ فهل يعقل أن القرآن يذكر ظهور دابة الارض ولا يذكر ظهور ذلك الدجال الذى معه جنة ونار يفتن بهما الناس ؟

(رابعها) ان كون هذه الاحاديث موضوعة يعرف بالحس من الحديث الطويل الذى نسب الى النواس بن سمعان ورفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو الحديث الذى ينبىء بأن الدجال يخرج من خلة بين الشام والعراق ويعمل الاعاجيب ثم يدركه عيسى فيقتله . ثم يؤمر عيسى بأن يعتصم بالطور هربا من قوم لا قدرة لاحد عليهم وهم يأجوج ومأجوج فيمر أوائلهم ببحيرة طبرية فيشربونها ثم يمرون بجبل فيقولون لقد قتلنا من فى الارض هلم فلنقتل من فى السماء فيرمون نشابهم الى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دما (؟) ثم يرسل الله عليهم النغف (دود) فى رقابهم فيصبحون موتى كموت نفس واحدة . ثم يهبط عيسى ومن معه فلا يجدون فى الارض موضع شبر الاملأه زهمهم ونتنهم فيدعو عيسى فتأتى طيور فترفع جثثهم وتلقيها حيث شاء الله ويستوقد المسلمون من قسيهم ونشابهم وجعابهم سبع سنين اى يستعملون اخشابها فى وقودهم سبع سنين الخ

ان نظر الى تركيب هذه القصة نظر منتقد لايخطر بالك شك فى انها موضوعة وقد وضعها واضع لايفرق بين الممكن والمستحيل ، وبين سنن الله فى خلقه وما تولده الخيالات من الاباطيل . ولكن الدليل الحسى على بطلان هذا الحديث ان واضعه لقصر نظره خيل له ان اسلحة الناس لن تزال القسى والسهام والنشاب والجعاب حتى تقوم الساعة ، ولم يدرك انه لن يمر على وضع هذا الحديث نحو سبعة قرون حتى يوجد

البارود والبندق ولم تمر ستة قرون أخرى حتى لم يكن القوس والنشاب ذكر وقام مقامه مدافع الماكسيم وقنابل اليد والشربنيل والأدخنة السامة والغازات الملتهبة والديناميت الذى يتساقط من الطيارات الخ الخ لم يدرك ذلك كله فصور الاسلحة فى آخر الزمان على الحال الذى عهده فى زمانه . وليس بعد هذا دليل محسوس على ان هذا الحديث مختلق . فان النبى الذى يوحى اليه أكبر من أن يقع فى مثل هذا الخطأ العظيم

(هل المسيخ الدجال هو ابن صياد ؟)

توجد أحاديث عزيت الى النبى صلى الله عليه وسلم أتت على ذكر انسان سمته ابن صياد وعزت اليه بعض ماعزته للمسيخ الدجال حتى نسب الى بعض الصحابة انه حلف بالله ان ابن الصياد هو المسيخ الدجال . فقد روى عن محمد ابن المنكدر انه قال رأيت جابر بن عبد الله يحلف ان ابن صياد الدجال (أى أن ابن صياد هو الدجال) قلت تحلف بالله ؟ قال انى سمعت عمر يحلف على ذلك عند النبى صلى الله عليه وسلم فلم ينكره النبى عليه

فمن هو ابن صياد هذا ؟

روى عن عبد الله بن عمر ان عمر ابن الخطاب انطلق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رهط من أصحابه قبل ابن الصياد حتى وجدوه يلعب مع الصبيان فى أطم بنى مغالة وقد قارب ابن الصياد يومئذ الحلم فلم يشعر حتى ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهره بيده ثم قال أتشهد أنى رسول الله ؟ فنظر اليه فقال أشهد أنك رسول الاميين

ثم قال ابن الصياد أتشهد أنى رسول الله ؟ فرضه النبى صلى الله عليه وسلم . ثم قال آمنت بالله ورسله

ثم قال لابن الصياد ماذا ترى (أى من الاخبار الغيبية)

قال ابن الصياد يأتينى صادق وكاذب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خلط عليك الامر . ثم قال رسول الله انى خبأت لك خبيئا ، وخبأ له يوم تأتى السماء بدخان مبين

فقال هو الدخ

قال رسول الله اخسأ فلن تعدو قدرك

قال عمر يارسول الله أتأذن لي فيه أضرب عنقه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكن هو فلا تسلط عليه ، وان لم يكن هو فلا خير لك في قتله

قال ابن عمر انطلق بعد ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بن كعب الانصاري يؤمان النخل التي فيها ابن صياد فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يتقي بجذوع النخل وهو يختل أن يسمع من ابن صياد شيئا قبل أن يراه وابن صياد مضطجع على فراشه في قطيفة له فيها رمزمة فرأت أم ابن صياد النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتقي بجذوع النخل فقالت أي صاف، وهو اسمه، هذا محمد، فتناهى ابن صياد. قال رسول الله لو تركته بين

قال عبد الله بن عمر قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال انى أنذركموه وما من نبي الا وقد أنذره قومه ولكن سأقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه تعلمون انه اعور وان الله ليس بأعور

نقول أن من أدل الادلة على ان هذا الحديث موضوع قول واضعه (تعلمون انه أعور وان الله ليس بأعور) وكان الاولى في هذا المقام والاجدر بشرف النبوة ان يقال (تعلمون انه أعور وان الله لاتدركه الابصار وليس كمثله شيء) أما قوله ان الله ليس بأعور فيوهم ان الفارق بينه وبين المسيخ الدجال انه سليم العينين وهذا ينافي نص القرآن قال تعالى (لاتدركه الابصار) وقال تعالى (ليس كمثله شيء) الخ

وعن أبي سعيد الخدري قال لقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر في بعض طرق المدينة (أي لقوا ابن صياد) فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أتشهد انى رسول الله ؟ فقال هو تشهد انى رسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله. ماترى ؟

قال أرى عرشا على الماء. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ترى عرش ابليس على البحر . وماترى ؟ قال أرى صادقين وكاذبا أو كاذبين وصادقا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس عليه ، فدعوه

وعن أبي سعيد الخدري ان ابن صياد

سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن تربة الجنة. فقال درمكة بيضاء مسك خالص

وقال نافع لقي ابن عمر ابن صياد في بعض طرق المدينة فقال له قولا أغضبه فامتلأ حتى ملأ السكة فدخل ابن عمر على حفصة وقد بلغها فقالت له رحمك الله مابلغك من ابن صياد ، أما علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما يخرج من غضبة يغضبها

وعن ابي سعيد الخدري قال صحبت ابن صياد الى مكة فقال لي مالقيت من الناس ،يزعمون انى الدجال الست سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه لايولد له وقد ولد لي. أليس قد قال هو كافر وأنا مسلم وأليس قد قال لايدخل المدينة ولامكة وقد اقبلت من المدينة وأنا أريد مكة ؟ ثم قال لي في آخر قوله أما والله انى اعلم مولده ومكانه واين هو واعرف اباه وامه. قال فلبسني. قال قلت له تبالك سائر اليوم

قال وقيل له ايسرك انك ذاك الرجل قال فقال لو عرض على ماكرهت

وقال ابن عمر لقيته وقد نفرت عينه فقلت متى فعلت عينك ماأرى ؟ قال لا أدرى .قلت لاتدرى وهي في رأسك ؟ قال ان شاء الله خلقها في عصاك هذه. قال فنخر كأشد نخير حمار سمعت

عن محمد بن المنكدر رضي الله عنه أنه قال رأيت جابر بن عبدالله رضي الله عنه يحلف بالله ان ابن الصياد الدجال . قلت يحلف بالله قال انى سمعت عمر يحلف على ذلك عند النبي صلى الله عليه وسلم فلم ينكره النبي عليه

عن نافع قال كان ابن عمر رضي الله عنه يقول والله ماأشك أن المسيخ الدجال ابن صياد

وعن جابر رضي الله عنه أنه قال فقد ابن صياد يوم الحرة

عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمكث أبوا الدجال ثلاثين عاما لايولد لهما ولد ثم يولد لهما غلام اعور اضرس واقله منفعة تنام عيناه ولاينام قلبه .ثم نعت لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه فقال ابوه طوال ضرب اللحم كأن أنفه منقار وامه امرأة فرضاخية طويلة اليدين فقال أبو بكر رضي الله عنه فسمعنا بمولود في اليهود

المدينة فذهبت أنا والزبير بن العوام حتى دخلنا على أبويه فاذا . رسول الله صلى الله عليه وسلم فـ نـا هل لكما ولد فقالا لا مكثنا عاما لا يولد لنا ولد ثم ولد لنا غلام أعور اضرس وأقله منفعة تنام عيناه ولا ينام قلبه قال فخرجنا من عندهما فاذا هو مجندل في الشمس في قطيفة وله همهمة فكشف عن رأسه فقال ماقلتما؟ قلنا وهل سمعت ماقلناه؟ قال نعم تنام عيناي ولا ينام قلبي

وعن جابر رضي الله عنه ان امرأة من اليهود بالمدينة ولدت غلاما ممسوحة عينه طالعة نابه فأشفق رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون الدجال فوجده تحت قطيفة يهمهم فآذنته أمه فقالت يا عبد الله هذا أبو القاسم. فخرج من القطيفة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالها قاتلها الله لو تركته لبين أي لكشف. فذكر مثل معنى حديث ابن عمر فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتأذن لي يارسول الله فأقتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكن هو فلست صاحبه وانما صاحبه عيسى ابن مريم والا يكن هو فليس لك أن تقتل رجلا من أهل العهد فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مشفقا انه الدجال

يرى القارىء مما مر من هذه الاحاديث كلها أنها خالية من روح النبوة ولا يؤيدها شيء من القرآن ولا من طريق الاشارة فلا يصح لعاقل أن يعول على أمثال هذه الموضوعات فان الاخذ بها حطة في العقل وذهاب بالدين مذهب الخرافات والاضاليل والمسلمون أمروا أن يتحروا الحقيقة في كل شيء وأن لا يأخذوا بكل ما يقال وان ناقض العقل والدين

﴿مسد﴾ الحبل يمسده فتله . و (المسد) حبل من ليف

﴿مس﴾ الشيء يمسه مسا ومسيسا لمسه و (مست الضرورة اليه) ألجأت اليه . و (مس فلان) جن . (وبه مس) أي جنون . و (ماسه) لمسه . و (أمسه الشيء) جعله يمسه و (تماس الجسمان) مس أحدهما الآخر و (لامساس) أي لا مس. و(مسيس الحاجة) الجاؤها

﴿مسقط﴾ قال ياقوت مسقط الرمل في طريق البصرة بينها وبين النباج

﴿ تم الجزء الثامن ويليه الجزء التاسع ﴾

DA'IRAT MA'ARIF

AL-Karn Al-'Ishrin

by

Muhammad Farid Wajdi

VOL. 8